شعر وشعراء اليمن في الجاهلية

تأليف
محمد حسين الفرح

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء







نبذة عن المؤلف:



محمد حسين الفرح (١٩٥٤-٢٠٠٥م) هو "محمد بن حسين بن محمد بن قائد بن سعد بن محسن بن محمد بن محمد بن محسن بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن علي الفرح".

محمد حسين الفرح من آل الفرح بقرية الأجلب منطقة عمار بمحافظة إب. أنهى دراسته الثانوية بصنعاء عام ١٩٧٦م وتخرج من جامعة صنعاء كلية الشريعة والقانون بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف في مايو ١٩٨١م. تولى منصب مدير عام التعاونيات والجمعيات بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل من عام ١٩٧٧- ١٩٨٦م، ثم مدير عام الوحدات الإدارية والعمل الشعبي برئاسة الوزراء إلى عام ١٩٩٣م ورئاسة الفريق الفني باللجنة العليا للانتخابات عام ٩٢-٩٣م وعام ١٩٩٧م. ثم عين (مستشاراً للجنة العليا للانتخابات بدرجة وزير) بموجب القرار الجمهوري رقم ٢٨٣ في ١٩٩٩/٨/٨م.

حصل على وسام التعاون من رئيس الجمهورية العربية اليمنية في ١٩٧٩/١/٢٥م وحصل على وسام المؤرخ العربي من (اتحاد المؤرخين العرب) في ٢٣/فبراير/١٩٨٧م. قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتاريخية في الصحف والمجلات اليمنية والعربية منذ عام ١٩٨١م.

شعر وشعراء اليمن
في الجاهلية



تأليف

محمد حسين الفرح



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

١٤٢٥هـ - 2004 م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٠٠٤/٨١٤)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاءَ.. وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاءُ بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.
في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..
وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات.. حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان
وزير الثقافة والسياحة

المُقدمة وتفنيد آراء طه حسين

إن هذا الكتاب عن (شعر وشعراء اليمن في الجاهلية) هو ثمرة سنوات من البحث في كتب التاريخ والأدب والتراث عن شعر وتاريخ الشعراء اليمنيين في الجاهلية الذين لم يسبق لأحد من المؤرخين والباحثين والأدباء تقديم وجمع وتبيين شعرهم وتاريخهم حتى أوائل وكبار الشعراء منهم في كتاب واحد يضم شتاتهم ويجمع ما تناثر من أشعارهم مما ساهم في وقوع الدكتور طه حسين في أوهام كتابه المُسمّى (في الأدب الجاهلي) والذي عقد فيه فصلاً تحت عنوان «هل لليمن في الجاهلية شعراء؟» وقال فيه: «لم يكن لليمن في الجاهلية شعراء وما كان ينبغي أن يكون لليمن في الجاهلية شعراء»[١] واستند في ذلك إلى الادعاء بأن اليمنيين القحطانيين لم يكونوا يتكلمون اللغة العربية قبل الإسلام وزاعماً «أن العرب المستعربة إنما هم القحطانيون ولكنهم استعربوا بعد الإسلام»[٢] وأنه قال أبو عمرو بن العلاء التميمي «ما لغة حِمْيَر بلغتنا..». فوقع طه حسين حتى في استدلاله بمقولة أبي عمرو بن العلاء في خطأين؛ خطأ البتر والتحريف، وخطأ الفهم، فأمّا البتر والتحريف فيتمثل في أن أمانة البحث العلمي تستوجب عدم بتر مقولة أبي عمرو بن العلاء فهو إنما قال: «ما لغة حِمْيَر بلغتنا ولا عربيتهم بعربيتنا». وقد روى ابن سلام الجُمحي في طبقات الشعراء مقولة أبي عمرو بن العلاء بأنه قال: «ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[٣] فبَتَر طه حسن قوله: «ولا عربيتهم بعربيتنا» فحرّف بذلك البتر مقولة أبي عمرو بن العلاء. وقد ذهب بعض الذين ردوا على طه حسين إلى أن المقصود هو اختلاف اللهجات كما يُقال (لغة طيء، لغة مذحج، لغة تميم، لغة قريش... إلخ). وليس الأمر كذلك، فقد وقع أولئك كما وقع طه حسين في (خطأ الفهم) فليس المقصود بقوله: (..لغتنا.. وعربيتنا) لغة تميم أو لغة قريش وإنما المقصود لغة ولسان العرب كل العرب سواءً في ذلك

---

(١) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ ص ١٨٠.
(٢) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ ص ٩١.
(٣) طبقات الشعراء ـ ابن سَلّام ـ ص ٨.

اليمنيين القحطانيين الذين هم (العرب العاربة) بإجماع العلماء والمؤرخين عبر الأجيال، أو قبائل تميم وقريش وغيرهم من (العرب المستعربة) فاللغة العربية واللسان العربي هي لغة ولسان معظم قبائل وأرجاء اليمن منذ عشرات القرون قبل الإسلام وحتى اليوم، فليست حِمْيَر إلا إحدى قبائل اليمن وإلا بيوتات المُلك والحكم في اليمن في عصور ما قبل الإسلام، بينما الغالبية العظمى من قبائل وشعوب اليمن هي قبائل كهلان، وهمدان، ومَذْحج، والأزد، وخولان، وجُرهم، وكندة، وحضرموت، وقُضاعة، وطيء، ولَخْم، وبَجِيلة، وخثعم، وغيرهم من القبائل اليمنية القحطانية، وجميعهم كانت لغتهم هي اللغة العربية ولسانهم هو اللسان العربي وليس إياهم يعني أبو عمرو بن العلاء، فأبو عمرو بن العلاء هو نفسه الذي قال: «ذهبت اليمن بالشعر كله في الجاهلية، بامرىء القيس، وفي الإسلام، بحسان بن ثابت. .» وقد ضرب أبو عمرو بامرىء القيس الكندي وبحسان بن ثابت الأنصاري الأزدي المثل على ذهاب اليمن بالشعر كله في الجاهلية والإسلام، وقد أشار الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - في رده على طه حسين - إلى ذلك قائلاً: «وماذا نرى في قول بعض الرواة إن الشعر يماني واحتجاجهم لذلك في الجاهلية بامرىء القيس. . إلخ»[١] وأقول إن ذلك يعني أن أصل وغالبية الشعر الجاهلي يماني وأن أوائل وغالبية شعراء الجاهلية يمانيون وقد ضرب المثل بامرىء القيس بن حُجر الكندي لأنه أمير الشعراء وحامل لواء الشعر وأشعر الشعراء في الجاهلية وعبر التاريخ، فهو واحد من عشرات بل مئات الشعراء اليمنيين من قبائل كِندة والأزد ومَذحج وَهَمْدَان وغيرهم من القبائل اليمنية القحطانية في عصور ما قبل الإسلام وفي الجاهلية وعند ظهور الإسلام.

وقد استثنى أبو عمرو بن العلاء (لغة حِمْيَر وأقاصي اليمن. .) ونشير هنا إلى أن أقاصي اليمن هي مناطق قبائل المَهَرَة وهي محافظة المَهَرَة ومنطقة ظفار عُمَان وجزيرة سُقطرىٰ، وما تزال لغة المَهَرة وأقاصي اليمن تلك غير اللغة العربية في معظم أرجاء وقبائل اليمن منذ الزمن اليعربي القحطاني وحتى اليوم، وذلك لأنهم أقدم من القبائل اليمنية القحطانية فَهُم من قبائل عاد وأخواتها من أمة العرب العاربة اليمانية الأقدم الذين هم العرب البائدة، وعن ذلك قال ابن المجاور في كتاب المستبصر: «إنّ أصل المَهَرَة من بقية قوم عاد فلما أهلك اللّه تلك الأُمم نَجَا هؤلاء القوم فسكنوا جبال ظفار وجزيرة سُقُطْرَىٰ وجزيرة المصيرة، ولهم لغة منهم وفيهم، ولا يفهمها إلّا هُم»[٢]. وأقول على

(١) تحت راية القرآن - مصطفى صادق الرافعي - ص ٢٧٣.
(٢) المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز - ابن المجاور الدمشقي - تحقيق أوسكر لوففرين - ص ٢٧١.

ضوء ذلك أن لغة المهرة في أقاصي اليمن تلك هي لغة عربية موغلة في القِدم فهي من لغة قوم عاد وإخوانهم من القبائل البائدة فلما نجا هؤلاء وسكنوا في المهرة وظفار عُمان وسُقطرىٰ احتفظوا بتلك اللغة الأقدم، وبما أنهم في أقاصي اليمن البعيدة كانوا بمنأىٰ عن التطور اللُغوي في سائر بقية أرجاء اليمن الشاسعة في الزمن اليعربي القحطاني وخلال عصور دولٰ وحضارات سبأ وحمير فقد تولى حكم أقاصي اليمن تلك أمير حميَري هو «مَهَرَة بن حَيْدَان بن قُضَاعة بن مالك بن حِمْيَر» وباسمه سُمّيت تلك المناطق وقبائلها باسم المَهَرَة وقد جاء هذا الاسم وبنفس لفظ (مهرة) في نقوش المُسْنَد الحميرية[١] ولكنهم أقدم من حِمْيَر بل أقدم من كل قبائل يعرب بن قحطان، وما يزالون يتكلمون لغتهم ولهجاتهم تلك منذ آلاف السنين وحتى اليوم، وقد يصل تعدادهم إلى حوالي ١٪ من سكان اليمن بمن في ذلك الذين في منطقة ظفار عُمَان من قبائل المَهَرة، فهُم جميعاً في المهرة وظفار وسُقطرى أقل من ١٪ من اليمنيين عبر التاريخ. فالغالبية العظمى من سكان وقبائل اليمن هم القبائل اليعربية القحطانية، وهم الطبقة الثانية من العرب العاربة، أو العرب العاربة الباقية لأن قبائل الطبقة الأولى التي كان أهمها قبائل عاد قد بادوا، ومن عاد كان النبيّ هود عليه السلام فلما هلكت عاد نجا النبيّ هود عليه السلام والذين معه، فتناسلت من ذرية قحطان بن هود عليه السلام قبائل قحطان وهم العرب العاربة (الباقية) بإجماع علماء ومؤرخي الأمة عبر التاريخ، فاستناداً إلى عشرات المصادر جاء في كتاب (أيام العرب في الجاهلية) ما يلي نصه: «العرب العاربة: وهم بنو قحطان.. والمشهورُ منهم شَعْبانِ: الشعب الأول: جُرْهُم، والشعب الثاني: يَعْرُب. ويعرب هو أصلُ عرب اليمن، ومنه تفرعت جميع قبائلهم»[٢]. وهم قبائل يعرب بن قحطان بن هود العاديّ عليه السلام. قال حسان بن ثابت الأزديّ الأنصاري رضي اللّه عنه:

وِيَعْرُبُ يَنْمِيهِ لِقَحْطَانِ يَنْتَمِي ... لِهُودٍ نبيّ اللّه فوق الحبائكِ
يَمَانُونَ عَادِيُّونَ لَمْ تَخْتَلِطْ بِنَا ... مَنَاسِب شَابَتْ مِن أُولىٰ وأولئكِ

وقال أبو الطيب المُتَنبي في الأمير شجاع بن محمد الطائي اليماني القحطاني:

إِلَىٰ الثَمَرِ الحُلْوِ الذي طَيّءُ لَهُ ... فُروعُ، وقَحْطانُ بن هُودٍ لها أصْلُ

---

(١) النقوش الحميرية اليزنية ومنها النقش رقم (R. 4069) باسم الملك شُرحبيل يكمل وأسرته وقد وصفهم النقش بأنهم «كبار أقيال شعوب ضيفتن، ورثحم، ومهرة، وكبور سبأن» ـ ص ١٥٩/ ٢ ـ في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ وص ١٠٠٣ ـ الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح.

(٢) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ٤٠٨.

فقال ناصف اليازجي في هامش البيت بديوان المتنبي «طيء قبيلة الممدوح. وقحطان بن هود أبو قبائل اليمن»[١] . وقد أخرج ابن حِبّان في صحيحه الحديث النبوي لما سأل أبو ذر الغِفَاري عن الأنبياء فقال النبيّ ﷺ: «أربعة من العرب هود، وصالح، وشُعيب، ونبيك يا أبا ذر»[٢] فالنبيّ هود عليه السلام عربي من قبيلة عاد باليمن، ومِنْ ذرية (قحطان بن هود عليه السلام) تناسلت وتفرعت قبائل قحطان.

قال ابن خلدون: «وليس بين الناس خلاف في أن قحطان أبو اليمن كلهم»[٣] ـ أي أن من أبناء قحطان تفرعت قبائل اليمن كلها. وإنما وقع خلاف في عدد أبناء وقبائل قحطان، فقد قال الحسن الهمداني في الإكليل: «قرأتُ في السجل الأول: أولد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجلاً..»[٤] بينما في سِفْر التكوين: «أنجب يقطان ـ وهو قحطان ـ ثلاثة عشر ولداً»[٥] وهو الأصوب، فانحدرت منهم قبائل قحطان، ثم تفرعت من بعضهم بقية قبائل قحطان، والمشهور منهم:

- حضرموت بن قحطان. - أزال بن قحطان.
- سَلْف بن قحطان. - حضورا بن قحطان، ومنهم كان النبي شعيب.
- عوبال وهم قبيلة عُبيل. - جُرهم بن قحطان.
- المعافر بن يعفر بن قحطان. - مُود، وهم ثمود، ومنهم كان النبي صالح.

ومنهم في سِفر التكوين (شيبأ) وهو (سبأ بن قحطان)[٥] ولكنه ليس ابناً مباشراً لقحطان في الإكليل وكتب التاريخ العربية وإنما هو (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) ومنه تفرعت قبائل سبأ اليعربية القحطانية، وأشهرها:

- حِمْيَر بن سبأ - الأزد - همدان الكبرى - مَذْحِج وطيء - كِنْدَة
- الأشعريون - فيشان - أنمار - لَخْم وعامله - جُذام

وتفرعت من تلك القبائل بطون كثيرة، وجميعهم بنو قحطان. وانتقلت منهم قبائل جُرهم وعُبيل وعماليق حمير وبعض ثمود إلى مناطق الحجاز وانتشروا فيها وعمروها منذ ما قبل إسماعيل وعدنان بزمن طويل.

قال ابن خلدون: «وقد ثبت أن قحطان كان يتكلم بالعربية، ولُقِّنَها عن الأجيال

---

(١) ديوان المتنبي ـ شرح اليازجي ـ ص ٣٩.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٥٢/ ٢.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٢٩.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٦٨/ ١.
(٥) سِفر التكوين ـ التوراة ـ الإصحاح العاشر + الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص ٨٤.

قَبْله، فكانت العربية لغة بَنِيه»[١] أي أنه لُقِّن العربية من الجيل السابق وهم قبيلة عاد وأخواتها من العرب العاربة البائدة، ولكن زمن قحطان ويعرب شهد تطوراً في مسار تلك اللغة، وقد أشار إلى ذلك نشوان الحميري قائلاً: «ويعرب بن قحطان هو أول من أُلْهِمَ اللغة العربية المَحضة، واشْتُقَّ اسم (العربية) من اسمه»[٢] فجميع قبائل قحطان كانت لغتها هي اللغة العربية. وقد جاء في كتاب (أيام العرب..) عن مصادر العلم والمعرفة بتاريخ وأنساب العرب أن: «العرب العاربة، هم بنو قحطان.. والعرب المُستعربة هم العدنانيّة، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم والموجودون من العرب من ولد إسماعيل والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب.. وسُمّوا بالمستعربة لأنّه لما نزلت جرهم بن قحطان على إسماعيل وأُمّه بمكة تزوج منهم، وتعلم هو وبنوه العربية منهم»[٣].

أما قول وافتراض طه حسين « ..أن العرب العاربة إنما هُم العدنانيون، وأن العرب المستعربة إنما هُم القحطانيون» فهو قول لا يستند إلى علم ولا هدى ولا كتاب منير، فما ذكره علماء التاريخ والأنساب العرب بأن قبائل قحطان هُم العرب العاربة، وأن العدنانية هم بقية بني إسماعيل وهم العرب المستعربة يستند إلى علوم ومعارف وحقائق لم يتنبه إليها ولم يعرفها طه حسين، ومنها أن زمن قحطان وقبائل قحطان سابق لزمن عدنان وقبيلة بني عدنان بعشرات القرون، وللزمن أهمية أساسية في تمييز قبائل عاد وثمود وبقية الطبقة الأقدم ثم قبائل قحطان بأنهم العرب العاربة. قال ابن خلدون: «سُمّي أهل ذلك الجيل العرب العاربة إمّا بمعنى الرساخة في العروبة كما يُقال: ليلٌ أَلْيَل، وصوم صائم. أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها لأنها كانت أول أجيالها.. ولمّا كانوا أقدم العرب فيما يُعلم كانت اللغة العربية لهم بالأصالة، وقيل لهم العرب العاربة»[٤].

وقد انتقلت من اليمن عدة قبائل من العرب العاربة إلى مناطق من الحجاز ونجد التي كانت عافية وخالية من السكان حيث استقروا بها وسكنوها، وكانت منهم قبيلة ثمود في منطقة وادي القُرى بأعالي الحجاز، وقبيلة حضورا بن قحطان وبعض

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٥.
(٢) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ٨.
(٣) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ٤٠٨ ـ عن كتاب المعارف لابن قتيبة ـ والعقد الفريد لابن عبد ربه ـ ونسب قحطان وعدنان للمُبرد ـ وصبح الأعشى للقلقشندي ـ ونهاية الأرب للنويري.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٨.

العشائر بمنطقة الرس واليمامة، وقبيلة جُرهم بن قحطان، وقد جاء في الإكليل أنه «كان الملك حِمْيَر بن سبأ، أو سبأ بن يَشْجُب، سَيّر قبيلة جُرهم إلى جبال الحَرَم والحجاز ولاةً. . فكانوا بنجد والطائف وأجبل الحرم بالحجاز»(١) بينما كانت ثمود في وادي القُرى بأعالي الحجاز همزة وصل للنشاط التجاري إلى الشام ومصر، ومن قبيلة ثمود كان النبي العربي اليماني صالح عليه السلام، وكان النبي صالح قبل إبراهيم بنحو أربعمائة سنة، وقد جاء في الحديث النبوي سالف الذكر أن من أنبياء العرب هود وصالح، ولما أصاب قبيلة ثمود ما أصابهم بعد تكذيبهم بالنبي صالح، حجّ إلى البيت الحرام بمكة وعاد إلى منطقة ثمود في حضرموت باليمن حيث ما يزال قبره معروفاً حتى اليوم، وقد ذكر علماء التاريخ أنه «كان النبي صالح في عهد ملك اليمن زهير بن أيمن بن هُمَيْسع بن حِمْيَر بن سبأ»(٢).

وبعد ذلك بعدة أجيال كان مجيء النبي إبراهيم بزوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة، وكانت قبيلة جُرهم القحطانية هي سيّدة ووالية الحجاز ومكة، وكانت معاقلهم جبال الحرم وكان الوادي الذي فيه البيت الحرام غير ذي زرع فأسْكَنَ النبيّ إبراهيم هاجراً وإسماعيل هناك ونزلت جُرهم من جبال الحرم فعثرت عليهما، ثم أعاد إبراهيم وإسماعيل بناء البيت الحرام ـ بمعرفة جُرهم وملك اليمن آنذاك ـ وقد ذكر الهمداني في الإكليل: (أن النبي إبراهيم كان في عهد الملك عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جَيْدان بن قَطَنْ بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حِمْيَر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)(٣). وقد حَجّ وطاف الملك عبد شمس بالبيت الحرام وكذلك كثير من اليمنيين في ذلك الزمن، وتزوج إسماعيل امرأة من جُرهم وسكن بينهم فتكلّم وتعلّم هو وسلالته لغتهم العربية القحطانية اليمانية، فتعرَّبوا وسُمّيوا «العرب المستعربة لأن السِمات والشعائر العربية لمّا تعلموها من القحطانيين أُعتُبِرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم ولغتهم وهي العربية، فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم: استنوق الجَمَل واستحجر الطين».

وقد استمرت ولاية مكة والبيت الحرام في قبيلة جُرهم بن قحطان، فلم يتول بنو إسماعيل مكة والبيت وإنما عاشوا مع قبيلة جرهم في ظل سيادة وولاية قبيلة جرهم بن قحطان المُرتبطة بملوك اليمن زمناً طويلاً، وكان نمو بني إسماعيل بطيئاً،

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١/١٧٤.

(٢) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ٢٨.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١/١٨٣.

فخلال أكثر من عشرين جيلاً ما بين إسماعيل وعدنان كان عددهم يسيراً، ثم لم يبق منهم إلا عدنان ومعدّ بن عدنان، وقد سلف النص بأن العدنانية هُم الموجودون من العرب المستعربة من ولد إسماعيل والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب . ثم من بني معد بن عدنان وأخواله الجرهميين تناسلت العشائر العدنانية تدريجياً في مناطق من الحجاز ونجد، وسط غالبية عظمى من القبائل اليمانية القحطانية في تلك الأرجاء، ووسط زعامات يمانية قحطانية من جُرهم وكندة وطيء وخُزاعة وقضاعة في سائر الحجاز ونجد ومشارقها، وكان سلطان ونفوذ الدول اليمنية وملوك اليمن الحميريين التبابعة يمتد في تلك الأرجاء جميعها حتى القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادي، فكانت لغة الجميع هي اللغة العربية اليعربية التي نشرتها القبائل اليمنية اليعربية القحطانية ولا لغة في الحجاز ولا نجد سواها.

ونعود إلى تبيين مقولة أبي عمرو بن العلاء (ما لغة حمير بلغتنا ولا عربيتهم بعربيتنا) وهي في الأصل مقولة يمنية سابقة لأبي عمرو بن العلاء بعدة مئات من السنين، فقد ذكرت كتب التراث وذكر السيوطي في كتابه المزهر أنه: «خرج رجلٌ من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة إلى الملك ذي جَدَن الحميري، فأُطلِع إلى سطح والملك عليه، فقال له الملك: ثِبْ (أي أقعد)، فقال: إنّي سامع مطيع ثم وثب من السطح، فقال الملك: ما شأنه؟ فقالوا له: أبَيْتَ اللعنَ، إنّ الوثب في كلام نزار الطمر، فقال الملك: ليست عربيتنا كعربيتهم، مَنْ ظَفرَ حَمّر. (أي مَنْ أتى مدينة ظفار فليتكلم بالكلمات الحميرية الخاصة) . ويتبين من ذلك أن أصل مقولة أبي عمرو بن العلاء هو قول ذي جدن الحميري: «ما عربيتنا كعربيتهم، مَنْ ظفر حمّر» فقد كانت لِحميَر كلمات خاصة وتعابير خاصة لا تتكلم بها حتى أغلب القبائل اليمنية بما في ذلك أغلب بطون حِمْيَر ذاتها، وقد ذكرها الحسن الهمداني في الإكليل بلفظ (اللغة الحميرية) قائلاً:

«وإلى حِمْيَر بن الغوث ـ وهو حِمْيَر الأدنى ـ تُنْسَبُ أكثر هذه اللغة الحميرية. وقال آخرون: كان أول مَنْ أحدثَ هذه اللغة حِمْيَر الأكبر بينه وبين خصائصه لِيَخُص بها أسرار الملك وليدور بينه وبين مُؤازريه مِن الكلام ما لا تفهمه العامة»[(١)].

فالكلمات والتعابير الخاصة في لغة حِمْيَر تلك هي التي لم تكن في اللغة العامة لبقية بطون حمير وقبائل اليمن اليعربية القحطانية سواءً في اليمن أو في بقية الجزيرة العربية ولم تكن بالتالي في كلام نزار أو العدنانية ـ المُسْتعربة ـ لأنه نفس كلام اللغة اليعربية القحطانية العامة التي هي اللسان العربي.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٤٧/ ٢.

ونأتي إلى تبيين مسألة أكثر أهمية وهي لغة وكتابة المُسند النقوشية اليمنية والتي أشاع بعض المستشرقين والدارسين في عصرنا تسميتها (العربية الجنوبية) مما أوقع طه حسين وغيره تحت وَهْم وجود (عربية شمالية) في تلك العصور، فاندفع طه حسين في إنكاره لعربية وشعر وشعراء اليمن في الجاهلية إلى قوله: «إن البحث الحديث قد أثبت خلافاً جوهرياً بين اللغة في جنوب البلاد العربية واللغة في شمال هذه البلاد، ولدينا الآن نقوش ونصوص تمكننا من إثبات هذا الاختلاف في اللفظ وفي قواعد النحو والتصريف أيضاً»[١] .

وأقول إن النقوش والنصوص لا تثبت شيئاً من ذلك لأنّ من شروط المقارنة وإثبات الاختلاف أن تكون المقارنة بنقوش ونصوص من جنوب الجزيرة وشمالها في نفس الزمن وليس بين نقوش المسند التي تعود بعض قواعدها إلى ما قبل الإسلام بأكثر من ألف وخمسمائة سنة وبين نصوص وقواعد النحو في الشعر أو الروايات أو في الفقه الإسلامي كما فعل الذين اقتدى بهم طه حسين.

ومن المهم هنا تبيين ما يلي:

أولاً: إن كتابة ونقوش المسند كتابة يمنية يعربية حضارية تُثبت الدور الحضاري والثقافي للأمة العربية في العصور التليدة، فهي أول كتابة أبجدية هجائية تتسم بالكمال في تاريخ الإنسانية، وقد قال عنها الدكتور بيستون: (إن كتابة ونقوش المسند تُمثل أثراً باقياً لثقافة فذة ذات شخصية متميزة وعالية التطور)[٢] وتتكون أبجدية المُسند من ٢٨ حرفاً هي نفس أصوات الحروف واللغة العربية حتى اليوم، بالإضافة إلى حرف كان يُنطق بين السين والشين، وليس في أبجديات وكتابات العصور التليدية في كل الشرق والغرب حرف الضاد والظاد إلا في حروف ولغة المسند، فهي لسان الضاد العربي التليد. وتبدأ كتابة المسند من اليمين إلى اليسار وهو أسلوب الكتابة العربية حتى اليوم. وقد أشار ابن خلدون إلى أن المسند هو (القلم العربي الأول) وقال ابن خلدون: «كان لحِمْيَر كتابة تُسمى المُسند حروفها منفصلة»[٣] وبما أن كتابة المُسند حروفها منفصلة يتم الفصل بين كل كلمة وكلمة بخط عمودي. قال الحسن الهمداني في الإكليل: « . . ويفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم. . وكانوا يطرحون حرف الألف إذا كان بوسط الكلمة مثل أَلِف همدان، وأَلِف رئام، وكذلك تبعهم كُتّاب المصاحف في رسم الحروف مثل أَلِف رحمن وإنسان»[٤] .

(١) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ ص ١٨٠.
(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ٢٢٨.
(٣) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٤١٨.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨/١٢٢.

وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «المُسْنَد: الدهر، والمُسْنَد خطُّ حِمْيَر، وهو موجودٌ كثيراً في الحجارة والقصور.. واعْلم أنهم يفصلون بين كل كلمتين بصفر لئلّا يختلط الكلام، وصورة الصفر عندهم كصورة الألِف في العربي..»[١] ـ أي أن الخط القائم هو صفر.

وقد أورد الهمداني في الإكليل ونشوان في شمس العلوم شكل حروف المسند وما يُقابل كل حرف بالحرف العربي الحديث، فليس التنقيب الأثري للمستشرقين والبعثات الأثرية في عصرنا هي التي كشفت كتابة وحروف المسند وقواعدها كما زعم بعض الدارسين وأشاعوا ذلك الزعم، فعلماء تاريخ اليمن والعرب التليد قد ذكروا ذلك بالتفصيل ومنهم الهمداني في القرن الثالث الهجري ونشوان الحميري في القرن السادس الهجري، فالتنقيب والبحث الحديث إنّما يؤكد ويثبت صحة ذلك. فالعلم بالمسند علمٌ عربي يمني لم ينقطع عبر الأزمنة والعصور.

وقد تم العثور على نحو أربعة آلاف نقش مسند في أطْلال المراكز والمواقع الأثرية في أرجاء اليمن والتي تعود إلى عصور دول وحضارات سبأ وحمير وأوسان وقتبان وحضرموت ومعين والملوك الحميريين التبابعة، فسَمّاها المستشرقون والدارسون وقسّموها إلى كتابات ونقوش سبئية ومعينية وأوسانية وقتبانية وحضرمية وحميرية، ويجمعها مصطلح (العربية الجنوبية). بينما هي عند علماء تاريخنا الأوائل كتابة واحدة فهي في الإكليل (مساند حمير الدهرية) وفي شمس العلوم (المُسند خط حمير) وفي مقدمة ابن خلدون (كان لحمير كتابة تُسمّى المسند). وذلك لأن ملوك عصر دولة سبأ كانوا من بيوتات حِمْيَر بن سبأ وملوك ممالك معين وقتبان وأوسان وحضرموت كانوا من بيوتات حمْيَر بن سبأ الأوسط والأصغر أو مِنْ ولاتهم وأقيالهم، والملوك التبابعة الذين حكموا كل اليمن كانوا في غالبيتهم من بيوت بني حِمْير الأصغر ذي ريدان بن سبأ الأصغر، وبذلك فإن سبأ وحمير عمود كل تاريخ تلك العصور، فاعتبر العلماء الأوائل جميع المساند حميرية، وسَمّاها الدارسون في عصرنا (عربية جنوبية) وهي كذلك.

ثانياً: إن التنقيبات الأثرية والبحث الحديث في المراكز والمواقع الأثرية في شمال الجزيرة ووسطها وشرقها قد أسفرت عن العثور على المئات من النقوش، وجميعها مكتوبة بلغة وحروف المُسند، ليس بينها حتى نص واحد بغير المُسند. وهنا نذكر بشيء من التفصيل:

أ ـ في مواقع وادي القُرى والددن بالحجاز ـ وكما ذكر د. جواد علي ـ «وجد (دوتي)

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٤٢٨.

في خرائب وادي القرى عدداً كبيراً من الحجارة المكتوبة بالمُسند، وقد اتخذها السكان أحجاراً من أحجار البناء. كما عُثِر في (الخريبة) على كتابات بالمسند»[١] وأشار د. سامي الأحمد إلى العثور على (كتابات بالمسند في الطائف وتيماء تبوك).

ب - وكذلك - وكما أكد جواد علي - «عُثِر على كتابات بالمسند في أواسط جزيرة العرب وباطنها.. وعثر (فلبي) فيها على آثار وفخار ونقوش بالمسند أرسلها إلى المتحف البريطاني»[١].

جـ - وعن مناطق نجد ومشارقها - قال العالم جاك ريكمانس - «..وقد أخبرتنا النقوش والنصوص المكتوبة على النُصب التذكارية والنقود أن الكتابة العربية الجنوبية أُستُخدِمت في الأحساء وفي بقية شمال شرق الجزيرة العربية»[٢].

د - وفي موقع وصخور ماسل الجُمح بنجد نقوش بالمسند تتألق فيها أسماء «أبي كرب أسعد وحسان يهأمن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعرابهم..» وأسماء (كندة) و (أسد) - الأزد -. ونقشُ يذكر (بيوتروفسكي) أنه مكتوب عليه اسم «تميم... لحيعة ذو جَدن» وفوق الكتابة (رسم منحوت لشخص ذي ربطة مخططة حول فخذيه ويحمل رمحاً في يده وخنجر في حزامه)[٣].

هـ - وفي مواقع الخليج - «تم العثور في منطقة هننا HANNA وموقع ثاج بالبحرين على نقوش بالمسند نشرها الكابتن شكسبير في (The Trip of Captain Shakespear. Geographic Jour. 1922)... وعثر (كورنويل) على نقوش بالمسند في جزيرة تارون قرب ساحل القطيف.. وتم العثور في موقع ثدج على نقش بالمسند كان في حوزة أمير الكويت»[٤].

و - أما في موقع (قرّيّة/ الفاو) بمنطقة اليمامة ونجد فقد جرت تنقيبات أثرية واسعة بإشراف د. عبد الرحمن الأنصاري من جامعة الرياض، وأسفرت عن العثور على مئات النصوص النقوشية وشواهد القبور والموجودات الأثرية. وجميعها بالمسند (العربية الجنوبية) ويمتد زمنها - كما ذكر د. عبد الرحمن الأنصاري - (حوالي ستة قرون)[٥].

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي - ص ١٦٩/١ + ف ١٢٢/٨.
(٢) حضارة اليمن قبل الإسلام - جاك ريكمانس - مجلة دراسات يمنية - العدد ٢٨/ يونيو ١٩٨٧م.
(٣) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير - محمد الفرح - ص ١٠٠١/٢.
(٤) اللغات الجُزرية - د. سامي الأحمد - ص ٦.
(٥) مكتشفات (قرّيّة/ الفاو) - د. عبد الرحمن الأنصاري - مجلة المجلة - العدد ٤٠٨/٨ - ١٢ - ١٩٨٧م.

وننتهي من ذلك كله إلى حقيقة عدم وجود شيء اسمه (عربية شمالية) فكل النقوش والكتابات في نجد والحجاز واليمامة مكتوبة بالمسند اليمني اليعربي القحطاني حروفاً وألفاظاً وقواعداً وتصريفاً. وأن غالبية سكان وقبائل تلك الأرجاء كانوا من اليعربيين القحطانيين. فليس صحيحاً ما أوهم به طه حسين وغيره عن (وجود اختلاف بين اللغة في جنوب الجزيرة واللغة في شمالها تدل عليه النقوش والنصوص) أو عن (عرب جنوبيين وعرب شماليين) فالجميع قبائل عربية يعربية لغتها واحدة ونقوشها يمانية وهي مكتوبة بحروف وألفاظ ونحو وتصاريف المُسند. ويمتد زمن نقوش المسند حتى القرن السادس الميلادي، أي إلى ما قبل الإسلام بنحو ستين سنة فقط. وتختلف قواعد نحو وتصاريف المسند عن قواعد وتعابير اللغة العربية العامة في نفس زمن تلك النقوش المُسْنَدية بحيث يوجد اختلاف جوهري بالفعل ولكنه ليس بين عربية يمانية وعربية شمالية وإنما بين تعابير ونحو وتصاريف نفس اللغة العربية اليمانية في نقوش المسند من جهة وفي نصوص الشعر الجاهلي والكتابة والقواعد العامة من جهة أخرى.

ثالثاً: إن سبب الاختلاف يتمثل في أن المُسْنَد كان كتابة دهرية ذات قُدسية في شكل حروفها وتعابيرها وقواعد نحوها وتصريفها فلا تجوز الكتابة إلّا بِهَا، وإلّا في أُمور محددة ذات صلة بالآلهة والسماء والتخليد، وقد تبيّن لنا أن ذلك هو المقصود بكلمة (مساند دهرية) التي وردت في وصف الحسن الهمداني في كتاب الإكليل للعالم أبي نصر اليهري الحميري بأنه «وارث علوم حِمْيَر، وقارىء مساندها الدهرية، وكتابتها الزُبرية...» وقد سلف أيضاً قول نشوان الحميري في شمس العلوم «المُسْنَدُ: الدهر».

فالمُسند كتابة دهرية، ومن مظاهر دهريتها:

١ - أن شكل حروف المسند وأسلوب الكتابة بالمسند لم يتغير ولم يتبدل منذ أزمنة نقوش المُسند السبئية الحميرية والمعينية التي تعود إلى القرن الحادي عشر والقرن العاشر والقرن التاسع قبل الميلاد وحتى أزمنة نقوش عصر دولة تبابعة حِمْير في القرن الرابع والخامس والسادس بعد الميلاد، أي على امتداد أكثر من ألف وخمسمائة سنة، وذلك لأنها دهرية.

٢ - إن كل نقوش ونصوص المسند ذات صلة بالآلهة والسماء والتخليد وما يُراد تخليده. ولذلك فإن كل نقوش المُسند المعثور عليها والموجودة تزيد عن خمسة آلاف نقش مسند وجميعها تتحدث عن تقدمات إلى الآلهة بمناسبة كذا وكذا، أو شواهد قبورية، أو مكتوبة على القطع النقدية لإضفاء القُدسية والحماية الإلهية

على النقود، وذلك لأن ما يجوز كتابته بالمُسند لا بد أن يكون دهرياً. ولم يتنبه المستشرقون والدارسون في عصرنا إلى ذلك بحيث قال د. جواد علي عن نقوش وكتابة المُسند « . . إن الكتابات تخلو من النصوص الأدبية من شعر ونثر . . وهو أمر قد يبدو غريباً، ولكننا لا نستطيع أن نحكم حكماً قاطعاً في هذا . . فما لم يصل إلينا (من النقوش) أكثر . . » وأقول إن الأمر ليس غريباً فكتابة المسند دهرية لا يجوز أن يُكتب بها شعرٌ ولا أي شيء من الأمور العامة ولا مراسلات ولا حتى وثيقة من الوثائق . . بل إن دهرية المُسند وقدسيته كانت تمتد إلى أبعد من ذلك فلم يكن يجوز الكتابة بالمسند إلا بإذن من جهات عليا ولا يجوز أن يُكتب بها إلّا مَنْ أُعطيوا التفويض الملكي والديني بالكتابة المسندية وتخصصوا في ذلك . . وهو ما نلمسه في عبارة هامة لابن خلدون حيث قال ابن خلدون: « . . وكان لحِمْيَر كتابة تُسَمّى المُسْند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون مِنْ تَعَلُّمِهَا إلّا بإذنهم»[١]، أيّ إلا بإذن السلطة السياسية والدينية العليا لأن كلمة (حِمْيَر) يُرادُ بها الدولة.

٣ ـ إن قواعد نحو وتصاريف وأساليب المُسند دهرية. فكل النقوش لا تتحدث بغير ضمير الغائب المفرد أو الجمع، فلا يجوز أن تتحدث بضمير المتكلم، وكذلك لا تتحدث إلا بصيغة الفعل الماضي، وتصاريفها وأساليبها هي أقدم التصاريف ويندر احتواؤها على تصاريف وأساليب مما يجري على ألسنة العامة أو في الأدب الشعري والنثري. وكانوا يُفَخِّمون بالهاء فيقولون فيما اسْتُعْظِم من الأشياء ويريدون تفخيمه (يُهنْعِم. يُهَصْدِق . . إلخ). بينما هو في اللسان والنطق (يُنعم . . يُصْدِق . . إلخ). ومثال ذلك في النقوش «يسر/ يُهنعم/ وبنهو/ شمر/ يُهرعش/ ملكي/ سبأ/ وذريدن/ هقنيو/ إل مقه/ ثهون/ بعل/ اوم/ أصلمم/ ذهبم/ حمدم/ بيوم/ نفصو/ من/ بيت/ ريدن/ وهجرن/ ظفر/ عدي/ هجرن/ مرب/ . . »[٢].

وهو في النُطق «ياسر يُنعم وابنه شمّر يُرعش ملكي سبأ وذي ريدان: أقنوا الإله (المقه) ثهوان بعل (رب) اوام، أصلاماً ذهباً بيوم (بمناسبة يوم) نفصوا (وصلوا) من بيت (قصر) ريدان وهجر (مدينة) ظفار إلى هجر (مدينة) مأرب».

فالنقش يتحدث بضمير الغائب وبصيغة الفعل الماضي. ولا يكتبون حرف الألف إذا جاء بوسط الكلمة مثل (يسر/ ريدن/ ظفر/ . .) والنطق (ياسر/ ريدان/ ظفار/ مأرب). وجاء التفخيم بالهاء في النص المسندي سالف الذكر في الكلمات

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٤١٨.

(٢) النقش رقم ١٤ك/ محرم بلقيس.

(يُهنعم. يهرعش. ثهون. هقنوا). ويؤكد ذلك قول الهمداني في الإكليل: «أما يُهنعم فهو يُنعم، إلّا أنهم يُفخّمون بالهاء ويُبالغون فيما ظهر من الأشياء واستُعظم فيقولون هو يهنعم أو يهنفق المال، ويُهصدق العدو الحملة، ويهوثر البناء..»[١] وجاء في النقش (هقنوا) وهو في النقوش بصيغة المفرد (هقنى) أي (هقنى الإله.. كذا وكذا) وهو نفس اللفظ القرآني (اقنى) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨].

وقد شاع القول بعدم وجود التعريف بحرف (ال) في اللغة اليمنية (العربية الجنوبية) وأن أداة التعريف كانت إضافة (آن) في آخر الكلمة مثل (ريدان. غُمدان. ثاران. همدان. خولان. رحمٰن.. إلخ). بينما (آن) تلك ليست أداة تعريف وإنما هي جزء من الكلمة للتعظيم والمبالغة فهي مثل (رحمن، إنسان..) وغيرهما في القرآن. فأداة التعريف (ال) كانت موجودة ولكنها لا يجوز أن تكتب بالمسند إلا إذا كان في اسم الآلهة أو يراد به الإلٓه مثل (المقه) ومثل (الشرح) لأن نقوش المُسْند وكتابتها دهرية.

وكذلك لم يكن يجوز كتابة المسند إلا بنحتها على الأحجار أو البرونز والمواد الصلبة، فكل نقوش وكتابات المسند مكتوبة على قطع حجرية وتماثيل ومنحوتات من الأحجار والنحاس والبرونز أو النقود المعدنية والفضية والذهبية والسيوف والأواني وشواهد القبور. وذلك يعني أن الأداة التي يُكتب عليها بكتابة المسند كانت أيضاً دهرية.

رابعاً: لم تكن حروف وكتابة المسند هي الحروف والكتابة اليمنية أو (العربية الجنوبية) الوحيدة، فقد كانت بجانبها حروف وكتابة يمنية عربية عامة تُسَمَّى الكتابة الزُبرية الحميريّة، يتم زبرها ـ أي كتابتها ـ على أوراق تُصنَعُ من ورق النبات، أو على أوراق من الجلود، أو على ألواح مصنوعة من الخشب. وبتلك الكتابة الزُبريّة كانت تُكتب المراسلات والكُتب والأمور العامة. وكانت أكثر ألفاظها وقواعد نحوها وتصريفها نفس الألفاظ والقواعد في اللغة والتعابير العامة والشعر الجاهلي، وكانت حروفها هي الحروف العربية الحميريّة المجزومة من حروف المُسند وهي حروف الخط العربي التي منها جاء الخط العربي الحديث[٢]. وقد ذكر وجود الكتابتين والخطين ـ المُسْندي والزُبري ـ العلماء والشعراء الأوائل، فقد جاء في السيرة الجامعة لنشوان الحميري أنه «قال أسعد تُبّع:

وكـتـبـنـا مـسـانـداً فـي ظـفـارٍ   وكـتـبـنـا أيـامـنـا فـي الـزبـور

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص.

(٢) يتم رقم حروف وكلمات الكتابة على الزُبر بقصبة مبرية يتم غمسها في الحبر (الدواة)

.. وقال عمرو بن حسان وهو تُبّع الأصغر:

زبرنا في ظفار زبور مجدٍ ... سيقرأه قروم القريتين»

وقال امرؤ القيس بن حُجر الكندي:

لِمَنْ طَلَلٌ أبْصَرْتُه فَشَجَاني ... كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِ

وقال امرؤ القيس أيضاً:

أتَتْ حِجَجٌ بَعْدي عليها فأصبحتْ ... كَخَطِّ زَبُورٍ في مصاحفِ رُهْبَانِ

وقال لَبِيد العامري الجاهلي:

وجلا السيولَ عن الطلول كأنها ... زُبُرٌ تَجِدُّ متونَهَا أقلامُهَا

وقال أبو ذؤيب الهُذلي الجاهلي:

عرفْتُ الديارَ كَرَقْمِ الدَّوَاةِ ... يَزْبُرُهُ الكاتِبُ الحِمْيَرِيّ

بِرَقْمٍ ووشْيٍ كما زخرفت ... بمشيعها المزدهاة الهُدِي

فَنَمْنَمَ في صُحفٍ كالرياطِ ... فيهن إرث كتابٍ مُحِيْ[١]

وأورد ابن قتيبة في كتاب (الشعر والشعراء) خمسة أبيات للشاعر الجاهلي المُرقش الأكبر قالها وأرسلها إلى أصحابه في نكبة وقعت له، ثم قال ابن قُتيبة: «وكتب المُرَقش هذه الأبيات على خشب الرَّحْل وكان يكتبُ بالحميرية»[٢] ـ أي بالكتابة الزُبرية الحميرية التي هي (الخط الزُبري الحميري/ العربي/ العام) والذي انتشر من اليمن إلى الحيرة وإلى الحجاز ونجد ودومة الجندل.

وقد ذكر ابن خلدون تلك الكتابة وذلك الخط الحميري العربي ووجوده إلى جانب كتابة المُسند حيث قال ابن خلدون في المقدمة ما يلي نصه:

«وَقَدْ كَانَ الخَطُّ العربيُّ بالِغاً مَبَالِغَهُ مِنَ الأَحْكَام والإتْقَانِ والجُودَةِ في دولة التَّبَابِعَةِ لِمَا بَلَغَتْ مِنَ الحَضَارَةِ والتَرَفِ وَهُوَ المُسَمَّى بالخَطِّ الحِمْيَرِيّ. وانْتَقَلَ مِنْهَا إلى الحِيرَة لِمَا كان بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آل المُنْذِرِ نُسَبَاءِ التبابعةِ في العَصَبيّةِ والمُجَدِّدِين لِمُلْكِ العربِ بأرض العراق، ولم يَكُنِ الخَطُّ عِنْدَهُمْ مِنَ الإجَادَةِ كَمَا كانَ عِنْدَ التبابِعَةِ لِقُصُورِ ما بينَ الدَّوْلَتَيْنِ، وكانت الحضارةُ وتوابِعُهَا من الصنائِع وغَيْرِهَا قاصِرَةً عَنْ ذلك. ومِنَ الحِيْرَة لُقِّنَهُ أهلِ الطائِفِ وقُرَيْش فيما ذُكِر. ويُقالُ إنَّ الذي تَعَلَّمَ الكتابة مِنَ الحِيْرَةِ هُو سفيان بن أُميّة، ويُقال حربُ بن أُمَيّة وأَخَذَهَا من أَسْلَم بن سُدْرة،

(١) ديوان الهذليين ـ ص ٦٤/١.

(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ٢١١/١.

وهُوَ قولٌ مُمكِنٌ وأقْرَبُ مِمَّنْ ذَهَبَ إلى أنَّهُمْ تَعَلَّمُوها مِنْ إياد أهل العراق. . وهو قَوْلٌ بعيدٌ، لأنَّ إيَادَ وإنْ نزلوا ساحة العراقِ فلم يزالوا على شأنِهم مِنَ البَدَاوَةِ، والخَطُّ مِنَ الصَّنَائِعِ الحَضَرِيّة. فالقولُ بأنَّ أهل الحجازِ إنَّما لُقِّنُوهَا مِنَ الحِيرَةِ ولُقِّنَهَا الحِيْرَةُ مِنَ التَّبابِعة وحِمْيَرَ هو الأليقُ مِنَ الأقوالِ. وكَانَ لحِمْيَرَ كِتَابَةٌ تُسَمَّى المُسْنَدَ حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةٌ وكانوا يَمْنَعُون مِنْ تَعَلُّمِهَا إلا بإذْنِهِمْ. ومِنْ حِمْيَرَ تَعَلَّمَتْ مُضَرُ الكتابَةَ العربية»(١).

وقد أشار الدارسون في عصرنا إلى أنه ـ وكما قال منير الذيب ـ «ربط ابن خلدون ابتكار الخط العربي بالحضارة والتمدّن فقد جاء من اليمن ثم انتقل إلى الحيرة في عهد المناذرة ووصل الطائف وقريش»(٢). والواقع أنه ليس ابن خلدون فقط بل سائر العلماء الأوائل والروايات تتفق في جوهرها على تلك الحقيقة، فقد قيل: إن ثلاثة أفراد مِن بني بولان مِنْ قبيلة طيء وضعوا حروف الخط العربي في الأنبار وسَمُّوه خط الجزم. فأولئك الثلاثة من قبيلة طيء اليمنية المشهورة التي انتشرت من الجوف باليمن إلى الأنبار والحيرة في عصر دولة التبابعة الحميريين فيمكن أن يكونوا هم أول من أدخل ذلك الخط إلى الأنبار فتعلم منها جماعة من الأنبار ثم الحيرة. . ويمكن التوفيق بين ذلك وبين ما أكّده ابن خلدون من أن ذلك الخط «لُقِّنَه أهل الحيرة من التبابعة وحمير» وذلك لأن قبيلة طيء هم من قوم وجنود التبابعة ودولة حمير مثل كندة وغيرها من القبائل اليمنية التي انتشرت في مناطق الحيرة ونجد والحجاز ودومة الجندل في أعالي الحجاز وأداني الشام. واستعملوا كتابتهم اليمنية العربية بشكليها: المُسْند الدهري، والخط الزُبري الحميري العربيّ العام الذي ذكره ابن خلدون بلفظ «الخط العربي. . المُسَمّى بالخط الحميري». وذكره آخرون باسم (خط الجزم) فقد ذكر البلاذري والقلقشندي أنه «سُمّي هذا الخط بالجزم ـ أي القطع ـ لأنه مقتطعٌ من الخط الحميري»(٣).

ولكن المستشرقين والدارسين في عصرنا لم يأخذوا بما ذكره علماء وشعراء ومؤرخو العرب الأوائل عن واحدية اللغة وعن الأصل اليمني العربي للخط العربي الحديث لأنه يوجد اختلاف جوهري بين تعابير وقواعد كتابة ولغة العربية الجنوبية (أي المُسند) وبين تعابير وقواعد الشعر الجاهلي والقرآن، ولأنه ـ كما ذكر صلاح الدين منجد « . .يوجد اختلاف كبير بين الخط العربي والخط الحميري»(٤) ـ أي المُسند ـ ولم يتنبه الدارسون إلى تمييز ابن خلدون بين «الخط العربي المُسَمَّى بالخط

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٤١٨.
(٢) الأبجدية العربية والخط العربي ـ منير الذيب ـ م. دراسات يمنية ـ العدد العاشر/ ١٩٨٢م.
(٣) صبح الأعشى للقلقشندي ـ ص ٣/ ٩. (٤) فتوح البلدان للبلاذري ـ ص٤٥٦ و٤٦٠.

الحميري» وبين قوله: «وكان لحِمْيَر كتابة تُسَمّى المُسْند.. إلخ». فجميع النصوص والأشعار سالفة الذكر إنما تتحدث عن كتابة يمنية حميرية - غير كتابة المسند الدهرية - وهي الكتابة المذكورة في قول أسعد تُبّع الحميري (وكتبنا أيامنا في الزبور) وفي قول امرىء القيس «كخط زبور في عسيب يمانِ» وفي قول أبي ذؤيب الجاهلي «..يزبره الكاتب الحميري» وفي قول ابن قتيبة: «وكان المُرقش يكتب بالحميرية».

وقد أورد ابن دريد في الجمهرة قول أحد الشعراء:

أوْ زُبرُ حِمْيَرِ أخبارُها بالحِميرية في عبب ذابلِ

وَوَصَفَ الحسن الهمداني أستاذه أبا نصر اليهري الحميري بأنه (وارث علوم حمير وقارىء مساندها الدهرية وكُتبها الزُبرية..) وذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك خبر العثور على حجر فيه كتابة قديمة في جبل بالعقيق وأنه قال عروة بن الزبير عن ابن سُليم الأنصاري الزَرقي أنه «عرض الحجر على من يكتب بالزبورِ من أهل اليمن ومَنْ يكتبُ بالمُسند»[١] فنَصُّ الطبري هذا ينطق ويؤكد أيضاً وجود الكتابتين؛ كتابة المسند الدهرية وكتابة الزُبر الحميرية.. فحروف الكتابة الزُبرية الحميرية اليمنية وقواعد نحوها وتصاريفها وتعابيرها هي أصل حروف الخط العربي الحديث وهي التي كانت تُكتب بالقواعد العامة التي تجري على ألسنة العامة وتُكتبُ بها المراسلات والأشعار.

خامساً: إن تلك الكتابة التي كان المستشرقون والدارسون وطه حسين يجهلون وجودها، قد تم العثور في اليمن على أعواد خشبية مزبورة بها تؤكد الحقائق التي أسلفنا ذكرها. وقد تم في البدء العثور على اثنتين من تلك الأعواد الخشبية المزبورة بالكتابة الحميريّة اليمنية العربية وقد أشار إليها الباحث الفرنسي (جاك ريكمانس) في دراسة له عام ١٩٨٧م قائلاً ما يلي نصه: «..كشفتْ حفرياتٌ أثرية في الجمهورية العربية اليمنية عن قضيبين من الخشب الصلب بحجم سيجار هافانا الكبير، على كل واحد منها أربعة عشر سطراً محفورة بدقة، بخط غير معروف مِنْ قَبل في الكتابة العربية الجنوبية للنقوش.. وهناك قضبان أُخرى من هذا النوع أُدْخِلَتْ مؤخراً إلى المتحف الوطني بصنعاء.. وقد استطاع الأستاذ محمد الغول فَكَّ كتابة قضيبين بهذا الخط.. وهما رسالتان خاصتان، ويزودنا أسلوبهما لأول مرة بسلسلة من الأشكال في صيغ المتكلم وبأمثلة جديدة عن أشكال صيغ المخاطب»[٢]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك - الطبري - ص ٢/٢٤.

(٢) حضارة اليمن قبل الإسلام - جاك ريكمانس - م. دراسات يمنية - العدد ٢٨ - يونيو ١٩٨٧م.

وقد نشر الأستاذ محمد الغول ود. يوسف محمد عبد اللّه دراسة عن تلك الكتابة وأشكال حروفها ومضامين بعض الأعواد الخشبية المزبورة بها، وإنها «الخط الحميري التحريري» أو «خط المسند الشعبي التحريري» وذلك تمييزاً له عن خط وكتابة المُسنَد ـ التي أسلفنا تبيين أن المسند كان كتابة دهرية وتبيين معالم دهرية المسند ـ أما هذه الأعواد الخشبية المزبورة فمِن معالمها في الدراسات التي نشرها محمد الغول ويوسف محمد عبد اللّه ما يلي:

ـ « . . إن النصوص تحتوي مصطلحات ومفردات وتعابير جديدة. قَلَّ أنْ تَرِد في نقوش المسند. فنقوش المسند يندر أن تتحدث بغير ضمير الغائب المفرد أو الجمع وتعابيرها نمطية متكررة. . أما هذه النقوش الخَشبية فتتحدث بضمير المتكلم وبصيغة الفعل المضارع وفعل الأمر. وقد عُثر فيها على تعبيرات ومفردات مما يجري على ألسنة العامة. وتُعنى بمسائل شخصية ومعاملات يومية. . ».

ـ «وتزداد هذه النصوص الخشبية أهمية عندما نعلم أن معانيها لا تَقِلّ فائدة عن مبانيها، وأن محتواها يحمل مضامين مثيرة بالنسبة لدارسي اللغة اليمنية والتاريخ اليمني في تلك الحِقب القديمة. .» (اهـ). ولعل الأصوب أن يُقال « . . لدارسي اللغة والكتابة العربية والتاريخ في تلك الحِقب القديمة». وقد ذكرت الدراسة أن إحدى تلك الأعواد الخشبية يعود زمنها إلى القرن الثاني ق.م. ويمتد زمن بعضها إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين في عصر الدولة الحميرية وحتى القرن الخامس الميلادي ويؤكد ذلك وجودها إلى جانب كتابة المسند.

ـ « . . ومُعظم هذه الأعواد الخشبية عبارة عن رسائل تبدأ باسم المُرسل ثم المُرسل إليه أو بالعكس. ويتلو ذلك التحية والدعاء، ثم الغرض من الرسالة، وأخيراً تُختتم بالدعاء مرة أخرى. . ومنها، مثلاً، رجلٌ يبعث بكراء جَمَلٍ استأجره من صاحبه. . ورجلٌ آخر يُرسل مكتوباً إلى قريب له يستهله بالتحية والدعاء له بالبركة ويبعث له مع حامل المكتوب هدية طيبة ويُخبره أن حامل المكتوب سيُعلمه ببقية الأخبار. . ورجلٌ آخر يبعث لأجرائه في الأرض رسالة تتضمن التحية ثم الحثّ على دفع المُستحقات وما يتوجب دفعه من خراج ومصروفات، ويذكر بعض المحاصيل الزراعية مثل العتر والبلسن (العدس) والجلجلان (السمسم) والحُمَر (التمر الهندي) والحلف والقضب وغير ذلك من المحاصيل. .» [اهـ].

وقد تم جزم أو قطع حروف تلك الكتابة اليمنية الزُبرية من حروف كتابة المُسند الدهرية. فحروف المُسْند ذات شكل مستقيم كالأعمدة ـ لا ينعطف ولا يميل ـ بينما حروف هذه الكتابة ذات شكل مائل وشبه أُفقي يمكن ربط حروف كلماته ـ أي كما

في بداية الخط العربي الحديث ـ. وتتكون حروف الكتابة الحميرية الزُبرية من ٢٨ حرفاً وهي نفس أصوات حروف الخط العربي الحديث بما في ذلك حروف (ض. ظ. غ. ث. خ. ذ) التي لا توجد في السريانية والنبطية وغيرها بينما هي موجودة في كتابة المسند والكتابة الزُبرية الحميرية لأنهما كتابة ولغة العرب. . وتتم الكتابة من اليمين إلى اليسار. . ويندر في نقوش المسند استعمال أداة التعريف (ال) فلا يجوز استخدامها إلا في أسماء الآلهة مثل (المقه) أو إذا كان المراد الإله مثل (ال شرح). أما في نصوص الأعواد الخشبية المزبورة فإن (ال) تأتي كأداة تعريف، وشكلها هو نفس شكل (الـ) في الخط العربي الحديث.

وفيما يلي شكل الحرف الحميري الزُبري (التحريري) وشكل الحرف المسند (الرسمي/ الدهري) وما يقابلهما من الحروف في الخط العربي الحديث، كما في دراسة د. محمد الغول ود. يوسف محمد عبد اللّه لنصوص وخط الأعواد الخشبية المزبورة بالخط الحميري العربي العام وقد مَيّزاه بمصطلح (تحريري) وميّزا حروف المسند بمصطلح (رسمي) والأصوب أن المسند (دهري) والعام (زُبري)، والذي يهمنا هو ثبوت وجود الخط الحميري الزُبري العام وحروفه، ولذلك نورد شكل الحروف كما في دراسة الأعواد الخشبية الحميرية، وهي كما في الجدول المنشور هنا.

م	الخط المسند تحريري	الخط المسند رسمي	الخط العربي	الخط اللاتيني
١			ا	ʾ
٢			ب	b
٣			ت	t
٤			ث	ṯ
٥			ج	ǧ
٦			ح	ḥ
٧			خ	ḫ
٨			د	d
٩			ذ	ḏ
١٠			ر	r
١١			ز	z
١٢			س	s
١٣			ش	š
١٤			ص	ṣ
١٥			ض	ḍ
١٦			ط	ṭ
١٧			ظ	ẓ
١٨			ع	ʿ
١٩			غ	ġ
٢٠			ف	f
٢١			ق	q
٢٢			ك	k
٢٣			ل	l
٢٤			م	m
٢٥			ن	n
٢٦			هـ	h
٢٧			و	w
٢٨			ى	y

إن وجود الأعواد الخشبية المزبورة بالحروف والكتابة الحميرية اليمنية الزُبرية هو شاهد لا تخطىء دلالته على أنها الكتابة التي كانت تُزبَرُ وتكتبُ بها المسائل العامة والمراسلات والكُتب والنصوص التاريخية والأدبية، وقد كانت تُزبَرُ على أوراق مصنوعة من ورق النبات وكذلك على رقائق من

الجلد ـ بصفة رئيسية ـ وبما أن تلك الكُتب والأوراق والرقائق الجلدية قابلة للتلف، فلم يتم العثور في عصرنا على شيء من تلك الكتب الزُبرية، وقد كان الكثير منها ما يزالُ موجوداً حتى القرنين الأول والثاني الهجريين وعنها تم نقل ورواية الكثير من الأخبار والأشعار فقد أشار الهمداني في الإكليل إلى أنه كان بحوزة أبي نصر اليهري الحميري كثيراً من الزُبر وأنه (وارث زُبر حمير) وأن جميع ما ذكره الهمداني في أنساب وتاريخ حِمْير هو عن أبي نصر اليهري، بل إن الحسن الهمداني نفسه نقل وذكر كثيراً من الأخبار والأشعار عن (بعض الزبر) وعن «سِجل ابن أبان الخنفري الحميري المتوارث من الجاهلية» وعن «سِجل خولان القديم بصعدة» وعن «كُتب همدان» وقد كانت تلك الزُبر والكتب موجودة حتى زمن الهمداني في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهي مصادر تاريخ وشعر العشرات من قصائد وشعر شعراء اليمن في الجاهلية في هذا الكتاب.

لقد اندفع د. طه حسين إلى الشك والتشكيك في عربية لغة وكتابة اليمن في الجاهلية وإلى نفي وإنكار أن يكون لليمنيين ولليمن شعر في الجاهلية، بينما هو لا يعرف شيئاً من الحقائق التي أسلفنا تبيينها عن كتابة ولغة المسند الدهرية وعن كتابة ونصوص الخط الزُبري الحميري، وهما الكتابة واللغة في الجزيرة العربية كلها. أما موقف طه حسين مما ذكرته كتب الأدب والتاريخ جميعها عن الشعراء اليمنيين في الجاهلية فقد أتى طه حسين بأعجب العجب حيث قال عن شعراء اليمن في الجاهلية: « . . ولكننا نقف من هؤلاء الشعراء جميعاً لا نقول موقف الحيطة بل موقف الرفض والإنكار»[1] . فطه حسين يقف موقف الرفض والإنكار لشعراء اليمن في الجاهلية جميعاً، هكذا (جميعاً) بينما هو لا يعرف شيئاً حتى عن عشرة منهم ولم يبحث في كتب الأدب حتى عن تاريخ وشعر عشرين شاعراً من أوائل وكبار الشعراء اليمنيين في الجاهلية. فباستثناء امرىء القيس بن حُجر الكندي فإن طه حسين لم يذكر ويناقش حتى من أجل الإنكار والتشكيك إلا امرأَ القيس، ويدل ذلك على أنه لم يَطّلِع ولم يقرأ ولم يبحث إلا عن شاعر واحد من بين مئات الشعراء، ولم يجمع من المادة ـ موضوع بحثه ـ حتى أَقَلَّ القليل مما هو موجود في أُمهات كتب التراث والأدب، ولا يعرف مقدار ذلك الشعر ولا يُحيط حتى بأقل القليل منه.

ولقد قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عن شكوك وتشكيك طه حسين بالشعر الجاهلي ما يلي: «إنّ أستاذ الجامعة ـ طه حسين ـ لَيَعْلَمُ علماً لا يدخله الشكّ الذي يتباهى به، أن كُتب السلف لم تنته إلينا بجملتها، ولا انتهى أكثرها، ولا ما

(١) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ ص ١٨٠.

يُقال فيه أنه كثير، وأنّ الرواية لم تتأدّ إلينا بما كانت تحمل من ذلك العلم المستطيل من الأشعار والأخبار والنقد، فكيف يجوز له أن يحكم على شعر الجاهلية بأنه موضوع أو محمول على أهله، أو الكثرة المُطْلَقة منه موضوعة محمولة. وهو لا يَرْوِي هذا الشعر، وهو لا يعرف ما مقداره، ولا يُحيطُ بأقلّه فضلاً عن أكثره..»
وقال الرافعي: «ولكن بيننا وبين الجاهلية ثم مَنْ نقلوا عنها أزماناً متناسخة كادت توفِّي خمسة عشر قرناً، وقد باد أكثر الكتب وذهبت فيها أقوال الرواة وعِلم العلماء مما حققوه ونَصُّوا عليه، وما تسامحوا فيه وتوسعوا به، فلا يجوز لكائنٍ من كان بين قطبي الأرض أن يُثبت أو يُنكر أو يزيد أو يُنقص إلا بنص عن المتقدمين؛ لأن هذا العلمَ لا يمكن أن يستقيم على اتباع الظن ولا أن يصح على الشك، فإنّ محل الشك والتخمين والحدس والاستنتاج إنما يجيء بعد أن تجتمع المادة من أطرافها بحيث لا يشذ منها إلا القليل الذي يُفْرَضُ فيه لقلته أنه لا ينقضُ حُكماً ولا يُبطِلُ رأياً، للاستغناء عنه بالنصوص الأخرى المتوافرة التي تتحقق بها غلبة الظن إن لم يأت منه اليقين. والأمرُ في يد أستاذ الجامعة (طه حسين) المُبْتَلَىٰ بالشك على النقيض من ذلك فلا هو يستطيع أن يَردّ ما ذهب من الكتب فيستوعبها، ولا هو يمكنه أن يطّلع على كل ما هو مبعثر في زوايا الدنيا من الكُتب التي لم تذهب، ولا هو اطّلع على كل ما تناله أيدي الأدباء. فالعجب الذي ليس مثله عجب أن يكون الأستاذ ـ طه حسين ـ ناقصاً هذا النقص كله ثم يزعم أنه يدعو إلى الطريقة العلمية في تأريخ الأدب، وأنه يمحّص ويُحقق، ويُثْبتُ وينفي، ويُوقِنُ ويشك.. إنّ أخصّ شروط الطريقة العلمية في درس التاريخ وكتابته أن يستوعب المؤرخ كل ما قيل وكُتِب في موضوعه مما يتعلق بحادث أو شخص أو موضوع، لا يفوته من ذلك شيء..»[1].

واستناداً إلى تلك الأُسس التي أشار إليها الرافعي يمكن القول إن روايات القصص والملاحم قد نسبت إلى العديد من الأنبياء والملوك والشخصيات أشعاراً في الأزمنة القديمة التي تعود إلى الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد وهي أزمنة سابقة لزمن الشعر الجاهلي، وغالب الظن أن تلك الأشعار إنما قيلت في أزمنة متأخرة لتسهيل التعريف بأخبار الأقدمين أولئك، وقد أشار العديد من العلماء الأوائل إلى أن مثل ذلك الشعر موضوع أو محمول على أهله. وكذلك الأشعار المنسوبة في السيرة وأخبار الملوك والوصايا إلى عصور ملوك سبأ التبابعة الحميريين في الألف الأول قبل الميلاد فلم نتطرق إليها في هذا الكتاب لغلبة الظن بأنها قد لا تكون جاهلية. واكتفينا بالبحث فيما رواه وحَقّقَ صحته العلماء ورجال الفكر والأدب

(١) تحت راية القرآن ـ مصطفى صادق الرافعي ـ ص ١٤١ و ١٤٣.

الأوائل من صحيح شعر وشعراء الجاهلية في أُمهات كتب التراث والأدب والتاريخ، فإذا بالحقيقة غير ما توهّم طه حسين وأوهم الناس به من أنه لم يكن لليمن في الجاهلية شعراء. فالحقيقة أن أوائل وقدماء الشعراء الجاهليين جميعاً من اليمن، وأن حظ اليمن من كبار الشعراء الجاهليين لم يكن امرؤ القيس فقط وإنما كان أيضاً العشرات من كبار الشعراء قبل امرىء القيس وبعده. وإن كل قرن وجيل من القرون والأجيال كان فيه عشرات الشعراء اليمنيين على مدى ستمائة سنة على الأقل وعشرة أجيال على الأقل، بل وكان في اليمن أيضاً شاعرات جاهليات كان لهن إسهامهن في الحياة السياسية والاجتماعية والحربية في تلك العصور.

إن الأدب والشعر هو ثالث ثلاثة مصادر أساسية لتاريخنا العربي التليد وهي نقوش المُسند الدهرية والكتابات الزُبرية والنصوص الأدبية والشعرية، فقد كان الشعر هو ديوان العرب وديوان قبائل العرب الذي ينطق بأيامهم وحروبهم وأخلاقهم ومعالم حياتهم خلال زمن الشعر الجاهلي الصحيح الذي يمتد زهاء سبعمائة سنة حتى ظهور الإسلام. كما أن الشعر الجاهلي هو أصل كبير من أصول اللغة العربية، فقد كان للقبائل العربية لهجاتها ومفرداتها التي تتميز بها وهو ما يسميه الأوائل (لغة طيء. لغة مذحج. لغة حمير. لغة كندة. لغة تميم. لغة قريش.. إلخ). ويعنون بذلك اللهجات وبعض المفردات والتصاريف، بينما كانت لغة الأدب والشعر الجاهلي هي اللسان العربي الفصيح المُبين، فأياً كانت لهجة قبيلة ومنطقة الشاعر فهو يقول الشعر باللسان العربي المُبين الفصيح وبقواعد نحو وتصاريف الشعر، وما يزال ذلك هو الواقع في اليمن وكل الوطن العربي حتى اليوم، كما أن الشعر الجاهلي هو ممّا يُرجع إليه في فهم ألفاظ ومعاني القرآن الكريم لأنه نزل باللسان العربي المُبين الفصيح الذي هو لسان الأدب والشعر الجاهلي الصحيح المتواتر منذ ما قبل نزول القرآن بمئات السنين، وقبل أن تتكون وتُوجد قبيلة قريش بأجيال كثيرة. ولقد قال عبد اللّه بن العباس: (إذا أَشْكَلَ عليكم فهم شيء في القرآن فارجعوا إلى الشعر الجاهلي..) ولم يقل (ارجعوا إلى لغة قريش..) وذلك لأن اللسان العربي المُبين هو لسان وقواعد نحو وتصاريف الشعر الجاهلي وهو أقدم من وجود قبيلة قريش.

ونشير هنا إلى أن لجنة من كبار علماء مصر والأزهر الشريف كانت قد قامت باستقراء وفحص كتاب طه حسين بعد صدوره في مصر ورفعت لجنة العلماء كتاباً إلى شيخ الأزهر والحكومة المصرية ونقتطف منه هنا الفقرة التالية:

«إن كتاب طه حسين المُسَمّى (في الشعر الجاهلي).. وُضِع في ظاهره لإنكار الشعر الجاهلي، ولكن المتأمل قليلاً يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولاً لهدم

الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي، وكأنّه ما وُضع إلا ليأتي عليها مِنْ أصولها، فإنّه تذرّع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الإسلام مِمَّا يُرجع إليه في فهم القرآن والحديث»[١].

فالشعر الجاهلي هو أصل كبير من أصول اللغة العربية وهو مِمَّا يُرجع إليه في فهم القرآن والسُنَّة النبوية. كما أنّه مصدر كبير من مصادر تاريخ اليمن وأمّتها العربية في تلك العصور. فاليمن هو مهد العروبة واليمنيون هم العرب العاربة وهم غالبية سكان الجزيرة العربية بما في ذلك الحجاز ونجد في ذلك الزمان، وكتابتهم ولغتهم هي الكتابة واللغة العربية. ولقد ذكرت المصادر اليونانية في الألف الأول قبل الميلاد بلاد اليمن بأنها (بلاد العرب السعيدة) وذكر هيرودوتس اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد اليمن بأنه بلد العرب، وذكر هيرودوتس وأغاثر سيدس اليوناني وبطليموس حضارة وشعوب سبأ وحمير ومعين وقتبان بحضارة وشعوب العربية السعيدة، وكذلك كل المصادر الرومانية في القرون الميلادية ذكرت عروبة اليمن وأنها بلاد العرب السعيدة، فليس إنكار طه حسين لعربية اليمن ولغة وشعر اليمنيين العربي الجاهلي إلا دليلاً على عدم معرفته بشيء من التاريخ. ولم يكن بمقدور طه حسين أن يُقَدِّم رؤية صحيحة لتاريخ وأدب العرب التليد ولشعر وشعراء اليمن في الجاهلية ليس لأنه لا يعرف ولم يبحث فحسب وإنما أيضاً لأنّه ـ كما قال أحد العلماء الأوروبيين ـ: «إن الباحث المؤرخ الذي يحسُّ بآلام وأفراح وطنه كأنّها آلامه وأفراحه الخاصة هو وحده الذي يستطيع أن يُقَدّم الرواية الصحيحة لتاريخ وطنه».

أوائل وقدماء شعراء اليمن الجاهليين:

لقد زعم طه حسين أنه (لم يكن لليمن في الجاهلية شعراء) بينما بالبحث في أُمهات كتب الأدب والتراث والتاريخ التي نشرها وحَقّقها واعتمدها وصححها علماء ورجال الفكر والأدب والتاريخ يتبين أنه حتى أوائل وقدماء الشعراء الجاهليين كانوا من اليمن، ومنهم عشرات الشعراء جمعنا شتات تاريخهم وشعرهم في هذا الكتاب، ولا يوجد ما يدلُّ على معرفة طه حسين بوجودهم في أُمهات كتب الأدب، ونشير هنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ إلى أن منهم:

١ ـ **دُوَيْد بن زيد بن نَهْد:** استهلَّ ابنُ قُتيبة (أوائل الشعراء) في كتاب (الشعر والشعراء) قائلاً: «لم يكن لأوائل الشعراء إلّا الأبيات القليلة يقولها عند حدوث الحاجة، فَمِن قديم الشعر قول دُوَيْد بن نَهْد:

الْيَومَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بيتُه ... لَوْ كان للدَّهرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ

(١) تحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ١٦٨.

.. إلى آخر الأبيات»[1] . ودُويد هذا هو دويد بن زيد بن نَهْد القُضَاعي الحميري، وهو من أوائل رجالات قبيلة نَهْد بمنطقة صعدة وسَرَاة أعالي اليمن. وقد ذكرت النصوص التاريخية قبيلة نهد منذ قرون ما قبل الميلاد التي في أواخرها عاش دُويد بن زيد بن نهد، وقد طال عمره حتى جاء في الروايات أنه عاش أربعمائة وخمسين سنة، ويمكن أن يكون أصل ذلك أنه عاش مائة وخمسين سنة، ومات قبل الإسلام بأربعمائة وخمسين سنة.

٢ ـ الحرث بن كعب: هو (الحرث بن كعب بن عُلة بن جَلْد بن مَذْحج). وهو من أوائل وقدماء الشعراء، وقد جاء اسم الحرث بن كعب هذا في نقش مسند من نقوش ملوك سبأ التبابعة المعثور عليها في محرم بلقيس والتي تعود إلى قرون ما قبل الميلاد، يذكر النقش المسند أنه بموجب أوامر الملك تمَّ حبس الحرث بن كعب وسَوْد بن عمر مع جماعة من قبيلتي نَخَع وجَرم. وتكبيل الحرث بن كعب بالقيود[2] وذلك التكبيل بالقيود هو ما نلمسه في شعره حيث «قال ابن قتيبة: قال الحرث بن كعب وكان قديماً:

.. ثلاثةَ أهْلِينَ صَاحَبْتُهُمْ فَبَانُوا، وأصْبَحْتُ شَيْخاً كبيرا
قليلَ الطّعام، عَسِيرَ القِيَام، قد تَرَكَ القَيْدُ خَطْوي قصيرا»[1]

وقد جاء في كتاب الأمالي أنه (كان الحرث بن كعب على دين شُعيب عليه السلام) ـ وهو النبي شُعيب بن ذي مهدم، وكان في قرون ما قبل الميلاد التي تعود إليها مساند محرم بلقيس ـ وجاء في كتاب الأمالي وكتاب وصايا الملوك أيضاً: أن الحرث بن كعب كان على دين المسيح وأنه عاصر المسيح عليه السلام. ويبدو أن الذي عاصر المسيح أو كان في القرن الأول لميلاد المسيح هو الحرث بن كعب سليل الحرث بن كعب. وللحارث بن كعب شعر وأخبار، وهو جد قبيلة بني الحرث بن كعب بمناطق البيضاء والجوف ونجران. ومنهم عشرات الشعراء الجاهليين على امتداد زهاء ثلاثمائة سنة قبل الإسلام.

٣ ـ هَبَل بن عبد الله الكَلْبي: وهو من أوائل وقدماء الشعراء، قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: (وهو القائل:

يا رُبَّ يَوْمٍ قد غَنَىْ فيه هَبَلْ لَهُ نوالُ ودُرورُ وجَدَلْ
كأنّه في العزِّ عَوْفُ أو حَجَلْ)[3]

وجاء في الرواية أنه (عاش هَبَل الكلبي ستمائة وسبعين سنة) وأصل ذلك أنه

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٤. (٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام.
(٣) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٧/ ٢١.

عاش قبل الإسلام بستمائة وسبعين سنة. وهو من قبيلة كلب القُضاعية الحميرية وكانت تسكن منطقة (سَرْوحِمْيَر) التي منها يافع وإبْ. ثم انتشرت إلى صعدة وسَرَاة أعالي اليمن، وعن حفيده قال الأصفهاني: (زُهير بن جَنَاب بن هَبَل الكلبيّ شاعر جاهلي، لم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك منه»[١]

٤ ـ **امرؤ القيس بن خِذَام**: هو الشاعر اليمني الجاهلي امرؤ القيس بن خِذام بن مالك بن عبيدة بن هَبَل الكلبيّ. قال ابن خلدون: «وهذا امرؤ القيس بن خِذَام شاعرٌ قديمٌ، دَثَر شعره»[٢] قال ابن قُتيبة: « . . وهو أول مَنْ بكىٰ في الديار. وقال أبو عبيدة: هو الذي عَنَىٰ امرؤ القيس بن حُجر الكِنْدي بقوله:

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنا ... نبكي الديار كما بَكَىٰ ابن خِذام»

قال الآمدي: «والذي أدركه الرواة من شعر امرىء القيس بن خِذَام قليلٌ جداً»[٣] وذلك لأنه شاعر قديم.

٥ ـ **عمرو بن الحرث الجُرْهُمِي**: هو آخر الولاة الجُرهميين لمكة والبيت الحرام، وله أهميتان؛ أهمية تاريخية في حكم قبيلة جُرهم بن قحطان ثم جُرهم بن يشجب لمكة وولايتهم للبيت الحرام أكثر من ألف سنة وكانت جرهم ما تزال تسكن وتحكم مكة وما إليها من الحجاز حتى زمن الشاعر الجاهلي الأفوه الأوْدِي حيث ذكر الأفوه ذلك في قصيدته السينية ـ في حوالي القرن الأول الميلادي ـ ثم انتقلت قبيلة خُزاعَة الأزدية اليمنية من مأرب إلى مكة ونواحيها فتغلبت على جُرهم ورئيسها عمرو بن الحرث فهو آخر الولاة الجُرهميين لمكة والبيت الحرام. وله أيضاً أهمية شعرية فقد يكون هو أول من قال الشعر في مكة، وذلك في الحرب مع خُزاعة فلما تغلبت خزاعة ـ وكما ذكر ابن هشام ـ «انطلق عمرو بن الحرث والذين معه من جُرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلكِهَا حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحرث:

وقَـائِـلَـةٍ والـدَّمْـعُ سَـكْـبٌ مُـبَـادِرُ ... وَقَدْ شَرِقَتْ بالدَّمْعِ مِنْهَا المحَاجِرُ
كأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُون إلى الصَّفَا ... أَنِـيـسٌ ولَـمْ يَـسْـمُـرْ بـمكَّـةَ سـامِـرُ

ـ إلى آخر القصيدة ـ[٤] قال ابن هشام: «قال محمد بن إسحاق: وقال عمرو بن الحرث أيضاً . .

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٧/ ٢١.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٣.
(٣) المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ ص ١١. (٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٧ ـ ١٢٨/ ١.

يا أيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنّ قَصْرَكُمُ أنْ تُصْبِحُوا ذاتَ يَوْمٍ لا تَسِيرُونَا
حُثُّوا المطِيَّ وأرخوا مِنْ أزِمَّتِهَا قَبْلَ المماتِ وقَضُّواً ما تُقَضُّونَا»

ـ إلى آخر الأبيات ـ ثم قال ابن هشام: «وحَدّثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وُجِدت مكتوبة على حجر باليمن. ولم يُسَمّ لي قائلها»(١). أي أنها أقدم من عمرو بن الحرث وأنه إنما تَمَثّل بها. أما قصيدة «وقائلةٍ والدّمعُ سكبُ مُبَادِرُ..» فهي لعمرو بن الحرث، وكان زمنه قبل الإسلام بأربعمائة سنة ومات بمنطقة مُرّاد باليمن.

٦ ـ **عمرو بن حارث الخُزَاعيّ**: هو أول الولاة الخُزاعيين اليمنيين لمكة والبيت الحرام بعد جُرهم، وهو من أوائل الذين أدخلوا الشعر إلى مكة والحجاز. قال الطبري: (.. وهو القائل:

وَادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ ووَحْشُهُ
نحنُ وُلاتُهُ فَلا نَغُشُّهُ)(٢)

وكان زمن عمرو بن الحارث الخُزاعي هذا قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة. إذْ أنه ـ كما قال المسعودي في مروج الذهب ـ: «كانت ولاية البيت في خُزاعة ثلاثمائة سنة»(٣) ولذلك أهمية تاريخية تمتد إلى اللغة والشعر، فقد كانت قبيلة خُزاعة اليمنية هي القبيلة الرئيسية في مكة وما إليها من الحجاز، وكان ولاة مكة والبيت الحرام من خُزَاعة، ولم تكن قريش قد أصبحت حتى قبيلة في تلك القرون، فاللغة والكتابة والسيادة كانت عربية يمانية، وكانت خزاعة هي التي تحكم عشائر قريش وغيرها من بني نزار في مكة ونواحيها، وقد ذكر العلماء حال قريش في تلك القرون فقال ابن هشام: «ثم إن خُزَاعة وُلِيَتْ البيتَ.. (بعد جُرهم)، وقُرَيْشُ إذْ ذاك حُلُولُ وصِرْمُ وبُيُوتَاتُ مُتَفَرِقُون في قومهم من بني كنانة. فوُلِّيتْ خُزاعةُ البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر»(١)، فقد كانت قريش إذ ذاك حُلُولٌ وصِرْم. والحلول: جماعات المُقيمين، والصرم: جماعات متقطعة. قال الحافظ ابن كثير: «وتولت خُزاعةُ البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، نحواً من ثلاثمائة سنة»(٤). فتاريخ البيت الحرام ومكة وما إليها من الحجاز في تلك القرون وأدبها وشعرها هو تاريخ وأدب يمني. وكان من أشهر الولاة الخُزَاعيين اليمنيين لمكة والبيت عمرو بن لُحَيّ الخُزَاعي وهو رابع الولاة الخُزاعيين، قال ابن كثير: وقد ذكر السُهيلي: «أن عمرو بن لُحَيّ كان قوله وفعله في

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٧ ـ ١٢٨/١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٩٩/٢.
(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٥٦/٢. (٤) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٠/٤.

العرب كالشرع المُتّبَع، لِشَرَفه فيهم، وكان ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بَدَنة، وكسا عشرة آلاف حلّة في كل سنة، ويُطعِمُ العربَ ويحيسُ لهم الحيسَ بالسمن والعسل»[١] وكان عمرو بن لُحَي أول من نَصَبَ التماثيل في الكعبة وأول من بَحَرَ البَحِيرَة، وسَيَّبَ السَّائِبَة، وابتدع لهم أشياء في الدين. وكان من أوائل الشعراء بمكة في ذلك الزمن رجلٌ مِنْ جُرهم يماني، قال لعمرو بن لُحَي الخُزَاعي:

يا عمرو لا تظلم بِمَكَّةَ إنَّها بَلَدٌ حرام
سائل بِعَادٍ أين هُمْ وكذاك تُخْتَرَم الأنام[٢]

قال المسعودي: «ولما أكْثَرَ عمرو بن لُحَيّ مِنْ نَصْب الأصنام حول الكعبة وَغَلَبَ على العرب عبادتها.. قال في ذلك شُحْنَة بن خَلَف الجُرهمي:

يا عمرو، إنك قد أحدثت آلهةً ... شَتَّى بمكة حول البيت أنصابا
وكان للبيت رَبٌّ واحدٌ أبداً ... فقد جَعَلْتَ له في الناس أربابا»[٢]

فكان شحْنة بن خلف الجُرهمي أيضاً من أوائل الشعراء بمكة لأن عمرو بن لُحَيّ كان في أوائل القرن الرابع الميلادي والذي فيه شمل سلطان ونفوذ دولة اليمن الحميرية نجد والحجاز بزعامة تُبّع ملشان الحميري وعن ذلك جاء في تاريخ ابن خلدون أنه: «لَمَّا دَوّخ تُبّع جزيرة العرب وسار في الحجاز وهَمَّ بالانصراف، وَلّى على الحجاز وبني مَعَد بن عدنان حُجْر آكل المُرار بن عمرو الكندي، فَدَانوا له وسار فيهم أحسن سيرة»[٣]. وفي إطار دولة التبابعة الحميريين والولاة الكنديين تواصلت ولاية خُزَاعة لمكّة والبيت الحرام يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم ـ كما ذكر ابن كثير ـ (حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعيّ) فأوصى حُلَيْل الخُزاعي بالولاية لزوج ابنته قُصَيّ بن كلاب القُريشيّ فبدأت بذلك ولاية قريش قبل الإسلام بنحو مائة سنة ليس إلّا. ولم تزل خُزاعة قبيلة هامة في مكة ونواحيها ومنها رؤساء وشعراء وفرسان حتى ظهور الإسلام.

٧ ـ تُبّع ملشان ذو يَزَن وجَدَن الحميري: وهو أول تبابعة الدولة الحميرية التي شمل حكمها كل اليمن وشرق وشمال الجزيرة في القرن الرابع الميلادي، وقد تم العثور على نقش مسند يذكر حملاته إلى أرجاء البحرين واليمامة ونجد والحجاز في عهده بالفترة من ٣٠٠ ـ ٣٣٢م. وقد جاء اسمه في النقش المسند بلفظ (ملشان) أو (ملشن ذي يزن) وفي تاريخ ابن خلدون (علس ذو يزن) وقال

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٠/ ٤.
(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٥٧/ ٢.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٧٦.

الأصفهاني: «هو علس ذو جَدَن. وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر. ولُقِّب ذا جَدَن لِحُسْن صوته. والجدن: الصوت، ويُقال إنّه أول من تَغَنَّى باليمن، وهو القائل:

مَـا بَـالَ أَهْـلِـكِ يَـا رَبَـابْ ... خُـزْراً كَـأَنَّـهُـمُ غِـضَـابْ

إنْ زُرتُ أَهْـلَـكِ أوعَـدُوا ... وتَـهِـرّ دونـهـم الـكِـلابْ»[١]

وكان مقرُّه والعاصمة في عهده مدينة صنعاء، وبها توفي. وهو تُبّع القائل:

«مَـنَـعَ الـبَـقَـاء تَـقَـلُّـبَ الـشَّـمْـسِ ... وطُـلُـوعُـهـا مِـنْ حيثُ لا تُـمْـسِي

وطـلـوعُـهـا بـيـضـاءَ صـافِـيَـةً ... وغـروبُـهَـا صـفـراء كـالـورْسِ

تَـجْـرِي عَـلَـى كـبـدِ الـسـمـاء كـمـا ... يـجري حِـمَـامُ الموت في النَّفْسِ

الـيـومَ أعْـلَـمُ مـا يَـجِـيءُ بِـه ... وَمَـضَـىٰ بِـفَـضْـلِ قَـضَـائِـه أَمْـسِ»

٨ ـ مَرْثَد الخير بن يَنْكف الحِمْيَرِي: وهو من الأقيال الحكماء الشعراء الأوائل، وله قطعة أدبية نثرية وشعرية ربما تمَّ نقلها عن بعض الزُبر القديمة ورواها أبو علي القالي في كتاب الأمالي قائلاً: «كان مَرْثَد الخير بن يَنْكَف قَيْلاً، وكان حَدِباً على عشيرته مُحِباً لصلاحهم. وكان سُبيع بن الحارث أخو عَلَس ـ وَعَلَس هو ذو جدن ـ وميثم بن مُثَوّب بن ذي رُعَيْن تنازعا الشرف حتى تَشَاحنا وخيف أن يقع بين حيَّيهِمَا شرٌ، فبعث إليهما مَرْثَد فأحضرهما لِيُصْلح بينهما..»[٢] ومن شعره قوله في ذلك:

ولا تَـجْـنِـيـا حَـرْبـاً تَـجُـرُّ عـلـيـكـمـا ... عـواقِـبُـهـا يـومـاً مِـنَ الـشـرِّ أشـأمَـا

فـإنَّ جُـنَـاة الـحـربِ لـلـحَـيْـنِ عُـرْضَـة ... تُـفَـوِّقُـهـم مِـنْـهَـا الـذُّعـاف الـمُـقَـشَّـمـا[٢]

فأصْلَح مَرْثَد بينهما بعد مساجلة أدبية نثرية وشعرية. وكان (مَرْثَد بن يَنْكَف بن شُرَحْبيل) هذا قيْلاً أميراً بمدينة مَوْكل وما كان إليها من نواحي عنس ورداع (بمحافظة ذمار والبيضاء حالياً) في إطار الدولة الحميرية بأواسط القرن الرابع الميلادي.

٩ ـ حُجْر آكل المُرار الكِنْدِي: هو (حُجر ـ آكل المُرّار ـ بن عمرو بن معاوية الأكرمين بن الحرث الكندي) وكان رئيساً لقبيلة كندة بحضرموت وقائداً من قادة الحملات التي قام بقيادتها وتوجيهها تُبَّع ملشان ملك الدولة الحميرية إلى نجد والحجاز والبحرين لتأمين الطرق التجارية ولبسط سيادة ونفوذ الدولة ثم ولّاهُ تُبّع ملشان عليها فكان حُجر آكل المُرّار أول الولاة الملوك الكنديين لنجد والحجاز والذين أثبتت النقوش مُلكهم وولايتهم منذ أوائل القرن الرابع الميلادي. وقد

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٣٧/ ٤.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٩٣/ ١.

جاء في تاريخ ابن خلدون أنه: «لَمَّا دَوَّخ تُبَّعُ جزيرة العرب وسار في الحجاز، وهَمَّ بالانصراف، وَلّىٰ على معد بن عدنان كلها أخاه لأُمّهُ حُجر آكل المُرار بن عمرو الكِنْدِي»[١] وقال ابن الأثير: «كان حُجر آكل المُرَار ملك العرب بنجد.. وسبب مُلكهم ـ أي كندة ـ للعرب بنجد أنه كان سفهاء بَكر قد غلبوا على عقلائها وأكل القوي الضعيف.. فسار العقلاء إلى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا أن يُمَلِّك عليهم ملكاً، فَمَلَّك عليهم حُجر بن عمرو آكل المُرار..»[٢] وكان حُجر آكل المُرار شاعراً، وهو القائل:

إنَّ مَـنْ غَـرَّهُ الـنِـسَـاءُ بـشـيءٍ ... بـعـد هِـنْـدٍ لَـجَـاهِـلٌ مَـغْـرُورُ
حـلـوةُ الـعـيـن والـحـديـث، ومُـرٌّ ... كـلُّ شـيءٍ أجَـنَّ مـنـهـا الـضـمـيـرُ

وله أهمية تاريخية كبيرة فقد حكم حُجر آكل المُرار نجداً والحجاز زهاء سبعين سنة في القرن الرابع الميلادي (إلى حوالي عام ٣٨٠م). قال ابن الأثير: «فلما مات صار عمرو بن حُجر آكل المُرار ملكاً بعد أبيه، وهو عمرو المقصور، وكان أخوه معاوية وهو الجون ملكاً على اليمامة»[٢]. وتتابع الملوك الولاة الكنديين لنجد والحجاز وشرق الجزيرة وكان أهمهم الحارث بن عمرو الكندي في عهد أسعد تُبع بن حسان ملك اليمن بأواسط القرن الخامس الميلادي. قال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ تُبّع (أسعد) بن حسان عَلَىٰ حِمْيَر، وهابته جميع العرب، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد (نجد) والحيرة وما والاها..»[١] وامتد حكم الحارث بن عمرو الكندي إلى البحرين وعُمان وإلى إقليم الحيرة بالعراق، وعنه قال امرؤ القيس:

أَبَعْدَ الـحـارِثِ الـمَلِكِ بْـنِ عَـمْـرٍو ... لَـهُ مُـلْـكُ الـعـراقِ إلـى عُـمَـانِ[٣]

وقد ذكرت المصادر أن الحارث بن عمرو الكندي مَلَكَ نجداً والحيرة ستين سنة[٣] ثم حكم نجداً وما والاها من الحجاز وشرق الجزيرة سَلَمَة بن الحارث بن عمرو الكندي وشُرحبيل بن الحارث. وكان سَلَمَة بن الحارث شاعراً، وكان حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرَّار ملكاً على مناطق من نجد واليمامة وهو والد أمير الشعراء امرىء القيس بن حُجر الكندي، وقد حكم حُجر إلى حوالي عام ٥٣٠م.

وقد أثبتت التنقيبات الأثرية في موقع مدينة (قريّة) في نجد، أن مدينة (قريّة)

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٧٦.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٤/١.
(٣) ديوان امرىء القيس ـ ص ١٤٧.

كانت عاصمة مملكة كندة أو عاصمة الحكم الكِنْدي اليمني لنجد والحجاز ثلاثة قرون ـ حتى القرن السادس الميلادي ـ وقد أوردنا نص نتائج التنقيب الأثري هناك في المبحث الخاص بِحُجر آكل المرار. فتاريخ نجد والحجاز ونقوشها وأدبها وحكامها وأغلب قبائلها، كل ذلك عربي يماني قحطاني. فلا وجود لما توهمه طه حسين عن شمال الجزيرة (**العدنانية**) وعن (**لغة نجد**) وعن (**قريش**) ولا حتى ما شاع في بعض روايات ما بعد الإسلام عن مكانة وزعامة قريش بين العرب في الجاهلية. وقد جاء في السيرة النبوية نبأ (**قدوم الأشعث بن قيس الكِنْدي في وفد كندة من اليمن إلى النبيّ ﷺ**) وأنه: «قال الأشعثُ بن قيس: يا رسول اللّه، نحن بنو آكل المُرار، وأنتَ ابن آكل المُرَار. فَتَبَسَّمَ رسولُ اللّه ﷺ وقال: «نَاسِبُوا بهذا النَّسَبِ العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث». وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب فَسُئِلَا مِمَّنْ هُمَا، قالا: نحن بنو آكل المُرَار، يَتَعَزَّزَان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً»[1]. فلو كانت لقريش وبني عبد مناف المكانة المزعومة لَمَّا تعزز العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث ـ وهما من أكبر بيوت قريش ـ بأنهما من بني آكل المُرَار الكنديين اليمانيين لأن لهما جدة من كندة ولأن كندة كانوا أبرز ملوك نجد والحجاز من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي في إطار سيادة ونفوذ الدولة الحميرية وملوكها التبابعة حتى أيام امرىء القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرَار الكندي.

١٠ ـ **عَمَارة الكباري الحاشدي**: وهو من أوائل وقدماء شعراء حاشد وهمدان في أيام زيد بن مرب ملك همدان (**حاشد وبكيل**) في إطار الدولة الحميرية، وكان زيد بن مرب معاصراً للحارث بن عمرو الكندي، فقام زيد بن مرب بتوجيه وقيادة حملة إلى قبيلة متمردة من ربيعة في نجد فقاتلهم بمنطقة جُراد فهزمهم وأَسَرَ سبعين رجلاً منهم «ثم توسلوا في أُسْرَاهم بالملك الحارث بن عمرو الكندي إلى زيد بن مرب، فأوفد الحارث إلى زيد بن مرب فيهم، فأطلقهم وأَحْسَنَ إليهم، وفي ذلك قال ربيعة الكباري ـ أبياتاً منها ـ:

. . وَدَارت على سبعين مِنْ سَرَوَاتهم ... رَحَىٰ الحرب مكشوفاً بها ومُدَرَّعا
فـأطْـلَـقَـهُـم زيـدُ رعـايـة كِـنْـدَةٍ ... وثبَّتَهم بالفضل مِنّة وشَيَّعا»[2]

ومن الشعراء اليمنيين في أيام زيد بن مرب والحارث بن عمرو الكندي كوكبة من الشعراء ذكرنا أخبارهم وأشعارهم في مباحث خاصة بهم في هذا الكتاب، وهم:

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٤/ ٤. (٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦٠/ ١٠.

- جَعَال بن عبد النِهْمِي عامل أسعد تُبّع - الحذيقي بن قادم صاحب زيد بن مرب
- المُطرب بن مالك الحجري الأزدي - هداد بن عمرو الحجري الأزدي
- دويلة بن أبي دويلة الشِبَامي - زيد بن عمرو الحدّاني الحاشدي
- عُبَيْد بن قراد البهراني - عمرو بن زيد الخولاني
- عوف بن يزيد الحَيْوَاني الخولاني - الديّان بن قَطَن الحارثي
- سَلْمَة بن الحارث الكندي - معدي كرب بن الحارث الكندي

كبار الشعراء اليمنيين الجاهليين:

لقد قال بعض رجال العلم والأدب الأوائل: «ذهبت اليمن بالشعر كله، في الجاهلية بامرىء القيس..» أو كما ذكر الرافعي: «قال بعض الرواة إن الشعر يماني، واحتجوا لذلك في الجاهلية بامرىء القيس..»(١) أي أنهم ضربوا المثل بامرىء القيس في الجاهلية لأنّه أمير الشعراء وأشعر كبار الشعراء لا أنّه الشاعر اليمني الجاهلي الوحيد بين كبار الشعراء. فقد تعرَّض طه حسين بشيء من الكلام لامرىء القيس من أجل نفيه وإنكاره ولم يتعرض لغيره من كبار الشعراء اليمنيين الجاهليين بما يدل على عدم معرفته وعدم بحثه. فامرؤ القيس الكندي ليس الوحيد وإنما كان في اليمن شعراء كبار يتألَّقُ ذكرهم وشعرهم في أُمهات كتب الأدب والتاريخ التي حَقَّقَها علماء الفكر والأدب والتاريخ الأوائل. وقد ذكرنا وحَقَّقْنَا أخبارهم وأشعارهم في مباحث لكل منهم بهذا الكتاب. ونشير هنا ـ قبل الحديث عن امرىء القيس ـ إلى أن من كبار الشعراء اليمنيين في الجاهلية ـ:

١ ـ **الأفوَه الأَوْدِيّ المَذْحِجيّ**: وهو شاعر قديم وكبير نشأ وعاش في اليمن، وقد ذكر الحسن الهمداني مناطق قبيلة أَوْد في (سَرْو مَذْحج) باليمن وقال: «وادي نَعْوَه لبني مُنَبّه مِنْ أَوْد، وهم رهط الأفوه الأودي»(٢) فهو من منطقة وادي نَعْوَه بناحية الزاهر آل حُمَيْقَان بمحافظة البيضاء حالياً. وقد جاء عنه في كتاب الأغاني وهامش الإكليل أنه: «كان الأفوه الأَوْدِي من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيّد قومه (مَذْحج) وقائدهم في حروبهم، وكانوا لا يصدرون إلا عن رأيه.. ويُعَدُّ مِنْ حكماء العرب»(٣). وعن زمنه تقول إحدى الروايات أنه: «كان تُبّع بن ذي الأذعار أَمّرَ الأفوه الأودي على أود وجميع مذحج». وهذا يعني أن زمنه في قرون ما قبل الميلاد، بينما جاء في دراسة للباحث العراقي الأستاذ

---

(١) تحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ٢٧٣. (٢) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص ١٨٥.
(٣) الأغاني ـ ص ٤٣/ ١١ ـ والإكليل ـ ص ٢٢٠/ ١.

هاشم الطعان: أن في ديوان الأفوه الأودي وأشعاره إشارة إلى معاصرته للمسيح[١]. فيكون زمنه في القرن الأول الميلادي، وله قصائد وأشعار وأخبار متواترة ذكرها واستشهد بأبيات منها أغلب علماء التاريخ والأدب واللغة. وله ثلاث قصائد من المُطولات وهي كالمعلقات ولكن زمنها أقدم مِنَ المعلقات.

أولُها (رائية الأفوه الأودي) وهي ٤٨ بيتاً. قال عنها ابن قُتَيبة في كتاب الشعر والشعراء: «ومِنْ جَيّد شعر الأفوه الأودي قوله:

إنَّما نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعَةٌ وحَيَاةُ المَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَار

حَتَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أنَّهُ ظَلَفُ ما نَالَ مِنَّا وجُبَار

ـ قال ابن قتيبة ـ وهذه القصيدة مِنْ جَيّد شعر العرب، أوَّلُها:

إنْ تَرَيْ رأسِيَ فيه نَزَعُ وشَوَايَ خَلَّةُ فيها دُوار»[٢]

والثانية (سينية الأفوه الأودي) وهي ٣٤ بيتاً. وذكرها ابن قُتيبة قائلاً: «وهو القائل:

والمَرْءُ ما يُصْلِحُ له لَيْلَةً بالسَّعْدِ تُفْسِدُهُ ليالي النُّحُوس

والخَيْرُ لا يأتي ابْتِغاءُ بِه والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشَّمُوس»

وقال القاضي أحمد شاكر في هامش ابن قتيبة: «البيتان في المعاهد وهما مِنْ قصيدةٍ مِنْ عزيز الشعر ونادره»[٢].

والثالثة داليّة الأفوه الأودي المشهورة:

فِينَا مَعَاشِرُ لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِمُ وإنْ بَنَىٰ قَوْمُهُمْ ما أَفْسَدُوا عَادُوا

. . لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْضَىٰ لا سَرَاةَ لَهُمْ ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

تُهْدَىٰ الأُمُور بأهلِ الرأي ما صَلَحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فبالأشرار تَنْقَادُ

٢ ـ **زُهير بن جَنَاب الكلبيّ**: وهو شاعر ورئيس من قبيلة كلب القُضَاعية الحِمْيَرية بمنطقة صعدة وسَرَاة أعالي اليمن. واجتمعت له رئاسة قبائل قُضَاعة باليمن وبمناطق الحجاز في عهد ملوك اليمن التبابعة. قال عنه الأصفهاني: «زُهير بن جَنَاب: شاعر جاهلي، وهو أحد المُعَمّرين، وكان سيّد بني كلب وقائدهم في حروبهم. . ولم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك مِنْ زُهير، وكان يُدْعَىٰ الكاهن لصحة رأيه»[٣]. وقال ابن الأثير: «كان زُهير بن جَنَاب أحدُ من اجتمعت عليه قُضَاعة. . وعاش مائتين وخمسين سنة. . وكان

---

(١) الأدب والثقافة في اليمن ـ محمد جرادة ـ ص ٢٧.

(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ٢٢٣. (٣) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٢١/٦٣.

شجاعاً مُظَفَّراً ميمون النقيبة»[١]. ـ والأصوب أنه كان قبل الإسلام بمائتي وخمسين سنة، وعاصر الملك حسان وأسعد تُبَّع بن حسان والحارث بن عمرو الكندي ـ قال ابن قُتَيبة: «وزهير بن جَنَاب هو القائل:

إرْفَع ضَعِيفكَ، لا يحِرْ بِكَ ضعفه ... يوماً فتُدْرِكُه عواقِبُ ما جَنَىٰ

يَجْزِيك أو يُثْنِي عَليكَ، وإنّ مَنْ ... أثْنَىٰ عَليكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَد جَزَا»

وروى الإمام الزهري أن رسول اللّه ﷺ سَمع عائشة تتمثل بهذين البيتين فقال: «أيّما رجُلٌ صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاءً إلّا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه».

ومِنْ جَيِّد شعر زُهير بن جَنَاب الكلبي قصيدة طويلة أوّلها:

أمِنْ آل سَلْمَىٰ ذا الخَيَالُ المؤرِقُ ... وَقَدْ نَمَقَ الطَّيْفَ الغَرِيبُ المُشوّقُ[٢]

وأنّىٰ اهتدت سَلْمَىٰ لِوَجْهِ مَحَلِّنَا ... وما دونها مِنْ مَهْمَهِ الأرضِ يَخْفُقُ

. . فحُيِيتِ عَنَّا زَودِينَا تَحِيّةً ... لَعَلَّ بِهَا العاني مِنَ الكَبْلِ يُطْلَقُ

ومن هذه القصيدة أربعة عشر بيتاً في كتاب الأغاني. وهو القائل في حملة حربية على إحدى القبائل في جهات نجد:

مِلْنَا عليهم بِوَرْدٍ لا كفاء لَهُ ... يَفْلُقْنَ بالبِيضِ تحت النَقْعِ أبدانا[٣]

إذا أرجَحَنُّوا عَلَوْنَا هَامَهُم قِدَماً ... كأنَّما نختلي بِالهَامِ خِطْبَانَا

والبيتان مِنْ قصيدةٍ مِنْ جيّد الشعر، أولُها:

سائل أمَيْمَة عني هل وفَيْتُ لها ... أم هل مَنَعْتُ مِنَ المخزاة جِيرانا

ووَفَدَ زُهير بن جَنَاب على بعض الملوك الغساسنة بالشام وبعض الملوك المناذرة من بني ماء السماء بالحيرة، وشهد موقعة يوم السُّلان ويوم خَزَازَى، وكان يوم خَزَازَى قبل الإسلام بنحو مائة سنة، إلّا إذا كانت موقعة خَزَارَى الأولى وهي قبل ذلك بعدّة أجيال. وقد عاش زُهير بن جَنَاب عمراً طويلاً، وقال في كِبَره:

لقد عُمِّرْتُ حتى لا أُبالي ... أَحَتْفِي في صباحي أم مسائي

شَهِدْتُ المُوقِدِينَ على خَزَازَىٰ ... وبالسُّلانِ جَمْعاً ذا زهاءِ

ونَادَمْتُ الملوكَ مِنْ آل عمرو ... وبعدَهُمْ بني ماءِ السَّماء

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١/٢٩٩.

(٢) قوله (آل سلمى) أي خيال سلمى، ومعنى (آل: سحاب).

(٣) الورد: الخيل، ويعني الفرسان.

وله في كِبره أشعارٌ كثيرة متواترة. ويُقال إنه لما طال عمره وتمنى الموت شرب الخمر صرفاً حتى مات. ومن أحفاده الشاعر الجاهلي حُريث بن عامر بن الحارث بن امرىء القيس بن زهير بن جناب، وغيره من الشعراء الذين ذكرهم الأصفهاني في الجاهلية والإسلام.

٣ ـ **المُعَقِّر بن أوس البارقي**: وهو شاعر يمني جاهلي كبير مِنْ قبيلة بارق الأزدية بمنطقة سَرَاة أعالي اليمن. قال نشوان الحميري: «بارق: قبيلة من اليمن، مِن الأزد..»[١] وقال الهمداني: «بارق من الأزد، رهط المُعَقِّر الشاعر»[٢]. وله أخبار وقصائد وأشعار، أشهرها «أمِنْ آلِ شَعْثَاءِ الحُمُولُ البَواكِرُ» وقد ذكر أبو عُبيدة البكري قوله فيها:

لَهَا نَاهِضٌ في الوكْرِ قَدْ مَهَدَتْ لَهُ ... كَمَا مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حَسْنَاءُ عَاقِرُ

ثم قال أبو عبيدة: «بهذا البيت سُمِّيَ مُعَقِّراً، واسمه سفيان بن أوْس. وإنّما خَصَّ العاقِرَ لأنَّها أقلُّ دالَّةً على الزَّوجِ مِن الوَلُود فهي تَصْنَعُ له وتُداريه»[٣]. وهذا البيت من قصيدة هي مِنْ جيِّد الشعر ونادره، وهي أربعة وعشرون بيتاً، أوّلها:

أَمِنْ آلِ شَعْثَاءِ الحُمُولُ البَواكِرُ ... مَعَ الليلِ أمْ زَالَتْ قُبَيْلُ الأَبَاعِرُ
وحَلَّتْ سُلَيْمَىٰ في هِضَابٍ وأَيْكَةٍ ... فَلَيْسَ عَلَيْهَا يوم ذَلِكَ قَادِرُ
وخَبَّرَهَا الوُرَّادُ أنْ لَيْسَ بَيْنَهَا ... وبين قُرَىٰ نَجْرَانِ والدِّيْرِ كَافِرُ[٤]
فألْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَىٰ ... كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المُسَافِرُ

وبهذا البيت تمثّلت عائشة بنت أبي بكر الصديق لما أتاها خبر مقتل علي بن أبي طالب وهو بيت يتمثلُ به الناس عبر الأجيال والعصور.

٤ ـ **عبد اللّه بن العجلان النَّهْدي**: وهو شاعر يمني جاهلي من قبيلة نَهْد القُضَاعية الحميريّة في صعدة وما يليها من نجران وعسير، قال عنه الأصفهاني: «عبد اللّه بن العجلان: شاعر جاهليٌّ، أحدُ المُتَيَّمين مِنْ الشعراء ومَنْ قَتَله الحب منهم»[٥] وقال الهيثم بن عدي: «كان عبد اللّه بن العجلان سيداً في قومه وابن سيِّد من ساداتهم وكان أبوه أكثر بني نَهْد مالاً»[٥] وله أخبار وأشعار في الحبّ والفروسية. وأحبّ وتزوج فتاة من بني نَهْد اسمها (هند) وقال فيها أشعاراً، فمكثت معه سنين سبعاً لم تلد، فَألَحَّ عليه أبوه بأنْ يُطلّقها ويتزوج

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٤٨/ ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٦٠.
(٣) النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ٦٥٩.
(٤) الكافر: المزارع.
(٥) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٠٢/ ١٩.

غيرها، ولم يزل به حتى طلّقها، فعادت إلى أبيها واحتجبت عنه، وندم عبد اللّه بن العجلان ندماً شديداً، فلم يزل دنفاً سقيماً يقول فيها الشعر.. وجاء في كتاب الأغاني أن «من مختار شعر عبد اللّه بن العجلان في هند:

أَلا أَبْلِغَا هِنْداً سَلَامي فإِنْ نَأَتْ فقلبي مُذْ شَطَّتْ بها الدارُ مُدْنَفُ

ولَمْ أرَ هِنْداً بعد موقفِ ساعةٍ بأَنْعُم في أهل الديار تَطَوَّفُ

أَتَتْ بَيْنَ أَتْرَابٍ تَمَايَسُ إذْ مَشَتْ دبيب القَطَا أو هُنّ مِنْهنّ أقْطَفُ

- إلى آخر الأبيات».. وقوله:

قَدْ طَالَ شوقي وعَادَني طَرَبي مِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ كريمة النَسَبِ

غَرَّاءَ مثل الهلال صورتها ومثل تمثال بِيْعَةِ الذهبِ

والبيعة: الكنيسة، وقد كانت في كنيسة نجران تماثيل ورسوم بديعة. ولما تزوجت هند رجلاً من بني عامر، قال عبد اللّه بن العجلان أشعاراً فيها، ومن جيّد الشعر قصيدته الهائية، وأولُها:

«أَعَاوَدَ عَيْنِي نَصْبَها وغرورها أَهَمُّ عَنَاهَا أم قَذَاهَا يَعُورُهَا

أمْ الدارُ أَمْسَتْ قَدْ تَعَفَّتْ كأَنَّها زَبُور يَمَانٍ رَقَّشَتْهُ سُطُورُهَا[١]

والزبور اليماني: الخط الزُبري الحميري اليمني العام في ذلك الزمان. ورَقَّشَتْهُ: زيَّنته وحَسَّنَتْه سطور الكتاب المزبور. وفيه قال أسعد تُبّع بن حسان (وكتبنا أيامنا في الزبور) وقال امرؤ القيس: (كَخَطِّ زبورٍ في عَسِيبِ يَمَانِ).

٥ - **جَبْر بن الأسود الحارثي**: هو (جبر بن الأسود بن معاوية بن الحارث)، من بني الحرث بن كعب المذحجيين بمنطقة الجوف ونجران. قال الهمداني: «ويُسَمّى ما بين الجوف ونجران الأفراط. وأكثر من يكون بالأطراف من بلحارث بن كعب بنو معاوية»[٢]. ومنهم كان الأسود بن معاوية وكان سَيِّداً مُسَوَّداً لذلك يُقال له الأسود. وكان جبر بن الأسود شاعراً وقائداً أيام الدّيان بن قَطَن الحارثي معاصر أسعد تُبّع بن حسان وسَلْمَة بن الحارث الكندي - عم امرىء القيس -، ولِجَبْر بن الأسود الحارثي قصيدة من عميق الشعر الجاهلي، أوّلُهَا:

أَجِدَّكَ لَمْ تَعْرِفْ أَثَافِيَّ دِمْنَةٍ مَرَرْتَ على أَطْلَالِهَا لا تُعَرِّجُ[٣]

بَلَى، فَتَدَاعَى الدَّمْعُ حتّى كأنّما جُفُونُكَ سِمْطٌ خَانَهُ السِّلْكُ مُمْرَجُ[٤]

---

(١) الأغاني - الأصفهاني - ص ١٠٢/ ١٩. (٢) صفة جزيرة العرب - الهمداني - ص ٢٥٥.

(٣) أجِدك - بكسر الجيم - هل بجِدٍ منك. أثافي دمنة: حجارة مكان. تعرج: تقيم.

(٤) السمط: الخيط الذي يُنْظَمُ فيه الخرز واللؤلؤ فإذا لم يكن فيها خرز فهو السلك. ممرج: غير مُحكم.

لَـيـالِـيَ لَـيْـلَـى لا تَـزالُ كـأنَّـهَـا هَمِيْجُ بِذِي الدَّثْيْنِ غَرَّاءُ عَوْهَجُ (١)
رَبِيْبَةُ خِدْرٍ لَـمْ تُكَشَّفْ سُجُوفُهُ وَفَارَةُ مِسْكٍ آخِرَ اللَّيْلِ مَارِجُ (١)
كـأنَّ ثَـنَـايَـاهَـا وَبَـرْدَ رُضَـابِـهَـا هُدُوّاً نِطَافُ بالمَسِيْلَةِ حَشْرَجُ (٢)
تُـشَـجُّ بِـهِ رَقْـرَاقَـةٌ صَـرْخَـدِيَّـةٌ عَقِيْلَةُ مَحْذُوفٍ يَغَصُّ ويَنْشِجُ (٢)

وهذه القصيدة ستة وعشرون بيتاً وهي من مطولات الشعر اليمني الجاهلي في النسيب والفروسية.

٦ ـ **الأسْعَر بن أبي حُمْرَان الجُعْفِيّ**: وهو شاعر يمني جاهلي كبير من قبيلة جُعْفِي المذْحَجِية في وادي جُرْدَان بمحافظة شبوه. قال أبو عبيد البكري في سِمْط اللآلي: «الأسْعَرُ لَقَبُ واسمه مَرْثَد بن حُمران الجُعْفِي وهو جاهلي، لُقِّبَ الأسعر لقوله:

فلا يَدْعُنِي قَوْمي لِسَعْدِ بن مالك إذا أنَا لَمْ أَسْعَرْ عَلَيْهِمْ وأُثْقِبِ»(٣)

وقال الفيروزأبادي في القاموس المحيط: «سَعَرَ النارَ والحرب: أوقَدَها.. والأسْعَرُ لقب مَرْثَد بن أبي حُمران الجُعْفِيّ الشاعر»(٤) وكان الأسعر معاصراً للقَيْل ذي مرحب بن مَعْدِي كَرِب الحِمْيَري قَيْل حَضْرَموت وهو من الجيل السابق لامرىء القيس بن حُجر الكندي، وكان الأسعر شاعراً وفارساً، وهو أحد وصَّافي الخيل، وله أشعار كثيرة في وصف الخيل والفروسية وغير ذلك. ومما صار مثلاً مِنْ شعره، قال الميداني في مجمع الأمثال: «مِن اللَّجَاجَة ما يَضُرُّ ويَنْفَعُ. أول من قال ذلك الأسعر الجعفي وكان رَاهَنَ على مُهْر له كريم فَعَطِب، فقال:

أهْلَكْتُ مُهْرِي في الرِّهَان لَجَاجَةً ومِنَ اللَّجَاجَةِ ما يَضُرُّ ويَنْفَعُ»(٥)

وكان للأسعر خمسة خيول مشهورة ذكرها في أشعاره، وكان يقتني الخيل ويَصِفُها، وهو القائل:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ على تَجَنُّبِيَ الرَّدَىٰ أنَّ الحُصُونَ الخَيْلُ لا مَدَرُ القُرَىٰ

---

(١) هميج: امرأة خميصة البطن. ذي الدثين: اسم منطقة. عوهج: امرأة حسنة الجسم. سجوف الخِدر: ستار الخِدر. فَارة المسك: رائحته.

(٢) هدواً نطاف: ماء صافي. حشرج: عَذْب. تُشجُّ به: تُخلط وتُمزج به. رقراقة صرخدية: خمرة متلألئة. عقيلة: درة في صدفها. والمحذوف: الزِّق وهو وعاء الخمر.

(٣) سِمْط اللآلي ـ أبو عبيد البكري ـ ص ١/٩٤.

(٤) القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي ـ ص ١/٥٠.

(٥) مجمع الأمثال ـ الميداني ـ ص ٢/٣١٠ ـ واللجاجة: التمادي في الأمر.

وهذا البيت مِنْ قصيدة للأسعر هي من عزيز ونادر الشعر الجاهلي وهي خمسون بيتاً، وهي مذكورة في الأصمعيات وفي الدر الفريد وغيرهما من أمهات كتب الأدب، ومنها قول الأسعر:

هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَىٰ فاشْتَفَىٰ ... ولَقَدْ عُنِيْتَ بِحُبِّها فِيْمَا مَضَىٰ
. . إنَّ المُحِبَّ إذَا جَفَاهُ حَبِيْبُهُ ... نَسِيَ الحَبِيْبَ وقَلَّ صَبْوتَهُ القَلَىٰ
والهَمُّ ما لَمْ تُمْضِهِ لِسَبِيْلِهِ ... فَكَفَىٰ بِصُحْبَتِهِ عَنَاءً للفِتَىٰ
. . عَجَباً عَجِبْتُ لِمَنْ يُدَنِّسُ عِرْضه ... ويَصُونُ حُلَّتَهُ يُوَقِّيْهَا الأذَىٰ
والثَّوبُ يَخْلَقُ ثُمَّ يُشرَىٰ غَيْرُهُ ... والعِرْضُ بَعْدَ ذَهَابِه لا يُشْتَرىٰ

٧ ـ **عَلْقَمَة بن زيد السَحَاري**: وهو من بني سَحَار بن خولان في منطقة صعدة باليمن، وهو أحد كبار الشعراء اليمنيين في عهد الملك سيف بن ذي يزن الحميري، وله قصيدة نادرة ألقاها بين يدي سيف بن ذي يزن في قصر غُمدان بصنعاء، وصف فيها المناطق التي سلكها مع رجالات خولان وقضاعة من أعالي اليمن وصعدة إلى صنعاء على ظهور الإبل، وقد أورد الحسن الهمداني قصيدة علقمة وهي أربعة وأربعون بيتاً، أوّلُهَا:

سَقَىٰ طَلَلاً بِالجَهْلَتَيْنِ رُعودُ ... وغُرٌّ سَوَارٍ سَيْلُهُنَّ مَجُودُ[١]
مَنَازِلَ مِنْ أُمِّ الحُصَيْنِ عَهِدْتُهَا ... تَقَادَمَ مِنْهَا العَهْدُ وهوَ جَدِيدُ
وَقِدْمًا أراها وهي جامِعةُ الهَوَىٰ ... يَنُوسُ بِهَا عَصْرُ الصِّبَا وَيَرُودُ[٢]
تقولُ التي مِنْ بَيْتِها شَخَصَتْ بِنَا ... رَكَائِبُ أمثالُ العَطَائفِ جُودُ[٣]
أَرَاكَ طَوَيْتَ الكَشْحِ هَجْراً عَلَى التي ... كَلَفْتَ بِهَا والقَلْبُ مِنْكَ عَمِيدُ[٤]
فَقُلْتُ لَهَا: إنِّي أؤَمِلُ رِحْلَةً ... إلى مَلِكٍ مَحْضٍ نَمَتْهُ جُدودُ
إلىٰ طَلِقٍ لَمْ يُعْقِد اللؤمُ كَفَّهُ ... وما زَنْدُهُ في المكْرُماتِ صَلُودُ[٥]
نَمَاهُ إلى العَلْيَاءِ نَفْسٌ أبِيَّةُ ... وبَاسٌ غَدَاة البأس مِنْهُ وجُودُ
. . وَمَدَّ إليهِ يَوْمَ غَيْمَان إذْ دَعَا ... مِنْ أبْنَاءِ عمروٍ أشْبُلُ وأسُودُ
. . إلَيْكَ ابن ذي التاجَيْنِ سِرْنَ ركائباً ... مُوَقَعةً كأنَّهُنَّ جُنُودُ

---

(١) غُرَر سَوَارٍ: سُحبٌ تسري ليلاً.

(٢) قال نشوان الحميري (تنوس: تَذَبْذَبُ).

(٣) شخصت: خرجت. الركائب: الإبل ـ العطائف: المنحنيات من طول السفر.

(٤) الكشح: ما تحت الأضلاع. وهذا تشبيه بأنه عقد العزم على هجرها. كلفت بها: أحببتها.

(٥) محض: خالص. طَلِق: أي طلِق المحيا بشوش. الزِند: الذي يُقرعُ منه النار. ويعني أنه كريم.

ومن شعراء عهد سيف بن ذي يزن كوكبة من الأقيال والفرسان شهدوا معه حرب القضاء على الأحباش في موقعة يوم غَيْمَان ولهم أخبار وأشعار استوفينا ذكرها في المباحث الخاصة بهم، وهم من أعلام الأقيال والشعراء اليمنيين الجاهليين وهم:

- حُجْر بن زُرعة الحِمْيَري
- ابن الصَّبّاح الحميري
- عمرو بن يزيد المجيدي
- يَعْلَىٰ بن سعد المالكي
- كثير بن الصَّلت الشهابي
- عمرو بن يزيد العوفي الخولاني
- عَبْدُ المَدَان ابن الديَّان الحارثي.

٨ ـ **عبدُ يَغُوث بن صَلَاءَة الحارثي**: وهو شاعرٌ يمنيٌّ جاهليٌّ كبير، من بني الحرث بن كعب المذحجيين بنجران. قال عنه الأصفهاني: «كان عبد يغوث بن صَلَاءَة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سَيِّداً لِقَوْمِه..»[١] وقال الجاحظ: «ليس في الأرض أعجب من طَرَفَة بن العبد وعبد يغوث، وذلك أنّا إذا قِسْنَا جودةَ أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية»[٢]. وكان عبد يغوث ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن هوبر الحارثي ووَعْلة الجَرْمي ـ والأربعة شعراء وقادة ـ قاموا بغارة على تميم بمنطقة الكُلَاب في نَجد، فتكاثرت عليهم قبائل تميم وأحلافها، فلما رأوا ذلك انسحب يزيد بن عبد المدان ووعلة الجرمي ومن معهما من القادة والفرسان بينما مكث عبد يغوث يُقاتِلُ حتى وقع أسيراً. فَبَلَغَهُ ـ وهو أسير ـ أنّ يزيداً وغيره يلومانه لأنه لم ينسحب وينجو بنفسه، فقال عبد يغوث قصيدته اليائية المشهورة التي أشار الجاحظ إلى جودتها، وهي عشرون بيتاً، أوّلُهَا:

أَلَا لا تَـلُـومَـانـي كَفَـىٰ الـلَّـوْمَ مَا بِـيَـا ... فَـمَـا لَـكُـمَـا في الـلَّـوْم خَـيْـرٌ ولَا لِـيَـا
أَلَـمْ تَـعْـلَـمَـا أَنّ الـمَـلَامَـةَ نَـفْـعُـهَـا ... قَلِيلٌ، وما لَوْمِي أَخاً مِنْ شِمَالِيَا[٣]
فـيَـا رَاكِـبـاً إمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ ... نَـدَامَـايَ مِـنْ نَـجْـرَان أَلَّا تَـلَاقِـيَـا[٤]
أَبـا كَـرِبٍ والأيْـهَـمَـيْـنِ كِـلَـيْـهِـمَـا ... وقَيْساً بأَعْلَىٰ حَضْرَمَوْتَ اليمانيا[٥]

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٩/ ١٥.
(٢) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٢٦٨/ ٢.
(٣) شماليا: أي شمائلي: أخلاقي وخُلُقي.
(٤) إما عرضت: أي أتيت جبل العارض وهو سلسلة جبلية تمتد من اليمامة في نجد إلى نجران باليمن. الندامى: الجلساء المُنادمين.
(٥) الايهمان هما الأيهم بن علقمة بن الحارث، والأيهم عبد المسيح بن الأبيض الحارثي. وقيس: هو أبو الأشعث قيس بن معدي كرب الكندي.

جَزَىٰ اللّهُ قَوْمي بالكُلَابِ مَلامةً صَرِيحَهُمُ والآخَرِينَ المَوَالِيَا[١]
وَلَوْ شِئْتُ نَجّتْنِي مِنَ الخَيْلِ نَهْدَةٌ تَرَىٰ خَلْفَها الحُوَّ الجِيادِ تَوَالِيَا[٢]
ولكنني أحْمِي ذِمَارَ أبِيكُمُ وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحامِيَا

٩ ـ **وَعْلَة بن عبد اللّه الجَرْمي**: وهو من قبيلة جَرْم القُضَاعية الحِمْيَرِيّة بمخلاف نجران وصعدة وجبل العارض بأعالي اليمن إلى اليمامة. قال الأصفهاني: «كان وعلة الجَرْمي وابنه الحارث بن وَعْلَة مِنْ فرسان قُضَاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها»[٣]. وكان وَعْلَة مع عبد يغوث في الغارة على قبائل تميم بمنطقة الكُلاب في نَجْد. فلما رأى كثرة تميم ووصول فرسان قبيلة مُقاعِس مدداً لتميم انسحب وَعْلَة والذين معه ويزيد بن عبد المدان وبقية القادة والفرسان. فقال وَعْلَة بعد انسحابه ونجاته قصيدة أولها:

ولَمَّا رأيتُ الخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِساً تَنَازَعَنِي مِنْ ثغرةِ النَحْرِ جَائرُ
نَجَوْتُ نجاءً لَمْ يرِ الناس مثله كأنّي عُقَابٌ عند تَيْمُن كاسِرُ

فكان موقف وعلة نقيض موقف عبد يغوث الذي أبَىٰ النجاة فوقع أسيراً وقتلته تميم بدلاً عن رئيسها نعمان بن جساس الذي قتله يزيد بن هوبر الحارثي في المعركة. ثم إن وعلة الجَرْمي اشترك في حملة مع الحصين الحارثي وفرسان بني الحارث ومَذْحج وجَرْم على تميم وبني عامر بن صعصعة في نَجْد فأصابوا وأسَرُوا من تميم وأحلافها مئات الأسرى في يوم المرُّوت. وعن ذلك قال عمرو بن معدي كَرِب:

هُمُوا ورَدُوا المياه على تَميم بألفِ مُدَجَّجٍ شُمْطٍ ومُرْدِ
.. وهُمْ أخَذُوا بذي المرُّوتِ ألْفاً يُقَسَّمُ للحصَيْنِ ولابن نَهْدِ

ومِنْ جيِّد شعر وَعْلَة الجَرْمي قوله عن حملة على مجاوري قبيلة جَرْم من بني نُمير وغيرهم بنجد:

سائِلْ مُجاورَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيتُ لَهَا حرباً تُفَرِّقُ بين الجِيرَةِ الخُلُطِ
وهَلْ سَمَوْتُ بِجَرارٍ له لَجَبُ جَمِّ الصَواهلِ بين السهلِ والفُرُطِ
حتى تركتُ نساءَ الحيِّ ضاحيةً في ساحةِ الدارِ يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ

---

(١) قال أبو علي القالي: (صريحهم: يعني خالصهم. والموالي هنا الحلفاء).
(٢) نهدة: مرتفعة. الحوّ من الخيل: التي تضرب إلى الخضرة، وهي أصبر الخيل وأخَفُّها. وقوله: (تواليا: أي تتبعها، لأنّ فرسه خفيفة تتقدم الخيل. والمعنى: أن فرسي تسبق الحُوّ من الجياد فلو شئتُ نجتني فرسي).
(٣) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٣٩/ ١٩.

وقوله (جرار له لجبُ) أي جمعٌ كثيرٌ أو جيشٌ. وجمّ الصواهل: عالي وكثير الصواهل، كناية عن كثرة الخيل. والفُرُط: الآكام المرتفة. قال أبو العباس المُبرّد: «وقوله: في ساحة الدار يستوقدن بالغُبُط، فيه قولان متقاربان؛ أحدهما أنهنّ قد يَئِسْنَ مِنَ الرحيل فَجَعَلْنَ مراكِبَهُنَّ حَطباً. هذا قول الأصمعي. وقال غيره: بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب. والغبيطُ: من مراكب النساء»[١].

١٠ ـ **يزيد بن عبد المَدَان ابن الديّان:** وهو من أشهر الرؤساء الشعراء، وكان رئيساً لقبائل مَذْحج وأميراً حاكماً لمخلاف نجران، وكذلك كان جدّه (الديان) وأبوه (عبد المدان) رؤساء لمذحج ونجران منذ عهد أسعد تُبع بن حسان إلى عهد سيف بن ذي يزن. ومن جيّد شعر يزيد بن عبد المدان قوله:

إنْ تَلْقَ حَيَّ بني الديَّان تَلْقَهُمُ شُمَّ الأُنُوفِ إِلَيْهِمْ غُرَّةَ الْيَمَنِ
مَا كانَ في النَّاسِ للديَّانِ مِنْ شَبَهٍ إِلَّا رُعَيْنٍ وإِلَّا آلُ ذي يَزَنِ

وجاء في كتاب الأغاني أنه «وَفَدَ يزيد بن عبد المدانَ عَلَى الحارث بن جَفْنَة الغساني (ملك العرب بالشام).. فأكرمه، وأجْلَسه على سريره..» وله شعر في الحارث بن جَفْنَة وفي النعمان بن المُنذر ملك الحِيرة. وكان يزيد مع عبد يغوث في الغارة على تميم بمنطقة الكُلاب، فانسحب آنذاك. ثم قام بقيادة وتوجيه حملات على تميم وهوازن تم فيها الظفر. وأتى إليه رجل من بني جُشم كان أخوه مجاوراً في تميم فأسروه. فأتى إلى يزيد بن عبد المدان وأخبره بقصة أخيه وأنه أسير عند قيس بن عاصم سيِّد تميم، وطلب من يزيد أن يفدي أخاه «فقال له يزيد: سأبعث إلى قيس بن عاصم فإنْ هو وَهَبَ لي أخاك شَكَرْتُه، وإلا أغَرْتُ عليه حتى يتقيني بأخيك، فإن نِلْتُها وإلا دفَعْتُ إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريتُ بهم أخاك. فقال الرجل: هذا الرضا»[٢] ثم بعث يزيد إلى قيس بن عاصم يسأله أن يُطلق الجشمي، فبعث إليه بالجُشمي وبالذي أسَرَه، فأعطاه يزيد بن عبد المدان مائة ناقة فداء للجُشمي وأطلق سراحه. ومما يستشهد به علماء اللغة من شعره. قال نشوان في شمس العلوم: «البئيس: الشجاع.. ولا تبتئس من كذا: أي لا تحزن ولا تشتكِ.. قال يزيد بن عبد المدان:

فارسُ الخَيْلِ إذا ما وَلْوَلتْ رَنَّة الخَيْلِ بِصَوْتٍ مبتئس»[٣]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ المُبرد ـ ص ١/١٦٠.
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٢/١٣.
(٣) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٠٩ و١/٢٩٦.

وفي لسان العرب « . . قال يزيد بن عبد المدان:

وما شَعَرُوا بالجَمْع حَتَّى تَبَيَّنُوا لَدَى شِعْبَةِ القَرْنَيْنِ رَبَّ المُزَنَّم
يَخُبُّ به العَطَّاسُ رافِعُ رَأسِهِ لَهُ ذَمَرَاتٌ بالخميس العَرَمْرَمِ

. . ومن معاني المُزَنَّم: صغار الإبل. . والعطاس: فرس يزيد بن عبد المدان. . والذمرات: الأصوات. والخميس: الجيش».

وله أخبار كثيرة ومواقف محمودة في الحرب والفروسية والكرم ومجالس أدب وطرب وأشعار جيّدة استوفينا ذكرها في مبحثه بالكتاب.

١١ ـ **الأجدَع بن مالك الوادعي**: وهو مِنْ أعلام شعراء وفرسان اليمن الجاهليين، وهو من قبيلة وادعة الهمدانية. قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «الأجدعُ مِن أشراف وادعة. . وكان فارساً شجاعاً شاعراً. . »[١] وقال الحسن الهمداني: «كان الأجدع بن مالك الوادعي فارس همدان وشاعرها في عصره، وكانت تحته كبشة بنت مَعْدِي كَرِب الزُبَيْدي ـ أخت عمرو ـ ولها يقول الأجدع:

ألَا أبْلِغْ فَتَاةَ بني زُبَيْدٍ كُبَيْشَةَ، والحديثُ له نَمَاءُ
مُغَلْغَلَةً، وجَهْرُ القولِ مِنّي يُوكَّلُ في الخطوب به البلاءُ»[٢]

ومن جيّد شعر الأجدع قوله يصف القتال في معركة يوم الرَّدَم:

خَيْلان مِنْ قَوْمِي ومِنْ أعدائِهِمْ خَفَضُوا أَسِنَّتَهم فكلٌّ نَاعِ
خَفَضُوا الأسنَّةَ بينهم فتَواسَقُوا يَمْشُونَ في خُلَلٍ مِنَ الأدراعِ

والبيتان في الأصمعيات وفي التنبيه لأبي عبيدة والإكليل وهما من قصيدة جيدة حفظتْ كتب الأدب منها أربعة عشر بيتاً. وممّا يُسْتَشهد به منها قوله في البيت الثاني (فكل ناع) قال يعقوب في المقلوب «أراد (نائع) أي عطشان إلى دم صاحبه، فقُلِب. وقال الأصمعي: بل هو على وجهه إنّما هو فاعلُ مِنْ نَعَيْتُ»[٣]. وقال نشوان في شمس العلوم: «أباع الشيء: إذا عَرَضَه للبيع: قال الأجدع:

فرضيتُ آلاء الكُمَيْت فَمَنْ يَبِعْ فرساً فليس جوادنا بِمُبَاعِ»[٤]

١٢ ـ **مالك بن حَرِيم الهمداني**: وهو من كبار شعراء وفرسان اليمن في الجاهلية. قال عنه الحسن الهمداني في الإكليل: «مالك بن حريم شاعرُ همدان وفارسها وصاحب مغازيها، وهو مُفْزِعُ الخيل، وأحد وَصّافي العرب للخيل، ويُعَدُّ مِنْ

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٠٩ و٢٩٦/ ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩١/ ١٠. (٣) التنبيه ـ أبو عبيد البكري ـ ص ٢٥.
(٤) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٠٦/ ١.

فحول الشعراء، وله أخبار جمّة ومناقِبُ برِزَةٌ. وكان يَفِي بِعَسَىٰ كما يَفِي بِنَعَمْ»[١]. وله أشعار في معجم الشعراء للمرزباني وديوان الحماسة لأبي تمام والآمالي لأبي على القالي والأغاني والإكليل. وأورد أبو تمام في ديوان الحماسة قصيدة مالك بن حريم العينية وهي خمسة وثلاثون بيتاً، أولُهَا:

جَزِعْت ولَمْ تَجْزَعْ مِنْ الشَّيْبِ مَجْزَعَا وقد فَاتَ رَيْعَي الشَّبَاب فَوَدَّعَا[٢]
ولاحَ بـيـاضٌ فـي سـوادٍ كـأنّـهُ صُوَارُ بِحَوٌ كان جَدْباً فأمْرَعَا[٣]

وهي مِنْ جيّد الشعر في الفروسية ووصف الخيل والحكمة ومكارم الأخلاق.

ويتجلى وصفه للخيل في قوله:

ونحنُ جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ سَرْوِ حِمْيَرٍ إلى أنْ وطَئِنَا أرضَ خَثْعَمَ أجْمَعَا[٤]
يـقـودُ بـأرْسَـانِ الـجـيـادِ سَرَاتُـنـا لِيَنْقَمْنَ وتْراً أو لِيَدْفَعْنَ مَدْفَعَا[٥]
تَرَىٰ المُهْرَةَ الروعاءَ تَنْفضُ رأسها كُلَالاً وأيْناً، والكُمَيْتَ المُفْزَعَا
طَلَعْنَ هِضَاباً، ثم عَالَيْنَ قُنّةً وجَاوَزْنَ خَيْفاً، ثم أسْهَلْنَ بَلْقَعَا
وتَنْهَدُ بي الخَيْلُ المُغِيرَةُ نَهْدَةً إذا ضَبَرَتْ صَابَتْ قوائمَهَا معا[٦]

وهو القائل:

إذا سـألـتـكَ نـفـسـكَ أنْ تـرَانَـا بِمُلْكِ الجَوْفِ فاغْتَرِبِ النِجَادَا
تَـرَانَـا بـالـقـرارة دون شـكٍ نُـقَـودُهَـا مُـسَـوَمَـةً جِـيَـادَا
عَـلَـيْـنَـا كـلّ فَـضْـفَـاضٍ دِلَاصٍ وأسـيـافٍ ورَثْـنَـاهُـنّ عَـادَا[٧]
سَنَحْمي الجوفَ ما دامَتْ مَعِينٌ بـأسْـفَـلِـه مُـقَـابِـلَـةٍ عُـرَادَا

١٣ ـ **زَيْد الخَيْل بن مُهَلْهِل**: وهو من قبيلة طيء اليمنية العريقة. قال ابن خلدون: «كانت طيء تسكنُ الجوف من أرض اليمن..»[٨] وكانت مناطق طيء في الجوف هي مدينة براقش وما يليها من وادي الجوف إلى كسْرقُشَاقش بأعالي

(١) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ١٠٠/١٠.
(٢) ريع الشباب: أوله. وريعاه: شطراه، وكأنّه يعني الشباب ثم الرجولة.
(٣) الصُوار ـ بالضم ـ القطيع من بقر الوحش. قال أبو علي القالي (والحُوَّة: الخُضْرة).
(٤) سرو حمير: مناطق يافع والمنطقة الوسطى بمحافظة إب.
(٥) أرسان الجياد: الحبال التي تقادُ بها الخيول.
(٦) تنهد: ترتفع. ضبر الفرس: جمع قوائمه ووثب. صبّ: انحدر.
(٧) الفضفاض: الواسع. الدلاص: الدروع الملساء والبراقة.
(٨) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٨.

حضرموت. وعن ذلك «قال الهمداني في الصفة (قال أبو سلمان بن يزيد الطائي:

وأُوطِنَ مِنَّا فـي قـصـور بَـرَاقِـشٍ ... فمأود وادي الكسْر كَسْر قُشَاقِش

إلـى قَـيّـنـانٍ كـلُّ أغـلـب رائـش ... بَهَالِيلُ ليسوا بالدُناة الفواحشِ..»[١]

وانتشرت قبائل طيء من الجوف إلى اليمامة ونجد، وسكنت منطقة جبلَي أجا وسَلمى بنجد وغيرها، وكان لها دور هام في النشاط التجاري اليمني إلى العراق وفارس والشام وفي حماية القوافل التجارية، وكان من أعلام الشعراء والفرسان الطائيين اليمانيين زيد الخيل بن مُهَلْهِل. قال عنه الأصفهاني: «كان زيد الخيل فارساً مغواراً مُظفَّراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية..»[٢] وقال المرزباني: «كان زيد الخيل أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم المعدودين..»[٣] وقد سُمّي زيد الخيل لكثرة خيله فلم يكن لكثير من العرب إلا الفَرس والفَرَسان، وكانت له خيل كثيرة منها المُسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة خيول.. وكان زيد الخيل يُكَنَّى أبا مِكْنف.. وكانت قبيلة عامر بن صعصعة الهوازنية تتقطع للقوافل في نجد، فأغار زيد الخيل عليهم وقام بتأديبهم. ومن جيد شعره قوله عن ذلك:

بـنـي عـامـرٍ هـل تَـعْـرفـون إذا غَـدَا ... أبـو مِـكْـنَـفٍ قـد شَـدَّ عَـقْـدَ الـدَوابـرِ

بـجـيـشٍ تَـضِـلُّ الـبُـلْـقُ فـي حَـجَـراتِـهِ ... تـرى الأُكـمَ مِـنْـه سُـجَّـداً لـلـحـوافـرِ

وَجَمْع كمِثلِ الليلِ مُرتجِسِ الوغَىٰ ... كـثـيـرِ تَـوالـيـهِ سـريـعِ الـبـوادرِ

قال أبو العباس المُبرد: «قوله: قد شد عقد الدوابر. يريد عقد دوابر الدرع فإن الفارس إذا حمي فعل ذلك. وقوله: (بجيش تَضِل البُلْقُ في حَجَراته) أي لكثرته لا يُرى فيه الأبلق. والحصان الأبلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه. وحَجَراته: نواحيه. وقوله: (ترى الأُكمَ منه سُجَّداً للحوافر) أي لكثرة الجيش تُطحنُ الأُكمَ حتى تُلصقها بالأرض. (وجمع كمثل الليل: أي كثرة فيكادُ يَسُدُّ سواده الأفق..) وقوله (مُرتجس الوغى) المُرتجِسُ الذي يُسْمَعُ صوته ولا يبين كلامه..) وقوله: (كثير تواليه) التوالي: اللواحق. يُقال: تلاه يتلوه إذا اتَّبَعَهُ..»[٤] ولزيد الخيل أخبار ومواقع كثيرة وأشعار وقصائد جيدة، وقد استوفينا ذكرها في المبحث الخاص به في هذا الكتاب.

١٤ ـ أسعد تُبّع بن حسان: هو أسعد تُبَّع الحميري ملك اليمن، وقد كان من ملوك اليمن التبابعة الأوائل (أبو كرب أسعد بن مَلْكِي كَرِب) وهو أسعد تُبّع الأول

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٨.

(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٦. (٣) الإصابة ـ ابن حجر ـ ص ١/٥٧٢.

(٤) الكامل في اللغة والأدب ـ المبرد ـ ص ١/٣٥٨.

وكان في قرون ما قبل الميلاد، وقد دمجت الروايات بينه وبين أسعد تُبّع بن حسان، بسبب تشابه الاسم بينما أسعد تُبّع هذا في أواسط القرن الخامس الميلادي وهو الذي ولّى الحارث بن عمرو الكندي جدّ امرىء القيس على نجد ومشارقها، وكان الشعر شائعاً في أيامه، وقد ذكرت كتب التراث أشعاراً كثيرة لأسعد تُبّع، وتدل القرائن على أنها لأسعد تُبّع هذا. . قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «كان أسعد تُبّع من أعظم التبابعة وأفصحُ شُعَراء العرب، ولذلك قال بعض العلماء: ذهبَ ملكُ تُبّع بشعرِه ولولا ذلك ما قُدِّمَ عليه شاعِرٌ مِنَ العرب»[١]. وجاء في تاريخ ابن خلدون أنه: «كان تُبّع بن حسان أعلم الناس بنجم، وأعقل من يُعلم في زمانه، وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون. فَمَلَكَ على حِمْيَر، وهابَتَه العرب، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى بلاد مَعَدّ. . وولاه عليها»[٢].

ومن أوائل شعره قصيدة رائية طويلة أوردها الهمداني في الإكليل، في مطلعها «قال أسعد تُبّع[٣]:

أتــهـجُـرُ مَــنْ لَـمْ يـكـن يَـهْـجُـرُ ... وتُـقْـصـرُ فـالـمـرء قـد يـقـصـرُ
وقـد كـنـتُ فـيـمـا مَـضَـىٰ لاهـيـاً ... وديـنـي مِـنْ لـهـويِّ الـمـنـظـرُ
أزورُ الـغـوانـي، يَـزُرْنَـنّـي، ... وتـخـلـبـنـي الـكـاعـبُ الـمُـعـصـرُ
وكـل خـفـوق الـحَـشَـا خَـدْلَـةُ ... يـكـادُ مـخـدِّمـهـا يُـثـبـرُ[٤]
كـأنّ الـقـراقـف والـزنـجـبـيـل ... مـخـالـطـهـا الـمسـكُ والـعـنـبرُ[٥]
يُـعَـلُّ بـأنـيـابـهـا فـي الـكـرىٰ ... لـمُـشـتـاقـهـا ولِـمَـنْ يـشـغـرُ[٥]
وبـدَّلـنـي الـدهـرُ حـالاً بـحـال ... فـأصـبـحـتُ أقْـسِـرُ لا أُقْـسَـرُ
أديـرُ بـكـفـي رَحَـا الـعـالـمـيـن ... ويـوم الـهـيـاج أنـا الـمُـسـعـرُ

وهي خمسون بيتاً»[٣]. ومن مختار شعره في شمس العلوم: «قال أسعد تُبّع:

ولَـدَتْـنِـي مِـنَ الـمُـلُـوكِ مُـلُـوكُ ... كُـلُّ قَـيْـلٍ مُـتَـوَّجٍ صِـنْـدِيـدِ

(١) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٢.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٧٦.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٨٨/ ٢.
(٤) خفوقة الحشا: ضامرة البطن. خدلة: ذات ساق مستديرة. مخذمها: خلخالها. تثبر: تثقل عن المشي.
(٥) القراقف: جمع قرقف وهو نوع من النبيذ. يُعلُّ: يُشرب بعد الشرب الأول مرة بعد مرة. أنيابها: أسنانها ويعني فمَها.

ونِسَاءٌ مُتَوَّجَاتٌ كبلقيسَ وَشَمْسٍ ومِنْ لَمِيسَ جُدودي . . »

وبلقيس وشمس ولميس من ملكات وأميرات اليمن في العهود السالفة. وله أشعار كثيرة في ذكر الملوك والأقيال الأوائل، وبينهم ملوك ليس لهم ذكر في الروايات التاريخية نهائياً، وقد تم العثور على نقوش بأسمائهم تتطابق مع شعر أسعد، وذلك يؤكد صحة الشعر، كقوله:

ويُنعم ثاران رأس الملوك إليه انتهى المجد والمفخرُ

وهو الملك **(ثاران ينعم)** وليس له ذكر إلا في شعر أسعد وفي نقوش المسند، وكذلك **(علهان نهفان)** و **(ياسر يُهصدق)** وغيرهم. . وله قصيدة طويلة على أسماء ومنازل النجوم عن حملاته إلى شمال وشرق الجزيرة وأرض الحيرة. منها قوله:

ثم سرنا مسير صدقٍ نؤم الجَديّ في سيرنا بِيُمْنِ المسيرِ
. . برجالٍ إذا هُمُ ركبوا الخيل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأُسد غابٍ عليها كل درع مسرّد مشهور

وهي أكثر من ثلاثين بيتاً. ومن جيِّد شعر أسعد تُبّع قصيدة أولها:

سَلِي تُخْبَرِي عن كلِّ محضِ الشمائلِ وعن كلّ فياضِ اليدين مُقَاتِلِ
وسِيري أُريكِ المُلْك أو تَنْظُريه بعينيك إرثاً في صميم المَقَاوِلِ

وله أخبار وأشعار صحيحة كثيرة متواترة ذكرناها في المبحث الخاص به، وقد توفي أسعد هذا عام ٤٧٧م وتم دفنه في غيمان جنوب صنعاء.

١٥ ـ جِعَال بن عُبَيْد النِهْمِي: وهو أمير وشاعر جاهلي من منطقة وقبيلة نِهْم ـ بمحافظة صنعاء ـ وكان معاصراً ووالياً للملك أسعد تُبّع. . قال عنه الهمداني في الإكليل: «كان جِعَال مكيناً عند تُبّع، ومَلَّكَهُ على بكيل، وله معه أخبار عجيبة. . وهو القائل:

بَنَىٰ لنا أوّلونا فوق عاليةٍ مَجْداً دعائمه مِنْ تحته زَلَقُ
حتى استوينا على أشرافِ رابيةٍ عند الثُريا بها الأرواحُ تَخْتَفِقُ
لا يفتحُ الناسُ باباً حين نُغْلِقُه ولا يكونُ لبابٍ دوننا غَلَقُ
الناسُ أرضٌ ونحن السقف فوقهم نحنُ السماءُ وهُمْ مِنْ تَحْتِنَا خُلِقُوا . .)

[ص ١٩٧/ ١٠ ـ الإكليل]

وكانت بين جِعَال النهمي وأسعد تُبّعُ مُحاجاة أو ألغازاً شعرية. قال نشوان في شمس العلوم: «المُشْرِفُ: الجَبَلُ العظيمُ الطويل، قال أسعد تُبّع لجِعَال النهمي:

فَمَا حَامِلٌ ما يُعْجِزُ الفِيلَ حَمْلُهُ ويَعْجِزُ عَنْ حَمْلِ الذي أنْتَ حَامِلُهْ

فقال جِعَال:

هُوَ البَحْرُ تُلْقِي فيه والمَوْجُ مُعْرِضٌ ... حُجَيراً فَتَسْتَولِي عليه أسَافِلُهْ
وتُلْقَىٰ به طَوْدُ مِنَ الخُشْبِ مُشْرِفُ ... فَيَرْفَعُهُ عَمَّا يَلِي الطَّيْرَ حَامِلُهْ»

[ص ٥٥ ـ المنتخب]

ويدلُّ ذلك على أن أدب المحاجاة والألغاز ظهر زمن أسعد تبع في اليمن، وهو ما نَجِدُه أيضاً في شعر وديوان امرىء القيس بينه وبين عُبيد بن الأبرص بعد زمن أسعد وجِعَال بستين سنة، ويتعزز بذلك وجود هذا اللون من الأدب في ذلك الزمن.

١٦ ـ **زيد بن عمرو الحُدّاني الحاشدي**: وهو من شعراء اليمن في زمن أسعد تُبّع ـ بالقرن الخامس الميلادي ـ قال عنه الهمداني في الإكليل: «زيد بن عمرو بن الحارث بن ذي حُدان، جاهليٌّ قديم، وكان رحّالاً إلى الملوك..»(١) وكان معاصراً للأمير دويلة بن أبي دويلة الشبامي الهمداني وكان دويلة أميراً قائداً في منطقة شبام أقيان وهي شبام كوكبان التي تقع على بُعد نحو ٣٥ كلم شمال غربي صنعاء، وقاد دويلة حملة على قبيلة تغلب في نجد بسبب حَدَثٍ أحدثوه فظفر بهم، وعاد إلى شبام. وكان زيد بن عمرو الحُدّاني قد رحل إلى الملك ابن جَفْنَة الغساني بالشام، فبلغه إيقاع دويلة بن أبي دويلة ببني تغلب، فقال في ذلك قصيدة منها:

أتَاني ورَحْلِي عند جَفْنة وقعة ... أقَرَّ بِهَا عيني عَمِيْدُ شِبَام
دُوَيْلَةُ إذْ قَادَ الجِيَادَ عوابساً ... شعاثَ النواصي والنحور دَوَامِي(٢)
إلى تَغْلِبٍ قُبّاً تضبُّ لِثاتُها ... وتُقْحِمُها أجوازَ كلّ هُيّام(٣)
.. فأدركَ منهم كل أمرٍ أرادهُ ... دويلةُ، والأملاكُ ذات قيام

وتدل تلك القصيدة وترحاله إلى الملوك بأنه كان من كبار الشعراء في ذلك الزمن.

١٧ ـ **عمرو بن زيد الخولاني**: وهو من رؤساء وشعراء اليمن الجاهليين في زمن أسعد تُبع والحارث بن عمرو الكندي ـ جد امرىء القيس ـ وكان عمرو بن زيد رئيساً لقبائل خولان وسائر قُضاعة وكانت صعدة مقر رئاسته. قال عنه الهمداني: «عمرو بن زيد سيّد قُضَاعة في عصره، والمُجْمَعُ على رئاسته..»(٤) وجاء في

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٧/ ١٠.
(٢) عوابس: متغيرات الوجوه. شعث النواصي: مُغبرة النواصي، والناصية: مُقدم الرأس.
(٣) قبٌّ: ضامرات البطون. الأجواز: وسط الشيء.
(٤) الإكليل ـ ص ٢٩٧/ ١ ـ وقصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٣٦.

قصة الأدب: «عمرو بن زيد شاعرٌ جاهليّ مشهور، كان سيّد قومه والمُجمع على رياسته.. وله يوم (الجِنْوُ) وفيه قَتَلَ عتّاب جد عمرو بن كلثوم التغلبي.. وشهد عمرو بن زيد ـ موقعة ـ (خَزَازاً) فَحَسُنَ أثره وقال في ذلك شعراً.. وإذَنْ فيكون قد عاش في أوائل القرن الخامس للمسيح أي قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بمائة وخمسين سنة»[١] وفي أيام رئاسته لخولان وقضاعة، كان بنوحي بن خولان من أكبر بيوتات خولان، فخطب منهم رجلٌ من بني سعد بن خولان إحدى بناتهم، فدفعوه، فلما ألحّ عليهم خَصَوهُ.. فغضبت لذلك أكثر خولان.. وقال عمرو بن زيد في ذلك أبياتاً منها:

إنّ الغواة مِنْ آل حيٍّ قَلَّدوا ... إخوانهم عاراً بفعلٍ يَابِسِ
مثّلوا بأمْثَلِنَا وجاءوا سُنّةً ... لم يأتها يوماً جَبَابِرُ فارسِ
يا بني قُضَاعة فاغضبا لأخيكما ... لا خير في ركنٍ ذليلٍ واهسِ»

ثم فرض على بني حي بن خولان الخروج من بلاد صعدة، وجمع الخيل والفرسان لمحاربتهم حتى أجبرهم على الخروج والهجرة من صعدة براً وبحراً إلى مصر، فلحقوا بصعيد مصر. وفي ذلك قال عمرو بن زيد:

جَلَبْنَا عتاق الخَيْلِ مِنْ بَطْنِ لِيَّةٍ ... بأرعنَ مثل الطود تحبو كلاكلُه[٢]
فألحقتُ حَيّاً بالصعيد بما جَنُوا ... وأقْفَرَ منهم خُنْفَعُرُ فَقَابِلُه[٣]

وطالت رئاسة عمرو بن زيد، وسار بفرسان خولان وقُضاعة من اليمن مُؤازراً لِسَلْمَة بن الحارث الكندي ـ عم امرىء القيس ـ في موقعة يوم خَزَازَى بنجد، وله قصيد طويلة في يوم خَزَازَى أوردها الهمداني في الإكليل.. وكان حفيده يَعْلَىٰ بن سعد بن عمرو بن زيد من الرؤساء الشعراء في عهد سيف بن ذي يزن.

١٨ ـ **عمرو بن يزيد العوفيّ**: وهو شاعر وقائد يمني جاهلي كبير، مِنْ خولان بمنطقة صعدة وسَرَاةُ أعالي اليمن. قال عنه الحسن الهمداني: «كان عمرو بن يزيد العوفي فارس العرب وحُمّة البلد، وسيّد بني عوف، ولسان خولان..»[٤] وجاء في قصة الأدب أنه: «نادم عمرو بن يزيد سيف بن ذي يزن وحضر معه حروبه.. ولا شك أنه لا يستطيع أنْ يحضر حروب سيف بن ذي يزن وينال

(١) الإكليل ـ ص ٢٩٧/ ١ ـ وقصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٣٦.
(٢) لِيّه: ـ بكسر اللام ـ وادي لِيّة في عسير وَسَراة أعالي اليمن. الأرعن: الجيش. الطود: الجبل. كلاكله: جمع كلكل وهو الصدر.
(٣) خُنْفعر: جبلٌ في شمال غرب مدينة صعدة.
(٤) الإكليل ـ ص ٣٧١/ ١ ـ وقصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٥١.

لديه الحظوة والمكانة إلّا وقد تخطّى سن الشباب المبكر، وصقلته تجارب الحياة والشعر. . أي أنه وُلد حوالي سنة ٥٤٠ ميلادية»[(١)]. وقد كان عمرو بن يزيد من القادة الفرسان مع سيف بن ذي يزن في موقعة يوم غيمان التي قضى فيها على الأحباش والذين معهم وكان أبرزهم مالك الصدفي. قال الهمداني: «شهد عمرو بن يزيد ـ الحرب ـ مع سيف بن ذي يزن، فَعَقَل نفسه زويداً، ورمى مالكاً الصدفي فقتله. . ومن شعره في ذلك:

أغْشَىٰ الكُماةَ إذا تراجَعَ لَحْظُها لا طائشاً فَرِقاً ولا رِعديدا
وقتلتُ ذا التاجِ المُذَهْبِ مَالِكاً ولَكَمْ أفتُّ مُهَذَّباً صنديدا

وكانت موقعة يوم غيمان عام ٥٧٢م ثم رجع عمرو بن يزيد إلى صعدة، وكان يرابط في منطقة قبيلة نهد القضاعية في سَرَاة أعالي اليمن وتخوم الطائف. . وقام بحملات على قبائل سُليم وهوازن النجدية، وأمدّه سيف بن ذي يزن بالخيول فقال في ذلك:

مِنْ أسْفل غُمدانٍ جَلَبْنَا جيادنا تَرَامَىٰ إليكم بالمُثقفة السُجْمِ
عَلَقْنَاكُمُوهَا فاصبُروا لعليقها فإنّا نُجَلّيها بكلّ فتًى شَهْمِ

ولما زار عمرو بن يزيد الملك سيف بن ذي يزن بعد سنوات (قال له سيف: شِبْتَ بعدي يا أخا بني عوف. فقال عمرو:

مَا كِبَرٌ يُشِيبُ لِدَات مثلي ولكن شَيّبَت رأسي الحروبُ
. . ومختلف الرماح على لَبَاتي كأشطانٍ ألَفَّ بها قليبُ)

ولعمرو بن يزيد أشعار كثيرة في أحداث صعدة والسَرَاة أيام وبعد سيف بن ذي يزن. . ومن جيِّد شعره:

حَمَلْتُ على الكتيبة من مَعَدٍّ ولو أنّي قُتِلْتُ لَمَا حَفَلْتُ
حَمَلْتُ المُهر إذْ حَميتْ لظاها ولا واللّه ما فيها نَدَمْتُ

وله أخبار ومواقف كثيرة وأشعار وقصائد نقلها وذكرها الهمداني عن سجل خولان القديم بصعدة.

١٩ ـ عمرو بن بَرَّاقَة النهمي: وهو شاعر يمني جاهلي من قبيلة نِهم الهمدانية بمحافظتي صنعاء والجوف (حالياً) وكان أحد الشعراء الصعاليك الكبار في الجاهلية. وقال عنه الهمداني في الإكليل: «عمرو بن بَرَّاقة فارس همدان

(١) الإكليل ـ ص ١/٣٧١ ـ وقصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٥١.

وشاعرها في عصره ونَجْدها، وهو صاحب الكلمة المشهورة عند العرب. . »(١) أي صاحب القصيدة الميمية المشهورة وهي من جيد الشعر العربي الجاهلي، وقد ذكرها أبو علي القالي في كتاب الأمالي والأصفهاني في الأغاني والهمداني في الإكليل، منها قول عمرو بن براقة:

تقولُ سُلَيْمىٰ لا تَعَرَّضْ لِتَلْفَةٍ ... ولَيْلُكَ عَنْ لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمُ
وكيف ينامُ اللَّيْلَ مَنْ جَلُّ مالِه ... حُسَامٌ كَلوْنِ الملحِ أَبْيَضُ صَارِمُ
غَمُوضٌ إذا عَضَّ الكريهَةَ لم يَدَعْ ... له طمعاً، طَوْعُ اليمينِ مُلَازِمُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أن الصَّعالِيكَ نَوْمَهُمْ ... قَلِيلٌ إذا نَامَ الخَلِيُّ المُسَالِمُ
إذا الليلُ أَدْجَىٰ واكْفَهَرَتْ نُجُومُه ... وصاح مِنْ الأَفْراطِ بُومٌ جَوَاثِمُ(٢)
ومَالَ بأصحابِ الكَرَىٰ غَالِبَاتُه ... فإني على مَرّ الوثيقة حَازِمُ
متى تَجْمَعِ القلب الذكِيّ وصارماً ... وأنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المظَالِمُ
ومَنْ يَطْلُبِ المالَ المُمَنَّعَ بالقَنَا ... يَعِشْ مَاجِداً أو تَخْتَرِمْهُ المَخَارِمُ
وكُنْتُ إذا قومٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهم ... فَهَلْ أنا في ذا يالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ

وهي تسعة عشر بيتاً. وكان عمرو بن براقة من الصعاليك الذين ذكرهم في البيت الأول والبيت الرابع، وكان الصعاليك جماعة خرجوا على النظام الاجتماعي واتخذوا من سيوفهم وغاراتهم وسيلة للعيش واشتهروا بالعدو (الجري)، وكان عمرو بن براقة ثالث ثلاثة شعراء صعاليك زملاء، وهم الشَّنفَرىٰ، وتأبط شراً، وعمرو بن بَرّاقة، وكانوا أشهر وكبار الصعاليك في زمنهم، وقد استوفينا ذكر أخبار وأشعار عمرو بن براقة في المبحث الخاص به في هذا الكتاب وهو المبحث الثاني بعد المائة.

٢٠ ـ الشَّنفَرَىٰ ثابت بن أوس الأزدي: وهو من كبار شعراء اليمن في الجاهلية، من قبيلة ومنطقة حِجْر بن الهِنْو الأزدية في مخلاف نجران وسَرَاة أعالي اليمن. وكان هو زعيم حركة الصعاليك في عصره، ترك أهله وقبيلته وعاش صعلوكاً مرهوب الجانب لا مُعتصم له سوى الجبال وسوى غابات السَرَاة، يُغِيرُ مع أصحابه على الأغنياء ثم يأوي إلى جبال وغابات السَرَاة. له أخبار وأشعار كثيرة، أشهرها قصيدته المشهورة باسم (لامية العرب) وهي ثمانية وستون بيتاً. . منها قوله:

أَقِيمُوا بني أُمّي صُدُورَ مَطيّكُم ... فإني إلى قَوْمٍ سواكُمْ لأَمْيَلُ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٤/ ١٠.

(٢) الأفراط: الآكام. قال الهمداني في الصفة: «ويُسَمّى ما بين الجوف ونجران الأفراط». وإياها يعني عمرو بن براقة.

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرُ وشُدَّت لِطِيَّاتي مَطَايا وأرْحُلُ
وفي الأرض مَنْأَىٰ للكريم عن الأذَىٰ وفيها لِمَن خَاف الْقِلَىٰ مُتَعَزَّلُ
. . وَلِي دُونَكم أَهْلُون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ، وأرْقَطُ زُهْلُولٌ، وعَرْفاءُ جَيْأَلُ[1]
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِرِّ ذائعٌ لَديْهِمْ، ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ
. . ولولا اجْتِنَابِ الذَّامِ لم يَبْقَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلّا لَدَيّ ومأكَلُ
ولكنَّ نَفْساً حُرَّةً لا تُقِيمُ بي على الضَّيْمِ إلّا رَيْثَ ما أتَحَوَّلُ

وهو القائل:

وَرَدْتُ بمأثورٍ يَمَانٍ وضَالَةٍ تَخَيَّرْتُها مِمّا أرِيشُ وأرصُفُ

وهذا البيت أيضاً من قصيدة جيدة، وقد عاش ومات الشَّنْفَرَىٰ في الجاهلية، وقد أوردنا تاريخه وأشعاره في المبحث الخاص به وهو المبحث الأخير ـ رقم ١٠٣ ـ في الجزء الأول من هذا الكتاب.

٢١ ـ **عمرو بن مَعْدِي كَرِبْ الزُّبَيْدِيّ**: وهو من كبار شعراء وفرسان اليمن في الجاهلية، وهو من قبيلة زُبَيْد المَذْحَجِية المشهورة في اليمن. قال عنه أبو عُبيد البكري: «كان عمرو بن معدي كرب فارس اليمن»[2]. وقال ابن عبد البر: «كان عمرو بن معدي كرب فارسُ العرب، مشهوراً بالشجاعة وشاعراً مُحْسِناً، ومِمّا يُسْتحسن من شعره قوله:

إذا لم تَسْتَطِع شيئاً فَدَعْهُ وجاوزهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ

وشعره هذا مِنْ مُذهبات القصائد، أوله:

أمِنْ ريحانة الداع السميع يؤرِّقُني وأصحابي هُجوعُ»[3]

وله أخبار ووقائع وأشعار كثيرة ومواقف مشهورة في الفروسية والحروب والشجاعة، ومن مختار شعره في كتاب الأمالي قصيدته الحائية في موقعة يوم فَيْفِ الرِّيح التي انتصر فيها هو وفرسان مذحج على قبيلة هوازن النجديّة، وهي من مطولات القصائد، أوّلُها:

دِيَارُ أقْفَرَتْ مِنْ أُمِّ سَلْمَىٰ بِهَا دَعْسُ المُعَزِّبِ والمُراحِ

---

(١) سِيد ـ بكسر السين: الأسد. عملس: سريع. الأرقط: النمر. زهلول: أملس. عرفاء جيأل: أنثى الضبع.
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٢٤/ ١٤.
(٣) الاستيعاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ٥٢٠/ ٢.

وقـفـتُ بِـهَـا فَـنَـادَانـي صِـحَـابـي　　أغَـالَـبَـك الـهَـوىٰ أم أنـت صَـاحِ [١]

وله أكثر من عشر قصائد جيدة في الجاهلية، منها قصيدته الدالية:

لَـيْـسَ الـجَـمَـالُ بِـمـئْـزرٍ　　فـاعْـلَـمْ وإنْ رُدِيـتَ بُـرْدَا

إنّ الـجَـمَـالَ مَـعَـادِنٌ　　ومَـنَـاقِـبُ أوْرَثْـنَ مَـجْـدَا

وهي قصيدة مِنْ جَيّد الشعر اختتمها بقوله:

ذَهَـبَ الـذيـن أحِـبُّـهـمْ　　وبَـقَـيْـتُ مِـثْـل الـسـيـف فَـرْدَا

وقد أدرك عمرو بن معدي كرب الإسلام، وهو واحدٌ مِنْ عشرات الشعراء اليمنيين الجاهليين الذين أدركوا الإسلام ووفدوا إلى النبي ﷺ، وشهدوا الفتوحات. وكان له بطولات ومواقف باسلة في موقعة اليرموك بالشام وفي فتح القادسية بالعراق وفي فتح نهاوند في إيران. وقد استوفينا وحَقّقْنَا تاريخه وأشعاره في الجاهلية والإسلام في الجزء الثاني من هذا الكتاب والذي سيضم تسعة وستين مبحثاً عن سبعة وتسعين من شعراء اليمن الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الإسلام.

ونُشير هنا إلى أن من كبار الشعراء اليمنيين الجاهليين أيضاً في الجزء الأول من هذا الكتاب:

- دويلة بن أبي دُويلة الشّبَامي
- حُجْر بن زُرعة الخنفري
- عوف بن يزيد الحَيْوَاني
- الحارث بن وَعْلَة الجَرْمي
- نافع بن أصغر الحارثي
- عبد المَدَان ابن الديّان
- يزيد بن مخرّم الحارثي
- يزيد بن عبد المدان
- حاتم بن عبد اللّه الطائي

وقد ذكرنا فيما سلف ٢١ من كبار الشعراء فيكون هم وهؤلاء (٣٠) من كبار الشعراء اليمنيين في الجاهلية، بالإضافة إلى أوائل وقدماء الشعراء سالفي الذكر، وهم عشرة شعراء، غير من ذكرنا أسماءهم من أعلام شعراء اليمن في تلك الأزمنة، فقدماء وأوائل وكبار الشعراء يزيد عددهم عن خمسين شاعراً من بين زهاء مائتي شاعر من أعلام الشعراء اليمنيين في أزمنة الجاهلية.

أعلام الشاعرات اليمنيات في الجاهلية:

بل إنه في الوقت الذي تَسَاءل فيه طه حسين قائلاً: "هل كان لليمن في

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٦/ ٣.

الجاهلية شعراء؟» فإنّ كتب التاريخ والأدب تؤكد أيضاً أنه كان لليمن في الجاهلية ـ ليس شعراء فقط ـ وإنَّما شاعرات أيضاً. فَمِنْ أعلام الشاعرات اليمنيات في الجاهلية:

١ ـ **عَمْرَةُ بنت زيد الخولانية**: وهي من بني (حيّ بن خولان) بمنطقة صعدة. وقد عاصرت عمرةُ بنت زيد الرئيس الشاعر عمرو بن زيد الخولاني رئيس مناطق صعدة وقُضَاعة الذي تقول بعض الدراسات بأنه «عاش في أوائل القرن الخامس للمسيح، قبل البعثة بمائة وخمسين عاماً»[١] واستناداً إلى ذلك التقدير الزمني تكون عَمْرة بنت زيد أَقْدَم وربما أول شاعرة يمنية جاهلية في التاريخ، ولكن قرائن الوقائع تدل على عدم دقة ذلك التقدير وإن زمن عمرو بن زيد كان أواسط وأواخر القرن الخامس للميلاد، فتكون عَمْرة بنت زيد مِنْ أَقْدَم الشاعرات ـ لا أَقْدَمِهنَ ـ لوجود شاعرات قَبْلها، أَقْدَمِهن (حَذامِي بنت الدَيَّان بن قَطَن الحارثية المذحجيّة) وهي التي يُضْرَبُ بها المثلَ في صدق الخبر، ولها بيتٌ واحدٌ مِنْ الشعر ذكرته كُتب الأمثال لأن قولها صار مثلاً، وقد أنذرت بذلك البيت أخاها الرئيس الديان بنَ قَطَن وجماعة من بني الحرث بن كعب خرجوا معه، فنزلوا بالقُرب من غدير ماء، فسار إليهم عاطس بن حلاج وقبيلته ـ وهم أيضاً من قبائل الجوف ونجران ـ وكان بينهم نِزَاعٌ قَبَلي، فلما وصلوا إلى مكان قريب من مكان نزول الديّان وبني الحارث ـ بالقُرب من الغدير ـ تنبهت وطارت القَطَا ـ وهي طيرٌ يكون عند مياه الغدير والأنهار ـ فرأتْ حَذامِي بنت الديان القَطَا، فحذرت بني الحارث بمجيء قبيلة عاطس، فلم يُصَدِّقُوها، فقالت:

ألا يـا قَـوْمَـنَـا ارْتَـحِـلُـوا وسِـيْـرُوا ... فَـلَـوْ تُـرِكَ الـقَـطَـا لَـيْـلاً لَـنَـامَـا

وقد جاء في جمهرة الأمثال أن حذامي بنت الديان أول من قالت: «فلو تُرِكَ القَطَا ليلاً لنَامَا» فصار قولها مثلاً[٢] ـ أي أن القطا لَوْ لم يُنَبِهْه شيء لبَقَيْ نائماً ـ، ثمّ صَدَّقُوها فنهضوا وارتحلوا إلى مكان آخر فلما أصبحوا رأوا قبيلة عاطس فأيقنوا بصدق حُذَامِي وصارتْ مضرباً للمثل في الصدق. ولم تذكر المصادر مِنْ شعرها إلّا ذلك البيت لصيرورة قولها (لو تُرِكَ القَطَا ليلاً لنَامَا) مثلاً من أمثال العرب[٣].

أما الشاعرة (عَمْرَة بنت زيد الخولانية) فقد أورد الهمداني في الإكليل قصيدتها

---

(١) قصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٣٦.

(٢) جمهرة الأمثال ـ أبو هلال العسكري ـ ص ١٩٤.

(٣) ومثل ذلك قال الشاعر اليمني الجاهلي الحارث بن وَعْلة الجَرْمي:

وإنِّـي وإيـاكـم كَـمَـنْ نَـبَّـه الـقَـطَـا ... ولَـوْ لَـمْ تُـنَـبَّـهْ بـاتـت الـطـيـرُ لا تَـسْـري

في الثناء على (بني حيّ بن خولان) عندما أراد الرئيس عمرو بن زيد إجْلاء وإخراج بني حيّ من صعدة، فقالت عَمْرَة بنت زيد قصيدة منها:

مَنْ ذا كَمِثْلِ بني حيٍّ إذا نَزَلَتْ إحدى الجوائح، والأرماحُ تَنْتَبِلُ
أُسْدٌ ضَرَاغِمَةٌ، بِيضٌ غَطَارِفَةٌ، غُلْبٌ جَحَاجِحَةٌ، هِيْسٌ إذا اتصلوا[1]
لا يهجعون إذا مَا ضِيمَ جَارُهُمُ، ولا على حُكْمِ خَسْفٍ لِلْعِدىٰ نزلوا . .
إلخ[2].

وهي خمسة عشر بيتاً، ويدلُّ زمن واقعة إجلاء بني حيٍّ، على أن الهمداني نقل القصيدة فيما نقله من زبور (سِجل خولان القديم بصعدة).

٢ ـ **خِرْنِق بنت هَفَّان**: وهي شاعرة يمنية حِمْيَرية جاهلية، كان زوجها القَيْل عمرو بن مَرْثَد بن ذي جَدَنْ من كبار الأقيال الحِمْيَريين بالمنطقة الجدنية اليزنية (شبوة وأبين حالياً) وقد ذكرته النقوش في أوائل القرن السادس الميلادي أي قبل الإسلام بحوالي مائة سنة، وقد أورد أبو علي القالي عن أوائل علماء الأدب أنه: «قالت خِرْنِقْ بنت هَفَّان ترثي زوجها عمرو بن مَرْثَد وابنها عَلْقَمة وأخويْه حسان وشُرَحْبِيل:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمي الذين هُمُ سُمُّ العُدَاة، وآفَةُ الجُزُرِ[3]
النازِلون بكلِّ مُعْتَرَكٍ والطيِّبون مَعَاقِدَ الأُزُرِ

ـ إلى آخر القصيدة[4] ـ وهي من مختارات الشعر في كتاب الأمالي.

٣ ـ **خُويلةُ بنت رئام**: وهي شاعرة جاهلية من عشيرة رئام القُضاعية الحميرية بمنطقة الشِحْر في شرق اليمن، ولها خبرٌ طويل في كتاب الأمالي عندما غدرت عشيرتا داهن وناعب بثلاثين من شباب رئام وقتلوهم وهم سُكارى في عُرس لهم. فاستنجدت خُويلة بمَرْضَاوي بن سَعْوة عامل منطقة الشِحْر بقصيدة أوّلُهَا:

يا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ، وأمْنَعَ مَلْجَأٍ، وأعزَّ مُنْتَقِم، وأدْرَكَ طَالِبِ
جاءتْكَ وافِدةُ الثَّكَالَى تَغْتَلي، بِسَوَادِهَا فوق الفَضاءِ النَّاظِب

وهي عشرة أبيات وفيها شواهد لغوية شرحها الأصمعي والقالي[4] فقام

---

(١) الغطريف: الزعيم الشريف. غُلب: جمع أغلب. جحاجحة: سادة. الهيس: أخذ الشيء عنوة. وأهيس: شجاع. إذا اتصلوا: إذا حاربوا.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٨٣/ ١.
(٣) الجُزُر: الغنم وما يُجزرُ من الذبائح، وهذا كناية عن الكرم.
(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٥٨/ ٢ ـ وص ١٢٦/ ١.

مرضاوي بحملة على عشيرة داهن وناعب، فأوجع فيهم، وأنصف خُويلة وبني رئام.

٤ ـ **كَبْشَة بنت مَعْدِي كَرِب الزُبَيدِيّة**: وهي أخت عمرو بن معدي كَرِب الشاعر والفارس المشهور، وزوجة الشاعر الأَجْدَع بن مالك الوادعي الهمداني وهو من قبيلة وادعة في صعدة ولذلك كانت كبشة في بيت زوجها الأجدع بصعدة. ولها خبر وشعر مشهور في أُمهات كتب الأدب عندما أتاها خبر مقتل أخيها عبد اللّه على يد رجل سكران من بني مازن وهو ضيف عندهم، وأن بني مازن ساروا إلى عمرو بن معدي كرب وقالوا له: **(قَتَلَه رجلٌ مِنّا سفيه سكران، ونحن يَدُك وعَضُدُك، فنسألك بالرَّحِم أن تأخذ الديّة. . فقال عمرو: إحدى يديّ أصابتني ولم تُرِدْ)**. فَقَبِلَ عمرو وبنو زُبَيد بأخذ الديّة إبلاً وأشياء، فغضبت كبشةُ وقالت وبعثت أبياتاً من صعدة تعاتبهم وتَحثّهم على الثأر من بني مازن، ومنها قولها:

أَأَرْسَـلَ عـبـدُ الـلّـه إذْ حَـانَ يـومُـه ... إلـى قـومـه ألا تُـخَـلُّـوا لـهـم دَمِـي

(وأنْ) تـأخُـذوا مِـنْـهُـم إفَـالاً وأبْـكُـراً ... وأُتْـركُ فـي بـيـتٍ بـصـعـدةِ مُـظْـلـم

. . فإنْ أَنْـتُـمُ لـم تَـقْـتُـلوا واتَّـدَيْـتُـمُوا ... فَـمُـشُـوا بـآذان الـنَّـعَـامِ الـمُـصَـلَّـمِ[١]

ولا تـشـربـوا إلّا فُـضُـولَ نـسـائـكـم ... إذا أُنْـهِـلَـتْ أعـقـابُـهُـنَّ مِـنَ الـدمِ[٢]

قال الأصمعي: «فلما حَضَّت كبشةُ أخاها عَمْراً أكبَّ بالغارة على بني مازن، فأَوْجَعَ فيهم. .»[٣] فأخذ عمرو بثأر أخيه من بني مازن واضطرهم إلى الرحيل من منطقتهم بسبب شعر كبشة، ولها أيضاً بيت واحد في كتاب غريب اللغة، تقول فيه:

ومَـشْـهَـدٍ قـد كَـفَـيْـتُ الـنَّـاطـقـيـنَ بِـهِ ... في مَجْمَعٍ من نَوَاصِي النَّاسِ مَشهودُ

٥ ـ **فاطمة بنت الأجم الخُزَاعيّة**: وهي زوجة القَيْل صَبَاح **(أحد الأقيال الحِمْيَريين)** فلما مات رثته بأبيات مشهورة، ذكرها القالي في كتاب الأمالي، منها قولها:

قـد كُـنْـتَ لـي جَـبَـلاً أَلـوذُ بـظِـلّـهِ ... فـتـركـتَـنـي أَضْـحَـىٰ بـأَجْـرَدَ ضـاحـي

. . فـالـيـومَ أَخْـضَـعُ لـلـذلـيـل وأتَّـقـي ... مِـنْـهُ، وأَدْفَـعُ ظـالـمـي بـالـرّاحِ[٤]

وإذا دَعَـتْ قُـمْـريّـةٌ شَـجَـنـاً لـهـا ... يـومـاً عـلـى فَـنَـنٍ دَعَـوْتُ صَـبَـاحِ

وأَغُـضُّ مِـنْ بَـصَـرِي وأعْـلـمُ أنّـه ... قَـدْ بَـانَ حَـدُّ فَـوَارِسِـي ورِمَـاحـي

قال أبو بكر بن دريد: «هذه الأبيات تمثلت بها عائشة بعد وفاة النبي ﷺ»[٤].

٦ ـ **مارية بنت الديّان الحارثية**: وهي سادسة أعلام الشاعرات اليمنيات في الجاهلية،

---

(١) النَّعَام: البقر الوحشي.

(٢) ويُروى «إذا ارتملت: أي تلطخت».

(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩١/٣.

(٤) الراح: المُراوحة ـ (الأمالي ـ ص ٢/٢).

وهي أخت عبد المدان ابن الديان رئيس مذحج ومخلاف نجران قبل وفي عهد سيف بن ذي يزن. ولها شعر في تحريض عبد المدان وقبيلة بني الحرث بن كعب بسبب قيام بعض عشائر قيس عيلان النجدية بغارات لنهب القوافل في مناطق الأطراف، فقتلوا مُرّة بن عاهان الحارثي وأخذوا صَلاءَة بن العنبر، فقالت مارية بنت الديان تعاتب فوارس بني الحارث وتُحَرِّضهم وترثي أبا الحصين مُرة بن عاهان أبياتاً منها:

قُلْ لِلْفَوَارِسِ لا تَتِلْ أعْيَانُهُمْ ... مِنْ شَرِّ ما حَذِرُوا ومَا لَمْ يُحْذَرِ[1]
التارِكِينَ أبا الحُصَيْنِ وَرَاءَهُمْ ... والمُسْلِمِيْنَ صَلَاءَةَ ابن العَنْبَرِ
.. ولَقَدْ بكيتُ على شَبَابِكَ حِقْبَةً ... حَتَّى كَبِرْتَ وَلَيْتَ أَنْ لَمْ تَكْبَرِ

وهي ستة أبيات، ولكنها أدّت إلى قيام عبد المدان ابن الديان وفرسان بني الحرث بن كعب بحملات تأديبية عارمة ضد قبائل قيس عيلان في نجد.

٧ ـ **نائحة مرّة بن عاهان**: وهي امرأة من بني الحرث بن كعب، قالت ترثي مرّة بن عاهان وتهجو عشيرة باهلة بن أعصر القيسية التي قتلته شعراً، قال أبو عُبيدة: إن باهلة «ما هُجوا بمثله لأنها صغّرت بهم» وهو البيت الثاني من قولها:

يا عَيْنُ بَكّي لِمُرَّةَ بْنِ عَاهَانَا ... لو كَانَ قَاتِلُهُ مِنْ غَيْرِ مَنْ كَانَا
لو كَانَ قاتِلُهُ قَوْماً ذَوِيْ حَسَبٍ ... لكِنَّ قاتِلَهُ بَهْلُ ابنُ بَهْلانَا

والبيتان في خزانة الأدب.

٨ ـ **إبنة مُرّة بن عاهان**: وهي شاعرة جاهلية، لها أبيات في خزانة الأدب قالتها بعد مقتل أبيها، في التحريض على باهلة وعدم التسامح معهم، إذْ «قالت بنت مُرّة بن عاهان الحارثي:

إنَّا وبَاهِلَةَ بْنَ أَعْصُرَ بَيْنَنَا ... داءُ الضَّرائرِ بِغْضَةٌ وتَنَافِي
مَنْ نَثْقَفَنْ مِنْهُمْ فليسَ بآيبٍ ... أبداً وقَتْلُ بني قُتَيْبَةَ شَافِي»

٩ ـ **أم ناشب الحارثية**: وهي شاعرة جاهلية في نفس فترة مارية بنت الديان، من جيّد شعرها:

لَحَا اللَّهُ قوماً جَشَّموا أُمَّ نَاشِبٍ ... سُرَى اللَّيْلِ تَغْشَاهُ بِغَيْرِ دَلِيْلِ
نَظَرتُ وثَوبي قَالِصٌ دُونَ رُكْبَتي ... إلى عَلَمٍ صَعْبِ المَرامِ طَوِيْلِ

---

(١) تتل: تنجو.

١٠ ـ **أخت عمرو بن بِشْر المُرادي**: وهي شاعرة جاهلية من قبيلة ومنطقة مُرَاد باليمن. لها شعر في رثاء أخيها عمرو بن بِشْر، قالت فيه:

أَلَا يا لَهْفَ نَفْسِي بَعْدَ عَمْرٍو ... ومَصْرَعِهِ بِمُعْتَرَكِ الصِّعَادِ
مُنَاخِ الضَّيفِ قَدْ عَلِمَتْ مُرَادُ ... وغَيْثِ الناسِ في اللَّزَبِ الشِّدَادِ

وقد كان من مُرَاد كوكبة من شعراء اليمن الجاهليين الذين سيأتي ذكرهم وشعرهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب، منهم: كعب بن الحارث، وزنباع المرادي، وأبو النوَّاح المرادي، وقيس بن مكشوح، وفروة بن مُسيك، وعمرو بن قيس المرادي، وقد أورد المُرْزَباني في معجم الشعراء بيتين لعمرو بن قيس المرادي في رثاء امرأته سُعْدَى، وهما:

سُعِيْدَ، قُوْمِيْ عَلَى سُعْدَى فَبَكِّيْهَا ... فَلَسْتِ مُحْصِيَةً كُلَّ الذِي فِيْهَا
في مَأْتَمٍ كَظِبَاءِ الرَّوْضِ قد قَرَحَتْ ... مِنَ البُكَاءِ على سُعْدَى مآقِيْهَا

ويدلُّ ذلك على أن الرثاء لم يكن من النساء الشاعرات لأقاربهن من الرجال فحسب وإنما كان الشعراء الرجال أيضاً يقولون شعراً في رثاء زوجاتهم أو قريباتهم.. فقد كان للمرأة في اليمن مكانة تتجلى في التاريخ والأدب، فقد تولت حكم اليمن عدة ملكات وأميرات افتخر بهن أسعد تُبَّع في قوله:

ونساءٌ مُتوَّجاتٌ كبلقيسَ ... وشمسٍ، ومِنْ لَمِيْسَ جُدودِي

يعني الملكة بلقيس والملكة شمس الكبرى والملكة لميس الكبرى أم الملك أفريقيس بن ذي المنار الحميري، ومنهن أيضاً «ملاك حلك ملكة حضرموت بنت علهان نهفان ملك سبأ وذي ريدان» وهي مذكورة في نقوش المُسند. والأميرة الملكة «لَمِيْس بنت أسعد تُبّع الحميري» وكان مقر لميس في مدينة ناعط، قال الشاعر عَلْقمة بن ذي جَدَن الحميري:

ولَمِيْسُ كانت في ذُؤَابَة ناعطٍ ... يَجْبِي إليها الخَرجَ صاحبُ بَرْبَرِ

وكان من النساء أيضاً عدة كاهنات مشهورات، منهن طريفة كاهنة مأرب، والكاهنة زبراء صاحبة الشاعرة خويلة بنت رئام القُضَاعية، وسُلَيْمىٰ كاهنة همدان التي لها يقول عمرو بن بَرَّاقة النهمي:

تقولُ سُلَيْمَىٰ لا تَعَرَّض لِتَلْفَةٍ ... ولَيْلُكَ عن ليلِ الصعاليكِ نائمُ

فوجود أديبات شاعرات هو انعكاس لواقع مشاركة المرأة في كافة أنواع النشاط

السياسي والاجتماعي والأدبي باليمن، وقد ذكرنا فيما سلف عشر شاعرات من زهاء عشرين أديبة وشاعرة يمنية في تلك العصور.

وتتبين من مُجْمَل ما سلف عن اللغة والكتابة وعن أوائل وقدماء الشعراء وعن كبار الشعراء اليمنيين الجاهليين وأعلام الشاعرات اليمنيات في الجاهلية أن اليمن مهد العروبة واللسان العربي. وأنه كان للمساند الدهرية تعابيرها وقواعدها الخاصة، وكان للنصوص الزُبرية أسلوبها ونحوها العام، وكان للشعر تعابيره وقواعده التي تتجلى في تلك الأشعار اليمنية الجاهلية، فللسان العربي اليمني في تلك العصور ثلاثة أشكال وأساليب رئيسية يمكن اعتبارها بمثابة لغات، وهي لغة المُسند، ولغة الزُبر، ولغة الشِعر، ومصدر معرفة لغة وأسلوب وقواعد الشعر اليمني الجاهلي هو ذلك الشعر نفسه، فالشعراء والشاعرات من كل قبائل ومناطق اليمن كانوا يقولون الشعر بنفس اللغة والأسلوب والقواعد على امتداد ستمائة سنة قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام، فلغة الشعر هي اللسان العربي الفصيح، وبه تنطق أشعار أكثر من مائة وسبعين شاعراً من شعراء اليمن الجاهليين في هذا الكتاب، فلغة الشعر هي اللسان الفصيح وقد نشره اليمنيون أيضاً في الحجاز لأنهم كانوا غالبية أهل الحجاز في تلك العصور.

وقفة مع امرىء القيس . . وأوهام طه حسين:

ونقف هنا مع امرىء القيس بن حُجر الكندي أشعر الشعراء والذي به ضرب الأوائل المثل على أنّ الشعر يماني وأن اليمن ذهبت بالشعر كله. فقد قال طه حسين فيما قال ما يلي نصه: ـ

«إنّ امرأَ القيس ـ إنْ صَحَّتْ أحاديث الرواة ـ يمنيّ وشعره قرشيُّ اللغة. . فكيف نَظَّم الشاعر اليمني شعره في لغة أهل الحجاز؟. . وأعجبُ مِنْ هذا أنك لا تجد مُطلقاً في شعر امرىء القيس لفظاً أو أسلوباً أو نحواً من أنحاء القول يدلُّ على أنه يمني»[١].

ولـم ينكر طه حسين وجود امرىء القيس إنكاراً صريحاً، بل قال في موضع آخر: «نُرجّحُ أنه وُجد» وقال: «والذي نرى نحن أنه عاش قبل القرن السادس، وربما عاش قبل القرن الخامس أيضاً. .»[١].

وقام طه حسين بالمقارنة بين تاريخ امرىء القيس وتاريخ عبد الرحمن بن الأشعث الكندي، وهي مقارنة غير سليمة، ثم قال:

«أليس مِن اليسير أن نفرض بل أن نُرجّح أن حياة امرىء القيس التي قد تحدَّث بها الرواة ليست إلا لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن ـ ابن الأشعث ـ استحدثه

---

(١) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ وتحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ٢٧١ و٢٧٥.

القُصاص إرضاء لهوى الشعوب اليمنية في العراق، واستعاروا له اسم الملك الضِّلّيل إتقاء لعمال بني أُميّة من ناحية، واستغلالاً لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تُعرفُ عن هذا الملك الضليل من جهة أخرى»[١].

وأقول إن كلام طه حسين فيه من الأوهام والتخبط قدر كبير، فهو تارة يُرجّحُ أن امرأَ القيس كان موجوداً، ويُرجّح في موضع آخر أن تاريخه ليس إلا تمثيلاً لتاريخ ابن الأشعث استحدثه القُصّاص.. وأياً كان مدى التخبط، يمكن تحديد أوهام طه حسين وتبيين وجه الحقيقة عنها في الأمور الرئيسية التالية:

الأمر الأول: ويتمثل في قوله: «إنّ امرأَ القيس ـ إنْ صحت أحاديث الرواة عنه ـ يمنيّ وشعره قُرشيّ اللغة.. فكيف نظم الشاعر اليمني شعره في لغة أهل الحجاز». بينما الحقيقة أنّ أحداً من الرواة لم يقل «..وشعره قُرشيّ اللغة». وإنما توهم واختلق طه حسين ذلك.. ولم ينظم امرؤ القيس شعره بما سَمّاه طه حسين لغة أهل الحجاز فلا وجود في كل كتب التاريخ والأدب واللغة شيء اسمه (لغة أهل الحجاز). وإنما نظم امرؤ القيس شعره بنفس لغة وأسلوب وقواعد شعر أوائل وقدماء وكبار الشعراء اليمنيين الجاهليين ـ سالفي الذكر ـ من سائر قبائل ومناطق اليمن، ومنهم شعراء قبل امرىء القيس بعدة مئات من السنين أو بعدة أجيال، منهم الحرث بن كعب، دُويد بن زيد بن نهد، هَبَل بن عبد اللّٰه الكلبي، الأفوه الأودي، ملشان ذو يزن، مَرْثَد الخير بن ينكف، عمارة الكباري الحاشدي، زهير بن جناب، جبر بن أسود الحارثي، الأسعر الجُعفي، عمرو بن زيد الخولاني، أسعد بن حسان، وعشرات غيرهم من شعراء اليمن.

ولم تكن قبيلة قريش قد تكونت في زمن أوائل وقدماء الشعراء اليمنيين، بل كان غالبية قبائل مكة والحجاز يمنيون، ومنهم قبيلة جُرهم بن قحطان، وقبيلة خُزَاعة الأزدية اليمنية، ومنهم كان أوائل الشعراء في مكة والحجاز قبل أن تتكون قريش بأجيال كثيرة، وقد ذكرنا منهم: عمرو بن الحرث الجرهمي، شحنة بن خلف الجرهمي، عمرو بن الحارث الخُزاعي أول الولاة الخزاعيين لمكة والبيت الحرام، وقد تولت خُزاعةُ البيت الحرام ومكة يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ثلاثمائة سنة. وقُريش إذْ ذاك حُلولٌ وصِرْمٌ وبيوتاتٌ متفرقون في بني كنانة ونزار. فتلك هي الحقيقة التي تنطق بها كتب التاريخ.

فامرؤ القيس قد نَظم شعره بلغة الشعر العربي اليمني الجاهلي التي نشرها اليمنيون في الحجاز ونجد وشرق الجزيرة إلى الحيرة بالعراق وإلى الشام لانتشار

---

(١) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ وتحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ٢٧١ و٢٧٥.

اليمنيين وسُلطتهم ونفوذهم السياسي والتجاري والثقافي ومساندهم في سائر تلك الأرجاء. ولقد كان من أسلاف امرىء القيس ثلاثة ملوك ولاة شعراء، وهم: حُجْر آكل المُرار الكندي، وسَلْمَة بن الحارث بن عمرو الكندي، ومعدي كرب بن الحارث، وهما ـ سَلْمَة ومعدي كرب ـ عَمَّا امرىء القيس.

وقد اقتدى امرؤ القيس في شعره بأسلوب شاعر واحد من الشعراء السابقين لا غير، وهو الشاعر اليمني الجاهلي امرؤ القيس بن خِذام الكلبيّ القُضَاعيّ الحميريّ الذي كان أول من وقف على الأطلال، وقد ذكر ابن قتيبة والآمدي وأبو عبيدة أنه «أول من بكى على الديار، وإياه عَنَى امرؤ القيس الكندي بقوله:

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكي الدِّيَارَ كَمَا بَكَىٰ ابن خِذَامِ»[١]

الأمر الثاني: ويتمثل في تحديد طه حسين لزمن امرىء القيس. وعن ذلك قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ما يلي نصه: «ومما نظنُّ أن ألفاً وثلاثمائة سنة تضحك منه ضحكاً يهزُّ قبور الأدباء، قول شيخ الجامعة (طه حسين) في تعيين تاريخ امرىء القيس: (**والذي نرى نحنُ ـ تأمل نحن ـ أنه عاش قبل القرن السادس، وربما عاش قبل القرن الخامس أيضاً..**) (صفحة ١٥٠) فربما التي يُقال فيها إنها للتقليل هي في حساب التاريخ الحسيني بمائة سنة، لأن الذي يقال فيه إنه عاش قبل القرن السادس للميلاد لا يمكن أن يتقدم على سنة ٥٠٠م فإذا قيل فيه ربما عاش قبل القرن الخامس أيضاً، فأيضاً هذه لا يمكن أن تتقدم سنة ٤٠٠م وما أنا من علماء الرياضة فأجِدُ مِن عقلي قوة على تخليص هذا الخلط..»[٢].

فتقدير طه حسين لزمن امرىء القيس بأنه عاش قبل القرن السادس وربما عاش قبل القرن الخامس أيضاً، يدلُّ على مدى الوهم والخلط الذي وقع فيه، وعلى أنه يفترض ويحكم على الشعر والشعراء بدون علم ولا بحث ولا دراية حتى بأيسر الأمور، فالقول بأنه «ربما عاش قبل القرن الخامس» تعني أنه ربما عاش في القرن الرابع الميلادي بينما كل كتب التاريخ والأدب قد ذكرت معاصرة امرىء القيس للمنذر بن ماء السماء الذي ولاه كسرى أنوشروان على إمارة الحيرة وكذلك معاصرة امرىء القيس للملك الحارث بن أبي شَمر الغساني ملك العرب بالشام وهو الحارث بن جَبَلة الغساني، وأزمنة أولئك الملوك معروفة في الدراسات والمصادر التاريخية، فقد تولّى كسرى أنوشروان الحكم حوالي عام ٥٢٨م. قال ابن خلدون: «كان مولد النبي ﷺ لاثنتين وأربعين سنة من مُلك أنوشروان». وقال ابن قتيبة: «إن

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة.
(٢) تحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ٢٧٥.

بين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي ﷺ أربعين سنة»[١]. ففارق المصادر لا يتجاوز سنتين، أما الحارث بن أبي شمّر جبلة الغساني فهو أشهر الملوك الغساسنة وتاريخه معروف بدقة وقد ذكرته المصادر الرومانية فقد حكم الحارث من عام ٥٢٩ ـ ٥٦٩ ميلادية، إذْ أنه «أصدر القيصر الروماني جوستنيان مرسوماً ـ في عام ٥٢٩م ـ بصيرورة الحارث بن جَبَلة الغساني ملكاً للعرب بالشام مع منحه لقب فيلارك وبطريق Phylarch and patricus وهو أعلى لقب بعد الامبراطور»[٢] والحارث الغساني هذا سار إليه امرؤ القيس في أواخر أيامه، سائلاً الدعم لمحاربة المنذر بن ماء السماء فكتب له الحارث وتوسط له عند القيصر جوستنيان وهو الذي استنصر به وسار إليه امرؤ القيس، فكل أولئك الذين عاصرهم امرؤ القيس كانوا في القرن السادس الميلادي، وبالتالي فإن قول طه حسين بأنه (ربما عاش قبل القرن الخامس الميلادي) ـ أي في القرن الرابع الميلادي ـ هو إفراط في الأوهام والخلط جعل الرافعي يظن أن ألفاً وثلاثمائة سنة تضحك منه ضحكاً يهز قبور الأدباء. ويهمنا هنا تأكيد أن زمن امرىء القيس معروف، فقد توفي امرؤ القيس قبل الهجرة النبوية بثمانين عاماً، وهو في الخمسين من عُمره. ولذلك تتفق الدراسات على أنه وُلد حوالي عام ٤٩٧م (قبل الهجرة بمائة وثلاثين عاماً) وعاش زهاء خمسين سنة وتوفي بأواسط القرن السادس الميلادي ما بين عام ٥٤٠ وعام ٥٤٥م فمزاعم طه حسين عن زمنه غير صحيحة.

الأمر الثالث: يتمثل في قول طه حسين: «وأعجبُ من هذا أنك لا تجد مُطلقاً في شعر امرىء القيس لفظاً أو أسلوباً أو نحواً من أنحاء القول يدلُّ على أنه يمني»(اهـ) وكلام طه حسين هذا مُغْرِقٌ في عدم الصحة. فالحقيقة أن كل شعر امرىء القيس يؤكد أنه يمني. فكلمة « . . لا تجد مُطْلقاً . . » يكفي لتفنيدها قول امرىء القيس:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ   دَمُّونْ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ
وإِنَّنَا لأَهْلِنَا مُحِبُّونْ[٣]

ودَمُّونْ مدينة يمنية تليدة في منطقة قبيلة كندة بمحافظة حضرموت. وقد جاء ذكرها في نقش مُسند باسم «سعد تالب بن جدن كبير أعراب سبأ وكندة ومذحج وحريم وبهلم وزد إل، وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويُمانت». ويذكر النقش أن سعد تالب قام بتقديم قربانٍ إلى معبد الإله بمناسبة عودته من مهمة كلفه بها الملك الحميري ذمر علي يُهبر سار خلالها إلى عدة مدن ومناطق منها « . . تريم. وتَوَجّه من

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ٢١٥.
(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٧.
(٣) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٦.

تريم إلى دَمُون/ ومشطه/ وعرّ كليب»[1] وتقع دمون بجوار مدينة تريم، وتليها عدة قرى ثم مدينة مشطة ثم عدة قرى وينحدر المنحدرُ منها إلى مسفلة حضرموت وفيها عرّ بني كُليب في واد يمتد إلى المهرة. فمدينة دمُون مذكورة في مصدرين قديمين، أحدهما ذلك النقش المُسند الحميري الدهري وثانيهما شعر امرىء القيس. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك الشعر حيث قال: «بلادُ كِنْدَة من جبال اليمن مما يلي حضرموت، وكان لهم بها ملوك وقاعدتهم دَمُّون ذكرها امرؤ القيس في شعره»[2]. وقال ابن خلدون أيضاً: «بلاد كندة في شرقي اليمن، ومدينة مُلكهم دمون. وكان التبابعة يصاهرونهم ويولّونهم على بني معد بن عدنان بالحجاز»[2] وقال الحسن الهمداني في الصفة: «بلد كندة من أرض حضرموت.. منها عَنْدَل مدينة عظيمة.. وجودُون، وهَدُون، ودَمُّون.. وساكن دمُّون بنو الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المرار الكندي»[3] وقال في الإكليل: «..وفي دَمُّون وعَنْدَل يقول امرؤ القيس:

كأنّي لم أزجُرْ بِدَمُّون مَرَّةً ... ولم أشهَدِ الغارات يوماً بِعَنْدَلِ»[4]

لقد كانت دمون قاعدة رئاسة كندة ومقر ومسكن بني الحارث الملك ابن عمرو بن حُجر آكل المُرَار الكندي، فهي مدينة امرىء القيس وأبيه وأعمامه وجده الحارث الملك ابن عمرو.. فجميعهم من دَمّون.. وقد رأينا في مسند القائد سعد تالب بن جدن ـ سالف الذكر ـ أنه (**كبير أعراب سبأ وكندة ومذحج.. وكل أعراب سبأ وحِمْيَر وحضرموت ويُمانت**) فهو قائد وكبير كل أعراب اليمنيين من كل قبائل ومخاليف اليمن في زمن ذلك النقش.. ويكشف لنا شعر امرىء القيس أن جده الحارث بن عمرو كذلك كان.. فقد قال امرؤ القيس يذكر أمجاد جده الحارث:

ويغزو بأعراب اليمانيين كلّهم ... له أمرهم حتى يحلّ المُشقَّرا

فقد كان له أمر أعراب اليمانين كلهم، وليس لتلك المرتبة والصفة ذكر إلا في شعر امرىء القيس ونقوش المُسند. لقد ذكرت الروايات التاريخية أنه «لَمَا مَلَكَ تُبّع بن حسان على حِمْيَر، بعث بابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ.. فجاء الحارث إلى بلاد معدّ والحيرة، وقد ولّاه تُبّع بن حسان»[5].

---

(١) في تاريخ اليمن ـ النقش رقم ٣٢ كهالي.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨٤ و٦٦٢.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص ١٧٠.
(٤) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ١٦/ ٢.
(٥) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨٢.

ولكن شعر امرىء القيس يُوضح أن ذلك الجيش الذي سار مع الحارث هم (أعراب اليمانيين) ويتطابق ذلك مع وجود تلك المرتبة والصفة في نقوش المسند. وقد سار مع الحارث أربعة من أولاده، كانوا في دَمُّون باليمن بها نشأوا وعاشوا ومنها ساروا فرساناً أُمراء، فولّاهم الحارث على مناطق من نجد والحجاز والبحرين إلى تخوم الحيرة، وهم شُرحبيل، وسَلَمَة، ومعدي كرب، وحُجر والد امرىء القيس فكانوا ولاة ملوكاً على تلك المناطق وقبائلها. وكانت مدينة (قُرَيّة) في نجد مقر ملوكية حُجر والد امرىء القيس. وقد أكدت التنقيبات الأثرية أن مدينة (قريّة) كانت عاصمة ملوكية كندة في إقليم اليمامة ونجد، فهي مدينة يمنية بكل آثارها وتاريخها وبيئتها. . وقد عاش فيها امرؤ القيس فترة من طفولته وشبابه، ثم غضب أبوه من مغامراته الغزلية، فأعاده إلى دَمُّون، وعن ذلك جاء في كتاب الجامع أنه «لما زاد عبث امرىء القيس ولَهْوه أبعده أبوه إلى دمون بحضرموت موطن آبائه وعشيرته وهو في نحو العشرين من عمره»[1]. ويدل شعر امرىء القيس بأن عبقريته الشعرية لم تبدأ إلّا وهو في نحو العشرين من عمره، ففي اليمن بدأت شاعريته تتجلى، وتفتقت له عيون الشعر.

لقد أقام امرؤ القيس في دَمُّون بحضرموت زهاء خمس سنين، يأمر ويزجُر في دَمُّون، ويشهد الغارات بِعَنْدَلِ. وتطاول الليل عليه في دَمُّون فقد كان يتوق إلى حياة اللهو والصيد والغزل والمتعة، ولم يكن ذلك مُتاحاً في دَمُّون، ولَمّا أَرخى عليه الليلُ سدوله بأنواع الهموم انطلق إلى غير دمُّون من مناطق اليمن، يُبَدِّدُ الليل بصباح (سَرْو حِمْيَر) ويُنادِم أقيال حِمْيَر، ويرتادُ المواطن المُمرعة في وديان (تَبَالة) و (بيشة) ويتأمل أطلال وقصور وتماثيل مُدن كانت شامخة في (هَكِر) و (ناعط) وغيرها، وتُدارُ عليه كؤوس الشراب من (كروم شِبام الغراس) ويصف الخيل والمطر وانحدار السيول من الجبال، وغير ذلك من معالم حياته في اليمن التي تنطق بها أشعاره. فقد عاش زهاء خمسة عشر عاماً في ربوع اليمن منذ أعاده أبوه إلى دَمُّون وهو في نحو العشرين من عمره حتى الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً.

لقد زعم طه حسين بأنه لا يوجد في شعر امرىء القيس ما يدلُّ على أنه يمني، بينما الحقيقة أن أشعار امرىء القيس تؤكد يمنيته وتنطق بمعالم حياته في اليمن، ابتداءً من (دَمُّون) التي أقام بها زهاء خمس سنين، وكانت دَمُّون مقر رئاسة كندة في حضرموت، وكان أحد أعمامه أميراً (قَيْلاً) لكندة، كما كان خاله (يزيد بن كبشة) والياً لأعالي حضرموت. وفيهما قال امرؤ القيس:

خَالي ابْنُ كَبْشَةَ قَدْ عَلِمْتَ مَكانَهُ وأَبُـو يـزيـدَ وَرَهْـطُـهُ أعْـمَـامِـي

---

(١) الجامع ـ بامطرف ـ ص ٩٦.

وقد جاء اسم (يزيد بن كَبْشَة) وأنه (أسير كندة وأغاني حضرموت) في نقش مُسند يذكر الملك (معدي كرب بن سُمَيْفع ذي جَدَن ملك مَشْرِقن)[١] وقد حكم معدي كرب بن سميفع مناطق حِمْيَر والنصف الشرقي من اليمن في ذلك الزمن، وكان ابن أخيه (مَرْثَد بن شُرحبيل بن ذي جَدَن) أميراً قَيْلاً بمناطق شبوة وأَبْيَنْ. وفيه قال امرؤ القيس:

وإذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الخَيْرَ رَبَّنَا ... وإذْ نحنُ لا نَدْعو عبيداً لقَرْمَلِ

وقد جاء في كتاب الأغاني أنه « نزل امرؤ القيس بِقَيْلٍ يُدْعَىٰ مَرْثَد الخير بن ذي جَدَن الحميري وكانت بينهما قرابة»[٢] . وجاء في الديوان « مَرْثَد الخَيْر: مِنْ أقيال حِمْيَر» أما (قرمل) فقد قال نشوان الحميري في شمس العلوم: « قَرْمَلُ ابن عمرو بن قَطَن: ملكٌ مِنْ ملوك حِمْيَر، قال امرؤ القيس:

وكُنَّا أُنَاساً قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ ... وَرِثْنَا العُلَى والمَجْدَ أكْبَرَ أكْبَرَا»[٣]

وكان قرمل ملكاً قَيْلاً من آل ذي رُعَيْن بمناطق ذي رُعَيْن مِن (سَرْو حمير) . وكان (سَرْو حِمْيَر) أخصب مناطق أقيال حِمْيَر ومعاقلهم ويمتد من (يافع) إلى مخاليف ذي رعين (عمار، الشِعر، النادرة، يريم، بعدان) وغيرها بمحافظة إب حالياً وإلى (موكل) و (هِكَر) في رداع وناحية عنس (بمحافظتي البيضاء وذمار حالياً) . قال مالك بن حريم الهمداني:

ونحنُ جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ سَرْو حِمْيَرٍ ... إلى أن وطِئْنَا أرضَ خَثْعَمَ أجْمَعَا

يقودُ بأرْسَانِ الجِيَادِ سَرَاتُنَا ... لِيَنْقَمْنَ وِتْراً أو لِيَدْفَعْنَ مَدْفَعَا

تَرَىٰ المُهْرَةَ الرَّوْعَاء تَنْفُضُ رأسَهَا ... كُلالاً وأيْناً، والكُمَيْتَ المُفَزَّعَا

وقال امرؤ القيس:

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَىٰ ضَوْءَ بارقٍ ... يُضِيءُ الدُّجَا بالليلِ مِنْ سَرْوِ حِمْيَرا

وقد جاء في هامش البيت بالديوان: « سرو حِمْيَر: أعالي بلاد اليمن»[٤] . والصواب أن « سرو حمير: جنوب ووسط اليمن، ومنها يافع والضالع ومخلاف ذي رعين بمحافظة إب» . وكان امرؤ القيس يُكْثِرُ الإقامة عند أقوال حمير وهم الأقيال

---

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ والجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح.

(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٨/٦.

(٣) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٨٦.

(٤) ديوان امرىء القيس ـ ص ٥١.

وكانوا كالملوك في مناطقهم، فكان يُنادمهم في الشراب إذْ لديهم أجود الخمور والنبيذ، ويشاركهم في (المَخْيَلة) أو سباق الخيل. ويتجلى ذلك في قول امرىء القيس:

لَعَمْرُكَ ما إنْ سَرَّنِي وَسْطَ حِمْيَرِ ... وأقْوَالِهَا إلّا المخيَلَة والسَّكَرِ

وجاء في هامش هذا البيت بالديوان: «حِمْيَر قبيلةٌ يمنية شهيرة. وأقوالها: ملوكها لأن القَيْل عندهم بمنزلة الملك أو هو الذي يليه في السلطان. السكر: الشراب المُسكِر» [ص ٥٩] ـ وكان من أقيال حِمْيَر آنذاك مَرْثد الخير بن ذي جَدَنْ، وقرمل بن عمرو بن قَطَنْ، وآل عبد كلال بن ذي رُعَيْن بمخاليف ذي رُعين إلى المعافر (تعز) وذو فائش الحميري في إرياب (يريم - إب). وكان آل عبد كلال بن ذي رُعَيْن وآل ذي فائش يدينون بالديانة المسيحية وبمناطقهم كنائس ورُهبان، وقد أشار امرؤ القيس إلى الرهبان إذْ يقول:

أتَتْ حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحت ... كخط زبورٍ في مصاحف رُهْبَانِ

وفي عبد كلال ابن ذي رعين الحميري قال نشوان:

أم أيْنَ عَبْد كُلَالٍ الماضي على ... دين المسيح الطاهر المَسَّاح

وكان عبد كلال من ملوك اليمن الحميريين التبابعة في القرن الرابع الميلادي وهو (ذو رُعَيْن) المذكور في قول امرىء القيس عن بعض عظماء الملوك الحميريين التبابعة القدماء:

أَلَمْ يُحْزِنْكَ أنَّ الدَّهْرَ غَوْلُ ... خَتُولُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالا
أزالَ مِنَ المَصَانِعِ ذا رِيَاشٍ ... وقَدْ مَلَكَ الحَزُونَةَ والرِمَالا
هُمَامُ طَحْطَحَ الآفاق دَحْياً ... وسَاقَ إلى مَشَارِقها الرِّعالا
وأنْشَبَ في المخَالِبِ ذَا رُعَيْنٍ ... ولِلزَّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الحِبَالا

قال مُحقق الديوان «ذو رياش: هو أحد ملوك اليمن التبابعة» وقال الهمْداني: «الحارث وهو الرائش بن إلي شدد.. وقد يُقال ذو رياش، ومن يقول ذلك يُنْشِدُ بيت امرىء القيس:

أَزَالَ مِنَ المَصَانِعِ ذا رِيَاشٍ ... وقَدْ مَلَكَ الحَزُونَة والرِمَالا[1]

وقد ذكر امرؤ القيس في تلك القصيدة ذا رياش وهو الرائش وذا القرنين وذا

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢/٥٢.

رُعين والزَّرَّاد وهو ذو نواس ـ غالباً ـ وقد قال امرؤ القيس تلك القصيدة وهو باليمن ربما في مجلس من مجالس أقيال حِمْيَر. وكانت مجالس أقيال حِمْيَر تفوحُ بأغلى الطيوب والبخور اليمنية الحميريّة التي كان يصنعها اليمنيون ويتاجرون بها، ويقتنيها الملوك والأقيال والأثرياء وتتطيبُ بها بعض النساء. وينطق شعر امرىء القيس حتى بأسماء تلك الطيوب والبخور المذكورة في مصدرين فقط هما نقوش المسند وشعر امرىء القيس. قال امرؤ القيس:

وريْـحَ سَـنـاً فـي حُـقَّـةٍ حِـمْـيَـرِيَّـةٍ تُخَصُّ بِمَفْرُوكٍ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا

وبَـانـاً وأُلْـوِيـاً مِـنَ الـهِـنْـدِ ذَاكِـيـاً وَرَنْـداً ولُـبْـنَـىٰ والـكِـبَـاءَ الـمُـقَـتَّـرا

(الحُقَّةُ الحميرية: وعاء الطيوب والبخور. والمفروك: المِسْك الجيد. والأذفر: شديد النكهة). قال د. محمد بافقيه: «في هذين البيتين قائمة بأنواع الطيوب التي صنعها اليمانيون أو تاجروا فيها وعُرِفوا بها في كل ديارهم.. وفي بيته الثاني نَجِدُ (الرند) و (اللُّبْنَىٰ) اللذين يُذكِرانا بالمباخر الأثرية في متحف عدن والتي حُفِرَت عليها ألفاظُ بالخط المُسند هي: رَنْد. لُبْنَى»[١]. فمجيء أسماء البخور والطيوب اليمنية في النقوش على المباخر الأثرية الحميرية وفي شعر امرىء القيس من الشواهد التي لا تخطىء دلالتها على مدى عراقة ويمنية شعر امرىء القيس، فما أحد بعد الإسلام كان يعرفُ أو يذكر تلك الأسماء والألفاظ. وقد جاء في هامش قوله: «حُقَّة حَميرية» بالديوان أنه «قد خَصّ الحُقَّةَ الحميرية لأن أكثر ملوك العرب من حِمْيَر، فحُقَّتهم تُخَصُّ بأطيب الطيوب». وأقول: لأنه أيضاً كان يُجالِسُ أقيال حِمْيَر الذين كانوا بمثابة ملوك على مناطقهم ومخاليفهم في أرض (سرو حِمْيَر) وغيرها من أرجاء اليمن التي كان يرتادها ويقيم فترات فيها، ومنها هَكِر.

قال الهمداني في الإكليل: «هَكِر ببلد عنس على جبل أبيض إلى حُمرة، وعليه قصر هَكِر، قال أسعد تُبَّع:

وَمَـا هَـكِـرٌ مِـنْ دِيَـارِ الـمُـلُـوكِ بِـــدَارِ هَـــوانٍ وَلَا الأَهْـــجُـــرُ

وقال امرؤ القيس:

هُـمَـا ظَـبْـيَـتَـان مِـنْ ظِـبَـاءِ تَـبَـالَـةٍ عَلَى جُوءْذُرَيْنِ كَبَعْضِ دُمَىٰ هَكِرْ»[٢]

وجاء في هامش هذا البيت بديوان امرىء القيس: «تَبَالَةُ مدينةٌ خصبةٌ باليمن. والجُؤذر: ولد البقرة. والدُمَى: الصور. وهَكِر: مدينة باليمن يظهرُ أنه كانت بها مدينة

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ٣٠٤/ ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٨/ ٨.

قديمة وصور منحوتة على شبه النساء كأبدع ما يُصور الإنسان»[١] وبالفعل كذلك كانت مدينة هكر وقد جاء ذكرها في نقوش المُسند التليدة كمركز من مراكز الملوك الحميريين.
وقال نشوان: «هَكِرُ: موضع باليمن كانت ملوك حميرَ تسكنه.. قال حسان (بن ثابت):

وفـي هَـكِـرُ قَـدْ كَـانَ عِـزُّ ومَـنْـعَـةُ ... وذُو ثَـاتَ قَـيْـلُ مـا يُـكَـلَّـمُ قَـائِـلُـهْ

وذو ثات: قَيْلٌ مِنْ أقيال حِمْيَر مِنْ آل ذي رُعَيْن وهو ذُو ثات بن عَرِيب بن أيمن بن شرَحْبِيْل»[٢].. وتقع هَكِر في منطقة عنس (بمحافظة ذمار) وكانت مركز قيالة ورئاسة آل ذي ثات الحميريين، وكان في قصر هَكِر منحوتات وتماثيل على شبه النساء كأبدع ما يصوّرها الإنسان شاهدها وذكرها امرؤ القيس في شعره، ولم يذكرها سواه، وقد صارت هَكِر أطلالاً بعد عِزّها التليد.

وكان امرؤ القيس يرتاد منطقة شِبَام الغِراس وهي مشهورة بإنتاج أنواع الكروم (العنب) ومن كرومها كانوا ينتجون خمرة مشهورة بالجودة وشدّة الاحمرار. وتقع شِبَام الغِراس في ناحية بني حشيش بمحافظة صنعاء وما تزال تنتج أجود أنواع الكروم (العنب) حتى اليوم. وقد ذكر امرؤ القيس خمر وكروم شِبَام، ففي قصيدة له بالديوان قال امرؤ القيس:

فَظَلَلْتُ في دِمَنِ الدِّيَار كأنَّنَي ... نَـشْـوانُ بَـاكَـرَهُ صَـبُـوحُ مُـدَامِ
أُنُـفُ كَـلَـونِ دَمِ الـغـزالِ مُـعَـتَّـقُ ... مِـنْ خَـمْـرِ عَـانَـةِ أو كُـرُوم شِـبَـامِ

وكانت شبام الغراس من مناطق همدان (حاشد وبكيل) التي تمتد في محَافظات صنعاء وعمران وحجَّة وصعدة، وكانت مدينة (نَاعِط) العاصمة الإدارية لمناطق همدان وخولان وقُضَاعة بأعالي اليمن في الدولة الحميريّة. وتقع ناعط في محافظة عمران حالياً، وقد ذكرها امرؤ القيس حيث يقول:

«هـو الـمُـنْـزِلُ الأُلّافِ مِـنْ جَـوِّ نـاعِـطٍ»

وجاء في هامش البيت بالديوان «ناعط: جَبَلٌ باليمن من أرض همدان»[٣] وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «نَاعِطُ جبلٌ باليمن كانت ملوك حمير تَسكُنُه ولهم فيه بِناءٌ عجيب» وقال نشوان: «قال عَلْقَمَةُ بن ذي جَدَن في لَمِيس بنت أسعد تُبَّع:

ولَـمِـيـسُ كَـانَـتْ فـي ذُؤابَـةِ نَـاعِـطٍ ... يَجْبِي إِلَيْهَا الخَرْجَ سَاكِنُ بَرْبَرِ»[٤]

---

(١) ديوان امرىء القيس ـ ص ٥٩.
(٢) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٧.
(٣) ديوان امرىء القيس ـ ص ٥١.
(٤) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٠٤ و٩٦.

وفي ناعط وغيرها من مناطق همدان وخولان وقُضَاعة أطلال مدائن تليدة منذ عصور سبأ وأزمنة لميس وغيرها من ملوك وملكات تلك الأزمنة. . تُذكِرنا بقول امرىء القيس:

عُوجا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيل لعَلَّنا نَبْكِي الدِّيَارَ كما بَكَىٰ ابنُ خِذَامِ
دَارٌ لِهِنْدٍ والرَّبَابِ وفَرْتَنَا، وَلَمِيْسَ قَبْلَ حَوَادثِ الأيامِ

وابن خِذَام هو امرؤ القيس ابن خِذَام الكلبي القُضاعي الحميري الذي به اقْتَدى امرؤ القيس الكندي في الوقوف والبكاء على الديار.

ووقف امرؤ القيس عند أطلال مدائن خولان ومأرب أو قصر جَيْهم في جهم وصرواح، وقصر ذي حزفر بمأرب. قال نشوان في شمس العلوم: «جهم ـ بالفتح ـ، جَيْهَمُ: اسم موضع، وجَيْهَمُ اسم ملكٌ من ملوك حِمْيَر وهو جَيْهم بن حيّ بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة. قال امرؤ القيس:

فَمَنْ يأمَنُ الأيام مِنْ بعد جَيْهَمٍ فَعَلْنَ به كَمَا فَعَلْنَ بِحَزْفَرَا

. . وذو حَزْفَر بن شرحبيل بن الحارث مَلِكٌ مِنْ ملوك حِمْيَر وهو أحد المثامنة»[١]. وقال نشوان: «القَشِيْبُ قصر بمأرب سُمّي بالذي بَنَاهُ وهو القشيب بن ذي حَزْفَر ملكٌ مِن ملوك حِمْير»[١] وقد تم العثور في أطلال مأرب على نقش مسند باسم (ريمان ذي حَزْفر) وهو من كبار الأذواء المثامنة في دولة التبابعة، وكان قصر ذي حزفر بمأرب من القصور التليدة ثم انتهى آل حزفر وصار القصر أطلالاً، ولذلك قال امرؤ القيس: (فَمن يأمنُ الأيام. . فَعَلْنَ به كما فَعَلْنَ بِحَزْفَرَا) أي بذي حزفر صاحب قصر القشيب بمأرب.

وكان امرؤ القيس يقطع في مسيره من حضرموت إلى مأرب والجوف والسَرَاة وادياً شاسعاً مُقفراً يُقال له (جوف حِمَار) وقد ذكر صاحب (مجمع الأمثال) وابن قُتيبة أنه «قال الأفوه الأودي:

وبشؤمِ الجَور والبَغْي قَدِيماً قَدْ خَلا جَوْفُ ولَمْ يَبْقَ حِمَارُ»

وهو جوف حِمار، منسوبٌ إلى حِمَار بن مُوَيْلع، وكان باغياً غاشماً، فأحرقته هو ومنطقته صواعقُ من السماء، فأقفر ذلك الوادي وكان لا يستجرىء أحدٌ أن يسكن فيه. وضُرِب به المثل: «أخْلَى مِنْ جوف حِمار». قال ابن قتيبة: «هو جوف مُراد اليوم، وإياه عَنَى امرؤ القيس بقوله:

ووادٍ كجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ به الذِّئْبُ يَعْوي كالخَليع المُعَيَّلِ

---

(١) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٣ و٢٧ و١٨٦.

أراد جوف حمار» (اهـ) وهذا البيت من معلقة امرىء القيس، وهو من الدلائل على أن امرأ القيس قال قصيدته المُعلقة وهو في اليمن، فقوله في المُعلقة:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرخَىٰ سُدُولَهُ عَلَيّ بأنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلي
فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأرْدَفَ إعْجَازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ
ألَا أيّها اللّيلُ الطّوِيلُ ألّا انْجَلِي بِصُبْحٍ وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بأمْثَلِ

ذلك الليلُ هو المذكور في قوله:

تَطَاوَلَ اللّيلُ علينا دَمُّونْ دَمُّون إنّا مَعْشَرُ يمانُون

وقد أخذ امرؤ القيس بتبديد ذلك الليل الطويل بارتياد مناطق (سرو حِمْيَر) وغيرها من أرجاء اليمن كما سلف التبيين. وقد كان يبدو لي أن قوله: (ووادٍ كجوف العَيْر قَفْرٍ قطعته.. إلخ). يعني إحدى وديان حضرموت الشاسعة المقفرة، ثم وجدتُ النبأ اليقين في تبيين ابن قُتَيبة بأنه (جوف حِمَار). وقد ذكره نشوان في شمس العلوم قائلاً: «الجوفُ وادٍ باليمن تسكنه هَمْدَان وهو الذي يُقال له جَوْف حِمَار، نُسِبَ إلى حِمَار بن نصر بن الأزد وكان له بنونَ فماتوا، فحَلَف لأُمِيتَنّ مَنْ أحْيَا اللّهُ مِنْ أهل الجوف، فقتل أهل الجوف حتّى أفْنَاهم وأخْلَى الجوفَ. فضربت به العربُ المَثَل فقالوا: هو أخْلَى من جَوف حِمَار»[١] وقال نشوان أيضاً: «ويُقَال لِكُلّ موضع خالٍ هو كجَوفِ العَيرِ لأنّه ليس فيه شيء يُنتفعُ به. وقِيلَ هو رجل من الأزْدِ كان بالجوف فَقَتَلَ أهله حتى أفْنَاهم وأخْلَى الجوفَ منهم، فقيل لكل خال هو كجوف العَيْر»[١]. وقد قال ابن قتيبة: «هو جوف مُراد اليوم» بينما قال نشوان: «..تسكنه همدان وهو الذي يُقال له جوف حمار» ويجمع القولين أنه كانت مراد تسكن مناطق من الجوف وهمدان تسكن مناطق من الجوف وما تزال حتى اليوم، وكان قسماً شاسعاً من الجوف يمتد إلى حضرموت قد صار خالياً مُقْفِراً لا يستجرىء أحد أن يسكنه وهو المُسمى (جوف حِمار) والذي يُقال له وفيه (كجوفِ العَيْر). وقد نَصّ ابن قتيبة على أنه: «جوف مُراد.. وإياه يعني امرؤ القيس بقوله:

ووادٍ كجوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه به الذئبُ يَعْوي كالخَليع المُعَيّلِ[٢]
فقُلْتُ له لَمّا عَوَىٰ إن شَأنَنا قَلِيلُ الغِنَىٰ إنْ كُنْتَ لمّا تَمَوّلِ[٢]

---

(١) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٣ و٧٩.

(٢) الخليع: الذي خلعه أهله وطردوه. المُعيل: ذو العيال؛ شأننا: أي حالي وحالك. لمّا تموّل: لمّا تُصِبْ مالاً.

كِـلَانـا إذا مَـا نَـالَ شـيـئـاً أفَـاتَـهُ ومَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وحَرْثِكَ يَهْزِلِ[١]

ثم قال:

وقد أغْتَدِي والطَّيْرُ في وكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

قال ابن قتيبة: «. . وامرؤ القيس: أولُ مَنْ قَيَّدَ الأوابِدَ. . يعني في قوله في وصف الفرس (بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ. .)»[٢] والمُنْجَرِد: الماضي في السير، وهو الفرس قصير الشعر، والأوابد: الوحوش. والهيكل: الفرس العظيم الجسم. يريدُ: إن هذا الفرس يلحقُ الأوابد فيصيرُ لها بمنزل القَيْد. ومَضَىٰ امرؤ القيس في وصف خيله وقال:

مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَـعـاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وقوله (مِكَرٍّ مِفَرٍّ: أي معاودٍ للكرّ والفرّ. والجلمود: الصخر الأصم. مِنْ عَلِ: مِنْ مكانٍ عالٍ مُرتفع). فالسّيل عندما ينحدر من مرتفعات وجبال حضرموت أو مأرب والجوف أو سَرْو حِمْيَر يدفعُ في انحداره الصخر الأصم. فتشبيه امرؤ القيس جاء من الواقع في اليمن بصفة عامة ومن مسيره بخيله إلى الجوف قاطعاً (جوف حِمَار) وبالغاً (أرحب الجوف) وهي مناطق أرحب الهمدانية العامرة بالجوف ـ بصفة خاصة ـ وهو ما يَتَجَلّى في قول امرىء القيس:

وَقَـدْ أَقُـودُ بِـأقـرابٍ إلـى حـرضٍ إلى جَمَاهِيْرَ رَحْبَ الجَوْفِ صَهَّالا

وجاء في هامش هذا البيت بالديوان «يعني أقودُ فرساً واسع الجفرة كثير التصهال»[٣] وهو فرسه (المُنْجرد، الهيكل، المِكَرّ، المِفَرّ) في المعلقة، فهو يقوده ويغتدي به إلى (رحب الجوف) وهي (أرحب الجوف). وجاء في الإكليل: «قال أبو رُهَم بن مُطْعِم:

«وفارقتُ بطن الجوفِ نَشْقاً وأرْحَبَا»

[ص ١٥٤/ ١٠]

أي نَشق الجوف، وأرحب الجوف. وقد ذكر امرؤ القيس في المعلقة بعض ذكرياته الغرامية وأيام لهوه عندما كان في نجد، ولا يتعارض ذلك مع كونه قال القصيدة وهو باليمن، فتلك الغراميات كانت السبب في إبعاد وإعادة أبيه إياه إلى

---

(١) أفاتَه: أضَاعَهُ ولم يحرص عليه. يحترث حرثي وحرثك: يفعل فعلي وفعلك. وكنات الطير: مواقع الطير، واحدتها كنة.

(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٥.

(٣) ديوان امرىء القيس ـ ص ٢٣٤ ـ الأثل: شجر معروف. بيشة: واد باليمن مشهور بالأسود. الغميم: وادٍ بالأعراض. (الديوان).

دَمُّون باليمن فذكرها في قصيدته المُعَلَّقة لأنَّها من ذكريات أيام صبابته. أما (الليل الطويل) و (قطع وادي الجوف) و (السيل المنحدر) و (خيله المنجرد.. الصَهّال) فكل ذلك كان في فترة حياته باليمن.

ويتبين من شعره أيضاً أنه كان يرتاد ما يلي الجوف ونجران من مناطق سَرَاة أعالي اليمن ذات المواطن الممرعة والوديان الخصيبة والأشجار والحيوانات التي كانت كثيفة وهي مناطق تَبَالة وبَيْشة التي تمتد إلى تخوم الطائف وإلى أعراض جبل العارض المُمْتَدّ من آخر مخلاف نجران إلى اليمامة. وقد سلف قوله:

«هُـمَـا ظبـيـتـان مِـنْ ظبـاء تَـبَـالـة..»

وجاء في هامش البيت بالديوان «تبالة: مدينة خصبة باليمن». وكذلك كان يرتاد وادي بَيْشة ذي الأشجار والغابات والحيوانات، وقد ذكره امرؤ القيس حيث قال:

كـأَثْلٍ مِنَ الأَعْـرَاضِ مِنْ دُونِ بَيْشَـةٍ وَدُون الغُـمَيْـم عـامدات بِغَضْـوَرَا[1]

وكانت بيشة والأعراض منتهى حدّ أرض اليمن شمالاً وتتاخمان الطّائف والمناطق التابعة لمكة من الحجاز.

وكان في الطريق بين حضرموت والجوف وَسَراة أعالي اليمن وبين الحجاز واحة فيها شريعة ماء يشربُ ويستقي منها الناس وبالقرب منها عينُ ماء لا يرتادها الناس في مكان يُقال له (ضارج)، فكانت الحُمُر الوحشية تتجنب واحة شريعة الماء خوفاً من سِهام الرُماة وتسير إلى عين ضارج، وكان ذلك أيام امرىء القيس، وَوَصَفَ ذلك في شعره. ثم اندثرت شريعة الماء، وسلك ذلك الطريق وَفدٌ من اليمن إلى النبي ﷺ فأحياهم اللّه ببيتين من شعر امرىء القيس عن تلك الشريعة وعين ضارج. فقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة عفيف بن معدي كرب ـ عم الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ـ قال: «بَيْنَما نحن عند رسول اللّه ﷺ إذْ أَقْبَلَ إليه وَفْدٌ مِنَ اليمن فقالوا: يا رسول اللّه لقد أَحْيَانَا اللّهُ ببيتين من شعر امرىء القيس..»[2] وجاء في نص ابن قُتَيْبَة وابن الكلبي أنه: «أَقْبَلَ قومٌ من اليمن يريدون النبي ﷺ فَضَلُّوا الطريقَ، ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء.. وبَيْنَما هُم كذلك أَقْبَلَ أعرابيٌّ راكبٌ على بعير، وأَنْشَدَ بعض القوم ـ أي سَمع بعضهم يُنْشِد:

لَـمَّـا رأتْ أَنَّ الـشَّـرِيـعَـةَ هَـمُّـهـا وأَنَّ الـبَـيَـاضَ مِـنْ فَـرَائِـصِـهَـا دَامِـي

(١) ديوان امرىء القيس ـ ص ٢٣٤ ـ الأثل: شجر معروف. بيشة: واد باليمن مشهور بالأسود. الغميم: وادٍ بالأعراض. (الديوان).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حَجَر العسقلاني ـ ص ٢/٤٨٧.

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طامِي

فقال الراكب: مَنْ يقول هذا الشعر؟ قالوا: امرؤ القيس، قال: واللّه ما كَذَبَ هذا ضارجُ عندكم. وأشار لهم إليه، فأتوه فإذا ماءٌ غَدِقٌ، وإذا عليه العَرْمَضُ، والظلُّ يَفِيء عليه، فشربوا منه وارْتَوَوْا، ولولا ذلك لهلكوا. وساروا حتَّى بَلَغُوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول اللّه لقد أحْيَانَا اللّهُ ببيتين من شعر امرىء القيس فأخبروه الخبر»[١]:

فقول امرىء القيس (لمّا رأتْ أنّ الشريعة هَمُّها..) أي أن الحُمْر الوحشية لما أرادت شريعة الماء، وأدركت (أنّ البياض من فرائصها دامِي) أي خافت من الرُماة، فالفرائصُ: لحمتان عند نغض الكتف ترتعدان عند الفزع، فخافت الحُمُر أن تدمى فرائصها بسهام الرماة إذا ارتادت واحة شريعة الماء. فتحولتِ الحُمُر الوحشية إلى عين الماء التي عند ضارج فشربَت آمنةٌ، يفيء عليها ظِلُّ النباتات الطحالب وهي العَرْمَض الطامي، أي نبات الطحلب المرتفع. وعندما سَلَكَ أولئك القوم تلك الطريق في مسيرهم من اليمن لم يجدوا في مكان الشريعة ماءً لأنها اندثرت أو تصحَّرت، فذكروا شعر امرىء القيس بأن الحُمُرَ كانت تقصدُ العين التي عند ضارج، فتساءلوا عن المكان المُسمّى ضارج، فقال لهم الأعرابي: هذا ضارج، وأشار إلى المكان، فساروا إليه فَوَجدوا عين الماء وعليه العرمضُ المُرتفع يفيءُ ويغطي عليه، فشربوا من الماء وارتووا، فأحيَاهم اللّه بالبيتين من شعر امرىء القيس. ويدلُّ ذلك أيضاً على أن اليمنيين كانوا يحفظون ويروون أشعار امرىء القيس حتى ظهور الإسلام.

ويتبين من مُجمل ما سلف أن أشعار امرىء القيس تنطق بمعالم حياته في اليمن، وبأن اليمن: مُدنها ومناطقها وقصورها وأطلالها وملوكها وأقيالها ووديانها وسيولها وخيولها وحيواناتها وخمرها وطيوبها وبخورها وكتابتها وزُبرها، كل ذلك يتألق في شعر امرىء القيس فاليمن محور أغلب شعر امرىء القيس، وقد عاش باليمن إلى أن أتاه خبر مقتل أبيه الملك حُجر بن الحارث الكندي على يد جماعة من بني أسد في نَجد، وكان ذلك عام ٥٣١ ميلادية، وكان امرؤ القيس في نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وقد أتاه الخبر وهو في دَمُّون بحضرموت، فقال عن ذلك أشعاراً وهو ما يزال في دمون. ثم سار بفرسان كندة وكتائب من فرسان حِمْيَر أَمَدَّه بهم مَرْثد بن ذي جدن، فتولى الأمر في عاصمة الحكم الكندي في نَجْد، وطارد بني أسد، وقَتَل جماعات منهم، وتتبعهم حتى هروب بقيتهم إلى المنذر بن ماء السماء ملك إقليم الحيرة بالعراق، ثم اندلع الصراع بينه وبين المنذر، فكان شعر امرىء

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٢.

القيس حتى في هذه المرحلة بنجد شعر زعيم يماني يُحارب من أجل استعادة مُلك آبائه وأجداده، ويتنقل ويقيم عند رؤساء وقبائل طيء اليمنيين في نجد، وسط بيئة يمنية، ولم يزل كذلك حتى سار إلى الملك الحارث بن أبي شمَّر جَبَلة الغساني اليماني ملك غسان والعرب بالشام، فوجَّهَه وكتب له الحارث إلى القيصر جوستنيان لِيَمدّه بقوة لمحاربة المنذر ملك الحيرة واستعادة مُلْكِه. وقال عند مسيره إلى قيصر:

بَكَىٰ صَاحِبِي لَمَّا رأىٰ الدربَ دُونَهُ وأيْـقَـنَ أنّـا لاحِـقَـانِ بِـقَـيْـصَـرَا
فـقـلـتُ لَـهُ: لا تَـبْـكِ عَـيْـنُـكَ إنَّـمَـا نُـحَـاوِلُ مُـلْـكـاً أوْ نَـمُـوتُ فَـنُـعْـذَرا

ومات امرؤ القيس قبل الهجرة بثمانين عاماً الموافق نحو عام ٥٤٠ ميلادية، ولكن تاريخه وشعره ما يزال خالداً حتى اليوم.

ذروة أوهام طه حسين: وتتمثل ذروة أوهام طه حسين عن امرىء القيس في مقارنته غير الصحيحة بين امرىء القيس وبين عبد الرحمن بن الأشعث الكندي. قال طه حسين: «.. وأكبرُ الظنِّ أن الذي أنشأ هذه القصة ـ أي قصة امرىء القيس ـ ونَمّاها إنما هو ذلك المكان الذي احتلته قبيلة كندة في الحياة الإسلامية إلى أواخر القرن الأول للهجرة.. فنحن نعلم أن وفداً من كندة وَفَدَ على النبي ﷺ وعلى رأسه الأشعث بن قيس[١]... وشهدَ الأشعثُ مواقع المسلمين في حرب الفُرس، وتولى عملاً لعثمان، وظَاهَرَ عَلياً على معاوية، وأكْرَهَ عَليّاً على قبول التحكيم في صِفِّين»[٢].

ونشير هنا بإيجاز إلى أن المكانة الكبيرة لكندة والأشعث بن قيس في فجر الإسلام كانت امتداداً لمكانتها قبل الإسلام، فقد كان قيس بن معدي كرب الكندي رئيساً لكندة وحضرموت باليمن ثم تولى الرئاسة بعده ابنه الأشعث بن قيس، ووالدة الأشعث هي بنت يزيد بن شرحبيل ـ عم امرىء القيس ـ ابن الحارث الكندي. وَوَفَد الأشعث بن قيس في وفد كبير إلى رسول اللّه ﷺ سنة ٩هـ (٦٢٩م) وانطلق من اليمن على رأس الآلاف من فرسان كندة وحضرموت إلى الفتوحات فكان من كبار قادة فتوح العراق وفارس في خلافة عمر بن الخطاب وهو الذي افتتح بلاد أذربيجان في خلافة عثمان. أما قول طه حسين أنه: (تولى عملاً لعثمان..) فقد كان الأشعث أميراً والياً لولاية أذربيجان في خلافة عثمان (٢٤ ـ ٣٥هـ) ثم كان من كبار الصحابة

---

(١) والأشعث هو (الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جَبَلْة بن عَدِي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث الكندي) وكان هو وأسلافه ملوك كندة بحضرموت ورؤساء حضرموت. بينما كان آل (حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية الأكرمين) ولاة ملوكاً على نجد والحجاز.

(٢) في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ ص ١٣٤.

والقادة الأمراء مع الإمام عليّ في صِفّين وكان له دور حاسم في الاتفاق على التحكيم وإنهاء الحرب بين المسلمين في صِفّين ثم عاد والياً للإمام علي في أذربيجان عام (٣٧ ـ ٤٠هـ) ولما مات عليّ واجتمع أمر الخلافة لمعاوية استقر الأشعث بالكوفة ولم يزل من أعلام اليمن والعرب حتى وفاته بالكوفة عام ٤٣هـ.

ونعود إلى كلام طه حسين فقد قال: «ونحن نعلم أن ابنه محمد بن الأشعث كان سيداً من سادات الكوفة، عليه وحده اعتمد زياد حين أعياه أخذ حُجر بن عَدِيّ الكندي؛ ونحن نعلم أن قصة حُجر بن عَدِي هذا وقَتْل معاوية إياه في نفر من أصحابه قد تركت في نفوس المسلمين عامة واليمنيين خاصة أثراً قوياً عميقاً مَثَّلَ هذا الرجل في صورة الشهيد؛ ثم نحن نعلم أن حفيد الأشعث بن قيس وهو عبد الرحمن بن محمد قد ثار بالحجاج وخلع عبد الملك...» إلى أن قال: «وقصة امرىء القيس بنوع خاص تُشبه من وجوه كثيرة حياة عبد الرحمن بن الأشعث، فهي تُمثّل لنا امرأ القيس مطالباً بثأر أبيه، وهل ثار عبد الرحمن عند الذين يفقهون التاريخ إلا منتقماً لحجر بن عدي. وهي تُمثّل لنا امرأ القيس طامعاً في المُلك، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث يرى أنه ليس أقل من بني أُمية استئهالاً للملك الذي كان يُطالبُ به. وهي تُمثلُ لنا امرأ القيس مُتَنقِّلاً في قبائل العرب، وكان عبد الرحمن متنقلاً في مُدن فارس والعراق. وهي تُمثل لنا خبر امرىء القيس لاجئاً إلى قيصر مستعيناً به، وقد كان عبد الرحمن لاجئاً إلى ملك الترك مستعيناً به. وهي تُمثل لنا خبر امرىء القيس وقد غدر به قيصر بعد أن كاد له أسديٌّ في القصر، وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رسل الحَجّاج، وهي تُمثل لنا بعد هذا وذاك امرأ القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم، وقد مات عبد الرحمن في طريقه عائداً من بلاد الترك».

وانتهى طه حسين من تلك المقارنة قائلاً ما يلي نصه: «أليس من اليسير أن نفرض بل أن نُرجح أن حياة امرىء القيس التي قد تَحَدَّث بها الرواة ليست إلّا لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القُصّاصُ إرضاء لِهوىٰ الشعوب اليمنية في العراق، واستعاروا له اسم الملك الضِّلّيل إتقاء لعمال بني أُميّة من ناحية، واستغلالاً لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تُعرف عن هذا الملك الضِّليل من جهة أخرى» ـ انتهى كلام طه حسين ـ.

وأقول: ليس من اليسير افتراض أن حياة امرىء القيس ليست إلا لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن.. وليس ترجيح طه حسين لذلك إلّا إفراطاً في الأوهام والآراء الخاطئة. فقصة تاريخ وحياة كل منهما تختلف اختلافاً جذرياً، كما أن أوجه الشبه التي ذكرها طه حسين تفتقر إلى قدر كبير من الدقة وتتجاهل قدراً أعظم من الحقائق التاريخية.

لقد كان محمد بن الأشعث سيِّداً من سادات الكوفة ورئيساً لليمنيين من كندة وحضرموت الذين استقروا بولاية الكوفة بعد الفتوحات، فكان محمد رئيساً منذ وفاة أبيه سنة ٤٣هـ ووالدة محمد بن الأشعث هي أخت أبي بكر الصديق، وقد استدل طه حسين على مكانة محمد بقوله: (عليه وحده اعتمد زياد حين أعياه أخذ حُجر بن عدي الكندي) وهو استدلال خاطىء، فقد كان حُجر بن عَدِي من أعلام رجالات كندة واليمن الذين استقروا بالكوفة، وساهم في الفتوحات وكان هو والأشعث وغيرهما مع الإمام عليّ، ثم لما اجتمع أمر الخلافة لمعاوية بايعه الجميع. وكان حُجر عالماً وصريحاً في قول الحق فعارض هو وجماعة من أصحابه الأمير زياد عامل معاوية على الكوفة عام ٥١هـ فاتهمه زياد بالخروج عن الطاعة والدعوة إلى خلع ومحاربة معاوية، وقام بحملة للقبض عليه. وقد عَقَّبَ الرافعي على كلام طه حسين قائلاً: «وزياد بن أبي سفيان لم يعتمد على محمد بن الأشعث في أخذ حُجر بن عدي، بل قال لمحمد: واللَّه لتأتيني بِحُجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتُها ولا داراً إلا هدمتها، ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً، ثم أمهله ثلاثاً.. أفمثل هذا يقال فيه (عليه وحده اعتمد زياد) أم هي سنة العرب في أخذ سيّد بسيدٍ.. والمُضحك أن (طه حسين) يقول إن زياداً اعتمد على محمد بن الأشعث في أخذ حجر بن عدي، ثم يقول بعد ذلك (هل ثار عبد الرحمن عند الذين يفقهون التاريخ إلا منتقماً لحُجر بن عدي)..»[1] والصواب أن الأمير زياد هدد محمد بن الأشعث لأنه زعيم كندة ولأنّ حُجر بن عدي كان في مرتبة عمه، وكان مختبئاً في بعض ديار كندة. وقد ذكر الطبري أنه: (بعث حجر بن عدي إلى محمد بن الأشعث بأنه: قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولنَّك شيء من أمره، فاجمع نفراً من قومك ثم أُدخل عليه فاسأله أن يؤمِّنني حتى يبعث بي إلى معاوية فيرى فيّ رأيه. فجمع محمد بن الأشعث (الصحابي) جرير بن عبد اللَّه البجلي وعبد اللَّه بن الحارث ـ أخي الأشتر النَّخْعي المذحجي ـ وغيرهما، فدخلوا إلى زياد فكلموه وطلبوا أن يؤمنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه. ففعل زياد وأعطاهم الأمان له. فبعثوا إلى حُجر رسولاً بذلك. فخرج حُجر إلى زياد..» وذكر الطبري عن محمد بن سيرين أنه «أراد قوم حُجر بن عدي أن يمنعوه فقال: لا ولكن سمعٌ وطاعة..»[2] ثم بعث الأمير زياد حُجراً إلى معاوية وكتب إليه شهادة بأنه خلع الطاعة وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى خلع وحرب أمير المؤمنين.. فأمر معاوية بقتل حجر مع نفر من

---

(١) تحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ٢٨٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٦/١٤٨.

أصحابه.. وأثارت جريمة قتل حُجر غضباً واستياء واسعاً وتركت أثراً قوياً عميقاً وخاصة في نفوس اليمنيين بل إن معاوية نفسه تندم على قتل حُجر، وألقى سبب القتل على زياد.. وأياً كان الأمر فقد كان قتل حُجر سنة ٥١ هجرية. وليس هنالك أي تشابه بين اغتيال الملك حُجر بن الحارث الكندي والد امرىء القيس وهو ملك على نجد قبل الهجرة بتسعين سنة وبين قتل حجر بن عدي بتهمة الدعوة إلى خلع ومحاربة الخليفة بعد الهجرة بإحدى وخمسين سنة، فبين الواقعتين زهاء مائة وأربعين سنة.. وقد استمرت رئاسة محمد بن الأشعث في الكوفة، فكان من سادة الكوفة وأعلام اليمنيين بالعراق، وتولى ولاية الموصل أيام عبد اللّه بن الزبير سنة ٦٤هـ وكان له دور قيادي في التصدي لفتنة المختار بن عبيد الثقفي سنة ٦٧هـ واستشهد محمد وهو يحارب المختار الثقفي وما لبث أن قُتِل المختار وانتهى أمره، وكان مقتل ووفاة محمد بن الأشعث سنة ٦٧هـ(٦٨٦م) وصارت مرتبته من الرئاسة لابنه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

إن حياة عبد الرحمن تختلف اختلافاً جذرياً عن حياة امرىء القيس التي أسلفنا ذكر معالمها، فقد مات امرؤ القيس قبل الهجرة بثمانين عاماً، بينما وُلد عبد الرحمن بعد الهجرة بنحو ثلاثين عاماً، ووالدة عبد الرحمن هي «أُم عمران بنت سعيد بن قيس» رئيس قبيلة حاشد وهمدان باليمن ثم بالكوفة. ولعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قال الشاعر أعشى همدان:

يا أيُّها القِرمُ الهِجَان الذي ... يبطشُ بطشَ الأسد اللابد
.. إنْ تَكُ مِنْ كِنْدَة في بيتها ... فإنّ أخوالك مِنْ حَاشِدِ

ولعبد الرحمن أيضاً قال أعشى همدان:

وإذا سألتَ المجد أيْنَ مَحَلّهُ ... فالمجدُ بين محمد وسعيد
بين الأشجّ وبين قيسٍ بَاذِخٌ ... بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولود[1]

أي بين أبيه محمد بن الأشعث وخاله سعيد بن قيس الحاشدي الهمداني، و (بخ بخ) بمعنى هنيئاً للمولود منهما وهو عبد الرحمن. ولم يعش عبد الرحمن حياة اللّهو والغزل والشراب مثل امرىء القيس ولا كان شاعراً، وإنما عاش حياة العلم وتفقّه في علوم الدين وسمع وروى أحاديثاً نبويّة وكان عارفاً بالأدب والتاريخ، وفارساً شجاعاً، وأحد أعلام الرؤساء اليمنيين بالكوفة والعراق منذ عام ٦٧هـ. ولما اجتمع أمر الخلافة لعبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ ولّاهُ عبد الملك قيادة محاربة

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٤٥/ ٥.

الخوارج في الأهواز والريّ، فانتصر عبد الرحمن عليهم. «فقال أعشى همدان لعبد الرحمن بن الأشعث في كلمة طويلة:

ويـــومَ أهـــوازِك لا تَـــنْـــسَـــهُ لـيس الـثـنـا والـذكـرُ بـالـداثِـر»[١]

وفي سنة ٧٣هـ أصبح عبد الرحمن بن الأشعث أميراً لإقليم الريّ وبلاد الديلم (شمال إيران) وحارب وهزم الخارجين على الدولة من الديلم والفُرس في موقعة الري وكان غالبية جند عبد الرحمن من كندة وهمدان، فقال أعشى همدان لعبد الرحمن في قصيدة له:

ووقـعـة الـرَّي الـتـي نِـلْـتَـهَـا بـجـحـفـلٍ مِـنْ جَـمْـعِـنَـا عَـاقِـدِ

وبسط عبد الرحمن سلطة الدولة في بلاد الري والديلم ومكث أميراً عليها إلى سنة ٧٧هـ. بينما وَلّى الخليفة عبد الملك بن مروان الحجَّاج بن يوسف الثقفي على العراق ومشارقها سنة ٧٥هـ فكتب الحجَّاج إلى عبد الرحمن بالمسير أميراً على إقليم كرمان سنة ٧٨هـ فتولى عبد الرحمن إقليم كرمان (في جنوب شرق إيران إلى السند) فهزم المتمردين فيها، ونشر الحاميات، وغزا إلى بعض بلاد السند والهند، وظفر. وكان الحجَّاج قد ولّى عبيد اللّه بن أبي بكرة على إقليم سجستان فحاربه وهزمه رُتبيل ملك التُرك بسجستان وجهات أفغانستان، واجتاح رتبيل المناطق والحصون الإسلامية في سجستان واستولى عليها وأُصيب جند المسلمين فلم ينج منهم إلا القليل. فكتب الحجَّاج إلى عبد الملك بذلك، فأذن له وأمره بتوجيه جيش إلى سجستان، وتقرر أن يتولى الجيش وإمرة سجستان عبد الرحمن بن الأشعث فعاد إلى الكوفة، فعقد له الحجَّاج الولاية على عشرين ألفاً من الفرسان العرب الذين بالعراق وكان غالبيتهم من اليمن، فانطلق عبد الرحمن بجيشه إلى سجستان في أوائل عام ٧٩هـ، فحرّر مناطق سجستان التي كان العدو قد استولى عليها، ثم غزا وافتتح مناطق سجستان وبلاد رُتبيل غير الإسلامية والتي تسميها الروايات بلاد الترك. قال الطبري: «سار عبد الرحمن بن الأشعث حتى دخل أول بلاد الترك فأخذها.. وأخذ (رُتبيل) يدع الأرض رستاقاً رستاقاً وحصناً حصناً. وطفق ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً وبعث معه أعواناً.. ووضع المسالح بكل مكان.. حتى حاز من أرض الترك أرضاً عظيمة»[٢]. وقال المسعودي: «حارب عبد الرحمن بن الأشعث من هنالك من أمم الترك وهم أنواع.. وحاربَ من يلي تلك البلاد من ملوك الهند

(١) الكامل ـ المبرد ـ ص ٢٥٣/ ٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٥/ ٨.

مثل رتبيل وغيره»[١]. فكان عبد الرحمن أميراً وفاتحاً عظيماً، ودانت له سجستان وما حولها من بلاد الترك وفتح أرجاء عديدة سنة ٨٠هـ ثم «حبس عبد الرحمن الناس في الوغول في بلاد الترك، وقال: نكتفي بما أصبناه من بلادهم حتى نعرفها ويجترىء المسلمون على طُرقها، ثم نغزو في العام المُقبل ما وراءها حتى نقاتلهم آخر ذلك في أقصى بلادهم وحصونهم حتى يهلكهم اللّه»[٢]. فمكث عبد الرحمن بن الأشعث أميراً على بلاد سجستان الشاسعة، وكان كما قال له أعشى همدان:

تجبي سجستان وما حولها ... متكئاً في عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه ... وتجرد الأرض مع الجارد

فتلك هي معالم حياة عبد الرحمن بن الأشعث منذ مولده إلى فتوحاته وولايته لبلاد سجستان سنة ٨٠ هجرية وليس فيها أي شبه بحياة امرىء القيس منذ مولده إلى أن أتاهُ وهو في دَمُّون باليمن خبر مقتل أبيه الملك حُجر بن الحارث الكندي في نجد ومسيره للثأر بأبيه واستعادة مُلكه قبل الهجرة بتسعين عاماً.

ونأتي بعد ذلك التبيين إلى قول طه حسين: «..أن حفيد الأشعث بن قيس وهو عبد الرحمن قد ثار بالحجّاج وخلع عبد الملك.. وقصة امرىء القيس.. تُمَثِّلُ لنا امرأ القيس مطالباً بثأر أبيه، وهل ثار عبد الرحمن عند الذين يفقهون التاريخ إلا مُنتقماً لحُجر بن عدي. وهي تُمَثِّلُ لنا امرأ القيس طامعاً في المُلك، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث يرى أنه ليس أقل من بني أُميّة استئهالاً للمُلك الذي كان يطالب به. وهي تُمثل لنا امرأ القيس متنقلاً في قبائل العرب، وكان عبد الرحمن متنقلاً في مدن فارس والعراق» (اهـ).

وقد ردّ الرافعي على ذلك قائلاً: «ليس ينتهي عجبنا من الخلط في التمثيل والمقابلة بين سيرة ابن الأشعث وسيرة امرىء القيس، فابن الأشعث ليس بشاعر، ولا ابن ملك، ولا قُتِلَ أبوه فخرج يطلب الثأر كامرىء القيس. وابن الأشعث لم يكن في سيرته متفحشاً كصاحبه، فإذا قابله القصاص برجل فلن يكون هذا الرجل امرأ القيس في تبطُّله وانقطاعه لصعاليك العرب وذؤبانها وفي الخمر والنساء والفحش ونحوها. وابن الأشعث إن كان قد طلب المُلك، فما طلب امرؤ القيس إلا ثأر أبيه، ولهذا قال حَمَّلني دمه ولم يقل حَمَّلني مُلكه.. وابن الأشعث لم يتنقل في مدن فارس والعراق مستنصراً مستجيشاً كما فعل امرؤ القيس في قبائل العرب، بل كان محارباً يرحل بالجيش وينزل بالجيش»[٢].

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٣٨/٣.
(٢) تحت راية القرآن ـ الرافعي ـ ص ٢٨٨.

وأقول: إن طه حسين قد أفرط في الأوهام بقوله: «هل ثار عبد الرحمن بن الأشعث عند الذين يفقهون التاريخ إلا مُنتقماً لِحُجر بن عدي. .» بينما الحقيقة أن مقتل حُجر بن عدي كان في زمن معاوية سنة ٥١هـ وثورة عبد الرحمن بن الأشعث كانت بعد ذلك بثلاثين سنة، ولم تكن انتقاماً لمقتل حجر بن عدي، فقد أسلفنا ذكر ولاية عبد الرحمن بن الأشعث لسجستان وفتوحاته فلما أوغل في بلاد الترك وافتتح منها أرضاً واسعة ـ والمقصود أفغانستان وجهات السند ـ قال: (نكتفي بما فتحناه من بلادهم حتى نعرفها ويجترىء المسلمون على طرقها، ثم نغزو في العام المُقبل ما وراءها. .) فاستصوب الجميع ذلك، وكتب عبد الرحمن بذلك إلى الحَجّاج لأنه أمير العراق ومشارقها. وكان الحجّاج حسوداً فغاظته انتصارات وفتوحات عبد الرحمن بن الأشعث ومكانته العالية، فكتب إليه يأمره بأن يغزو ما يليه من بلاد الترك إلى أقصى بلادهم ـ أي إلى أقاصي أفغانستان وبلاد المغول ـ فجمع عبد الرحمن الجيش وأخبرهم بكتاب الحجّاج وأوامره بتعجيل الوغول بهم في أرض العدو، وقال: (إنما أنا رجلٌ منكم أمضي إذا مضيتم، وآبي إذا أبيتم) فقالوا: إن الحجّاج ما يرى بنا إلّا ما رأى القائل الأول: (احمل عبدك على فرس فإن هَلَكَ هَلَكْ وإنْ نَجَا فَلَك). وتكلم عدد من أهل الرأي والقادة. . قال ابن خلدون والطبري وابن الأثير: «فثار الناس وقالوا: لا نسمع لعدو اللّه الحجّاج ولا نطيع. وقال قائلهم: اخلعوا عدو اللّه الحجّاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن. . ووثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجّاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له. .» فكان ذلك هو السبب المباشر للثورة مع وجود أسباب أُخرى منها استبداد وطغيان الحجّاج، ومنها النقمة على السياسة والسيطرة الأموية، ومنها الطموح إلى إقامة خلافة يمنية قحطانية. وعن ذلك يقول الدكتور ناجي حسن أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة بغداد في كتاب القبائل العربية في المشرق:

«كانت ثورة ابن الأشعث محاولة جِديّة للتخلص من سيطرة مُضَر، سِيَّمَا وإن مُعظم القبائل العربية القوية في العراق كانت قحطانية. . ولهذا فإن عبد الرحمن بن الأشعث حينما عظم جَمْعَهُ خلع عبد الملك بن مروان وسَمَّى نفسه ناصر المؤمنين»[١].

ويقول د. يوسف خليفة في كتاب حياة الشعر في الكوفة: «لَمَّا كانت ثورة ابن الأشعث التي أشعل نيرانها ضد الخليفة عبد الملك بن مروان وواليه على العراق ـ الحجّاج ـ كان أعشى همدان هو شاعر هذه الثورة بدون منازع. . فَشَدّ جناحيه إلى عبد الرحمن بن الأشعث سليل ملوك اليمن القدماء ومضى يُحَلّقُ في ميدان الصراع

---

(١) القبائل العربية في المشرق ـ د. ناجي حسن ـ ص ١٤٧.

الفسيح المُمتد من سجستان شرقاً إلى العراق غرباً. . لقد كانت نفس الأعشى تُسيطر عليها نزعة أرستقراطية عميقة آثارها فيه شعوره بمجد اليمن القديم وبأنّ زعيمه سليل ملوك اليمن القدماء وأنه يعمل لإعادة ذلك المجد. . وهو في هذا لم يكن إلا ممثلاً لشعور اليمانية الذين نظروا إلى الثورة من هذه الزاوية فكانوا لهذا أسرع الطوائف استجابة لابن الأشعث»[١].

وأعشى همدان هو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام الحاشدي الهمداني، وكان قد انتقل من منطقة حاشد باليمن إلى الكوفة بالعراق. قال الأصفهاني: «كان أعشى همدان شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم» وقال عنه الصحابي النعمان بن بشير الأنصاري: «أعشى همدان شاعر اليمن ولسانها»[٢] قال المسعودي في مروج الذهب: «وكان أعشى هَمْدَان أول من خلع عبد الملك والحجّاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان. . وقال في أبيات له:

مَـنْ مُـبْـلِـغ الـحَـجَّـاجَ أنّـي ... قَـدْ جَـنَـيْـتُ عـلـيـه حَـرْبَـا

وَصَـفَـقْـتُ فـي كَـفّ امْـرِىءٍ ... جَـلْـدٍ إذا مـا الأمـرُ عُـبَّـى

يـابْـنَ الأشـجّ، قـريـع كِـنْـدَة ... لا أُبـالـي فِـيـكَ عَـتْـبَـا

أنْـتَ الـرئـيـس ابـن الـرئـيـس ... وأنـتَ أعـلـى الـنـاس كـعـبـا»[٣]

فأسباب ثورة عبد الرحمن بن الأشعث لم يقل أحدٌ من المؤرخين والذين يفقهون التاريخ أنّها الانتقام لحُجر بن عَدِي. أما قول طه حسين: «إن قصة امرىء القيس: تُمَثّل لنا امرأ القيس طامعاً في المُلك، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث يرى أنه ليس أقَلّ مِن بني أُميّة استئهالاً للمُلك الذي كان يُطالب به». فقد ردّ الرافعي على ذلك قائلاً: «وابن الأشعث إن كان قد طلب المُلكَ، فما طلبَ امرؤ القيس إلا ثأر أبيه». وأقول هنا إنّ الصواب ما أشار إليه طه حسين فلم يطلب امرؤ القيس ثأر أبيه فقط. وإنما كان يَطْلبُ استرداد مُلْك أبيه أيضاً، ولذلك فإنّه بعد أن أخذ بثأر أبيه من بني أسد، مضى مِنْ نَجْد حتى بلغ تخوم مملكة الحِيرة مما أدى إلى الاحتكاك والقتال مع المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة الذي كان نفوذه قد امتد إلى مناطق من أقاصي اليمامة ونجد، وقد جاء في كتاب الأغاني ما يلي: «ألَحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوش في طلبه مِنْ إياد وبَهْرَاءَ وَتَنُوخ، وأمدّه كسرى أنوشروان

---

(١) حياة الشعر في الكوفة ـ يوسف خليفة ـ ص ٨٠.

(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٣٩/ ٥.

(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٦٢/ ٣.

بجيش مِنْ الأساورة، فسرَّحهم في طلبه. وتَفَرَّقت ـ عن امرىء القيس ـ حِمْيَر ومَنْ كان معه، فَنَجَا في عُصبة من بني آكل المُرّار»[١] وقال ابن قُتيبة: «إن المنذر بن ماء السماء غزا كندة فأصاب منهم.. وكان امرؤ القيس يومئذٍ معهم، فهرب..»[٢] ثم أخذ امرؤ القيس يتنقل بين قبائل طيء وغيرها من العرب في نجد مُستنصراً أو مُستجيراً عدة سنين.. ثم سار إلى الشام وإلى قيصر، ويؤكد شعره أنه كان يطلب استرداد مُلك أبيه إذْ يقول:

بَكَىٰ صاحبي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ وأيْـقَـنَ أنّـا لاحِـقَـانِ بِـقَـيْـصَـرَا
فَـقُـلْـتُ لَـهُ: لا تَـبْـكِ عَـيْـنُـكَ إنـمـا نُـحَـاوِلُ مُـلْـكـاً أو نَـمُـوتُ فَـنُـعْـذَرَا
وإنّـي أذِيـنٌ إنْ رَجَـعْـتُ مُـمَـلّـكـاً بِـسَـيرٍ تَـرىٰ مِـنْـهُ الـفُـرَانِـقَ أَزْوَرَا[٣]

وبالتالي فإن رد الرافعي على طه حسين بأن امرأ القيس لم يطلب إلّا ثأر أبيه غير صحيح، فالصواب أنه كان يطلبُ المُلك كما قال طه حسين، ولكنه ليس نفس ما كان يريده عبد الرحمن بن الأشعث، فقد كان امرؤ القيس يطلب استعادةَ مُلك أبيه وأسلافه في منطقة نجد، بينما كان عبد الرحمن بن الأشعث يريد أعظم من ذلك بكثير، فقد كان يريد أن يكون خليفة لكل البلاد والولايات العربية والإسلامية وأن يحكم ويملك سِجِسْتَان والسِنْد وإيران والعراق والخليج والجزيرة العربية ثم الشام وبقية الولايات. فلا يمكن المقارنة بين حُكم نجد الذي قاتل امرؤ القيس من أجل استعادته وبين الخلافة وحكم العالم الإسلامي الذي ثار وقاتل عبد الرحمن بن الأشعث في سبيله، فهو ـ كما أشار طه حسين بالفعل ـ «كان يرى أنه ليس أَقَلّ من بني أُميّة استئهالاً للمُلك الذي كان يُطالب به» أي الخلافة. وقد كان البعض يقولون: إن الخلافة يجب أن تكون في بني أُميّة لأنهم مِنْ قريش.. وقد ذكر الطبري أنه:

«..قال عبد الرحمن بن الأشعث: ألَا إنّ بني مروان يعيَّرون بالزرقاء واللّه مَا لَهُم نَسَبٌ أصحّ منه.. فإنْ يَكُنْ هذا الأمر في قريش فَعَنّي فُقِئَتْ بَيْضَة قريش، وإنْ يكُنْ في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس»[٤].

أي أنّ بني مروان كانوا يُذَمُّون بأنهم من نسل جارية يُقال لها زرقاء.. فإذا كان أمر الخلافة كما يقول البعض في قريش «فَعنّي فُقِئَتْ بيضة قريش» ـ وذلك لأن أشرف بيوت قُريش هم بنو كلاب بن مُرّة ومنهم كان آل عبد مناف. فكان العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث إذا شاعا في العرب فَسُئِلا مِمّن أنتما؟

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٨/٧.
(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٧.
(٣) أذِينٌ: كفيلٌ. الفرانق: الأسد. أزور: مائل.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٩/١٦.

قالا: مِن بني أكل المُرّار، ينتسبان إلى كندة. قال ابن سيد الناس: «وللنبي ﷺ جدة مِنْ كِندة هي أمّ كلاب بن مُرّة»[١] وهي التي كان إليها ينتسب العباس بن عبد المطلب وربعية بن الحارث قبيل الإسلام. فلذلك قال عبد الرحمن: «فعنِّي فُقِئت بيضة قريش» وإذا كان أمر الخلافة في العرب «فأنا ابن الأشعث بن قيس». وقد كان الأشعث سليل ملوك اليمن والعرب الكنديين والسبئيين. قال ابن خلدون: «أما كندة، فاسمه ثور بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن يشجب بن عَرِيْب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومنهم الأشعث بن قيس»[٢]. ولمّا قال البعض إن الخلافة يجب أن تكون في بني مروان وأُميّة لأنهم من قريش وأن عبد الرحمن بن الأشعث إنّما هو كندي من اليمن، قال أعشى همدان شاعر ثورة عبد الرحمن بن الأشعث مخاطباً عبد الرحمن ومؤكداً أنه أكثر من بني أُمية وقريش استئهالاً لِلمُلك والخلافة:

يَأبَىٰ الإلـهُ، وعـزُّ دينِ مُـحـمـدٍ، ... وجـذورُ مُـلْـكٍ قَـبْـلَ آل ثـمـودِ
أنْ تُـنسَبَـوا كَـمُـذَمَّـمِيـنَ عُـرُوقـهُـمْ ... في الناسِ إن نُسِبُوا عُـروق عبيـدِ
كَـمْ مِنْ أبٍ لـكَ كـان يَـعْـقِـدُ تَـاجَـهُ ... بِـجَبِيـنِ أبْلَـجٍ، مقْوَلٍ، صِـنـديـدِ
ما قَـصَّـرَتْ بِـكَ أن تَـنَالَ مَدَىٰ الـعُـلا ... آبــاء مــكــرمــةٍ، وأرث جــدودِ

ويعني بقوله: (أن تنال مدى العلا): أن تَنَال الخلافة والمُلْك على كل البلاد والولايات العربية والإسلامية في ذلك العهد.

وقد أخطأ طه حسين في قوله إن قصة امرىء القيس «. . .تُمَثِّلُ لنا امرأ القيس متنقلاً في قبائل العرب، وكان عبد الرحمن متنقلاً في مدن فارس والعراق». وقد رد الرافعي على ذلك قائلاً: «. . وابن الأشعث لم يتنقل في مدن فارس والعراق مستنصراً مستجيشاً كما فعل امرؤ القيس في قبائل العرب، بل كان محارباً يرحل بجيش وينزل بجيش». وكلام الرافعي صحيح، فلا يوجد شَبه بين تنقل وسيرة كل منهما، فقد استنصر امرؤ القيس بِمَرْثَد بن ذي جَدَن الحِمْيَري وقرمل بن عمرو الحميري في اليمن ثم قبائل بَكر بن وائل وربيعة في نجد، ولما وَجّه إليه المنذر بن ماء السماء الجيوش لجأ إلى سعد بن الضباب الإياديّ سيّد إياد فأجاره، ثم انتقل إلى المُعَلىٰ الطائي رئيس إحدى قبائل طيء بمنطقة جبل أجا، فأقام عنده، وقال في ذلك:

كـأنّـي إذْ نَـزَلْـتُ عـلـى الـمُـعَـلّـىٰ ... نَـزَلْـتُ عـلـى الـبَـوَاذِخِ مِـنْ شَـمَـامِ

---

(١) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٠٨/ ٢.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٤٠.

فَمَا مَلِكُ العراقِ على المُعَلّى بِمُقتدرٍ ولا المَلِكُ الشآمي

فمكث فترة عند المعلى. ثم انتقل إلى قبيلة بني ثُعَل الطائية فأقام عندهم فترة طويلة واتَّخَذَ إبلاً. وقال أشعاراً كثيرة في بني ثُعلٍ وفترة إقامته عندهم، ثم انتقل إلى قبيلة بني نبهان الطائية، وأثنى على رئيسها خالد بن سُدُوس النبهاني الطائي وأسرته قائلاً:

إذا ما كُنْتَ مُفْتَخِراً فَفَاخِرْ ببيتٍ مِثْلِ بَيْتِ بني سُدُوسَا

.. هُمُ أيْسَارُ لُقْمَانِ بن عَادٍ إذا ما أُجْمِدَ الماءُ القَرِيْسَا

ولم يزل متنقلاً في قبائل طيء مُقيماً عندهم إلى أن سار إلى الملك الحارث الغساني بالشام وقيصر الروم ثم مات هناك.

بينما عبد الرحمن بن الأشعث ثار وبويع في إقليم (زرنج) ببلاد سِجَسْتَان، وسار إلى إقليم (بُسْت) فبويع فيها، فانضوت بلاد سَجَسْتان كلها تحت لوائه، - وهي شرق إيران إلى أفغانستان وتخوم السند - وولّى أحد قادته وهو (عياض بن هيمان) على (بُسْت) وعبد اللّه بن عامر على (زرنج)، وانتقل ومَضَىٰ عبد الرحمن من سِجَسْتان إلى إقليم كرمان ومكران (جنوب شرق إيران إلى جنوب وساحل السند) وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث زهاء أربعين ألفاً من الفرسان والجنود العرب الذين كانوا بتلك الأقاليم. قال الطبري: «..وكان بكرمان أربعة آلاف فارس، فلما مَرَّ بهم ابن الأشعث انجفلوا معه». وكان الحَجَّاج الثقفي قد وجّه إلى كرمان الغضبان ابن القبعثري.. قال المسعودي: «..فصعد الغضبانُ المِنْبَر - في كرمان - فخطب بمعايب الحجّاج والبراءة منه، ودخل مع ابن الأشعث في أمره». ثم وَلّى عبد الرحمن بن الأشعث على بلاد كرمان عمرو بن لقيط العبدي وأبا إسحاق السُبيعي الهمداني. وانتقل ومضى عبد الرحمن بن الأشعث ناصر المؤمنين إلى أقاليم فارس والأهواز والرّي، ولكن بجيش كثيف وبين يديه أعشى همدان يرتجز قائلاً:

إنّا سَمَونا للكفور الفَتَّانْ بالسيِّد الغطريف عبد الرحمنْ

سَارَ بِجَمْعٍ كالدَّبَىٰ مِنْ قَحطَانْ ومِنْ مَعَدٍّ جاء ابن عدنانْ

فَقُلْ لحجَّاجٍ وليّ الشيطان يثبت لِجَمْعِ مَذْحَجٍ وهَمْدَان

فإنّهم سَاقُوه كأس الذيفان ومُلْحِقُوه بِقُرىٰ ابن مروان

وبعث الحجَّاج الخيول والفرسان والجنود إلى إقليم فارس وجهات الأهواز والريّ لمحاربة ابن الأشعث. وعن ذلك قال الطبري: «وبعث الحجَّاج إليه بالخيول، فجعل لا يلقى خيلاً إلّا هَزَمها. فذلك قول أعشى همدان لابن الأشعث:

فإذا جَعَلْتَ دروب فارس خَلْفَهُمْ دَرْباً فَدَرْبَا

فـابـعـثْ عـطـيـةَ بـالـخـيـول يـكُـبُّـهُـنَّ عـلـيـه كَـبَّـا»[١]

وقال ابن خلدون: «لما بلغ عبد الرحمن ابن الأشعث فارس، بدا للناس في أمر عبد الملك بن مروان.. فخلعه الناس، وبايعوا عبد الرحمن..» ـ قال الطبري ـ: «..ووثب الناس إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه، وكانت بيعته: تُبَايعون على كتاب اللّه وسُنّة رسوله وعلى خلع أئمة الضلالة.. فإذا قالوا نعم، بايع». قال المسعودي: «.. وانقاد إلى طاعته أهل الريّ والجبال مما يلي البصرة والكوفة وغيرهما.. وفي عبد الرحمن بن الأشعث يقول الشاعر:

خَلَعَ المُلوكَ، وسار تحت لوائه، شجرُ العُرَىٰ، وعراعِرُ الأقوام»[٢]

وكانت كُتُبُ الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان لا تنقطع، يخبره بأمر ابن الأشعث، أي كورة نزل، وأي الناس بايعوه، وكُثرة جيشه واتباعه، ويقول (ياغوثاه). وعبد الملك يبعث إليه الجنود والفرسان من الشام ويقول (يا لبيك).. ولكن عبد الرحمن بن الأشعث انتصر على الجُند الموالين للحجاج وعبد الملك في أرجاء فارس. قال البجاوي: «كان عبد الرحمن بن الأشعث من القادة الشجعان الدُّهاة، وقد تم له مُلك فارس وكرمان وسجِستان»[٣].. قال د. ناجي حسن: «وسَمَّى عبد الرحمن بن الأشعث نفسه ناصر المؤمنين» ـ وذلك عندما اكتمل انضواء أقاليم فارس تحت لوائه ـ في رجب سنة ٨١هـ ـ فشمل سلطانه ولايات وأقاليم سِجَسْتان وكرمان ومكران وفارس والأهواز والرَّي والجبال، وتدفق إليه قادة وفرسان مما يلي البصرة والكوفة ومن سواحل البحرين وعُمان وهو على تخوم العراق. قال الطبري: «وأقام الحجّاج بالبصرة، وكان فرسان أهل الشام يَصِلون إلى الحجّاج كل يوم مِنْ قِبَل عبد الملك.. وسار الحجّاج بجيشه من البصرة حتى نزل رستقباذ وهي مِن كُور الأهواز فعسكر بها. وأقْبَل ابن الأشعث فنزل تُسْتَر وبينهما نهر». قال الحافظ ابن كثير: «وجعل الناس يلتفون حول عبد الرحمن بن الأشعث من كل جانب حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل»[٤] وقال المسعودي: «سار الحجّاج إلى البصرة، وسار ابن الأشعث إليه، فكانت له حروب عظيمة». قال ابن خلدون: «سار الحجّاج من البصرة، ونزل تُسْتر، وبعث مُقدمة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨/٩.

(٢) العراء: وجه الأرض. ونوع من الشجر. عراعر الأقوام: رؤوس الأقوام، وعرعرة كل شيء أعلاه.

(٣) أيام العرب في الإسلام ـ البجاوي ـ ص ٤٧٥.

(٤) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٩/٣٦.

الخيل، فهزمهم أصحاب ابن الأشعث بعد قتال شديد، وقُتِل منهم جمع كثير، وذلك في أضحى سنة إحدى وثمانين» - أي في يوم عرفة من شهر ذي الحجة سنة ٨١هـ - قال الطبري: « . . فأَقْبَلَ الحجَّاج منهزماً إلى البصرة».

ومضى وانتقل ابن الأشعث مِنْ تُسْتَر إلى البصرة بالعراق، ولكنه ليس كانتقال امرىء القيس مِن قبيلة المُعَلّى الطائي إلى قبيلة بني ثُعل مُستجيراً ولاجئاً، وإنما سار ابن الأشعث إلى البصرة في جيش جرار قال عنه أعشى همدان:

سار بجمعٍ كالدَّبَىٰ مِنْ قَحْطَان ومن معدّ جاء ابن عدنان

والدبى: أسراب صغار الجراد التي تسدُّ لكثرتها الأُفق. وقد ذكر ابن كثير ما قيل من أنه (سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل). وكان الحجَّاج مع جيشه قد انسحبوا من تُسْتر إلى البصرة وتمركزوا فيها. فقال أحد أصحاب ابن الأشعث وهو ابن حلزة اليشكري:

نحن جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ زَرَنْجَا مَا لَكَ يا حجَّاج مِنَّا مَنْجَىٰ

وكانت فرقة من جيش الحجَّاج عند نهر دُجيل بالبصرة، قال أبو الزبير: « . . فقال ابن الأشعث لأصحابه: اعبروا إليهم من هذا المكان، فَأَقْحَمَ الناسُ خيولهم دُجيل من المكان الذي أمرهم به. فهزموا وأصابوا عسكر الحجَّاج. وأتت الحجَّاج الهزيمة وهو يخطب، فأمر بأن يرتحلوا إلى البصرة، فارتحلوا، وتبعتهم خيول ابن الأشعث فكلما أدركوا منهم شاذاً قتلوه. ومضى الحجَّاج من البصرة - منهزماً - إلى الزاوية . .» قال ابن خلدون: «أجفل الحجَّاج إلى البصرة، ثم تأخر عنها إلى الزاوية، فدخل عبد الرحمن بن الأشعث البصرة، فبايعه أهلها وسائر نواحيها. .» قال الطبري: «وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة سنة ٨١هـ». وبذلك انضوت كل نواحي ولاية البصرة تحت لواء ابن الأشعث، وكانت نواحي ولاية البصرة تشمل اليمامة وشرق نجد ومنطقة الخليج إلى عُمَان، وأتى إلى ابن الأشعث قادة وفرسان من عُمان واليمن ومكة وبايعوه، وكان منهم الصحابي عُقبة بن عبد الغافر الأزدي، وعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب. وزحف جيش ابن الأشعث إلى الزاوية فهزموا جيش الحجَّاج في صفر سنة ٨٢هـ. وانسحب الحجَّاج إلى منطقة دير قرّة في شمال ولاية الكوفة. . ثم سار ابن الأشعث إلى الكوفة، فأَسَرَ عامل الحجَّاج وجنوده، ودخل الكوفة، وحَفَّتْ به همدان، فدخل قصر الكوفة، وبايعه الناس في ربيع سنة ٨٢هـ. قال ابن كثير: «دخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها. . وكثُر مُتابعو ابن الأشعث». وقال الطبري: «دخل الناس إلى عبد الرحمن بن الأشعث في دار الإمارة بالكوفة فبايعوه، وتقوضت إليه المسالح

والشغور». وبذلك بلغت الثورة ذروة انتصاراتها، وقال أعشى همدان في عبد الرحمن بن الأشعث:

قِـرْمٌ إذا سامَىٰ القروم تَـرَىٰ لـه	أعـراق مـجـدٍ طـارفٍ وتـلـيـدِ
وإذا دَعَـا لـكـريـهـةٍ حَـشَـدَتْ لـه	هَـمْـدَان تـحـت لـوائـه الـمـعـقـود
يمشون في حِلَقِ الحديد كأنّهم	أُسْـدُ الإبـاء سَـمِـعْـنَ زأر أُسـود
وإذا دَعَـا فـي آل كِـنْـدَةَ أجْـفَـلـوا	بـكـهـولِ صـدقٍ سـيّـدٍ ومَـسُـودِ
وشـبـاب مـأسـدة كـأنّ سـيـوفـهـم	فـي كـل مـلـحـمـةٍ بـروق رعـودِ

ثم في أواخر سنة ٨٢هـ بعث عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً مِنْ جُند الشام والثغور العليا، وكان غالبيتهم من يمانية الشام، وكان لليمنيين بالشام مزايا كبيرة في خلافة بني أُميّة فكان منهم أمراء وقادة أقاليم وأعمال الشام والثغور وأكثر الجهات، ولهم زيادة كبيرة في العطاء، ولهم صدر مجلس الخليفة، وما يكون مِنْ أمر كبير فَبِشورى وتشاور معهم، فأيّدوا عبد الملك بن مروان. ولمّا وجّه عبد الملك الجيش لقتال عبد الرحمن بن الأشعث وسار إليهم عبد الرحمن وجيشه، وقعت معركة كبرى بين الفريقين في منطقة دير الجماجم ـ في ربيع أول ٨٣هـ ـ فتغلب جيش عبد الملك بن مروان على جيش وأصحاب عبد الرحمن بن الأشعث. وتقهقر كثيرون إلى الكوفة والبصرة، وقاتلوا إلى أن سقطت الكوفة والبصرة، وعادت سيطرة الحَجّاج إلى العراق، بينما انسحب عبد الرحمن بن الأشعث وعشرات القادة وآلاف الفرسان إلى فارس فاجتمعوا وأرادوا المسير إلى ولاية خُراسان والسيطرة عليها، فلم يرغب عبد الرحمن في قتال أمير خُراسان يزيد بن المهلّب الأزدي اليماني فقال لهم: إن بخراسان يزيد بن المهلب، ونهاهم عن المسير، ثم فَارَقَهُم ومَضَىٰ إلى بلاد الملك رُتبيل بجهات أفغانستان وشمال باكستان، فأقام لاجئاً عند رُتبيل، وكان رُتبيل يُعظمُه ويُكرمه. وتتابعت كُتب الحجّاج إلى رتبيل يُرغّبُه بأمور كثيرة إذا سَلّم إليه عبد الرحمن بن الأشعث، فأبَىٰ رُتْبيل الغدر به. قال الطبري: «ثم دخلت سنة خمس وثمانين ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن الأشعث».

وقد حاول طه حسين الربط بين نهاية امرىء القيس وعبد الرحمن بن الأشعث قائلاً: «إن الروايات تُمَثِّل امرأ القيس لاجئاً إلى قيصر مُستعيناً به، وقد كان عبد الرحمن لاجئاً إلى ملك الترك مستعيناً به. وهي تُمثل لنا خبر امرىء القيس وقد غدَر به قيصر بعد أن كَادَ له أسديٌّ في القصر، وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رُسل الحجّاج. وهي تُمثل لنا امرأ القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم، وقد مات عبد الرحمن في طريقه عائداً من بلاد الترك». (اهـ).

وأقول: إن امرأ القيس سار إلى قيصر الروم مُسْتَنْصِراً ومُسْتَعِيناً به لاسترداد مُلك أبيه في نجد ومحاربة أعدائه، فوعده القيصر ـ وهو جوستنيان ملك الدولة الرومانية التي كانت تحكم الشام وغيرها ـ بأن يمدّه بجيش من الروم والشام، بينما عبد الرحمن بن الأشعث لم يلجأ إلى الملك رتبيل التركي مُسْتعيناً وطالباً مناصرته، وإنما سار إليه بعد انتهاء ثورته وحروبه، وكان عبد الرحمن قد كتب إلى رتبيل بأنه إذا لم يظفر سيلجأ إلى بلاده، فوعده رُتبيل بذلك. فلجأ عبد الرحمن إلى رتبيل، ووفَىٰ رتبيل بتعهده.

ويقول الرافعي: « . . وامرؤ القيس كان سبب هلاكه أنه فَتَنَ بنت قيصر بجماله وغزله أو على الأصح بمنظره، أما عبد الرحمن فكان سبب هلاكه أحد اثنين: إما ـ مرض السل، وإمّا رغبة ملك الترك أن يتخذ له يداً عند الحجَّاج. وإذا صحت رواية الموت بالسل، وبرهانها قويّ، فلم يمت الرجل في طريقه إلى بلاده ولم يقتل نفسه، وإذا صح أنه مات في طريقه فقد قالوا إنه وثب من فوق قصر. وأين هذا من ميتة امرىء القيس في حلة مسمومة نثرت لحمه نثراً؟» (اهـ) .

وأقول: لقد اكتفى طه حسين برواية تزعم أن الملك رتبيل استجاب لمساعي الحجَّاج ودعوته إياه إلى الغدر بعبد الرحمن بن الأشعث، فاعتقله وأرسله مع جماعة، فلما وصلوا به إلى مكان يقال له(الرُّخّج) صعد عبد الرحمن إلى سطح قصر ومعه حارس مُوكَّل به، وألقى بنفسه من ذلك القصر وسقط الحارس معه فماتا معاً. وتجاهل طه حسين الرواية التي ذكر الرافعي أن(برهانها قوي) فقد ذكر الطبري عن سليمان بن أبي راشد قال: « سمعتُ مُليكة بنت يزيد ـ امرأة عبد الرحمن بن الأشعث ـ تقول: والله لمات عبد الرحمن وإن رأسَه لَعَلَى فخذي، كأنّ السلّ قد أصابه» (اهـ) . وذكر الحافظ ابن كثير أنه: « كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً» وقال ابن خلدون: « مات عبد الرحمن بالسل» ويتبين من ذلك أنه مرض مرضاً شديداً وهو في مدينة الرُّخّج ببلاد الملك رُتبيل التي كان لاجئاً بها، فاشتَدّ به المرض ومات ورأسه على فخذ امرأته، وقد ظَنّت امرأته أنه أُصيب بمرض السلّ، وأياً كان المرض فقد مات عبد الرحمن بن الأشعث بعد مرض شديد في الرُّخج. وذلك سنة ٨٥هـ الموافق ٧٠٤م. بينما امرؤ القيس مات قبل ذلك بمائة وخمس وستين عاماً ـ سنة ٨٠ قبل الهجرة الموافق نحو عام ٥٤٠م ـ ويتبين من مجمل ذلك بطلان أوهام طه حسين عن امرىء القيس وهو أشعر شعراء اليمن والأمة العربية في الجاهلية وعبر التاريخ وله مبحث خاص وشامل في هذا الكتاب الأول من نوعه عن شعر وشعراء اليمن في الجاهلية. والله الموفق.

المؤلف/ محمد حسين الفرح

صنعاء ـ نوفمبر ٢٠٠٤م

مارس ٢٠٠٥م

المبحث «١»

الأَفْوَه الأَوْدِيّ

«أقدم كبار شُعَراء اليمن في الجاهلية»

هو الشاعر اليمني الجاهلي الأَفْوَه صَلاءَة بن عمرو بن مالك بن عَوْف بن الحارث بن مُنَبِّه بن أَوْد(الأَوْدِيّ) ابن صعب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج (المذحجي) بن أُدَد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهو من قدماء كبار الشعراء في الجاهلية. قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء:

«الأَفْوَه الأَوْدي هو صَلاءَة بن عمرو، مِنْ مَذْحِج، ويُكَنّىٰ أبا ربيعة، وهو القائل:

لا يَصْلُحُ القَوْمُ فَوْضَىٰ لا سَرَاةَ لَهُمْ ... ولا سَـرَاةَ إِذَا جُـهَّـالُـهُـمْ سَـادُوا

تُهْدَىٰ الأُمُور بِأَهْلِ الرأيِ ما صَلَحَتْ ... فـإِنْ تَـوَلَّـتْ فـبِـالأَشْـرَارِ تَـنْـقَـادُ

ومن جيّد شعر الأفوه الأودي قوله:

إِنَّـمَـا نِـعْـمَـةُ قَـوْم مُـتْـعَـةٌ ... وحَـيَـاةُ الـمَـرْءِ ثَـوْبٌ مُـسْـتَـعَـارُ

خَـتَـمَ الـدَّهْـرُ عَـلَـيْـنَـا أَنَّـهُ ... ظَـلَـفٌ مـا نَـالَ مِـنَّـا وجُـبَـارُ

ظَلَفٌ: باطل. وجُبَارُ: هَدَرٌ. وهذه القصيدة من جيِّد شعر العرب، أَوَّلُها:

إِنْ تَـرَيْ رأسِـيَ فِـيـهِ نَـزَعٌ ... وشَـوَايَ خَـلَّـةٌ فـيـهـا دُوَارُ[١]

وهو القائل:

والـمَـرْءُ مـا تُـصْـلِـحُ لـه لَـيْـلَـةٌ ... بـالسَّعْدِ تُفْسِدُهُ لـيـالـي الـنُّـحُـوسْ

والـخَـيْـرُ لا يـأتـي ابْـتِـغَـاءُ بِـهِ ... والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشَّمُوسْ[٢]

(١) جاء في هامش ابن قتيبة أن «النَّزَع: انحسار مُقدم الرأس عن جانبي الجبهة. الشوى: جماعة الأطراف، وأراد به هنا الرأس. ورواية اللباب «وشواتي» والشواة: جلدة الرأس. خَلَّةٌ: مهزولة قليلة اللحم».

(٢) الضرح: التنحية والدفع وهي كلمة يمنية قديمة جاءت في النقوش. أما الشَّمُوس فجاء في الهامش «الشَّمُوس: هو من الدواب الذي إذا نَخَس جمح ولم يستقر» وأقول إن الشموس قد يكون جمع الآلهة التي اسمها (شمس) في النقوش اليمنية وهي (شمس تنوف) و (شمس غضران) و (شمس العالية) في معتقدات اليمنيين في ذلك الزمن التليد.

وقال القاضي أحمد شاكر في الهامش: «البيتان في المعاهد، وهما من قصيدة من عزيز الشعر ونادره»(١) وسيأتي نص القصائد الثلاث التي ذكر منها ابن قتيبة تلك الأبيات وهي من جيِّد قديم شعر العرب وعزيز الشعر ونادره.

مكانة الأفوه الأودي.. ومنطقته باليمن.. وزمنه:

وقد جاء في كتاب الأغاني عن ابن الكلبي قال: «كان الأفوه الأودي من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سَيِّد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه..» قال الأصفهاني: «وكان يُقال لأبيه عمرو فارس الشوهاء، وفي ذلك يقول الأفوه:

أَبِي فَارِسُ الشَّوْهَاءِ عَمْرُو بن مالِكٍ غَدَاةَ الوَغَىٰ إذْ مَالَ بِالجَدِّ عَاثِرُ»(٢)

والأصوب (فارس الشهباء) كما في معاهد التنصيص، وقال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «كان يُقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشهباء. وفي ذلك يقول الأفوه:

أَبِي فَارِسُ الشّهبَاءِ عمرو بن مالك غَدَاة الوَغَى إذْ مَالَ بالجَدِّ عاثِرُ

وكان الأفوه من قدماء الشعراء في الجاهلية وكان سيّد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه»(٣).

فمكانة الأفوه الأودي هي أنه ـ كما ذكر ابن الكلبي والأصفهاني ـ (من كبار الشعراء في الجاهلية) وأنه في ذات الوقت (من قدماء الشعراء في الجاهلية) فهو من طبقة كبار وفحول الشعراء الجاهليين أمثال امرىء القيس بن حُجْر الكِنْدي وزُهير بن أبي سُلمى، والنابغة، والأعشى، وغيرهم من كبار الشعراء، ولكنه أقدم منهم زمناً بعدة أجيال وعدة قرون إذْ أنه (من قدماء الشعراء) وقد كان قدماء وأوائل الشعراء ليس لهم إلا أبيات قليلة، وعن ذلك قال ابن قتيبة: «لم يكن لأوائل الشعراء إلّا الأبيات القليلة يقولها عند حدوث الحاجة، فَمِن قديم الشعر قول دُوَيْد بن نَهْد القُضَاعيّ:

الْيَوْم يُبْنَىٰ لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ لَوْ كان للدَّهر بِلًى أَبْلَيْتُهُ

إلخ..» وكذلك شعر «.. الحرث بن كعب المَذْحجيّ وكان قديماً»(٤) وجاء في كتاب الأمالي: إن الحرث بن كعب كان على دين النبي شُعيب عليه السلام، وفي

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ٢٢٣ و ٢٢٤.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٣/١١.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١/٢٢٠.
(٤) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٤.

كتاب الوصايا أنه «عاصر المسيح عليه السلام». وقد كان الأفوه الأودي من قدماء الشعراء مثل دُوَيْد والحرث بن كعب ولكنه كان كثير الشعر وحفظت وتناقلت الأجيال العديد من قصائده وذلك لأنه كان قائداً حربياً وأكثر الشعر إنما كان يقال بسبب الحروب والأيام. بالإضافة إلى جودة شعره وما فيه من التسجيل للوقائع ومن البلاغة والحِكَمِ والتاريخ، فالأفوه هو أقدم كبار الشعراء في الجاهلية.

وقد جاء في كتاب تاريخ الحروب العربية الجاهلية أنه «كان تُبَّع بن ذي الأذعار أمَّرَ الأفْوَه الأوْدي على أوْد وجميع مَذْحج»[(١)] مما يعني أن الأفوه عاصر الملك (تُبَّع بن ذي الأذعار) وهو الملك (ياسر يُهصْدِق ملك سبأ . .بن عمرو بن ذي الأذعار) وكان زمنه بعد الملكة بلقيس والنبي سليمان في القرن التاسع ق.م. أي قبل الإسلام بألف وخمسمائة سنة[(٢)] وهو زمن قديم جداً، ولذلك نَميلُ إلى ما ذكره الأستاذ محمد سعيد جرادة من أنه: ذكر الباحث العراقي الأستاذ هاشم الطعان في دراسة عن قدماء الشعراء أن «الأفوه الأودي ديوانه ضمن الطرائف الأدبية وشعراء النصرانية، وفيه إشارة غير دقيقة إلى كونه معاصراً للمسيح»[(٣)]. أي أنه عاش في القرن الأول الميلادي وذلك قبل الإسلام بنحو خمسمائة وخمسين عاماً، وهذا التقدير أقرب وأنسب من القول بأنه عاصر تُبَّع بن ذي الأذعار قبل الإسلام بألف وخمسمائة سنة، وإنما عاصر ملوك اليمن الذين عاصروا المسيح في القرن الأول الميلادي وهو بذلك أقدم كبار الشعراء في الجاهلية.

وقال الأستاذ محمد سعيد جرادة: «وهذا الشاعر الأفوه الأودي عاش في اليمن»[(٣)] وأقول منطقة الأفوه وقبيلة أود المذحجية قد ذكرها الحسن الهمداني بالتفصيل في مناطق (سَرْو مذحج) حيث كانت أحياء وعشائر قبيلة أوْد تنتشر في أرجاء مناطق سَرْو مذحج التي هي مناطق ومحافظات البيضاء وأبين ودثينة وشَبْوَة وقد ذكر الهمداني مناطق أود وغيرهم من مذحج في تلك الأرجاء بالتفصيل ومنها ـ كما قال الهمداني ـ «وادي نَعْوَة: لبني مُنَبّه وهُم أخوة بني كُتَيف وبني قيس من أود، وهُم رهط الأفوه الأودي»[(٤)]. وما يزال وادي نعوة يحتفظ باسمه حتى اليوم وهو في ناحية الزاهر آل حُمَيْقان بمحافظة البيضاء. فالأفوه الأودي من منطقة محافظة البيضاء باليمن. وكان قائداً لقبيلة أوْد وجميع قبائل مذحج، حيث «أمَّرَهُ ـ أحد الملوك التبابعة

---

(١) تاريخ الحروب العربية ـ محمد بن إسحاق ـ ص ٤٤.
(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٣٣٠/ ١.
(٣) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٢٧ و ٤٠.
(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٨٥.

- على أَوْد وجميع مذحج» فكان هو «قائد قومه في حروبهم» أي القائد العام لقبائل مذحج جميعها. وتشمل مناطق قبائل مذحج محافظات البيضاء وأبين وذمار وشبوة ومأرب ومناطق من مخاليف نجران والسَرَاة بأعالي اليمن إلى منتهى نجران والسراة بتخوم الطائف وتخوم اليمامة ونجد وهي منتهى أعالي اليمن.

شعر الأفوه عن ما قبل أيامه:

وقد كان والد الأفوه قائداً قبل الأفوه في سَرْو مذحج وقبائل مذحج، فقال الأفوه يذكر أيام أبيه:

أَبِي فَارِسُ الشَّهْبَاءِ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ... غَدَاةَ الوَغَى إذْ مَالَ بِالجَدِّ عَاثِرُ[1]

غَـدَاةَ أَقَامَ النَّاسُ فِي حَجْرَتَيْهِمُ ... ضِرَاباً كَمَا ذِيْدَ الخِمَاسُ البَوَاكِرُ[2]

بِضَرْبٍ يُطِيْرُ الهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ ... وَإصْرَادِ طَعْنٍ وَالقَنَا مُتَشَاجِرُ[3]

فَمَا غَمَزَتْهُ الحَرْبُ إذْ شَمَّرَتْ لَهُ ... ولا خَارَ إذْ جُرَّتْ عَلَيْهِ الجَرَائِرُ[4]

وقَوْمِي إذا كَحْلُ عَلَى النَّاسِ صَرَّحَتْ ... ولاذَ بِأَذْرَاءِ البُيُوْتِ الأَبَاعِرُ[5]

إذا قَوَّمتْ سَدَّتْ خِلالَ فُرُوجِها ... قِلاصُ كَنَخْلِ الخَزْرَجِيّ تَواجِرُ[5]

(وَكَانَ أَتَيَاماً كُلُّ حَرْفٍ) غَزِيْرَةٍ ... أَهَانُوا لَهَا الأَمْوَالَ، وَالعِرْضُ وَافِرُ[5]

هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الطُّفَافِ وَسِرْبَهُ ... بِشُعْثٍ عَلَيْهَا المُصْلِتُوْنَ المَغَاوِرُ[6]

---

(١) الشهباء: اسم حصان عمرو بن مالك. وجاء في الأغاني (فارس الشوهاء) وربما كان له فرس اسمه الشهباء وفرس اسمه الشوهاء، وجاء في كتاب الطرائف (فارس الصَّرْماء) وأن (الصرماء: فرس الأفوه). وقوله (غداة الوغى) أي غَداة الحرب. وقوله (بالجدّ) أي بحظ المرء.

(٢) الخماس: النّوق، تذاد عن الماء وتعطش فلا تَرِدُ الماء إلا في اليوم الخامس. وقوله (في حَجْرَتَيْهِمْ) أي في يوم موقعة دارت في موضع (حجرتيهم).

(٣) الهام: رأس الجسم. إصراد: إصابة من صرد السهام ونفذه. القَنَا: الرمح.

(٤) ويروى (فما غمرته الحرب) وفي الطرائف (فما غمزته الحرب) وهو الأصوب لأنه يَصِفُ ثبات أبيه في الحرب. ولا خَار: ولا ضَعُف ولا وَهَنَ.

(٥) هذا البيت والبيتان بعده ثلاثة أبيات مترابطة يصف فيها قومه إذا (كَحْلُ على الناس صَرَّحَتْ) أي إذا وقعت سنة كَحْل وهي سنة جَدْب، ومعنى (صرحت: أجدبت). وإذراء البيوت: أطرافها. التواجر: النوافق في السوق إذا عرضت. أتياماً: ذبح الشّاة في أيام الشدّة. الحرف: الناقة النجيبة الماضية إذا أهزلتها الأسفار. يقول إن قومه إذا وقع ذلك بذلوا الأموال كناية عن الكرم ولم يزل عِرْضُهم وافراً لا يمسهم شيء من الفاقة والذم في سنوات الشدة والجدب. ويروى صدر البيت «وكانت يتامى كل جَلْس غزيرة». ولعله الأصوب.

(٦) صَبَّحُوا: أي صبّحوا بالغارة الحربية. الطّفاف: اسم منطقة ربما بجهات الطائف. الشُعث: الخيول. المصلتون: الماضون البارزون المغيرون.

كأَنَّ الجِيَادَ الشُّعْثَ تَحْتَ رِحَالِهِمْ سَمَامٌ دَعَاهَا لِلْمَزَاحِفِ نَاجِرُ

السّمام: نوع من الطير. وناجِر: اسم شهر من الشهور عند العرب في العصور القديمة، قال المسعودي: «كانت العربُ تُسمي الأيام في الجاهلية: الأحد أول، والاثنين أهون، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مُؤنس، والجمعة عروبة، والسبت شيار. وكانوا يُسمون الشهور: المحرم ناتق، وصفر ثقيل، ثم طليق، ثم ناجِر، أسلخ، أميح، أحلك، كسع، زاهر، برك، حرف، نعس وهو ذو الحجة»[١].

وعلى ذلك فإنّ شهر ناجر المذكور في شعر الأفوه هو ربيع الثاني ـ أو رابع شهور السنة ـ وهو من أشْهُر الحَرّ والصيف في ترتيب الفصول حيث كانت السنة في التقويم اليمني الحِمْيَري القديم تبدأ بفصل الخريف (ذي خريف) وكان ناجر من شهور الصيف أو القَيْظ الحارّة.

وقال الهمداني في حديثه عن مدينة مأرب بالإكليل ما يلي: «ويقال مأرب ومريب من العرب العاربة، قال الأفوه الأوْدي:

فَسَائِلْ بِنَا حَيَّيْ مُرَيْبٍ ومأرِبٍ بِرَائِسِ حَجْرٍ حَزْنُهَا وسُهُولُهَا»[٢]

وهذا البيت من أربعة أبيات للأفوه الأودي عن معركة قديمة بين قبائل سعد العشيرة المَذْحجية من جهة وبين قبيلتي مأرب ومريب التليدة في أرض مأرب السبئية، وقد كانت قبائل مذحج منضوية في دولة معين بمناطق الجوف ونجران ودولة قتبان في سرو مذحج بينما كانت أرض مأرب مركز حكم مكارب سبأ، فقال الأفوه الأودي عن تلك المعركة:

دَعَتْنَا بَنُو سَعْدٍ إلى الحَرْبِ دَعْوَةً ولَمْ يَكُ حَقًّا في (السّلاءِ) خُذُوْلُهَا[٣]

فَسَائِلْ بِنَا حَيَّيْ مُرَيْبٍ وَمَأرِبٍ بِرَائِسِ حجْرٍ حَزْنُهَا وسُهُولُهَا

فأُبْنَا بِحُوْرٍ كالظِّبَاءِ وَجَامِلٍ وَلَمْ يَمْنَع البِيْضَ الحِسَانَ بُعُولُهَا[٤]

تُنَاغِي العَضَارِيْطَ المُشَاةَ خَرَائِدٌ تُمَسِّح أطْرَافَ القِلاصِ ذُيُولُهَا[٥]

وقوله: (فسائل بنا حَيّي مريب ومأرب) قد يكون المقصود قبيلتي مأرب

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٢٠٧/ ٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨/٤٨.

(٣) جاء عجز البيت في الروايات (ولم يك حقاً في السّلاب. .) بينما جاء في النقوش اليمنية (سلا) بمعنى استحفظ فيكون الأصوب (في السلاء) أي الحفائظ.

(٤) الجامل: قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها.

(٥) تُناغي: تُناجي. العضاريط: الأتباع. الخرائد: النساء الأبكار. ذيولها: أطراف أثوابها.

ومريب، وهما من العرب العاربة أي مِنْ قدماء اليمنيين وقد جاء في أسماء قبائل العرب العاربة اليمانية التليدة اسم «مأرب بن فاران» ولعل بني مأرب بن فاران أول من سكن أرض مأرب وبهم سُمّيت. وقد يكون المقصود بقوله: (تسائل بنا حيّي مريب ومأرب) إنما هو أهل منطقتي مريب ومأرب، وقد جاء ذكر (مريب) كاسم مدينة ومنطقة في أحد النقوش السبئية كما جاء اسم (مأرب) في مئات النقوش، فهو يعني أهل وسكان منطقتي مريب ومأرب ولذلك قال: (حَزْنها وسهُولُها) أي مرتفعات وسهول مريب ومأرب. وقوله: (برائس حجرٍ) قد توهم البعض أن (رائس حجر: إسم موضع) وليس كذلك وإنما المقصود بقوله (برائس حجر) هو في زمن رئاسة حجْر حيث تذكر العديد من النقوش وقوع الأمر الذي تم تدوين النقش بمناسبته في زمن وعهد رئاسة فلان، ومثال ذلك نقش مُسند من براقش في الجوف يذكر أن أهل ضمران استحفظوا «سلا/ عثتر/ وود/ كل/ مبنى/ وتصاور/ صحفة/ تعرم/ بجنا/ يثل/ . . بمرأس/ وقه إل/ وابنه/ اليفع يشر ملكي معين/ وبمرأس/ شَهْر يجل يُهرحب/ ملك قتبان» أي استحفظوا «سلا» الآلهة عثتر وودّ كل مباني وتماثيل (تصاوير) صحيفة أو وثيقة أملاكهم في تعرم بمدينة يثل في عهد رئاسة «بمرأس وقه إل وابنه اليفع يشر ملكي معين، وبمرأس شَهْر يجل يُهْرحِب ملك قتبان» وذلك في القرن الثاني قبل الميلاد[١]. فكذلك هو قول الأفوه «برائس حُجْر» أي «بمرأس حُجْر» في زمن رئاسة الملك حجر، وقد كان حُجْر اسم عدد من الملوك والأقيال في الزمن التليد، مثل (حُجْر أيفع) و (حُجْر بن ذي رُعَيْن) وغيرهما من الملوك والأقيال.

وقال الهمداني في حديثه عن معبد رئام بمنطقة همدان ـ بمحافظة عمران ـ ما يلي: «ولا أدري أرِئَام هذه يعني الأفوه الأودي أم غيرها من أرض اليمن بقوله:

إِنَّـا بَـنُـو أَوْدٍ الّـذي بِـلـوائِـهِ ... صَعُبَتْ رِئَامُ وَقَدْ غَزَاهَا الأَجْرَعُ»[٢]

وهذا البيت من قصيدة عينية للأفوه الأودي ذكرت المصادر منها تسعة عشر بيتاً وهي:

ذَهَبَ الذينَ عَهِدْتُ أمْسِ بِرَأْيِهِمْ ... مَنْ كَانَ يَنْقُصُ رَأْيُهُ يَسْتَمْتِعُ[٣]

وإذَا الأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وتَشَابَهَتْ ... فَهُنَاكَ تَعْتَرِفُونَ أيْنَ المَفْزَعُ[٤]

---

(١) النقش رقم.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦٧/٨.
(٣) يستمتع: يُزاد له في عقله.
(٤) تشابهت: اختلطت واشتكلت. المفزع: الملجأ. أي إذا تعاظمت وأشكلت الأمور يلجأون إلى رأي صاحب الرأي.

وَإِذَا عَـجَـاجُ الـمَـوتِ ثَـارَ وهَـلْـهَـلَـتْ فيـه الـجِـيَـادُ إلى الـجِـيَـادِ تَـسَـرَّعُ[١]

بـالـدَّارِعِـيْـنَ كـأَنَّـهـا عَـصَـبُ الـقَـطَـا الـ أَسْرَابِ تَمْعَجُ في العَجَاجِ وتَمْزَعُ[٢]

كُـنَّـا فَـوَارِسَـهَـا الـذيـنَ إذا دَعَـا دَاعِـي الـصَّـبَـاحِ بِـهِ إِلَـيْـهِـمْ نَـفْـزَعُ[٣]

كُـنَّـا فَـوَارِسَ نَـجْـدَةٍ لـكِـنَّـهَـا رُتَـبٌ فَـبَـعْـضٌ فَـوقَ بَـعْـضٍ يَـشْـفَـعُ[٤]

ولِـكُـلِّ سَـاعٍ سُـنَّـةٌ مِـمَّـنْ مَـضَـى تَـنْـمِـي بِـهِ فـي سَـعْـيِـه أَوْ تُـبْـدِعُ[٥]

وكـأَنَّـمَـا فِـيْـهَـا الـمَـذَانِـبُ خِـلْـفَـةً وَذَمُ الـدِّلاءِ عَـلَـى قَـلِـيْـبٍ تُـنْـزَعُ[٦]

فِـيْـنَـا لِـثَـعْـلَـبَـةَ بْـنِ عَـوْفٍ جَـفْـنَـةٌ يَـأوِي إِلَـيْـهَـا فـي الـشِّـتَـاءِ الـجُـوَّعُ[٧]

ومَـذَانِـبُ مَـا تُـسْـتَـعَـارُ وجَـفْـنَـةٌ سَـوْدَاءُ عِـنْـدَ نَـشِـيْـجِـهَـا ما تُـرْفَـعُ[٨]

مَـنْ كـانَ يَـشْـتُـو والأرامِـلُ حَـوْلَـهُ يُـرْوِيْ بـآنِـيَـةِ الـصَّـرِيْـفِ ويُـشْـبِـعُ[٩]

فـي كُـلِّ يَـوْمٍ أنْـتَ تَـفْـقِـدُ مِـنْـهُـمْ طَـرَفـاً وَأَيُّ مَـخِـيْـلَـةٍ لا تُـقْـلِـعُ[١٠]

لَـمْ يَـبْـقَ بَـعْـدَهُـمْ لِـعَـيْـنَـيْ نـاظِـرٍ مَـا تَـسْـتَـنِـيْـمُ لَـهُ الـعُـيُـونُ وَتَـهْـجَـعُ[١١]

إلا الـمَـلامَـةَ مِـنْ رِجَـالٍ قَـدْ بُـلُـوا فَـهُـمُـو هُـمـو، وأخْـو الـمَـلامَـةِ يَـجْـزَعُ

(١) عجاج الموت: غبار المعركة. هلهلت: دَنَتْ. وقد يكون (هلّلت) أي حَمَلَتْ.
(٢) الدّارعون: أصحاب الدروع. العُصب: الجماعات. القَطَا: طيرٌ يكون عند المياه. تمعج وتمزع: تُسرع. شبَّه الخيول في وثباتها وعليها الفرسان ذوي الدروع بأسراب القطا في انقضاضها وإسراعها عند ورودها موارد المياه.
(٣) داعي الصباح: نداء مصابحة الغارة والحرب. نفزع: نُغِيثُ.
(٤) نجدة: شجاعة. رُتب: مراتب يعلو بعضها على بعض في الشجاعة والإقدام. يشفع: يزيد ويتضاعف أو يقترن.
(٥) لكل ساع سنّة: لكل من يسعى طريقة على طريقة وسنّة من مضى من آبائه. تنمى به: تنهض به إذا كان كريم المسعى، أو تُبدع به وتنزعه إذا لم يكن كريم المسعى.
(٦) المذانب: مسايل المياه. الوَذَم: السيور الجِلدية التي تُشدُّ بها الادلاء. والادلاء: جمع دلو. القليب: البئر كثيرة المياه.
(٧) ثعلبة بن عوف: بنو ثعلبة بن عوف بن الحارث بن مُنَبِّه بن أود. الجفنة: قِدْر الطعام الكبير.
(٨) نشيجها: صوت غليانها.
(٩) من كان يشتو: أي من يأتي إليهم في الشتاء. آنية الصريف: آنية الفضة. وجاء في النقوش (صلماً صرفاً) أي صنماً من الفضة.
(١٠) مخيلة: سحابة تتخيل فيها المطر.
(١١) لم يبق بعدهم: أي الذين ذهبوا وماتوا من أهل الرأي الذين بدأ القصيدة بقوله عنهم:
ذهـب الـذيـن عَـهِـدْتُ أمـسِ بـرأيـهِـمْ مَـنْ كـانَ يَـنْـقُـصُ رأيَـهُ يَـسْـتَـمْـتِـعُ
ما تستنيم به العيون: ما تقرّ به العيون.

إِنَّـا بَـنُـو أَوْدِ الـذي بِـلِـوَائِـهِ ... مُنِعَتْ رِئَـامَ وَقَدْ غَزَاهَا الأَجْـرَعُ
وبِـهِ تَـيَـمَّـنَ يَـوْمَ سَـارَ مُـكَـاثِـراً ... في النّاسِ يَقْتَصُّ المَنَاهِلَ تُبَّعُ
وَلَقَدْ نَكُونُ إِذَا تَحَلَّلَتِ الحُبَاء ... مِنَّا الرَّئِيْسُ ابنُ الرَّئِيْسِ المَقْنَعُ[(١)]
والدَّهْرُ لا يَبْقَى عليهِ لِقْوَةُ ... في رأسِ قَاعِلَةٍ نَمَتْهَا أَرْبَعُ[(٢)]
مِنْ دُوْنِـهَا رُتَـبٌ فَأَدْنَى رُتْبَةٍ ... مِنْهَا عَلَى الصَّدَعِ الرَّجِيْلِ تَمَنَّعُ[(٣)]

ويتيح معرفة تاريخية هامة قوله: «إنّا بنو أوْد. . إلخ». فيتبين من ذلك أن **(أوْد بن صعب)** ـ جد قبيلة أوْد ـ عاصر القَيْل الأجْرَع وتصدى لغزوة غزاها الأجرع إلى رئام، وكان أود مع الملك تُبّع وبه تيمن تُبّع. فمنْ هو الأجرع؟ ومن هو تُبّع الذي عاصره أود؟ إنّ القيل الأجرع هو «أجرع بن سوران بن ربيعة بن بكيل بن جُشم بن خيران. .» وقد ذكر الحسن الهمداني في الإكليل أنه: «أولد ربيعة بن بكيل: سوران. فأولد سوران: عُلمان بن سوران، وعمرو بن سوران، وشرع بن سوران، وأجرع بن سوران باني قصر يسحم. أربعة نفر بني سوران وقد ملكوا»[(٤)]. وقال علقمة بن ذي جدن يذكر بعض قدماء الأقيال:

وذا ريـامِ وبـنـي قـارسٍ ... وأجـرع الـقَـيْـل أبـا يـسـحـمِ[(٤)]

وقد تم العثور على نقوش باسم بني سوران في محرم بلقيس بمأرب، منها نقشان باسم «سعد أوام/ وأخيه/ أحمد أزاد/ بني سوران/ أقيال شعب بكيل رُبع ذي ريدة وسهمان/ قادة نشاكرب يأمن ملك سبأ وذي ريدان بن إلشَرْح يَحْضُبْ ويازل ملكي سبأ وذي ريدان» ونقش مسند جاء فيه اسم القَيْل «يرعد بن سوران من أقيال الملك سعد شمس بن إلشرح يحضب»[(٥)] ويتبين من النقوش أن بني سوران كانوا أقيال ربع قبائل بكيل الذين هم بمنطقة ذي ريدة وسهمان من قبائل بكيل، ومنطقة ذي ريدة هي ناحية ريدة وما كان يتبعها بمحافظة عمران حالياً. وقد جاء في الإكليل أن: «أجرع بن سوران هو باني قصر يسحم». وموقع قصر يسحم في ناحية خارف

---

(١) الحبا: ما يحتبي به الرجل من ثوب أو حمالة سيف فإذا دهمه أمر حلّ حبوته، ويعني إذا دهمهم أمر كبير. المقنع: الذي يُرضى ويُقنع به.
(٢) لِقوة: اسم أنثى العُقاب. رأس قاعله: رأس جبل شامخ طويل. نمتها أربع: رفعتها أربع مراتب أو مستويات من الجبل.
(٣) الصدع الرجيل: الصدع القوي في شامخ الجبل. تَمَنَّعُ: تحتمي وتمنع. أي أن أنثى النسر العقاب يدركها الموت حتى وهي في ذلك الجبل الشامخ.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٢٢ و ١٣٣/ ١٠.
(٥) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ٤٣٨.

بمحافظة عمران وما تزال أطلاله تدل على أنه كان قصراً وقلعة عظيمة، وقد كان بنو سوران أقيالاً كالملوك في عهد بني إليشرح يحضب ملوك سبأ وذي ريدان. وآنذاك غزا الأجرع بن سوران منطقة رئام الحميرية المذحجية وهي غير رئام همدان، وقد جاء في إحدى الهوامش (رئام: مدينة من مدائن حمير) فلعلها ريام منطقة رداع في سرو مذحج فامتنعت وصعبت رئام على الأجرع بن سوران لأن قوة حميرية ومذحجية بقيادة أود بن صعب دافعت عنها وصدت الهجوم. ومؤدى ذلك أن زمن (أوْد بن صعب) كان في زمن ملوكية (نشاكرب وسعد شمس بني إليشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان) ثم ما لبث أن انضوى الجميع تحت لواء الملك التُّبَّع الحميري (ياسر يُنعم الأول ملك سبأ وذي ريدان) فهو المقصود بقول الأفوه الأودي:

وبـه تَـيَـمَّـنَ يـومَ سَـارَ مُـكـاثـراً في الـنـاس يَـقْـتَـصُّ الـمـنـاهِـلَ تُـبَّـع

ويدل كل ذلك على أن زمن (أود بن صعب)- جد بني أود- كان في قرون ما قبل الميلاد، ثم تناسل وتكاثر بنو أود وانتشرت بطونهم وعشائرهم في منطقة سرو مذحج، وصار منهم رؤساء قادة تقنع برئاستهم وقيادتهم قبائل مذحج أو الدولة حيث كما قال الأفوه:

«مِنَّا الـرئـيـسُ ابـن الـرئـيـسِ الـمَـقْـنَـعُ»

وكان من آخرهم (عمرو فارس الشهباء) والد الأفوه، ثم أصبح الأفوه هو رئيس وقائد بني أود وكل قبائل مذحج، ولعل مما ساهم في حفظ وتناقل أشعاره أنه كان آخر الرؤساء القادة من بني أوْد في التاريخ التليد، وقد سلف ذكر نسب الأفوه الأودي وفيه اقتصار واختصار لأن من شرائط النسب الاكتفاء بذكر أشهر الآباء والأجداد كما نص على ذلك الهمداني في الإكليل.

رئاسة الأفوه وسجاياه وحكمته:

في زمن أحد ملوك اليمن التبابعة الحميريين انعقدت رئاسة وقيادة قبائل مذحج للأفوه الأودي، وقد جاء في كتاب الأغاني عن ابن الكلبي وفي هامش الإكليل أنه «كان الأفوه الأودي سيّد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه. والعربُ تعدّه من حكمائها». وانفردت إحدى الروايات بقولها: «كان تُبّع بن ذي الأذعار أمّره على أود وجميع مذحج»، وبالرغم من أن زمن تُبّع بن ذي الأذعار أقدم من الأفوه بعدة قرون إلا أن ذلك يدل على أن رئاسة وتأمير الأفوه كانت من أحد الملوك التبابعة ـ ربما من سلالة ذي الأذعار ـ في زمن الأفوه ما بين القرن الأول ق.م. والقرن الأول الميلادي تقريباً. ولم يكن الأفوه رئيساً قائداً لبني أود فقط وإنما (أود وجميع مذحج) ومما يشير إلى ذلك قول الأفوه:

وَسَـعْـدُ لَـوْ دَعَـوْتُـهُـمْ لَـثَـابُـوا إِلَـيَّ حَـفِـيْـفَ غَـابِ نَـوىً بِـأُسْـدِ

وسعد: هم قبائل سعد العشيرة بن مذحج، وهُم: أود، وزُبيد، وأوس اللّه، وجُعْفَى بن سعد بن مذحج، وحَكَم بن سعد بن مذحج، خمس قبائل أو بطون مذحجية كبيرة.

وكذلك كانت رئاسته أو قيادته الحربية بالذات تشمل بقية قبائل مذحج وهي قبائل وبطون عنس بن مذحج، وعُلّة بن جَلْد بن مذحج، ومراد بن مذحج. وفي ذلك قال الأفوه:

إِنِّـي ذُؤابَـةُ مَـذْحَـجٍ وسَـنَـامُـهـا وأنـا الـكـرِيـمُ ذُرَى الـقـديـمـةِ كُـرِّرا

وقد شاع في أغلب المصادر كسر الحاء في مَذْحج وأنه (مَذْحِج) بينما المتواتر في لسان قبائل مذحج وكل اليمنيين عبر الأجيال وحتى اليوم هو (مَذْحَجْ) بفتح الحاء، ولا بد أنه الصواب. ومما يدل على علو مكانة ورئاسة الأفوه الأودي أن مناطق قبائل وبطون مذحج سالفة الذكر تمتد في ثمان محافظات هي البيضاء وذمار وأبين وشبوة ومأرب والجوف ومخلاف نجران وسراة عسير. وكانت مذحج حليفة قبائل حمير التي تمتد مناطقها في أغلب بقية محافظات وأرجاء اليمن. ويشير إلى ذلك قول الأفوه:

ما خَيْرُ حِمْيَرَ أَنْ تُسَلِّمَ مَذْحَجاً أَوْ خَيْرُ مذحج أَنْ تُسَلِّمَ حِمْيَرَا

وقال الأفوه:

جَـلَـبْـنَـا الـخَـيْـلَ مِـنْ غَـيْـدَانَ حَـتَّـى وَقَـعْـنَـاهُـنَّ أَيْـمَـنَ مِـنْ صُـنَـافِ

وجاء في معجم البلدان: «غَيْدَان: موضع باليمن، يُنسب إلى غيدان بن حَجْر بن ذي رُعَين الحميري. وصناف: اسم جبل». فغيدان التي جلب الأفوه منها الخيل هي بمنطقة ذي رُعَيْن الحميرية التي منها يريم والنادرة والسدة وعمار بمحافظة إب وفيها كانت ظفار عاصمة ومقر ملوك الدولة الحميرية. وقال الأفوه:

لـنَـا بِـالـدُّخْـرُضَـيْـنِ مَـحَـلُّ مَـجْـدٍ وأَحْـسَـابٌ مُـؤَثَّـلَـةٌ طِـمَـاحُ[1]
وأَفْـرَاسٌ مُـذَلَّـلَـةٌ وَبِـيْـضٌ كـأَنَّ مُـتُـوْنَـهَـا فِـيـهَـا وَجَـاحُ[2]

والبيت الأول في معجم البلدان «الدُّخْرُضَان: بلد» واستشهد بالبيت المذكور للأفوه الأودي، وهي منطقة ومركز رئاسة الأفوه في سرو مذحج، ربما في وادي نعوة بناحية الزاهر آل حميقان بالبيضاء وأنها اندثرت فيما اندثر من المدن والمعاقل التليدة.

---

(١) طماح: مرتفعة سامقة.
(٢) الوجاح: الصفا الأملس.

وقال الأفوه يذكر (الألواذ) وهي منطقة بني ألوذ بن كعب بن أود:

الـخِـلُّ رَاضٍ شَـاكِـرٌ فـي عَـهْـدِهِ ... وعَـدُوُّهُ الـمـقْـهُـوْرُ مِـنْـهُ آذِي

الـلَّـهُ خَـوَّلَـهُ حَـيَـاةً مَـا لَـهَـا ... كَـدَرٌ وعَـيْـشـاً طـابَ فـي الألـواذِ

وقد يُقال إن الألواذ جَمعُ لوذ وهو جانب الجبل. وإنما يعني ديار بني ألوذ بن كعب بن أود. قال الهمداني في الصفة «حُصَامة وشوكان: واديان للألوذيين من بني أود.. وترمال: لألوذ». وما تزال ترمال قرية عامرة بالبيضاء حتى اليوم. وحصامة وشوكان واديان بالبيضاء من الوديان الخصيبة. وقال الأفوه ـ يذكر هيدب السحاب وانهمار المطر ـ:

لَـهُ هَـيْـدَبُ دَانٍ وَرَعْـدٌ وَلُـجَّـةٌ ... وبَـرْقٌ تَـرَاهُ سَـاطِـعـاً يَـتَـبَـلَّـجُ

فَبَاتَتْ كِلَابُ الحَيِّ يَنْبَحْنَ مُزْنَهُ ... وأضْحَتْ بَنَاتُ المَاءِ فِيْهَا تَمَعَّجُ[(١)]

بينما في منطقة من الجوف كان يمتد وادٍ مُقْفِرٍ لا مطر فيه ولا بشر، وعنه قال الأفوه الأودي:

وبِـشُـؤْمِ الـجَـور والـبَـغْـي قَـدِيـمـاً ... قَدْ خَلا جَـوْفٌ ولَـمْ يَبْقَ حِـمَـارُ[(٢)]

وهو جوف حِمار، منسوب إلى حمار بن مُوَيْلع، من بقية قوم عاد، وكان باغياً غاشماً، فأحرقته هو ومنطقته بالجوف صواعق من السماء، فأقفر ذلك المكان من أرض الجوف وكان لا يستجرىءُ أحدٌ أن يسكن فيه. وضُرِبَ به المثل «أَخْلَى من جَوْف حِمَار». قال ابن قتيبة: «هو جوف مُرَاد اليوم، وإيَّاه عَنَى امرؤ القيس بقوله:

ووادٍ كـجـوْفِ الـعَـيْـرِ قَـفـرٍ قَـطَـعْـتُـهُ ... به الـذِّئْـبُ يَـعْوي كـالـخليع الـمُـعَيَّلِ

أراد جوف حمار» (اهـ) ويتبين من ذلك أنه منطقة من أقاصي الجوف تنعطف إلى أعالي حضرموت وكان من مناطق مُرَاد المذحجية في الجوف.

• ومن أشعار الأفوه التي تتجلى فيها سجاياه ومكارم الأخلاق والحكمة جاء في كتاب الطرائف الأدبية «قال الأفوه الأودي:

وإنِّي لأُعطِي الـحَقَّ مَنْ لو ظَلَمْـتُهُ ... أَقَـرَّ وأعْـطَـانِـي الـذي أنـا طَـالِـبُ

---

(١) البيتان في الطرائف الأدبية ـ ص ٩ ـ الهيدب: السحاب الذي يتدلّى ويدنو مثل هُدْب القطيفة. وقيل: هَيْدَبُ السحاب: ذيله. وقال الجوهري: هيدبُ السحاب ما تهدَّب منه إذا أراد الوَدْقَ كأنه خيوط. اللّجّة: الصوت. يتبلج: يُسْفر ويضيء. بنات الماء: نوع من طير الماء. تمعج: تتلوى وتتقلب.

(٢) جاء صدر البيت في معجم البلدان وفي مجمع الأمثال (وبشؤم البَغْي والغَشْم قديماً) ويُروى عجز البيت «ما خلا جوفٌ ولم يبقَ حِمارٌ» والعرب تضرب به المثل فتقول (أخلى من جوف حمار).

وآخُذُ حَقّي مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ وإنْ كَرُمَتْ أعرَاقُهُمْ والمناسبُ

وقال الأفوه الأودي:

إنَّ الملامَةَ لا تزالُ بِلَا عُذْرٍ أَمَامَ تَفَهُّمِ العُذْرِ»

وفي الطرائف الأدبية ومعاهد التنصيص والمستطرف وأدب الدنيا والدين وعيون الأخبار والدر الفريد: (قال الأفوه الأودي:

بلوتُ النَّاسَ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ فلم أَرَ غَيْرَ ذِي قِيلٍ وَقَالِ
ولم أَرَ في الخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلاً وأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ[١]
بلوتُ مَرَارَةَ الأشياء طُرّاً فما شَيءٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤَال)

قال صاحب معاهد التنصيص قال ابن الزبير: هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب[٢].

وفي التذييل والتكميل (قال الأفوه الأودي:

وكُلُّ قَرِينَةٍ فإلى افْتِرَاقٍ ولكِنْ فُرْقَةٌ تَنْفِي المُلامَا)

وقال:

إذا ما الدَّهْرُ أَبْعَدَ أو تَقَضَّى رِجَالَ المَرْءِ أَوْشَكَ أنْ يُضَامَا

وفي كتاب المِلَل والنِّحَل للشهرستاني باب: تقاليد العرب التي أقرّها الإسلام.
«وكان العرب يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم، قال الأفوه الأودي:

أَلا علِّلاني وَاعْلَمَا أَنَّني غَرَرْ وَمَا خِلْتُ يُجْدِيْني الشِّفَاقُ ولا الحَذَرْ[٣]
ومَا خِلْتُ يُجْدِيْني أُسَاتِيْ وقَد بَدَتْ مَفَاصِلُ أَوْصَالِي وَقَدْ شَخِصَ البَصَرْ[٤]
وَجَاءَ نِسَاءُ الحَيِّ مِنْ غَيْرِ أَمْرَةٍ زَفِيْفاً كَمَا زُفَّتْ إِلى العَطَنِ البَقَرْ[٥]

---

(١) في المستطرف:
«ولم أرَ في الخطوب أشدّ وَقْعاً وأمضى من معاداة الرجال»
(٢) معاهد التنصيص ـ العباسي ـ ص ١٥١/٢.
(٣) غَرَر: مغرور أو يَقْبَلُ أن يُغرّ. شَفَاق: شفقه. وقد يكون الأصل (وما خِلْتُ يُجْدِيني شَفَاقُ ولا حَذَرْ).
(٤) في الملل والنِّحَل (. . يُجديني ثيابي. .) والأصوب كما في الطرائف (. . أُساتي) أي مواساتي.
(٥) هذا البيت الثالث في الطرائف الأدبية. وقوله (من غير أَمْرَةٍ) أي مِن غير أمْر مُطاع أو استئذان. زفيفاً: مُسرعاتٍ في مجيئهن مع مقاربة الخطو. العَطَن: مَبْرك الدواب حول حوض الماء.

وَجَاؤوا بِمَاءٍ بَارِدٍ يغسلونني فَيَا لَكَ مِنْ غُسْلٍ سَيَتْبَعُهُ كِبَرْ»

وفي الطرائف الأدبية بعد الأبيات الثلاثة الأولى:

وَجَاؤوا بِمَاءٍ بَارِدٍ وَبِغِسْلَةٍ فيا لكَ مِنْ غُسْلٍ سَيَتْبَعُهُ عِبَرْ
فَنَائِحَةٌ تبكي وَلِلنَّوْحِ دَرْسَةٌ وَأَمْرٌ لَهَا يَبدو وأَمْرٌ لَهَا يُسْرْ[1]
ومِنْهنَّ مَنْ قَدْ شَقَّقَ الخَمْشُ وَجْهَهَا مُسَلِّبَةٌ قَدْ مَسَّ أَحْشَاءهَا العَبَرْ[1]
فَرَمُّوا لَهُ أَثْوَابَهُ وتَفَجَّعُوا ورَنَّ مُرِنَّاتُ، وثَارَ بِهِ النَّفَرْ[2]
إِلَى حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَيْهَا بِسَعْيِهِ فذلك بَيْتُ الحَقِّ لا الصُّوفُ والشَّعَرْ
وهَالُوا عَلَيْهِ التُّرْبَ رَطْباً ويَابِساً أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما سِوَى ذاك يُجْتَبَرْ[3]
وَقَالَ الذينَ قَدْ شَجَوْتُ وَسَاءَهُمْ مَكَانِي وما يُغْنِي التَّأَمُّلُ والنَّظَرْ
قِفُوا سَاعَةً فاسْتَمْتِعُوا مِنْ أَخِيكُمْ بِقُرْبٍ وَذِكْرِ صَالِحٍ حِينَ يُذَّكَرْ

أشعار الأفوه في الحملات الحربية:

لقد كان الأفوه الأودي قائد فرسان رجالات مذحج في الحملات الحربية التي تُوَجِّهُهَا الدولة لترسيخ سيادتها أو نفوذها أو لتأمين المراكز والطرق التجارية في مناطق وقبائل العروض ونجد وبعض جهات اليمامة والحجاز إذا استلزم الأمر ذلك حيث قاد الأفوه الأودي زهاء عشرين حملة حربية خلال فترة رئاسته وقيادته التي ربما دامت زهاء أربعين سنة، وقد ذكر الأفوه تلك الحملات في أشعاره، ومنها حملة إلى عروض اليمامة ونجد أشار إليها الحسن الهمداني في الصفة قائلاً: «ديار ربيعة من العروض ونجد: الذنائب، وواردات.. وبطن الجريب، والتغلمين، والشيطين (إلى الكثيب).. قال الأفوه الأودي يذكر فيه حرب مذحج لربيعة:

مَنَعْنَا الخَيْلَ مِمَّنْ حَلَّ فِيهِ إلى بَطْنِ الجَرِيبِ إلى الكَثِيبِ
بِأَرْمَاحٍ مُثَقَّفَةٍ صِلابٍ غَدَاةَ الطَّعْنِ في اليوم الكَئِيبِ
.. هُمُ سَدُّوا عليكم بَطْنَ نَجْدٍ وضَرَّاتِ الجَبَابَةِ والهَضِيبِ»[4]

---

(١) للنوح دَرْسة: أي وقت ثم يندرس. الخمش: الخَدش. العَبَرْ: البكاء ويعني الحُزن.
(٢) رَنَّ مُرِنَّاتُ: يُقال أَرَنَّت المرأة إذا صاحت بالنواح.
ثارَ به النفر: أي حملوا جثمانه. ويجوز أن يكون «ثار به نفر».
(٣) في الملل والنحل (..ما سوى تلك يُجتبر) وفي الطرائف «ما سوى ذاك..» وهو الأصوب.
(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٢٢. وقوله (ضرّات الجبابة..) أي الآكام المتصلات بمنطقة الجبابة في نجد.

الجَبابة والهضيب: موضعان بنجد، وفي ديوان الحماسة بعد البيتين الأولين:

لَـنَـا عِـزٌّ نَـصُـولُ بـه ومَـجْـدٌ على الغُلْواءِ في الحَسَبِ الحَسِيْبِ[١]
وفُـرْسَـانٌ يَـحُـثُّـونَ الـمَـنَـايـا وأرمـاحٌ شَـوَارِعُ فـي الـشـعِـيْـبِ[٢]
وخَـيْـلٌ عَـالِـكَـاتُ الـلُّـجْـمِ فِـيْـنَـا كـأنَّ كُـمَـاتَـهـا أُسْـدُ الـضـريـب[٣]
يُـجِـيْـبُـونَ الـصَّـرِيْـخَ إذا دَعَـاهُـمْ إلـى يـوم الـكـريـهـةِ والـحـروبِ
هُـمُ سـدُّوا عـلـيـكـم بـطـنَ نَـجْـدٍ وضَـرَّاتِ الـجَـبَـابَـةِ والـهَـضِـيْـبِ
بِـكُـلِّ فَـتًـى طـويـلِ الـبـاعِ خِـرْقٍ شَدِيدِ الأَسْرِ مُحْتَضِرِ النَّصِيْبِ[٤]
مُـحَـامٍ عَـنْ ذِمَـارِ الـقَـومِ قِـدْمـاً عـلـى سِـرِّ الـحـوادثِ والـخُـطـوبِ

وعن حملة حربية إلى مناطق بُرْقَةِ ضاحك باليمامة وما يليها، جاء في الطرائف الأدبية: «قال الأفوه الأودي:

ونـحـنُ الـمُـورِدُونَ شَـبَـا الـعَـوَالـي حِيَاضَ المَوْتِ بالعددِ المُثَاب[٥]
فَـسَـائِـلْ حَـاجِـراً عـنَّـا وعَـنْـهُـم بِبُرْقَةِ ضَاحِكٍ يومَ الجَنَابِ»[٦]

- ومن نفس الأبيات في اللسان -:

فـأبْـلِـغْ بـالـجَـنَـابَـةِ جَـمْـعَ قَـوْمـي وَمَنْ حَلَّ الهِضَابَ عَلَى العِتَابِ[٧]
وَوَلَّـوا هـارِبـيـنَ بِـكُـلِّ فَـجٍّ كـأنَّ خُـصَـاهُـمْ قِـطَـعُ الـوِذَابِ[٨]

وقاد الأفوه الأودي حملة حربية إلى منطقة السُّلان وجبل خَزَازىٰ في نجد

---

(١) الغُلْواء: الارتفاع إلى منتهى الشرف والمجد. الحسب: كثرة الشرف فهو شرف يحسب لكثرته.
(٢) شوارع: مُشرعات واردات. الشعيب: ما يسيل من بطن المطعون وهو تشبيه.
(٣) عالكات اللُّجم: ماضغات لِلُجمِها نشاطاً. أسد الضريب: أسود وادي الضريب، وهو تشبيه للفرسان بالأسود.
(٤) خِرق: مُنْخرق في الجود. الأسْر: شِدّة الخلق. محتضر النصيب: سخِيّ بنصيبه من المال والغنيمة.
(٥) شبا العوالي: أطراف وحدّ الرماح. المُثاب: المُجتمع.
(٦) حاجر: اسم مكان بالقرب من فَيْد بشرق نجد وكانت فيد من مراكز قبيلة طيىء اليمنية، بُرقة ضاحِك: باليمامة لبني عدي. يوم الجناب: يوم حملة الجناب.
(٧) الجنابة: اسم موضع ربما تمركزت فيه حامية من فرسان مذحج. العِتاب: موضع ماء لبني أسد في طريق المدينة، وكانت فيه حامية مذحجية.
(٨) ولوا هاربين: أي الذين حاربهم الأفوه ببرقة ضاحك. الوذاب: الأكراش التي يوضع فيها اللبن ثم تُقْطع.

وكانت تسكن السُّلان وخَزَازى قبائل من بني بكر وتغلب الربيعية النزارية، وقد جاء في كتاب (الحروب العربية: بكر وتغلب) أنه «كان تُبَّع بن ذي الأذعار أمَّرَ الأفوه الأودي على أود وجميع مَذْحج يوم خَزَازى». ثم خلط صاحب الرواية بين تلك الحملة والحرب أيام الأفوه وبين موقعة خَزَازى أيام كُليب، بينما زمن الأفوه قبل زمن يوم خَزَازى وكُليب بعدة قرون، فقد شهدت منطقة السُّلان وخَزَازىٰ حرباً قديمة أيام الأفوه الأودي انتصر فيها الأفوه وفرسان مذحج وكانت تلك الحملة والحرب بتوجيه ملك اليمن أيام الأفوه المُشار إليه بأنه (تُبَّع بن ذي الأذعار) أما موقعة السُّلان ويوم خَزَازى أيام كليب فهي حرب أخرى أيام سَلَمة بن الحارث الكندي شقيق حُجر والد امرىء القيس، وبينه وبين الأفوه وتُبع بن ذي الأذعار ما بين القرن الأول والقرن الخامس من الأجيال والسنين، لذلك لزم التنبيه.

وعن حملة وانتصار الأفوه وفرسان مذحج في السُّلان وخَزَازى الأولى القديمة جاء في الطرائف الأدبية وديوان الحماسة أنه: «قال الأفوه الأودي:

وبِرَوضَةِ السُّلانِ مِنّا مَشهَدُ ... والخَيْلُ شَاحِيَةٌ وَقد عَظُمَ الثُّبَىٰ [١]
تَخْلِي الجَمَاجِمَ والأكُفَّ سُيُوفُنَا ... وَرِمَاحُنَا بِالطَّعْنِ تَنْتَظِمُ الكُلَىٰ [٢]
فِي مَوْضِعِ ذَرِبِ الشَّبَا وكأنَّما ... فيهِ الكُماةُ لدَى الهِيَاجِ عَلَى اللَّظَىٰ [٣]
وكأنَّما أسلابُهُمْ مَهْنُوءَةٌ ... بِالمُهْلِ مِنْ نَدَبِ الكُلُوْمِ إذَا جَرَىٰ [٤]
عَافُوا الإِتَاوَةَ واسْتَقَتْ أسْلافُهُم ... حَتَّى ارْتَوَوا عَلَلاً بأذْنِبَةِ الرَّدَىٰ» [٥]

---

(١) روضة السُّلان: منطقة بإزاء جبل خَزَازَىٰ في نجد، قال الشاعر اليمني الجاهلي زُهير بن جَنَاب الكلبي:

شَهِدْتُ المُوقِدِينَ علَى خَزَازَىٰ ... وبالسُّلانِ جمعاً ذا زَهَاء

شاحية: فاتحة أفواهها. الثُبى: جمعُ ثُبَة وهم العُصبة من الفرسان.

(٢) تخلى: تقطع. الكُلى: جمع كُلية.

(٣) ويروى «في مَوْطِنٍ..» الذَّرب: الحاد. الشبا: طرف السيف وحدّه. الكُمَاة: الرجال الشجعان. الهياج: هياج الحرب. اللّظىٰ: اللَّهَبُ الخالص.

(٤) أسلابهم: ثيابهم وما عليهم في الحرب من دروع وغير ذلك. مَهْنُوَّة: مَطْلِيّة بالهِنَاء وهو نوع من القَطِران. المُهْلُ: عَكَرُ الزيت المُغْلَى. الندب: الأثر. الكلوم: الجراح.

(٥) الإتاوة: ما تؤديه القبيلة إلى الدولة من الضرائب أو المال المفروض عليها. أسلافهم: يُروى (أسْلَامهم: وهي الدلاء ذات العروة الواحدة). العَلَل: الشربة الثانية. الأذنبة: جمع ذَنُوب وهو الدلو المملوء. الردى: الموت. ويبدو من هذا البيت أن سبب الحملة كان عدم دفع الإتاوة.

ومن نفس القصيدة في البيان والتبيين للجاحظ (قال الأفوه الأوديّ:

أَضْحَتْ قُرِيْنَةُ قَدْ تَغَيَّرَ بِشْرُهَا ... وتَجَهَّمَتْ بِتَحِيَّةِ القَوْمِ العِدَىٰ[(١)]

أَلْوَتْ بِإِصْبَعِهَا وقالت: إِنَّما ... يَكفِيكَ مِمَّا لا تَرَى ما قد تَرَى)[(٢)]

وبعدهما في الطرائف:

لا يستوي الجَارَانِ أَنْ يَتَجَاوَرَا ... هَذا أَخُو شِبَعٍ وذا طَاوِي المِعَىٰ

وذات مرة قام الأفوه الأودي بتوجيه حملة على قبيلة عامر بن صعصعة فيما بين الطائف ونجد، بسبب وقوع ما استوجب ذلك، وكان ينوي المسير بنفسه إلا أنه مرض مرضاً شديداً، فَوَجَّه الحملة بقيادة زيد بن الحارث الأودي، وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعِه بينما ـ كما جاء في الروايات ـ «مضى زيد بن الحارث الأودي حتى لقي بني عامر بن صعصعة في تُضَارع ـ وجاءت بنو كعب أو كلاب تُضَارع وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فقال لهم بنو عامر: ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم، فقالت بنو أود: لا واللّه حتى نأخذ بطائلتنا ـ وكان قد أُصيب رجل من أود ـ فقام أخو المقتول وهو رجل من أود فقال: يا بني أود واللّه لتأخُذنَّ بطائلتي أو لأنْتَحِين على سيفي. فاقتتلت أود وبنو عامر فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً، فقال الأفوه الأودي في ذلك:

ألا يا لَهْفِ لو شَهِدَتْ قَنَاتِي ... قبائِلَ عامِرٍ يومَ الصَّلِيبِ

غَدَاةَ تَجَمَّعَتْ كَعْبُ إِلَيْنَا ... حَلائفَ بين أبناءِ الحريبِ[(٣)]

وَجَرَّدَ جَمْعَهَا بِيضٌ خِفَافُ ... على جَنْبَي تُضَارعَ فاللَّهِيبِ

فلما أنْ رَأَوْنَا في وَغَاهَا ... كآسادِ الغرِيفَةِ والحَجِيْبِ[(٤)]

تَدَاعَوا ثُمَّ مالُوا في ذُرَاهَا ... كفِعلِ الخامِعَاتِ مِنَ الوَجِيبِ[(٥)]

قَتَلْنَا مِنْهُمُ أَسْلافَ صِدْقٍ ... وأُبْنَا بالأُسَارىٰ والقَعِيبِ

وطَارُوا كالنَّعَامِ ببطنِ قَوٍّ ... مُوَاءَلَةً على حَذَرِ الرقيبِ[(٦)]

---

(١) بِشْرُها: سرورها.

(٢) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ١/١٧٩.

(٣) يروى (حلائف..) و (حلائب) و (جلائب). ويروى (..بين أبناء..) و (بين أفناء..) والأفناء: الخلائط. الحريب: مسلوب الحرية.

(٤) الغريف: الشجر الملتف. الحجيب: الأجمة.

(٥) الخامعات: الضّباع. الوجِيب: صوت من الخوف.

(٦) قَوّ: اسم موضع. المُواءَلة: طلب النجاة.

وذات مرة قتل بنو عامر رجلاً أو جماعةً ـ ربما كانوا قافلة تجارية ـ وقيل إنهم من أود، فَشَنّ الأفوه حملة على بني عامر، فأصاب منهم وزاد، ثم أعطاهم ديات مَنْ قتل منهم. قال الأستاذ محمد سعيد جرادة: «ومن شعر الأفوه الأودي الذي يُمثل أخلاق الفروسية وأعرافها قوله حين دفع ديات قتلاه من بني عامر:

نُقاتِلُ أقواماً فَتُسْبَىٰ نِسَاؤُهُمْ ... ولم يَرَ ذو عِزٍّ لِنِسْوَتِنَا حِجْلاً[١]
نَقودُ ونأبَىٰ أنْ نُقَادَ، وَلَا نَرَىٰ ... لقوم علينا في مكارمة فَضْلا
وإنّا بِطَاءُ المشْيِ عندَ نِسَائِنَا ... كما قُيِّدَتْ بالصّيفِ نَجْدِيَّةٌ بُزْلا[٢]
نَظَلُّ غَيَارَىٰ عِنْدَ كُلِّ سَتِيرَةٍ ... نُقَلِّبُ جِيْداً واضِحاً وشَوىً عبْلا[٣]
وإنّا لَنُعْطِي المالَ دُون دِمَائِنَا ... وَنَأبىٰ فما نَسْتَامُ دُونَ دَمٍ عُقلا»[٤]

وعن حملة إلى موضع دَارَات الصفائح والدفينة والحَجيل بناحية الصَّمان (قال الأفوه الأودي:

فَسَائِلْ جَمْعَنَا عَنَّا وَعَنْهُمْ ... غَدَاةَ السَّيْلِ بِالأَسَلِ الطَّوِيْلِ
أَلَمْ نَتركْ سَرَاتَهُمُ عَيَامَىٰ ... جُثُوماً تَحْتَ أرْجَاءِ الذُّيُولِ[٥]
تُبَكِّيهَا الأرَامِلُ بِالمآلي ... بِدَارَاتِ الصَّفَائِحِ والنَّصِيْلِ[٦]
وقَدْ مَرَّتْ كُمَاةُ الحَرْبِ مِنَّا ... على ماءِ الدَّفِيْنَةِ والحَجِيْلِ)[٧]

وعن فرسان مذحج في حملة إلى البطن ـ ربما بطن نجد ـ (قال الأفوه الأودي:

(بِمَقَانِبٍ) بِيْضٍ كأنَّ (وُجُوهَهُم) ... زُهْرٌ قُبَيْلَ تَرَجُّلِ الشَّمْسِ[٨]
دَبُّوا كَمُنْتَشِرِ الجَرَادِ هَوَتْ ... لِلْبَطْنِ في دِرْعٍ وفي تُرْسِ

---

(١) الحِجْل: الخلخال.
(٢) البزل: جمع بازل، وهو البعير عندما يُثقب نابه.
(٣) الستيرة: المرأة المستورة. الشوى: الأطراف. العبل: المُمتلىء. والعُقْل: الديّة.
(٤) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٤٠.
(٥) عيامى: عطشى للبَن.
(٦) المآلي: جمع مِئْلاة وهي خرقة تمسكها المرأة عند النّواح. دارات الصفائح والنصيل: مواضع بناحية الصمان.
(٧) الدفينة والحجيل: ماءان آخرهما بالصمان.
(٨) أول البيت في الطرائف (بمناقب) ونرى الأصوب (مقانب) وهي مجموعة من الخيل. ثم (كأنّ وجوههم) يروى أيضاً (كأن وجوهها) فإذا كان (وجوههم) فهم الفرسان وإذا كان (وجوهها) فهي الخيل. زُهْر: نيّرة مشرقة.

وكـــأنَّـــهَـــا آجَـــالُ عَـــادِيَّـــةٍ حَطَّتْ إلى أجْلٍ مِنَ الخُنُسِ)[١]

وعن الجِيَادِ في حملة إلى منطقة دَارَات جُهْد وجُنْبُل وكثيب اليمامة وعَزْهَل، جاء في معجم البلدان والطرائف الأدبية «قال الأفوه:

فَـرَدَّ عَـلَـيْـهِـمْ والـجِـيَـادُ كـأنَّـهَـا قَطَا سَارِبٌ يَهْوِي هُوِيَّ المُحَجَّلِ[٢]

بِـدَارَاتِ جُـهْـدٍ أو بِـصَـارَاتِ جُـنْـبُـلٍ إلى حيثُ حَلَّتْ مِنْ كَثِيْبٍ وَعَزْهَلِ»[٣]

وذكرت كتب الأدب أبياتاً متفرقة للأفوه الأودي يبدو منها أن رجلاً كان يفخر عليه أو يسعى لبلوغ مكانته فقال الأفوه تلك الأبيات وقد رتبناها كما يلي:

أَيُّـهَـا الـسَّـاعِـي عَـلَـى آثـارِنَـا نَـحْـنُ مَـنْ لَـسْـتَ بِـسَـعَّـاءٍ مَـعَـهْ

نَـحْـنُ أوْدٌ حِـيـنَ تَـصْـطَـكُّ الـقَـنَـا والـعَـوَالِـي لِـلـعَـوَالِـي مُـشْـرَعَـةْ

يَوْمَ تُبْدِي البِيْضُ عن لَمْعِ البرَى ولأهْـلِ الـدَّارِ فِـيـهَـا صَـعْـصَـعَـةْ[٤]

ثُـمَّ فِـيْـنَـا لِـلْـقِـرَىٰ نَـارٌ يُـرَى عـنـدهـا لِـلْـضَّـيْـفِ رُحْـبٌ وَسَـعَـةْ

لِـقُـدُوْرٍ كـالـزُّبَـىٰ رَاسِـيَـةٍ وجِـفَـانٍ كـالـجَـوَابِـي مُـتْـرَعَـةْ[٤]

تَـصْـدُرُ الـعَـالَـةُ والأضـيـافُ فـي كُـلِّ يَـوْمٍ وهـي عَـنْـهَـا مُـشْـبَـعَـةْ

مُعَلقات الأفوه الأودي الثلاث:

وللأفوه الأودي ثلاث قصائد هي كالمعلقات إلا أنها أقدم من المعلقات المشهورة وربما أكثر أهمية، وهي قصيدة (إنْ تَرَيْ رَأسِيَ فيه نَزَعُ . .) والتي قال عنها ابن قتيبة: «هذه القصيدة من جيِّد شعر العرب» وهي ثمانية وأربعون بيتاً. والقصيدة السينية (. . الشر لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشُموسْ) التي قال القاضي أحمد شاكر في هامش ابن قتيبة: «إنها قصيدةٌ من عزيز الشعر ونادره» وهي أربعة وثلاثون بيتاً. وقصيدة (لا يَصْلُحُ القَوْمُ فَوْضَىٰ لا سَرَاةَ لَهُمْ . .) وهي من أشهر القصائد التي تناقلتها الأجيال. ولذلك فالقصائد الثلاث هي بمثابة المعلقات، وهي: **معلقة الأفوه الدالية (فينا معاشر . .**

وقد ذكرتها أغلب كتب الأدب، وأدَقَّهَا كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وهي كما في الأمالي «قال الأفوه الأودي:

---

(١) آجال: جمع إجل وهي القطيع من بقر الوحش.

(٢) المحجل من الخيل: التي نحو ثلث قوائمها بيضاء.

(٣) صارات جنبل: الصارات منابتٌ في الجبل. وجنبل: اسم جبل.

(٤) البيض: السيوف. لمع البرَى: لمعان براية وصقالة السيوف. صعصعة: اضطراب. الزُّبى: جمع زُبية وهي حفرة رابية. الجوابي: الجفان.

فينا مَعاشِرُ لم يَبْنُوا لقومِهِمُ وإن بَنَىٰ قومُهم ما أَفْسَدُوا عادُوا

لا يَرْشُدُونَ ولن يَرْعَوْا لمُرْشِدِهمْ فالجهلُ منهم مَعاً والغَيُّ ميعادُ

أَضْحَوْا كَقَيْلِ بنِ عمرو في عشيرتِهِ إذْ أُهْلِكَتْ بالذي سَدَّى لها عادُ

أو بعدَه كقُدارٍ حين تابَعه على الغَواية أقوامٌ فقد بادوا[١]

والبيتُ لا يُبْتَنَى إلّا له عَمَدٌ ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ[٢]

فإن تَجَمَّعَ أوتادٌ وأعْمدةٌ وساكنٌ بَلَغُوا الأَمْرَ الذي كادُوا

(وإن تَجَمَّعَ أقوامٌ ذَوُو حَسَبٍ اصْطادَ أَمْرَهُمُ بالرُّشد مُصْطادُ)[٣]

لا يَصْلُح الناس فوضى لا سَراةَ لهم ولا سَراةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

تَبْقَى الأمورُ بأهل الرَّأي ما صَلَحَتْ فإن تَوَلَّتْ فبالأشرار تَنْقَادُ[٤]

إذا تَوَلَّى سَراةُ القَوم أَمْرَهُمُ نَمَا على ذاك أمرُ القوم فازْدادُوا

أمارةُ الغَيِّ أن يُلقي الجميعُ لذي الإِبرامِ للأَمْرِ والأذنابُ أكتادُ

حانَ الرحيلُ إلى قومٍ وإنْ بَعُدوا فيهمْ صَلاحٌ لمُرْتادٍ وإرشادُ[٥]

فسوفَ أجعَلُ بُعْدَ الأرْضِ دُونَكُم وإنْ دَنَتْ رَحِمٌ منكم ومِيلادُ

إنّ النَّجاءَ إذا ما كنتَ ذا نَفَرٍ من أَجَّةِ الغَيِّ إبعادٌ فإبْعادُ[٦]

قال أبو علي: وزادنا أبو بكر بن الأنباري بعد هذا بيتاً وهو:

(فالخيرُ تزدادُ مِنْه ما لَقِيتَ به والشَّرُّ يَكْفِيكَ منه قَلَّما زادُ)[٧]

---

(١) قال أبو علي القالي: «وروى أبو بكر الأنباري ـ البيت الثالث والرابع ـ:

كانوا كمثل لُقَيْم في عشيرته إذ أُهلِكَتْ بالذي قد قَدَّمَتْ عادُ

أو بعده كقُدارٍ حين طاوعه على الغواية أقوامٌ فقد بادوا»

ولقيم هو لقيم بن لقمان بن عاد. وقُدار من قوم ثمود الذين طاوعوه في الفساد وعقر الناقة فبادوا.

(٢) وروى أبو بكر الأنباري: (ولا عمود إذا لم تُرسَ أوتادُ).

(٣) قال أبو علي القالي (زادنا أبو بكر الأنباري هذا البيت). أي أن هذا البيت انفرد بروايته الأنباري.

(٤) وروى أبو بكر الأنباري: (تُهْدَى الأمور..) وكذلك رواه ابن قتيبة والأصفهاني (تُهدَى الأمور).

(٥) وروى أبو بكر الأنباري: (آن الرحيل). قال أبو علي: وقرأت على أبي بكر بن دريد: حان الرحيل. ويروى: لأرْحَلَنّ إلى قوم.

(٦) أجة الغي: أجيجه واستعاره كما تتأجج النار.

(٧) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ جـ ٢.

ومما يدل على علوّ مكانة تلك القصيدة ما جاء في كتاب الأغاني عن أحمد بن الهيثم قال: حدثني العُمَريّ قال: استقدمني هشام بن عبد الملك في خلافته وأمر لي بصِلةٍ سَنِية فلما دخلت عليه استنشدني قصيدة الأفوه الأودي:

لنا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بَنَىٰ قومهم ما أفسدوا عادوا

فأنشدته إياها[1].

ودخل أحد الرواة على أبي العباس السفاح - ويُقال على أبي مسلم - «فاستنشده، فأنشده قول الأفوه الأودي: فينا معاشر لم يبنوا لقومهم، فلما بلغ إلى قوله:

تهدىٰ الأمور بأهل الرأي ما صلحت وإن تولّت فبالأشرار تنقادُ

قال: أنا ذلك الذي تنقادُ به الناس[1].

مُعلقة الأفوه الرائية:

قال ابن قتيبة: «ومن جيد شعر الأفوه الأودي قوله:

إنَّمَا نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعَةٌ وحَيَاةُ المَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعارُ

حَتَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أنَّهُ ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبَارُ

ظَلَفٌ: باطلٌ. وجُبَارٌ: هَدَرٌ. وهذه القصيدةُ من جيّد شعر العرب، أوّلُها:

إنْ تَرَيْ رأسِيَ فيه نَزَعٌ وشَوَايَ خَلَّةٌ فيها دُوَارُ»[2]

وبعد البيت الأول في كتب الأدب:

أصْبَحَتْ مِنْ بَعْدِ لَوْنٍ واحِدٍ وهي لَوْنَانِ وفي ذاك اعْتِبَارُ

فَصُرُوفُ الدَّهرِ في (أطْبَاقِهِ) خِلْفَةٌ فيها ارتفَاعٌ وانْحِدَارُ[3]

بينما الناسُ على عَلْيَائِهَا إذْ هَوَوْا في هُوَّةٍ مِنهَا فَغَارُوا

إنَّمَا نِعمةُ قوم مُتْعَةٌ وحياةُ المرءِ ثوبٌ مُسْتَعَارُ

وليالِيهِ إلألالُ للفتى دانياتٌ تَخْتَلِيْهِ وشِفَارُ[4]

تَقْطَعُ الليلَةُ مِنْهُ قُوَّةً وكما كَرّتْ عليه لا تُغَارُ[5]

(١) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ص ٢٠/١٧٤ و ص ٦/١٢٤.

(٢) الشعر والشعراء - ابن قتيبة - ص ٢٢٣ - النزع: انحسار مُقدَّم الرأس عن جانبي الجبهة. شواتي: جلدة رأسي. خلّة: قليلة اللحم مهزولة.

(٣) في أطباقه. يُروى (. . في أطبائه) أي وهي متّجهة.

(٤) الإلالُ: الحِرَابُ. واحدتها: ألَّةٌ. الاختلاء: قطع الحشيش.

(٥) قُوّةٌ: طاقة من طاقات الحبل. تغار: تفتل.

حَتَمَ الدهرُ علينا أنّه ظَلَفٌ ما نالَ مِنّا وجُبَارُ[1]
فلَهُ في كلّ يومٍ عَدْوَةٌ لَيسَ عَنْهَا لامْرِئٍ طَارَ مَطارُ
ريَّشَتْ جُرْهُمُ نَبْلاً فَرَمَى جُرْهُماً مِنْهُنَّ فُوقٌ وغِرَارُ[2]
عَلَّمُوا الطَّعْنَ مَعَدّاً في الكُلَى وادّرَاعَ اللأْم والطَّرْفُ يَحَارُ[3]
ورُكُوبَ الخَيْلِ تَعْدُو المَرَطَى قَدْ عَلاها نَجَدُ فيه احْمِرَارُ[4]
بَعْدَمَا كانَتْ مَطَايَا قَوْمِهِم عَانَةً يَكْرِفُ فِيْهِنَّ الحِمَارُ
يا بني هَاجَرَ سَاءتْ خُطَّةً أَنْ تَرُومُوا النِّصْفَ مِنَّا ونُجَارُ[5]
ولقَدْ كُنْتُمْ حَدِيْثاً زَمَعاً وذُنَابَى حَيْثُ يَحْتَلُّ الصَّفَارُ[6]
في مَحَلٍّ مِنْ بني قَحْطَانَ مَا لَكُمُ فِيهِ مَعَ القَوْمِ ائتِمَارُ[7]

---

(١) جُبَار: مهدور. وقد جاء في الإكليل خبر عُفَيْر بن زُرعة بن ذي يزن وقد لمس برنسه قومٌ في فتنة بالشام فغضب اليمنيون وقالوا: (جُبار دم من مَسّ برنس عفير) فأهدروا دم كل من لمس برنس عُفير.

(٢) قال الأفوه هذا الشعر يذكر ابتداء تكوين قبائل نزار بن معد بن عدنان، ويعاتب قبيلة جُرهم اليمنية ـ وهي جُرهم الثانية بن يشجب ـ لأنهم علموا بني معد بن عدنان آلة الحرب. . وقوله (ريَّشت جُرْهُمُ نَبْلاً) يقال: ريّش السهم: ألزق عليه الريش. الفُوقُ: مدخل الوتر من السهم. الغِرار: الحدّ من كل شيء.
ويدل هذا الشعر على أن قبيلة جرهم كانت ما تزال زعيمة مكة وكانت ولاية مكة والبيت الحرام في جرهم حتى القرن الثاني الميلادي وسيأتي تبيين ذلك في المبحث السادس عن عمرو بن الحرث الجرهمي.

(٣) علموا الطعن معداً: أي علموهم اتخاذ واستعمال الرماح والسيوف. اللأْم: الدروع. وإدراعها: لبسها واتخاذها. يحار: يرجع.

(٤) المَرَطَى: العَدْو الشديد. النَّجَد: العَرَق. فيه احمرار: أي عَرَقٌ فيه دم من شدة عدو الخيل. فقد تعلمت عشائر معد بن عدنان ركوب الخيل واتخاذ واستعمال الدروع والسيوف والرماح من قبيلة جرهم اليمنية القحطانية.

(٥) النصف: الانتصاف. نُجَار: نُظلم وقد يعني نُستجار. وهاجَر: اسم والدة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وبنو هاجَر: بنو إسماعيل. وهذا أقدم ذكر ونص باسم هاجر أم إسماعيل. وقد كان إسماعيل في أيام رئيس جرهم بن قحطان بمكة الحارث بن مُضاض بن عمرو بن الرقيب بن ظالم بن هيّ بن بيّ الجرهمي. وكان ملك اليمن آنذاك (الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن النبي هود عليه السلام).

(٦) زَمَعاً: أتباعاً. وذُنَابى: بمعنى أذناب أو تابعين. وجاء في هامش البيت «الصَّفَار: دُوَيْبَة مثل القُرَاد تكون في أصول الأضراع».

(٧) في محل من بني قحطان: أي في كنف وتحت إمارة بني قحطان. . ليس لكم معهم ائتمار، =

فَتَقَدَّمْتُمْ عَلَى سِيسَائِكُمْ | رَجْلَةً فِيهَا اعْفَوَانٌ وانْهِيَارُ[١]
إِنْ يَجُلْ مُهْرِيَ فِيكُمْ جَوْلَةً | فَعَلَيْهِ الكَرُّ فِيكُمْ والغِوَارُ
كَشِهَابِ القَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ | فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلحربِ نَارُ[٢]
شَنَّ مِنْ أَوْدٍ عَلَيْكُمْ شَنَّةً | إِنَّهُ يَحْمِي حِمَاهَا وَيَغَارُ
فَارِسٌ صَعْدَتُهُ مَسْمُومَةٌ | يَخْضِبُ الرُّمْحَ إذا طَارَ الغُبَارُ[٣]
مُسْتَطِيرٌ لَيسَ مِنْ جَهْلٍ ولا | لأخِي الحِلْمِ عَنِ الجَهْلِ وَقَارُ[٤]
نَحْنُ أَوْدٌ وَلأَوْدٍ سِنَّةٌ | شَرَفٌ لَيْسَ لَهُم عَنْهُ قَصَارُ[٥]
كَرُمَ الفِعْلُ إذَا مَا فَعَلُوا | ونِجَارٌ فِي اليَمَانِيِّنَ نُضَارُ
واحْتِمَالُ الغَيْبِ لا يَحْمِلُهُ | مَعْشَرٌ عَنْ قَوْمِهِمْ إلا اسْتَنَارُوا
سُنَّةً ورَّثْنَاهَا مَذْحِجُ | قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ فِي النَاسِ نِزَارُ[٦]

= فالإمارة والولاية لبني قحطان من قبيلة جُرهم بن قحطان، ثم لبني جرهم بن يشجب ولاة مكة والبيت إلى أيام الأفوه الأودي وإلى القرن الثاني الميلادي.

(١) السيساء: منسج الحمار والبغل.

(٢) حاول الجاحظ التشكيك في شعر الأفوه هذا قائلاً: «فمن أين علم الأفوه أن الشّهب التي يراها إنما هي قذفٌ ورجم، وهو جاهلي، ولم يدّع هذا أحدٌ قط إلا المسلمون؟..» [ص٨٨/٦ - الحيوان] - وقد أضاف واختلق الجاحظ كلمة (رجم) للإيهام برجم الشياطين بالشهب، بينما الأفوه إنما قال (كشهاب القذف) فقد كان في اليمن علم واسع بالنجوم والكواكب والشُهب السماوية فمعرفة وجود شهب تقذف أو تتطاير وتتحول شظاياها إلى نار هو من الأمور التي لا بد أنها كانت معروفة في الحضارة اليمنية، وشعر الأفوه هو دليل على تلك المعرفة. بل إن وجود شهب كان من المعارف الإنسانية العامة.

(٣) الصعدة: القناة تنبت مستوية. مسمومة: تَقْتُل من ساعتها كأن بها سم. ويروى (..صعدته مشهورة).

(٤) ويروى «..لأخي الحرب عن الجهل وقار».

(٥) قال نشوان في شمس العلوم «أَوْدُ: حيٌّ من اليمن، وهم وَلَدُ أود بن الصعب بن سعد العشيرة بن مذحج. منهم الأفوه الأودي الشاعر وهو القائل: نحنُ أودُ ولأودٍ سِنَّةٌ.. إلخ. البيت» [ص٥/ المنتخب].

(٦) قبل أن يُنسب في الناس نزار: أي قبل أن يُخْلق نزار وبني نزار، لأن زمن مذحج وتكوين قبائل مذحج زمن قديم لأنهم (بنو مذحج بن أدد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب) فزمن مذحج سابق حتى لزمن إسماعيل، بينما بني نزار هم بقية سلالة إسماعيل الذين انقرضوا ولم يبق منهم إلا (معد بن عدنان) فأنجب نزار بن معدّ، ومنه تناسلت عشائر نزار.

مُـلْـكُـنَـا مُـلْـكٌ لَـقَـاحٌ أولٌ ... وأبُـونَـا مِـنْ بـنـي أوْدٍ خِـيَـارُ[١]
فَـمَـتَـى مـا أَدْعُ سَـعْـداً تَـأْتِـنِـي ... مِثْلَ مَا جَالَتْ على الأرضِ الحِرَارُ[٢]
في حَفِيفِ الغَابِ جاءتْ رِيْحُهُ ... فَخْمَةُ، فَهْيُّ، مِنَ الأسادِ دَارُ[٣]
نَحْنُ قُدْنَا الخَيْلَ حَتَّى انْقَطَعَتْ ... شُدَّنُ الأَفْلاءِ عَنْهَا والمِهَارُ[٤]
كُلَّ قَوْدَاءَ كَمِرْدَاةِ الغِلا، ... وطِمِرٌّ سَابِحٍ فِيْهِ اقْوِرَارُ[٥]
كُلَّمَا سِرْنَا تَرَكْنَا مَنْزِلاً ... فيهِ شَتَّى مِنْ سِبَاعِ الأرضِ غَارُ
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ... رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ[٦]
جَحْفَلُ، أوْرَقُ، فِيْهِ هَبْوَةُ ... ونُجُومٌ تَتَلَظَّى وشَرَارُ[٧]
زَجِلُ الأصْوَاتِ حَتَّى مَا بِهِ ... لَيس شَيءٌ، حَرَّقَ القَومَ شَعَارُ[٨]
يَقْرَعُ الأعداءَ عن أسْلابِهِمْ ... قَرْعَةً فِيْهَا اسْتِبَاءٌ وإسَارُ
ثم لا يَدْفَعُنَا عن حُكْمِنَا ... دَافِعٌ إلّا وعُقْبَاهُ الدَّمَارُ[٩]
نحنُ أصْحَابُ شَباً يوم شَبَا ... بِصِفَاحِ البِيْضِ فيْهِنَّ إظْفَارُ[١٠]

---

(١) اللّقاح: القديم؛ الذي لا يدين لغيره، ويعني مُلك بني قحطان وملوك سبأ الحميريين والتبابعة.

(٢) متى ما أدع سعداً: يعني قبائل وعشائر سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن عريب بن كهلان بن سبأ، ومنهم: أود، وجُعْفَيٌ، ومازن، وزُبيد.
الحِرار: جمع حَرَّة، وهي الأرض ذات حجارة سُود. والحِرارُ أيضاً: الإبلُ العطاش.

(٣) جاء عجز البيت بالتشكيل التالي «فخمةُ فَهْيَ من الأسادِ دار». ولعل (فَهْيُّ) وصف لصوت حفيف الغاب.

(٤) شُدَّن: جمع شادن، وهو من ولد ذَوات الظِّلْف والخُفّ والحافر مَنْ قَوِي واستغنى عن أمّه.
الأفلاء: جمع فلو، وهو المُهر إذا فُطم. أي طال القياد على الأفلاء حتى انقطعت عن الأمهات.

(٥) كل قوداء: أي الخيل. الغِلاء: الرَّمي. الطِمِرّ: ذكر الخيل. اقورار: ضمور.

(٦) سَتُمار: ستلقي طعامها وتُمار. رأي عين: أي حيث نراها. ويعني أن الطيور من النسور وغيرها تطير على آثار جيشنا وهي واثقةٌ بأنه ستلقى طعامها وتُمار من الذين نقتلهم ونتركهم طعاماً للسباع والطيور في مسيرنا. والأفوه أول من ابتكر هذا المعنى. ثم اقتدى به النابغة الذبياني في قصيدته البائية وغيره من الشعراء.

(٧) جحفل: جيش كبير ولا يكون ذلك إلا إذا فيه خيول. الأورق: الغازي الظافر.
الهَبْوة: الغَبْرة. والهباء: الغبار شبه الدخان ساطع في الهواء. ولعله يريد بقوله (نجوم تتلظى) بريق السيوف.

(٨) زجل الأصوات: كثير الأصوات.

(٩) أي نحكم على الأعداء بما نريد، لا يدفع أحدٌ حكمنا إلا ومصيره الدمار.

(١٠) جاء صدر البيت هكذا (نحن أصحاب شباً يوم شَبَا) في خزانة الأدب والطرائف الأدبية. بينما =

تَـرَكَ الـنَّـاسُ لَـنَـا أكْـتَـافَـهُـمْ ... ثُـمَّ وَلَّـوا لاتَ لَـمْ يُـغْـنِ فِـرَار[1]
هَـرَبـاً والـخَـيْـلُ فـي آثـارِهِـمْ ... خَلْفَهَا مِنْ ثَائِرِ النَّقْعِ حِضَار[2]
عَـنْـكُـمْ فـي الأرض! إنَّـا مَـذْحِـجُ ... ورُوَيْـداً يَـفْـضَـحِ الـلَّـيْـلَ نـهـارُ[3]
وتَـرَى مَـوْقِـفَـنَـا فـي (حُـجْـرَةٍ) ... لِعَـوالِـيـهَـا الْـتِـمَـاعٌ وابْـتِـدَار[4]
مَـوقِـفٌ يَـعْـرِفُ مَـنْ أبْـصَـرَهُ ... أنَّـهُ لَـيْـسَ لـكُـمْ فِـيْـهِ خِـيَـار[5]
فَـأَنِـيْـبُـوا يـا بَـنِـي عَـمْـرَ فَـقَـدْ ... كَشَّفَتْ عَنْ ساقِهَا حَرْبٌ بَـوَار[6]
وأَقْـنِـئُـوا مِـنَّـا بِـحُـكْـمِ أولِ ... مَـا لَـكُـمْ إنْ جِـرْتُـمُ فـيـه مُـجَـار[7]

انتهت القصيدة وهي ستة وأربعون بيتاً[8].

= جاء في الفاصل «نحن أصحاب الشَّبَا يوم الشّبا» . وقد جاءت كلمة (سبًا/ سَبأة) في نقوش المسند اليمنية ومعناها (غزا غزوةً) . وجاء في هامش البيت «شَباً: واحدتها الشَّباةُ: طَرَفُ السَّيْف وحدُّه) . أما (يوم شبا) أي يوم معركة شَبَا. وجاء في هامش البيت «يوم شَبا: يوم لليمن على بكر» وأن (شبا هذه أرض باليمن) . وبالتالي فإن (بكر) ليست (بكر بن وائل في نجد) وإنما هم «بكر بن يشكر بن عَدْوَان بن عمرو بن قيس عيلان» وكانوا بأعالي سَرَاة أعالي اليمن بجوار الطائف.

(١) لاتَ: حِينَ. وجاء آخر هذا البيت (. . الفرار) وكذلك في البيت بعد التالي (. . النهار) بينما الوزن مستقيم بدون إضافة (الـ . .) .

(٢) في اللسان (الحِضار: ضرب من عَدْوِ الدواب . . واحتضر الفرس إذا عدا) ويعني أن غبار المعركة (النقع) بلغ مَعدَى الخيل وهي تطارد الهاربين.

(٣) عنكم في الأرض: بمعنى اهربوا في الأرض. وهذا البيت والأبيات التي تليه يخاطب فيها الأفوه بني عمرو المذكورين في البيت قبل الأخير. وقوله (رويداً يفضح الليلَ النهارُ) يماثل قول امرىء القيس يتوعد بني أسد (فرويداً يكشف لكم دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير).

(٤) حجرة: جاء التشكيل هكذا (حُجْرَةٌ) ونرى أنه قد يكون (حَجرةٌ) . قال زيد الخيل «بجيشٍ تَضِلُ البُلْقُ في حَجَراتِه» قال المُبرد « . . حَجَراته: نواحيه» . عواليها: رماحها.

(٥) خيار: جاء في قافية البيت « . . الخيار» وكذلك في آخر البيت التالي « . . الحربُ البوار» ونرى أن الوزن مستقيم بدون (ال) .

(٦) الإنابة: الإقرار. وقوله (يا بني عَمْرَ) يروى أيضاً (يا بني عَمْرو) وإن «ترخيم عَمْرَة: عَمْرَ) أي أنه يعني (بني عَمْرة ابنة عامر العَدْواني أم بني عامر بن صعصعة الهوازنيين بجهات الطائف وما يليها من ديار نجد. أما (بنو عمرو) فيعني قبيلة (عَدْوَان بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار) وهم بجهات الطائف من أعالي سَرَاة أعالي اليمن المتاخمة للطائف.

(٧) اقْنِئُوا: إرضوا واقنعوا.

(٨) هذه القصيدة مذكورة كلها أو بعضها في العديد من أمهات كتب الأدب، وأهمها: الطرائف الأدبية، وخزانة الأدب، ومعاهد التنصيص، ولباب الآداب، وديوان الحماسة. وقد جمعها الميمني في ديوان شعر الأفوه الأودي وهي ٤٨ بيتاً.

قصيدة الأفوه الأودي السينية:

وهي ثالثة قصائد الأفوه الأودي التي هي كالمعلقات. وقد أورد ابن قتيبة بيتين منها قائلاً: «والأفْوَه الأودي هو القائل:

والـمـرءُ مـا تُـصْـلِـحُ لـه لَـيْـلَـةٌ بـالسَّـعْدِ تُفْسِدُهُ ليالي النُّحُوسْ
والـخَـيْـرُ لا يـأتـي ابْـتِـغَـاءٌ بِـهِ والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشَّمُوسْ»

وقال القاضي أحمد شاكر في هامش كتاب ابن قُتيبة: «البيتان في المعاهد، وهُما مِنْ قصيدةٍ مِنْ عزيز الشعر ونادره»[١] وقد وردت هذه القصيدة كاملة في كتاب الطرائف الأدبية، ومنها أبياتٌ في معاهد التنصيص وفي حماسة البُحتري وغيرهما من كتب الشعر والأدب واللغة.. ويبدو لنا أن الأفوه الأودي قال هذه القصيدة بعد قصيدته الرائية سالفة الذكر التي حذَّر فيها (بني عَمَرة) بالحرب وهم إما (بني عَمْرة بنت عامر العدواني) أو (بني عمرو) وهم (عَدْوَان بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار)، وقد حذرهم الأفوهُ إذا لم يقبلوا الحكم الذي حُكِمَ به عليهم قائلاً:

فَـأَنِـيْـبُـوا يـا بَـنِـي عَـمْـرَ فَـقَـدْ كَـشَّـفَـتْ عَـنْ سَـاقِـهَـا حَـرْبٌ بَـوَار
واقْـنِـئُـوا مِـنَّـا بِـحُـكْـمٍ أولٍ مَـا لَـكُـمْ إنْ جِـزْتُـمُ فـيـه مُـجَـار

فلم يقْنِئُوا بالحكم، وجمعوا معهم عشائر وقبيلة مُضَر النزارية للحرب، فقاد الأفوهُ الأودي فرسان أود وكتائب مَذْحج فحاربهم وانتصر عليهم في (خَبْت بني عَدْوان) وهو ما تنطق بوقائعه أبياتٌ من هذه القصيدة السينية.. وفيما يلي نَصُّ القصيدة وقد قالها الأفوه الأودي بعد أن صار (أَخْلَسَ الشَّعْر) أي أصبح أكثر شعر رأسه أبيضاً، وأَحْنَىٰ الزمانُ ظهره.. قال الأفوه:

أَمَـا تَـرَيْ رَأْسِـيَ أَزْرَىٰ بِـهِ مَأسُ زَمَانٍ ذي انْتِكَاسٍ مَؤُوسْ[٢]
حَـتَّـى حَـنَـىٰ مِـنِّـي قَـنَـاةَ الـمَـطَا وَعَـمَّـمَ الـرأسَ بِـلَـوْنٍ خَـلِـيْـس[٣]
فَـقَـدْ أُفَـدَّىٰ عِـنْـدَ وَقْـعِ الـقَـنَـا، وَأُدَّعَىٰ (عِـنْـدَ) الـمَـقَـام الـبَـئِـيسْ[٤]

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٣.
(٢) الماس: الحدّ القاطع. مؤوس: سريع.
(٣) المطا: الظهر. لون خليس: استوى سواده وبياضه، يقال (أخلس الشَّعْر) إذا كان بياض شعره أكثر من سواده، وكذلك إذا كان سواده أكثر من بياضه. قال الشاعر اليمني سُويد الحارثي:
فَتًى قَبْلُ لـمـا تُـغْـنِـس الـسِّـنُّ وَجْـهَـه، سِوَى خُلْسَةٍ في الرأسِ كالبرقِ في الدُّجَىٰ
(٤) فقد أُفَدَّى: أي فقد كُنتُ أُفَدَّى، يقولون لي (نحن فِدَاك).. وجاء عجز البيت في الطرائف =

وأَفْـرُجُ الأمْـرَ إذا أحْـجَـمَـتْ أَقْـرَانُـهُ مُـعْـتَـصِـماً بـالـشَّؤُوسْ[١]
وأَقْـطَـعُ الـهَـوْجَـلَ مُـسْـتَـأْنِـساً بِـهَـوْجَـلٍ عَـيْـرَانَـةٍ عَـنْـتَـرِيـس[٢]
والـلَّـيْـلُ كـالـدَّأْمَـاءِ مُـسْـتَـشْـعِـرٌ مِنْ دُوْنِـهِ لـونـاً كَـلَـوْنِ الـسُّـدُوْسْ[٣]
والـمَـرْءُ مـا تُـصْـلِـحْ لَـهُ لَـيْـلَـةٌ بالسَّعْدِ تُفْسِدْهُ ليالي النُّحُوْس[٤]
والـخَـيْـرُ لا يـأتـي ابْـتِـغَـاءٌ بِـهِ والشَّرُّ لا يُفْنِيهِ ضَرْحُ الشَّمُوسْ[٥]
والـدَّهْـرُ لا يَـبْـقَـىٰ عَـلَـى صَـرْفِـهِ مُـغْـفِـرَةٌ فـي حَـالِـقٍ مَـرْمَـرِيـسْ[٦]
مِـنْ دونـهـا الـطَّـيْـرُ ومِـنْ فـوقـهـا هَـفَـاهِـفُ الرِّيحِ كَجُثِّ القَلِيْسْ[٧]
إنَّ بَــنِــي أوْدٍ هُــمُ مَــا هُــمُ لِلْحَرْبِ أو لِلْجَدْبِ عَامَ الشُّمُوسْ[٨]
يَـقُـونَ فـي الـحَـجْـرَةِ جِـيْـرَانَـهُـمْ بـالـمـال والأَنْـفُـسِ مِـنْ كُلِّ بُـوسْ[٩]

= (وأُدعى للمقام البئيس) فسقطت كلمة وهي غالباً (عند) فأضفناها ليستقيم البيت. . المقام البئيس: المقام الشديد، أي: يدعونني عند اشتداد الموقف والأمر.

(١) الشؤوس: المكان الصلب الغليظ. أقران: جمع قِرْن، قال نشوان «القِرنُ: المِثل في الشجاعة، يقال: فلان قِرْنُ فلان والجمع أقران».

(٢) الهوجل: الأرض. أو الأرض المقفرة والصعبة. هوجل عيرانة: ناقة نشيطة، فالهوجل هنا الناقة. عنتريس: داهيه.

(٣) الدّأماء: البحر. السدوس: الطيلسان الأخضر.

(٤) جاء ترتيب هذا البيت بأنه البيت السابع في مطبوعة الميمني. بينما هو البيت ٢٧ في ترتيب الطرائف. وقد استصوبنا ترتيب الميمني.

(٥) ضرح: دَفْعُ وتنحية الشيء. وقد وردت كلمة (ضرح) في نقوش المسند في الدعاء إلى إله الشمس بأن يضرح كذا وكذا.
الشموس: جاء في الهامش (الشموس) ـ بفتح الشين ـ (من الدواب، الذي إذا نُخِس لم يستقر). ونرى أن المقصود ليس ذلك لأن الدواب لا تدفع الشر، وإنما المقصود (الشموس) ـ بالضم ـ وهي جمع الآلهة (شمس) ففي النقوش عدة آلهة اسمها (شمس) تدفع وتضرع الشر ولكن الشر لا يفنى.

(٦) المُغْفِرة: هي ضأن الجبل. حالق: جبل شامخ. مرمريس: أملس.

(٧) جُث: جسمُ وشخص. القَلِيْس: النحل. وفي شمس العلوم: «القَلّيسُ قصرُ بصنعاء كان لملوك حِمْيَر».

(٨) عام الشُموس: جاء في هامش البيت أن (عام الشُموس عام الجَدب وقلة المطر). وأظن هذا المعنى جاء لوجود كلمة (الجدب) قبل (عام الشموس) في البيت. وقد سلف تبيين قوله (والشر لا يفنيه ضرح الشَمُوس) بأنه لا يعني بالشَمُوس الدواب، وإنما الشموس: جمعُ الآلهة (شمس). وقال نشوان في شمس العلوم: «وقيل الشَّمْسُ اسم صَنَم. والشَّمسُ ضَرْبٌ من القَلائِدِ، وجمعها شُموس».

(٩) قال نشوان «الحَجْرُ: لغة في الحِجْر وهو الحرام» وقال المُبرد (حَجَرات الشيء: نواحيه). =

نَفْسِي لَهُمْ عِنْدَ انْكِسَارِ القَنَا ... وقَدْ تَرَدَّى كُلُّ قِرْنٍ حَسِيسْ (١)
فانْهَلَّ أنْ يَغْدُوا إذا هَبْوَةٌ ... جرَّت عَلَيْنَا الذَّيْلَ بالدَّرْدَبِيْسْ (٢)
قَدْ أَحْسَنَتْ أودُ، ومَا نَأْنَأَتْ ... مَذْحجُ في ضَرْبِ الكُلَى والرُّؤوسْ (٣)
إِذْ عَايَنُوا بِالخَبْتِ رَجْرَاجَةً ... تَمْشِي إزْدِلافاً كازْدِلافِ العَرُوسْ (٤)
إِذْ جَمَّعَتْ عَدْوَانُ فِيهَا عَلَى ... عِدَاتِهَا مِنْ سَائِسٍ أوْ مَسُوسْ (٥)
في مُضَرِ الحَمْرَاءِ لَمْ (يتركُوا) ... غُدَارَةً غَيْرَ النِّسَاءِ الجُلُوسْ (٦)
قَدْ غَرَّهُمْ ذُو جَهْلِهِمْ فَانْثَنَوا ... عَنْ رَأْيِهِ حِيْنَ انْثَنَوا بِالعُبُوسْ
وأجْفَلَ القَومُ نَعَامِيَّةً ... عَنَّا، وَفِئْنَا بِالنِّهَابِ (الخَمُوس) (٧)
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ كِنَانِيَّةٍ ... أو عَاتِقٍ بَكْرِيَّةٍ عَيْطَمُوسْ (٨)
أَوْ حُرَّةٍ جَرْدَاءَ مَلْبُونَةٍ ... أَوْ مِقْرَم فِي إِبْلِهِ عَلْطَمِيْسْ (٩)

= بُوس: قال نشوان «البُوسُ: تخفيفُ البَوسَ» ص١٠/ المنتخب]. والمقصود هنا (من كل بأس).

(١) القِرْن: المماثل في الشجاعة. وجاء في هامش البيت أن (الحنيس: القتيل) بينما قال نشوان في شمس العلوم «الحَسْحَاسُ: السَّخيُ المُطعِم».

(٢) هبوة: غَبرةٌ. دردبيس: داهيه.

(٣) ما نأنات: ما عجزت ولا ضعفت. مذحجُ: قبيلة مذحج أو فرسان مذحج.

(٤) الخبت: المطمئن من الأرض، والمقصود هنا خَبْت بني عَدْوان. رجراجة: كتائب رجراجة، أي متحركة. العروس: العروسة ويدل هذا على أن العروس بمعنى العروسة كلمة عربية يمنية قديمة، فالعروسُ المرأة، والعريسُ الرجل.

(٥) جَمَّعتْ عَدْوَان فيها: أي في الخبت. عَدْوان: حيٌّ من مُضَر، وهم بنو عَدْوَان بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضَر بن نِزَار. وقد ذكر الهمداني في الصفة أن بَلَد بني عدوان بجوار سراة الطائف (ص ٢٥٨) وعَمْرَة بنت عامر العَدْواني هي: أُمُّ بني عامر بن صعصعة.

(٦) في مُضَر الحمراء: أي من عشائر وقبائل (مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان) وهم بطون كثيرة منهم: كنانة بن خزيمة، وهذيل، وبطون قيس عيلان وتميم.. وقوله (غُدَارة..) الغُدَارة: ما أُغْدِرَ من شيء. وغَدَرٌ: أي بقيّة.

(٧) اجفل القوم: إنثنوا وهربوا. نعامية: مثل النعام جُبْناً وهروباً. فِئنا: من الفيء أي الغنائم. النِّهاب: الغنائم.
الخموس: جاء في الأصل (الخميس) وأنه (المخموس أي الذي مأخوذٌ منه الخُمس). وجاء في المنتخب (الخَمِيسُ: الثوبُ طوله خمس أذرع) والمقصود هنا خمس الغنيمة.

(٨) كنانية: من سَبْي كنانة بن خزيمة. بكريّة: من بَكْر بن يشكر بن عَدْوَان. عَيْطَمُوس: تامة الخَلْق فَتِيَّة.

(٩) الملبونة: التي غُذيت باللبن، ولعله يعني الخيل، فقد كان الشاعر الأسعر بن أبي حمران الجعفي قد عوّدَ فرسه (المعلى) أن يُسقيه اللبن، فقال الأسعر:
أُرِيدُ دماء بني مَازِنٍ ... وَرَاقَ المُعَلَّى بَيَاضُ اللَّبَنْ =

أَوْ مُـوْثَـقٍ بـالـقِـدِّ مُـسْـتَـسْـلِـمٍ أَوْ أَشْـعَـثٍ ذي حَـاجَـةٍ مُـسْـتَـئِـيْـسْ (١)
يَـمْـشِـي خِـلَالَ الإِبْـلِ مُـسْـتَـسْـلِـماً فـي قِـدِّهِ مَـشْـيَ الـبَـعِـيْـرِ الـرَّعِـيْـسْ (٢)
كَـأنَّـهَـا عَـدَّاءَةٌ هَـيْـضَـلُ حَـوْلَ رَئِـيْـسٍ عَـاصِـبٍ بـالـرَّئِـيـسْ (٣)
بِـمَـهْـمَـهٍ مَـا لأَنِـيْـسٍ بِـهِ حِـسٌّ، ومَـا فِـيْـهِ لَـهُ مِـنْ رَسِـيْـسْ (٤)
لا يُـفْـزِعُ الـبَـهْـمَـةَ سِـرْحَـانُـهَـا ولا رَوَايَـاهَـا حِـيَـاضَ الأَنِـيْـسْ (٥)
أَبْـلِـغْ بَـنِـي أَوْدٍ فَـقَـدْ أَحْـسَـنُـوا أَمْسِ بِضَرْبِ الهَامِ تَحْتَ القُنُوسْ (٦)
ولا أَخُـو تَـيْـهَـاءَ ذُو أَرْبَـعٍ مِثْلُ الحَصَىٰ يَرْعَىٰ خَلِيْسَ الدَّرِيْسْ (٧)
(يَـغْـشَـىٰ) الـجَـلامِـيْـدَ بِـأَمْـثَـالِـهَـا مُـرَكَّـبَـاتٍ فِـي وَظِـيْـفٍ نَـهِـيْـسْ (٨)
تُـغَـادِرُ الـجُـبَّـةَ مُـحْـمَـرَّةً بِـقَـانِـيءٍ مِـنْ دَمِ جَـوْفٍ جَـمِـيْـسْ (٩)
كَـفَـوهُـمُ الـشَّـوكَـةَ واسْـتَـرْعَـفُـوا أَمَامَهُمْ يَمْشُونَ أُوْلَى الخَمِيْسْ (١٠)
وكَـشَـفُـوا الـهَـبْـوَةَ عَـنْ مَـذْحِـجٍ بِـكُـلِّ نَـجْـلَاءَ فَـرِّى غَـمُـوسْ (١١)

= العلطميس: الناقة الشديدة الضخمة. والأصل في هذا عيطموس، واللام بدلاً عن الياء. وأصله عيطاء: أي طويلة، أو طويلة العنق.

(١) القِد ـ بكسر القاف ـ سَيْرٌ يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ. مستئيس: يائس، وهو من الإياس: أي انقطاع المطمع.

(٢) الرعيس: المضطرب في سيره.

(٣) عداءة: أي كتيبة عداءة. هَيْضَل: جماعة متسلحة أمرهم في الحرب واحد. وهذا البيت فيه وصف لفرسان أود. وترتيبه قد يكون في المقطع الأخير من القصيدة.

(٤) مهمه: فلاة. الرسيس: الشيء من الخبر.

(٥) البهمة: صغار الغنم والمَعز والبقر الوحشي. سِرْحَانُها: ذئابها. رواياها: القطا تحمل الماء إلى فِراخها.

(٦) القنوس: أعلى خوذة الحديد، واحدتها قونس.

(٧) الخليس: نباتٌ هائج بعضه أصفر وبعضه أخضر. الدريس: المُندرس، أي جُعلت تحت الأقدام كالطريق الذي يدرس.

(٨) قال العسكري: (أول من شَبّه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله «يرمي الجلاميد بأمثالها».
الوظيف: مُسْتَدَقُّ الذّراع والساقِ من الخيل. نهيس: فرس قليل اللحم خفيفه.

(٩) تغادر الجُبة: أو (الجثة) لأن هذا البيت قاله الأفوه في وصف الطعن. جميس: يابس.

(١٠) الشوكة: شوكة الحرب. استرعفوا: تقدموا. الخميس: الجيش.

(١١) بكل نجلاء: بكل طعنة نجلاء. الفرّى: التي تفري اللحم. غموس: انغمست في اللحم.
وهذا البيت يبدو أن مكانه قبل البيت الأسبق:
(تُـغَـادِرُ الـجُـبَّـةَ مُـحْـمَـرَّةً بِـقَـانِـيءٍ مِـن دم جـوف جـمـيـس)

(أدِيْــنُ بــالــصَّــبْــرِ إذَا ضَــرَّمَــتْ نيرَانها الحَرْبُ اضْطِرَامَ الوطِيسْ)

انتهت القصيدة وهي أربعة وثلاثون بيتاً، وفي أبيات المقطعين الأخيرين تداخل وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات، وهي ختام القصيدة.

وصية الأفوه الأودي:

وقد أورد السجستاني في كتاب (المعمَّرون والوصايا) وصية للأفوه الأودي أوصى بها أولاده وأبناء عشيرته وقبيلته (بني أود). وقال الأفوه في وصيته:

«إن التجربة علم، والأدبُ عَوْنٌ، والكَفُّ عن ذلك مضرّة. وليكن جُلساؤكم أهل المُروءة والطّلب لها، وإياكم ومجالسةَ الأشرار، فإنّها تُعْقِبُ الضّغائن، والرّفْض لهم من أسباب الخير. والحِلْمُ مَحْجَزَةٌ عن الغَيْظِ، والفُحْشُ من العِيّ. والغَيُّ مَهْدَمَةٌ للبناء. ومِنْ خير ما ظَفرتْ به الرجالُ اللّسان الحَسَن، وفي تَرْك المِراءِ راحةٌ للبدن. فلينظر كلّ رجل منكم إلى جِهَته، فإنّ العُجْبَ كِبْرٌ، والكِبْرُ قائدٌ إلى البُغْض، واشْنَوءوا البَغْيَ، فإنّه المَرْعى الوَخِيم. واسْتَصلحوا الخَلَلَ، وتَحامُوا الذُلّ»[١].

وتتضمن كتب السيرة وأخبار ملوك اليمن الماضين وصايا للعديد من الملوك وكبار الأذواء والشخصيات ذات المكانة الكبيرة. وقد تم العثور مؤخراً على قطعة أثرية من الجِلد مكتوب عليها بحروف وخط المُسْنَد وصية «زيد بن كهلان بن سَدَد بن زُرْعَة..» وجاء في أولها قوله: «إلى أبنائي وأولادي وأبناء جِلدتي وعشيرتي.. أوصيكم بالحفاظ على تراث الأجداد والحسب والنسب..» وهي وصية طويلة جاء في آخرها أنها كُتِبَتْ «في مأرب أرض سبأ وحمير، سنة خمسة وأربعين ومائتين للميلاد»[٢]. وهي من الشواهد على الوصايا التي ذكرتها كتب التراث للعديد من الملوك والشخصيات اليمنية في تلك العصور ومنهم الأفوه الأودي، والحرث بن كعب المذحجي الذي هو أيضاً من أوائل الشعراء اليمنيين القدماء في الجاهلية والزمن التليد.

---

(١) المعمّرون والوصايا ـ السجستاني ـ ص ١٣٠.

(٢) توجد مخطوطة وصية زيد بن كهلان المكتوبة بالمسند بحوزة الأخ الشيخ عبد الحميد بن نعمان بن قائد بن راجح وسوف ينشرها مع عدة مخطوطات تليدة في كتاب بعد استكمال تحقيقها في وقت غير بعيد.

المبحث «٢»

الحرث بن كعب المَذْحَجيّ

«أحد أوائل الشعراء القدماء في التاريخ»

هو (الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مَذْحج) أو (الحرث بن كعب بن عُلَة بن جَلْد بن مَذْحج) وقد ذكره ابن قتيبة بأنه (من أوائل الشعراء)(١) وجاء في أمالي المرتضى أنه «كانَ على دين النبي شُعيب عليه السلام، وفي رواية أخرى: على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام»(٢) ومن جيّد وقديم الشعر قول الحرث بن كعب يوصي أحد بنيه:

وإذا لَقِيْتَ كتِيْبةً فَتَقَدَّمَنْ ... إنَّ المُقَدَّمَ لا يَكونُ الأخْيَبَا

تَلْقَ الرِّياسَةَ أوْ تَمُوتَ بِطَعْنَةٍ ... والموتُ يأتي مَنْ نَأى وتَجَنَّبَا

ونذكر هنا:

مجيء اسم الحرث بن كعب في نقش سبئي بمحرم بلقيس:

لقد جاء اسم (الحرث بن كعب) في أحد نقوش المسند التي تم العثور عليها في التنقيبات الأثرية بمحرم بلقيس في مأرب والذي يعود زمنه إلى القرن التاسع ق.م. وهو من النقوش المنشور نَصّها في كتاب (نقوش سبئية من محرم بلقيس) ويتبين من النقش أن الحرث بن كعب عاصر (شمّر يُهرعش ملك سبأ وذي ريدان) وقام الملك باعتقال الحرث بن كعب مع شخص اسمه (سَوْد بن عمر) في مركز اسمه (ذي حزفن) بمدينة مأرب عاصمة سبأ، ولكن جماعة من قبيلة نخع المذحجية ومن قبيلة جَرْم القضاعية الحميرية اقتحموا ذلك المعتقل ومعهم القائد يعمرأشوع كبير سبأ وأخرجوا الحرث بن كعب وسود بن عمر حيث يذكر النقش: «أن القائد وهب أوام قام بمطاردة حارث بن كعب وسود بن عمر اللّذين تسللا من (ذي حزفن) مع جماعة من نَخْع وجَرْم ومعهم يعمر السبئي. وقد أدركهم القائد وهب أوام فأعادهم مكبلين إلى سيّدهم الملك شمّر يُهرعش..»(٣).

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٥. (٢) أمالي المرتضى ـ ص ١/٢٣٢.

(٣) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ البروفيسور ألبرت جام ـ.

ويدلُّ ذلك على أن الحرث بن كعب كان شخصية هامة فقد اشترك في إخراجه من المعتقل بنو (النَّخْع بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج) وجماعة من بني (جَرْم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير) ومعهم القائد (يعمرأشوع كبير شعب سبأ) ولكن القائد وهب قام بمطاردتهم وأعاد الحرث بن كعب وسود بن عمر مُكَبّلين بالقيود إلى الملك شمّر يُهرعش. ولا بد أن الملك ما لبث أن أطلق سراحهما، فقد عاش الحرث بن كعب ثلاثة أجيال. وتناسلت منه إحدى قبائل مذحج. ويبدو لنا وجود شخصيتين أحدهما (الحرث بن كعب) والثاني (الحرث بن كعب) من سلالة الأول فتم دمجهما في الأنساب، وأن الأول كان قديماً في عصور سبأ بأزمنة ما قبل الميلاد وهو الذي يمكن القول أنه كان على دين شعيب عليه السلام، وأن من سلالته كان الحرث بن كعب الذي كان على دين المسيح عليه السلام في قرون ما بعد الميلاد.

بنو الحرث بن كعب في تاريخ ابن خلدون:

وقال ابن خلدون: «أما بنو الحرث بن كعب، فالحرث أبوهم بن كعب بن عُلَة، وديارهم بنواحي نجران. وكان نجران قبلهم لجُرهم ومنهم كان ملكها الأفعى الكاهن واسمه القلمس، وكان القلمس والياً لبلقيس على نجران وبعثته إلى سليمان فصدّق وآمن وأقام على دينه بعد موته. ثم نزل نجران بنو الحرث بن كعب بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج فغلبوا عليها بني الأفعى. ثم خرجت الأزد من (مأرب) فمرّوا بهم وكانت بينهم حروب، وأقام مَنْ أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذُهل بن مُزيقيا واقتسموا الرياسة في نجران. وكان من بني الحرث بن كعب هؤلاء المذحجيين بنو زياد ـ والديَّان ـ واسمه يزيد بن قَطَن بن زياد بن الحرث بن كعب بن الحرث، وهم بيت مذحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في بيت عبد المدان ابن الديَّان»[1]. ونرى من مجمل النصوص وجود شخصيتين:

أ ـ الحرث بن كعب الجد الأول الأقدم لقبيلة بني الحرث بن كعب وكان في عصور دولة سبأ بقرون ما قبل الميلاد، وانتشر بنو الحرث من منطقتهم الأولى في سرو مذحج (محافظة البيضاء حالياً) إلى منطقة براقش في الجوف وإلى مخلاف نجران، وتغلبوا على بني الأفعى وصارت لهم الزعامة، ولما نزح الأزد من أرض مأرب في نحو القرن الثاني الميلادي مرّوا بمخلاف نجران فتنازعوا مع قبيلة بني الحرث بن كعب ثم أقام من أقام بمخلاف نجران من الأزد وهم أزد

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٣٤.

السَّرَاة بمناطق السَّرَاة بأعالي مخلاف نجران وتقاسموا الرياسة مع بني الحرث بمخلاف نجران.

ب ـ الحرث بن كعب ـ سليل الحرث بن كعب ـ وقد صار رئيساً لبني الحرث بن كعب وقبائل مذحج ورئيساً لمخلاف نجران منذ حوالي أوائل القرن الرابع الميلادي وقد دخلت الديانة المسيحية التوحيدية إلى اليمن ومنها نجران في أواسط ذلك القرن الرابع الميلادي، وكانت رئاسة الحارث في إطار الدولة الحميرية.

شعر ووصايا الحرث بن كعب:

قال ابن قتيبة: «لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجلُ عند حدوث الحاجة. فَمِن قديم الشعر: قال الحرِثُ بن كعب، وكان قديماً:

أَكَـلْـتُ شـبـابِـي فَـأَفْـنَـيْـتُـهُ ... وأَفْـنَـيْـتُ بـعـدَ شُـهُـورٍ شُـهُـورا[١]

ثـلاثَـةُ أَهْـلِـيـنَ صـاحَـبْـتُـهُـم[٢] ... فَبَانُوا وأَصْبَحْتُ شَيْخاً كبيراً[٣]

قَـلِـيـلَ الـطَّـعـامِ عَـسِـيـرَ الـقـيـا ... م قد تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِي قَصِيرا[٤]

أَبِـيْـتُ أُرَاعِـي نُـجُـومَ الـسَّـمـاءِ ... أُقَـلِّـبُ أَمْـرِي بُـطُـونـاً ظُـهُـورا»[٥]

وقد قال الحرث بن كعب هذا الشعر بعد أن أوصى بنيه ووعظهم بوصية قال فيها: «يا بَنِيّ، قد أتت عليَّ ست ومائة سنة ما صافحتُ بيميني يمين غادرٍ ولا قَنِعْتُ لنفسي بخلّة فاجر، ولا صَبَوت بابنة عمٍّ ولا كَنَّة، ولا بُحْت لصديق بسرّ، ولا طرحتُ عن مُوْمِسَة قناعاً. وما بقي على دين شُعيب (ويُروى على دين المسيح عيسى بن مريم) من العرب غيري وغير تميم بن مرّ، فموتوا على شريعتي، واحفظوا عليّ وَصَاتي. وإلهكم فاتقوا يَكْفِكم ما أَهَمَّكم، ويُصْلح لكم حالكم، وإياكم ومعصيته فيُحلّ بكم الدّمار ويوحش منكم الدّيار.

كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شِيَعاً، وبُزّوا قبل أن تُبزّوا، فموتٌ في عزّ خيرُ

---

(١) جاء عجز البيت في الأمالي (. . . دهور دهوراً) وفي كتاب المُعمَّرون «وأمضيت بعد دهور دهوراً».

(٢) ثلاثة أهلين: أي ثلاثة أجيال.

(٣) في الأمالي (فبادوا وأصبحتُ شيخاً كبيراً).

(٤) في الأمالي والمعمرون « . . . قد ترك الدهر . . » ورواية ابن قتيبة « . . قد ترك القيد . . » بالغة الأهمية، لأن النقش المسند سالف الذكر قد سجل نبأ حبس الحرث بن كعب وإخراج أنصاره إياه من المعتقل وإعادته مكبلاً بالقيد إلى الملك كما سلف التبيين.

(٥) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٥.

من حياة في ذُلّ وعَجْز. وكلّ ما هو كائن كائن، وكلّ جمع إلى تَباين. والدّهر صرفان: صرف بلاء وصرف رخاء، واليوم يومان: يوم حَبْرةٍ ويوم عَبْرة. والناس رجلان: رَجُلٌ لكَ ورَجُلٌ عليك.. وإذا اختلف القومُ أمْكَنُوا عدوّهم، وآفَةُ العدد اختلاف الكلمة. والتّفضّل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة دُخُول فيها، وعملُ السّوء يزيل النّعماء، وقطيعة الرّحم تُورث الهمّ، وانتهاك الحرمة يزيل النِّعم. وعقوق الوالدين يُعَقِبُ النّكد ويمحقُ العدد. والإسراف في النصيحة هو الفَضِيحة، والحقد منع الرِّفْد، ولزوم الخطيئة يُعْقِب البَلِيَّة، وسُوءِ الدّعة يقطّع أسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلى التباين. يا بَنِيّ، إنّي قد أكلتُ مع أقوام وشربت، فذهبوا وغَبَرْتُ، وكأنّي بهم قد لَحِقْت»[١]. ثم قال الشعر سالف الذكر، وقد جاء في الرواية أنه قال: (قد أتتْ عليّ ستون ومائة سنة) ونرى أن الأصوب (ست ومائة سنة) فإذا كان قد قال: «ما بقي على دين شُعيب غيري» فيكون هو الحرث بن كعب الأول الأقدم، وشُعيب هو النبي شُعيب بن ذي مهدم وهو من الأنبياء العرب اليمنيين القدماء. وقد ذكر الهمداني أنه «كان باليمن النبي شُعيب بن ذي مهدم، وهو من بني حضور، ومسجده قائم إلى اليوم في رأس جبل حضور» - وهو الجبل المعروف حتى اليوم باسم جبل النبيّ شُعيب بمنطقة مناخة بمحافظة صنعاء، وكان النبي شعيب هذا في عصور سبأ التليدة في قرون ما قبل الميلاد، أما إذا كان على دين المسيح فهو الحرث بن كعب الذي رأس بني الحرث ومذحج ونجران في القرن الرابع الميلادي. وقد وقع دمج بين الشخصيتين لتقادم العهود وتشابه الأسماء وواحدية النسب.

وللحرث بن كعب وصية ثانية في كتاب وصايا الملوك والمُعَمّرون وهي أنه «أوصى للحرث بن كعب بنيه فقال: يا بَنِيّ عليكم بهذا المال فاطلبوه أجمل الطّلب ثم اصرفوه في أجمل مذهب فَصِلوا به الأرحام واصطنعوا منه الأقوام واجعلوه جُنَّة لأعراضكم، تحسنُ به في الناس قَالَتُكم فإنّ بذله تمام الشّرف وثبات المروءة. وإنّه لَيُسوّد غير السيّد، ويؤيدُ غير الأيّد، حتى يكون عند الناس نبيلاً نبيهاً وفي أعينهم مهيباً. ومن اكتسب مالاً فلم يصل به رحماً ولم يعط منه سائلاً ولم يَصُن به عرضاً، بَحَثَ الناس عن أصله فإن كان مُدْخلاً هرتوه وهتكوه وإن لم يكن مدخولاً ألزموه دنيّة وأكسبوه عِرقاً لئيماً حتى يُهَجّنوه به. ثم قال لابنه أشْعَث:

أَبُـنَـيّ إنَّ أبـاكَ يـومـاً هـالِـكُ ... فَـاحْـفَـظْ أَبـاكَ رِيـاسَـةً وَتَـقَـلُّـبَـا
وإذا لَـقِـيْـتَ كَـتِـيـبَـةً فَـتَـقَـدَّمَـنْ ... إنَّ الـمُـقَـدَّمَ لا يـكُـونُ الأخْـيَـبَـا

---

(١) الأمالي - للمرتضى - ص ٢٣٢ و ١/٢٣٣ - وإعمار الأعيان - ابن الجوزي - ص ١٠٣.

تَـلْـقَ الـرِّيَـاسَـةَ أو تَـمُـوتَ بِـطَـعْـنَـةٍ والـموتُ يَـأْتِـي مَـنْ نـأى وتَـجَنَّبا»[(١)]

ولا بد أن (أشعث) كان لقب ابنه (كعب بن الحرث بن كعب) ومن أحفاده الرئيس الشاعر الديان بن قَطَن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب. وكان الديان رئيساً لبني الحرث بن كعب وسائر قبائل مذحج وملكاً والياً لمخلاف نجران منذ عهد الملك الحميري أسعد بن حسان إلى عهد الملك السُمَيْفع - أي في الفترة ما بين عام ٤٦٠ وعام ٥٣٠م - بالقرن الخامس إلى السادس الميلادي، وهو من شعراء اليمن في الجاهلية وسيأتي ذكر أنباء وشعر الديان وغيره من بني الحرث بن كعب في مباحث خاصة بهم، ويدلُّ نسب الديان على أن الحرث بن كعب كان قبل الديان بستة أجيال مما يعزز أنه ربما عاش في فترة من القرن الثاني الميلادي، وقد جاء في شعر بكتاب الوصايا أن الحرث بن كعب عاصر المسيح عليه السلام[(٢)] فإذا أخذنا بالقول بأنه عاش مائة وستين سنة وأنّ أولاده وأحفاده كانوا من المُعمرين يمكن العودة بزمن الحرث بن كعب إلى عصر المسيح في القرن الأول الميلادي ثم يليه أولاده وأحفاده وصولاً إلى الديان في القرن الخامس الميلادي.

---

(١) المعمرون والوصايا - أبو حاتم السجستاني - ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) جاء في وصايا الملوك المنسوب إلى دِعبل الخزاعي أن الحرث بن كعب قال «وصِرتُ إلى عيسى ابن مريم باديا..».

المبحث «٣»

دُوَيْد بن زَيْد النَهْدي

«مِنْ قُدَماءِ الشعراء الحميريين»

هو (دويد بن زيد بن نهد القضاعي الحميري) وبه استهلَّ ابن قتيبة أوائل الشعراء قائلاً: «لم يكن لأوائل الشعراء إلّا الأبياتُ القليلة يقولها الرجلُ عند حدوث الحاجة. فَمِن قديم الشعر قولُ دُوَيْد بن نَهْد القُضَاعيّ:

الـيَـوْمَ يُـبْـنَـى لِـدُوَيْـدٍ بَـيْـتُـهُ لَوْ كان للدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتُه» . . إلخ[1]

ونذكر هنا:

نسب وزمن دُوَيْد . . وبني نَهْد وقضاعة:

لقد نَسَبَ ابن قتيبة دُوَيْداً إلى جدّه فقال (دويد بن نهد)، وجاء في كتاب الاشتقاق أنه «دويد بن زيد بن نهد، وهو الذي طال عمره»[1]. وكذلك جاء في هامش الإكليل أنه «دويد بن زيد بن نهد وهو الذي طال عمره»[2] ولا بدَّ أن القول بأنه (دويد بن نهد) أو (دويد بن زيد بن نهد) إنما هو من باب اتصال نسبه إلى نهد - أي بمعنى النهدي - لأن زمن نهد قديم جداً، إذْ أنه: (نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أَسْلُم بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ اليعربي القحطاني). ونشير هنا إلى أنه:

- كان قضاعة بن مالك بن حِمْيَر من ملوك اليمن القدماء قبل زمن بلقيس. . قال ابن خلدون: «ومَلَكَ بعده ابنه الحاف بن قضاعة ثم مالك بن الحاف بن قضاعة. .»[3] وقال الهمداني في الإكليل: «أولَدَ قضاعة بن مالك: الحاف والحاذي ووديعة وعَبادة. وأُمّهم مَلْكِية بنت الأشعر، وأمّها أسماء بنت عمرو بن الغوث بن جيدان بن قَطَنْ بن عَرِيب بن زُهير بن أيمن بن الهميْسع بن حِمْيَر»[4].

---

(١) الشعر والشعراء - ابن قتيبة - ص ١٠٤.

(٢) الإكليل - الهمداني - تحقيق الأكوع - ص ٢٦٣ جـ ١.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون - محمد الفرح - ص ٣٦.

(٤) الإكليل - الحسن الهمداني - ص ٢٥٥ - ٢٦٢ جـ ١.

ـ وكان للحاف عشرة أولاد: عمران، وعمرو، وأسلُم، ومالك، وعريد، وعبيد، وزيد، وعشم، وسحام، وليلى. فتناسلت من ثلاثة منهم بطون قضاعة، وهم عمران بن الحاف، وعمرو بن الحاف، وأسلُم بن الحاف. وكما يلي:

أ ـ بنو عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير:

قال الهمداني: « . . فولد عمران بن الحاف: حُلوان. فولد حُلْوان: تغلب الغلباء، وربان، وتزيد الأكبر، وماذخاً، وأنماراً، وعَمْراً وهو سَلِيْح. . فولد تغلب بن حُلوان: وبرة. فولد وبرة: كَلْباً، والنِّمْر، والأسد، والذئب، والثعلب، والفهد، والضبع، والدُّب والسِّيد والسرحان والبرك وتغلب والخشناء وعُبْساً وضِنّة. . فولد الأسد بن وبرة: تيم اللَّه فهماً وهو تنوخ. . وشَيْع اللَّه بن أسد. . فأولد شيع اللَّه: جِسَراً. فولد جِسر: القين، بطن. وولد تغلب بن وبرة: عامراً وهو طابخة، بطن. وولد النمر بن وبرة: التيّم وخُشيناً. . وفتية بن النِّمْر. فأولد فتية: امرؤ مناة، فأولد امرؤ مناة: اللبوء، فأولد اللبوء عصيبة، وولد التيّم مشجعة والغوث. وجُهلت البطون الأخرى. وولد ربان بن حُلوان: جرماً، وعوفاً»[١]. وأشهر تلك البطون جميعاً: كلب، وتنوخ، وجرم بن ربان وهم رهط الشاعر الجاهلي وعلة بن عبد اللَّه الجرمي.

ب ـ بنو عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير:

قال الهمداني: «وولد عمرو بن الحاف: بهراء، وبَلِيّا، وحيدان، وخولان، ولوذا. . وولد حيدان بن عمرو: مَهْرة، ومجيداً، وتزيداً، تُنسب إليهم الثياب التزيدية، قال علقمة بن عَبَدة:

ودّ الأمان جمال الحيّ فاحتملوا   فكلّها بالتزيديات معكوم

وقال أبو ذؤيب:

يعثرن في حدّ الظُّبات كأنّما   كُسِيت برود بني تزيد الأذرع»[٢]

والثياب التزيدية هي التي بها خطوط حُمر. ومهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف هم المهرة بمنطقة المهرة في شرق اليمن، وأما بهراء وبَلِيّ وخولان فكانوا يسكنون أرض مأرب وما بين صنعاء ومأرب (قال المثلم بن قرط البلوي:

ألم تر أن الحيّ كانوا بغبطة   بمأرب إذْ كانوا يَحِلُّونَها معا

بَلِيٌّ وبهراء وخولان أخوة   لعمرو بن حاف فرع من قد تفرعا)[٣]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٥ ـ ٢٦٢ جـ ١.

(٢) الظّبات: جمع ظُبَة، والظُّبَة: طرف النصل. وشبه أبو ذؤيب طرائق الدم بطرائق البرود التزيدية لأنها تضرب إلى حمرة.

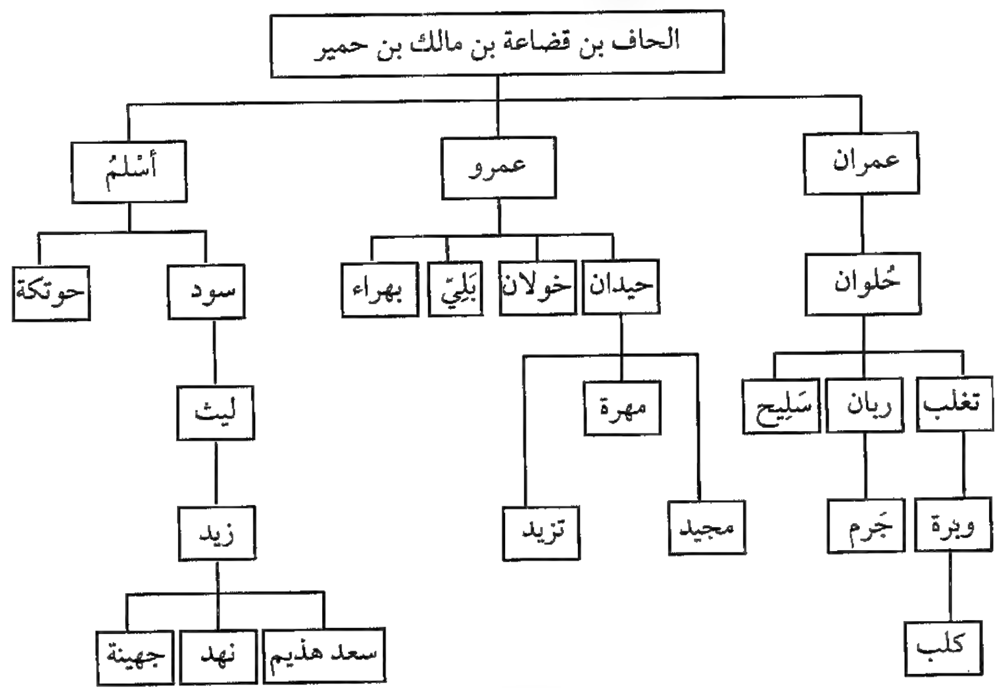
(٣) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١/٩.

جـ ـ بنو أسلُم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير . . ومنهم نَهْد:

قال الهمداني: «وأولد أسلُم بن الحاف: سَوْدا وحِوتكة ابني أسْلُم. فولد سَوْدُ: ليثاً، فولد ليثُ زيداً، فولد زيدُ: نهداً، وسعداً، وجُهينة. فولد سعدُ ـ ويُعرف بسعد هُذَيم ـ عُذْرة والحارث وصعباً ومعاوية ووائلاً، بطون كلها»[١].

وكذلك قال ابن خلدون: «. . ومِن أسْلُم بن الحاف بن قضاعة: سعد هُذَيم، وجهينة، ونهد. بنو زيد بن ليث بن سود بن أسْلُم»[٢].

وفيما يلي جدول بأهم بطون قضاعة:



ويتبين من ذلك النسب أن زمن «نهد بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسْلُم ـ بضم اللام ـ بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير» وكذلك زمن (جرم بن ريان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير» أقدم من زمن «دويد بن زيد النهدي» بأجيال كثيرة. وقد كانت (جرم) عشيرة كبيرة في زمن النقش المسند رقم (٦٦٠ جام) من محرم بلقيس للقائد (وهب اوام) الذي جاء فيه ذكر (الحرث بن كعب وسَوْد بن عمر وعشيرتي (نخع وجرم)[٣] ويعود زمن ذلك النقش إلى عصر

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١/٢٦٣.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٣٧.
(٣) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٦٠.

ملوك سبأ التبابعة القدماء، بينما زمن الشاعر دويد بن زيد بن نهد (النهدي) لا يعود إلى ما قبل القرن الثاني الميلادي.

منطقة نَهْد وعشائرها ومنهم بنو دُوَيد:

قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «نهد: لا تزال محتفظة باسمها إلى هذه الغاية، وقد تفرعت إلى ثلاث بطون: نهد اليمن ومساكنهم مصاقبة لجُرش وما صاليٰ نجران، ومن قراهم كتنة والهجيرة. وفرقة تسكن حضرموت، وفرقة تسكن الشام»[١]. وهذا التفرع قد حصل نتيجة انتقال بعض عشائر نهد من منطقتهم الأولى كما انتشرت قبيلة (خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) إلى منطقة صعدة حتى تخوم مخلاف نجران، وانتشر (بنو الحرث بن كعب) من براقش إلى نجران وكذلك (يام). قال الحسن بن أحمد الهمداني: «وليام وطن بنجران.. إلى حدود زُبيد ونَهْد من ناحية حارة وما يليها ـ فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حَبونن..»[٢] وقد ذكر الهمداني منطقة نهد بالتفصيل حيث قال ما يلي نصه: «بلد بني نهد: طريب ومصابة من ذوات القصص وكتنة، وأراك: وادٍ فيه أراك[٣].. والقرارة، والرَّيَّان، وجاش، وذو بيضان، ومريع، وعبالم، وغرب، والحضارة، والعَشتان، والبردان، وذات الاه وهي قرى الدبيل، وعُشر، وعاريان، وسَقُم. وقريتهم الهجيرة. والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد: مُعرِّف، وحرام وهي أكثر نَهْد، وبنو زُهير، وبنو دُوَيد، وبنو حزيمة، وبنو مُرَمَّض، وبنو صخر، وبنو ضنَّة، وبنو يربوع، وبنو يحنس، وبنو ظبيان»[٤] وهُم اثنتا عشرة من عشائر نهد، ومنهم (بنو دويد) الذين هم أبناء وسلالة الشاعر دويد.

شعر ووصية دُوَيْد بن زيد النهدي:

لقد كان دويد من أوائل الشعراء، ولم يحفظ ويتناقل الناس من شعره إلا الشعر الذي قاله قُبيل وفاته، وقد أورده ابن قتيبة قائلاً ما يلي نصه:

«أوائل الشعراء: لم يكن لأوائلِ الشعراءِ إلا الأَبياتُ القليلة يقولها الرجلُ عند حدوث الحاجة. فمن قديم الشعر قولُ دُوَيد بن نَهْد القُضَاعيّ:

الْيَوْمَ يُبْنَىٰ لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ ... لَوْ كانَ لِلدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٢٦٣ جـ ١.

(٢) حبونن: هو ما يُسمى اليوم حبونه في أعالي مخلاف نجران.

(٣) قال الأكوع: «طريب: يحتفظ باسمه ويوجد فيه النخل المثمر. وكتنة تحمل اسمها حيّة قائمة وكذا أراك».

(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٣.

أو كان قِرْني واحداً كفَيْتُهُ يا رُبَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيْتُهُ
ورُبَّ عَبْلٍ خَشِنٍ لَوَيْتُهُ»[1]

وجاء في الهامش: «العَبْل: الضخم الممتلىء. ورواية أبي حاتم والقاموس «غَيْل حسن» والغَيْل - بفتح الغين - الساعد الريان الممتلىء. ولعله أجود أو أصح. وجاء في أخبار المعمرين لأبي حاتم (ص ٢٠) وفي القاموس: إن دويد بن زيد بن نهد قال هذا الشعر وهو مُحتضر. والأبيات في القاموس كما هنا وزاد في آخرها:

(ومِعْصَم مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ)

وجاء في أخبار المعمّرين لأبيّ حاتم (أنه عاش ٤٥٦ سنة) وفي القاموس «أنه عاش ٤٥٠ سنة وأدرك الإسلام، وهو لا يعقل» (اهـ) ونرى أن أصل ذلك هو أنه كان قبل الإسلام بأربعمائة وخمسين سنة، فيكون زمنه في أواسط القرن الثاني الميلادي، وأن الذي أدرك الإسلام إنما هو أحد أحفاده وكان اسمه أيضاً (دُويد) فوقع الالتباس، لأن من المستحيل أن يعيش المرء خمسة قرون وإنما تتشابه الأسماء فيقع الظن بأنه نفس الشخص، ولذلك نرى أنه قبل الإسلام بـ (٤٥٠) سنة كان ومات دويد بن زيد النهدي الشاعر وذلك حوالي عام ١٦٠ ميلادية بينما البعثة النبوية عام ٦١٠ ميلادية.

وقد كان لدويد بن زيد العديد من الأبناء، وجاء في الاشتقاق أنه «أوصى عند موته بنيه فقال: أوصيكم بالناس شراً، لا تقيلوا لهم عثرة، ولا تقبلوا لهم معذرة. طَوّلوا الأسِنّة، وقصّروا الأعنّة. وإذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة. التجلد ولا التبلّد»[2].

وقد صار بنو دويد إحدى عشائر نهد منذ ما قبل الإسلام بمنطقة نهد بين صعدة ونجران وبيشة، في أعالي اليمن، وكانت تسكن هناك أيضاً قبيلة جَرْم بن ربان القضاعية الحميرية وقبيلة زُبيد بن صعب بن سعد العشيرة المذحجية، رهط عمرو بن معدي كرب الزُبيدي، فكانت تقع احتكاكات وخلافات قبلية في الجاهلية، وقد وصف عمرو بن معدي كرب فرسان نهد في إحدى قصائده بالجاهلية حيث قال:

«.. وعلمتُ أنّي يوم ذاك مُنَازِلٌ كعباً ونَهْدَا
قومٌ إذا لبسوا الحديد تنمّروا حلقاً وقِدّا»[3]

وقال المسلم بن عبّاد الخولاني في قصيدة بالإكليل:

خليليّ مِنْ جَرْمِ بن ربّان أو نَهْدِ ألا حيِّيا هِنْداً دنا البيّنُ من هندِ

(١) الشعر والشعراء - ابن قتيبة - ص ١٠٤.

(٢) هامش الإكليل - ص ١٦٣/ ١ - عن كتاب الاشتقاق لابن دريد - ص ٥٤٨.

(٣) يمانيون في موكب الرسول ﷺ - محمد حسين الفرح - ص ٦٥٧/ ١.

وقولا لهندٍ قبل أن يشحط النَّوَىٰ بِنَا وبهند هل مِن البيّن من بُدِّ[1]

فذكر في مطلع القصيدة جرماً ونهداً، وهما وخولان من قبائل قضاعة بتلك المناطق من أعالي اليمن قبل وبعد الإسلام.

ونشير أخيراً إلى أن من الشعراء النهديين في الجاهلية بالقائمة التي نقلها محمد سعيد جرادة عن رسالة هشام الطعان بأسماء (شعراء اليمن قبل الإسلام والمصادر التي ذكرت أشعارهم) أربعة شعراء هم:

«عبد اللّه بن عجلان النهدي: اللسان. وسمط اللآلي ٤٣٨.

ـ كعح ذي الحبكة النهدي: معجم الشعراء ٣٤٥.

ـ حارثة بن عمران النهدي: المؤتلف ٩٩.

ـ زهير بن جناب النهدي: المؤتلف ١٣٠»[2].

وقد وقع التباس في زهير بن جناب فالصواب أنه زهير بن جناب الكلبي وسيأتي ذكره، وكذلك سيأتي ذكر عبد اللّه بن عجلان النهدي وهما من الشعراء الكبار في هذا الكتاب.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٢٨ جـ ١.

(٢) الأدب والثقافة. . ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٢٨.

المبحث «٤»

هَبَل بن عبد اللّه الكَلْبي

«أقدم الشعراء الكلبيين الحِمْيَريين»

من قدماء الشعراء «هَبَل بن عبد اللّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة بن مالك بن حِمْيَر»(١).

قال الأصفهاني: «قال هشام: عاش هَبَل بن عبد اللّه ـ جدّ زهير بن جناب ـ ستمائة سنة وسبعين سنة، وهو القائل:

يـا رُبَّ يـومٍ قـد غـنـيْ فـيـه هَـبَـلْ
لـه نـوالُ ودرور وجَـدَلْ
كـأنّـه فـي الـعـزّ عـوفُ أو حَـجَـلْ»(٢)

ولا يمكن أن يكون هبل بن عبد اللّه الكلبي عاش (ستمائة سنة وسبعين سنة)، ونرى أنّ أصل ذلك هو: إما أنه كان زمنه قبل الإسلام بستمائة سنة وسبعين سنة. وإما أنه (عاش سِتًّا وسبعين ومائة سنة) ـ أي ١٧٦ سنة ـ.

وهو أقدم الشعراء الكلبيين الحميريين، وكَلْبُ قبيلة هامة كان لها دور كبير في التاريخ. وقد ذكر الحسن الهمداني في الأنساب بالإكليل أنه: «أولَدَ وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران. . : كَلْباً، والنِّمْر، وأسد، والذئب، والثعلب، والفهد، والضبع، والدُب، والسِّيْد، والسرحان، وتغلب، والخشنا، وعُبُساً، وضِنّة»(٣).

وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في الهامش: «الوبرة: أنثى الوبر وهو الحيوان المعروف، والكلب معروف أيضاً. والنِّمر: مكسور النون مجزوم الميم. . والفهد: نوع من السباع قوائمه أطول من قوائم النمر وهو منقّط بنقط سود. والدب: نوع من السباع. والسِّيْد ـ بالكسر ـ الأسد. والذئب والسرحان: الذئب وهو معروف بهذا الاسم عندنا معاشر اليمنيين. وتقول العرب في أهازيجها عند نوع من السير:

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٣.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٧ جـ ٢١.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٢٥٩ جـ ١.

يـا قـاطـف الـريـحـان مـن ذوائبـه وإن عـدا سـرحـان فـمـن عـوائـده

. . وقيل لأبي الرقيش الأعرابي: لم تُسموا أولادكم بشرّ الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء كمرزوق ورباح؟ فقال: إنما نُسمّي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا، فالأبناء عدة للأعداء وسهام في نحورهم. وكان يُقال لأولاد وبرة: الأسْبُع»[١].

وتفرعت مِنْ أربعة مِن أبناء وبرة عدة بطون من قبائل قضاعة بن مالك بن حِمْيَر، والأربعة هم: أسد، وتغلب، والنّمر، وكلب. قال الهمداني: «فَوَلَد الأسد بن وبرة: تيم اللّه فهماً وهو تنوخ. . وشيعَ اللّه بن أسد مثل: شكم اللّه، أي هبة اللّه، وزيادة اللّه. فأولد شيع اللّه جَسْراً، فولد جَسْر: القين بن جَسْر بطن. وولد تغلب بن وبرة: عامراً، وهو طابخة، بطن. وولد النّمر بن وبرة: التيّم وخُشيناً رهط أبي ثعلبة الخشني صاحب النبي ﷺ، وفتية بن النَّمْر، فأولد فتية: امرؤ مناة، فأولد امرؤ مناة: اللبوء. فأولد اللبوء عصيبة، وولد التيّم مشجعة والغوث. . بطونٌ كلها»[٢].

ومن بني كلب بن وبرة: بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب. وهم بطن كبير، ومنهم الشاعر هبل بن عبد اللّه بن كنانة وهو شاعر قديم، وهو القائل:

يـا رب يـوم قـد غـنـىٰ فـيـه هَـبَـلْ
لـــه نـــوال ودرور وجـــدل
كـأنّـه فـي الـعـزّ عـوف وحَـجَـلْ

وعوف وحجل من رؤساء قضاعة، وعوف هو (عوف بن ربان بن حُلوان. أخو جَرم بن رَبان، كبير بني جَرَم).

ولم يذكر المصدر من شعر هَبَلْ سوى ذلك الشعر، قال ابن خلدون: «ومنهم عبيدة بن هَبَل شاعر قديم، ويقول فيه بعض الناس (أنه) ابن خِذَام». والصواب أن ابن خذام هو «امرؤ القيس بن خِذام بن مالك بن عبيدة بن هَبَل» وهو الشاعر الجاهلي الذي سيأتي ذكره. وكذلك زهير بن جناب بن هَبَلْ الكلبي، وهو ـ كما سيأتي ـ زعيم وشاعر جاهلي كبير.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٢٥٩ جـ ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٦١ جـ ٢.

المبحث «٥»

امرؤُ القيس بن خِذَام الكَلْبي

«أولُ مَنْ بَكَىٰ في الديار»

هو الشاعر اليمني الجاهلي القديم امرُؤُ القيس (بن حارثة) بن خِذّام ـ الحُمَام ـ بن مالك بن عبيدة بن هَبَل بن عبد اللّٰه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حِمْيَر[١].

قال ابن قتيبة: «قال ابن الكلبي: أوّلُ من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمَام وإياه عَنَىٰ امرؤ القيس بن حُجر الكندي بقوله:

يا صاحِبَيَّ قِفَا النَّوَاعِجَ ساعَةً ... نَبْكي الدِّيَارَ كما بَكَىٰ ابن حُمَام»[٢]

وهو (ابن خِذَام). قال ابن قُتيبة: «وقال أبو عبيدة: هو ابنُ خِذَام، وأنشد:

عُوجَا على الطَّلَل المُحِيلِ لَعَلَّنَا ... نَبْكي الدِّيارَ كما بَكَىٰ ابن خِذَام»[٢]

وقال ابن خلدون: «ومن بني كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة: بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب. وفيهم ثلاثة بطون: بنو عَدِي وبنو زهير وبنو عليم (ومن بني عدي) بنو جناب بن هبل بن عبد اللّٰه بن كنانة. ومنهم عبيدة بن هَبَلْ شاعر قديم، ويقول فيه بعض الناس ابن خذام وهو (امرؤ القيس بن خذام) الذي عنى امرؤ القيس الكندي بقوله:

نبكي الديار كما بكى ابن خِذَام

---

(١) جاء نسبه في المؤتلف للآمدي هكذا «امرؤ القيس بن حمام بن مالك بن عبيدة بن هبل بن عبد اللّٰه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد اللّٰه بن رفيدة بن ثور بن كلب..» (ص ١٠) ثم أعاده في (ص ٩٢) وذكر (عبدة) بدل (عبيدة بن هبل). ونَقَلَ ابن قتيبة عن ابن الكلبي أنه «امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمَام بن معاوية بن مالك..» ويمكن أن يكون أصل ذلك أن خِذاماً اسمه (خِذام الحُمام) اسم ونعت، فمثل ذلك كثير في الأسماء اليمنية القديمة، وقد ذكر ابن خلدون عن هشام ابن الكلبي نفسه أنه «امرؤ القيس ابن خذام».

(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٨.

. . وهذا امرؤ القيس بن خذام شاعر قديم. . »[١].

ويتيح الربط بين ما ذكرته المصادر التاريخية إدراك ثلاثة أُمور:

الأمر الأول: أن امرأَ القيس ابن خِذام هو «امرؤ القيس بن (حارثة) بن خِذَام ـ الحُمَام ـ بن مالك بن عبيدة بن هبل. . » ـ أو (ابن عَبَدَة بن هبل) ـ ويقال أيضاً (عبيدة بن هبيل) ـ بن عبد اللّه (عبد اللاه) بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات (بن عبد اللاه) بن رفيدة بن ثور بن كلب القضاعي الحميري.

الأمر الثاني: إن قبيلة كلب كانت تسكن في عُمق مناطق سرو حِمْيَر (إب ـ أبين) فقد ذكر الهمداني في الإكليل أن الشاعر الجاهلي (مالك بن عمرو الكلبي) كان بمنطقة سرو حِمْيَر «جاراً لحِمْيَر»[٢] فهو ممن بقي في سرو حمير من قبيلة كلب. إذْ أن قبيلة كلب انتقلت بأكملها إلى مناطق صعدة وأعالي اليمن، وسارت بعض بطونها مع غيرها من بطون قضاعة إلى مناطق من الحجاز والشام. وكان ذلك إما عند هجرة الأزد وطيء من مأرب والجوف في زمن سيل العرم الثاني ـ بأوائل القرن الثالث الميلادي ـ وإما عند قيام دولة ملوك حمير التبابعة بزعامة تُبّع ملشان ذي يزن الذي قضى على عدة دويلات كانت باليمن عام ٢٧٥ ـ ٢٩٠م وأسس دولة شملت كل اليمن وامتد حكمها ونفوذها إلى شمال الجزيرة حتى تخوم الشام في أوائل القرن الرابع الميلادي[٣].

الأمر الثالث: إن انتقال عدة بطون من قبيلة كلب آنذاك إلى صعدة وأعالي اليمن ومسير بعضهم إلى الحجاز وأداني الشام قد يكون سبب بكاء امرىء القيس ابن خذام الكلبي على الديار التي انتقلت منها بطون قبيلة كلب وغيرها من بطون قضاعة في إحدى مناطق اليمن. ويتيح هذا الاستنتاج تقدير زمن امرىء القيس ابن خذام بالفترة ما بين عام ٢٥٠ ـ ٣٢٥م بأواسط القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الميلادي.

شعر امرىء القيس بن خِذَام:

لقد كان امرؤ القيس بن خذام هو «أول من بكىٰ في الديار، وأول من بكى على الأطلال». قال أبو عبيدة بن معمر بن المثنى وابن خلدون: « . . وهو الذي عَنَىٰ امرؤ القيس بن حجر الكندي بقوله:

عُوجَا على الطَّلل المُحِيل لَعَلَّنا نبكِي الديار كما بكىٰ ابن خِذَام»[٤]

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٣.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١١٦ جـ ١.
(٣) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٤٨.
(٤) المُحِيل: الذي أتت عليه أحوال غيّرته.

قال ابن قتيبة: «قال أبو عبيدة: وامرؤ القيس بن خذام هو القائل:

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يوم تَحَمَّلوا لَدَىٰ سَمُرَاتِ الدَّارِ ناقِفُ حَنْظَل

أراد أنَّه بكى في الدار عند تحمُّلهم ـ (أي رحيلهم) ـ، فكأنَّه ناقفُ حنظلٍ، وناقفُ الحنظلة يَنْقُفُها بظُفره، فإن صَوَّتتْ عَلم أنَّها مدركةٌ فاجتناها، فعينُه تَدْمَعُ لحدَّة الحنظل وشدَّة رائحته، كما تدمع عينا من يَدُوف الخردل، فشَبَّه نفسه حين بكى بناقف الحنظل»[1].

وقال الأستاذ شاكر في الهامش: «يريدُ ـ ابن قتيبة ـ أن أبا عبيدة يذهب إلى أن البيت المذكور، وهو في المعلقة، أصله لامرىء القيس بن خذام، فأخذه امرؤ القيس بن حجر. وقد صرح بذلك صاحب الخزانة»[1].

وقال ابن خلدون: «قال هشام بن السائب الكلبي: إذا سُئلوا بما بكى ابن خِذام الديار، أنشدوا خمسة أبيات من كلمات امرىء القيس بقصيدته المشهورة (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ويقولون إن بقيتها لامرىء القيس بن حُجر. وهذا امرؤ القيس بن خذام شاعر قديم دَثَّر شعره لأنه لم يكن للعرب كتاب لبدأتها وإنما بقي من أشعارهم ما ذكره رواة الإسلام وقيّدوه من رواية في الكتاب من محفوظ الرجال»[2].

وقال الآمدي: «الذي أدركه الرواة من شعر امرىء القيس بن خذام قليل جداً» وقال: «دَرَسَ شعره وذهب إلا اليسير»[3].

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٨.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٤.

(٣) المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ ص ١١ و ٩٢.

المبحث «٦»

عَمْرو بن الحرث الجُرْهُمي

«صاحب أول شعر قيل في العرب»
وأنباء رئاسة وولاية جرهم لمكة والبيت الحرام

هو الرئيس اليماني عمرو بن الحرث بن عمرو بن مِضَاض الجُرْهُمي القائل:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمُ ... أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونا[١]

حُثُّوا المَطِيَّ وأَرْخُوا مِنْ أَزِمَّتِها ... قَبْلَ المَمَاتِ وَقَضُّوا مَا تُقَضُّونا

كُنَّا (أُنَاساً) كما كُنْتُم فَغَيَّرنَا ... دَهْرٌ فأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تكونونا

قال ابن هشام: «وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قِيل في العرب، وأنها وُجدت مكتوبة في حجر باليمن..»[٢].

وكان عمرو بن الحرث آخر رؤساء جرهم ومكة من قبيلة جرهم اليمانية القحطانية، وانتهت رئاسته على يد قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية التي انتقلت من مأرب إلى منطقة بطن مكة في زمن سيل العرم، فهزمت خزاعةُ جُرهماً والرئيس عمرو بن الحرث. «فانطلق عمرو بن الحرث والذين معه من جرهم إلى اليمن»[٢] فقال وهو باليمن الأبيات سالفة الذكر والقصيدة المشهورة التي أولها:

وقَائِلَةٍ والدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ ... وقَدْ شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْها المحاجِرُ

ونذكر هنا ـ قبل ذلك ـ معارف بالغة الأهمية، وهي:

زعامة وولاية جُرهم لمكة والبيت الحرام:

منذ زمن بعيد في الماضي سكنت وتزعمت قبيلة جرهم اليمانية مكة، وليست جرهم قبيلة واحدة وإنما قبيلتان وطبقتان جرهم بن قحطان وجرهم بن يشجب. وكانوا ثلاث طبقات في الزعامة كما سيأتي.

قال ابن خلدون: «وأما جرهم، فقال ابن سعيد إنهما أُمتان، أُمة على عهد

---

(١) إن قصركم: أي نهايتكم وغاية أمركم. يُقال: قصرك كذا وقصارك كذا، أي: غايتك ونهايتك.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٨ ـ ١٢٩/١.

عاد، وأمة من ولد جرهم بن قحطان فلما مَلَكَ يعرب بن قحطان اليمن مَلَكَ أخوه جُرهم الحجاز. . »[١] ويتبين من استقصاء المصادر الترتيب التالي:

أ ـ الطبقة الجرهمية الأولى (جرهم بن قحطان):

إن الطبقة الأولى من جرهم، هم (جرهم بن قحطان) وإنما ـ كما ذكر الهمداني في الإكليل ـ «إن جرهماً تقول: جرهم بن قحطان. وابن إسحاق يقول: جرهم بن يقطن بن عابر. . » (ص ١٩١/ ١) ـ فلذلك ذهب البعض إلى أن قبيلة جرهم بن يقطن كانت على عهد عاد وأنهم الأمة أو الطبقة الأولى، والصواب أن «جرهم بن يقطن هو نفسه جرهم بن قحطان». قال الهمداني في الإكليل: «باب نسب قحطان بن عابر وهو النبي هود عليه السلام. أولد قحطان بن عابر: يعرب بن قحطان، وهو المُزدغف، وسُمّي يعرب لأنه أول من أعرب كلامه وأول من حُيّي بتحية الملك. وجرهم بن قحطان بقول أكثر الناس، وبقول (قبيلة) جرهم. قال مِضَاض بن عمرو الجُرهمي لما أخرجتهم الأزد[٢] من مكة:

هـذا سبيـلـي كـسبيـل يَـعْـرُبِ   المبدىء القول المُبين المُعْرِبِ
سـار فـلـم يـزلـل ولـم يُـخـيَّـب   وهـو أخـو جُـرهـم غـيـر الأجْنَـبِ
جـرهـم جـدي ثـم قـحـطـان أبـي»[٣]

وقال ابن خلدون: «كان يعرب بن قحطان من أعاظم ملوك العرب. . وهو الذي مَلَكَ بلاد اليمن، وَغَلَّب قوم عاد، وغلب العمالقة على الحجاز، وولى إخوته على الأقاليم، وولّى جرهم بن قحطان على الحجاز. . هكذا ذكر البيهقي»[٤].

فاستقر جرهم بن قحطان وأغلب أولاده بمكة وما إليها من الحجاز وترأس الذين كانوا هناك من العماليق بني عمليق بن لاوذ بن سام وعبد ضخم الذين انتقلوا أيضاً من اليمن. قال الهمداني: «فأولد جُرهم بن قحطان: الذيّال، وسعداً، وبَيّاً الأكبر، وبازياً، ولوذ، وجلحبة، وزهران، والمضاد، وجرهمة، والعاد»[٣]. فتفرعت من أبناء جرهم العشرة أولئك عشائر جرهم بن قحطان. فتعاقبت منهم أكثر من عشرة

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٤.

(٢) قال القاضي الأكوع في الهامش: «مضاض بن عمرو هذا غير مضاض بن الحارث بن عمرو الذي صاهر إلى إسماعيل عليه السلام. والمراد بالأزد هنا قبيلة خزاعة» (ص ١٩٠/ ١) وقال المسعودي في مروج الذهب «سار جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه حتى أتوا مكة فنزلوها» ثم ذكر هذا الشعر وأنه لمُضاض بن عمرو الجرهمي ـ ص ١٤٣ جـ ٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧٥ و ١٧٦ و ١٩٠ جـ ١.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٠ و ٢٤ و ٣٠.

أجيال، فكان منهم: (مهلهل بن سعد بن عوف بن هيّ بن بَيّ بن جرهم بن يسدد بن سعد بن جرهم)[1] آخر الرؤساء من الطبقة الأولى قبل زمن إبراهيم وإسماعيل. اللذين عاصرا الطبقة الثانية.

ب ـ الطبقة الجُرْهُمية الثانية (جرهم بن يشجب) وولايتها لمكة والحجاز (٣٠٠٠ ـ ٧٠٠ق.م.):

قال ابن خلدون: «قال ابن سعيد: هذه الأمة الثانية (من جرهم بن قحطان) هم الذين بُعث إليهم إسماعيل عله السلام وتزوج فيهم»[2].

وتلك الطبقة الثانية هم (جرهم بن يشجب) ويقال لهم أيضاً (جرهم بن قحطان) لأن يشجباً هو (يشجب بن يعرب بن قحطان). قال الهمداني: «وَلَد يشجبُ: سبأ الأكبر، وهو عبد شمس.. وجرهم بن يشجب» (ص ١٩٩/ ١).

وبرئاسة جرهم بن يشجب سارت الطبقة الجرهمية الثانية من اليمن إلى مكة، وهي المقصودة بقول ابن خلدون ما يلي: «وقيل: إنما نزلت جرهم الحجاز ثم بني قطُورا بن كركر بن عملاق، لقحط أصاب اليمن، فلم يزالوا بمكة إلى أن كان شأن إسماعيل عليه السلام ونبوءته فآمنوا به وقاموا بأمره»[2]. وقد زعمت رواية ابن إسحاق ما يلي: «إن جُرْهُماً وقَطُوراء، وهما ابنا عم، كانا ظعَنَا من اليمن، فأقبلا سَيَّارَةً وعلى جرهم مُضاض بن عمرو وعلى قَطُوراء السَّمَيْدَعُ رجلٌ منهم، فلما نزلا مكةَ رأيا بلداً ذا ماءٍ وشجر، فأعجبهما، فنزلا به، فنزل مُضاض بن عمرو ومن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان فما حاز، ونزل السَّمَيْدَعُ بقطوراءَ أسفلَ مكة بأجياد فما حاز..» وذلك خطأ واختزال للأحداث والأزمنة، فقد جاء في الإكليل عن جماعة من العلماء بالتاريخ ما يلي: «قالوا: ولم تكن جرهم يوم عثرت على إسماعيل وهاجر وزمزم، سيَّارةً من اليمن، وإنما كان حمير بن سبأ، أو سبأ بن يشجب، سيّرهم إلى جبال الحرم والحجاز، ولاةً على العماليق وعبد ضخم وتلك الأمم يقبضون أتاوتهم، فكانوا بنجد والطائف وأجْبُلِ الحرم، ووادي مكة خاوٍ، فأقاموا دهوراً لا يدخلون مكة إلا لِرَعيّ..» قال الهمداني: «وغيرهم من العلماء يقول: الذي سَرّح جرهماً إلى الحرم عميكرب بن سبأ. ثم خرجت بعد ذلك عمالقة حمير من ولد السميدع ابن الصوّار، فمرّوا بمكة فوجدوا جرهماً فسألوهم المقام فأنعموا لهم وأنزلوهم أسفل وادي مكة وهي المسفلة، وجُرهم في المعلاة»[1].

ويتبين من التحقيق في المصادر التاريخية الترتيب التالي:

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧٥ و ١٧٦ و ١٩٠ جـ ١.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٠ و ٢٤ و ٣٠.

- إن جرهم بن يشجب سار من اليمن والياً على مكة وما إليها من الحجاز في عهد الملك حمير بن سبأ بن يشجب أو عهد الملك عميكرب بن سبأ بن يشجب (حوالي عام ٣٠٠٠ق.م.) فكان جرهم بن يشجب والياً على العمالقة (بني لاوذ بن سام) وعلى (عبد ضخم) ومن هناك من جرهم بن قحطان، فاستمرت الولاية في جرهم بن يشجب وسلالته أكثر من عشرة أجيال، فكانوا بنجد والطائف وأجبل الحرم، ووادي مكة خاوٍ، فأقاموا دهوراً لا يدخلون مكة إلا للرعي. وتعاقب على الولاية منهم: جرهم بن يشجب، ثم (بيّ بن جرهم) ثم (هَيّ بن بَيّ) ثم (ظالم بن هَيّ) ثم (الرقيب بن ظالم) ثم (سعد بن الرقيب) ثم (عمرو بن سعد) ثم (مُضَاض بن عمرو) وكان مُضَاض في زمن الملك عبد شمس بن وائل والنبيّ إبراهيم عليه السلام.

وكان البيت الحرام بمكة موجوداً في تلك الأزمنة بالألف الثالث قبل الميلاد، وقد حجَّ إليه في الزمن الغابر النبي هود عليه السلام، وحجّ إليه النبيّ صالح في زمن الملك زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. قال نشوان الحميري:

أينَ الهُمَيْسع ثم أيمن بعده ... وزُهَيْر مَلْكٍ زاهرٍ وضاحِ
في عهده هلكتْ ثمود بناقةٍ ... نالت بها ترحاً من الأتراحِ

فكان النبي صالح في عهد الملك زهير بن أيمن - بأواسط الألف الثالث ق.م.
- وقد ذكر النبي محمد ﷺ أن صالحاً حج البيت، حيث ذكر الحافظ ابن كثير أنه «قال النبي ﷺ: لقد مَرّ بهذا الوادي هودُ وصالحُ وإبراهيم يحجون البيت العتيق، إزرهم العباء وأرديتهم النمار»[1]. وكان النبي صالح قبل إبراهيم بنحو خمسة قرون، فقد كان النبي صالح في عهد الملك زهير بن أيمن بن الهميسع ملك اليمن في الفترة ما بين (عام ٢٦٠٠ - ٢٥٣٥ق.م.) بينما كان النبي إبراهيم في زمن الملك عبد شمس بن وائل حيث كما جاء في الإكليل: «كان النبي إبراهيم في عهد عبد شمس هذا وهو عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب.. وكان بين إبراهيم وبناء سليمان مسجد بيت المقدس ألفاً ومائة سنة وإحدى وأربعين سنة، وذلك في عصر بلقيس»[2]. وقد كان بناء سليمان لمسجد بيت المقدس المعروف بهيكل سليمان عام ٩٥٩ قبل الميلاد[3]. وبإضافة المدة التي ذكرها الهمداني وهي

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ص ٢/١١٥. (٢) الإكليل - الحسن الهمداني - ص ١/١٨٣.
(٣) الشعوب والحضارات - تراد كسيم - ١١٩.

(١١٤١) سنة إلى ذلك العام يكون زمن إبراهيم وعبد شمس بن وائل عام ٢١٠٠ قبل الميلاد، وقد حكم الملك عبد شمس بن وائل إلى حوالي عام ٢٠٣٥ق.م. وفي ذلك الزمن أعاد النبي إبراهيم بناء الكعبة، وحج الملك عبد شمس إلى البيت الحرام، وفي ذلك قيل ـ في زمن متأخر ـ:

«فيا عبد شمسٍ بَلَغْتَ المدىٰ	وشيّدت مجداً فلم يُمتثل
وأحرمت بالبيت توفي النذور	كما كان هود لديه فَعَلْ
وطفت وأهللت حتى إذا	أناف الهلال به واستقل
رحلتَ وزادك خير التُقى	وقوّضت عن حرميها بحل»[١]

ثم تولى حكم اليمن الصوّار بن عبد شمس بن وائل (عام ٢٠٣٥ ـ ١٩٨٥ق.م.) ـ تقريباً ـ وكان الوالي على مكة ونواحيها آنذاك مُضَاض بن عمرو الجرهمي.

ـ وكان مسير السَّمَيْدع ابن الصوَّار ببني قطوراء إلى مكة بعد زمن جرهم بن يشجب بأكثر من عشرة أجيال أو بأكثر من ألف سنة، لأنه «السَّمَيْدع ابن الصوّار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قَطَنْ بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب». وجاء في الإكليل ما يلي: «قال أبو نصر اليهري: أولَدَ السَّميدع ابن الصوار: العمالقة ويناعاً وذا المردع ثلاثة نفر بني السميدع ابن الصوار بطون كلها، وهم بنو عملق.. وهذه عمالقة حمير، ليسوا ولد عملاق بن لاوذ بن سام.. وخرج العمالقة من بني السميدع مع بني كركر ـ من اليمن ـ.. وهم بنو قنطور بن كركر الذين خرجوا إلى مكة أيام إسماعيل عليه السلام، في أكثر بني قنطور بن عبد شمس وبني أخيه السميدع ابن الصوّار.. وكان بنو كركر وعمالقة حمير يداً واحدة باليمن، فلما ظعنوا ظعنوا جميعاً، فنزلوا على جُرهم بمكة فعرفوا قرابتهم، فأنزلوهم في أسفل مكة»[٢].

وكان زعيم جرهم بمكة آنذاك مُضَاض بن عمرو الجُرهمي، وكان مقر مُضَاض بن عمرو ومن معه من جُرهم في أعلى مكة بقُعَيْقِعَان. (وقُعيقعان: ـ بضم ففتح فسكون فكسر ـ اسم جبل بمكة، قال عرام: منه إلى مكة اثنا عشر ميلاً على طريق الحوف إلى اليمن. وقال البلخي: والواقف على قُعيقعان يشرف على الركن إلا أن الأبنية قد حالت بينهما) ـ وآمنت جرهم بزعامة مُضاض بن عمرو برسالة إبراهيم وإسماعيل. قال ابن سعيد: «وهذه الأمة الثانية من جرهم، هم الذين بعث

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧٩/٨.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء الثاني ـ ص ٨٩ و ٩٥/٢.

إليهم إسماعيل وتزوج فيهم». وجاء في الإكليل أنه «خرج الحارث بن مُضَاض (مخفف) بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هَيّ بن بَيّ بن جرهم في عصبة من جرهم ترود، فوجدوا إسماعيل وهاجر، فرغب في المقام معهما، فأقام وجميع جرهم معه. . ثم تزوج إسماعيل السيدة بنت الحارث بن مُضاض. وقال آخرون: تزوج إسماعيلُ شامة بنت مهلهل بن سعد بن هيّ بن بيّ. .» وقال الهمداني في موضع آخر: «ضرب إبراهيم خليل اللّه في جرهم بصهرين؛ تزوج ابنه إسماعيل السيدةَ بنت مضاض بن عمرو. . ويُقال: مُضاض بن الحارث بن عمرو. وقال آخرون: بشامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هيّ بن بيّ بن جرهم بن يسدد بن سعد بن جرهم. ونكح بقشان بن إبراهيم رعوة بنت ذمر بن يقطن بن لوذن بن جرهم الأصغر. فبلغت جرهم رتبة عالية بصهر إبراهيم عليه السلام وولاية الحرم»[١]. وليس هنالك تعارض فيمكن أن يكون إسماعيل تزوج السيدة بنت مُضاض بن عمرو، وشامة بنت مهلهل بن سعد، والسيدة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو. وكذلك (تزوج إسماعيل من العماليق: الحِدَا بنت أسعد العملقي»[١] وقد نزل السَّمَيْدَع والذين معه من عمالقة حمير وبني قطوراء - (بني قنطور بن كركر) - في أسفل مكة بأجياد فما حاز - وأجياد اسم موضع بمكة يلي الصفا -. وجاء في السيرة ما يلي: «فكان مُضاض بن عمرو يَعْشِرُ من دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيْدع يَعْشِرُ من دخل مكة من أسفلها؛ وكلٌّ في قومه، لا يدخلُ واحدٌ منهم على صاحبه. ثم إن جُرْهُماً وقَطُوراء بَغَى بعضهم على بعض، وتنافسوا المُلك بها، ومع مُضاض يومئذ بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السَّميدع، فسار بعضهم إلى بعض، فخرج مُضاض بن عمرو من قُعَيْقعان في كتيبته سائراً إلى السَّميدع، ومع كتيبته عُدَّتُها من الرماح والدّرق والسيوف والجِعاب، وخرج السَّميدع من أجْيَاد ومعه الخيل والرجال، فالتقوا بفاضح، واقتتلوا قتالاً شديداً، فَقُتل السَّمَيْدَع وفُضحت قَطُوراء. فيقال: ما سُمّي فاضح فاضحاً إلا لذاك. - [قال ياقوت: فاضح: موضع قرب مكة عند أبي قبيس. . قال ابن الكلبي: إنما سُمّي فاضحاً لأن جرهماً والعماليق التقوا به، فَهُزمت العماليق وقُتلوا به، فقال الناس افتضحوا به، فسُمّي بذلك] -. ثم إن الفريقان تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ - شِعْباً بأعلى مكة - واصطلحوا به، وسلّموا الأمر إلى مُضاض، فلما جمع إليه أمر مكة فصار مُلْكُها له نَحَرَ للناس فأطعمهم فأطَّبَخَ الناسُ وأكلوا. فيقال: ما سُميت المطابخُ المطابخَ إلا لذلك، وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سُميت المطابخ

(١) الإكليل - الحسن الهمداني - الجزء الأول - ص ١٧٥ و ١٩١/١.

لما كان تُبّعُ نحر بها وأطعم، وكانت منزله»[1]. وكان تُبّع أسعد بعد مُضاض بن عمرو بنحو ألف سنة، فقد كان مُضاض بن عمرو والياً لمكة في زمن إسماعيل بن إبراهيم ونابت بن إسماعيل بن إبراهيم وكان ملك اليمن آنذاك (ذو يقدم ابن الصوّار بن عبد شمس بن وائل. وفي عهد ذي يقدم كان النبي يوسف بن يعقوب بن إبراهيم وزيراً لملك مصر[2] ولا بد أن الملك ذا يقدم أقرّ ولاية مُضاض بن عمرو الجرهمي لمكة وما إليها من الحجاز، وكانت إليه أيضاً ولاية البيت الحرام. فاستمرت الرئاسة والولاية في جرهم دهوراً. قال الهمداني: «وقد رُوي هذا البيت من شعر العرب في جرهم:

هُمُ قطنوا البيتَ الحرام وديثوا قطوراً وساموا في المكارم والفخر»[3]

وفي حوالي عام ١٥٠٠ق.م. ـ وأواسط القرن الخامس عشر ق.م. ـ أجْلَت جُرهُمُ العماليق من مكة إلى الشام. وجاء عن ذلك في الإكليل ما يلي: «لما حاربت بنو قنطورا جُرهماً خرج العمالقة تحرّجاً من البغيّ في الحرم، فلحقوا بالشام فتملكوا بها..»[4] وأنه: «..بغت بنو قنطورا على جُرهم، واستقبحت ذلك العمالقة، فَوَزَعوا بني قنطوراء، فلجُّوا في غيّهم فنفرت العمالقة إلى الشام»[4] وجاء في موضع ثالث أنه: «يذهب كثير من الناس إلى أن ابن هوثر من العمالقة الأولى التي حاربتها جُرْهُمُ وأرحلتها عن الحرم، ثم لحقت بنو كركر وعمالقة حمير..»[4] وقد تزامن ذلك مع وقوع موجة هجرة من اليمن إلى الشام، وذلك في زمن الملك الحارث الرائش الأول وابنه شمّر الأملوك حيث ذكر ابن خلدون: «أن شمّراً الأملوك هو الذي بَنَىٰ ظفار، وأخرج منها العمالقة»[5]. وكان زمن الحارث الرائش وابنه شمّر الأملوك في الفترة (١٤٧٠ ـ ١٤١٨ق.م.) ـ بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد ـ وقد دلت دراسات تاريخ الشام والشعوب السامية: «أن موجة بشرية من الكنعانيين والآراميين هاجروا من الجزيرة العربية إلى سوريا والشام عام ١٥٠٠ق.م. ـ وأواسط القرن الخامس عشر ق.م. ـ وإن من المرجّح أن ذلك يعود إلى قيام دولة كبرى جنوب الجزيرة العربية»[6]. وتلك الدولة هي دولة تبابعة سبأ الأولى بزعامة الحارث الرائش وابنه شمّر الأملوك ذي الجناح، والذين خرجوا وانتقلوا من ظفار باليمن ومن مكة

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ جـ ١.

(٢) قصيدة نشوان الحميري ـ ص ٤٥. (٣) ديثوا: أذلوهم. من دَيَّثه: إذا ذَلَّلهُ.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء الثاني ـ ص ٨٩ ـ ٩٠ و ص ٩٥/٢.

(٥) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٣٨.

(٦) الأمم السامية ـ حامد عبد القادر ـ ص ١٠٥.

إلى الشام في تلك الموجة هم من العمالقة وقبيلة أمازيغ بن كنعان وبنو قنطورا بن كركر الذين كانوا بمكة مع عماليق حمير من بني السميدع، فأسسوا بالشام مملكة إبلا الكنعانية ـ عام ١٤٣٠ق.م ـ وكانت لهم ممالك وكيانات بفلسطين وفي إيلة (بالعقبة) وساحل الشام حتى خروج النبي موسى ببني إسرائيل من مصر إلى برية سيناء وذلك «في آخر عهد الفرعون رعمسيس ملك مصر عام ١٢٢٤ق.م. وعام ١٢٢١ ق.م.»[١] فسكن بنو إسرائيل ببرية سيناء ثم أجازوا إلى أرض فلسطين والشام بعد نحو أربعين سنة، وكان بفلسطين والشام أولئك الكنعانيين والعماليق وبنو كركر الذين سلف قول الهمداني في الإكليل أنهم «لحقوا بالشام فتملكوا بها» ثم قال: «وكانوا يغيرون على بني إسرائيل، فخرج لهم يُوشع بن نون فحاربهم بعد موسى عليه السلام، وكان عليهم جميعاً يومئذ الملك السميدع بن هوثر بن عريب بن مازن بن لاي بن عميلة بن هوثر بن العمالق ـ ابن السميدع ابن الصوّار ـ فقتله يوشع بن نون وأفرى فيهم»[٢] وكان ذلك في القرن الثاني عشر ق.م. وكان زعيم جرهم ومكة آنذاك عوف بن سعد الجرهمي، وملك اليمن آنذاك الملك ذو المنار ابن الرائش الثاني الذي حكم في الفترة (١١٨٠ ـ ١١٤٢ق.م.) ـ بالقرن الثاني عشر ق.م. ـ وشمل حكمه ونفوذه الجزيرة العربية والشام وغيرها[٣] وتقول إحدى الروايات أنه (لما بلغ خبر مقتل السميدع بن هوثر والذين معه إلى جرهم بمكة، قال عوف بن سعد الجرهمي يرثيه:

ألم تر أن العملقي ابن هوثرٍ	بأيْلَة أمسى شِلْوهُ قد تمزعا
تداعتْ عليهِ مِنْ يَهُودٍ جحافِلُ	ثمانون ألفاً حاسرين ودُرّعا
فأضحت بعَاديد العماليق بعده	على الأرض شتّى مصعدين وفُرعا
كأن لم يكونوا بين أجْبَالِ مكةٍ	ولم يَرَ رَاء قبل ذاك السميْدعا)[٢]

وغالب الظن أن هذا الشعر قيل في زمن متأخر وتم نسبته إلى عوف بن سعد الجرهمي زعيم مكة وجرهم في ذلك القرن الثاني عشر ق.م. وقد نقل الملك إفريقيس بن ذي المنار الذين كانوا بالشام من كنعان والعماليق أولئك إلى بلاد المغرب مع قبائل من حمير فأسكنهم بها وهم الطبقة الأولى من قبائل البربر[٣]، بينما تواصلت رئاسة مكة ونواحيها في قبيلة جرهم. وقد جاء في كتاب السيرة النبوية ـ بعد خبر ولاية مُضَاض بن عمرو الجرهمي لمكة والبيت الحرام في زمن إسماعيل ـ

---

(١) معالم تاريخ الشرق الأدني القديم ـ د. محمد أبو المحسن عصفور ـ ص ٣١٧.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء الثاني ـ ص ٨٩ ـ ٩٠ و ص ٩٥/٢.
(٣) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١١١ ـ ١٤٠.

ما يلي: «ثم نَشَرَ اللَّهُ ولد إسماعيل بمكة. وأخوالهم من جُرهم ولاة البيت والحكّام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك؛ لخؤولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغيّ أو قتال»[١]. وأقول: وكذلك لأن ولاية جرهم لمكة ونواحيها كانت بمثابة جزء من سلطة دولة وملوك اليمن بل إن من علماء اليمن والمؤرخين والجغرافيين العرب الأوائل مَنْ يذكرون أن مكة جزء من اليمن، وفي ذلك قال ابن المجاور ما يلي: «قال أهل اليمن: مكة يمانية.. ومن العلماء من يقول إن مكة من تهامة اليمن لقربها منها»[٢]. وقال الحسن الهمداني: «مكة آخر حدّ اليمن»[٣]. ومما يعزز ذلك أن ولاية مكة استمرت في تلك الطبقة الجرهمية الثانية منذ زمن جرهم بن يشجب وعلى امتداد الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الثامن ق.م. ـ وذلك زهاء (٢٨٠٠ سنة) ثم تواصلت في الطبقة الجرهمية الثالثة أيضاً زهاء ألف سنة ثم صارت الولاية لخُزاعة زهاء ثلاثمائة سنة ـ كما سيأتي ـ ويُعزز كل ذلك ما ذكره ابن المجاور من أنه: «قال أهل اليمن مكة يمانية.. ومن العلماء من يقول: إن مكة من تهامة اليمن..»[٢].

نبأ ولاية الطبقة الجرهمية الثالثة لِمكَّة منذ زمن أبي كرب أسعد تُبّع ملك سبأ أول من كسا الكعبة:

في القرن السابع ق.م. تولى حكم اليمن الزعيم العظيم «أبو كرب أسعد ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويُمانت وأعرابهم طوداً وتهامت» وهو الذي أضاف اسم (الطود وتهامة) إلى اللقب الملكي، وذلك ـ كما يذكر د. محمد بافقيه ـ «دلالة على ضم التهائم والهضاب الممتدة خلفها والضاربة في قلب الحجاز إلى حكم ذلك الملك.. ومن النقوش التي جاء فيها اللقب الملكي حاملاً تلك الإضافة الجديدة ذلك النقش الذي عُثر عليه في موضع متقدم من شمال الجزيرة العربية يُدعى ماسل الجمح، وهو النقش (رقم ٤٠٩ ركمانز) الذي نعلم منه أن أبا كرب أسعد وابنه حسان قد زارا ذلك الموضع..»[٤] وكان مصطلح (تهامة) يشمل مكة ونواحيها. قال ابن خلدون: «ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر إلى السرين في جهة الحجاز»[٥] فكان اسم تهامة يشمل مكة وما

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٥/١.

(٢) كتاب المستبصر ـ صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٣٩.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٣.

(٤) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٥٩.

(٥) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٢١ جـ ٤.

انخفض مما يلي مكة من الحجاز مع ساحل البحر أيضاً. قال الشاعر:

إنْ أتْـهَـمَـتْ فَـتـهـامَـةُ وطـنـي أو أنْـجَـدَتْ إن الـهـوى نَـجْـدُ

وقال ابن المجاور: «. . ما بين نجد وتهامة جبل يُسمى الطود الأعظم، فكلّ ما غرب منه فهو تهامة وما شرّق منه فهو نجد. . فالطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجاز بعينه لأنه حجز ما بين نجد وتهامة. .»[١] وقد أضاف أبو كرب أسعد اسم الطود وتهامت إلى اللقب الملكي لأن حكمه شَمَل كل تهامة بما فيها مكة وما يليها من الحجاز وكل مناطق الطود التي هي الحجاز ونجد.

وأبو كرب أسعد ملك سبأ هو (تُبّع) المقصود في قول اللّه تعالى بالقرآن الكريم: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾[٢] قال الحافظ ابن كثير في تفسير تلك الآية «قوم تُبع هُم سبأ»[٢] وقال القرطبي في تفسير تلك الآية ما يلي: «إن اللّه سبحانه وتعالى إنما أراد واحداً من التبابعة ملوك اليمن، وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم - (لقب تُبّع) - أشدّ من معرفة غيره، ولذلك قال النبي ﷺ «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً» فهذا يدلُّ على أنه كان واحداً بعينه. . وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت. . وقد أختُلف هل كان تُبع نبياً أو ملكاً، فقال ابن عباس: كان تُبَّع نبياً. وقال كعب: كان ملكاً مؤمناً. . قال القرطبي: وقد افتخر أهل اليمن بهذه الآية إذْ جعل اللّهُ قوم تُبّع خيراً من قريش. وكان بين اليوم الذي مات فيه تُبّع وبين البعثة النبوية ألف سنة»[٣].

ويتبين من البحث في النقوش وكتب التاريخ ما يلي:

أ ـ زمن أبي كرب أسعد. . وإنه كان مؤمناً بدين التوحيد الحنيف أو كان نبياً:

إن زمن أبي كرب أسعد هو القرن السابع قبل الميلاد. وقد أشار الهمداني إلى ذلك بالإكليل حيث ذكر: «إنّ بخت نُصّر ملك بابل كان في أيام أسعد تُبع أو حسان بن أسعد»[٤] وبخت نصّر هو (نبوخذ نصر بن نبوبولاصر) وقد حكم مع أبيه (نبوبولاصر) الذي حكم بابل عام ٦٢٧ ـ ٦٠٥ق.م. ثم تولى نبوخذ نصر عرش بابل عام ٦٠٤ق.م. وذلك في القرن السابع قبل الميلاد، فزمن وعهد أبي كرب أسعد تُبع هو القرن السابع قبل الميلاد ونقوش عهده مؤرخة بالتقويم السبئي وقد حكم في الفترة (٥٢٠ ـ ٥٥١ للتقويم السبئي، والزمن الصحيح الموافق لذلك هو

---

(١) كتاب المستبصر ـ صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٣٩.

(٢) تفسير القرآن ـ ابن كثير ـ سورة الدخان.

(٣) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٦ جـ ٣.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠١ جـ ٨.

عام ٧٠٠ ـ ٦٦٩ق.م.) ـ بالقرن السابع ق.م. ـ ثم حكم ابنه حسان وأخوه شرحبيل بن أسعد، وفي عهده وعهد حفيده (ذرا ـ أمر ـ بن حسان) كان حكم نبوبولاصر ونبوخذ نصر لبابل، وذلك في نفس القرن السابع ق.م. وقد شاع في الروايات القول بأنه (حكم أبو كرب أسعد تُبع ثلاثمائة وستة وعشرين سنة) ولذلك قال القرطبي: «كان من اليوم الذي مات فيه تُبع إلى البعثة النبوية ألف سنة» والصواب أنه لم يحكم إلا ثلاثين سنة فيكون بين وفاته وبين البعثة زهاء ألف وثلاثمائة سنة، ويتفق ذلك مع ما ذكره الهمداني وما تدل عليه النقوش بأنه كان في القرن السابع قبل الميلاد[1].

وقد كان أبو كرب أسعد تُبّع مؤمناً بدين التوحيد الحنيف ولم يكن يهودياً ولا كان من المشركين، وقد خلط بعض الأخباريين بينه وبين أحد الملوك التبابعة الذي اعتنق اليهودية على يد حبرين في يثرب في زمن لاحق، وقد ميّز الهمداني بينهما حيث قال: «أما الحبران اللذان ذكرهما العلماء فذلك في تُبّع الأصغر عمرو بن حسان وهو صاحب الحبرين»[2] أما أبو كرب أسعد تُبّع فكان مؤمناً بدين التوحيد الإسلامي الحنيف القديم. ويؤكد ذلك قول النبي محمد ﷺ: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان مؤمناً». وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبُّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم». الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه[3]. قال القرطبي: «وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت..» وقد عرف أسعد تُبع بدين التوحيد الحنيف من كاهن يمني اسمه شافع بن كليب الصدفي بمدينة ظفار وعرف منه أيضاً بأن نبياً سيجيء اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء، وقد جاء في تاريخ الطبري ما يلي: «وقد كان قَدِم على أسعد تُبّع شافع بن كليب الصَدَفيّ وكان كاهناً فأقام عنده، فلما أراد توديعه قال له تُبّع: ما بقي من علمك؟ قال: بقي خبر ناطق وعلم صادق.. أحمد النبيّ طوبى لأمته حين يجيء. فبعث تُبّع إلى الزبور فنظر فيه فإذا هو يجد صفة النبي ﷺ»[4]. فمصدر معرفة أبي كرب أسعد تُبع بدين التوحيد لم يكن حبران يهوديان وإنما كان الكاهن شافع بن كليب الصدفي بمدينة ظفار باليمن وكتاب زبور يمني قديم كان عنده بظفار فنظر فيه أسعد فوجد فيه نبأ مجيء نبيّ اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء. وقام أبو كرب أسعد بنشر دين التوحيد الحنيف في كل ربوع اليمن ثم سار إلى مكة فكسا البيت ونشر الدين الحنيف. وتؤكد النقوش ظهور وسيادة دين

(١) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص ٥٠٦ ـ ٥٢٠.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٢٠ جـ ٨.
(٣) الفتح الكبير ـ النبهاني ـ ص ٣٢٤ جـ ٣.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٩٨ جـ ٢.

التوحيد في عصر أبي كرب أسعد حيث كما ذكر أيضاً الدكتور بيوتروفسكي: «لقد ظهرت النصوص الدينية التوحيدية في نقوش تعود إلى عهد أسعد فبدلاً من التوجه إلى الآلهة الوثنية ـ المتعددة ـ نجد توجهاً نحو إلٰه واحد» وقال: «لقد أصبح الدين التوحيدي منذ عهد أسعد الديانة الرسمية»(١). فالنقوش تؤكد ما ذكره علماء المؤرخين العرب الأوائل عن إيمان أبي كرب أسعد تُبّع بدين التوحيد الحنيف، وقد ذكر القرطبي في التفسير أنه: «قال ابن عباس: كان تُبّع نبيّاً». وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «كان أسعد تُبع بن ملكي كرب مؤمناً.. وكان من أعظم التبابعة. ويقال: إنه كان نبياً مرسلاً إلى نفسه، والدليل على ذلك أن اللّه تعالى ذكره عند ذكر الأنبياء فقال: ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾، ولم يُعلم أنه أُرسل إلى قوم تُبّع رسولٌ غير تُبّع، وهو الذي نَهَىٰ النبي ﷺ عن سَبّه لأنه آمن به قبل ظهوره بسبعمائة عام وليس ذلك إلا بوحي من اللّه عز وجل»(٢) ـ بل إنه آمن بالنبي محمد ﷺ قبل ظهور المسيح بسبعمائة عام، في القرن السابع قبل الميلاد، ونشر أبو كرب أسعد دين التوحيد الحنيف في كل مخاليف اليمن وهي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت ثم في مخلاف تهامة بمدلولها الواسع القديم الذي كان يشمل مكة ونواحيها في ذلك الزمان.

ب ـ كسوة أبي كرب أسعد للكعبة وتوليته الجُرْهُميين على مكة والبيت الحرام:

وقد سار أبو كرب أسعد إلى مكة في موكب عظيم يضم سبعين ألفاً من أقيال وقادة وفرسان اليمن، فقام بتطهير البيت الحرام من الأصنام وطاف ومن معه بالبيت ـ مؤدّياً فريضة الحج ـ وسَنَّ تعاليم طهارة البيت، وكسا البيت كسوة عظيمة، ونحر بمكة سبعين ألفاً من الغنم والذبائح قرباناً إلى اللّه وهَدْياً عنه وعمن معه. قال نشوان الحميري في قصيدته عن التبابعة:

والكاملُ المَلكُ المُتَوَّجُ أسْعَدُ ... فيه تُقَصِّرُ مِدحةُ المدّاح

..وكسا البَنِيّةَ، ثم قَرّب هَدْيَهُ ... سبعين ألفاً من بناتِ لِقاح

وقال نشوان: «كان أبو كرب أسعد أول من كسا البيت.. كساهُ الأنطاع المذهبة اليمانية، فرأى في المنام قائلاً يقول: زد في كسوة البيت، فكساه المعافري، فرأى في المنام قائلاً يقول: زدْ في كسوة البيت فكساه الوشيّ. ونحر أسعدُ بمكة سبعين ألف بدنة، وطاف وسعى، وعمل للبيت باباً ومفتاحاً لم يكونا له قط»(٣).

---

(١) ملحمة أسعد ـ د. بيوتروفسكي ـ ص ٦٨ و ٦٩.
(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١/٢١٤.
(٣) قصيدة نشوان عن التبابعة ـ ص ١٣٤.

وقال المسعودي في مروج الذهب: «كان أبو كرب أسعد مؤمناً، وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود»[١] وجاء في تاريخ الطبري: «. . إن الشِّعْب من المطابخ بمكة سُمِّي بهذا الاسم لأن تُبّعاً نصب المطابخ في ذلك الموضع وأطعم الناس فيه. وأن أجْيَاداً سُمّي باسم أجياد لأن خيل أسعد تُبّع كانت هناك. . وجعل أسعد تُبّع للبيت باباً ومفتاحاً. . وولّى أسعدُ الجرهميين سدانة البيت وأمرهم بتطهيره وأن لا يُقربوه دماً ولا ميتة ولا ميلاثاً وهي الحائض»[٢]. وأخبر وبشر أبو كرب أسعد بنبيٍّ سيأتي اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء. وفي ذلك قال الهمداني: «وأسعد تُبّع أبو كرب هو الذي آمن برسول اللّه ﷺ ولم يَرَهُ. . وقال فيه أبياته المشهورة التي أولها:

شـــهـــدتُ عـــلـــى أحـــمـــدٍ أنـــه ... رسـولٌ مـن الـلّـه بـاري الـنَـسَـمْ»[٣]

وجاء في الشعر المنسوب إلى أبي كرب أسعد أنه قال:

وكـسـونـا الـبـيـتَ الـذي حَـرَّمَ الـلّـهُ ... مُـــلاءً مُـــقَـــصَّـــبـــاً وبُـــرُودَا

وأمـرنـا بـسـدنـة الـجـرهـمـيـيـن ... وكـانـوا بـحـافـتـيـه شُـهـودا

ولكن زمن أبي كرب أسعد في القرن السابع قبل الميلاد يجعلنا نميل إلى أن تلك الأشعار وغيرها إنما قيلت على لسانه في أزمنة متأخرة ولكن مضمونها صحيح كوقائع حدثت في زمن أبي كرب أسعد ومنها تبشيره بنبيّ سيأتي اسمه أحمد وكسوته البيت الحرام وما قام به من أعمال في البيت ومكة، وتوليته الجرهميين على البيت ومكة. وقد رفرفت رايات أبي كرب أسعد في كل الجزيرة العربية وبابل وآشور والشام وغيرها، ثم عاد من ذلك المسير، فمرّ بمكة وحج بالبيت وزاد في كسوة البيت ثم عاد إلى عاصمته في اليمن ولم يزل أعظم الملوك حتى وفاته في العام ٥٥١ للتقويم السبئي الموافق عام ٦٦٩ق.م.

جـ ـ الولاة الجُرْهُميين لمكة والبيت الحرام منذ زمن أبي كرب أسعد:

لقد جاء في تاريخ الأمم والملوك أنه: «. . وَلّى أسعد تُبّع الجُرْهُميين سدانة البيت الحرام، وأمرهم بتطهيره وأن لا يُقربوه دماً ولا ميتةً ولا ميلاثاً وهي الحائض». [ص ٨٩/ ٢]

وقال المسعودي في مروج الذهب: «ومنهم أسعد أبو كرب، وكان مؤمناً، وآمن بالنبي ﷺ. . وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبُرُود. فلذلك يقول بعض حمير:

وَكَـسَـوْنَـا الـبـيْـتَ الّـذي عـظـم الـلّـهُ ... مُـــلَاءً مُـــقَـــصَّـــبـــاً وَبُـــرُودا»

[ص ٦٩/ ٢].

(١) مروج الذهب ـ الحسن المسعودي ـ ١٢ جـ ٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٩ و ٩٦/ جـ ٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٢٠ جـ ٨.

فَنَسَبَ المسعودي هذا الشعر إلى (بعض حمير) وليس إلى (أبي كرب أسعد) وهو الأصوب، وجاء فيه أيضاً منسوباً إلى أسعد:

«وأمرنا بَسَدْنه الجُرْهُميين وكانوا بحافتيه شهودا
وأمرنا بأن لا يُراق حواليه مَنِيّاً ولا دماً مَصْفُودا»

فمحتوى ذلك الشعر صحيح ويؤيده نص كتاب تاريخ الأمم والملوك عن تولية أسعد تُبّع الجُرهميين البيت الحرام. وبذلك بدأت ولاية طبقة جديدة من الجرهميين لمكة والبيت الحرام، ويمكن القول بأنهم طبقة ثالثة مع كونهم امتداداً للطبقة الجرهمية الثانية إذْ أنهم من سلالة (الحرث بن مُضاض الجرهمي) ويتبين من القرائن أن أول الولاة الجرهميين في عهد أبي كرب أسعد كان اسمه (جلهة) ثم تولى بعده (جرهم بن جلهة الجرهمي).

نبأ جرهم بن جلهة. . وبداية زمن عدنان وسلالة عدنان بمكة:

لقد كان جرهم بن جلهة والياً لمكة في زمن نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق.م.) وكان ملك اليمن آنذاك (ذرا ـ أمر بن حسان بن أبي كرب أسعد (٦٠٥ ـ ٥٩٠ق.م.) ووقعت في عهده فتنة دينية وسياسية كبيرة، وشنّ نبوخذ نصر غارات حربية واسعة على منطقة اليمامة وشمال الجزيرة العربية، فتصدى له أقيال اليمن بتلك الجهات وقبيلة قيدار الذين هم سلالة النبي إسماعيل وكان رئيسهم عدنان. ففتك بهم جيش نبوخذ نصر. وقد سار (ذرا ـ أمر ـ بن حسان) من اليمن لغزو بلاد بابل فلما وصل اليمامة انقلب عليه الأقيال والقادة فقتلوه ومَلّكوا أخاه (معدي كرب) فرجع معدي كرب بالجيش إلى اليمن، وله نقش مسند في محرم بلقيس يتبين منه أنه «كان معدي كرب يزاول نشاطاً ما في موضع متقدم من وسط شبه الجزيرة العربية»[1] وذلك النقش مؤرخ بالعام ٦٣١ للتقويم السبئي والزمن الصحيح الموافق لذلك هو عام ٥٨٩ق.م. وكان ذلك النشاط في أعالي وسط شبه الجزيرة يتصل بالتصدي لغارات نبوخذ نصر ملك بابل والذي جاء في الإكليل أنه «فتك بخت نصّر بأقيال اليمن في أيام حسان بن أسعد تُبّع»[2] وينطبق ذلك على عهد ذرا أمر بن حسان وأخيه معدي كرب، فقد فتك بخت نصّر بأقيال اليمن في جهات اليمامة وما يليها وبقبيلة بني قيدار الذين هم سلالة إسماعيل ورئيسهم عدنان. وقال ابن خلدون ما يلي نصه: «غزا بختنصّر العرب واستلحمهم وهلك عدنان. . وأما معد بن عدنان فكان أرميا وبرخيا لما أوحي إليهما

(١) تاريخ اليمن القديم ـ محمد بافقيه ـ ص ١٦٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠١ جـ ٨.

بغزو بختنصر العرب أمرهما اللّه بأن يستخرجا معد بن عدنان.. فأخرجاه وهو ابن اثنتي عشرة سنة وذهبا به إلى حران، فتربّى عندهما.. ثم هلك بختنصر فخرج معد بن عدنان (إلى الحجاز).. وطفق يسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي فقيل له بَقِيَ جرهم بن جلهة، فتزوّج معد ابنته معانة وولدت له نزار بن معد بن عدنان. وقال السهيلي: كان رجوع معد بن عدنان إلى الحجاز بعدما رفع اللّه بأسه عن العرب بعد أن دوّخ بختنصر بلادهم وخرّب معمورهم واستأصل حضورا وأهل الرس ـ باليمامة ـ»[١] وتتبين من تلك النصوص معارف هامة، منها أن زمن عدنان كان في عهد نبوخذ نصر ملك بابل فبين قحطان وعدنان آلاف السنين فقد حكمت جرهم بن قحطان مكة منذ ما قبل عدنان بعشرات القرون، وكان عدنان في زمن غارات نبوخذ نصر بالقرن السادس ق.م. حيث هلك عدنان وقبيلة بني إسماعيل جميعاً وتم أخذ معد بن عدنان إلى حرّان فمكث هناك حتى وفاة نبوخذ نصر ـ عام ٥٦٢ق.م. ـ فلما مات نبوخذ نصر رجع معد بن عدنان إلى مكة وكان جُرهم بن جلهة ما يزال والياً لمكة ومعدي كرب بن ذرا ـ أمر بن حسان ما يزال ملك اليمن. فأتى معدّ بن عدنان إلى الوالي جُرهم بن جلهة فأقام في كنفه وتزوج ابنته معانة فولدت له نزار بن معد بن عدنان، فتناسلت منه قبيلة عدنان خلال القرون التالية، فذلك هو زمن بداية سلالة عدنان بمكة والحجاز منذ القرن السادس ق.م. بينما كانت جرهم تحكم مكة والحجاز وقبائل قحطان تملأ سهول ووديان اليمن إلى وسط وشرق وشمال الجزيرة العربية في ذلك القرن وما تلاه من القرون.

الولاة الجُرْهُميون لمكة والبيت الحرام بعد جرهم بن جلهة إلى عمرو بن الحرث:

وقد تعاقب الولاة الجرهميون لمكة بعد جرهم بن جلهة، فقد تولى مكة والبيت الحرام بعده (عبد ياليل بن جرهم، ثم عبد المدان بن جُرهم، ثم نفيلة بن عبد المدان بن جرهم. ثم جرهم بن عبد ياليل بن جرهم بن جلهة)[٢] وتذكر المصادر بعدهم اسم (عبد المسيح بن نفيلة الجرهمي)، ويمكن إدراك أن المصادر إنما تذكر المشهورين منهم، فقد تولى عدد من الولاة بعد الأربعة سالفي الذكر: (عبد ياليل، عبد المدان، نفيلة، جرهم بن عبد ياليل)، حتى القرن الأول ق.م. ولم يتم حفظ أسمائهم، ثم تولى مكة (عبد المسيح بن نفيلة الجرهمي) الذي يُوحي اسمه ـ إذا كان الاسم صحيحاً دقيقاً ـ بأنه كان في القرن الأول بعد ميلاد المسيح.

وقد جاء في تاريخ ابن خلدون أنه: «تولى عبد المسيح بن نفيلة، ثم

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٣٩ جـ ٢.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٤.

مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة، ثم الحرث بن مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة، ثم جرهم بن عبد ياليل ـ (الثاني)»[١] فيكون زمن أولئك في القرن الأول الميلادي.

ثم تولى بعدهم (عمرو بن الحرث بن مُضاض، ثم بشير بن الحرث، ثم مضَاض بن عمرو بن مُضَاض»[١] فيكون أولئك في القرن الثاني الميلادي. ثم يليهم (الحرث بن مُضَاض بن عمرو بن مُضاض) ثم (عمرو بن الحرث بن عمرو بن مُضاض) وهو آخر الولاة الجرهميين، وهو الذي حاربته وتغلبت عليه خُزاعة.

مسير خُزَاعة من مأرب إلى مكة وتغلبها على جُرهم وعمرو بن الحرث:

لقد كانت خُزاعة إحدى قبائل الأزد التي خرجت ونزحت من أرض مأرب الشاسعة عندما وقعت التنبؤات والتوقعات بأن سد مأرب سينهار وأن سيل العرم سيجتاح أرض الجنتين، وأن دولة سبأ ستنتهي، وكان ملك سبأ آنذاك عمرو بن عامر الأزدي المعروف بعمرو مزيقيا، وكان ملكاً ضعيفاً لأن مناطق شاسعة من اليمن انضوت تحت زعامة (نصر يُهحمد الحميري رئيس دولة بني معاهر الحميرية في الفترة ما بين ٢٠٠ ـ ٢٣٥ ميلادية) كما تدل على ذلك النقوش والوقائع التاريخية[٢]. فخرج عمرو مزيقيا بقبائل الأزد من أرض مأرب، ومما يدل على الزمن قول ابن خلدون: «خرج عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا من اليمن بقومه الأزد وأصاب اليمن سيل العرم، واستولى على قصر مأرب بعده ربيعة بن نصر.. وأقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمن..»[٣] فذلك يدلُّ على أن نزوح قبائل الأزد وعمرو بن مزيقيا كان في أيام نصر يحمد بن معاهر الذي صار ابنه ربيعة بن نصر ملكاً بعد عمرو مزيقيا في مأرب ومناطق شاسعة من اليمن. وكان خروج الأزد من أرض مأرب في جموع كبيرة بالخيل والأموال والسلاح والعتاد فانتشروا في مناطق كثيرة، ومنهم قبيلة خُزاعة التي استقرت في منطقة مَرّ الظهران من نواحي مكة وبسطت نفوذها إلى مكة والساحل التهامي الحجازي لمكة. وعن ذلك قال المسعودي: «كان الذين سكنوا بطن مَرّ خُزاعة، سُمِّيت بذلك لانخزاعها في ذلك الموضع عَمّن كان معهم من الناس ـ الأزد ـ. وفي ذلك قال حسان بن ثابت:

ولـمَّـا هَـبَـطْـنَـا بـطـن مَـرٍّ تَـخَـزّعَـتْ ... خُـزَاعَـةُ مِـنَّـا فـي (جـمـوع) كَـرَاكِـرِ
حَـمَـوا كـل وادٍ مِـنْ تـهـامـة واحـتـوَوا ... بِـصـمّ الْـقَـنَـا والـمُـرْهَـفَـاتِ الْـبَـوَاتِـرِ»[٤]

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٤.

(٢) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٣٥ ـ ٦٣٨.

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٧ جـ ٢.

(٤) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ١٨٩/ ٢ ـ وجاء في السيرة أن هذا الشعر لعون بن أيوب الخزرجي الأزدي الأنصاري. وقوله: (تخزعت خزاعة) معناه تأخرت وانقطعت، يقال: تخزع =

وكانت جرهم تتزعم مكة منذ الدهور الغابرة إلى ذلك الزمن وكان رئيس جرهم ووالي مكة والبيت الحرام آنذاك عمرو بن الحرث بن مُضَاض بن عمرو بن مُضَاض بن الحرث الجرهمي. وجاء في كتاب السيرة: «إن جُرْهُماً كانوا بغوا بمكة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى إليها، فَرَقَّ أمرهم، فلما رأت بنو بكر بن عَبْدِ مَنَاة بن كنانةَ وغُبْشَان من خزاعة ذلك أجْمَعُوا لحربهم وإخراجهم من مكة، فآذَنُوهم بالحرب، فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشان، فنَفَوْهم من مكة.. فخرج عمرو بن الحرث بن (عمرو) بن مضَاض الجرهمي بغَزَالَي الكعبة وبحَجَرِ الركن؛ فدفنها في زمزم، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن..»[١].

وفي تَغَلُّب خُزاعة على جرهم وإخراجها جُرهماً من مكة «قال إسماعيل بن رافع، أحدُ بني حارثة بن الحرث ابن الخزرج بن مالك بن الأوس [يذكر ذلك فيما بعد] في قصيدة له:

فَلَمَا هَبَطْنَا بَطْنَ مَكَّةَ أحْمَدَتْ ... خُزَاعَةُ دَارَ الآكِلِ الـمُتَحَامِلِ
فَحَلَّت أَكَارِيساً، وشَنَّت قَنَابِلاً ... عَلَى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وسَاحِلِ[٢]
نَفَوْا جُرْهُماً عَنْ بَطْنِ مَكَّة واحْتَبَوْا ... بِعِزٍّ خُزَاعِيٍّ شَدِيدِ الكَوَاهِلِ»[٣]

أشعار عمرو بن الحرث الجرهمي في ذلك الزمن باليمن:

لقد تغلبت خُزاعة على جُرهم بمكة ونواحيها في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي فتولَّت خُزاعةُ رئاسة مكة بينما ـ وكما جاء في كتاب السيرة ـ «انطلق عمرو بن الحرث والذين معه من جُرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكِهَا حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحرث بن عمرو بن مُضَاض في ذلك. وليس بمِضَاض الأكبر:

وقَائِلَةٍ وَالدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ ... وَقَدْ شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا الْمَحَاجِرُ

= الرجل عن أصحابه إذا تأخر عنهم. وقوله (في جموع كراكر) جاء في السيرة (..في خيول كراكر) وفي نسخة المعجم (في حلول كراكر) والحلول: البيوت الكثيرة. وكراكر: أي جماعات. وقال بعض أهل اللغة: هي جماعات الخيل خاصة. والبواتر: القواطع.

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٥ جـ ١.

(٢) قوله (أكاريساً): جمع أكراس، وأكراس: جمع كرس، والكرس: الجماعة من الناس، فالأكاريس جمع الجمع. وقوله (شنت): يقال: شن الغارة على عدوه إذا صبها من كل وجه. وقوله (قنابلاً) هو جمع قنبلة، وهي القطعة من الخيل.

(٣) الكواهل: هنا جمع كاهل، وأصله ما بين المنكب والعنق، إسْتَعَارَهُ هنا للرجل العزيز السيد. قاله أبو ذر. (ص ١٠١/ ١ ـ السيرة).

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا | أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ[١]
فَقُلْتُ لَهَا والْقَلْبُ مِنِّي كَأَنَّمَا | يُلَجْلِجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ طَائِرُ[٢]
بَلَىٰ نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَزَالَنَا | صُرُوفُ اللَّيَالِي والْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ[٣]
(وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ | بِعِزٍّ فَمَا يَحْظَى لَدَيْنَا مُكَاثِرُ)[٤]
مَلَكْنَا فَعَزَّزْنَا فأعْظِمْ بِمُلْكِنَا | فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرِنَا ثَمَّ فَاخِرُ[٥]
فَإِنْ تَنْثَنِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالِهَا | فَإِنَّ لَهَا حَالاً وَفِيهَا التَّشَاجُرُ[٦]
فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِيكُ بِقُدْرَةٍ | كَذلِكَ، يَا لِلنَّاسِ، تَجْرِي المَقَادِرُ
أَقُوْلُ إذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أَنَمْ | أَذَا الْعَرْشِ، لا يَبْعَدْ سُهَيْلٌ وَعَامِرُ[٧]
وبُدِّلْتُ مِنْهَا أَوْجُهاً لا أُحِبُّهَا | قَبَائِلَ مِنْهَا حِمْيَرٌ ويُحَابِرُ[٨]
وَصِرْنَا أَحَادِيثاً وَكُنَّا بِغِبْطَةٍ | بِذلِكَ عَضَّتْنَا السِّنُون العَوَابِرُ[٩]

وقد ذكر بعض الرواة وابن إسحاق زيادة في تلك الأبيات[١٠] ونميل إلى أن

---

(١) الحجون: بفتح الحاء ـ اسم موضع بأعلى مكة. والصفا: جبل من جبال مكة.

(٢) يلجلجه: يحركه ويُديره.

(٣) صروف الليالي: شدائدها ونوائبها. والجدود: جمع جد وهو الحظ.

(٤) جاء في الرواية هنا بيتان هما:

وكنا ولاة البيت من بعد نابتٍ | نطُوفُ بذاك البيت والخيرُ ظاهِرُ
ونحن ولاة البيت من بعد نابتٍ | بعزٍّ فما يحظى لدينا المكاثِرُ

ونرى أن أصلهما بيت واحد.

(٥) جاء بعد هذا البيت في رواية ابن إسحاق:

أَلَمْ تُنْكِحُوا مِنْ خَيْرِ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ | فأبْنَاؤُهُ مِنَّا ونحنُ الأصاهِرُ

وقال ابن هشام: قوله (فأبناؤه منّا) عن غير ابن إسحاق. ونرى أن البيت قد تمت زيادته من البعض ولم يكن في الأصل.

(٦) قوله (حالاً) المراد به تحوّل الدنيا. والتشاجر: الاختلاف والتخاصم.

(٧) الخَلِيّ: الذي ليس له همٌّ يقلق مضجعه. وقوله (أذَا العرش) بمعنى: ياذا العرش.

(٨) حمير: قبائل حمير، وكانت الرئاسة آنذاك لبني معاهر الحميريين. ويحابر: هُم مراد، وكانت الزعامة في مأرب وغيرها لبني معاهر الحميريين. وكانت يحابر مراد تسكن الجوف ومأرب باليمن. فذلك يشير إلى أن عمرو بن الحرث كان بمنطقة الجوف ومأرب.

(٩) العوابر: التي عبرت وانقضت. ويروى أيضاً (الغوابر): أي الغابرة. والأصح العوابر.

(١٠) جاء في رواية السيرة عن ابن إسحاق بعد الأبيات السالفة ثلاثة أبيات هي:

«فَسَحَّتْ دُمُوعُ العَيْنِ تبكي لبلدةٍ | بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المشاعِرُ
وتبكي لبيتٍ ليس يُؤذِي حَمَامُهُ | يَظَلُّ به أَمْناً، وفيه العصافِرُ =

القصيدة كانت عشرة أبيات. وهي الأبيات المتقدمة ـ باستثناء البيت الخامس ـ فتلك الأبيات العشرة هي صحيح تلك القصيدة الرائية.

قال ابن هشام: «قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحرث أيضاً يذكر بَكْراً وغُبشَّانَ وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

يَا أيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمُ   أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لا تَسِيرُونَا
حُثُّوا المَطِيَّ وأَرْخُوا مِنْ أَزِمَّتِهَا   قَبْلَ الْمَمَاتِ وقَضُّوا مَا تُقَضُّونَا
كُنَّا أُنَاساً كَمَا كُنْتُمْ فَغَيَّرنَا   دَهْرٌ فأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها»[1]. ـ أي ما صح عند ابن إسحاق ـ بينما تذكر الروايات بعد ذلك ثلاثة أبيات أيضاً وهي:

«إنَّ التَّفكُّرَ لا يُجْدِي لِصَاحِبِهِ   عند الْبَدِيهَةِ في عِلْمٍ لَهُ دُونَا
فاسْتَخْبِرُوا في صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ   كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عِنْدَه الهُونَا
كُنَّا زماناً مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمُ   بِمَسْكَنٍ في حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا»[1]

فهذا البيت الأخير والبيت الثالث في رواية ابن إسحاق أصلهما واحد، ويبدو أن الأصوب في البيت الثالث كما يلي:

كُنّا ملوكاً كما كُنْتُمْ فَغَيَّرنَا   دهرٌ فأَنْتُمْ كما كُنَّا تَكُونُونَا

قال ابن هشام: «وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن، ولم يُسَمَّ لي قائلها»[1]. ولكن غير ذلك البعض من الرواة قد سَمُّوا قائلها بأنه عمرو بن الحرث الجرهمي، فالذي علم بالاسم حجة على الذي لم يعلم أو لم يُسَمّ قائلها لأنه معروف ومشهور بأنه عمرو بن الحرث الجرهمي. وأما أن يكون ذلك (أول شعر قِيل في العرب) فلعل أصل ذلك أنه أول شعر اشتهر وتناقلته العرب لأنه يرتبط بنهاية ولاية وحكم جرهم لمكة ونواحيها من الحجاز.

وقال الطبري: « . .اجتمعت خزاعة ليجلوا جرهماً ـ من مكة ـ ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعي وأمه فهيرة بنت عامر بن الحرث بن مُضاض الجرهمي، فاقتتلوا فلما أحس (عمرو) بن الحرث[2]

= وفيه وُحُوشٌ لا تُرَامُ أَنِيسَةٌ   إذا خرجت مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُغَادِرُ»
والظاهر أن تلك الأبيات تمت زيادتها ولم تكن في القصيدة.

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص١٢٨ ـ ١٢٩ جـ ١.

(٢) في رواية الطبري (عامر بن الحرث الجرهمي).

بالهزيمة خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول:

الـلّـهُـمَّ إنّ جُـرْهُـمـاً عِـبَـادُكْ
الـنَّـاسُ طُـرفٌ وَهُـمُ تِـلَادُكْ
بِـهِـمْ قَـدِيـمـاً عُـمِـرَتْ بـلادُكْ

فلم تُقْبَلِ توبته، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم ثم دفنها، وخرج بمن بقي من جرهم.. وقال عمرو بن الحرث[١]:

كأنْ لَمْ يكُنْ بَيْنَ الحجُونِ إلى الصَّفَا ... أَنيسٌ ولم يَسمُرْ بمكَّة سامِرُ
بَلَىٰ نحنُ كُنَّا أهْلَها فأبادَنَا ... صرُوفُ الليالي والجدُودُ العَواثِرُ

وقال:

يا أيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنّ قَصْرُكُمْ ... أنْ تصبحوا ذات يَوْم لا تَسيرُونا
كُنَّا أناساً كما كنْتُمْ فَغيَّرنا ... دهْرٌ فأَنْتُمْ كما كنّا تكُونُونا
حُثُّوا الْمطِيَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِها ... قَبْلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا

يقول: اعملوا لآخرتكم وافرغوا من حوائجكم في الدنيا. ثم وُليت خزاعةُ البيت..»[٢] وبذلك انتهت ولاية جرهم لمكة والبيت الحرام في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي وهو زمن ذلك الشعر.

(١) في رواية الطبري (عامر بن الحرث الجرهمي).
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٩٩ جـ ٢.

المبحث «٧»

عمرو بن الحارث الخُزَاعيّ

«أول الولاة الخُزاعيين لمكة والبيت الحرام»

هو عمرو بن الحارث الغُبْشَاني الخزاعي الأزدي أول الولاة الخزاعيين اليمانيين لمكة والبيت الحرام. قال الطبري: «وهو القائل:

وَنَحْنُ وَلِينَا البَيْتَ من بَعْدِ جُرْهُمٍ ... لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ ومُلْحِدِ

وقال:

وادِ حَرَامٌ طَيْرُهُ ووحْشُهُ ... نحنُ وُلاتُهُ فلا نَغُشُّهُ»[1]

وقال جُماعة البارقي الأزدي في قصيدة عن هجرة الأزد والمناطق التي حلّوا بها ومَلَكوها، أولها:

«حَلّتْ الأزدُ بعد مأربِها الغورَ ... فأرض الحجاز فالسرواتِ»

قال في تلك القصيدة عن خزاعة وولايتها لمكة والبيت الحرام:

«واحتوتْ مِنْهُمُ خُزَاعَةُ الكعبةَ ... ذات الرسوم والآيات

أخرجتْ جُرْهُمَ بن يَشْجُب منها ... عنوةً بالكتائب المُعْلَمَات

فولاةُ الحجيج مِنْهَا، ومِنْهَا ... قُدوةٌ في مِنَىً وفي عَرَفَاتِ

وإليها رفادةُ البيتِ، والمرْ ... باعُ، يُجْبىٰ لها من الغارات»[2]

وكان قائد خزاعة في مواجهة جرهم هو ـ كما ذكر الطبري ـ «رئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ـ الأزدي ـ وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي»[1] فلما انهزمت وخرجت جرهم ـ وكما ذكر الطبري ـ «وُلّي البيت عمرو بن ربيعة. وقال بنو قُصيّ: بل ولّيه عمرو بن الحارث الغُبْشاني..»[1] وكذلك قال ابن هشام: «..ثم إن غُبْشَان من خُزَاعةَ وُلِيَتْ البيتَ ـ (بعد جُرهم) ـ.. وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشَانيُّ الخزاعيّ. ـ [أي

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١٩٩ جـ ٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٧٣.

أول من تولى منهم] ـ، وقريشٌ إذ ذاك حُلُولٌ وصِرْمٌ وبُيُوتَاتٌ مُتفرقون في قومهم من بني كنانة، فوُلِّيتْ خُزاعةُ البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر. . »[١].

وقال الحافظ ابن كثير: «تولت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، نحواً من ثلاثمائة سنة، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي»[٢].

وقال المسعودي: «وُلِيَتْ خُزاعةُ أمر البيت، وكان أول من ولِّيه منهم عمرو بن لُحَيّ، واسم لحيّ حارثة بن عامر. . وقد كانتْ ولاية البيت في خزاعة ثلاثمائة سنة»[٣].

ومن المفيد أن نذكر هنا ما يلي:

عمرو بن الحارث. . أول الولاة الخُزَاعيين:

إن أول الولاة الخزاعيين هو عمرو بن الحارث الغُبْشانيّ الخزاعيّ، وكان شاعراً. وقد ذكر الطبري من شعره قوله:

ونحن ولينَا البيت من بعد جُرْهُمٍ لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ باغٍ ومُلْحِدِ

وهو القائل:

وادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ ووحْشُهُ نحن ولاتُهُ فلا نَغُشُّهُ

«وكانت ولاية البيت في خُزَاعة ثلاث خِصَال: الإجازة بالناس من عَرَفَة، والإفاضة بالناس غداة النحر إلى مِنَى. . والنسء للشهور الحُرُم. . »[٣] أو «ورفادة البيت» وكذلك القيادة الحربية في مكة ونواحيها من الحجاز، وهو مقتضى قول جماعة البارقي في شعره سالف الذكر عن خزاعة:

فولاه الحجيج مِنْها، ومِنْها قُدوةُ في مِنَى وفي عرفاتِ
وإليها رفادةُ البيت، والمر باعُ، يُجْبىٰ لها من الغارات

وغُبْشَان جد عمروَ بن الحارث هو غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو الأزدي.

رئاسة عمرو بن ربيعة الخزاعي لمكة:

أما (عمرو بن ربيعة) فهو عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن الملك عمرو ـ مزيقيا ـ ابن عامر الأزدي السبئي الذي كان ملك سبأ وخرج بالأزد من أرض مأرب عند وقوع

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٢٧ جـ ١ ـ وقوله (حلول وصرم: الحلول جماعات البيوت. وصرم: جماعات متقطعة).
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٠ جـ ٢. (٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٥٦ جـ ٢.

التنبؤات والتوقعات بانهيار سد مأرب وبأن سيل العرم سوف يجتاح البلاد. فخرج الملك عمرو مزيقيا بن عامر مع أولاده وأحفاده وقبائل الأزد من أرض مأرب، وكان ذلك في أوائل القرن الثالث الميلادي، فتفرقت قبائل الأزد واستقرت خزاعة في منطقة مرّ الظهران بنواحي مكة، وتزوج ربيعة بن حارثة بن عمرو السيدةَ فهيرة بنت عمرو بن الحرث بن مُضَاض الجرهمي وهي والدة عمرو بن ربيعة بن حارثة، فكان عمرو بن ربيعة هو رئيس وقائد خزاعة عندما تغلبت على جرهم وأخرجتها من مكة، فتولى عمرو بن ربيعة رئاسة وقيادة خزاعة ونواحي مكة، بينما تولى البيت الحرام عمرو بن الحارث الغبشاني. وبذلك يزول التعارض بين الروايتين. ثم اجتمعت الرئاسة وولاية البيت لعمرو بن ربيعة، فيكون هو ثاني الولاة الخزاعيين.

عمرو بن لُحَيّ . . أشهر الولاة الخزاعيين لمكة والبيت الحرام:

أما (عمرو بن لُحَيّ) الذي قال المسعودي: «كان أول من وُلّي البيت من خزاعة عمرو بن لُحَيّ، واسم لُحيّ حارثة بن عامر. .»[١] فقد جاء في السيرة أن اسمه (عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة الخزاعي)[٢] وليس هو أول الولاة وإنما هو رابع الولاة ولكنه أشهر وأهم الولاة الخزاعيين لمكة والبيت الحرام. وقد ذكر السهيلي: «أن عمرو بن لُحيّ: كان قوله وفعله في العرب كالشرع المُتّبَع، لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم. وكان ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلّة في كل سنة، ويُطعمُ العربَ ويجيسُ لهم الحيسَ بالسمن والعسل»[٣].

وقد كان حجّ البيت على دين إبراهيم وإسماعيل وهو دين التوحيد الحنيف الذي جدّده أبو كرب أسعد تُبّع الأول ملك سبأ حين كسا البيت وطَهّره من الأصنام وسَنّ فيه تعاليم الحج وسدانة البيت وولّى الجرهميين على مكة وسدانة البيت، ولم يزل الدين والحج كذلك إلى أن تولى مكة عمرو بن لُحيّ الخزاعي فغيّر ذلك وأدخل عبادة الأوثان. فيُقال: إنه سار إلى مآب من أرض البلقاء بالشام وبها يومئذ العماليق ـ (والأصوب: الآراميين وقضاعة) ـ فرآهم يعبدون أصناماً فقالوا له: إنّا نَسْتَمْطِرها فتُمْطِرنا، ونَسْتَنْصِرها فتَنْصُرنا. (فقال لهم: ألا تعطوني منها صنماً. . فأعطوه صنماً يُقال له هُبَلُ، فقَدِم به مكة، فَنَصَبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه)[٤].

وقال المسعودي: «غيّر عمرو بن لُحَيّ دين إبراهيم وَبَدّله، وبعث العرب على

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٥٦ جـ ٢.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٨١ جـ ٢.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٨٧ جـ ٢.
(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٨١ جـ ٢.

عبادة التماثيل.. وقويت خُزَاعةُ، وعَمَّ الناس ظلم عمرو بن لُحيّ، وفي ذلك يقول رجلٌ من جُرْهُم كان على دين الحنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمكّةَ إنّها بَلَدٌ حرام

سائل بعادٍ أين هُمْ وكذاك تُخترَم الأنام

وبني العماليق الذين لهم بها كان السَّوَام

ولما أكثر عمرو بن لُحَيّ من نَصْب الأصنام حول الكعبة وَغَلَبَ على العرب عبادتها، وانمحت الحنيفية منهم إلا لمعاً، قال في ذلك شحنة بن خلف الجرهمي:

يا عمرو، إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رَبٌّ واحدُ أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا

لتعرفَنَّ بأن اللّه في مَهَلٍ سيطفي دونكم للبيت حُجَّابا»[١]

ويبدو أن ما قام به عمرو بن لُحيّ كان انعكاساً للواقع الديني الذي ساد قبائل ومناطق اليمن حيث انتشرت عبادة الآلهة الوثنية المتعددة وصار لكل قبيلة ومنطقة معبودها الخاص مثل (يغوث) في مذحج، و (يعوق) في همدان، و (عم أنس) في خولان وقضاعة، وأسماء عديدة أخرى مع القول بوجود إلهٍ أكبر هو (اللّه). فصار الأمر كذلك في مكة والبيت الحرام منذ عهد عمرو بن لحيّ، فالأوثان التي نَصَبَها حول الكعبة هي التي كانت القبائل تؤمنُ بها، وربما كان ذلك من أجل أن تستمرّ القبائل في الحج إلى البيت، فلولا وجود الوثن الذي تعتقد به كل قبيلة في البيت لانقطع حجّها. وقد كانت زُبَيد ومذحج تقول في الحج بالجاهلية:

لبيك لا شريك لك إلا شريكٌ هُوَ لَكْ تملكه وما مَلَكْ

قال ابن كثير: «وعمرو بن لُحَيّ أول من بَحَرَ البَحِيرَةَ، وسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وَوَصَلَ الوَصِيلَةَ، وحَمَى الْحَامي، وابتدع لهم أشياء في الدين»[٢]. قال ابن هشام: «البَحِيرَةُ: الناقةُ تُشَق أذنها، فلا يُركب ظهرها، ولا يُجَزّ وبرها، ولا يشربُ لبنها إلا ضيفٌ أو يُتصدق به، وتُهمل لآلهتهم. والسائبة: التي ينذر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه، أو إن أصاب أمراً يطلبه فإذا كان كذلك أسابَ ناقة من إبله أو جملاً لبعض آلهتهم فسَابَتْ فَرَعَتْ لا يُنتفع بها. والوصيلة: التي تلد أمّها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبُها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور.. والحامي: الفحل إذا نَتَجَ له عشر إناث متتابعات ليس بينهن

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٥٧ جـ ٢. (٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٨٧ جـ ٢.

ذكر حَمَى ظهره، فلم يُركب ظهره ولم يُجَزّ وبره، وخُلّي في إبله يضرب فيها»[١].

فكان ذلك وغير ذلك مما سَنّه عمرو بن لُحَيّ الخزاعي كالشرع المُتّبع في العرب وفي مكة لا يُخالِفُ أحد ذلك زهاء ثلاثمائة سنة حتى جاء الإسلام. قال المسعودي: «وَعُمِّرَ عمرو بن لُحيّ ثلاثمائة سنة وخمساً وأربعين سنة»[٢] وأقول: لا بدّ أنّ أصل ذلك أنه عُمِّر (ثلاثٍ ومائة سنة، وكانت ولايته خمساً وأربعين سنة» وذلك إلى أوائل القرن الرابع الميلادي.

الولاة الخزاعيون بعد عمرو بن لُحيّ ـ في إطار الدولة الحميرية ـ إلى نهاية ولاية خُزَاعَة:

لقد تعاقب الولاة الخزاعيون على مكة والبيت الحرام «يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، نحواً من ثلاثمائة سنة» ـ كما ذكر ابن كثير والمسعودي ـ فيمكن القول أن الولاة الأربعة الأوائل (عمرو بن الحارث، وعمرو بن ربيعة، ولُحَيّ بن قَمَعَة، وعمرو بن لُحَيّ) حكموا زهاء مائة سنة إلى النصف الأول من القرن الرابع الميلادي الذي فيه انضوت مكة والحجاز في دولة اليمن الحميرية بزعامة تُبّع ملشان ذي يزن أول تبابعة الدولة الحميرية. وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه: «لما دَوّخ تُبَّع جزيرة العرب وسار في الحجاز وهَمَّ بالانصراف، وَلّى على الحجاز حُجْر آكل المُرّار بن عمرو الكندي، فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة»[٣]. وقد استمرت ولاية خزاعة لمكة والبيت الحرام في إطار الدولة الحميرية وملوكها التبابعة وولاتها الكنديون للحجاز ـ منذ حوالي عام ٣١٠م بالنصف الأول من القرن الرابع الميلادي ـ فكان منهم: ربيعة الخزاعي (ربما ربيعة بن عمرو بن ربيعة. أو ربيعة بن عمرو بن لُحَيّ) ثم: (عمرو بن ربيعة بن عمرو الخزاعي) ثم (كعب بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الخزاعي) الذي يبدو أنه عاصر أسعد تُبع الثاني بن حسان الحميري الذي شمل حكمه اليمن والحجاز في الفترة (٤٦٠ ـ ٤٨٠م) وسار إلى مكة وكسا الكعبة أيضاً، وكان نائبه على الحجاز ونجد الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي، فكان كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي والياً لمكة والبيت في ذلك الإطار وفي تلك الفترة بالنصف الثاني من القرن الخامس الميلادي.

ثم تولى مكة والبيت الحرام«سَلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي» ثم «حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب» ثم «حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب الخزاعي» وهو

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٨١ جـ ٢. (٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٥٧ جـ ٢.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص

عاشر وآخر الولاة الخزاعيين لمكة والبيت الحرام، وربما عاصر «يوسف أسار ذو نواس» ملك الدولة الحميرية في الفترة (من ٥١٥ ـ ٥٢٥ ميلادية) بالنصف الأول من القرن السادس الميلادي، وقد ذكر ابن كثير أنه: «تولت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، نحواً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي، الذي تزوّج قُصيّ بن كلاب ابنته حُبيّ، فولدت له بنيه الأربعة: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزىٰ، وعبداً، ثم صار أمر البيت إليه»[١]. وقد صارت ولاية البيت إلى قصيّ بن كلاب القريشي بعد حُلَيْل الخزاعي لأنه كما ذكر علماء خزاعة «أن حُلَيْل بن حُبْشيَّة أوصى بذلك قُصَيًّا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر، وقال له: أنت أولَىٰ بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة مِنْ خُزاعة»[٢] فلما مات حُلَيْل الخزاعي انتهت الولاية اليمانية لمكة والبيت الحرام التي دامت ألف سنة في جرهم الأولى ثم زهاء ألف سنة ونيف في الطبقة الجرهمية الثانية ثم تسعمائة سنة ونيّف في الطبقة الجرهمية الثالثة ـ بني جرهم بن يشجب ـ ثم ثلاثمائة سنة في خُزاعة منذ النصف الأول من القرن الثالث الميلادي إلى النصف الأول من القرن السادس الميلادي، أي حوالي من عام ٢٢٥ ـ ٥٢٥ ميلادية.

ويتبين من ذلك أيضاً أن ولاية قريش للبيت ومكة إنما بدأت قبل الإسلام بنحو مائة سنة فقط عندما توفي حُلَيْل الخزاعي فتولى البيت ومكة قُصيّ بن كلاب وأولاده ومنهم عبد مناف بن قصيّ بن كلاب، ووالدة عبد مناف هي (حُبيّ بنت حُلَيْل الخزاعي) وكذلك كانت والدة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يمانية وهي (سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي)، ووَفَد عبد المطلب إلى الملك سيف بن ذي يزن بصنعاء لسنتين من مولد النبي ﷺ وذلك عام ٥٧٢ ميلادية، وكذلك كانت أم أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم يمنية وهي (لُبنىٰ بنت هاجار بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشِيّة بن سَلُول بن كعب الخزاعي)، فقال حذيفة بن غانم القرشي يمدحه بذلك:

«وَأُمكَ سِرٌّ مِن خُزَاعَةَ جَوْهَرُ إذا حَصَّلَ الأنْسَابَ يَوْماً ذَوُو الْخُبْرِ

إلى سبأ الأبطالِ تُنْمىٰ وتَنْتَمِي فأكْرِمْ بها مَنْسُوبَةً في ذُرَا الزُّهْرِ

أبو شَمّر منهم وعَمْرو بن مالِكٍ وذُو جَدَنٍ مِنْ قَومها وأَبُو الجَبْرِ

وأسْعدُ قَادَ الناسَ عشرين حِجَّةً يُؤيّدُ في تلك المَوَاطِنِ بالنصر»[٣]

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٠ جـ ٢. (٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٣٠ جـ ١.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٩١ ـ ١٩٢ جـ ١.

وجاء في هامش السيرة أنّ قوله: «وأمّك سِرٌّ: أي خالصة النسب. والخُبر ـ بالضم ـ العِلْم. قال أبو ذر: أبو شمر، وعمرو، وذو جدن، وأبو الجبر، وأسعد كلهم من ملوك اليمن، وأسعد كان أعظمهم. قال السهيلي: وإنما جَعَلَ ـ الشاعرُ ـ هؤلاء مفخراً لابن عبد المطلب لأن أمّه خزاعية من سبأ، والملوك التبابعة كلهم من حِمْيَر بن سبأ»[١].

وقد كان من أحفاد الولاة الخزاعيين لمكة: الصحابي معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخزاعي، وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد موقعة بدر[٢].

والصحابي عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن سالم بن جهمة بن غاضرة بن حُبْشِيّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخزاعي. قال القرطبي: «كان عمران بن حصين من فضلاء الصحابة..»[٣] وقال العسقلاني: «..كان عمران بن حصين صاحب راية خزاعة يوم فتح مكة..»[٤] ثم كان عمران بن حصين نائباً لأمير البصرة أبي موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ سنة ١٦ ـ ٢٩ هجرية وكذلك تولى عمران القضاء بالبصرة في خلافة معاوية سنة ٤٥هـ ولم يزل عمران من فضلاء وخيار الصحابة حتى وفاته سنة ٥٢ هجرية.

ومنهم الصحابي الشاعر جَعْدَةُ بن عبد اللّه الخزاعي، قال العسقلاني: «..وكان لقبه النُّعيت ـ بوزن عظيم ـ وهو ابن يعمر بن وهيب بن أصرم بن عبد اللّه بن قحم بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب الخزاعي.. ذكره الآمدي والمرزباني في معجم الشعراء وأنشد له أبياتاً في فتح مكة»[٥]. وقال ابن هشام: «قال جَعْدَةُ بن عبد اللّه الخزاعي في فتح مكة:

وَنَحْنُ الأُلَىٰ سَدَّتْ غَزَالَ خُيُولُنَا ... وَلِفْتاً سَدَدْنَاهُ وَفَجَّ طِلَاحِ

خَطَرْنَا وَرَاءَ المسْلِمِينَ بِجَحْفَلٍ ... ذوي عَضُدٍ مِنْ خَيْلِنا ورماحِ»[٦]

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٩١ ـ ١٩٢ جـ ١.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٤٤٣ جـ ٣.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ٢٢ جـ ٣.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٦ جـ ٣.
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٥٦٦ جـ ٣.
(٦) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٥٢ جـ ٤ ـ وقوله: «خطرنا: سرنا. والجحفل: الجيش الكثير العدد».

المبحث «٨»

تُبَّع مَلْشَان أرْيَمْ ذو يَزَنْ

«أول تَبَابِعَة الدولة الحميرية وأول من غَنَّىٰ باليمن»

هو (مَلْشَانُ أريم ذو يَزَنْ وجَدَن بن زيد بن الحرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِي بن مالك بن زيد الجمهور اليزني الحميري) وهو (تُبَع) المقصود في قول ابن خلدون: «غَلَبَ تُبَّعُ ملوك الطوائف باليمن ودوّخ جزيرة العرب.. وكان على مقدمته عبد كُلَال بن مثوب بن ذي رُعَيْن، وكان في أيام سابور ملك فارس..»[١] ثم قال ابن خلدون: «وَقِيل: إن مُلْك حِمْيَر صار متفرقاً في الأذواء من ولد زيد الجمهور، وقام بِمُلْكِ اليمن منهم: ذو يزن من ولد مالك بن زيد وهو ـ فيما قال ابن حزم وابن الكلبي والأصفهاني ـ عَلْس ذو يزن بن زيد بن الحرث بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجَمْهور»[١] وكذلك قال الأصفهاني في كتاب الأغاني: «هو علس بن زيد بن الحرث بن زيد بن الغوث.. وهو ملك من ملوك حِمْيَر، ولُقِّبَ ذا جَدَنْ لحسن صوته، والجدن الصوت بلغتهم. ويقال إنه أول من تغنَّى باليمن.. وهو القائل:

مَــا بَــال أهــلــك يَــا رَبَــاب ... خَــزَراً كــأنّــهــم غِــضَــاب
إنْ زُرْت أهــــلــــك أوعــــدوا ... وتَــهــرّ دونــهــم الــكــلاب»[٢]

ويتبين من النقوش أن ذلك الملك التُبَّع الذي جاء اسمه في الروايات بلفظ «علس ذو يزن» هو: «ملشان أرْيَم ذو يزن ويلغب، كبير أقيال شعوب ضيفتن ومشرقن»[٣].

وقد جاء اسمه في النقش بهيئة «مَلْشن» ويمكن أن يُنطق (ملشان) أو (مَلْش) ومن هذا النطق الأخير (ملش) جاء في الروايات أن اسمه (علس). بينما لم يجزم فريق من المؤرخين والرواة باسمه واكتفوا بأنه ـ كما قال ابن خلدون ـ «قام بِمُلْك

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٧ و ٦١ جـ ٢.
(٢) الأغاني ـ الفرج الأصفهاني ـ ص ٣٧ جـ ٤ ـ قال أبو علي القالي (الخَزَرُ أن ينظر الرجل إلى أحد عرضيه. أي ينظر بمؤخر عينه).
(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٣٨/ ٢.

اليمن ذو يزن من ولد مالك بن زيد»[١] والقراءة المعتمدة لاسمه في النقوش هو «ملشان ذو يزن»[٢] ونذكر هنا:

أنّ مَلْشَانْ ذا يَزَنْ هو تُبّع . . أول تبابعة الدولة الحميرية:

لقد سبقت عهد ملشان فترة أشار إليها ابن خلدون بقوله: «إن مُلك حِمْيَر صار متفرقاً في الأذواء» وبقوله: «غَلَبَ تُبّع ملوك الطوائف باليمن» إذْ أنه كان حكم اليمن منقسماً بين عدد من الأذواء والملوك يحكم كل منهم منطقة من اليمن، وكان منهم «الملك ربيعة بن نصر في مأرب ومخاليف سبأ وهو الذي مَلَكَ مأرب بعد عمرو مزيقيا ونزوح الأزد من أرض مأرب» وكذلك كان منهم «زادان بن ذي معاهر. قَيْل ردمان وذي رفت وخولان» وكان ملكاً في سَرْو مذحج والقصر شبعان بأرض ردمان. كما كان «كرب إيل. ملك ظفار ومناطق سَرْو حمير وغرب اليمن». وكان «يدع أب غيلان ملك حضرموت» ملكاً لحضرموت ومناطق الشِحْر والمهرة إلى ظفار عُمان. فكان أولئك مثل ملوك الطوائف. فقام أذواء حِمْيَر بتمليك ملشان أريم ذي يزن ـ عام ٢٧٥م ـ فتوحدت بزعامته مناطق سرو حمير وغرب اليمن وسرو مذحج. ويذكر نقش عبدان الكبير: «أن ملشان أريم ذا يزن قاد حملات واسعة في كل أنحاء حضرموت وفي أرض مَهَرة وكل مشرقن»[٣]. وقد ترتب على ذلك نهاية المملكة التي كانت في حضرموت حيث يذكر البروفيسور ألبرايت أن (يدع أب غيلان هو آخر ملوك حضرموت) وجاء في دراسة البعثة الفرنسية: «أن مملكة حضرموت انتهت عام ٢٩٠ ميلادية على يد الحميريين»[٤]. ويذكر نقش عبدان «أن قبيلة كندة اشتركت مع ملشان ذي يزن والحميريين في اجتياح وإنهاء مملكة حضرموت. .»[٣] فشملت رئاسة ملشان حضرموت وكل المشرق إلى الشحر ومهرة وظفار عُمان وكذلك مأرب والجوف ويذكر النقش أيضاً «كل الأنحاء في السَرَاة»[٣] وهي منطقة السراة بأعالي اليمن ومنها عسير وبيشة إلى تخوم الحجاز وتخوم اليمامة. وبذلك شملت زعامة ملشان ذي يزن كل أرجاء اليمن وقيلَ له (تُبّع). قال ابن خلدون: «معنى تُبّع الملك المُتّبع. وقال صاحب المحكم: التبابعة ملوك اليمن واحدهم تُبّع، قال المسعودي: ولم يكونوا يُسمّون الملك منهم تُبّعاً حتى يملك (كل) اليمن وحضرموت

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٧ و ٦١ جـ ٢.
(٢) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٣٨/ ٢.
(٣) نقش عبدان الكبير ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣/ ١٩٨٣م.
(٤) خمس سنوات من الأبحاث الأثرية في اليمن ـ البعثة الفرنسية ـ مجلة الإكليل ـ العدد ١/ السنة ٣/ ١٩٨٥م.

والشحر»[١]. وجوهر ذلك هو ـ كما ذكر أيضاً د. محمد بافقيه ـ «أن التبابعة هم أولئك الذين حققوا توحيد اليمن»[٢]. ولذلك قيل لملشان ذي يزن تُبّع، واشتهر بلقب (تُبّع) حتى إن أغلب الروايات والمصادر لا تذكره إلا باسم (تُبّع). وقد كان ملوك مملكة سبأ الذين حكموا كل اليمن يُقَال لهم تبابعة وهم نحو ٥٢ ملكاً من ملوك سبأ التبابعة أولهم الحارث الرائش ومنهم الصعب ذو القرنين وبلقيس وشمّر يُرْعش وأبو كرب أسعد تُبّع الذي هو تُبّع المذكور في القرآن وغيرهم من ملوك سبأ التبابعة ثم تعددت الممالك في اليمن إلى أن قام ملشان ذو يزن بالتغلب على ملوك الطوائف وتوحيد اليمن فقيل له تُبّع واشتهر بلقب تُبّع وهو أول تبابعة الدولة الحميرية وهم نحو ١٨ تُبّعاً أولهم ملشان وآخرهم سيف بن ذي يزن ومعدي كرب بن سيف بن ذي يزن[٣] وفي عدد تبابعة سبأ وتبابعة الدولة الحميرية قال النعمان بن بشير:

لنا مِنْ بني قَحْطان سبعون تُبّعاً ... أطاعتْ لهم بالخرج مِنْها الأعاجِمُ

. . وحسان ذو الشِعبين منهم ويُرعِشُ ... وذو يزنٍ تلك البحور الخضارِمُ

وقد حكم تُبّع ملشان ذي يزن منذ عام ٢٧٥م ومنذ توحيد اليمن بزعامته عام ٢٩٠م إلى عام ٣٣٢م ويتفق ذلك مع ما ذكره ابن خلدون بقوله: «تغلّب تُبّع على ملوك الطوائف باليمن ودوّخ جزيرة العرب. . وكان على مقدمته عبد كلال بن مثوب بن ذي رعين، وكان في أيام سابور» (اهـ) ـ وهو سابور ملك فارس الذي عاصر الملك الروماني قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٦م) في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي الذي أصبح فيه تُبّع ملشان زعيماً لليمن وكل الجزيرة العربية[٣].

اتخاذ صنعاء عاصمة للدولة . . وشعر تُبّع ملشان في صنعاء:

لما توحدت كل أرجاء اليمن بمدلولها الواسع القديم بزعامة تُبّع ملشان ذي يزن قام باتخاذ مدينة صنعاء عاصمةً للدولة الحميرية وتجديد وتعلية وتفخيم قصر غُمدان بصنعاء، وذلك في مطلع القرن الرابع الميلادي، فصارت صنعاء عاصمة دولة اليمن الحميرية ومقرّ ملوكها التبابعة حتى عهد سيف بن ذي يزن في أواخر القرن السادس الميلادي بحيث قال ابن خلدون: «صنعاء: قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأول مدينة أُختطت باليمن، وكانت تُسمى أزال من الأزلية بلغتهم. .»[٤] وجاء في الإكليل:

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٤٦.

(٢) في العربية السعيدة ـ د . محمد بافقيه ـ ص ٤٢/ ٢.

(٣) كتاب تبابعة اليمن السبعين ـ محمد حسين الفرح.

(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٢٣/ ٤.

« . . أزال بن قحطان باسمه سُمِّيت صنعاء أزال»[١] وذلك لأنه أول من اختطها وجعلها مدينة في الزمن الأقدم، ثم أُعيد اختطاطها وسُميت صنعاء في زمن ملوك سبأ التبابعة فكانت مدينة صنعاء وقصرها غُمدان إحدى المدن والقصور الرئيسية في عصور ملوك سبأ فلم تكن العاصمة وإنما كانت العاصمة مدينة مأرب، وكانت تليها في الأهمية مدينة ظفار وقصرها ريدان مركز مناطق حمير وغرب اليمن ثم مدينة شبوة مركز مناطق حضرموت والمشرق، فكانت صنعاء بمثابة المدينة الرئيسية الرابعة في تلك العصور، ثم أصبحت صنعاء هي العاصمة ومقر الملوك التبابعة الحميريين منذ عهد تُبّع ملشان في مطلع القرن الرابع الميلادي بحيث قال عنها ابن خلدون: «صنعاء قاعدةُ التبابعة قبل الإسلام»[٢]. ولمّا اتخذ تُبّع ملشان صنعاء عاصمة للدولة وقصر غُمدان مقرّاً قال الشعر الذي جاء في الإكليل وفي تاريخ الرازي أنه:

« قال تُبّع يصفُ صنعاء وغُمدان وما حول ذلك:

دَارُنـا الـدَّارُ مـا تُـرَام اهـتِـضَـامـا مِـنْ عَـدُوٍّ ودَارُنَـا خَـيْـرُ دَارِ
إنَّ قَـحْـطَـانَ إذْ بـنـاهـا، بَـنَـاهـا[٣] بَـيْـنَ بَـرِّيَّـة وبـيـن (بِـحَـارِ)[٤]
نُـطِّـقَـتْ بـالـكُـروم والـنـخْـلِ والـزّر ع وأصـنـاف طَـيِّـبِ الأشـجَـارِ
وتـسـيـحُ الـعُـيُـونُ فـيـهـا فـمـا إنْ تَـسْـمَـعُ إلّا تَـسَـلْـسُـلَ الأنـهَـارِ
لـيـسَ يُـؤْذِيـهـم بـهـا وَهَـجُ الـحـرِّ ولَا الـقَـرّ فـي زَمَـانِ اقْـتِـرارِ[٥]
طَـابَ فـيـهـا الـطَّـعَـام والـمـاء والـنـو م ولَـيْـلٌ مُـطَـيَّـبٌ كـالـنَّـهـارِ
إن آثـارَنـا تَـدُلُّ عَـلَـيْـنَـا فـانْـظُـروا بَـعْـدَنَـا إلـى الآثـار»[٦]

وقد قام تُبّع ملشان ذي يزن بتجديد وتعلية وتفخيم قصر غُمدان بصنعاء حتى صار أعظم القصور، ولذلك قال أُميّةُ بن أبي الصلْت الثقفي لما وَفَد إلى الملك سيف بن ذي يزن في قصر غُمدان بصنعاء قبل الإسلام:

« فَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلَالَا
قَـصْـرٌ بـنَـاهُ أَبُـوكَ الـقَـيْـلُ ذُو يَـزَنٍ فَـهَـل تَـرىٰ أحـداً نَـالَ الـذي نَـالَا

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٠٤/ ١.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٢٣/ ٤.
(٣) قوله (إن قحطان إذْ بناها) يعني ابن قحطان وهو أزال بن قحطان.
(٤) هكذا في الإكليل وتاريخ الرازي (. . بين بحار) ولعله تصحيف أو أن المراد بالبحار هنا السيول الغزيرة وكان يقال لها بحار.
(٥) القرّ: البرد الشديد.
(٦) تاريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص ٢٥ ـ والإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧ جـ ٨.

مُنَطَّقاً بالرُخَام المُسْتزاد له ترىٰ على كُلّ ركنٍ مِنْه تمثالا»[١]

فقوله: «قصرٌ بناه أبوك القَيْلُ ذو يزن» يعني «ملشان ذا يزن» وكان سيف من سلالته فأقامه مقام أبيه. وذلك الشعر مِن الدلائل على بناء ملشان ذي يزن لقصر غمدان العظيم.

وقال أحمد بن عيسى الرداعي في أرجوزته التي أوردها الهمداني في الإكليل والصفة عن صنعاء:

بلادُ مُلْكٍ، ضَلّ مَنْ يَقِيسُ أرضاً بصنعاء لها تأسيسُ

. . أرضٌ بها غُمدانُ والقليسُ بناهما ذو النجدة الرئيسُ

تُبّعُ مَلْكٍ، وبَنَتْ بلقيسُ بِقَوْل صِدقٍ ما به تلبيسُ»[٢]

فقوله: (بَنَاهُمَا ذو النجدة الرئيس تُبّع مَلْكٍ) يعني بناء الرئيس تُبّع ملشان لقصر غُمدان لأنه قام بتجديد وتعلية قصر غُمدان وكان القصر موجوداً منذ أزمنة وعصور ملوك سبأ القدماء إلا أنه بلغ ذروة العظمة والارتفاع على يد تُبّع ملشان عند صيرورة صنعاء عاصمة للدولة ومقراً للملوك التبابعة منذ عهده، بحيث كان كما قال ربيع بن ضبع الفزاري الجاهلي:

وغُمْدَان إذْ غُمدان لا قَصْر مثْلَهُ زهاءً وتشييداً يُحاذي الكواكِبا

وقد جعل تُبّع ملشان ذو يزن مدينة عبدان اليزنية عاصمة ومركزاً لكل مناطق النصف الشرقي من اليمن الذي يشمل فيما يشمل أبين والبيضاء وشبوة وحضرموت والمهرة وسأكلن (عُمان) وسكردي (سقطري)[٣] وتقع مدينة عبدان في وادي عَبَدَان بمنطقة العوالق (في محافظة شبوة حالياً) وكان في مدينة عبدان القصر (يَزَنْ) مقر الأذواء اليزنيين وكانوا هم حكام ذلك النصف الشرقي من اليمن، ففي كل عهد يكون هناك أمير من آل ذي يزن يحكم عَبَدان والمشرق. بينما كانت مدينة ظفار عاصمة ومركز كل مناطق سَرْو حِمْيَر والنصف الغربي من اليمن الذي يشمل فيما يشمل مناطق إب وتعز ولحج وعدن وتهامة إلى البحر الأحمر، وكان يحكم ذلك القسم الأذواء من آل ضيفي (ضيفتن) وكانت مدينة ظفار مقر الأذواء آل ذي رعين حكام ذلك القسم من اليمن وكان أولهم في عهد تُبّع ملشان هو عبد كلال بن مثوب بن

---

(١) قصيدة نشوان عن تاريخ التبابعة ـ ص ١٥٣.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٠٨.

(٣) جاء ذكر عمان باسم (ساكلن) وسقطرى باسم (سكردى) في نقوش عهد شرحبيل يكمل ذي يزن وعهد سُميفع بن شرحبيل يكمل.

ذي رُعَيْن، بينما كان تُبع ملشان يقيم في صنعاء عاصمة الدولة والبلاد والتي تتميز بما ذكره الحسن الهمداني قائلاً: «مدينة صنعاء هي أُم اليمن وقُطبها لأنها في الوسط منها، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حدّ اليمن من أرض نجد والحجاز»[١].

حَمَلات تُبّع ملشان إلى البحرين ونجد والحجاز. . وأشعاره في ذلك:

وقد انطلق تُبّع ملشان بجيش كثيف من اليمن لتوحيد بقية الجزيرة العربية، فهو تُبّع المقصود بقول ابن خلدون: «غَلَبَ تُبَّع ملوك الطوائف باليمن ودوّخ جزيرة العرب. . وكان على مقدمته عبد كلال بن مثوب بن ذي رُعين، وكان في أيام سابور. . » وكذلك جاء في الإكليل أنه «كان عبد كلال على مقدمة تُبّع لما غزا إلى اليمامة. . » وقد شملت غزوات أو حملات تبع ملشان إقليم اليمامة ونجد وإقليم البحرين (منطقة الخليج) وأرض الحجاز إلى تخوم الشام. وقد ذكرت كتب التاريخ التراثية قيام (تُبّع) بذلك، وذكرت أشعاراً قالها (تُبّع) عن ذلك، ولكنها لم تذكر اسمه، بحيث ينطبق ذلك على عدد من التبابعة، وقد اعتمدنا في تحديد ومعرفة قيام ملشان بذلك وأنه تُبّع المقصود على الدلائل التالية:

أ ـ إن عهد تُبّع وقائده عبد كلال (كان في أيام سابور). وهو الملك الفارسي سابور الذي عاصر الملك الروماني قسطنطين الأول الذي حكم من ٣٠٦ ـ ٣٣٦م في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وهو زمن عهد ملشان أريم الذي يدل عليه نقش عبدان الكبير حيث كان عهده في الفترة (٢٩٠ ـ ٣٣٢م) بالنصف الأول من القرن الرابع الميلادي، فكان معاصراً لقسطنطين ملك الروم وسابور ملك فارس.

ب ـ إن نقش عبدان الكبير يعطينا الدليل المادي على قيام ملشان بالحملات التي ذكرت الروايات التراثية قيام تُبّع بها في تلك الفترة، فقد جاء في النقش ـ وكما ذكر د. محمد بافقيه في تحقيقه للنقش ـ «أن ملشان أريم تولى ـ كما تولى أبناؤه معه وبعده ـ قيادة حملات واسعة خارج اليمن في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة، خاصة في ما كان يُعرف باليمامة، وفي أطراف نجد، وفي البحرين بمدلولها الواسع القديم»[٢]. وجاء في تحقيق روبان للنقش أن حملات ملشان بلغت «موبأرن سجه بين أرض نزار وأرض غسان» وأنها «آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان»[٣]. أي بين الحجاز وبين أرض غسان بالشام.

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨١.
(٢) اليزنبون ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣م.
(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٣٨/ ٢.

لقد انطلقت حملات تُبّع ملشان في أوائل القرن الرابع الميلادي ـ عام ٣١٠م ـ إلى أطراف نجد وإقليم اليمامة الذي كان يمتد إلى تخوم العراق ثم إلى إقليم البحرين بمدلوله الواسع القديم الذي كان يشمل منطقة الخليج العربي حالياً، وكانت تسكن نجد وإقليم اليمامة قبائل وعشائر من بني معدّ بن عدنان منها تميم ونمير وأسد وبعض العشائر القيسية وكذلك قبائل وعشائر يمانية قحطانية من طيء وجرهم والأزد بينما كانت تسكن إقليم البحرين قبائل من ربيعة أهمها عبد القيس وقبائل من الأزد هُم بنو نصر بن الأزد، أما الحجاز فكانت تسكنه قبائل وعشائر من نزار بن معدّ بن عدنان وقبائل يمانية أزدية وقضاعية. وقد أيّدت بعض تلك القبائل تُبّع ملشان في توحيد البلاد بينما قاومت بعض القبائل والعشائر فشنّ عليها الحملات وأخضعها، ومما جاء في الأشعار التي تذكر كتب التراث أن تُبّعاً قالها الأبيات التالية:

وطَحَنَّا قُرىٰ اليمامة بالخيل ... زماناً نُعيدُ فيهم ونُبدي
ثم أحدثتُ بالمُشَقَّرِ أرضاً ... وجِناناً تَحِلُّها الناس بعدي

وأرض المُشقّر هي أرض البحرين. وقال:

سيذكر قومي بعد موتي وقائعي ... وما فَعَلَتْ خيلي بقيسٍ أفاعلا
وما دوّخَت أرض اليمامة بالقَنَا ... وما صبّحت فيها تميماً ووائلا

وقال يذكر ما فرضه على تلك القبائل:

نُميراً جعلتُ لحَوكِ البُرود ... وحَذْو النعال ووضع اليَلَبْ
خزيمة كان عليها الدباغ ... وقيد السيور وفَتْل السَلَبْ
تميماً جعلتُ لبري القداح ... وشحذ النصال ورصف القصب
(وشَناً) جعلتُ بأرض الحجاز ... لنسج العباء وخرز القرب
هذيلاً جعلتُ لنحت البرام ... وكانت كنانة فيها القتب
جعلتُ الرباب لحفر البثار ... ومَنْح الدلاء عليها الكرب

ولم يفرض على القبائل اليمانية بتلك الأرجاء شيئاً ربما لأنها أيّدته وربما لأنها همزة وصل للنشاط التجاري ولحماية القوافل والطرق التجارية بين اليمن وبين البحرين والعراق وفارس من جهة وبين اليمن والحجاز والشام والروم من جهة أخرى. وقد ذكر نقش عبدان الكبير أن الحملات الحميرية التي قادها ملشان والذين معه بلغت «إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان» وقد جاء ذكر الحجاز في النقش بأنها «أرض الأزد ونزار». فقد كانت قبيلة خزاعة الأزدية تتزعم مكة ونواحيها وقبيلة الأوس والخزرج الأزدية تتزعم يثرب ونواحيها بأعالي الحجاز، وكانت قبيلة

نزار بن معد بن عدنان تسكن عدة مناطق من الحجاز، أما أرض غسان فهي الشام وكان الغساسنة ملوكاً على العرب بالشام في إطار الدولة الرومانية، وتقع (سجا) بين أعالي الحجاز والشام. ولما بلغت حملات تُبّع ملشان آبار سجا اكتملت عملية توحيد مناطق وقبائل شرق وشمال الجزيرة وكان معه حُجْر آكل المُرار بن عمرو الكندي فولّاهُ تُبّع ملشان على الحجاز ونجد، وبذلك بدأت ملوكية كندة وأسرة حُجر آكل المُرّار لنجد والحجاز منذ تلك الفترة بأوائل القرن الرابع الميلادي (حوالي عام ٣١٠ ميلادية) وقد ذكرت كتب التاريخ التراثية وجاء في تاريخ ابن خلدون عن ذلك ما يلي: «لَمّا دوّخ حسان تُبَّع بلاد العرب وسار في الحجاز وهَمّ بالانصراف، وَلّىٰ على معد بن عدنان كلها أخاه لأُمِّه حُجْر آكل المُرّار بن عمرو الكندي فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة»[١]. وقد وقع التباس في قول تلك الروايات «حسان تُبّع» ويَعْنُون به (حسان بن أبي كرب أسعد ملك سبأ) الذي جاء في الإكليل أنه (كان حسان بن أسعد في زمن بخت نصّر ملك بابل)[٢] فزمن حسان بن أسعد قديم في عصور ملوك سبأ التبابعة، بينما زمن حُجْر آكل المُرّار كان في القرن الرابع الميلادي مما يدلُّ على أن الصواب هو «لما دوّخ تُبّع (ملشان) جزيرة العرب وسار في الحجاز وَهَمَّ بالانصراف وَلّى على الحجاز وقبائل معد بن عدنان كلها أخاه لأمّه حجر آكل المُرَّار بن عمرو الكندي». وقد انصرف تُبع ملشان من الحجاز إلى صنعاء ولم يزل زعيماً عظيماً حتى وفاته.

وفاة تُبّع ملشان بصنعاء ومقبرته وآخر أشعاره:

لقد كان آخر وأجود أشعار تُبّع ملشان الشعر الذي تذكره المصادر التراثية بأنه: «قال تُبع:

مَنَعَ البقاءَ تَقَلُّب الشَّمْسِ ... وطُلُوعُها مِنْ حَيْثُ لا تُمْسِي
وطلوعُها بيضاءَ صافِيَةً ... وغروبُها صفراء كالوَرْسِ
تجْري على كبدِ السماء كما ... يجري حِمَامُ الموت في النَّفْسِ
اليومَ أَعْلَمُ ما يجيءُ به ... ومَضى بِفَصْلِ قَضَائِهِ أمْسِ»

وقد توفي تُبّع ملشان ذو يزن وجدن بمدينة صنعاء حوالي عام ٤٣٧ بالتقويم الحِمْيَري الموافق عام ٣٣٢ ميلادية وتم دفنه ـ مُحَنَّطاً ـ في مقبرة تُسمى (أزج) وهي مقابرُ كانت تُصنع تحت الأرض ويؤدي إليها سرداب. وقد حفر بعض أهل صنعاء

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٧٦.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠١ جـ ٨.

حفيراً فعثر على مقبرة ملشان في زمن خلافة مروان الأموي أو عبد الملك بن مروان في القرن الأول الهجري (القرن الثامن الميلادي) فقد ذكر الأصفهاني عن «أحمد بن عبيد اللّه بن عمار عن عبد اللّه بن أبي سعد عن علي بن الصبّاح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي المشعار الهمداني عن حيان ابن هانىء الأرحبي عن أبيه عن رجل من أهل صنعاء أنهم حفروا حفيراً في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب فإذا هُم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه: أنا علس ذو جدن [أو ذو يزن] القَيْل، لخليلي مني النَيْل ولعدوي مني الويل، طُلِبت فأُدرِكتُ وأنا ابن مائة سنة من عمري، وكانت الوحش تأذن لصوتي وهذا سيفي ذو الكف ودرعي ذوات الفروج ورمحيَ الهزبري وقوسي الفجواء وقرني ذات الشر فيها ثلاثمائة حشر من صنعة ذي نمر، أعددتُ ذلك لدفع الموت عني فخانني. قال فنظرنا فإذا جميع ذلك عنده»[1].

ولا شك أن قراءة اللوح والرواية وقع فيها التباس، ولا بد أن تكون البداية: «هذا ملشن أريم ذو يزن وجدن كبير أقيال ضيفتن ومشرقن» ثم إنه «أدركه الموت وهو ابن مائة سنة» أما عبارة «قرني ذات الشر فيها ثلاثمائة حشر من صنعة ذي نمر» فلا بد أن أصلها «مات في شهر كذا بخريف كذا وثلاث وأربعمائة في صنعاء. كتبه ذو نمر. وهذا سيفه ذو الكف ودرعه ذات الفروج ورمحه الهزبري وقوسه الفجواء». أو أنهم وجدوا ذلك عنده. قال ابن الكلبي (وكان طول السيف اثنا عشر شبراً وعليه كتابة بالمسند). فأخذوا كل ما وجدوه في القبر (الأزج). والمقصود بزمن مروان قد يكون مروان بن محمد عام ١٣٠ هجرية.

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٣٧ جـ ٤.

المبحث «٩»

حُجْر آكل المُرار الكِنْدِي

«أول الملوك الكِنْديين لليمامة والحجاز في عصر تبابعة دولة اليمن الحِمْيَرية»

هو حُجْر ـ آكل المُرار ـ ابن عمرو بن مُعَاوية الأكرمين ابن الحارث الكندي، وهو القائل:

إنّ مَنْ غَرَّه النِسَاءُ بشيءٍ ... بعد هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مغرورُ
حلوةُ العَيْنِ والحديثِ، ومُرٌّ ... كُلُّ شيءٍ أجَنَّ منها الضميرُ
كل أُنْثَىٰ وإنْ بدىٰ لك منها ... آية الحُبِّ حبّها خيتعورُ[1]

وحجر آكل المرار هو الجد الأعلى للشاعر الكبير امرىء القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي،.. ويكتسب تاريخ ملوكية كندة لليمامة ونجد والحجاز أهمية كبيرة في تاريخ العرب قبل الإسلام، لذلك نذكر هنا:

نبذة عن قبيلة كندة منذ زمن ملوك سبأ التبابعة:

إنّ كندة قبيلة يمانية سبئية قحطانية عريقة. قال ابن خلدون: «أما كندة، فاسمه ثور بن عُفَير بن عَدِيّ ـ ابن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ ـ وتُعرف بكندة الملوك لأن المُلك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما نذكر، وبلادهم بجبال اليمن مما يلي حضرموت ومنها دمون التي ذكرها امرؤ القيس في شعره.. وقال ابن سعيد: كندة لقبٌ لثور بن عُفَير بن الحارث بن مُرّة بن أدد.. وبلادهم في شرقي اليمن.. وكان التبابعة يصاهرونهم ويولونهم على بني معدّ بن عدنان والحجاز..»[2].

وقال الحسن الهمداني في الإكليل: «أولد عفير بن عَدِي كِندياً، فأولد كندي معاوية وأشرس، فأولد أشرس: السكون والسكاسك، وأولد مُعَاويةُ بن كندي مرتعاً وهو عمرو، فأولَدَ مرتعُ ثوراً وهو كندة ومالكاً وهو الصَدِف»[2].

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٣ جـ ١.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٤١ و ١٨٤.

ويتبين من ذلك أن كندة هو: كندة ـ واسمه ثور ـ ابن عمرو مرتع بن مُعاوية ـ الأكبر ـ ابن كندة (كندي) بن عُفير بن عَدِيٍّ بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ويدلُّ هذا النسب على أن زمن كندة قديم ويعود إلى أزمنة ملوك سبأ الأوائل وملوك سبأ التبابعة، وبالفعل فقد جاء ذكر كندة في نقوش المسند السبئية في محرم بلقيس بمأرب عاصمة سبأ منذ القرن العاشر قبل الميلاد، ومنها:

أ ـ **النقش رقم ٥٧٦ جام من محرم بلقيس**: وهو نقش باسم ومن عهد «إلِ شَرْح يحضُب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان» ويَحْمَدَان في النقش الإله لأنه ـ كما جاء في النقش بلغة المسند ـ «مَنّ عليهما الإله (إل مقه) بأخذ ملككم ملك كندة وشعب كندة/ بخفرت هخفر ملككم المقه وملكنهن مراء القيس بن عوفم ملك خصاصتن/ وأخذوا هوت ملككم واكبرت كندة بهجرن مأرب/ عدي هجباء وهوت غلمن مراء القيس/ ووهبوا أوثقم من شعب كندة بروهو وبني مرأس واكبرت كندة وهبو خفرت المقه وملكنهن افرسم وركبم وجملم»[(١)]. ويذكر د. بافقيه معنى ذلك بأن الملكين إل شرح يحضب ويازل: «أخذوا (حجزوا) مالك ملك كندة وقبيلة كندة لأنهم أخلوا بضمان ضَمَنَه مالك تجاه إلمقه والملكين عن مراء القيس بن عوف ملك الخصاصة، فأخذوا مالك ذاك وكبار كندة بمدينة مأرب إلى أن أحضروا ذلك الغلام مراء القيس وأعطوا رهائن من قبيلة كندة أولادهم وأبناء رؤساء. وكبار كندة وهبوا خفارة (غرامة) المقه والملكين أفراساً وركوبة وجِمالْ». ويقول بافقيه: «يظهر أن الأعراب في أواسط الجزيرة أصبحوا مصدر إزعاج لسبأ وربما لقوافلها مما حدا بالملوك إلى ابتكار نظام مُعيّن ـ نرى بعض مظاهره في هذا النص ـ يساعد على حفظ الأمن في تلك المناطق. ولم يذكر النص ماذا بدر من امرئ القيس مما أوجب إحضاره إلى الملكين»[(٢)]. بينما يقول الأستاذ مطهر الأرياني: «قام الملك إل شرح يحضب بحملة على مملكة كندة في اليمامة، وأعاد ملكها السابق إلى عرشه بدلاً عن ملكهم الذي نصبوه، وأرسل منهم من أخذه من كبار رجالهم رهائن إلى مدينة مأرب»[(٣)]. ويتبين من ذلك النقش أن قبيلة كندة تولت حكم وسط الجزيرة واليمامة منذ زمن بعيد ربما يعود إلى عهد بلقيس ملكة سبأ في القرن العاشر

---

(١) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ النقش رقم ٥٧٦.

(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د .محمد بافقيه ـ ص ١٣١.

(٣) نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني ـ ص ٢٥٩.

ق.م. وكان منهم مالك (ملككم) ملك كندة وامرأ القيس بن عوف ملك خصاصة (خصاصتن) في عهد «إلِ شرح يحضُب ملك سبأ» الذي يختلف الدارسون في تحديد زمنه، وتدل المصادر التاريخية التراثية والقرائن النقوشية أنه كان في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد وليس بعد الميلاد كما توهم بعض المستشرقين ولا قبل الملكة بلقيس كما ذكر الهمداني في الإكليل ونشوان الحميري وإنما بعد الملكة بلقيس في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد[١]. فكان فرع من قبيلة كندة في اليمامة ووسط الجزيرة وغالبية كندة في منطقتهم باليمن.

ب ـ **النقش رقم ٦٣٥ جام من محرم بلقيس**: وهو نقش باسم القائد (أبكرب أحرس بن عليم. أحد كبار قادة شعرام أوتر ملك سبأ..) ويذكر في النقش عودته من المهمة التي كلفه بها الملك شعرام أوتر إلى «قريّة ذات كهلم، إلى ربيعة ذي ثور ملك كندة وقحطان، وأرباب المدينة (قريّة)..»[٢] ويقول د. محمد بافقيه: «لعل ما جاء في هذا النقش (جام ٦٣٥) هو أقدم إشارة في نقوش المسند إلى مملكة كندة التي قامت في أواسط الجزيرة..»[٣] وقد سلف ذكر مجيء ذكرها في النقش (جام ٥٧٦) من عهد (إلِ شرح يحضب) فيكون ذكرها في هذا النقش (جام ٦٣٥) من عهد (شعرام أوتر) هو ثاني أقدم نص في نقوش المسند عن كندة وأنها كانت تحكم اليمامة ووسط الجزيرة وكان ملكها إذ ذاك (ربيعة ذي ثور ملك كندة وقحطان ـ بوسط الجزيرة واليمامة) وكانت عاصمتها مدينة (قريّة ذات كهلم) وهي المعروفة حالياً باسم (الفاو) في وادي الدواسر بإقليم وسط الجزيرة واليمامة. وكان (ربيعة ذي ثور) ملكاً لذلك الإقليم والمدينة (قريّة) في إطار مملكة سبأ في عهد (شعرام أوتر ملك سبأ وذي ريدان) في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد وهو الزمن الذي حدده أيضاً الهمداني في الإكليل لذلك الملك وتؤكده القرائن النقوشية لعصور ملوك سبأ التبابعة[١].

جـ ـ **النقش رقم ٦٦٥ جام من محرم بلقيس**: وهو نقش مسند من عهد (ياسر يُهنعم ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويُمانت) باسم القائد (سعد تالب بن جدن/ كبير أعراب ملك سبأ/ وكندة ومذحج وحرمم وبهلم وزيدايل/ وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمانت)[٢] وقال د. محمد بافقيه «..وقد ناقش جام لقب كبير الأعراب سعد تالب، فَقَسَّمَ القبائل التي ذكر أنها تحت إشرافه إلى قسمين:

---

(١) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٩٦ ـ ٣٥٥.

(٢) نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ ٦٣٥ و ٦٦٥.

(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د .محمد بافقيه ـ ص ١١٨ و ١٥٢.

الأول ويضم الأقل أهمية في نظر جام، وهي: كندة ومذحج وحرمم وباهل وزيدايل وممتلكات التاج (أعراب ملك سبأ)، والثاني ويضم الأكثر أهمية وهي: سبأ وحمير وحضرموت ويمنت. قال بافقيه: ولكننا إذا تأمّلنا ما جاء في النقش سنجد أن ما فعله سعد تالب إنما كان محاولة لحصر المناطق التي بها أعراب فبدأ بالتفصيل فَذَكَرَ القبائل البارزة وليست الأقل أهمية، ثم زيادة في الحيطة ورغبة في تأكيد شمولية إشرافه على الأعراب قال: وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت.. أي أعراب كل المناطق التي يتكون منها اللقب الملكي»[١]. والزمن الصحيح للنقش هو القرن الثامن قبل الميلاد.

د ـ **النقش رقم ٥٠٢ ركمانز بمأسل الجمح من عهد أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ**: وهو نقش مسند منحوت في صخور وادي مأسل الجُمح بإقليم اليمامة ـ على بعد ٢٥ كلم من الرياض في شمال الجزيرة العربية ـ «ويذكر النقش أن أبا كرب أسعد وابنه حسان يهامن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت وأعراب طود وتهامت، زارا ذلك الموضع ـ مأسل الجمح ـ في ركب من أعراب كندة»[٢]. وكذلك النقش رقم ٥٠٩ ركمانز في صخور مأسل الجمح ويذكر «أن أبا كرب أسعد ملك سبأ... مرّ بذلك الموضع ومعه فرسان وقبائل سود (SWD) ول ح (Wlh) وكندة.. وكل فرسان أشعب سبأ وحمير وحضرموت ـ الذين كانوا معه ـ..»[٣] وقد ذكر الحسن الهمداني في الإكليل «أن بخت نصّر ملك بابل كان في أيام أبي كرب أسعد تُبع وحسان بن أسعد»[٤] ويتفق ذلك مع ما تدل عليه الدراسات الجديدة والقرائن النقوشية بأن الزمن الصحيح لأبي كرب أسعد الأول ملك سبأ هو القرن السابع قبل الميلاد، وكانت منطقة مأسل الجمح من قرى ووديان إقليم اليمامة التي كانت تحكمها كندة في وسط الجزيرة واليمامة في ذلك العصر وفي سائر عصور ملوك سبأ التبابعة ومكارب سبأ وملوك معين في قرون ما قبل الميلاد.

هـ ـ **آثار (قرية/ الفاو) عاصمة كندة في إقليم اليمامة ونجد**: وقد قامت بعثة أثرية بإشراف الدكتور عبد الرحمن الأنصاري من جامعة الرياض بالتنقيب في موقع مدينة (قريّة) واسمها حالياً (الفاو) وقد نشرت مجلة (المجلة) مقابلة مع د.

---

(١) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١١٨ و ١٥٢.
(٢) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٥٩.
(٣) ملحمة أسعد ـ د. بيتروفسكي ـ النقش ٥٠٩ ركمانز.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠١ جـ ٨.

عبد الرحمن الأنصاري عام ١٩٨٧م عن مكتشفات (قريّة/ الفاو) حيث قال ما يلي نصه: «إن قريّة (الفاو) تعتبر مدينة تاريخية في عصرها، وكانت عاصمة لدولة كندة. والشواهد على ذلك كثيرة: النقوش القديمة، الموجودات الأثرية، النصوص. ولعبت دور السيادة في منطقة الجزيرة العربية كعاصمة. وقبل أن تكون عاصمة لعبت الدور الحيوي كمستوطنة من المستوطنات العربية القديمة (مستوطنة معينية يمنية) حيث تتمتع بموقع استراتيجي على الطريق التجاري بين جنوب الجزيرة العربية والخليج. فكانت ممر القوافل ما بين عدن إلى مأرب ونجران ثم إلى وادي الدواسر فهي عنق الزجاجة التجاري، وكانت الفاو بموقعها المتميز ملتقى حضارة الشمال والجنوب والشرق والغرب ـ تجارة العراق ـ تجارة الشام. وعاشت حضارة الفاو حوالي ستة قرون متصلة على مرحلتين تاريخيتين متميزتين: الفترة الأولى سميناها (الفترة المعينية) ـ ويقصد بها فترة ما قبل الميلاد ـ والفترة الثانية سميناها (الفترة الكندية) ـ وفترة ما بعد الميلاد ـ. وقرية الفاو مدينة كبيرة بمنظور ذلك العصر، طولها ٢ كيلومتر وعرضها ٧٥٠م. وفي وقتها كانت مدينة الفاو أكبر من مدينة الرياض قبل ٧٠ سنة تقريباً. إنّها باختصار مدينة ذات شأن تاريخي، تمثلت فيها كل العناصر الحضارية: الكتابة ـ العمارة ـ النسيج بأنواعه، الحرير، الكتابات، الصوف، المشغولات اليدوية ـ المعادن، وضربت فيها النقود مما يشير إلى أنها كانت قوة اقتصادية كبيرة أيضاً. وجدنا فيها مجموعة من التماثيل، المعابد الكثيرة، المال، الديانات المتعددة، حركة تجارية قوية، أسواق ضخمة، دكاكين، حركة متطورة في الفن التشكيلي، مقابر متميزة حيث وجدنا ثلاثة نماذج من المقابر: المقابر الملكية، مقابر النبلاء، مقابر عامة الشعب. والمقبرة عبارة عن مجموعة غرف للتجهيز والدفن، وقد استطعنا أن نتعرف من خلال مقبرة خاصة إلى أسرة من ثلاثة أجيال، فشواهد القبور في هذه المقبرة دلّتنا على تسلسل تسعين سنة لأسرة واحدة دفنت في هذه المقبرة. ومن خلال هذه المقابر استطعنا أن نتعرف على نوعية السكان حيث إنهم جميعاً قبائل عربية، لم نجد أي أسماء غير عربية وإنما أسماء عربية مثل أسد وتميم وقحطان»[١].

ومن النقوش المعثور عليها هناك (نقش عجل بن هفعم) وهو نقش يمني مكتوب بالمسند. قال عنه الأستاذ مطهر الأرياني: «لعل أول من قام بنشر نقش (عجل بن هفعم) الموجود في أطلال (قرية) بمنطقة (الفاو) من أرض اليمامة، هو الدكتور

---

(١) مجلة المجلة ـ العدد ٨/٤٠٨ ـ ١٢ ـ ١٩٨٧م.

عبد الرحمن الأنصاري رئيس البعثة التي انتدبتها جامعة الرياض إلى منطقة (قرية/الفاو) للإشراف على بعض التنقيبات الأثرية هناك.. ومحتوى النقش هو كما يلي:

«عجل بن هف عم بنئ لأخيه ربيبل بن هف عم قبراً. وهو له ولأولاده وامرأته وأولادها وأحفادهم ونسائهم الحرائر من آل غلوان. فأعاذه بكهل ولاه وعثتر الشارق من كل قوي وضعيف وشار ومرتهن أبداً، ومن كل منتقص إلى أن تمطر السماء دماً والأرض سعيراً»[١].

وقد أعاذ عجل بن هفعم القبر بالإله (كهل) وبالإله (لاه) وبالإله (عثتر الشارق). ويقول مطهر الأرياني: «كهل هذا اسم الإله الخاص بمدينة (قرية) هذه إلى حد أنها أحياناً تعرف به فيقال في النقوش (قرية ذات كهل)..»[١] أما (لاه) فهو (اللّه) وعثتر الشارق من الآلهة المذكورة في النقوش اليمنية الحميرية. ولم تذكر الدراسة زمن النقش ونرى أنه يعود إلى القرن الرابع الميلادي الذي بدأت في أوائله المرحلة الكندية لمدينة (قرية) في إطار الدولة الحميرية.

ملوكية حجر آكل المرار وكندة لليمامة والحجاز في عهد تُبّع ملشان:

إنّ حُجْراً آكل المرار هو (حُجر بن عمرو بن مَعَاوية الأكرمين بن الحرث الكندي) وقد جاء في كتاب الاستيعاب: أن معاوية الأكرمين: ابن الحرث الأصغر ابن الحرث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن ثور بن عفير بن عَدِي بن مُرّة بن أدد بن زيد الكندي»[٢] وكان بنو معاوية الأكرمين رؤساء كندة وحضرموت. وقد جاء في نقش عبدان الكبير «أن كندة كانت مع ملشان أريم ذي يزن والحميريين عندما حارب واجتاح ملشان مملكة حضرموت وقضى عليها» وكان ذلك عام ٢٩٠ ميلادية، حيث قامت بزعامة ملشان دولة تبابعة حِمْيَر وهي الدولة الحميرية التي شملت كل أرجاء اليمن بمدلولها الواسع القديم إلى مفاوز عُمان شرقاً وإلى يبرين جنوب اليمامة شمالاً والبحر الأحمر غرباً والبحر العربي جنوباً.

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي ـ حوالي عام ٣١٠ ميلادية ـ قام تُبّع ملشان بقيادة حملات حميرية واسعة إلى اليمامة والبحرين ونجد والحجاز حيث يتبين من نقش عبدان الكبير ـ وكما ذكر د. محمد بافقيه ـ «أن ملشان أريم تولى قيادة حملات واسعة خارج اليمن في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة خاصة في ما كان يُعرف باليمامة وفي أطراف نجد وفي البحرين بمدلولها الواسع القديم»[٣] وأنه بلغت

---

(١) نقش عجل بن هفعم ـ مطهر الأرياني ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣م.
(٢) الاستيعاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ١٠٩ جـ ١.
(٣) اليزنيون ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣ ـ سبتمبر ١٩٨٣م.

الحملات «إلى آبار سجا بين أرض نزار وأرض غسان»[١] ويعطينا ذلك النقش الدليل المادي على ما ذكرته كتب التاريخ التراثية وما ذكره عنها ابن خلدون قائلاً: «لما دوَّخ (حسان) تُبَّع بلاد العرب وسار في الحجاز وهَمّ بالانصراف وَلَّىٰ على معد بن عدنان كلها أخاه لأمه حُجر آكل المُرار بن عمرو الكندي»[٢] فوقع التباس في قولهم (حسان تُبّع) حيث يتبين من النقش أنه (ملشان) وهو أول تبابعة الدولة الحميرية، وكان حُجْر آكل المرار شقيق تُبّع ملشان من أُمّه وكان معه في تلك الحملات لتوحيد الجزيرة العربية.

وقال ابن الأثير ما يلي نصه: «كان حُجر آكل المرار ملك العرب بنجد.. وسبب ملكهم العرب بنجد أنه كان سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وأكل القوي الضعيف؛ فنظر العقلاء في أمرهم فرأوا أن يملّكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي، فنهاهم العرب، وعلموا أنّ هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لأنه يطيعه قوم ويخالفه آخرون. فساروا إلى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا أن يُملَّك عليهم ملكاً، فَمَلّك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقَدِم عليهم ونزل ببطن عاقل، وأغار ببكر فانتزع عامة ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر..»[٣].

ويتبين من الربط بين ما ذكرته كتب التاريخ التراثية والنقوش ما يلي:

أ ـ إن امرأ القيس بن عمرو اللخمي اليماني كان ملك إقليم الحيرة بالعراق في إطار الدولة الفارسية وقد حدد (بيستون) زمن تمليك امرىء القيس بن عمرو اللخمي (بأن ولايته جاءت بعد معاهدة السلام بين الفرس والروم عام ٢٩٧م والتي دامت ١٤ سنة»[٤]. وقد سيطر امرؤ القيس بن عمرو على نجد واليمامة والبحرين ووصف نفسه في نقش النمارة بأنه «امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم ـ ذي أسرى إلى ثاج ـ وأخضع الأسديين ونزار». وثاج من المدن التاريخية في إقليم البحرين، وكانت تسكن إقليم البحرين إلى اليمامة قبائل من ربيعة بن نزار وقبائل من الأزد اليمنيين، فشملها حكم امرىء القيس بن عمرو بحيث جاء في النقش أنه «..ملك العرب.. وملك الأزديين ونزار». وقد لجأ امرؤ القيس بن عمرو في آخر أيامه إلى الشام ومات هناك في النمارة حيث تم العثور على نقش قبره المشهور بنقش النمارة وهو مؤرخ

---

(١) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص ١٣٨/٢.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٧٦.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٤ جـ ١.

(٤) نزار وإقليم البحرين ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٨/ ديسمبر ١٩٨٤م.

بالموافق لعام ٣٢٨م ولكن لجوءه إلى النمارة كان قبل عام ٣١٠م ويبدو أن حكمه كان قد انتهى على يد الملك الفارسي سابور الثاني الذي ربما أخضع إقليم الحيرة للحكم الفارسي فترة من الوقت. وقد قضى امرؤ القيس بن عمرو اللخمي بقية حياته في النمارة بسورية حتى وفاته عام ٣٢٨ ميلادية[١].

ب - إنّ رؤساء قبيلة بكر بن وائل الربيعية باليمامة والبحرين جاءوا إلى تُبّع ملك اليمن حيث ـ كما ذكر ابن الأثير ـ «طلبوا منه أن يُملّك عليهم ملكاً، فَمَلّك عليهم حُجر بن عمرو آكل المرار الكندي..» بينما ذكر ابن الكلبي والهمداني وابن خلدون وغيرهم من المؤرخين: «أن تُبّعاً ملك اليمن سار بنفسه وبجيشه إلى اليمامة، وكان على مقدمته عبد كلال بن مثوب بن ذي رعين.. وكان في أيام سابور ملك فارس» ـ وهو سابور الثاني معاصر قسطنطين ملك الروم عام ٣٠٦ ـ ٣٣٦م فاجتاح تُبّع إقليم اليمامة ونجد وإقليم البحرين، ولا يتعارض ذلك مع استدعاء قبيلة بكر إياه وطلبهم الانضمام إلى دولة اليمن وأن يُملّك عليهم ملكاً، فقد استلزم ذلك اجتياح وإخضاع القبائل الأخرى بتلك الجهات والتي كان بعضها يرتبط بملوك الحيرة اللخميين المرتبطين بالدولة الفارسية. لقد ذكر ابن الأثير: أن حجراً آكل المرار «انتزع عامة ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر»، ويستفاد من ذلك أن حجراً كان مع تُبّع ملك اليمن الذي هو «ملشان أريم» في تلك الحملات التي ذكرها نقش عبدان الكبير، حيث ـ كما يذكر د. محمد بافقيه ـ «في نقش عبدان فقرة تتحدث عن غارة حميرية بلغت يبرين، تلك الواحة الغارقة في بحر من الرمال، والغنية بمصادر المياه ككل واحات المنطقة، وانطلقت الحملة إلى أماكن أخرى منها هجر ـ قاعدة إقليم البحرين ـ، وفي إحدى الفقرات ـ يذكر النقش ـ غارة استهدفت جوّ والخرج، وانتقل المغيرون ليحاربوا قبيلتين ذُكرتا بالاسم و (عشائر من معدّ). والخرج كما هو معروف من مواضع إقليم اليمامة المحاد من الغرب لإقليم البحرين، تفصلهما رمال الدهناء بمراعيها الخصبة. والإقليمان ـ اليمامة والبحرين ـ يشكلان معاً إقليماً واحداً هو إقليم العروض.. وتحدث نقش عبدان الكبير في إحدى فقراته عن غارة شنّتها قوات حميرية على معدّ وبلغت أرض نزار وأرض غسان ـ [ما بين أرض نزار وأرض غسان] ـ ومع أن النقش لا يحتوي في الجزء المقروء على ما يحدد هذه الأرض صراحة، إلا أنه يذكر أن القوات الحميرية اصطدمت هناك (بعشيرة شن وبني نكرة وبني... وعبد القيس) وكلها قبائل أو بطون مهما اختلف النسابون حولها فهم متفقون على كونها من ربيعة، من نزار، وعلى أنها (ربيعة بالذات) صاحبة إقليم

---

(١) تابعة اليمن السبعون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٦٥٦.

البحرين..»[١] واستناداً إلى ذلك النقش يقول د. محمد بافقيه: «لعل الحميريين لم يكونوا بعيدين عن نجاح أسرة حجر بن عمرو آكل المرار الكندية في بسط نفوذها على قبائل معديّة في مناطق موغلة في شمال الجزيرة العربية»[٢]. والواقع أن ذلك هو ما ذكرته كتب التاريخ العربية فقد كان حُجر آكل المرار وفرسان كندة مع تُبّع ملشان في تلك الحملات التي شملت إقليم اليمامة ونجد وإقليم البحرين وإقليم الحجاز، وقد جاء ذكر تلك الحملات أيضاً في أشعار تُبّع التي ذكرنا بعضها في المبحث السابق عن (تُبّع ملشان) فعشيرة بني نكرة أو بني نمرة وبني شن هم بنو نمير في قول تُبّع:

نميراً جعلتُ لَحْوكِ البرُود ... وحَذْو النعال ووضع اليلبْ

(وشَناً) جعلتُ بأرض الحجاز ... لنسج العباء وخرز القِرَبْ

وقد ذكر النقش الحملات إلى أرجاء إقليم اليمامة من (يبرين) إلى (جوّ) وهي مدينة اليمامة وإلى (الخرج) التي تقع في حدود إقليم البحرين ثم إلى (هَجَرْ) وهي قاعدة البحرين، وقد جاء ذلك في شعر تُبّع حيث قال:

وَطَحَنَّا قُرى اليمامة بالخيل ... (زماناً) نُعِيدُ فيهم ونُبْدي

ثم أحدثت بالمُشَقَّرِ أرضاً ... وجِناناً تَحِلُّها الناس بعدي

قال الحسن الهمداني: «إذا أجملنا أرض البحرين وهي أرض المشقر، فهي: هَجَر مدينتها العظمى، والعقير، والقطيف، والاحساء، ومحلم نهرهم. ومما يطوف بها.. سفوان، وكاظمة، ومسلحة بثر، والنقيرة، والسودة، ووادي أبي جامع، والشربة، والقرنتان..»[٣] ويتبين من ذلك أن أرض البحرين وهي أرض المشقر كانت تشمل كل منطقة الخليج العربي (التي هي حالياً الإمارات العربية المتحدة وإقليم الإحساء ـ شرق السعودية ـ وقطر والبحرين والكويت (كاظمة) إلى تخوم العراق). وقال الهمداني: «ـ إن أرض البحرين سُميت البحرين لأجل نهرها مُحلّم، وكان نهراً عظيماً بهجر البحرين، يُقالُ أن تُبّعاً نزل عليه فهاله»[٣]. وقال: «المشقر: بالبحرين نحو هَجَرْ، وبه نخل لا يبرح الماء أصوله» وجاء في هامش الإكليل أن «المشقر: حصن بالبحرين عظيم، وكان إلى جانبه مدينة هَجَرْ قاعدة البحرين»[٣] ويبدو أن تُبّع ملشان هو الذي قام ببناء حصن المُشَقَّر لقوله:

ثم أحدثتُ بالمُشقر أرضاً ... وجِناناً تحلّها الناسُ بعدي

(١) نزار وإقليم البحرين ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٨/ ديسمبر ١٩٨٤م.
(٢) اليزنيون ـ د. محمد بافقيه ـ مجلة دراسات يمنية ـ العدد ١٣/ سبتمبر ١٩٨٣م.
(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١٧ و ٣٣٠ و ٣٠٦.

وكان حصن المشقر مركز الحكم لإقليم البحرين منذ ذلك الزمن، ما لم يكن موجوداً قبل ذلك، وقال الهمداني: «الهَجَر: القرية بلغة حمير والعرب العاربة.. ومن أسواق العرب القديمة: هَجَر البحرين»[١]. وهي مدينة (هَجَرْ) في نقش حملات تُبّع ملشان إلى اليمامة والبحرين. وكانت تسكن أرض البحرين قبائل أزدية وحميرية يمانية وقبائل ربيعة التي منها بكر بن وائل وعبد القيس، فقد ذكر العوتبي: «..أن الأزد بسطوا سيطرتهم على عمان والإحساء والبحرين»[٢] وقال حسان بن جيشان عن ذلك:

وأزد لها البحران والسِيف كله وأرض عُمانٍ بعد أرض المُشقر

وقال ابن خلدون: «سارت تيم اللات من قضاعة الحميرية وبعض بني رفيدة منهم وفرقة من الأشعريين نحو البحرين ونزلوا هَجَر، فأجلوا من كان بها ومَلَكُوها»[٣]. قال الهمداني: «وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سِيف كاظمة إلى البحر»[١] وسيف كاظمة هو ساحل الكويت ومعنى سِيف ـ بكسر السين ـ ساحل البحر.

وقد ولّى تُبّع ملشان حُجْراً آكل المرارُ الكندي على إقليم البحرين واليمامة ونجد والحجاز لما سار تُبّع ملشان من البحرين واليمامة حتى بلغ (آبار سَجَا بين أرض نزار وأرض غسان) وهي منطقة آبار سجا بين أعالي الحجاز والشام. إذْ أنه (لمّا دوّخ تُبّع جزيرة العرب وسار في الحجاز وهَمّ بالانصراف إلى اليمن، ولّى على قبائل معدّ بن عدنان كلها (ونجد واليمامة مع البحرين) أخاه لأمّه حُجر آكل المُرار بن عمرو الكندي». وكان ذلك ما بين عام ٣١٠ وعام ٣٢٠م بالقرن الرابع الميلادي.

نبأ موقعة البردان بين حُجْر آكل المرار وزياد بن هبولة بأعالي الحجاز:

لما وَلّى تُبّع ملشان حُجراً آكل المرار على الحجاز ونجد ومنها اليمامة استخلف حُجُر آكل المُرار جماعة من أصحابه في منطقة أعالي الحجاز (ربما منطقة آبار سجا) وترك هناك عائلته، وسار حُجر بفرسان كندة وربيعة الذين معه إلى إقليم البحرين حيث كانت بعض المناطق بيد اللخميين عُمال الفرس فأخرجهم منها، وقد تقدم قول ابن الأثير: «أغار حُجر آكل المرار ببكر فانتزع عامة ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر». آنذاك أغار زياد بن هبولة الضجعمي ملك أطراف الشام على منطقة أعالي الحجاز حيث كما جاء في كتاب الكامل: «كان من حديث يوم البردان، إن

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١٧ و ٣٣٠ و ٣٠٦.

(٢) تاريخ عمان ـ العوتبي ـ مصادر التاريخ العماني ـ د. فاروق عمر ـ ص ١٧.

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢/٢٤٠.

زياد بن الهبولة ملك (أطراف) الشام وكان من سَلِيح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو ـ آكل المرار ـ ملك عرب نجد، وكان حجر قد أغار في كندة وربيعة على البحرين، فبلغ زياداً خبرهم فسار إلى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف ورجالاتهم في غزاتهم المذكورة، فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم ابن وهب بن الحرث بن معاوية الكندي ـ امرأة حُجر ـ ، وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد، وقد عادوا من غزوهم فساروا في طلب ابن الهبولة. . فأرسل حجر آكل المُرار سدوس بن شيبان وصليع بن عبد غنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم عسكر زياد، فخرجا حتى دخلا على عسكره ليلاً وقد جيء بالشمع فأطعم الناس تمراً وسمناً فلما أكل الناسُ نادى زياد: من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر، فجاء سدوس وصليع بحطب وأخذا قدرتين من تمر وجلسا قريباً من قبته، ثم انصرف صليع إلى حُجر، فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر. أما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتيه بأمرٍ جليّ؛ وجلس يتسمع ما يقولون، وهند امرأة حجر خلف زياد فقالت لزياد: إن هذا التمر أُهديَ إلى حُجر من هَجَر والسمن من دومة الجندل. . ودنا زياد من امرأة حجر فقبّلَها وداعبها وقال لها: ما ظنك الآن بحُجر؟ فقالت: ما هو ظن ولكنه يقين إنه واللّه لن يدع طلبك حتى تعاين قصور الشام وكأنّي به في فوارس من بني شيبان وكندة يذمرهم ويذمرونه، وهو شديد الكَلَب تزبد شفتاه كأنّه بعير أكل مُراراً، فالنجاء النجاء، فإن وراءك طالباً حثيثاً وجمعاً كثيفاً وكيداً متيناً ورأياً صليباً، فرفع يده فلطمها وقال لها: ما قلت هذا إلا من حبك له، فقالت: واللّه ما أبغضت أحداً بغضي له، ولا رأيت رجلاً أحزم منه نائماً ومستيقظاً. . فسمع سدوس ذلك كله فسار حتى أتى حُجراً فلما دخل إليه قال:

أتاك المرجفون بأمر غيبٍ ... على دهش وجئتك باليقين
فمن يكُ قد أتاك بأمر لَبْسٍ ... فقد آتي بأمر مُستبين

ثم قصّ عليه ما سمع، فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب، فسُمّي يومئذ آكل المرار، والمُرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة إلا قتلها. ثم أمر حُجْر فنودي في الناس وركب وسار إلى زياد فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم زياد وأهل الشام وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأخذ حُجر زوجته هنداً فربطها في فرسين ثم ركضهما حتى ماتت، وقال فيها:

إنّ من غرّه النساءُ بشيءٍ ... بَعْدَ هِنْدٍ لجاهلٌ مغرورُ
حلوةُ العين والحديثِ ومُرٌّ ... كل شيء أجنّ منها الضميرُ
كل أُنثىٰ وإن بَدَىٰ لك منها ... آية الحب، حبها خيتعورُ»

قال ابن الأثير: «قال بعض العلماء إن زياد بن هبولة السليحي ملك الشام وهذا غير صحيح لأن ملوك سَلِيح كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم ومنهم أخذت غسان هذه البلاد، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم، ولم تكن سَلِيح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال.. وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح خمسمائة سنة وأقل ما سمعت فيه ثلاثمائة سنة وست عشرة سنة، وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة أخرى.. وحيث أطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها، وأصلح ما قيل فيه: إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام..»[١].

ويتبين من البحث في المصادر التاريخية أن قبيلة غسان الأزدية هاجرت من اليمن واستقرت ببادية الشام وأطراف الشام في أوائل القرن الثالث الميلادي، وكان بنو الضجاعم السَلِيحيون القضاعيون ملوكاً على قبائل العرب بالشام من جانب الروم، قال ابن خلدون: «..وكانت غسان لأول نزولها بالشام طَالَبَها ملوك الضجاعم بالأتاوة، فَمَانَعتْهُم غسان، فاقتتلوا، فكانت الدائرة على غسان وأدّت الأتاوة للضجاعم..»[٢] ثم وقعت حرب بين غسان وبني سليح الضجاعم وكان ملكهم (سبطة بن هبولة)، وهو سبطة بن المنذر بن داود اللثق الضجعمي السليحي وكان ملكاً على أرض البلقاء وما كان إليها من الشام وقد مَلّكه الروم. وكان رئيس غسان جذع بن عمرو بن المجالد ابن الحارث الغساني. قال ابن خلدون: «وغلب جذع بن عمرو الغساني رجال سليح ورئيسهم سبطة بن المنذر بن داود، فالتقوا، فغلبتهم غسان، وأقادتهم»[٢] وبذلك بدأت رئاسة غسان على قبائل العرب بالشام في أوائل القرن الرابع الميلادي مع استمرار رئاسة الضجاعم حيث كان زياد بن الهبولة ـ أخو سبطة بن المنذر ـ ملكاً على بعض أطراف الشام بعد مقتل سبطة على يد جذع بن عمرو الغساني ـ قال ابن خلدون: «وسار زياد بن هبولة بمن أبقى السيف منهم إلى الحجاز فقتله حُجر آكل المرار الكندي والي التبابعة على الحجاز، فأفنىٰ بقية الضجاعم فلم يبق منهم إلا القليل»[٢] فاكتملت بذلك رئاسة غسان للعرب بالشام، ويدلُّ ذلك على أن دولة اليمن الحميرية ممثلة بعامل الحجاز ونجد حُجر آكل المُرار الكندي ساهمت في تحقيق رئاسة غسان للعرب بالشام وبالتالي في قيام دولة الغساسنة بالشام في تلك الفترة وكان ملك الروم آنذاك الملك قسطنطين الأول

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ جـ ١.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٤ و ص ٢٨٠ جـ ٢.

(٣٠٦ ـ ٣٣٦م) وكانت قد وقعت هدنة بين الروم والفرس عام ٢٩٧م واستمرت ١٤ سنة (إلى عام ٣١١م) ثم فسدت الأمور بين الفرس والروم بحيث ـ وكما ذكر ابن خلدون: «تفرد الغساسنة بملك الشام، وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس، فخاف ملك الروم أن يعينوا عليه فارساً، فكتب إليهم واستدناهم، ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو أخو جذع بن عمرو، فكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمرٌ أمدَّهم بأربعين ألفاً من الروم، وإن دهمه أمر أمدَّته غسان بعشرين ألفاً. وثَبَت ملكهم على ذلك وتوارثوه»[1]. وكان جفنة بن عمرو الغساني ـ أخو ثعلبة وجذع بن عمرو ـ أول الملوك الغسانيين وهو الذي قام ببناء جِلْق دمشق، وكذلك شهدت تلك الفترة بداية مُلك المناذرة بإقليم الحيرة بالعراق حيث قام سابور ملك الفرس بتمليك «النعمان بن امرىء القيس بن عمرو، وهو النعمان ابن الشقيقة، صاحب الخورنق. وقال المسعودي: «إن صاحب الخورنق هو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر» وهو الأصوب. وكان كل ذلك في عهد تُبّع ملشان زعيم دولة اليمن الحميرية ونائبه على اليمامة ونجد والبحرين والحجاز حُجر آكل المرار بن عمرو الكندي.

خاتمة أنباء حُجر آكل المرار الكندي والملوك الكنديين من بعده:

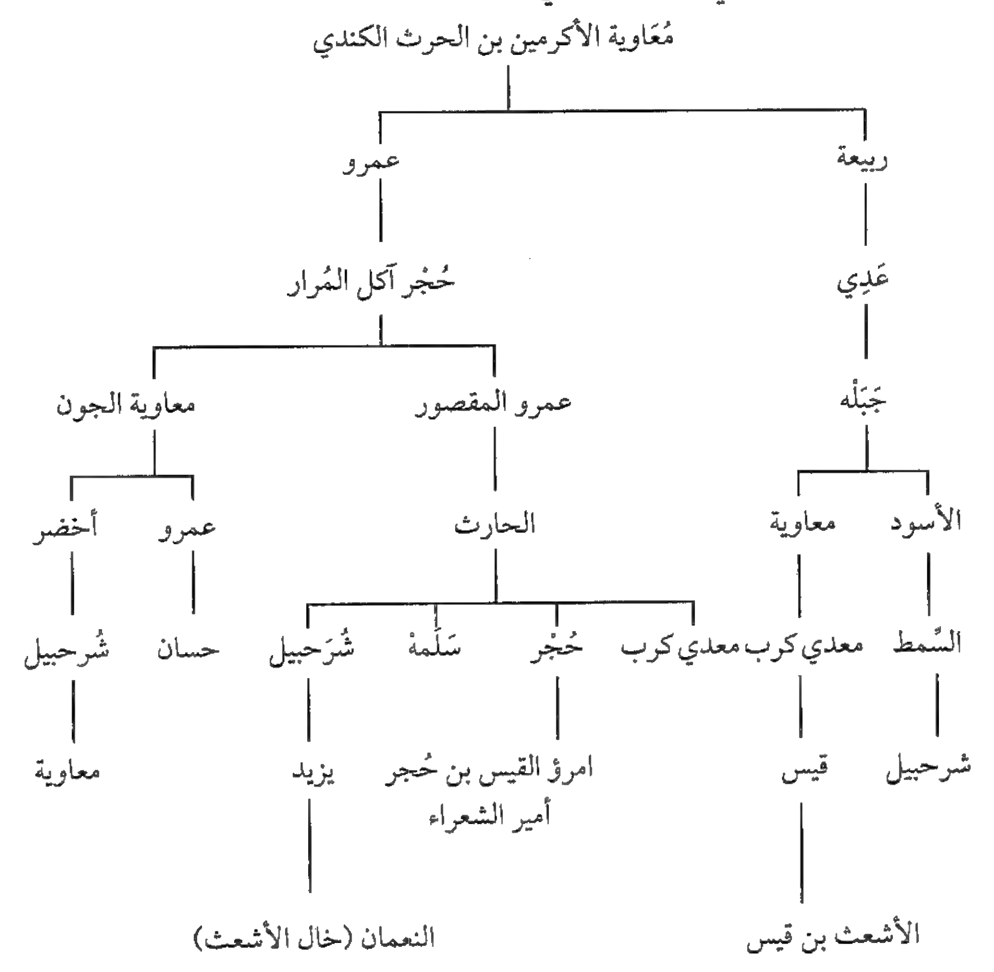
لم تذكر المصادر من شعر حجر آكل المرار سوى الأبيات الثلاثة سالفة الذكر والتي تكفي لمعرفة أنه كان شاعراً، ولكن أهميته التاريخية تتمثل في أنه أول الملوك الكنديين لأقاليم اليمامة ونجد والبحرين والحجاز في عصر الدولة الحميرية وملوكها التبابعة. وكانت مدينة قريّة (الفاو) في إقليم اليمامة هي عاصمة الملوك الكنديين بإقليم اليمامة ونجد حيث عادت مدينة (قرية/ الفاو) كعاصمة لكندة منذ ذلك العهد وبدأ تاريخ (الفترة الكندية في مدينة قرية/ الفاو) والذي يمتد في القرنين الرابع والخامس الميلاديين إلى أوائل القرن السادس الميلادي وقد بلغت مدينة (قرية/ الفاو) الشأو الحضاري والسياسي والتجاري الذي سلف تبيينه.

وقد حكم حُجر آكل المرار فترة طويلة، وقد سلف قول ابن خلدون: «إن تُبّعاً لما سار في الحجاز وهَمَّ بالانصراف، وَلَّى حُجراً آكل المُرار بن عمرو الكندي على قبائل معد بن عدنان كلها، فدانوا له، وسار فيهم أحسن سيرة. .» ثم ذكره أيضاً بأنه «حجر آكل المُرار بن عمرو: والي التبابعة على الحجاز» وذلك لأنه حكم فترة طويلة تشمل عهد تُبّع ملشان الذي توفي عام ٣٣٢م ثم عهد أبنائه عمرو بن تُبّع وشرحبيل ومعدي كرب إلى عام ٣٥٥م وعهد الملك عبد كلال بن مثوب ذي رعين ملك

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٩٤ و ص ٢٨٠ جـ ٢.

حمير الذي حكم إلى عام ٣٦٩ ميلادية. فقد دام حكم حجر آكل المرار نحو سبعين سنة فيكون ذلك من حوالي عام ٣١٠ ـ ٣٨٠م وقد ذكر ابن الأثير أنه مات ودُفن ببطن عاقل من ديار بكر بن وائل(١) وقد كان ابن عمه: عَدِي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحرث الكندي ملكاً على كندة وحضرموت باليمن في إطار الدولة الحميرية، فقد تفرعت من بني معاوية الأكرمين أسرتين حكمت إحداهما منطقة كندة وحضرموت باليمن، ـ وهم: بنو عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ـ وحكمت الأسرة الثانية اليمامة ونجد إلى البحرين والحجاز ـ وهُم بنو حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية الأكرمين الكندي. ويتبين من المصادر التاريخية ترتيب ونسب الملوك الكنديين كما في الجدول التالي:



فأولئك الملوك جميعاً من بني معاوية الأكرمين، قال الشاعر الجاهلي أعشى

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٤ جـ ١.

قيس في قصيدة مدح بها الملك قيس بن معدي كرب الكندي ملك حضرموت بالجاهلية:

فـإنَّ مُـعَـاوِيَـة الأكْـرمِـيـن عِـظَـامُ الـقِـبَـابِ، طـوالُ الأمـمْ
متـى تَـدْعُـهُـم لـلـقـاءِ الـحُـرُو بِ، تـأتِكَ خَـيْـلٌ لـهـم غَـيـرُ جُـمْ
إذا مـا هُـمُ جـلـسُـوا بـالـعـشِـيّ فـأحـلام عـادٍ وأيـدي هُـضُـم[١]

وقد مات حُجر آكل المرار حوالى عام ٣٨٠م حيث كما ذكر ابن الأثير: «فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار ملكاً بعد أبيه، وهو عمرو المقصور، وكان أخوه معاوية وهو الجون ملكاً على اليمامة»[٢] وكان عمرو المقصور ما يزال ملكاً في عهد تُبّع حسان بن ذي غيمان الحميري الذي حكم في الفترة (٤٤٥ ـ ٤٥٦م) قال الهمداني في شرح الدامغة: «كانت أم عمرو المقصور ابنة حسان، ورتَّبَهُ حسان بالمشقر حصن البحرين». والأصوب أن الذي كانت أمه بنت حسّان هو الحارث بن عمرو المقصور حيث كما ذكر الطبري: «..فولدت بنت حسان لعمرو المقصور بن حُجْر: الحارث بن عمرو» (اهـ). وكان معاوية الجون بن حجر ملكاً باليمامة وعمرو المقصور بن حُجْر ملكاً بالمُشقر والبحرين حتى بلغ من الكبر عتياً ومات في أواخر عهد حسان بن ذي غيمان وقد مات حسان عام ٤٥٦م. وفي تلك الحقبة أيضاً كان جبلّة بن عدي الكندي ملكاً على كندة وحضرموت باليمن.

قال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ تُبّع (أسعد) بن حسان على حِمْيَر، وهابته جميع العرب، وبعث بابن أخته الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد (نجد) والحيرة وما والاها..»[٣] وقد تولى أسعد تُبّع بن حسان الحميري حكم اليمن وقام بحملات واسعة إلى البحرين واليمامة ونجد والحجاز لإعادة وتعزيز قوة ونفوذ الدولة في تلك الأرجاء وولّى عليها الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي، وكان عهد أسعد تُبّع بن حسان في الفترة (من ٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وقد امتد حكم الحارث بن عمرو إلى إقليم الحيرة بالعراق. قال

---

(١) قوله (طوال الأمم) جاء في هامش ديوان الأعشى أن (الأمم: سادات القوم ورؤساؤهم. الواحد: أمّ). والأصوب أن الأمم: القامة.
وقوله (غير جُمْ) أي لا يوجد بين الفرسان من هو غير مسلح. الجم: الواحد أجم: وهو من لا رمح معه.
وقوله (أحلام عاد) أي أن حلمهم قديم. والهضم: اليد التي تجود بما لديها.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٤ جـ ١.
(٣) يمانيون في موكب الرسول ﷺ ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٧٥٥ ـ ٨١٤.

ابن الكلبي: «لما وُلّي الحارث بن عمرو على معدّ ونجد اشتدت وطأته، وعظم بأسه، ونَازَعَ ملوك الحيرة». وذكر ابن خلدون: أن عرب الحيرة «جاؤوا بالحارث بن عمرو فمَلَّكوه، وقاتلوا معه، وظَهَرَ على من قاتله من العرب». وكان المنذر بن ماء السماء ملكاً بالحيرة وكان شاباً صغيراً، واستمدّ المنذر الملك الفارسي قباذ، وكان قباذ مُضعفاً، فأبَىٰ أن يُمدّه. ويُقال إن قباذ دعا المنذر إلى دين المزدكية، فأبىٰ المنذر. ثم «كتب المنذر إلى الحارث بن عمرو: أنّي في غير قومي وأنت أحقّ من ضَمّني وأنا مُتحولٌ إليك، فتحوَّل إليه، وزوَّجه الحارث بنته هنداً». ثم اعترف قباذ بالحارث بن عمرو ملكاً للحيرة، فانتقل الحارث إلى إقليم الحيرة وقد ولّى أبناؤه على مناطق وقبائل اليمامة ونجد والبحرين حيث «ولّى سَلَمَة بن الحارث ملكاً على بكر بن وائل وتغلب. وشرحبيل بن الحارث ملكاً على بني سعد والرباب، ومعدي كرب بن الحارث ملكاً على قيس وكنانة، وحجر بن الحارث ملكاً على بني أسد وطوائف من تميم والرباب في نجد». فمكث الحارث ملكاً للحيرة وأولاده ملوكاً على مناطق وقبائل اليمامة ونجد والبحرين ومناطق من الحجاز منذ عهد أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) إلى عهد يوسف أسار ملك اليمن (٥١٥ ـ ٥٢٥م) وإلى نهاية عهد قباذ ملك فارس حوالي عام ٥٢٧م، ولما مات قباذ تولى الحكم كسرى أنوشروان بن قباذ. قال ابن الكلبي: «فلما قوي سلطان كسرى أنوشروان بعث إلى المنذر ـ ابن ماء السماء ـ فَمَلَّكه على الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو». وكان الحارث قد صار شيخاً عجوزاً فخرج من الحيرة إلى ديار كلب فمات بها حوالي عام ٥٢٩م.

ووقع صراع بين سلمة بن الحارث وشرحبيل بن الحارث وتقاتلا في موقعة يوم الكُلاب الأول، فَقُتِل شرحبيل وانحسر حكم كندة عن جهات الحيرة وشرق اليمامة بينما استمر حُجر بن الحارث ملكاً على اليمامة ونجد وما والاها حتى اغتاله بنو أسد (حوالي عام ٥٣٠م) وكان ابنه امرؤ القيس بن حُجر في دمُّون بمنطقة كندة في اليمن فسار إلى اليمامة ونجد وتولى الحكم وطارد بني أسد وأخذ بثأر أبيه، وسيأتي تفصيل ذلك كله في أنباء وأشعار امرىء القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي وهو آخر الملوك الكنديين على إقليم اليمامة ونجد، أما في منطقة كندة وحضرموت باليمن فكان قد تولى الحكم معدي كرب بن معاوية بن جَبَلة ثم قيس بن معدي كرب وكان ملكاً عظيماً وقد حكم إلى حوالي عام ٦١٥م ثم الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي وهو من ملوك اليمن السابقين إلى الإسلام وسار إلى النبي محمد ﷺ بالمدينة في موكب مهيب عام ٩هـ (٦٢٩م)

وهو من كبار قادة الفتح العربي الإسلامي للعراق وفارس وفاتح وأمير إقليم أَذَرْبَيْجان[١] وفيه قال الشاعر:

لَسْتَ كالأشعث المُعصّبِ بالتا ج غلاماً قد ساد وهو فطيمُ
جده آكل المُرار، وقيسُ خطبه في الملوك خطبٌ عظيمُ

وتتألق أسماء وأنباء العديد من أولئك الملوك فيما سيأتي من مباحث عدد من الشعراء اليمنيين في الجاهلية، وإنما أردنا هنا ذكر الملوك الكنديين بصفة عامة لتكامل المعرفة بمعالم زمنهم وتاريخهم في ذلك العصر الحضاري التليد.

---

(١) يمانيون في موكب الرسول ﷺ ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٧٥٥ ـ ٨١٤.

المبحث «١٠»

مَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف الحِمْيَري

«مِنْ أوائل الأدباء الحكماء الحِمْيَريين»

هو القَيْل (مَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف ينوف بن شُرَحْبيل شيبة الحمد بن مَعْدِي كَرِب بن مصبح (مُضْحِي) بن عمرو بن الحارث ذي أصبح بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي بن حِمْيَر الأصغر ـ الحميري ـ)(١) وكان مرثد الخير من الأقيال الرؤساء لمناطق وقبائل اليمن في زمن تُبّع ملشان ذي يزن وجَدْن وأيام عبد كُلال بن مُثَوّب ذي رُعَيْن وأولادهما، وكان مقر رئاسة وقيالة مرثد الخير بن ينكف مدينة مَوْكل، وكان أديباً شاعراً حكيماً وهو القائل:

ولا تَجْنِيا حَرْباً تَجُرُّ عليكما عواقبُها يَوْماً مِن الشَّرِّ أشأما
فإن جُنَاة الحرب للحَيْنِ عُرْضة تُفَوِّقُهم منها الذُّعاف المُقَشَّما(٢)

وقد جاء في تاريخ ابن خلدون أنه «مَلَك بعد تُبّع أخوه لأمه عبد كُلال بن مُثَوّب ذو رُعَيْن. . ثم مَلَكَ مرثد بن عبد كُلال أربعين سنة، ثم وليعة بن مرثد بن عبد كُلال تسعاً وثلاثين سنة، وكثرت الخوارج عليه، ومَلَكَ أبرهة بن الصباح بن لهيعة ويُدعى شيبة الحمد بن مرثد، وكانت له سِيَرٌ وقصص»(٣). يعني (أبرهة بن الصَبّاح بن شُرحبيل بن لهيعة بن مرثد الخير بن ينكف)(١) فذلك الترتيب والنسب يُتيح إدراك زمن مرثد الخير بأنه كان في القرن الرابع الميلادي. فبعد عهدي تُبّع ملشان ذي يزن وعبد كُلال بن مُثوب ذي رُعَيْن ـ وكان عهدهما في الفترة (٢٩٠ ـ ٣٧٠م) ـ وقع تنازُع على رئاسة وحكم الدولة الحِمْيَرية بين آل مُثَوّب ذي رُعين ـ أقيال مدينة ظفار والنصف الغربي من اليمن ـ وآل ذي يزن وجدن أقيال مدينة عَبْدان والنصف الشرقي من اليمن، وتهيأ الفريقان للحرب فقام مَرْثَد الخَيْر بن ينكف بدور هامّ في الإصلاح بينهما، مما أدى إلى حفظ نبأ ذلك بالتفصيل الذي ذكره أبو علي القالي عن أبي بكر عن السكن بن سعيد عن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٤٨ جـ ١.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٩٣ جـ ١.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٨٢.

محمد بن عبّاد عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال ما يلي نصه:

«كان مَرْثَد الخَيْر بن يَنكَف قَيْلاً، وكان حَدِباً على عشيرته مُحِبًّا لصلاحهم، وكان سُبَيْع بن الحارث أخو عَلَس ـ وعَلَس هو ذو جَدَن ـ وميثم بن مُثَوّب ابن ذي رُعَيْن تنازَعا الشَّرف حتى تَشَاحَنا[١] وخيف أن يقع بين حَيَّيْهما شرٌّ فَيَتَفَانى جِذْماهما[٢] فبعث إليهما مَرْثَد فأحضرهما ليُصْلح بينهما.

فقال لهما مَرْثَد: إن التَّخَبُّط[٣] وامْتِطاء الهَجَاج[٤] واستِحْقاب اللَّجَاج[٥] سَيَقِفُكُما على شَفا هُوَّةٍ في تَوَرُّدِها بَوار الأصِيلَة وانقطاعُ الوَسِيلة[٦]؛ فَتَلافَيا أمركما قَبْلَ انْتِكاث العَهْد[٧] وانْحِلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلْفة، وتَبَايُن السُّهْمَة، وأنتما في فُسْحة رافِهة، وقدم واطِدة[٨]، والمَوَدّةُ مُثْرِية[٩]، والبُقْيا مُعْرِضة[١٠]؛ فقد عَرَفْتم أَنْبَاءَ من كان قَبْلكم مِن العَرَب ممن عَصَى النَّصِيح، وخالف الرشيد، وأصْغَى إلى التقاطع؛ وعَرفْتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم[١١]؛ فَتَلافَوْا القَرْحة قبل

(١) قال أبو علي القالي: (تشاحنا، مِن الشحناء وهي العداوة).

(٢) (الجذم: الأصل. قال أوس بن حجر (لِتُهْلِك جِذْم تَمِيم بن مُرّ). وكذلك الجذْر.

(٣) قال أبو علي القالي (قال أبو بكر: التَّخَبُّط: ركوب الرجل رأسه في الشر خاصّة. قال أبو علي: ولم أسمع هذه الكلمة من غيره). وأقول لعلها بذلك المعنى في اللهجة الحميرية.

(٤) قال أبو بكر (يقال: ركب الرجل هَجَاجه إذا لَجَّ ومَحِك).

(٥) الاستحقاب: استفعال من الحقيبة. والحقيبة ما يجعل فيه الرجلُ متاعه من خُرْج أو غيره. وهذا مَثَلٌ.

(٦) قال أبو علي القالي (الهُوَّة: الجَوْبة. والبَوَار: الهلاك. وقال أبو زيد: الأصيلة والأصل واحد).

(٧) الإنتكاث: الانتقاض، والأنْكاث، واحدها نِكْثُ، وهو ما نُقِضَ من الأَخْبِيَة والحِبال ليُعاد ثانية.

(٨) السُّهْمَة: القرابة. ورافهة: ناعمة، من الرَّفاهية. وواطِدة: ثابتة.

(٩) قال أبو علي: «مُثْرِيَة: متصلة، مأخوذة من الثَّرَى، وهو التراب النَّدِيُّ، يُقال: ثَرَّيْت التراب إذا بَلَلْته. قال جرير:

فلا تُوبِسُوا بيني وبينكُمُ الثَّرَى   فإنّ الذي بيني وبَيْنَكُمُ مُثْرِي

ويُقال: قد ثَرِيتُ بك، أي كَثُرتُ بك. وثَرى بَنُو فلان بَني فلان، أي صاروا أكثر منهم. وأثْرَى الرجلُ يُثْرِي إثْراءً إذا كَثُر ماله، وإنه لمُثْرٍ. والثّراء والثَّرْوة جميعاً: كثرة المال، وقد تكون الثَّرْوة كثرة العدد، ثروة مِنْ رجال».

(١٠) قال أبو علي (مُعْرِضة: ممكنة، قد أمكنَتْ من عُرْضها، أي من جنبها وناحيتها، يقال: قد أعْرَضَ لك الظَّبْيُ فارْمِهِ، أي قد أمكنك مِن عُرْضِه)

(١١) قال أبو علي (قال الأصمعي: صارَ يَصِير صَيْرُورة ومَصِيرا، والصَّيُّور: الأمر الذي يُرْجع إليه).

تَفَاقُم الثَّأي واسْتِفْحال الداء وإعْوازِ الدَّواء[١]، فإنه إذا سُفِكَت الدماء اسْتَحْكَمت الشَّحْناء، وإذا استحكمت الشحناء تقضَّبَتْ عُرَى الإبقاء وشَمِل البلاء[٢].

فقال سُبَيْع لمرثد الخير: أيُّها الملك، إن عداوة بني العَلّات لا تُبرئها الأُسَاة[٣] ولا تَشْفِيها الرُّقاة، ولا تَسْتَقِلُّ بها الكُفاة؛ والحَسَد الكامن هو الداء الباطن؛ وقد عَلم بَنُو أبينا هؤلاء أنّا لهم رِدْءٌ إذا رَهِبوا[٤] وغَيْثٌ إذا أجْدَبوا، وعَضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْرعٌ إذا نُكِبوا، وإنّا وإياهم كما قال الأول:

إذا ما عَلَوْا قالوا أبُونا وأُمُّنا   وليس لهم عالِينَ أُمٌّ ولا أبُ[٥]

فقال ميثم بن مُثَوِّب بن ذي رُعَيْن لمَرْثَد الخير: أيُّها الملك، إنّ مَنْ نَفِسَ على ابن أبيه الزَّعامة وجَدَبَه في المَقَامة[٦]، واستكثر عليه قليل الكرامة، كان قَرِفاً بالملامة ومُؤَنَّباً على ترك الاستقامة[٧]؛ وإنّا ـ واللّه ـ ما نَعْتَدُّ لهم بِيَدٍ إلا وقد نالهم مِنّا كِفَاؤها، ولا نَذْكُر لهم حَسَنة إلا وقد تَطَلّع منّا إليهم جزاؤها، ولا يَتَفَيّأ لهم علينا ظِلٌّ

(١) (استفحال الداء: اشتداده، وهو أن يصير مثل الفحل).

(٢) قال أبو علي القالي «تَقَضَّبَتْ: تقطعت. وشَمِلَ البلاءُ: عَمَّ، وشَمِل يَشْمَل أفصح. وقال أبو عبيدة: شَمَلَ يَشْمُل، وأنشدنا:

كَيْفَ نومي على الفراش ولمّا   تَشْمُلِ الشّامَ غارةٌ شَعْواءُ)

(٣) قال أبو علي «الأساةُ: الأطبّاء، واحدهم آسٍ. قال البعيث:

إذا قاسَها الآسِي النِّطاسِيُّ أدْبَرَتْ   غَثِيثَتُها وازْدَاد وَهْياً هُزُومُها

الغثيثة: ما سال من الجُرْح من مِدَّة أو قَيْح. والإساء: الدواء». وكذلك الرّقاة: جمع راقي، وهو الذي يشفي من الرياح والجنون. وبنو العلّات: الإخوة من الأمهات.

(٤) الردء: العون. وقد وردت كلمة (ردء) في العديد من النقوش الحميرية. وجاء في القرآن ﴿فأرْسِلْهُ مَعِي رِدْأً يُصَدِّقُني﴾.

(٥) هذا البيت من شعر يمني قديم كما يدل على ذلك زمن سبيع ومرثد الخير. بينما جاء في الهامش أن قائله (أوس بن حجر التميمي). ولكن زمن أوس يدل على أنه أخذه من شعر شاعر يمني أسبق مثل امرىء القيس بن خِذام الذي أخذ امرؤ القيس الكندي بعض أبيات من شعره كما ذكر ابن قتيبة.

(٦) قال أبو علي (الزَّعامة: الرياسة. قال لَبِيد:

تَطِيرُ عَدائد الأشْراكِ شَفْعاً   وَوِتْراً والزَّعامةُ للغُلام

وجَدَبَه: عابه. وفي حديث عمر رضي اللّه عنه أنه جَدَبَ السَّمَرَ بعد عَتَمةٍ، أي عابه. وقال ذو الرُّمة:

فَيالَكَ مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ ومَنْطِقٍ   رَخِيمٍ ومِنْ خَلْقٍ تَعَلَّل جادِبُهْ

والمَقامةُ: المجلس. قال الأصمعي: المَجْلِس الناس، وأنشد بيت مُهَلْهِل:

نُبِّئْتُ أنَّ النارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ   واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المجلسُ)

(٧) قرفاً بالملامة: أي خليقاً بالملامة. وقد ناقش أبو علي القالي كلمة (قرف) هذه في ١٦ سطراً. (ص ٩٥ ـ ١/٩٦ ـ الأمالي).

نعمةٍ إلا وقد قُوبِلوا بشَرْواها[١]؛ ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرَم لم تَقْعُد بنا الأمّهات ولا بهم، ولم تَنْزِعْنا أعراق السُّوء ولا إياهم؛ فَعَلَام مَطُّ الخُدود وخَزَر العُيون[٢] والجَخِيفُ والتَّصَعُّر والبَأْوُ والتكبرُ[٣] أَلِكَثْرة عَدَد، أَمْ لفَضْل جَلَد، أَمْ لطول مُعْتَقَد؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأول:

لاهِ ابنُ عَمِّك لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي ولا أنت دَيَّاني فَتَخْزُوني[٤]

ومَقَاطِع الأمور ثلاثة: حَرْبٌ مُبِيرة، أو سَلْمٌ قَرِيرة، أو مُداجاةٌ وغَفِيرة[٥]

فقال مَرْثَد الخَيْر لسُبَيْع بن الحارث وميثم بن مُثَوّب: لا تُنْشِطُوا عُقُلَ الشَّوارد ولا تُلْقِحُوا العُونَ القَواعد[٦]؛ ولا تُؤَرِّثوا نِيران الأحقاد ففيها المَتْلفة المُسْتَأْصِلة،

---

(١) شَرْواها: مِثْلُها.

(٢) قال أبو علي «المطُّ والمدُّ والمتُّ بمعنى واحد. والخَزَرُ: أن ينظر الرجُل إلى أحد عُرْضَيْه، يُقال: إنه ليَتَخَازَر لي إذا نَظَر إليه بمؤخر عَيْنه ولم يستقبله بنظره. وأنشدني أبو بكر بن دريد:

إذا تَخَازَرْتُ وما بي مِن خَزَرْ ثم كَسَرْتُ العين من غير عَوَرْ

أَلْفَيْتَنِي أَلْوَى بَعِيدَ المُسْتَمَرْ أَحْمِل ما حُمِّلْتُ من خَيْرٍ وشرّ»

(ص ٩٦/ ١)

وأقدم من ذلك قول ملشان (عَلَس ذو يزن وجدن):

ما بال أهلك يا رباب خَزَرًا كأنّهم غِضاب)

(ص ٣٧/ ٤ ـ الأغاني)

(٣) قال أبو عبيدة (الجحيف: التكبُّر. والبأو: التكبر.. وقيل للأصمعي: قال أبو عبيدة: الجحيف التكبّر، والبأو التكبُر، فقال الأصمعي: أما البَأْوُ فنعم وأما الجَحِيف فلا). ثم ذكر أبو علي رواية عن أبي بكر بن دريد جاء فيها (الجحيف: يعني التهدد).

(٤) هذا البيت قديم. وقوله (لاه ابن عمك) جاء في السيرة النبوية لابن هشام أنه «قال رجل من حِمْيَر:

لَاهِ عَيْناً الّذي رَأَى مِثْلَ حَسّان قَتِيلاً في سالِفِ الأحقاب»

وجاء في الهامش (قوله: (لاه) أراد (للّه) فحذف لامين: أولاهما لام الجر، والثانية أولى اللامين من كلمة (اللّه) وهي لام التعريف. ومثله.. (لاه ابن عمك) (ص٢٦/١ ـ السيرة لابن هشام). قال أبو علي القالي (وتخزوني: تَقْهرني وتَسُوسُني وقال يعقوب: خَزَوْته قهرته).

(٥) قال أبو علي (المُداجاة: المساترة. وقوله: غَفِيرة، أي غُفْران..) ثم ذكر عدة معاني للكلمة، والمراد هنا (غفر: بمعنى غَطّى الشيء).

(٦) قال أبو علي القالي «قال الأصمعي: نَشَطت العُقْدة: عَقَدْتُها، وأنْشَطْتُها: حَلَلْتُها. وأما قوله: ولا تُلْقِحوا العُون، فإنّما هو مَثَلٌ، وأصله في الإبل، يقال: لَقِحَت الناقةُ إذا حَمَلت وأَلْقَحها الفَحْلُ، فضرب ذلك مثلاً للحرب إذا ابتدأت.

والعُونُ: جمع عَوَان وهي الثَّيب، يُقال للحرب: عَوَانٌ إذا كان قد قُوتل فيها مرة بعد مرة.

وتُؤَرِّثوا: تُذْكُوا، قال أبو زيد: يُقال: أَرِّ نارَك تأرِيةً، أي عَظِّمْها، وكذلك: ذَكِّ نارك تَذْكِيةً، =

والجائحة والأليلَةُ[١]؛ وعَفُّوا بالحِلْم أَبْلادَ الكَلْم[١]، وأنيبُوا إلى السبيل الأرشد والمَنْهَج الأقصد، فإن الحرب تُقْبِلُ بِزِبْرِج الغُرور[٢]، وتُدْبِرُ بالوَيْل والثُّبور؛ ثم قال مَرْثَد الخير:

ألا هَلْ أتى الأَقْوَالَ بَذْلِي نصيحةً[٣]	حَبَوْتُ بها مِنِّي سُبَيْعاً ومَيْثَما
وقُلتُ اعْلَما أن التَّدابُرَ غادَرَتْ	عَواقِبُه لِلذُّلِّ والقُلِّ جُرْهُمَا[٤]
فلا تَقْدَحا زَنْد العُقوق[٥] وأبْقِيَا	على العِزَّةِ القَعْساء أن تتهدّما[٦]
ولا تَجْنِيا حَرْباً تَجُرُّ عليكما	عواقِبُها يَوْماً مِن الشَّرِّ أشأما

= أي ألق عليها حطباً أو بعراً لتَهِيج، واسمُ الذي يُلْقى عليها من الحطب أو البعر: الذّكية. وأرّث نارَك تأريثاً مثله، واسم ما تُؤَرَّث به النارُ: الإرَاث.

والأليلةُ: الثُكْل. والجائحة: الاستئصال، أنشدني أبو بكر بن دريد:

فَهِيَ الأَلِيلَةُ إن قَتَلْتُ خُؤُولَتي ... وهي الأَلِيلَةُ إنْ هُمُوا لم يُقْتَلوا

والأَلِيل: الأنين، قال ابن مَيَّادة:

وقُولا لها ما تَأْمُرِينَ لِوامِقٍ ... له بَعْدَ نَوْمات العُيون أَلِيلُ

أي أنين».

(١) الكَلْم: الجراح. وقوله (أبْلاد الكَلم) قال أبو علي القالي: «الأَبْلاد: الآثار، واحدها بَلَدٌ، وكذلك النُّدُوب، واحدها نَدَبٌ. والحَبَار والحَبَر والعُلُوب: الآثار. والدَّعْس: الأثَرُ. والعاذِرُ: الأثر». (اهـ).

ويتبين من قوله (والحَبَر: الآثار) أن قول أسعد تُبّع الحميري في أبيات له بالإكليل:

قَوْلي لِحِمْيَر: يدفنوني قائماً ... من حولي الحبلات والتيجان

إنما هو «من حولي الحَبَرات..» أي الآثار.

(٢) قال أبو علي القالي «الزِّبْرِج: السحاب الذي تُسْفِرُه الريح، وهذا قول الأصمعيّ. وقال أبو بكر بن دريد: لا يُقال زِبْرِج إلا أن تكون فيه حُمْرة».

(٣) جاء صدر البيت في كتاب الأمالي «ألا هل أتى الأَقْوَام..» ولا بد أن كلمة (الأقوام) تصحيف وخطأ من الناسخ أو الطباعة، وإنما هو «الأقوال» أو «الأقيال» وهم أيضاً «المَقَاوِل». قال أبو علي القالي (المَقَاوِلِ والأَقْيَال: هُم الذين دون الملك الأعظم» (ص ١/٧٤) وجاء في هامش السيرة النبوية لابن هشام ما يلي: (المَقَاول هم الأقيال. والأقيال: جَمْع قَيْل.. والقَيْل هو الذي يلي الملك في المرتبة عند حِمْير) «ص ٢٦ جـ ١) وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «القَيْل: الملك من ملوك حِمير، والجمع أَقْوَال. قال علقمة بن ذي جدن:

كانَتْ لِحِمْيَر أمْلاكُ ثمانيةٌ ... كانوا ملوكاً وكانوا خَيْرَ أَقْوَال»

(ص ٨٩)

(٤) قال أبو علي «الذُل: الذِّلة. والقُلّ: القِلّة».

(٥) الزَّنْد: هو ما يُقدح به النار.

(٦) العزة القَعْساء: العزة الثابتة. ويعني الدولة الحميرية. وجاء في الأمالي (القَعْساء: الثابتة).

فإن جُنَاة الحرب للحَيْنِ عُرضةٌ تُفَوِّقُهم مِنها الذُّعافَ المُقَشَّما[1]
حَذَارِ فلا تَسْتَنْبِثُوها فإنها تُغادِر ذا الأنف الأشَمّ مُكَشَّما[2]

فقال سُبيع وميثم لمرثد الخير: لا أيُّها الملك، بل نَقْبَل نُصْحَك، ونُطِيع أمرك، ونُطفيء النائرة، ونَحُلُّ الضّغائن، ونَثُوب للسلم»[3].

ومن المفيد هنا أن نذكر المعارف التاريخية التالية:

ـ لقد تولى رئاسة الدولة الحميرية وحكم اليمن «مرثد بن عبدُ كُلال بن مُثَوّب بن ذي رُعَيْن» ـ الذي يبدو أن «مُيثم بن مثوب بن ذي رعين» كان مُمثلاً له في ذلك التحكيم والتصالح الذي تم على يد القَيْل مرثد الخير بن ينكف، مما يشير إلى أن الاتفاق والسلم الذي قَبِلَه ميثم وسبيع وبقية الأقيال قد تم على أساس أن تكون الملوكية العليا لمرثد بن عبد كلال أربعين سنة»[4] وكذلك ذكر الحسن الهمداني أنه « . . مَلَكَ مرثد بن عبد كلال إحدى وأربعين سنة»[5] وكان عهده في الفترة من حوالى عام ٣٦٩ ـ ٤٠٨ ميلادية[6]. وفي عهده تولى مرتبة مرثد الخير بن ينكف في الرئاسة والقيالة بموكل والمناطق التابعة لها (لهيعه بن مرثد الخير بن ينكف) أو ابنه: (شرحبيل بن لهيعه بن مرثد الخير) وكان حفيد ملشان ذي يزن وجدن يحكم مع إخوته النصف الشرقي من اليمن في إطار الدولة الحميرية. وكذلك تولى القيالة في موكل والمناطق التابعة لها (صباح بن شرحبيل بن لهيعه بن مرثد الخير) ـ وربما أنه (صباح بن شرحبيل لهيعه بن مرثد الخير) بمعنى أن (شرحبيل بن لهيعه) إنما هو اسم واحد (شرحبيل لهيعه) كما في سياق المسعودي.

ـ ثم تولى رئاسة الدولة الحميرية (وليعه بن مرثد بن عبد كلال بن مُثَوّب بن ذي رعين). قال ابن خلدون: « . . مَلَكَ مِنْ بعد مرثد بن عبد كلال ابنه وليعه بن مرثد سبعاً وثلاثين سنة. وكثرت الخوارج عليه، وغَلَب أبرهة بن الصباح بن لهيعه بن مرثد بن ينكف على تهامة اليمن. . . قال المسعودي: ومَلَك ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن تسع عشرة سنة. . ثم مَلَك حسان بن عمرو»[4] فقد حكم

---

(١) الحَيْن: الهلاك. قال أبو علي القالي: «وتُفَوِّقهم: تسقيهم الفُوَاق. والفُوَاق: ما بين الحَلْبتين، كأنه يَحْلُب حَلْبة ثم يسكت ثم يحلُب أخرى، والمُقَشَّم: المخلوط». (اهـ). فيكون قوله (الذعاف المقشما) بمعنى (السُّم المخلوط).

(٢) قال أبو علي القالي «لا تَسْتَنْبِثُوها: مَثَلٌ، أي لا تُخرِجوا نَبِيثَتَها، وهو ما يخرج من البئر إذا حُفِرت، يريد: لا تثيروا الحرب. ومُكَشَّم: مقطوع».

(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٩٢ ـ ٩٨ جـ ١.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٨٢.

(٥) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٤٠.

(٦) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص

(وليعه بن مرثد بن عبد كلال) في الفترة (٤٠٨ ـ ٤٤٥م) وفي عهده انقسم الحكم حيث «كثر الخارجون عليه» وهم من كبار الأذواء الأقيال فصار (ذو قيفان) وهو كما في النقوش (بريل/بن ذي يزن. .) ملكاً للنصف الشرقي من اليمن وتولى أولاده الحكم بمناطق تمتد ما بين الجوف وصنعاء، وكانت مدة حكمه (تسع عشرة سنة) بينما كان أبرهة بن الصباح بن شرحبيل حفيد مرثد الخير ملكاً في (موكل) والمناطق التابعة لها ـ وهي مناطق البيضاء ورداع وذمار ـ وامتد حكمه إلى تهامه. قال نشوان الحميري: «كان أبرهة بن الصباح بن شرحبيل بن لهيعه بن مرثد الخير قَيْلاً عظيماً جواداً. وفيه يقول قس بن ساعدة الأيادي:

وعلى الذي كانت بمَوْكل داره يعطي القِيان وكل أجرد شاحي

ومَوْكل قصر على جبل في بلاد عنس»[١]. وكذلك كان «حسان بن عمرو ذي غيمان» ملكاً بمناطق أذوائية غيمان وامتد حكمه إلى عدة مناطق. ثم اجتمع حكم اليمن لحسان بن عمرو ذي غيمان سنة ٤٤٥ ميلادية، وقد تمَّ العثور على نقش من عهده مؤرخ بالموافق لعام ٤٤٥ ميلادية[٢]. وانضوى سائر الأقيال تحت لواء وملوكية حسان، ومنهم أبرهة بن الصباح حفيد مرثد الخير، وبنو ذي قيفان بن بريل بن ملشان ذي يزن، وآل عبد كلال بن مُثَوّب بن ذي رَعْيَن، وقد مكث أبرهة بن الصباح حفيد مرثد الخير بن ينكف من كبار الأقيال في عهد أسعد تُبّع بن حسان بن ذي غيمان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) فقد استمرت قيالة أبرهة بن الصباح ثلاث وتسعين سنة[٣] ولعل الأصوب أنه عاش ثلاث وتسعين سنة وهي مدة حياته. وفيه قال لبيد بن ربيعة:

وَغَلَبْن أبرهة الذي ألفَيْنَه قد كاد يخلُدُ فوق غُرفة مَوْكل[٤]

قال الهمداني: «وأبرهة اسم بالسرياني. وبالعربي إبراهيم»[٤] وقد استطردنا إلى ذكره هنا لأنه حفيد مرثد الخير بن ينكف وحتى تترابط معالم عهود ملوك وأقيال وأدباء ذلك العصر باليمن.

(١) قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٧٠.
(٢) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص
(٣) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٤٠.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٥٧ جـ ٢ و ص ٢٠٠ جـ ٨.

المبحث «١١»

جِعَال بن عُبَد النِهْمِيّ الهَمْدَانِيّ

«ملك بكيل في عهد تُبَّع أسعد بن حسان»

هو الرئيس الشاعر: جِعَال بن عُبَد بن ربيعة بن جُشم بن حرب بن نهم (النهمي) ابن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل (البكيلي) ابن جشم بن خيران بن نوف بن همدان (الهمداني) ابن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب اليعربي القحطاني.

قال الحسن الهمداني في الإكليل: «كان جِعَال مكيناً عند تُبّع ومَلّكَهُ على بكيل وله معه أخبار عجيبة يطول ذكرها، وهو القائل:

بَـنَـىٰ لـنـا أوّلُـونـا فـوق عـالـيـةٍ ... مَـجْـداً دعـائـمـه مِـنْ تـحـتـه زلَـقُ[١]

حتى استوينا على أشراف رابيةٍ ... عند الثريا بها الأرواح تَخْتَفِقُ[٢]

لا يَفْتحُ الناسُ باباً حين نُغلقه ... ولا يـكـون لـبـابٍ دونـنـا غَـلَـقُ

الناسُ أرضٌ ونحن السقف فوقهم ... نحن السماء وهُمْ من تحتنا خُلقوا

إنْ نَحْضُر الرأي لا ينظر به أحدُ ... وإذْ نَغِب عن ظهور الحيّ يرتفقوا

خالي يزيد أبو بِشْر به هُزِمتْ ... جيش العكارة إذْ رَدّاهُمُ الحَمَقُ

والقصيدة أكثر من هذا. ويُقال: إن هذا البيت الأخير لعمرو بن برّاقه»[٣].

وتُبّع الذي كان جعال مكيناً عنده هو ـ كما جاء في شرح الدامغه ـ (تُبع أسعد) وليس المقصود (أبو كَرِب أسعد بن ملكي كَرِب ملك سبأ) فزمن أبي كرب أسعد قديم جداً في قرون ما قبل الميلاد وهو أبو كرب أسعد تُبّع الأول ملك سبأ، وإنما كان جِعَال مكيناً عند تُبّع أسعد بن حسان الحميري وهو تُبّع أسعد الثاني الذي ولّى الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي على إقليم اليمامة ونجد والبحرين في أواسط القرن الخامس الميلادي، وتدل القرائن على أن عهد أسعد تُبّع بن حسان كان في الفترة من عام ٤٥٧ ـ ٤٧٧م بالقرن الخامس الميلادي[٤] وقوله « . . ومَلّكَهُ تُبّع

---

(١) الزلق: الموضع الذي لا تثبت فيه القدم، ملساء.

(٢) الرابية: المرتفع. والأرواح: جمع ريح. وتختفق: تضطرب.

(٣) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ١٩٧ جـ ١.

(٤) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص ٧٢٣.

على بكيل» يعني: ولَّاهُ على قبائل ومناطق بكيل وكانت قبائل بكيل في مناطق واسعة تشمل بالتسميات الحالية مناطق من محافظات صنعاء وعمران والجوف وصعدة إلى تخوم نجران، فكان جِعَال النهمي عاملاً لأسعد تُبّع بن حسان على تلك المناطق من اليمن ورئيساً على قبائل بكيل.

قال الحسن الهمداني: «وقَدِمَتْ إلى جِعَال جُذَام ـ من الشام ـ في حَمّالات (أي دِيَات) كانت بينهم وبين إخوانهم بني عَدِي بن الحارث بن مُرّة بن أدد ـ (وهُم قبيلة لَخْم بالشام) ـ فقال جِعال لجُذام: وكَمْ مبلغ ما جئتم تسألونني؟ قالوا: نسألك ألفي ناقة وأربعمائة، فحمل لهم بها. وقال يذكر ذلك:

لـقـد عَـلـمـتْ أفـنـاءُ قَـحْـطَـان أنـنـا ... إلينا يصيرُ المجدُ في كُلّ مَجْمَعِ
وأنّـا قَـبِـيـلُ فـي عَـصَـانـا صـلابـةٌ ... إذا زُعْزِعَـتْ أحـلامَـنـا لَـمْ تُـزَعْـزَعِ
ويـوم جُـذَام قـد كـفـيـتُ عـشـيـرتـي ... حَـمَـلْـتُ بـألـفـيْ نـاقـةٍ وبـأربـعِ
بـأكـلُـبِـهـاً سـلـمـتُـهـا ورعـاتـهـا ... وذلـك مِـنْ كُـلٍّ لـمـرأى ومَـسْـمـعِ
ولـو حـمّـلـونـي ضـعـفـهـا لـحـمـلـتُـهـا ... عَلَيّ، ولـم أنْكُـل ولـم أتَـخَـشّـعِ»[١]

وقد أشار الهمداني أن (لِجِعَال مع تُبّع أخبار عجيبة يطول ذكرها)، فلعلها مذكورة في مصادر أخرى ومنها ألغاز ومساجلات شعرية بالألغاز غالباً.

قال نشوان الحميري: «ومن المحاجاة قول أسعد تُبّع لجعال النهمي:

فـمـا مُـقـبـلٌ طـوراً بـطـور تـرى لـه ... إذا دار إدبـاراً ولـيـس بـبـارح

فقال جعال:

هـو الـبـاب بـاب الـبـيـت يُـدْبِـر مُـغْـلَـقـاً ... ويُـقـبِـلُ مـفـتـوحـاً لأول والـج»[٢]

وقال نشوان في مادة (شرف) بشمس العلوم:

«المُشْرِفُ: الجَبَلُ العظيمُ الطويل، قال أسعد تُبّع لجِعَال:

فَمَا حَامِلٌ ما يُعْجِزُ الفِيلَ حَمْلُهُ ... ويَعْجِزُ عَنْ حَمْلِ الذي أنْتَ حَامِلُهْ

فقال جعال:

هُوَ البَحْرُ تُلْقِي فِيهِ والمَوْجُ مُعْرِضٌ ... حُجَيراً فَتَسْتَولِي عَلَيهِ أَسَافِلُهْ
وَيُلْقَىٰ به طَوْدُ مِنَ الخُشْبِ مُشْرِفٌ ... فَيرْفَعُهُ عَمَّا يَلِي الطَّيْرَ حَامِلُهْ»[٣]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٧ جـ ١٠.
(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١/٤٠٠.
(٣) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٥٥.

المبحث «١٢»

أسعد تُبّع بن حسان

«أشهر شعراء وملوك الدولة الحِمْيَريّة»

هو أسعد تُبّع بن حسان بن ذي غيمان ملك الدولة الحميرية. وقد خلطت الروايات بينه وبين أبي كرب أسعد تُبّع بن ملكي كرب ملك سبأ فوقع الظن بأنهما شخص واحد فتمَّ نسبة بعض أخبار وأشعار أسعد تُبّع بن حسان إلى أسعد تُبّع الأول بن ملكي كرب ملك سبأ. ولكن الزمن يتيح إدراك أن أسعد تُبّع الذي كان شاعراً إنما هو أسعد بن حسان لأن زمن أبي كرب أسعد بن ملكي كرب ملك سبأ كان في القرن السابع قبل الميلاد وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه « . . كان بُخت نصّر ـ ملك بابل ـ في عهد أسعد تُبّع وفي أيام حسان بن أسعد»[١] وقد كان زمن بخت نصّر ـ وهو (نبوخذ نصر ملك بابل) ـ في القرن السابع إلى القرن السادس قبل الميلاد، فذلك هو زمن أبي كرب أسعد بن ملكي كرب وحسان يهأمن بن أبي كرب أسعد بن ملكي كرب وذرا ـ أمر ـ ابن حسان يهامن بن أبي كرب أسعد فأولئك من ملوك سبأ التبابعة بالقرن السابع والسادس قبل الميلاد وهو زمن أقدم من زمن ظهور الشعر بمئات السنين. بينما أسعد تُبّع بن حسان بن ذي غيمان الحميري كان ملك اليمن والدولة الحميرية في أواسط القرن الخامس الميلادي، وهو الذي ولّى الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي، وكان الشعر قد شاع في تلك الفترة، فأسعد تُبّع بن حسان هو الذي ينطبق عليه قول المؤرخين: «كان أسعد تُبّع ملكاً عظيماً، شاعراً فصيحاً، عارفاً بالنجوم وأحكام القرانات»[٢] ونذكر هنا:

تمليك أسعد بن حسان وأشعاره في صنعاء وظفار:

لقد كان حسان بن ذي غيمان ملك الدولة الحميرية في الفترة من عام ٤٤٥ ـ ٤٥٦م وقد تمَّ العثور على نقش مُسند من أوائل عهده مؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري ويوافق عام ٤٤٥ ميلادية[٣]، وهو تُبّع حسان الذي قام بتعزيز سلطة ونفوذ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠١ جـ ١.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص

(٣) نقش موقع لماطر بوادي حبان رقم ٥٠٨٥ رويان ورقم ٤٠٣ ركمانز + تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ ص ٧١١ ـ ٧١٦.

الدولة الحميرية وأسرة حجر آكل المرار الكندي وأقرّ ملوكية عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرار «ورَتَّبَهُ في حصن المشقر بالبحرين» وكانت مدينة صنعاء وقصرها غُمدان عاصمة ومقر تُبّع حسان هذا، وفيه قال علقمة بن ذي جَدَن:

قد كان حسَّانُ في ذُؤابة غُمْدَانْ قريراً بعيشٍ مَنْ رَغَدا
يخدمه مِنْ سَرَاةِ حِمْيَر ألفانْ قياماً لن يقعدوا أبدا
إن سار ساروا حواليه صَفَّانْ ولا يبعدون إذا بعدا[١]

ولما مات حسان (عام ٤٥٦م) وقع انقسام على الحكم، وتقول رواية ذكرها ابن خلدون عن الجرجاني والطبري: «كان ولد حسان تُبّع صغاراً لا يصلحون للملك وكان أكبرهم (أسعد) قد استهوته الجنّ، فوثب على مُلك التبابعة عبد كلال بن مثوب.. وجاء في سياق ابن سعيد أنه: ..مَلَك بعد حسان تُبّع أخوه لأمه عبد كلال بن مثوب.. ثم رجع ابن حسَّان تُبّع من استهواء الجن فَمَلك على حِمْيَر..»[٢] ويبدو أن مقولة (استهواء الجن) كانت تلفيقاً على أسعد بن حسان من جانب (عمرو بن الكباس) وهو الذي تم تمليكه في مناطق حِمْيَر بعد موت حسان وكان عبد كلال الثاني ابن ذي رعين موالياً لعمرو ذي الكباس وليس عبد كلال الملك وإنما عمرو ذو الكباس وهو ـ كما في الإكليل ـ «عمرو ذو الكباس بن زيد بن كبر إل» فكان ملكاً بمناطق حمير والنصف الغربي من اليمن بينما تم تمليك أسعد بن حسان في صنعاء ومخاليفها وأيّده اليزنيون أذواء النصف الشرقي من اليمن، وسار أسعد بن حسان لقتال عمرو ذي الكباس، فالتقيا بمنطقة حقل شرعة في بلاد عنس بين ظفار وصنعاء. قال الهمداني في شرح الدامغة:

«لما صار أسعد تُبّع بحقل شرعة نَاصَبَه ذو الكباس الحرب، وأخذت حِمْيَرُ مصاف الحرب بينهما، فقال له أسعد: لا يحسن أن نُصادِم بين حِمْيَر ولا نولغُ أسيافها بدمائها ولكن أبرُز لي فإن ظفرتَ بي كنتَ أملَكَ بهم وإن ظفرتُ بك احتويتُ عليهم ولم نُهرق بينهم محجم دم. فبرز له ذو الكباس فقتله أسعد في أول جولة واستولى على أمره»[٣] وبسبب ذلك النصر وليس بسبب الزعم بأن أسعد بن حسان تُبّع رجع من استهواء الجن انعقد إجماع أذواء ورؤساء حمير وسائر اليمن على تمليك أسعد بن حسان. وقد جاء عن بعض المؤرخين في تاريخ ابن خلدون ما يلي: «ثم رجع تُبّع بن حسان من استهواء الجنّ وهو أعلم الناس بنجم، وأعقل من يُعلم في

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧ جـ ٨.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٦ و ص ٢٧٣ جـ ٢.
(٣) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٥.

زمانه، وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون، فَمَلَكَ على حِمْيَر، وهابته حِمْيَر والعرب، ويعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ»[١] وبذلك يكتمل إجماع الروايات والمصادر التاريخية بأن «أسعد تُبّع بن حسان كان أعلم الناس بنجم، وأعقل من يُعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون» وأنه «كان أسعد تُبّع ملكاً عظيماً، شاعراً فصيحاً، عارفاً بالنجوم وأحكام القرانات». ولما انتصر على عمرو ذي الكباس سار أسعد إلى مدينة ظفار فأقام بها فترة، ثم رجع إلى صنعاء، فكان يمكثُ فترة بظفار وفترة بقصر غمدان بصنعاء وغيره من القصور، وقال أسعد تُبّع في تلك الفترة هذه القصيدة وهي من أوائل أشعاره:

أتهجُرُ منْ لم يكن يَهْجُرُ ... وتُقصرُ فالمرء قد يقصرُ
وقد كنتُ فيما مضىٰ لاهياً ... وديني مِنْ لهوي المنظرُ
أزورُ الغواني، يزوُرنَني، ... وتخلبني الكاعبُ المُعصرُ
وكل خفوق الحَشَا خَدْلَةٌ ... يكادُ مخذّمها يُشبرُ[٢]
كأنّ القراقف والزنجبيل ... مخالطها المسكُ والعنبرُ[٣]
يُعَلُّ بأنيابها في الكرىٰ ... لمشْتاقها ولِمَنْ يشغرُ[٣]
وبدَّلني الدهرُ حالاً بحال ... فأصبحتُ أقسِر لا أُقسَرُ
أديرُ بكفي رَحَا العالمين ... ويوم الهياج أنا المسعرُ
وداريَ مشحونة بالأداة ... وسيفيَ صمصامه مبترُ
إذا سُلَّ مِنْ غِمده ذا السموم ... طنَنْتَ ذبابته تقطرُ
ففي الضّح أبيضُ ذو شُقرةٍ ... وفي الظل ذو كمتة أخضرُ[٤]

وبعد هذا البيت ٣٠ بيتاً في الإكليل يذكر فيها أسماء الأذواء والملوك الحميريين منذ عصور مملكة سبأ إلى أيامه ثم يقول:

ظفرنا بمنزلنا من ظفار ... وما زال ساكنُها يظفرُ
وما هَكِرُ من ديار الملوك ... بدار هَوان ولا الأهجَرُ
ويَبْنُون مَبْهومة بالحديد ... ملازبها الساج والعَرْعرُ

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٦ و ص ٢٧٣ جـ ٢.

(٢) خفوقة الحشا: ضامرة البطن. والخدلة: المرأة الغليظة الساق المُستديرتها. والمخذم: الخلخال. وتشبر: تثقل عن المشي.

(٣) القراقف: جمع قرقف، وهو نوع من النبيذ. ويعلّ: الشرب بعد الشرب.

(٤) الضيح والضح: ضوء الشمس. والشقرة لون يميل إلى الصفرة. والكمتة لون أحمر غامق يميل إلى السواد، وإذا اشتد السواد يميل إلى الخضرة.

ومــاربُ قــد نُــطِّـقـت بــالــرخــام وفــي ســقــفــهــا الــذهــب الأحــمــر
وغُــمــدَان قــصــرٌ لــنــا مُــشــرِفُ مــآجــلــه حــولــه تــزفــرُ
وإنّ مــعــســكــرنــا فــي أزال بــه عــســكــر دونــه عــســكــرُ
وغــيــمــان مــحــفــوفــة بــالــكــروم لــهــا بــهــجــة ولــه مــنــظــرُ
بــهــا كــان يُــقــبــرُ مَــنْ قــد مَــضَــىٰ مِــن آبــائِــنــا، وبــهــا نُــقــبــرُ
..وكــلٌّ يــمــوتُ كــذاك الــعــبــاد ومــن بــعــد ذلــكــم الــمــحــشــرُ
فــلا الــنــاس إن عُــمِّــرُوا يــخــلــدو ن فــيــهــا ولا الــمــوت يُــســتــنــكــر»[١]

والقصور والمدن التي ذكرها في الأبيات السالفة مذكورة في النقوش وما تزال بقايا آثارها وأطلالها شواهد على ماضيها المجيد. وتوجد في أطلال مدينة ظفار (بمحافظة إب حالياً) أطلال قصر وقلعة أسعد كما توجد في غيمان (جنوب صنعاء) أطلال حصن أو قصر أسعد، أما العاصمة الرئيسية فكانت مدينة صنعاء وكان القصر غُمدان بصنعاء هو المقرّ الرئيسي للملوك التبابعة منذ عهد تُبّع ملشان وفي عهد تُبّع حسان بن ذي غيمان وعهد تُبّع أسعد بن حسان.

قال ابن المجاور: «كان التبابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة وهمّة عالية في عمارة غُمدان، وكُل ملك تولّى منهم كان يُعلي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين وسبعين سقفاً، ويُقال ثلاثة وتسعين سقفاً. وكان آخر من بَنَىٰ به أسعد الكامل، بَنَىٰ قصراً من زجاج وهو الخاتمة»[٢]. ويمكن القول إنه كان غُمدان عدة قصور يجمعها فناء واحد بحيث كما قال ابن المجاور «ارتفعت تلك القصور ٧٢ سقفاً» وكان قصر غمدان الرئيسي عشرين سقفاً وفي قمته قبة رخامية مؤلفة من ثمان قطع وكذلك كان أحد قصور غمدان عشرين سقفاً في أعلاه غرفة سقفها قطعة من الرخام واحدة. وقوله: (كان آخر من بنى به أسعد الكامل) يعني أسعد تبّع بن حسان قام ببناء عدة طوابق من الياجور وغرفة زجاجية، ويروى أنه قال:

نــحــن رفــعــنــا عــلــو آجــره بــألــف ألــفٍ عــدّهــا الــقــائــلُ
ومــن زجــاج فــوقــه خــلــوة خــضــراء مــثــل الــقــضــبــة الــبــاقــلُ
أبــصــارهــا لــلــنــاس عــلــيّــة لا شــارب فــيــهــا ولا آكــلُ

ومن شعر أسعد وهو في صنعاء ما ذكره الهمداني في الإكليل عن ابن الصرحي اليعفري قال: «إن عامراً ذا يزن تزوّج ابنة أسعد تُبّع وكان عنده مكيناً فمرّت به يوماً

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٧٧ ـ ٣٩٠ جـ ١.
(٢) كتاب المستبصر ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ١٨٠.

في مجلسه من بعض قصوره بُنَيَّةٌ لذي يزن من ابنته، فقرّبها، ثم قال:

يــا ابْــنَــةَ الــقَــيْــلِ ذي يَــزَنْ جَــدّكِ الــيــوم خــيــر مَــنْ
حَــلَّ فــي ذروة الــيــمــن بــيــن صــنــعــاء إلــى عَــدَنْ

قال الهمداني: ويمكن أن يكون الصهر سيف بن عامر ذي يزن، وأقامه أسعد في اللفظ مكان أبيه»[1]. وسيف بن عامر ذي يزن قد يكون «سيفم يهسكر» المذكور في النقش (رقم ٥٠٨٥ روبان) في عهد حسان والد أسعد وهو النقش المؤرخ بعام ٥٦٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٤٤٥ ميلادي. وكان (سيفم يهسكر بن ذي يزن) حاكماً لأذوائيات يزن والنصف الشرقي من اليمن إلى سأكلن (عمان) وجزيرة سكردى (سقطرى) في عهد حسان وعهد أسعد بن حسان، وكان القصر يزن في مدينة عبدان بوادي عبدان في منطقة العوالق الجنوبية مقر الأذواء اليزنيين وكذلك قصر أحور في أبين بالقرب من ساحل البحر، وفيه قال الشاعر:

«وقــصــر أبــيــن أسَّ الــقَــيْــلُ ذو يــزنِ»

وكان ذو يزن في مدينة عبدان والنصف الشرقي من اليمن وعبد كلال الثاني بن عريب بن ذي رُعَيْن في مدينة ظفار والنصف الغربي من اليمن وجعال بن عبْد النهمي الهمداني في بكيل والديان بن قطن الحارثي في مذحج ونجران هم أبرز الأذواء الحكام في مناطق اليمن في عهد أسعد تُبّع بن حسان.

* * *

نبأ حلف اليمن وربيعة في السنة السادسة من عهد أسعد تُبّع بن حسان:

وقد حفظ لنا التاريخ نبأ حلف قبيلة ربيعة مع اليمن واليمنيين في عهد أسعد تُبّع بن حسان، وكانت قبيلة ربيعة تسكن مناطق من اليمامة ونجد والبحرين ومناطق من إقليم الحيرة بالعراق، وهُم عدة بطون أشهرهم: بكر بن وائل بن قاسط بن رهنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وعبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وتغلب بن النمر بن عمرو بن رهنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ومازن بن منعة بن أوس بن نذير بن أحمس بن ربيعة، وعنزة بن أسد بن ربيعة.

فأجمع رؤساء قبيلة ربيعة على عقد حلف مع اليمن تكون بموجبه ربيعة واليمن ـ أو ربيعة وقبائل قحطان ـ طرفاً واحداً. فأتى وفد يضم مائة شخص من وجوه ربيعة إلى أسعد تُبّع بن حسان وطلبوا عقد الحلف، وكان فيهم عوف بن ربيعة من أشراف

(١) الإكليل ـ الحسن الهدماني ـ ص ٢٥٦ جـ ٢.

بكر بن وائل، وذهل بن شيبان، وسميع بن معشر من سادة ربيعة. فاستدعى أسعد تُبّع رؤساء قبائل اليمن وقحطان (من حمير، ومذحج، وكنده، وحضرموت، وهمدان، وأنمار، وأزد السراة، وأزد عمان، وقضاعة، وطيء، وغيرهم) فأخبرهم بما سألت ربيعة، فوافقوا وأجمعوا على عقد الحلف. وعندئذ ـ كما جاء في شرح الدامغة ـ:

«أَمَرَ تُبّع بن حسان بجفنة من ذهب ففصد فيها من دمه ودم خيار قومه، ثم دعا وفد ربيعة ففصد من دم رجالها، ثم صبّ على الدم خمراً ثم شرب وسقاهم دائراً، ثم قَلَم أظافر يديه ورجليه، وأمرهم فَقَلَموا أظافر أيديهم وأرجلهم، وجَزَّ من نواصيهم (أي من شعر رؤوسهم) ثم خلط ذلك جميعاً وجعلها في تابوت فضة (مع نسخة من كتاب الحلف) ثم دفنها في شاطىء البحر، وفَجَّرَ لساناً من البحر على مكان التابوت. وهذه نسخة من كتاب الحلف الذي كتبه أسعد تُبّع بن حسان بينهم:

«باسمك اللهم. هذا ما احتلف عليه اليمن وربيعة بن نزار، احتلفوا على سواءِ السواء، على النصر والإخاء ما احتذا رجل حذا، وما راح مرح وغدا. . حلفاً يرويه الأخيار عن الأخيار والأشرار عن الأشرار والصغار عن الكبار آخر الدهر والأبد. . يفنى الأمدُ ويبقى، ويُنسى المهم ولا يُنسى، على ذلك يهرم الكبير وينشؤ الصغير. حلفهم هذا مُزكى محفوظ بأمر العليّ ما طلعت شمس وما غربت، وما لمعت نجوم وما أفَلَتْ. . بالتناصر آخر الدهر، لا غش ولا خذلان، ولا تواصل دونهم لإنسان، العهد عليهم بذلك وثيق، يجيب عليه الداع، ويرعى عليه الراع، ويخلط عليه العيال بالعيال، والمال بالمال، ما اختلف الأيام والليال. فإنْ مَلِكٌ أَجْبَرَهم على أمر وجمعهم على إثم فله عون الكارهين ولهم صلة الواصلين. . تحمل على هذا أولادهم الحوامل وتقبلهم عليه القوابل. . اللّه أذن به، وعقده عقد مليك صمد. اللهم ألهم منه الرشد. لا يستطيع نقضه أحد. إن أصلح مُصلحٌ قُبِل عمله، وإن أفْسَدَ مُفسد لم يُقبل منه، وإن نقض ناقض على عمد لم يؤاخذ بها أهل الحجا والقصد، وعلى هذا المحيا والممات. وكُتب في شهر ناجر سنة ست من مُلْك تُبّع بن حسان»(١).

قال الهمداني: «فصارت ربيعة بذلك الحلف من بني قحطان كما صارت قبلهم إياد. وحليف القوم منهم»(١).

وكان ذلك الحلف في السنة السادسة من عهد أسعد تُبّع بن حسان وهي سنة ٥٧٨ للتقويم الحميري ويوافق سنة ٤٦٣ ميلادية، وذلك قبل الإسلام بنحو مائة وأربعين سنة، مما يثير التساؤل حول ورود اسم اللّه والعلي في كتاب الحلف في قوله: «باسمك اللهم. اللّه أذن به. . اللهم ألهم منه الرشد. . حلفهم هذا مُزكى بأمر

---

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤١٤ ـ ٤١٦.

العلي . . » وأقول: إن النقوش تؤكد أن أسعد تُبّع بن حسان وقومه كانوا يؤمنون باللّه الرحمن العلي، وقد جاء لفظ اللّه (ا ل ل ن) في النقش (رقم ٥٠٨٥ روبان) المؤرخ بعام ٤٤٥م في عهد حسان والد أسعد بصبغة (ا ل ل ن/ ذي سمين) أي (اللّه ذي السماء) وجاء في نقش القائد (تميم ذي حذيه) لفظ (ليباركن الرحمن. . آمين) وهو النقش رقم (٥١٢ ركمانز) ويعود إلى عام ٤٧٨م ـ ٤٧٩م. وجاء في نقش شراحيل ذي يزن ما يلي «ليباركن اللّه (ا ل هـ ن) ذي له السماء والأرض. . » وفي خاتمة النقش ما يلي « . . ويستعيذ (شراحيل) بالرحمن العليّ من كل مخادع يحاول طمسه. صِيغ وسُطِّر وقُدِّم باسم الرحمن. صاغه تميم ذي حذيه »[1] فذلك كله يعزز ما جاء في كتاب حلف اليمن وربيعة من أن «حلفهم هذا مُزكى محفوظ بأمر العليّ. . اللّه أذن به. وعقده عقد مليك صمد».

* * *

مسير أسعد تُبّع إلى البحرين وشمال الجزيرة وأشعاره في ذلك:

وبعد عقد حلف اليمن وربيعة بأمد يسير انطلق الملك أسعد تُبّع بن حسان بجيش حِمْيَر (الدولة) وفرسان قبائل اليمن إلى إقليم اليمامة ونجد وإقليم البحرين لإعادة أو تعزيز وتقوية سلطان ونفوذ الدولة الحميرية والولاة الملوك الكنديين لأقاليم اليمامة ونجد والبحرين، وكان مع أسعد في ذلك المسير الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرار الكندي الذي جاء في تاريخ ابن خلدون أنه «لما مَلَكَ تُبّع بن حسان على حِمْيَر، وهابته حمير والعرب، بعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد»[2] وكذلك كان مع أسعد تُبّع بن حسان عبد كلال الثاني بن ذي رُعَيْن، وأبرهة بن الصباح بن شرحبيل الحميري، والديان بن قطن الحارث المذحجي، ويزيد ذو الكلاع الحميري قائد ميمنة الجيش والذي فيه قال أسعد:

وجعلنا على المجنبة اليُمنى ... أخا الحرب ذا الكلاع يزيدا

وقد سار أسعد بالجيش والقبائل من طريق مخلاف نجران وجبل العارض إلى اليمامة، وكانت تسكن مناطق جبل العارض إلى المجازة من أرض اليمامة (بنو سُلي وبنو صبيح وبنو كبير، وهم من جرم بن ربان القضاعية الحميرية)، قال الهمداني: «وعارض اليمامه جبل مسيرة أيام. . وهو جبل منقاد عشرة أيام يعارض من خرج من نجران أربع مراحل فلا يزال يماشي الإنسان حتى يقطع الفقيء وهو أقصى

(١) النقش رقم ١٠٢٨ جام + تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٦٢ ـ ١٦٤.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٧٦.

اليمامة»[١]. فسار أسعد في أرجاء مناطق وقرى إقليم اليمامة ونجد، وأخضع بعض العشائر والقبائل (من تميم وقيس ومعد) وقام ببناء مدينة تجارية أو مركزاً تجارياً في الملحاء، وقد ذكر الهمداني في الصفة أن «من أرض اليمامة: حجر ثم جوّ.. والعرض وهو واد باليمامة.. وفوق ذلك واد آخر يقال له قُرّان وبه قرية يُقال لها قرّان، وفوق ذلك قرية يقال لها قُرَيَّة.. ومن جانب اليمامة الآخر قُرى المجازة.. وماوان.. وبنبان.. والنقب.. وتلعة، والسدوسية وهي حزوى ـ من ديار تميم ـ.. والضبيعة لبني قيس، والملحاء لبني قيس، والخرج لبني قيس، والنقيرة، والعوبند.. إلخ»[١]. فالقرية التي (يقال لها قُريّه) هي مدينة (قَرْية/ الفاو) عاصمة ومركز الحكم الكِندي لليمامة ونجد ـ كما سلف التبيين ـ والملحاء التي ذكرها الهمداني بقوله (..والملحاء لبني قيس) هي منطقة جبلية قام أسعد تُبّع ببناء مدينة أو مستوطنة تجارية فيها، حيث قال ابن المجاور ما يلي نصه:

«لمَّا مَلِكَ تُبَّع اليمن وحضرموت وبلاد الأحقاف والحجاز وأراد أن يخرج إلى ناحية العراق جاء إلى جبل المَلْحاء وهو جبل عظيم، وحفر فيه سِرْباً عظيماً فحفر تحت الأرض مسيرة ثلاثة فراسخ أو أكثر من ذلك، مُتسفلٍ مُنحدر، فلما حفر هذا القدر أمر أن يُحفر في أواخر السرب بلداً عظيماً والأصح سوقاً عظيماً بدكاكين متقابلة مصطفَّة على خيط واحد ما مقداره ألف دكان، ونقر من وراء الدكاكين الدُور والأملاك. فلما تمّ عمله ملأ كل دكان من الدكاكين صنفاً من الأمتعة والأطعمة ومن الحوائج والعقاقير وحفر في وسط السوق بئراً واسعاً عميقاً في الطول والعرض..»[٢] وكان السرب الذي تم حفره نفقاً وطريقاً تتفرع منه «ثلاث طرق، إحداها تنفذ إلى سوق عكاظ، والثانية طريق وسطى وهي بجبل الملحاء، والثالثة تنفذ إلى برية فيد»[٢] وبرية فيد هي الطريق إلى العراق، وكانت تسكن فيد عشائر قوية من قبيلة طيء اليمنية، وكانت طيء همزة وصل للنشاط التجاري بين اليمن وبين العراق وفارس.

ثم سار أسعد تُبَع إلى أرض البحرين بمدلولها الواسع القديم الذي سلف تبيين أنها تشمل كل ما يعرف الآن باسم منطقة الخليج العربي، وكانت تُسمى البحرين لأنها تقع بين بحر أجاج مالح هو بحر الخليج وبين سيل واد عظيم كان يقال له (نهر مُحَلّم) وكان عَذْباً فراتاً. قال الهمداني: «نهر مُحَلّم بهَجَر البحرين. ومُحَلّم نهر عظيم. يُقال: إنّ تُبّعاً نزل عليه فهالَهُ»[١]. وتُبّع الذي نزل عند نهر محلم بالبحرين قد يكون تُبّع ملشان (عام ٣١٠م) وقد يكون تُبّع أسعد بن حسان (عام ٤٦٥م) وقد سار

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١١ و ٣٠٩ و ٣٠٦.
(٢) المستبصر ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٢٧.

أسعد تُبّع بن حسان إلى كل أرجاء مناطق وقبائل وقرى إقليم البحرين التي كانت تمتد إلى سِيف كاظمة (الكويت حالياً) وإلى جزيرة أوال «وأوال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم في يوم»(١) وحتى مدينة ومنطقة هَجَر ومنها القطيف والأحساء ثم إلى منطقة الإمارات وما يليها من عُمان والساحل، وكان حصن المُشقر بمنطقة هَجَر هو مركز الحكم لإقليم البحرين. وقد جاء في هامش شرح الدامغة ما يلي نصه: «خرج تُبّع بن حسان في بعض غزواته فلما قَفَلَ رَتّبَ ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي بالمشقر»(٢). وذلك كناية عن تولية أسعد تُبّع بن حسان الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي على إقليم البحرين وكذلك فقد ولاه أسعد على إقليم اليمامة ونجد حتى تخوم إقليم الحيرة بالعراق. ثم عاد أسعد من ذلك المسير إلى أقاليم البحرين واليمامة ونجد ـ وربما الحجاز أيضاً ـ فقال قصيدة ذكر فيها ذلك المسير على أسماء ومنازل النجوم حيث ذكر نشوان الحميري وعُبيد بن شرية الجرهمي ما يلي نصه: «كان تُبّع أسعد إذا أراد أن يخرج للغزو أو في سفر طويل أرسل إلى أهل النجوم وأصحاب المعرفة بالعلم، وكان أيضاً يعرف علم النجوم، وإنما كان يأمرهم ليتفقوا بإجماعهم على ما كان عنده من الأحكام. وقال في ذلك [الغزو والمسير عند عودته إلى اليمن يذكر ذلك المسير على أسماء ومنازل النجوم] هذه القصيدة:

طال ليلي لما تذكرت نحفي ... ودعاني هواي نحو المسير
برجال إذا همُ ركبوا الخيـ ... ـل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأُسد غاب عليها ... كل درع مسرّد مشهور
.. فكمشت الجموع كمشاً رحيباً ... وارتحلنا بصمّة اليحمور
ثم سرنا مسير صدقٍ نوّم الجـ ... ـديّ في سيرنا بيُمن المسير
ثم بالدبران دارت رحانا ... بالصناديد كالرّحى المستدير
ثم (بالهقة) التقينا فكانت ... ليلة كرُّها لكل مغير(٣)
ثم سرنا وبالذراع نزلنا ... فظللنا بنعمة وحبور
ثم بالنثر شطَّ عني نوى البعـ ... ـد فأغنيت كل عانٍ فقير(٤)
ثم بالجبهة ارتفعنا فكنّا ... جبهة الرأس فوق عين النظير
ثم بالزبرة ازبأرتْ عليهم ... خيلُنا بالأُسودِ ذات الزئير

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١١ و ٣٠٩ و ٣٠٦.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٢٦.
(٣) الهقة: لعلها تصحيف (العوقة) وهي من أرض اليمامة وكان يسكنها ناس من تميم.
(٤) النثر: لعلها (البثر) وهي (مسلحة البثر) وكانت في أقصى أرض اليمامة وأوائل أرض البحرين.

ثم بالصرفة استقريت أرضاً بوعيدي وعسكري ونكيري
. . ثم بالغفر سرت بالخيل قُدماً بكماةٍ وكل قرم جسور
ثم بالكوكب الزبانا مَعَدٌّ أذعنت بالعواء بعد الهرير
. . ثم سرنا وبالنعام نزلنا يوم رهج وصولة وهدير
ثم بالبلدة اعترضنا الأعادي بجموع وكان ذاك سروري
وبسعدٍ ذبحتُ أبناء سعدٍ ووضعتُ المُدَى بها في النحور[1]
وبسعدِ البلوع دمرتُ قوماً بلعتهم مُنقرات النسور[1]
وبسعد السعود، أُسْعِد جدي فاستوى المُلك واستقام سريري[1]
. . ثم بالفرغ مقدم الدلو حولي كلّ قِرْم متوج محبور
ثم بالفرغ آخر الدلو صرنا بعد إيغالنا بخير مصير
ثم بالحوت قد حويتُ الأعادي بالعناجيج والسيوف الذكور
ثم بالنطح لم نزل ننطح النا س بقرن مذلق مطرور
ووطئنا بالبطن أرض مَعَدٌّ بالعناجيج نعتلي بالوعور
ورجعنا إلى الثريا فثرنا يوم نقع وظلمة ديجور
أجعل الفرقدين والجديّ منها حيث دارت بنات نعش تدور
لا أبالي النسرين حيث استقلا وسهيلاً إذا أجدّ مسيري
ثم أمّيْتُ زهرة الردف قصداً لمقامي في نعمتي وحبوري
إنما طَيْرَة النجوم لغيري ولنا يُمنها بلا تطيير
قد كتبنا مسانداً في ظفار وكتبنا أيامنا في الزبور
وذكرتُ الذي يكون لحيني إن مُلكي للفاضل المنصور

قال عبيد بن شريه: «وقال تُبّع يذكر ما صنع بأرض معدّ وغيرها من البلاد:

رُبَّ هَمّ مؤرق بعد نوم غير ما باطل ولكن بجدٌ
يا بني مازن فوارس سعد سرّني ما فعلتمُ بمعدٌ
إذْ أثَرْتُم مع العجاج عجاجاً وانتضيتم لها صفائح هند
. . وصَرَفْنا إلى كنانة جنداً فتوافت إلى كنانة جندي
وتركنا ثقيف تنضح للجنـ ـدِ بقهرٍ على هوانٍ وكدٌ
وجعلنا للخَرْجِ منزل قيسٍ قد أقرّوا بالخَرْج من غير عهد

(١) سعد، وسعد البلوع، وسعد السعود: أسماء نجوم. وقوله (أسعد جدي): أي أُسعِد حظي.

وجـعـلـنـا بـنـي نـزار هـداة يـرشـدون الـطـريـق فـي كـل قـصـد»

وقوله (يا بني مازن فوارس سعد) يعني بني مازن بن ربيعة بن مُنبه بن زُبَيْد بن الحارث بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وكان بنو مازن فوارس سعد العشيرة.

* * *

ولاية الحارث بن عمرو الكندي ـ جد امرىء القيس ـ على شمال الجزيرة ثم إقليم الحيرة بالعراق في عهد أسعد:

قال ابن خلدون: «قال الطبري: كان حسان تُبّع قد زوّج ابنته من عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي فولدت له ابنه الحارث بن عمرو، فكان الحارث بن عمرو مع تُبَّع بن حسان هذا، فبعثه على بلاد معد»[1] فلم تكن ملوكية الحارث بالوراثة لأبيه عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرار، وإنما كان مولد ونشأة الحارث بن عمرو في اليمن فكان من الأقيال الرؤساء بمنطقة كندة وحضرموت عندما سار مع أسعد تُبّع بن حسان في مسيره إلى اليمامة ونجد والبحرين فولاه على تلك المناطق، وقد جاء في شرح الدامغة أنه «خرج تُبّع بن حسان في بعض غزواته فلما قَفَلَ رَتَّبَ ابن أخته الحارث بن عمرو الكندي بالمشقر» (ص١٢٦) وقال ابن خلدون: «..بعث تُبّع بن حسان بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد»[1] وقال ابن خلدون أيضاً: «قال هشام بن الكلبي: جاء الحارث بن عمرو الكندي إلى بلاد معد والحيرة وقد ولَّاهُ تُبّع بن حسان ـ فنازع ملوك الحيرة ـ فسار إليه النعمان (ملك الحيرة) وقاتله، فقُتِلِ النعمان وعدد من أهل بيته وانهزم أصحابه، وأفْلَتَ المنذر بن النعمان.. وتشتت مُلك آل النعمان، ومَلَكَ الحارث بن عمرو ما كانوا يملكونه. وقال غير هشام ابن الكلبي: إن النعمان الذي قتله الحارث هو ابن المنذر ابن النعمان وهو الذي أسرته فارس. مَلَكَ عشرين سنة منها في أيام فيروز بن يزدجرد عشر سنين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وأيام قُبَاذ ست سنين»[1]. وكان حكم يزدجرد ملك فارس وابنه فيروز بن يزدجر في الفترة (٤٣٨ ـ ٤٥١م) ثم تنازع حكم الفرس يلاوش وقُبَاذ وانقسمت الإمبراطورية الفارسية بينهما ووقعت بينهما حروب ولذلك كان قباذ ملكاً ضعيفاً عندما امتد نفوذ الحارث بن عمرو ـ نائب أسعد تُبّع ـ إلى أطراف إقليم الحيرة الذي هو أرض مملكة المناذرة بالعراق في إطار الدولة الفارسية حيث كما ذكر الأستاذ أحمد أمين: «كان النظام المُتَّبع أن عرب الحيرة يقدمون الطاعة لملك فارس وهو يُولِّي عليهم أميراً من أنفسهم. وعليهم أن يحموا فارس من كل مُغير من نواحيهم، والفرس مقابل ذلك يعفونهم من دفع الأتاوة،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٨ جـ ٢.

وفوق هذا كان عرب الحيرة لا يرتبطون بفارس إلا بما توجبه المعاهدات عليهم. وقد اعتاد ملك الفُرس أن يُنصِّب أميراً من قبيلة لَخْم وهي قبيلة من أصل يمني. .»[١] وكان منهم الملك المنذر بن النعمان الأول في عهد الملك الفارسي بهرام جور (٤٢١ ـ ٤٣٨م) ثم النعمان بن المنذر بن النعمان في أيام يزدجرد وفيروز بن يزدجرد (٤٣٨ ـ ٤٥١م) ثم المنذر بن النعمان بن المنذر. . قال ابن خلدون: «وفي كتاب الأغاني: لَمّا مَلَكَ قباذ وكان ضعيف المُلْك، توثبت العربُ على المنذر بن النعمان ابن الشقيقة فأخرجوه، فخرج هارباً منهم حتى مات في إياد، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكىٰ ولده، فجاؤوا بالحارث بن عمرو الكندي فملّكوه على بكر بن وائل وحشدوا له وقاتلوا معه وظَهَر على من قاتله من العرب ـ عرب الحيرة ـ. وأَبىٰ قُبَاذ ـ الملك الفارسي ـ أن يمدّ المنذر بجيش فلما رأى المنذر ذلك كتب إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنّي في غير قومي وأنت أحقّ من ضَمَّني وأنا متحولٌ إليك. فتحوّل إليه، وزوّجه ابنته هنداً. وقال غير هشام بن محمد: إن الحارث بن عمرو لما وُلّي على العرب بعد أبيه اشتدت وطأته وعظم بأسه ونازع ملوك الحيرة وعليهم يومئذ المنذر بن امرىء القيس، وكان كسرى قُبَاذ زنديقاً على رأي ماني فدعا المنذر إلى رأيه، فأبَىٰ عليه، وأجابه الحارث بن عمرو فَملّكه على العرب وأنزله بالحيرة»[٢]. بينما الصحيح أن المنذر بن امرىء القيس مات قبل زمن قباذ والحارث بأكثر من مائة سنة لأنه ابن امرىء القيس بن عمرو اللخمي الذي مات في النمارة سنة ٣٢٨ ميلادية بينما زمن قُباذ والحارث بعد سنة ٤٦٥ ميلادية ولم يعتنق قباذ المذهب الزندقي (المزدكي) إلا في زمن متأخر من عهده، وكان الحارث قد أصبح ملكاً للحيرة منذ ما قبل ذلك بنحو عشرين سنة، وقد ذكر ابن خلدون نفسه «أن الحارث بن عمرو أبَىٰ أن يتزندق مع قباذ ملك فارس»[٢]. أما سبب شمولية حكم الحارث لإقليم الحيرة فقد ذكر أيضاً أبو عبيدة في كتاب النقائض ما يلي نصه: «كان قُباذ ملك فارس ضعيف المُلك، فوثبت ربيعة على المنذر فأخرجوه فخرج هارباً منهم حتى مات في إياد، وترك ابنه المنذر بن المنذر وكان أَرْجَأَ ولده عنده، فانطلقت ربيعة فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي فَملّكوه وحشدوا له وقاتلوا معه فَظَهَرَ على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق. وأبَىٰ قُبَاذُ أن يُمِدَّ المنذر بجيش، فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرو: إنّي في غير قومي وأنتَ أحقُّ مَنْ ضَمَّني واكتنفني وأنا متحوِّلٌ إليك، فحوَّله إليه وزوَّجه ابنته هنداً»[٣]. وهي هند بنت الحارث بن عمرو الكندي. قال ابن خلدون: «قال هشام بن محمد: ولما مَلَكَ الحارث بن عمرو مُلْكَ آل النعمان بعث إليه قُباذ

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ١٧. (٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٦٤ و ٢٦٧ جـ ٢.
(٣) النقائض ـ أبو عبيدة البكري ـ ص ١٠٧٣.

يطلبُ لقاءه وكان مُضعفاً. فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات.. وقال الطبري: مَلَكَ الحارث على العرب بالحيرة وانعقد الصلح بينه وبين قُباذ ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهم»[١]. وكان ذلك في نحو السنة العاشرة من عهد أسعد تُبّع بن حسان وهي سنة ٤٦٧ ميلادية.

* * *

غزوة أسعد تُبّع إلى سواد العراق وشعره في ذلك:

لما بلغ أسعد تُبّع خبر الصلح بين الحارث بن عمرو الكندي والملك الفارسي قُباذ «على أن لا يتجاوز الحارث بالعرب الفرات» أو «على أن يكون الفرات حِداً بينهم» قال أسعد تُبّع بن حسان:

لَستُ بالتُبّع اليماني إن لَمْ ... تركض الخيلُ في سواد العراق

وسواد العراق هو المناطق الممتدة شرق الفرات ودجلة من العراق وكانت مناطق خصبة ذات أشجار كثيفة لذلك كان يُقال لها (السواد). فبدأ الحارث بن عمرو في تنفيذ ما يبدو أنّه مرحلة أولى من خطة تحرير واجتياح شرق الفرات (سواد العراق) حيث كما ذكر ابن خلدون: «قال هشام بن محمد: لما مَلَكَ الحارث بن عمرو مُلْك آل النعمان بعث إليه قُبَاذ يطلب لقاءه وكان مُضعفاً، فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات. ثم استضعفه فأطلق العرب للغارة في نواحي السواد وراء الفرات. فسأله قُباذ اللقاء بابنه، واعتذر الحارث إليه بأشطاظ العرب وأنه لا يضبطهم إلا المال. فأقطعه قُباذ جانباً من السواد..»[١] وقال ابن خلدون: «قال الطبري: لما مَلَكَ الحارث على العرب بالحيرة انعقد الصلح بينه وبين قُباذ ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهم. ثم أغار العرب على شرق الفرات، فعاتبه قُباذ على ذلك، فقال: لا أقدر على ضبط العرب إلا بالمال والجُند فأقطعه قُباذ بلاداً من السواد»[١] ثم تلت ذلك المرحلة الثانية من الخطة.. حيث ذكر ابن خلدون بعد النص السالف عن الطبري ما يلي: «وكتب الحارث إلى تُبّع بن حسان يُغريه بمُلك الفرس وضعف أمر قُباذ، فغزاهم». وكذلك ذكر ابن خلدون في النص السالف عن هشام بن محمد ما يلي: «فبعث الحارث إلى ملك اليمن تُبّع بن حسان يستنهضه بغزو فارس ويُخبره بضعف ملكهم. فجمع تُبّع الجموع وسار حتى نزل الحيرة، وبعث ابن أخيه شمّر ذا الجناح إلى قُباذ فقاتله واتّبعه إلى الرَيّ»[١].

وذكر نشوان الحميري وعبيد بن شرية الجرهمي أنه «قال أسعد تُبّع عن ذلك الغزو:

أنَا أبو الجيش الذي شَمّروا ... إلى العراق الموكب الهائلِ

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٦٤ و ١٦٧ جـ ٢.

يَـقْـدِمُـهُـم مِـنْ حِـمْـيَـرٍ شُـمَّـرُ وأسـعـدُ مِـنْ بَـعْـدِهِ نـاهـلِ
يـا أيُّـهـا الـسـائـلُ عـن خـيـلـنـا مـا الـعـالـمُ الـمُـخْـبِرُ كـالـجـاهـلِ
تـسـعـون ألـفـاً عـدداً بُـلْـقُـهـا ودُهْـمُـهـا كـالـعـارض الـوابـلِ
والـكُـمْـتُ والـجُـرْدُ تـغـادىٰ بِـنَـا بـكـل قِـرْم بـطـلٍ صـائـلِ
أوّلُـهـا مِـنْ زمـزمٍ شَـارِبٌ آخـرهـا مِـنْ عـلـبٍ راحـلِ»

فتمّ غزو واجتياح سواد العراق، وانسحب قُباذ والفُرس من سواد شرق الفرات إلى المدائن وجهات فارس. وقد خلطت الروايات والأشعار بين ذلك وبين غزوات أبي كرب أسعد الأول ابن ملكي كرب ملك سبأ والتي شملت بلاد فارس وآسيا الوسطى في القرن السابع قبل الميلاد فنسبوا تلك الغزوات إلى أسعد تُبّع هذا أيام قُباذ بالقرن الخامس الميلادي، ولذلك يجب التمييز فغزوة أسعد تُبّع هذا وهو أسعد الثاني بن حسان كانت سنة ٤٦٩ ميلادية ولم تتجاوز سواد العراق، وكان الملك الفارسي قُباذ ضعيفاً بسبب الانقسام والحرب بينه وبين أخيه يلاوش بن يزدجرد، فانسحب قُباذ من السواد، ونرى أن اتفاقاً وصلحاً انعقد بين الطرفين على أن يُسلم قُباذ مناطق من أرض السواد ـ شرق الفرات ـ إلى العرب، وتم ضمّها إلى إمارة الحِيرة وإلى ملوكية الحارث بن عمرو الكندي، وأوطَنَ أسعد تُبّع هناك الذين أوطنهم. وقد ذكر ابن خلدون والطبري أنه «خَلَفَ ـ أي أوطن ـ تُبّع بالحيرة قوماً من الأزد وقضاعة واجتمع إليهم ناس مِنْ طيء وكلب والسكون وإياد والحرث بن كعب فأقاموا هنالك وبنوا الأطام»[1]. قال ابن الكلبي «وسار تُبّع حتى قَدِم مكة.. ثم مضىٰ إلى اليمن».

وقد تولى أبناء الحارث بن عمرو الكندي الحكم في مناطق وقبائل البحرين واليمامة ونجد، قال ابن خلدون: «فَرَّقَ الحارث بن عمرو الكندي أولاده ملوكاً على قبائل معد. فَمَلّك حُجْراً ـ والد امرىء القيس ـ على بني أسد. وشُرحبيل على بني سعد والرباب، وسَلَمة على بكر وتغلب. ومعدي كرب على قيس وكنانة. ويُقال: بل كان سَلَمة على حنظلة وتغلب. وشُرحبيل على سعد وبكر والرباب، وفي كتاب الأغاني: أنه ولّى ابنه شرحبيل على بكر بن وائل وحنظلة. وحُجر على بني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب. ومعدي كرب على قيس. وسَلَمة على بني تغلب والنمر بن قاسط والنمر بن زيد مناة» [ص ٢٦٤/ ٢].

بينما مكث الحارث بن عمرو الكندي ملكاً على إقليم الحيرة منذ السنة العاشرة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ١٦٤ و ١٦٧ جـ ٢.

من عهد أسعد تُبّع بن حسان (عام ٤٦٧ ميلادية) وامتد حكمه إلى سواد العراق منذ غزوة أسعد (حوالي عام ٤٦٩م) وتقاسم الحارث الحكم مع المنذر بن المنذر الذي تزوج هند بنت الحارث وهو المنذر بن ماء السماء، فتولى المنذر منطقة السواد بينما مكث الحارث ملكاً بالحيرة ومناطقها، واستمر كذلك حتى بعد وفاة أسعد وحتى عندما قوي قباذ وشمل حكمه كل بلاد الدولة الفارسية وذلك إلى حوالي عام ٥٢٧ ميلادية فقد دام حكم الحارث بن عمرو زهاء ستين سنة[١].

وكان من ولاة أسعد تُبّع أيضاً القائد تميم ذي حذية الربهدي الحميري فقد تم العثور في منطقة مأسل الجُمح بأرض اليمامة ونجد على نقش مسند باسم (تميم ذو حذية) وبجوار النقش «رسم منحوت لشخص ذي ربطة مخططة حول فخذيه ويحمل رمحاً في يده وخنجراً خلف حزامه»[٢] ـ وهو رسم تميم ذي حذية نفسه ـ كما تم العثور على نقش ورسم مماثل باسم تميم ذي حذية في وادي كوكب شمال نجران، ونقش ثالث في موقع بئر الحمة بنجران[٢] مما يدل على أنه كان والياً أو قائداً للحاميات العسكرية ما بين نجران واليمامة ومنطقة مأسل الجُمح وما إليها منذ عهد أسعد ثم في عهد لحيعة يرخم ذي جدن وأولاده ـ أي منذ حوالي عام ٤٦٥ ـ ٥١٥ ميلادية ـ. وقد ذكر الحسن الهمداني أن: من أرض اليمامة ونجد « . . الأنيعم، والدَّخول، وحومل، وتوضح، والمقراة، ومأسل الجمح، ودارة جُلْجُل. . »[٣] وقال: « . . وقُرقرى من اليمامة والهزمة. . والدَّخول ناحية الهزمة وقرقرة وتوضح، وإياهما عَنَىٰ امرؤ القيس بقوله:

بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

وتوضح والمقراة لم يعف رسمها

. . ومأسل الجمح لبني ضِنَّة من نُمير»[٣] وقال أيضاً: «ثم مأسل الجُمح وفي فرعها صحراء يُقال لها جراد والرملة، ومن ورائهما هُضيبات حُمر يُقال لهن مجيرات، وعن أيمانهن هضب يُقال لها هضب السمنات»[٣] فكان تميم ذو حذية هو قائد الحاميات العسكرية الحميرية في عهد أسعد تُبّع بن حسان بمأسل الجمح وتلك الأرجاء من اليمامة بمدلولها الواسع القديم.

* * *

(١) قال ابن خلدون: «ثم مات قُباذ وولّى ابنه كسرى أنوشروان فردّ ملك الحيرة إلى المنذر بن ماء السماء. . وقال ابن الكلبي: لما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملّكه الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو. . وخرج الحارث من الحيرة ومات في ديار بني كلب وقد بلغ من الكبر عتياً» وكان ذلك حوالي عام ٥٢٨م أو ٥٢٩م.

(٢) ملحمة أسعد الكامل ـ د. بيوتروفسكي ـ النقوش أرقام ٥٠٣ و ٥٠٤ ركمانز، و (J.A. ١٠٣٠).

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٢ و ٣١١ و ٣٢٩.

مسير أسعد إلى يثرب ومكة وأشعاره في ذلك وفي التبشير بالنبي محمد ﷺ:

تكتسب قصة مسير أسعد تُبّع إلى يثرب ومكة أهمية كبيرة في الروايات وفي الأشعار التي قالها أسعد والأشعار المنسوبة إليها. يقول الدكتور بيوتروفسكي: «لقد وصل إلينا عن هذه الحملة ثلاث روايات هي: رواية ابن إسحاق في السيرة النبوية ورواية هشام بن الكلبي في كتاب الأغاني ورواية ثالثة في أخبار عبيد بن شرية الجرهمي. ومن الملاحظ أن محور الأحداث يتطابق في جميع الروايات والاختلاف في التفاصيل. تُبَلغُنا الروايات الثلاث عن وجود سببين لحملة أسعد؛ الأول: امتناع ورفض أهل يثرب الخضوع للحميريين، وخلعهم نائب الملك وهو خالد بن أسعد الكامل وقتلهم جنوداً حميريين. والثاني: مساعدة الأنصار (الأوس والخزرج) في صراعهم مع يهود يثرب، ويبدو أن هذا السبب هو الأساس في أخبار عبيد. أما في أشعار أسعد فيُسمىٰ اليهود والأنباط أعداء لأسعد:

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت أماقيها بسمّ الأسود

أرقاً لما فعل اليهود بيثربٍ ... فلبثت في غُمدان كالمتبلّد

وحلفتَ عهداً تبلغن نخيلهم ... زبر الحديد عشية أو مِنْ غدِ

وقوله:

ثم وجهتُ نحو يثرب خيلاً ... لنبيط بها يحلون بعدي

فصدمنا آطام يثرب بالخيـ ... ـل العناضيج بالمَقَاوِل تردي»(١)

وأقول: إن الروايات الثلاث التي أشار إليها بيوتروفسكي لا تختلف في التفاصيل فقط وإنما تختلف اختلافاً كبيراً في الوقائع وفي الزمن. فقد خلطت رواية ابن إسحاق بين أخبار ثلاثة ملوك تبابعة فاعتَبَرتهم ملكاً واحداً، بينما هم ثلاثة ملوك في أزمنة متباعدة وهم:

الأول: أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ بن ملكي كرب. وهو الذي ذكر الهمداني في الإكليل: «إن بخت نصّر ـ ملك بابل ـ كان في عهد أسعد تُبّع وفي أيام حسان بن أسعد» [ص ١٠١/٨] ـ وكان زمن بخت نُصر ـ وهو (نبوخذ نصر ملك بابل) ـ في القرن السابع إلى القرن السادس قبل الميلاد، فزمن أبي كرب أسعد هو القرن السابع قبل الميلاد، وكان مؤمناً بدين التوحيد الحنيف. قال القرطبي: «وقال ابن العباس: كان تُبّع نبياً.. قال القرطبي: وهو أبو كرب أسعد الذي كسا البيت.. وكان بين اليوم الذي مات فيه أسعد تُبّع وبين البعثة النبوية

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ د. بيوتروفسكي ـ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

ألف سنة»[١] فكل ذلك يتيح إدراك الزمن القديم لأبي كرب أسعد، وهو الذي أسس مدينة يثرب وأوطن فيها عشائر من قومه وحامية عسكرية، وكسا الكعبة وولّى الجرهميين على مكة وسدانة البيت، وبشّر بالنبي محمد ﷺ في ذلك الزمن القديم من عصور ملوك سبأ التبابعة.

الثاني: تُبّع عمرو، واسمه (ذرا ـ أمر ـ أيمن) وهو من ملوك سبأ التبابعة، وفي عهده جاءت موجة من اليهود من جهة الشام إلى يثرب فاحتلوا حصن يثرب وأخرجوا العامل الحميري (خالد بن أسعد) فسار الملك (تُبّع عمرو) إلى يثرب ففتك بكثير من اليهود، وحاصر بقية اليهود في حصن يثرب، وأثناء الحصار أصيب بمرض، فخرج اثنان من الأحبار اليهود إليه وقاما بمعالجته ودعياه إلى اليهودية فاعتنق الديانة اليهودية. وقد زعمت رواية ابن إسحاق أنه (تُبّع أسعد) والصواب الذي ذكره العلماء من المؤرخين اليمنيين أنه (تُبّع عمرو) وفيه قال نشوان الحميري في قصيدته عن التبابعة:

أو تُبّعُ عمرو ابن حسان الذي ... سفح الدماء بسيفه السفاح

قَتَلَ اليهود بيثربٍ وأراهم ... أنياب ثغر للمنيّة شاح

وقال الهمداني في شرح الدامغة: «ثم أعجب تُبّع عمرو هذا دين اليهودية، فدخل مع الحِبرين في دينهم..» وقال في الإكليل: «أما الحبران اللذان ذكرهما العلماء فذلك في تُبّع عمرو فهو صاحب الحبرين»[٢] وقد أتى تُبّع عمرو بالحبرين إلى مكة وأراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك فكسا الكعبة وعاد إلى اليمن فحاول فرض اليهودية فقتله الأقيال اليمنيون، وهو الذي جاء في بعض الروايات أنه «كان تُبّع قبل الإسلام بسبعمائة سنة».

الثالث: تُبّع أسعد بن حسان الذي ولّى الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، فزمنه هو أواسط القرن الخامس بعد الميلاد، وهو تُبّع أسعد الذي ذكر ابن الكلبي وعبيد بن شرية الجرهمي أن مسيره إلى يثرب كان لمناصرة الأوس والخزرج على اليهود. وكان الأوس والخزرج يُقال لهم (بنو قَيْلة). قال ابن خلدون: «ونقل السهيلي عن ابن قتيبة: إن غزاة تُبّع هذه إنما هي استصراخة أبناء قَيْلة على اليهود. فإنهم كانوا نزلوا ـ يثرب ـ مع اليهود حين خرجوا من اليمن على شروط فنقض عليهم اليهود فاستغاثوا بتُبّع وعند ذلك قَدِمَهَا. وقد قيل إن الذي استصرخه أبناء قَيْلة على اليهود إنما هو أبو جَبَلة من ملوك غسان بالشام، جاء به مالك بن عجلان

(١) التفسير الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ص ٣/١٤٦.

(٢) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص ٢١ ـ والإكليل ـ الهمداني ـ ص ٨/٢٢١.

الخزرجي فقتل اليهود بالمدينة. ويعضد هذا أن زمن مالك بن عجلان بعيد عن عهد تُبّع»[١] وليس هنالك تعارض في الواقع بين استنصار بني قَيْلة ورئيسهم مالك بن عجلان بأبي جبلة الغساني وقيامه بقتل الذين نكثوا من اليهود في زمن سابق ـ قبل الإسلام بثلاثمائة سنة ـ وبين استنصار بني قَيْلة بتُبّع أسعد بن حسان ـ قبل الإسلام بمائة وأربعين سنة ـ فلم يكن الذي استنصر بتُبّع أسعد مالك بن عجلان وإنما ـ وكما ذكر ابن خلدون ـ «كان رئيس بني قَيْلة عمرو بن الطلّة من بني النجار. فلما أَقْبَلَ تُبّع من المشرق ـ سواد العراق ـ جعل طريقه على يثرب، فَقَاتَلَ اليهود»[١] فخضع اليهود لزعامة بني قَيْلة ـ الأوس والخزرج الأزديين اليمانيين ـ وقام بنو قَيْلة بإجلاء اليهود من يثرب إلى خيبر وعاد أسعد تُبّع من يثرب إلى مكة قاصداً اليمن. وقد ذكر الهمداني في الصفة أنه «قال بعض آل أسعد تُبّع:

وفي يثربٍ مِنّا قبائل إنْ دُعُوا ... أتَوْا سُرُباً مِنْ دَارِعِينَ وحُسَّرِ
هُمُ طردوا عنها اليهود فأصبحوا ... على معزلٍ منها بساحة خيبر
وغسان حيّ عزّهم في سيوفهم ... كرام المساعي قد حووا أرض قَيْصر»

وكان نفوذ الدولة الحميرية يمتد إلى تخوم الشام ـ أرض غسان ـ وكان الملك الغساني بالشام في عهد أسعد هو جَبَلة بن الحارث الجفني، وكان قيصر الروم آنذاك الملك مركيانوس (٤٥١ ـ ٤٥٧م) ثم عدة ملوك ثم الملك زينون (٤٧٥ ـ ٤٩٢م) وكان للدولة الحميرية علاقات جيدة مع الروم وعلاقات قوية مع الغساسنة لأنهم يمانيون تربطهم باليمن وشائج راسخة.

وقد ذكرت الروايات أنه «مَضَىٰ تُبّع أسعد من يثرب ولقيه دون مكة نفرٌ من هذيل وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز ـ (وهي النذور) ـ، فأراد أسعد هدم الكعبة، ثم انتهى عن ذلك، فقتل النفر من الهذليين، ودخل مكة، فكسا الكعبة» وقد خلطت رواية ابن إسحاق بين ذلك وبين كسوة أبي كرب أسعد للكعبة في الزمن القديم وبين خبر تُبّع عمرو والحبرين قبل مئات السنين. بينما الصحيح في خبر مسير أسعد تُبع هذا ـ ابن حسان ـ إلى مكة هو ما تقدم عن إغراء الهذليين إياه بإخراب الكعبة وأخذ ما فيها، فقتلهم أسعد، ودخل مكة، فكسا الكعبة كما كساها أبو كرب أسعد الأول. وكان ولاة مكة والبيت الحرام في زمن أسعد تُبّع بن حسان من قبيلة خزاعة اليمانية. وجاء في الشعر المنسوب إلى أسعد أنه قال:

ثم انصرفتُ أريد مكة عامداً ... لخرابها لا كالذي لم أعمد

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٥ و ٦٧.

لـمـا أتـانـي مـن هُـذَيْـل أعـبُـدُ يـتـنـصَّـحـون فـرمـتُ أمـر الأعـبـد
فـأردت أمـراً حـال ربـي دونـه والـلّـه يـدفـع عـن خـراب الـمـسـجـد
فـرددتُ مـا أمـلْـتُ فـيـه عـلـيـهـم وتـركـتـهـم مـثـلاً لأهـل الـمـشـهـد
وكـسـوتـه الـريـط الـيـمـانـي رغـبـة وطـراز عـصـب الـمُـحْـكَـم الـمـتـجرّد
أرجـو بـذلـك عـنـد ربـي زلـفـة وحـذار حـرّ مـن جـحـيـم مُـوقـد

ولم يكن أسعد يهودياً ولا كان من المشركين وإنما كان مؤمناً بدين التوحيد الحنيف الذي ساد اليمن في عدة عصور سابقة ومنها عصور ذي القرنين وبلقيس وأبي كرب أسعد الأول، وكان دين التوحيد الحنيف يَبْقَىٰ من يؤمن به حتى في فترات عبادة الآلهة المتعددة، وكان التوحيد الحنيف هو الدين الرئيسي في عهد حسان وعهد أسعد بن حسان مع وجود الأديان والعبادات الأخرى في إطار حرية المعتقدات الدينية. وقد بشّر وأخبر أبو كرب أسعد الأول وكذلك أسعد تُبّع الثاني بن حسان بنبيّ سيأتي اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء، وهو علم متواتر كان يتناقله العلماء والكهنة العارفون منذ أزمنة الصعب ذي القرنين وأبي كرب أسعد الأول. وقد وجد أبو كرب أسعد التبشير بنبيّ سيأتي اسمه أحمد في كتاب زبور يمني أقدم كان عند الكاهن شافع بن كليب الصدفي بمدينة ظفار فبشر أبو كرب أسعد به. واستمرت المعرفة بذلك في بعض الكُتب المزبورة المحفوظة عند بعض الملوك دون سواهم إلى زمن أسعد تُبّع بن حسان، وقد أجمعت كتب التاريخ التراثية على أن أسعد تُبّع بشّر وأخبر بمجيء نبيّ اسمه أحمد يكون خاتم الأنبياء، وقد وقع التبشير من أبي كرب أسعد الأول ومن أسعد تُبّع بن حسان، وذكر المؤرخون شعراً قاله أسعد تُبّع في ذلك. وبما أن زمن أبي كرب أسعد الأول أقدم من أزمنة الشعر، فإن قائل الشعر ـ فيما نرى ـ إنما هو أسعد تُبّع الثاني بن حسان، فقد ذكر ابن شريّة وابن الكلبي والطبري والمسعودي والهمداني ونشوان الحميري وابن كثير أنّه: «قال أسعد تُبّع:

شـهـدتُ عـلـى أحـمـدٍ أنـه رسـولٌ مِـن الـلّـه بـاري الـنَـسَـمْ
نـبـيٌّ وجـدنـاه فـي كُـتْـبـنـا بـه يُـهـتـدىٰ وبـه يُـعْـتَـصَـم
فـلـو مُـدّ عُـمـري إلـى عُـمـره لـكـنـتُ وزيـراً لـه وابـن عَـمْ
وألـزمـتُ طـاعـتـه كـل مَـنْ عـلـى الأرض مـن عَـرَبٍ وعَـجَـمْ

قال الحافظ ابن كثير: «قال السهيلي: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار (الأوس والخزرج) ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي اللّه عنه وأرضاه»[1]. وكذلك كان باليمن من يحفظون ذلك الشعر وغيره من أشعار أسعد تُبّع

(١) البداية والنهارية ـ ابن كثير ـ ص ١٦٦ جـ ٢.

لأن المدة من زمن أسعد تُبّع إلى البعثة النبوية ليست إلا مائة وأربعين سنة.

* * *

ذكر ملوك اليمن الأوائل في أشعار أسعد تُبَّع:

ومن الظواهر الهامة في أشعار أسعد تُبّع ذكر ملوك اليمن القدماء والتبابعة والأذواء الأوائل، وقد سلف ذكر قول ابن خلدون: «كان تُبّع بن حسان أعلم الناس بنجم، وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون» (اهـ). وقد جاء في أشعار أسعد تُبّع أسماء كثير من الملوك والأذواء لا يعرف المؤرخون والرواة العرب عنهم شيئاً، ولا يذكرونهم بين الملوك، بينما تبين لنا من النقوش التي تم اكتشافها في اليمن أن الأسماء المذكورة في أشعار أسعد هي أسماء ملوك وأذواء في عصور تاريخ اليمن الحضاري التليد، مما يعطينا الثقة بأن أشعار أسعد صحيحة وأنه كان أعرفهم بالتاريخ وأكثرهم حديثاً عما كان. وهو ما يتجلى في الكثير من أشعاره، ومنها قول أسعد تُبّع:

ولدتني مِنَ الملوكِ مُلوكُ   كُلّ قَيْلٍ مُتَوّجٍ صنديدِ
ونساءٌ متوجاتٌ كبلقيس   وشمس، ومن لميس جدودي

ولميس هي الملكة لميس والدة الملك إفريقيس بن ذي المنار بن الرائش الذي ذكرت كتب التاريخ التراثية أنه عاصر النبي موسى، فزمن إفريقيس هو القرن الثاني عشر ق.م. وقد جاء اسم لميس في نقش سبئي من مأرب يذكر «حصن لميس» وهو النقش (رقم ٢ كهالي) من محرم بلقيس (معبد أوام) بمأرب، ويعود زمنه إلى القرن الحادي عشر ق.م. ولميس أيضاً الأميرة لميس بنت أبي كرب أسعد الأول ملك سبأ - بالقرن السابع ق.م. - وقد حملت اسم (شمس) ملكتان إحداهن: الملكة شمس زوجة الملك ياسر يُهصدق الذي حكم بعد الملكة بلقيس - بالقرن العاشر ق.م. - والثانية: شمس ملكة العرب المذكورة في نقش تجلات بلاسير ملك آشور - بالقرن الثامن ق.م. - أما بلقيس فهي ملكة سبأ التي عاصرت النبي سليمان - بالقرن العاشر ق.م. - واسمها معروف ومتواتر في كل كتب التاريخ، وشعر أسعد هو أقدم شعر جاء فيه ذكر اسمها حيث قال أسعد أيضاً:

جدتي الخير حين تُذكرُ بلقيسُ   ومَنْ نال مطلع الشمس جدي

والذي نال مطلع الشمس هو الملك الصعب ذو القرنين والملك ياسر يُنعم وهو من ملوك سبأ التبابعة القدماء الأوائل. وكان أغلب ملوك سبأ من سلالة حمير بن سبأ، فالدولة (سبأ) والملوك (حميريون) بالنسب بما في ذلك بلقيس وأغلب ملوك سبأ.. وقد ذكر أسعد تُبّع أسماء العديد من الملوك والأذواء الذين لم يذكرهم المؤرخون والرواة العرب ولا يعرفونهم، وقد أورد الهمداني تلك القصيدة

في الإكليل عن مصادره الأقدم، ومن أبياتها الصحيحة قول أسعد تُبّع:

ألا إنّ حِـمْـيَـر أهـلِ الـحـجـا ... بـهـم عُـرِف الـفـضـلُ لا يُـنْـكَـرُ
هُـموا شيّدوا الـمجد حتى علا ... فـمـا نـال بُـنـيـانـهـم مـعـشـرُ
. . وكـان يُـهصْـدِقُ عـنـد الـلِّـقـا ... يـطـولُ لـعَـمْـري ومـا يـقـصـرُ
وكــان يُــهــمْــجِــدُ ذو نــائــلٍ ... بَـنَـىٰ الـمـجـد فـهـو لـه مَـسـأر

ـ [ويهصدق هو ياسر يُهصدق ملك سبأ وذي ريدان الذي حكم بعد بلقيس ولم يذكر أحد وجود ملك اسمه يهصدق إلا شعر أسعد ثم النقوش المعثور عليها في عصرنا، وكذلك تم العثور على نقش باسم شمّر يهحمد ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهصدق] ـ وقال أسعد:

وكـان إلِـي شَـرْح الـيـحـضُـبـي ... إذا اسـتـخـمـروه فـقـد يـخـمـر
وشَـمَّـر يُـرْعـش خـيـر الـمـلـوك ... وعـلـهـان نـهـفـان قـد أذكـرُ
. . هما شيّدا مجد من قد مضىٰ ... وقـبـلـهـمـا الـرائـش الأكـبـر
. . وذا مـر عـلـي فـلا تـنـسـه ... وآبـاءه لـهـم الـمَـنْـسِـرُ
وقـد كـان يـسـعـر نـار الـحـروب ... ويـخـمـد نـاراً إذا تُـسـعـرُ
ويُـنْـعِـمُ ثـاران رأس الـمـلـوك ... إلـيـه انـتـهى الـمجد والـمفخرُ

فأولئك الذين ذكرهم في الأبيات السابقة من ملوك سبأ التبابعة الذين تتألق أسماؤهم في نقوش المسند المعثور عليها في محرم بلقيس بمأرب ومعبد باران المشهور باسم عرش بلقيس وغيرهما من المواقع الأثرية. فقد تم العثور على عشرات النقوش باسم «إلِ شرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان» وأربعة نقوش باسم «علهان نهفان ملك سبأ. .»[1] وقد ذكر الهمداني في الإكليل ما نقله عن النسابين بأن علهان نهفان: أخوان علهان ونهفان أو شخصان، ثم ذكر قول أبي علكم المراني والمرانيين في نسبهم بأنهم من بني (سفيان بن علهان نهفان) فقال الهمداني: «إنما قالوا علهان نهفان فجعلوه اسماً واحداً لما سمعوا فيه من قول أسعد تُبّع:

وشـمـر يُـرعـش خـيـر الـمـلـوك ... وعـلـهـان نـهـفـان قـد أذكـر

وإنما أراد أن يُعرف واحداً بالثاني فلما لم يمكنه أن يقول العلهانان كما تقول العرب العمران في أبي بكر وعمر، والرجبان، والصَّفَران والبصرتان في البصرة والكوفة، قال علهان نهفان»[2]. ولكن نقوش المسند المعثور عليها في عصرنا تثبت

---

(١) أغلب النقوش منشورة في كتاب نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ وكتاب نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني.
(٢) الإكليل: الحسن الهمداني ـ ص ٥١ جـ ١٠.

أن علهان نهفان اسم واحد بالفعل، وصواب ودقة قول أسعد تُبّع (وعلهان نهفان قد أذكرُ) وأنه من ملوك سبأ التبابعة، وكان زمنه في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد، وهو أيضاً الزمن الذي يدل عليه نسبه في الإكليل. كما تم العثور على نحو عشرين نقشاً مسنداً باسم ومن عهد «شمّر يُهرعش ملك سبأ وذي ريدان.. إلخ»[1]. وقد جاء اسمه في النقوش «شمر يهرعش» بالتفخيم المُسندي لأنهم كانوا يُفخمون بالهاء فيكتبون (يهنعم ويهرعش.. إلخ) والنطق هو (يُنعم ويُرعش.. إلخ). وكان شمر يرعش من عظماء ملوك سبأ التبابعة وهو بالفعل (خير الملوك) كما قال أسعد، وكان شمر يرعش ثاني اثنين:

هما جددا مجد من قد مضىٰ وقبلهما الرائش الأكبر

ولم تذكر الروايات التراثية عن الملوك التبابعة ملكاً اسمه (ذمر علي) وهو المذكور في قول أسعد «وذا مرعلي فلا تنسه..» وقد تم العثور على عدة نقوش باسمه وهو «ذمر علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان.. إلخ. اللقب» وهو صاحب التمثال البرونزي الموجود بمتحف صنعاء. وكذلك لم تذكر كتب التاريخ التراثية ولا حتى كتب الأنساب وجود ملك أو شخصية هامة اسمه (ثاران يُنعم) أو (ينعم ثاران) بينما جاء في شعر أسعد تُبّع أنه من عظماء الملوك حيث قال:

ويُنعم ثاران راس الملوك إليه انتهى المجد والمفخر

أو «وثاران يُنعم راس الملوك..» وقد تم العثور على عدة نقوش مسندية يتألق فيها اسمه ولقبه: «ثاران يُنعم ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانت» منها نقش يذكر قيامه بأعمال شق ورصف واسعة للطرقات في مناطق ذمار وعنس وبينون. وعدة نقوش تذكر تشييد قصور عظيمة، ونقش يذكر قيامه بتجديد منشآت سد مأرب العظيم، فقد كان ثاران ينعم بالفعل راس الملوك وتاج الملوك وله تمثال برونزي يوجد حالياً بمتحف صنعاء، وهو من عظماء ملوك سبأ التبابعة.

ومما يُستشهد به من أشعار أسعد ما جاء في الإكليل وغيره من المصادر أنه: قال أسعد تُبع يذكر ذا القرنين:

نحن الملوك ذوو العلىٰ والسؤدد نحن الحماة بنو الهمام الأمجد
سُميت أسعد والسعود طوالع لا بد أن ترقى النفوس لأسعد
.. قد كان ذو القرنين جدّي مُسْلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند

---

(١) أغلب النقوش منشورة في كتاب نقوش سبئية من محرم بلقيس ـ ألبرت جام ـ وكتاب نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني.

طاف المشارق والمغارب عالماً يبغي علوماً من كريم مرشد
وثوى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خُلب وثأط حرمد
فلقد أذلّ الصعبُ صعب زمانه وأنـاط قوة عزّه بالفرقد
حكم الأمور وأحكمت أيامه تجري على قدرٍ ولمّا يقصد
لم يدفع المقدورَ عنه قوّةٌ عند المنون ولا ائتلاف المحتد
مَنْ ذا يحيدُ عن الردى وسهامه تقضي على أوتاده وكأنْ قدِ
واللّه أجرى ذي الأمور بعلمه جعل المنيّة للأنام بمرصد

وقد زاد بعض الأخباريين في تلك القصيدة أبياتاً كثيرة حتى وصلت إلى مائة بيت، ولا يصح منها إلا نحو عشرين بيتاً، وأصحها الأبيات السالفة عن ذي القرنين وبقية أبياته عن ذي القرنين والمذكورة في شمس العلوم[١].

وقال أسعد تُبّع قصيدة مشهورة تنسبها الروايات إلى أبي كرب أسعد الأول وهي:

سَلِي تُخْبرِي عن كلِّ محضِ الشمائلِ وعن كلِّ فياض اليدينِ مُقَاتلِ
وسِيرِي أُريكِ المُلْك أو تَنْظُرينه بعينيك إرثاً في صميم المَقَاولِ
أُريكِ ذُرىٰ قحطان حيثُ ابتنى لها أبوها قصوراً حُكِمَتْ بالجنادل
لِتَسْتيقني أنّا أرومة معشرٍ كرام جدود من ملوكٍ أفاضل
وتستيقني أنّا أرومة مَنْ مَضَى وما خابرٌ يا أم عمرو كجاهل
حَجَبْنا بناء المجد طُرّاً فلم نَدَعْ بما قد حجبنا مِنْ محلٍ لنازل
.. فأيّ بلاد لم ندوخ ملوكها وأيّ عظيم لم نقُد بالسلاسل
لنا فيلق صعب القياد عرندسٌ ثمانون ألفاً راكباً غير راجلِ
.. فهيهات قومي ـ أم عمرو ـ عن الخنا مكان الثريا مِنْ يد المتناول

آخر أشعار أسعد.. ووفاته:

ومن آخر أشعار أسعد تُبّع قصيدة قال فيها:

وريدان قصري في ظفار ومنزلي بها أسّ جدي دورنا والمناهلا
وفي البقعة الخضراء من أرض يحصبٍ ثمانون سداً تقذف الماء سائلا
.. وأمسيتُ في غُمْدان في خير محفدٍ منيعاً وصنعا من حذاها المآجلا
مآثرنا في الأرض تُصدق قولنا إذا ما طُلِبنا شاهداً ودلائلا
وعلمي بمُلكي سوف يَبْلىٰ جديده ويرجع مُلكاً كاسف اللون ماحلا

(١) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٢٨.

ومُلك جميع الناس يَبْلىٰ ومُلكنا على الدهر باقٍ ذكره ليس زائلا

وتقترن آخر قصيدة لأسعد تُبّع بوصية أوصى بها ابنه حسان، وقد ذكرها الهمداني في الإكليل بأنها لأسعد تُبّع بن ملكي كرب ـ وهو أبو كرب أسعد الأول ملك سبأ وكان اسم ابنه حسان يهامن ـ ولكن زمن أبي كرب أسعد في القرن السابع قبل الميلاد يجعلنا نميل إلى أن القصيدة لأسعد تُبع الثاني ابن حسان بن ذي غيمان الحميري، وربما كان له ابن اسمه حسان أيضاً، وأياً كان الأمر فإن من القصيدة الأبيات التالية:

حانت وفاة أبيك يا حسّان فانظر لنفسك فالزمان زمانُ
واحذر صروفاً للزمان فإنْ بدا منها الشرور فما لهن أمانُ
فلربما عزّ الذليل وربما ذل العزيز وهكذا الإنسان
واعلم بُنيّ بأن كل قبيلة ستذلّ إنْ نهضت لها قحطانُ
هي أُمةٌ عاديةٌ يمنيةٌ شمخت لطول أصولها الأغصانُ
فبها ملكنا الأرض عن أقطارها وأتت لنا بخراجها البلدانُ
قحطان أسدُ سادةُ عربيةُ غلبُ تهابُ لقاءها الأقران
وجيادها تسعون ألفاً ضُمّراً قُبّ البطون كأنها العقبان
وبألف ألفِ مُدجج تسطو إذا غضبت وأردف جمعها الأعوان
عصبت بشمّر ذي الجناح بقائدٍ ما أن تجيء بمثله النسوانُ
ونفختُ سمّي في العراق فأحرقت أقصى مساكن أهلها النيرانُ
.. ومعي مَقَاوِل حِمْيَر وملوكها والأزد أزد شنوءةٍ وعُمانُ
ومعي قضاعة والغطارف خَثْعَمُ وبَجِيلة وذوو العلى ألْهَانُ
ومعي فوارس كندة ورجالُها والشمّ مَذْحَجُ والذُرىٰ هَمْدَانُ
سَرّت فؤادي في المواطن حِمْيَرُ وشفته آساد الوغىٰ كهلانُ
ثم انصرفتُ بحِمْيَرٍ وجموعها ثَلِجِ الفؤادِ وانثني جذلانُ
وكسوتُ بيت اللّه أعظم كسوة أرجو الثواب ويرحم الرحمنُ
ولقد علمتُ إذا هلكتْ وأوحشتْ مني ظفارُ وعُطِلتْ غُمدانُ
ليُغيبنّ من الملوك عظيمُها ولتَفْقَدَنَّ حليفها التيجانُ
.. قَوْلي لحِمْيَر: اقبروني قائماً مِنْ حوليَ الحبلاتُ والتيجانُ
وافطن لكاهنتي فإنّ كلامَهَا حقٌ وإن قبورنا غيمانُ

قال الهمداني: دلّ هذا البيت الأخير أن قبر أسعد بغيمان. وقال ـ أيضاً ـ أبياتاً تدل على أن قبره بغيمان وهي قوله:

وغيمان محفوفة بالكروم لها بهجة ولها منظرُ
بها كان يُقبَرُ مَنْ قد مَضى من آبائنا وبها نُقبَرُ»[١]

وقد مات أسعد تُبّع بن حسان حوالي عام ٥٩٢ للتقويم الحميري الموافق عام ٤٧٧ ميلادية وتم دفنه في غيمان التي تقع جنوب شرق مدينة صنعاء، وما تزال في غيمان أطلال قلعة أسعد شامخة حتى اليوم.

وكانت مدة حكم أسعد تُبّع ٢٣ سنة في قول الجرجاني، بينما جاء في مصدر أقدم هو شعر حذيفة بن غانم الجاهلي أن مدة حكم أسعد عشرين سنة حيث قال حذيفة بن غانم:

وأسْعدُ قَادَ النَّاسَ عِشرينَ حِجَّةً يُؤيِّدُ في تِلْكَ المَوَاطِنِ بالنَّصْرِ[٢]

فتكون مدة حكمه من عام ٥٧٢ ـ ٥٩٢ للتقويم الحميري الموافق عام ٤٥٧ ـ ٤٧٧ ميلادية، ويؤكد ذلك أنه حكم بعده «الحيعة يرخم ذو جدن» الذي يُقال له (ذو شناتر) وقد حكم نحو سنتين أو ثلاث، وقد تم العثور على أربعة نقوش من عهده كتبها القائد (تميم ذي حذيه) في مأسل الجُمح ونجران. منها النقش رقم (JA.1030) ونصه: «تميم ذو حذيه/ مقتوى لحيعة يرخم ذو جدن ويزن..» والنقش رقم (٥١٣ ركمانز) باسم (تميم ذي حذيه) وجاء فيه ما يلي: «ليرحمن أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن. آمين»[٣] وفيه قال قس بن ساعدة:

صافحتُ ذا جَدَنٍ وأدرك مولدي عمرو ابن مرثد يُتّقىٰ بالرّاح

ثم حكم بعده (شرحبيل يكمل) وقد تم العثور على نقش باسمه ومن عهده في موقع (قرن أملح) وهو مؤرخ بعام ٥٩٥ حميري ويوافق عام ٤٨٠ ميلادية[٤]. فذلك يؤكد أن عهد أسعد تُبّع بن حسان كان من ٤٥٧ ـ ٤٧٧ ميلادية في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وأسعدُ كان الناسُ تحت سيوفه حَوَاهُمْ بِمُلْكٍ شامخٍ ليس يُقْهَرُ
تَواضَعَ أشرافُ البريّة كُلّها إذا ذُكِرت أشرافها الصِّيدُ حِمْيَرُ[١]

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥ جـ ٨.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٩٢ جـ ١.
(٣) ملحمة أسعد ـ بيوتروفسكي ـ نقوش تميم ذي حذية.
(٤) النقش رقم R.4069 ـ قرن أملح وقد حكم شرحبيل يكمل من ٤٨٠ ـ ٥٠٠م.

المبحث «١٣»

الحُذَيْقي بن قادم الحاشدي

«معاصر زيد بن مرب ملك همدان»

هو الشاعر الحذيقي، شاعر جاهلي، من بني حُذيق بن عبد اللّه بن قادم بن زيد بن عَريب بن جُشم بن حاشد[١] وهو القائل لزيد بن مرب ملك همدان لما قتل الملك علقمة بن ذي قيفان:

فيَمَّمَ ضرس العير مَفْرق رأسه فحزَّ ولم يثبت لحقك باطله

ومن المفيد أن نذكر هنا أنه كان (بريل ذو قيفان بن شرحبيل بن أساس اليزني الجدني) من ملوك الدولة الحميرية، وقد ذكر ابن خلدون والمسعودي أنه «مَلَكَ عمرو ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن تسع عشرة سنة»[٢] والأصوب أن اسمه لم يكن (عمرو) وإنما كان (بريل) وقد تم العثور على نقش باسمه في موقع (شِعب ينبق) وجاء اسمه في النقش كما يلي:

«بريل ذو يزن ويلغب. كبير أقيال شعوب رثحم وضيفتن ومشرقن»[٣].

وقد اشتهر (بريل) بلقب (ذي قيفان) وقد ذكره نشوان الحميري في قصيدته عن الملوك الحميريين حيث قال:

أمْ أين ذو قَيْفَان أو ذو أصْبَحٍ لم ينجُ بالإمساء والإصباح

ثم قال هو (ذو قيفان بن شرحبيل بن أساس)[٤] وجاء في الإكليل أنه «ذو قيفان بن شرحبيل بن أساس بن ذي جَدَنْ»[٥] وفي تاريخ ابن خلدون «ذو قيفان بن شراحيل بن ذي يزن». ويجمع ذلك أنه «بريل ذو قيفان بن شرحبيل بن أساس بن ملشان ذي يزن وجدن» وقد حكم (تسع عشرة سنة) وذلك في الفترة ما بين عام ٤٢٥ ـ ٤٤٥م وذلك قبل عهد الملك حسان والد (أسعد تُبّع بن حسان الحميري). وكان لبريل ذي قيفان ثلاثة أولاد حكموا مناطق من اليمن في عهده وهُم: ذو سَبَطان، وذو

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١١٧ جـ ١٠.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٨٢.
(٣) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ النقش رقم ٣٨ ينبق.
(٤) قصيدة نشوان الحميري ـ ص١٧٤. (٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٣/ ٢.

داعر، وذو بَيْح. وباسم (ذي سَبَطان) سُمّي (بيت سَبَطان) ـ أي (قصر سبطان) ـ بضواحي صنعاء، ومكان القصر حالياً قرية (بيت سَبَطان) التي ما تزال تحمل اسم (بيت سبطان) حتى اليوم. وكذلك كان (ذو بَيْح بن ذي قيفان) من الأمراء الملوك. قال الهمداني: «ومعنى ذي بيح: ذو خيرة القوم وشرفهم. وفي كلام أهل صنعاء القديم وكلام حِمْير: هو بَيْح القوم أي أكملهم وخيرهم»[١] وقال نشوان في شمس العلوم: «البيح: العز والشرف. قال طرفة يفتخر:

يحسب مَنْ حاورنا أننا حِمْيَر من صوت الوغى والبُيُوح

شَبّه قومه بحِمْيَر لعزهم وشرفهم وكثرة عددهم وأموالهم. وذو بَيْح: اسم ملك من ملوك حمير. مأخوذ من ذلك أي ذو الشرف والعزة. وهو ذو بَيْح بن ذي قيفان بن شرحبيل»[٢].

ومن ولد ذي بَيْح: علقمة بن ذي قيفان الأصغر. قال الهمداني: «وكان علقمة بن ذي قيفان ملكاً بعمران من أرض البون. وكان علقمة ضرير البصر، وكانت همدان حرسه وحاشيته، وكان نديمه زيد بن مرب بن معدي كرب بن ذي زود.. فمرّت جُباة علقمة بن ذي قيفان وقد أخذوا الأتاوة من بعض قبائل هوازن [بنواحي الطائف] وانصرفوا يريدونه بها، فعرضت لهم شاكر ونِهم [بمنطقة الجوف ومنطقة نِهم] وكانوا في مخمصة، فطلبوا بعض ذلك العقال، فحالت الجباة دونه فقتلوهم وأخذوا الإبل. فبلغ ذلك ابن ذي قيفان فغضب لذلك غضباً شديداً وآلى بأليَّة ـ أي أقْسَمَ ـ ليقتصَنَّ من هذين الحيّين سبعين بكراً لجرأتهم عليه. فأقْبَلَ الحيّان شاكر ونِهم إلى زيد بن مرب وهو في منزله في الظاهر ببيت زُوُد[٣] فقالوا له: أنت سيدنا وأنت نديم الملك وجليسه وقد آلىٰ بما تعلم، فاسأله فليصفح عَنّا لك. فقال: إنه قد آلى ولا يرجع في أليّته. قالوا: فإن أبَىٰ فاقتله ونحن نملكك علينا. قال: لا تعجلوا وأمْهِلوا حتى أرى لذلك موضعاً. فأمسكوا. ثم بينما زيد جالس مع علقمة جرى ذكر السيوف فقال علقمة: عندي سيف لأجدادي يضرب به المثل، فقال زيد: أبيتَ اللعن، فادع به لأنظر إليه. فدعا به، ثم ناوله زيداً فإذا فيه كتابة مزبورة.. يُقال كان مكتوب فيه (ضِرس العير سيف الخير..) وقيل كان مكتوب فيه:

ذكرُ على ذكرٍ بكفّ مُضارِبِ ذكرُ يمين في يمين يَمَانِ

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٣/ ٢.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٠١ جـ ١.

(٣) بيت زُود: بضم أوله وثانيه: بلدة عامرة محتفظة باسمها حتى الآن، وهي من حاشد ثم من السبيع من بني صريم بمحافظة عمران.

فهزّه زيد في يده ثم ضربه به فقتله. ووثبت همدان فألبسوه التاج الذي على ابن ذي قيفان ومَلَّكوه عليهم. وفي ذلك يقول شاعرهم الحذيقي وهو من بني قادم في قصيدة له:

فَيَمّمَ ضِرس العير مفرق رأسه فحزّ ولم يثبت لحقك باطلُه
وغادره يكبو لحُرٌ جَبِينِه وورّث زيداً تاجَهُ وحلائله
فلم أر يوماً كان أكثر (باكياً) غداة غدا مِلْ بون تُحدىٰ رواحله[١]
فدانت لزيد يوم ذلك منهم شهود كأغباب غداة تصاوله»[٢]

ولم يصلنا مِنْ شعر الحذيقي سوى تلك الأبيات المذكورة في الجزء الثاني من الإكليل.

أما زيد بن مرب فصار ملكاً لقبائل ومناطق همدان بن زيد جميعها وهم قبائل حاشد وبكيل. قال الهمداني: «وعظم أمر زيد في العرب» وقال «ودان لزيد بن مرب كثير من العرب من مذحج وجرم ونهد وخولان ومن سَكَنَ عروض اليمامة من ربيعة»[٣]. ومؤدى ذلك أنه صار ملكاً لمناطق شاسعة تشمل بالتسميات الحالية محافظات صنعاء وعمران والمحويت وحجة وصعدة ومأرب والجوف ونجران وعسير وسَرَاة أعالي اليمن إلى تخوم الطائف وتخوم إقليم اليمامة ثم منطقة عروض اليمامة من إقليم اليمامة ونجد. وكانت ملوكية زيد بن مرب في إطار الدولة الحميرية لأنه عاصر الملك حسان تُبّع بن ذي غيمان الحميري ملك اليمن في الفترة (٤٤٥ ـ ٤٥٧م) وعاصر الحارث بن عمرو الكندي ملك أقاليم اليمامة ونجد والبحرين في عهد أسعد تُبع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) بالقرن الخامس الميلادي.

---

(١) مِلْ بون: أي من البون. والبون اسم منطقة شاسعة بمحافظة عمران شمال صنعاء.
(٢) الأغباب: أمواج البحر.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦٠ جـ ١٠.

المبحث «١٤»

عَمارة الكباري الحاشدي

«معاصر زيد بن مَرَبْ والحارث بن عمرو الكندي»

هو عمارة الكباري. شاعر جاهلي. من بني عمرو ذي كبار بن سيف بن عمرو بن السبيع بن سبع بن صعب بن معاوية بن مالك بن جُشم بن حاشد الحاشدي الهمداني. وهو القائل:

ويوم جُراد لم ندع لربيعة ... وإخوتها أنفاً به غير أجدعا
بضربٍ يظلُّ الطير يقفو رشَاشَه ... على الصخر حتى ينثني عنه ضُلّعا

وكانَ نبأ ذلك أن الملك زيد بن مرب ملك همدان: «دان له كثير من العرب من مذحج وجَرم ونهد وخولان ومَنْ سَكَن عروض اليمامة من ربيعة. وكان على بني تغلب هنالك ملك من ملوك اليمن على عهد زيد فمات، فأتتْ وجوه بني تغلب إلى زيد بن مرب فسألوه أن يُملِّك عليهم ملكاً من قومه. والذي قَدِم عليه جابر بن حيّ بن عَديّ بن عمرو وأشرافٌ منهم، فَمَلَّكَ عليهم رجلاً من السبيع يُقال له هانىء. فسار معهم. فلما نزلوا في بعض الطريق شرب هانىء ومن معه فسكر، فقالوا له: تعقل ناقتك؟ فقال لجابر: كُنْ عَقّالها حتى تصبح. ثم نام. وأخذ جابر في زمامها وقعد فغلبه النوم، فخلى عن زمامها، فذهبت، فلما أصبحوا طلبوها فلم يجدوها. فقالوا لهانىء: إركب بعض رواحلنا. فقال: ما كنتُ لأركب في رَحْل تغلبي ولكني أركب جابراً، فناشدوه، فأبىٰ أن يركب غيره. فشدوا عليه فقتلوه ورجعوا إلى قومهم وقال جابر في ذلك:

كلّفني قَيْلُ ذي همدان ناقته ... وقبل ناقته ما ضلّت النوقُ
لما عرفتُ الذي قد كان هَمّ به ... بدرته الحمل والمسبوق مسبوقُ
ولم أكن لأخي همدان إذْ شردت ... سهماً تغيّب عنه الريش والفُوُقُ»[(١)]

ثم تَمَرَّد الذين يسكنون عروض اليمامة مِنْ ربيعة ومَنْ يليهم مِنْ معدّ، وترأس عليهم ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبَيّب بن عمرو بن غَنَم بن

(١) جاء في الأصل: «سهماً تغيبت عنه الريش والفُوقُ». وجاء في الهامش: «الفوق ـ بضم الفاء والواو ـ وهو شق رأس السهم حيث يقع الوتر. والريش يكون في السهم».

تغلب التغلبي، أبو كُليب ومهلهل. واستنفر زيد بن مرب قبائل مِنْ همدان ومنْ مَذْحج وحمير، وغزا بني تغلب والذين معهم من ربيعة ومعدّ وكان عليهم يومئذ ربيعة بن الحارث بن زهير - أبو كليب ومهلهل - فلقيهم زيد بن مرب بجراد. «فقاتلهم زيد بن مرب قتالاً شديداً، فهزمهم، وقتل منهم، وأسر سبعين رجلاً. ثم توسلوا في أسراهم بالحارث بن عمرو الملك الكندي إلى زيد بن مرب فأوفد إليه فيهم، فأطلقهم، وأحسن إليهم. وفي ذلك قال عمارة البكاري:

ويوم جُرادٍ لَمْ ندع لربيعةٍ وإخوتها أنفاً به غير أجدعا
بضربٍ يظلُّ الطير يقفو رَشَاشَه على الصخر حتى ينثني عنه ضُلّعا
ودارت على سبعين مِنْ سَرَواتهم رحىٰ الحرب مكشوفاً بها ومُدرّعا
فأطلقهم زيدُ رعاية كِندة وثبّتَهم بالفضل منه وشيّعا»[١]

وقد ذكر الهمداني موقع جُراد في حديثه عن أرض اليمامة ونجد حيث قال إن من أرض اليمامة ونجد« . . الأنيعم، والدّخول، وحومل، وتوضح، والمقراة، ومأسل الجُمح. .» وقال« . . قُرقرى من اليمامة والهزمة. . والدّخول ناحية الهزمة وقرقرة وتوضح. . ومأسل الجُمح لبني ضِنَّة من نُمير. .» وقال: «ثم مأسل الجُمح وفي فرعها صحراء يُقال لها جُراد. .»[٢] وقد ذكر الدكتور بيوتروفسكي: «أن وادي مأسل الجُمح يقع على بعد مئتي كيلومتر من الرياض»[٣] ويتبين من ذلك أن صحراء جُراد تقع في موضع متقدم من أرض اليمامة ونَجْد بشرق شمال الجزيرة العربية.

وقوله:

بضربٍ يظلُّ الطير يقفو رشَاشَه على الصخر حتى ينثني عنه ضُلّعا

(يقفو: يتبع. وضُلّعا - بضم الضاد وتشديد اللام - المائلة شبعاً).

وأطلق زيد بن مرب الأسرى السبعين تقديراً للحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي وهو جد امرىء القيس بن حجر بن الحارث الكندي. وكان الحارث ملكاً والياً لإقليم البحرين واليمامة إلى إقليم الحيرة منذ عهد أسعد تُبّع بن حسان **(عام ٤٥٧ - ٤٧٧م)** واستمر الحارث ملكاً إلى ما بعد عام ٥٠٠ ميلادية، وبالتالي يتبين من ذلك زمن زيد بن مرب ملك همدان وما يليها من مناطق مذحج وقضاعة وحتى عروض اليمامة والشعراء المذكورين في عهده بذلك الزمان من عصور الدولة الحميرية.

---

(١) الإكليل - الحسن الهمداني - ص ٦٠ جـ ١٠.

(٢) صفة جزيرة العرب - الحسن الهمداني - ص ٣١١ و ٣٢٩.

(٣) ملحمة أسعد الكامل - د. بيوتروفسكي - ص ٥٨.

المبحث «١٥»

المُطَرِّب بن مالك الحَجْري

«مُعاصر زيد بن مرب والحارث الكندي»

هو: المُطَرِّب بن مالك بن عنزة بن هداد بن زيد مناة بن الحَجْر بن عمرو بن عامر الأزدي. شاعرٌ جاهلي، من منطقة أزد شنوءة في السَرَاة بأعالي اليمن. قال نشوان الحميري: «الحَجْر: قبيلة مِن اليمن مِن الأزد، وهم ولد الحَجْر بن عمران بن عامر»[١].

وكان المطرِّب بن مالك الحَجْري في عهد الملك زيد بن مرب. قال الحسن الهمداني: «أغار زيد بن مرب على أزد شُنوءة والحجر بن عمران بن عامر لحدث قد كانوا أحدثوه عليه وأسر أسرى كثيرة منهم، فوفد عليه المطرِّب بن مالك طالباً في الأسرى فامتدح زيداً فقال:

إلى حاشدٍ أهديتُ شعري ومدحتي ... لكي يعلموا أني أرومُ المعاليا

إلى المَلْكِ زيدٍ ذي الفعال وذي النَّدَىٰ ... سَمَىٰ سؤدداً قُدماً فبذَّ المُسَاميا[٢]

فلو شَهَدَتْني بالمقيل حليلتي ... وقد أشْرَعَتْ همدانُ نحوي العواليا[٣]

إذاً لرأت يوماً رأيسنا نجومه ... تألق مِنْ فِعْلٍ يشيب النواصيا[٤]

يحاربُ زيداً منهم أهل نجدة ... كرام المساعي يتقون المَسَاويا[٤]

وأدعو هَدَاداً جاهداً فيُجيبُني ... صدىٰ الصوت إذْلم أمنع الطعن حاليا[٤]

فأطلق زيد بن مرب أسراهم وفيهم هداد.»[٥] وكان هداد أيضاً من شعراء اليمن في ذلك الزمان.

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٣٩٥ جـ ١.

(٢) السؤدد: الشرف. وبذّ: سبق. والمسامي: المُفاخر، ومن يُساميه من الملوك.

(٣) الحليلة: الزوجة. أشرعت: صوبت نحوه. العوالي: الرماح.

(٤) النواصي: جمع ناصية وهي مقدمة الرأس. المساوىء: القبائح والرذائل. الصدى: الحاكي للصوت وتجاوب الصوت وخاصة بين الجبال.

(٥) الإكليل: الحسن الهمداني ـ ص ٦١ جـ ١٠ ـ وقد ذكر الهمداني منطقة أزد شنوءة والحجر بن عمرو بن عامر بالتفصيل في كتاب صفة جزيرة العرب ص ٢٦٠ ـ وهي بمنطقة سَرَاة أعالي اليمن ومنها سروات عسير.

المبحث «١٦»

هَدَاد بن عمرو الحَجْري

«معاصر زيد بن مرب والحارث الكندي»

هو الشاعر اليمني الجاهلي هَدَاد بن عمرو بن حَمَان بن هداد بن زيد مناة بن الحَجْر بن عمرو بن عامر. مِنْ منطقة الحَجْر وأزد شُنوءة في السَرَاة بأعالي اليمن. وقع هَدَاد بن عمرو أسيراً عندما أغار زيد بن مرب الملك الهمداني على أزد شُنؤة والحَجْر بن عمرو بسبب حَدَثٍ كانوا أحدثُوه عليه. فتم أخذ هداد مع الأسرى من بلاد سَرَاة أعالي اليمن إلى مدينة عمران في بلاد همدان (حاشد وبكيل) مقر الملك زيد بن مرب. فقال هداد:

تبدلتُ مِنْ سَلمىٰ وأسباب ودّها ... بلاداً بها الأعداء أعينهم خُزْرُ[١]

بلادٌ عليّ النوم فيها مُحَرّمٌ ... وأبنائها فيها يضيق بها الصدرُ

أسِيرُ ودوني مِنْ بكيلٍ وحاشدٍ ... عشيرُ رجالٍ لا يُنَهْنِهُها الزجرُ[٢]

يقودون أولاد الأغرّ كأنّها ... نجوم الثريا حولها الأنجمُ الزُّهرُ

إذا ما دَعَا زيدٌ لروع تَعَطَّفَتْ ... عليه بأيدها المُثقفةُ السُمْرُ[٣]

وتدعو بكيلاً حَاشِدٌ فَتُجِيبُها ... وأدعو ففي الآذان مِنْ قومنا وَقْرُ[٤]

قال الحسن الهمداني: «وقال هداد:

لا يُولعن بك إشفاقٌ على طَمَعٍ ... إنّي أرى الحربَ لا تُبقي ولا تذرُ[٥]

أهَدْت لنا حاشدُ يوماً كَوَاكِبُهَ ... فيه تكادُ على الأطواد تَنْفَطِرُ[٦]

شمُّ العرانين أبطالُ مُغَوّرة ... لا ينكلون إذا ما لَقْنَا الخوَرُ[٧]

---

(١) الخزر: العيون التي تنظر من جانب واحد كبراً. قال علس ذو يزن وهو ملشان ذو يزن:

ما بال أهلك يا رباب ... خزراً كأنّهم غِضَاب

(٢) نهنهه: ردعه وزجره.

(٣) الروع: الحرب. والمثقفة السمر: الرماح.

(٤) الوقر: ثقل السمع.

(٥) الإشفاق: الخوف.

(٦) الأطواد: جمع طود وهي الجبال.

(٧) شمّ العراتين: كناية عن العلو. والعراتين: جمع عرنين، الأنوف، لا ينكلون: لا يرجعون على الأعقاب. الخور: الضعف.

وأتى الشاعر المُطرّب بن مالك الحجري أيضاً إلى زيد بن مرب شافعاً في الأسرى وقال قصيدة منها الأبيات التي تقدم ذكرها في مدح زيد بن مرب، وعندئذ «أطلق زيد بن مرب الأسرى وفيهم هداد، وردّ عليهم ما أخذ منهم، وحَبَاهم ـ بالعطاء ـ وضمنوا له الطاعة»[١].

فقال هداد يثني على زيد بن مرب وهمدان:

أَبْلِغ فوارس هَمْدَان الأُلى ظفروا ... يوم الحظيرة والرايات تَخْتَفِقُ
الجاعلين رماح الخُطِّ مَعْقَلَهُم ... والمُقدِمين إذا ما استبطىء العَنَقُ[٢]
والحاملين رِقَاق البِيضِ ضاحيةً ... على الشؤون إذا ما احمرّت الحدقُ
أَضْحَىٰ لزيدٍ فعالُ في أرُومتنا ... نعماء يعرفها الأملاكُ والسُّوَقُ
السالك الخَرْق بالفرسان مُعْلِمَةً ... إلى الهَيَاج عليها البِيضُ تأتَلِقُ[٣]
والقائد الخَيْلَ منكوباً دوابِرُها ... تجري عليها نجيع الجوف والعلق[٣]
والواهب القينة البيضاء مُضحكها ... مثل الإقاح عليها الدرُّ مُتّسِقُ[٤]
والشاربُ الصفو والأعناق مائلة ... يوم الخطوب إذا ما يُشربُ الرَنَقُ[٥]

وقد عاصر الملك زيد بن مرب الملك الحارث بن عمرو الكندي جد الشاعر امرىء القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي وكان الحارث والياً لأسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وطال عمر الحارث إلى ما بعد عام ٥٠٠م. وربما يمكن تقدير وفاة زيد بن مرب بحوالي عام ٥٠٠ ميلادية.

قال الهمداني: «وأولد زيد بن مرب قيساً وقد مَلَكَ. فأولد قيس: زيداً الأصغر وقد مَلَكَ وسَادَ ورأس. وإليه وَفَدَ المسيب بن عَلَس ـ خال الأعشى ـ فقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها:

كَلَفْتُ بليلى خدين الشباب ... وعالجت منها زماناً خبالا

وقد يرى كثير من الناس أن هذه القصيدة في جده زيد بن مرب، ولم يدرك المسيب زيد بن مرب». وقال المسيب في القصيدة بعد البيت الأول:

لها العين والجيدُ من مغزل ... تلاعب في القفرات الغزالا

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦٣ جـ ١٠.
(٢) العنق: نوع من السير.
(٣) الهياج: محل المعركة. البيض: الدروع وكذلك الخوذات. الخرق: القفر والأرض الواسعة. النجيع: الدم القاني.
(٤) القيْنة: الجارية. الإقاح: عِضَةُ زهرها أبيض وريحها طيب.
(٥) الرنق: الماء المكدر بالوحل.

كـأنّ الـسُّـلاف بـأنـيـابـهـا تـخـالـط فـي الـنـوم عـذبـاً زلالا
وكـيـف تَـذَكّـرهـا بـعـدمـا كـبـرتُ وحـلّ الـمـشـيـبُ الـقـذالا
فَـدَعْ عـنـك لـيـلـى وأتـرابـهـا فـقـد تـقـطـع الـغـانـيـاتُ الـوصـالا
فـإمـا تـرانـي عـلـى آلـةٍ رفضتُ الصِبا ولبست السِّمالا[1]
فقد أقطعُ الخَرْق بعد الخروق تـخـالُ الـيـرابـيـع فـيـه رئـالا[1]
إلـى خـيـر مُـسـتـمـطـرٍ كـفّـه وخـيـر الـمَـقَـاوِل عـمّـا وخـالا
تَـخَـلّـقَ فـي الـبـيـت مِـن حـاشـدٍ تـراهُ الـبـريّـة فـيـهـا هـلالا
وأفـضـل ذي يَـمَـنٍ كـلّـهـا إذا افتقد المُسْنِتُون السجالا[2]
فـقَـحْـطَـانُ تـعـلـم أن لـيـس حيٌّ مِـن الـنـاس أكـرم مـنـك فـعـالا
وإنـك مـرسـي حـروب الـنـزال إذا كـره الـمُـغْـلِـمُـون الـنـزالا
تـقـودُ الـجـيـاد بـأرسـانـهـا يُـغـادرن فـي الـفـلـوات الـنـعـالا
شـمـاطـيـط تـمـزعُ مـزع الـظـبـاء وتفري فَلَا الأرض منها السخالا[3]
إذا ما انتضى التاج فوق السرير فـلـن يـعـدل الـنـاس مـنـه قـبـالا[3]
يـسُـومُ الـبـريّـة سـوم الـعـزيـز وقـد لـبـس الـدهـر حـالاً فـحـالا
ومـا مُـزبِـدٌ مِـن خـلـيـج الـفـرات يـحـطُّ الـصـخـورَ ويـعـلـو جِـبَـالا
يـكـبُّ الـسـفـيـن لأذقـانـهـا ويـصـرعُ بـالـعـيـر أثـلاً وضـالا
بـأجـود مـنـه إذا جـئـتـه عـلـى حـادث الـدهـر يـومـاً نـوالا
هـو الـواهـبُ الـمـائـة الـمـصـطـفـاة تجاوب منها العشار الفصالا[4]
وكـل أمـيـن الـشـظـا سـابـحُ يقطع منه النحيطُ الجلالا»[5]

---

(١) الصبا ـ بالكسر ـ التصابي، وهو الحنين والشوق إلى المحبوب واللهو. والسِّمال ـ بالكسر ـ الثياب البالية.
الخرق ـ بالفتح ـ القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. اليرابيع: جمع يربوع، حيوان له جُحر. الرئال والرئبال: الأسد.
(٢) المسنتون: الذين أصابتهم السّنة والقحط. والسجال: الدلو الكبيرة، كنى بها عن المطر.
(٣) السخال: صغار الغنم. القبال: الشرك الذي يدخل بين الأصبع الكبيرة من الرجل وما يليها.
(٤) العشار: النوق الحوامل. والفصال: أولاد الإبل الصغار، جمع فصيل.
الشظا: من شظى الفرس شظاً فلق شظاه وهو عِظم الساق. والسابح: حسن الجري. .
النحيط: داء في صدور الخيل. الجِلال بالكسر ـ ما يوضع تحت السرج.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ـ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٧ جـ ٢.

المبحث «١٧»

دُويْلة بن أبي دُويْلة الشِبَامي

«قائد يوم ذات العرجتين»

هو دويلة بن أبي دويلة الشبامي عميد شبام. وفيه قال عمرو بن زيد الحدّاني:

أتاني ورَحْلي عند جفنة وقعة   أقرَّ بها عيني عميدُ شِبَام

وشبام التي كان دويلة عميدها هي (شبام أقيان) وقد ذكر الحسن الهمداني في حديثه عن دويلة بن أبي دويلة ما يلي نصه: «قالوا وشبام، أي البلدة، سُمّيت بشبام أقيان بن زُرعة بن سبأ الأصغر»[1]. وزرعة هو حِمْير الأصغر ذو رَيْدان بن سبأ الأصغر، ومؤدى ذلك أن شبام أقيان وبني أقْيَان حميريون.

وقد جاء ذكر مدينة شبام أقيان وبني أقيان في نقوش المسند منذ عصور ملوك سبأ التبابعة بأنهم «بنو أقيان. أقْيَال قبيلة بكيل، ربع شبام، الذين مقرهم مدينة شبام أقيان»[2] ومؤدى ذلك أن بني أقيان بكيليون من قبيلة بكيل، وهم أقيال رُبع قبيلة بكيل، الذين مركزهم مدينة شبام أقيان. اللهم إلا إذا كان بنو شبام أقيان في الأصل من حِمْيَر، فترأسوا رُبع قبيلة بكيل الهمدانية وصاروا من بكيل في تلك العصور. ولم تزل مدينة شبام أقيان مدينة هامة تتزعم ما جاورها من مناطق وهي معروفة الآن باسم (شبام كوكبان. وتقع على بُعد نحو خمسة وثلاثين كيلاً شمال غربي صنعاء)[2].

وقد جاء نسب شبام ودويلة في الإكليل بأنهم من حاشد، وأنه: «أولد أسعد بن جشُم بن حاشد: عبد اللّه. فولد عبد اللّه: سعيداً وهو شبام. بطن. منهم أبو دويلة الملك..»[3] ويتصل نسب حاشد وبكيل إلى همدان بن زيد، فهما بكيل وحاشد ابنا جُشم بن خيران بن نوف بن همدان بن زيد بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وكان أبو دويلة الشبامي ملكاً أميراً على من سَكَنَ عروض اليمامة من قبائل ربيعة الذين هم عشائر من قبيلة تغلب، بصفة أساسية. ونرى أن ذلك كان حين بعث

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١١٠ جـ ١٠.

(٢) نقوش مسندية وتعليقات ـ مطهر الأرياني ـ ص ٧٨ و ١١٨ و ٢٩٣.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠٨ جـ ١٠.

الملك زيد بن مرب هانئاً السبيعي أميراً فقتله جابر التغلبي فغزاهم زيد بن مرب وأسر سبعين من رجالاتهم ثم أطلق سراحهم بشفاعة الحارث بن عمرو الكندي. وحينئذ ـ فيما يبدو ـ صار أبو دويلة ملكاً أميراً على بني تغلب والذين معهم من عشائر ربيعة، ثم غدر به بعض بني تغلب فقتلوه. قال الحسن الهمداني في الإكليل:

«كان أبو دويلة ملكاً على ربيعة بن نزار فقتلته غيلة، وفيه يقول مهلهل:

والحارثان كلاهما ومُحَرِّقٌ ... وأبو دويلة مَلْك آل شِبَام[١]

فجمع لهم ابنه دُويلة شباماً وقبائل مِنْ همدان وسار لهم فقتل منهم ونكأ وانصرف. وقال:

ألا هَلْ أتى حيّ الكُلَاع ويَحْصُبِ ... وأهل العُلا مِنْ حاشدٍ وبكيلِ[٢]

بأنّا جلبنا الخيل مِنْ جوف أرحبِ ... فهضب أراط فالملا فكميلِ[٣]

أريدُ بها الأوتار مِن حيّ تَغْلب ... على بُعدها منّا بغير دليل

أبابيلَ رهواً بين (فوداء شمصة) ... وقباً مثل الأخدري تسُولِ[٤]

تجوبُ بنا الموماة شهراً لعلها ... تنوء على بعد المدى بقبيلِ[٥]

فما زال ذاك الدأب حتى كأنها ... شقائق نَبْع عاتكٍ ومَحِيلِ[٦]

فَصَبّحَنَ مِنْ حيّ الأراقم حلةً ... صباح ثمودٍ غبّ أم فصيلِ[٧]

فما رُعتُهم إلّا بكلّ مُقَاتلٍ ... أشَمّ شِبَامِيٍ أغرّ طويلِ[٨]

---

(١) قال الأكوع في الهامش: (الحارثان هما الحارث الكندي والحارث الغساني، ومحرق من ملوك الحيرة).

(٢) الكلاع: قبائل الكلاع الحميرية وكانت تمتد بمحافظات إب والضالع ويافع وتعز ومناطق من ذمار وتهامة. ويحصب: يريم بمحافظة إب.

(٣) قال الأكوع في الهامش: (هضب أراط وما بعده أماكن في الجوف).

(٤) الأبابيل: الغرق لا مفرد له. والرهو: السير برفق. فوداء شمصة: جاء في النسخة المطبوعة من الإكليل (فودا شنطة) وهو تصحيف من الطباعة. والأخدري: نوع من حُمر الوحش. والتسول: السريع. يقول: مشينا بالخيول وهي تسير رهواً بين خيول فوداء وخيول قباً سريعة مثل الأخدري.

(٥) الموماة: القفر. أي أنهم ساروا بالخيول مسافة شهر من جوف أرحب قاصدين بلاد تغلب. وتنوء: تُقِلّ.

(٦) شقائق: مشقوق. والنبع: معروف. ويعني الخيول.

(٧) الإراقم: بطن من تغلب. وغبّ: عقب. والفصيل: ولد الناقة. يعني صبحناهم مثل صباح ثمود بعد عقرهم الناقة.

(٨) الأشم: المرتفع. كناية عن العلو.

فوارس همدان بنِ زيدِ بن مالكٍ[١] شفوا يوم ذات العرجتين غليلي[٢]
فلما تنادوا بالأراقم ضلّة دعوتُ شِبَاماً معشري وقبيلي
ففُزْنا بعبّادٍ ويحيى ابن بشةٍ ودارت رحانا بعدها بشليلِ[٣]
وأَفْلَتنا تحت العجاجة جابرُ وعمرو أخوه رهن غلّ عقيلِ[٤]
وأوسَ فلم نترك لأوس بقيةً ولم يكُ أوسٌ في الوغى بقليل
ومِلْتُ عَلَىٰ غَنْم ابن تَغْلِب ميلة أذاعتْ بها الأرواح كل مميل
وكانت متى تغزو شبامُ قبيلةً تبوءُ بنهبٍ أو تبوءُ بجيلِ[٥]
ولو نِلتُ ألفاً مِنْ معدّ حيازة لما أبتُ منهم في أبي بعديلِ
أغرّ شِبَاميّ كأنّ جبينه إذا ما علاه التاجُ صدر صقيلِ[٦]
على أنني قد نلتُ منهم فوارساً تقوم بها الأنواح كل أصيلِ[٦]
قتلنا به مِنْ تَغْلُبٍ كلّ بُهمة وما علقت أسيافُنا بخميلِ[٧]

وقال دويلة أيضاً:

إذا قَتَل العبدُ المجَدّع رَبّه فليس لنا منه سوى قَتْلَة العبدِ
فألا يَكُن ثاراً فللنفس راحة ولَمْ يَكُ عن غزو الأراقم مِنْ بُدّ
على أنني قد نلتُ منهم فوارساً خياراً ونكّبتُ الشرار على عَمْدِ
وقلتُ لقومي جاوزوا العُزل منهم ولله أنتم كل ذي عِزّة نَجْدِ
فلم نر إلا يافعاً في جديلةٍ صريعاً ومنقور الحشا مائل الخدّ[٨]
قتلنا عدياً والشليل ومالكاً ولاماً، ودارت حربنا بأبي سعد

---

(١) همدان بن زيد: حاشد وبكيل. ويدل هذا البيت على أنهم بنو همدان بن زيد بن مالك. وليس همدان بن مالك بن زيد كما في الأنساب.

(٢) ذات العرجتين: اسم المنطقة التي هاجموا فيها الأراقم التغلبيين. ويوم ذات العرجتين: يوم موقعة ذات العرجتين.

(٣) فزنا بعباد: يعني قتلنا عباد ويحيى بن بشة. وقتلنا بعد ذلك شليل التغلبي.

(٤) أفلتنا جابر: أي هرب جابر بن حيّ التغلبي. وتم أسر أخاه عمرو بن حيّ، أسره عقيل بن ذي مرأن.

(٥) جيل: جماعة من الناس. أي يتم أسرهم.

(٦) صدر صقيل: صدر سيف. والأنواح: الباكين والباكيات، من ناح إذا بكى.

(٧) بُهمة ـ بالضم ـ: الشجاع. والخميل: الخامل الذكر.

(٨) الجديلة: الحبل المفتول يريد أنه مربوط بالحبل. والصريع: المرمي على الأرض. والمنقور: المطعون.

إذا أنا لم أثأر بشيخيّ منهم فمن ذا الذي ترجو شبامُ له بعدي
وأفلَتَنا تحت العجاجة جابرُ وفيه سِنّانُ لهذميّ على نهد»[١]

ويتبين من الشعر أن موقعة يوم ذات العرجتين كانت ضد بني الأراقم وهم عشيرة من قبيلة تَغْلِب وليست ضد قبيلة تغلب كلها ولا ضد قبائل ربيعة لأنهم حلفاء اليمن. ويتبين أيضاً أن من بني الأراقم التغلبيين جابر الذي أصيب في المعركة ولكنه تمكن من الهروب، ويبدو أنه (جابر بن حيّ بن عدي بن عمرو التغلبي) الذي قتل الأمير هانىء السبيعي الحاشدي لما بعثه زيد بن مرب والياً على بني تغلب الذين يسكنون عروض اليمامة أو عارض اليمامة فغزا زيد بن مرب بني تغلب وأخذ منهم سبعين أسيراً ثم أطلق سراحهم بشفاعة الحارث بن عمرو الكندي، مما يعني أن يوم ذات العرجتين كان أيضاً في تلك الفترة. وقد ذكر الهمداني «أن عقيل بن ذي مران الأوسط شهد يوم ذات العرجتين مع دويلة الشبامي»[٢] وهو الذي أسر عمرو بن حيّ التغلبي شقيق جابر، وفيه قال دويلة:

«وعمرو أخوه رهن غلّ عقيل»

ويتيح ذلك إدراك الزمن لأنه:

أ ـ من آل ذي مران: «عمير ذي مران القَيْل الذي كتب إليه رسول اللّه ﷺ. وهو عمير بن مرثد بن عمير بن عبيد بن أفلح بن عمير ذي مران الأوسط بن زيد بن مالك بن ذي التاجين..»[٢].

ب ـ من آل مرب بن معدي كرب بن ذي زود: «العاقب ذي زود ـ الذي كتب إليه رسول اللّه ﷺ. وهو العاقب بن زيد بن قيس بن الملك زيد بن مرب بن معدي كرب بن ذي زود».

فيكون زمن عمير ذي مران الأوسط ودويلة بن أبي دويلة الشبامي قبل الإسلام بأربعة أجيال في نفس زمن زيد بن مرب والحارث بن عمرو الكندي ـ جد امرىء القيس بن حجر الكندي ـ في القرن الخامس الميلادي.

(١) اللهذمي: السيف القاطع. الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٠٨ ـ ١١٠ جـ ١٠.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٤ جـ ١٠ و ص ٤٩ جـ ١٠.

المبحث «١٨»

زيد بن عمرو الحُدّاني الحاشدي

«شاعرٌ جاهليٌ قديم رحالة إلى الملوك»

هو الشاعر اليمني الجاهلي زيد بن عمرو بن الحارث ابن ذي حُدان. قال الحسن الهمداني: «وَلَدَ ربيعةُ بن جاشم بن حاشد: شراحيل بن ربيعة. فولد شراحيلُ: ذا حُدان وذا جُعران. بطنان[1] منهم زيد بن عمرو بن الحارث بن ذي حُدان، جاهلي قديم، وكان رحّالاً إلى الملوك. فقال وقد بلغه إيقاع دويلة بن أبي دويلة الشبامي ببني تغلب:

أتاني ورحلي عند جَفْنة وقعة أقرّ بها عيني عميدُ شِبَام»[2]

وجاء في الهامش «جَفْنة: أحد ملوك غسان»[2] مما يوحي بأن الشاعر كان عند جفنة بن عمرو الغساني أول الملوك الغسانيين بالشام. وكان الملك جفنة الغساني في عهد الملك قسطنطين الأول ملك الروم (عام ٣٠٦ ـ ٣٣٦م) الذي عاصره تُبّع ملشان ملك اليمن (٢٩٠ ـ ٣٣٢م) وحُجر آكل المرار الكندي ملك نجد والحجاز في ذلك النصف الأول من القرن الرابع الميلادي. بينما زمن دويلة بن أبي دويلة الشبامي هو في أيام زيد بن مرب ملك همدان والحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي نائب الملك أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) بأواسط القرن الخامس الميلادي. فقول الشاعر زيد بن عمرو «أتاني ورَحْلي عند جَفْنة. .» إنما يعني عند (ابن جفنة) أو (بني جَفْنة) الغسانيين الملوك بالشام، وكان الملك منهم آنذاك «جَبَلَة بن الحارث الجفني الغساني» في عهد مركيانوس ملك الروم (٤٥١ ـ ٤٥٧م) وفي عهد زينون ملك الروم (٤٧٥ ـ ٤٩٢م) وهو والد الملك الحارث بن جَبَلَة الجفني الغساني الذي صار ملكاً للعرب بالشام عام ٥٢٩ ميلادية. وبالتالي يمكن القول إن الشاعر زيد بن عمرو الحُدانيّ الحاشدي كان عند الملك جَبَلة بن الحارث الجفني الغساني بالشام حين أتاه نبأ

---

(١) قال الأكوع في الهامش: «ذو حُدان ـ بضم الحاء ـ لهم بقية. وذو جُعران ـ بضم الجيم ـ لها بقية. وفي عزلة المقاطن من مخلاف بعدان قرية تسمى ذا جعران. خليط من ذي جعران وغيرهم.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق القاضي محمد الأكوع ـ ص ١٠٧ جـ ١٠.

إيقاع دويلة بن أبي دويلة الشبامي ببني الأراقم التغلبيين في موقعة يوم ذات العرجتين بعارض اليمامة، فقال زيد بن عمرو:

أتاني ورَحْلِي عند جَفْنة وقعة ... أقرَّ بها عيني عميدُ شِبَام[١]

دُوَيلةُ، إذْ قادَ الجِيادَ عوابساً ... شعاثَ النواصي والنحورَ دوامي[٢]

إلى تَغْلِبٍ قُبّاً تضبُّ لِثاتُها ... وتُقحِمُها أجواز كلّ هُيَام[٣]

يَحَارُ بها الخريتُ مرتاً كأنما ... تَخَالُ بها الحرباءَ رِآل نعام[٤]

فصَبَّحها حيَّ الأراقم، والمُنىٰ ... لقاؤهم، والحربُ ذات عرام

عليها شِبَامُ (قصره دون مالك) ... وليس علينا قَتْلُهم بحرام[٥]

فَحَطَّتْ بأحياء الأراقم بَرْكَها ... بِقَيْلٍ شباميٍّ أغرّ هُمَام

وليسوا بُوَاءَ مِنْ أبيه وربما ... شَفَىٰ في كريم القوم قَتْل لئام[٦]

فأدركَ منهم كل أمرٍ أرادهُ ... دويلةُ، والأملاكُ ذات قِيام

شفىٰ النفسَ قَتْلىٰ في الأراقم مِنْهُم ... عَدِيّ وزيد والشليل ولام»[٧]

ولم يصلنا من شعر عمرو بن زيد الحُداني سوى تلك القصيدة لأنها ذات صلة بموقعة يوم ذات العرجتين، أما أشعاره في مدح الملوك فلم يهتم الهمداني بنقلها سوى الإشارة إلى أنه (كان رحالة إلى الملوك) في ذلك الزمان.

---

(١) عميد شبام: سيد شبام.

(٢) العوابس: جمع عابس أو عابسة، متغيرات الوجوه. شعث النواصي: مغبرة، والنواصي: جمع ناصية، والناصية مقدم الرأس. والنحور: جمع نحر وهي لحمة بارزة في باطن الحافر.

(٣) القب: الضامرات البطون. والأجواز: وسط الشيء. والهُيام بالضم معروف.

(٤) يحار: يحتار. الخريت: العارف الحاذق بمسالك الطريق. المرت: القفر والصحراء. الحرباء: حيوان معروف.

(٥) عليها شبام: أي على الخيول فرسان شبام. وجاء بعد ذلك في صدر البيت (قصره دون مالك) ويبدو وجود تصحيف في الطباعة ولم يظهر أصل الكلمات.

(٦) ليسوا بُوَاءَ مِنْ أبيه: أي ليسوا أكفاء لأبيه.

(٧) جاء في الأصل المطبوع (. . والشليل ويام) وهو تصحيف. وقد جاء ذكر قتل (لام) في شعر دويله، فصوبناه. وقد يكون (الشليل ابن لام).

المبحث «١٩»

عُبَيْد بن قُرَاد البَهْراني

«سجينُ أحد ملوك اليمن مع أسرى من ربيعة ومُضَر»

هو الشاعر اليمني الجاهلي عُبَيْد بن قُرَاد البَهْراني القائل:

ونـاديـتُ بَـهْـراءَ كَـيْ يَـسْـمَـعـوا ... ولَـيْـسَ بِـآذانِـهِـمْ مِـنْ صَـمَـمْ[١]

قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «بهراء قبيلة مِن اليمن. وهم ولد بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة. والنسبة إليهم: بهراني، بنون على غير قياس»[٢]. وقال نشوان «بَلِيُّ: قبيلة مِنْ اليَمَن مِنْ قُضاعة. والنسبة إليها: بَلَوِيّ. وهم ولد بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة. قال الشاعر:

أَلَـمْ تَـرَ أن الـحـيّ كـانـوا بِـغـبْـطـةٍ ... بـمـأرب إذْ كـانـوا يـحـلّـوُنـهـا مـعـا

بَـلِـيٌّ وبَـهْـراءُ وخِـولانُ إخــوةٌ ... لعمرو بن حافٍ، فرعُ مَنْ قد تَفَرَّعَا»[٣]

فقبائل بليّ وبهراء وخولان إخوة وهم بنو عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير، وكانوا يسكنون أرض مأرب ثم انتقلوا إلى منطقة صعدة وما يليها من مناطق أعالي اليمن، وكان منهم عدد من الشعراء الجاهليين، منهم المثلم بن قرط البلوي[٤] وعُبيد بن قُراد البهراني، وجابر بن عمرو البهراني.

وكان عُبيد بن قُراد محبوساً ـ أو موقوفاً ـ عند أحد ملوك اليمن الحميريين لسبب غير معروف، فقام ذلك الملك بغزوة إلى اليمامة ونجد وأخذ أسرى من بعض عشائر مُضَر وربيعة الخارجين على الدولة، وحبسهم في صنعاء حيث كان عُبيد بن قُراد محبوساً. وقد ذكر خبرهم أبو عبيدة في كتاب النقائض حيث قال ما يلي نصه:

«أَنَّ مَلِكاً من مُلوك اليَمَن كانت في يديه أُسارى من رَبيعَة ومُضَرَ، فَوفَدَ عليه وفدٌ مِن وجوه مَعَدٍّ، منهم سَدوسُ بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة، وعَوْفُ بن

(١) النقائض ـ أبو عُبيدة البكري ـ ص ١٠٩٣.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٨٤ جـ ١.

(٣) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٩٣ جـ ١.

(٤) المثلم بن قرط البلوي: ذكره الهمداني في الإكليل بأنه القائل:

(ألـم تـر أن الـحـيّ كـانـوا بـغـبـطـة ... بـمـأرب إذْ كـانـوا يـحـلـونـهـا مـعـاً)

مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان، وعَوْفُ بن عمرو بن جُشَمَ بن ربيعة بن زَيدِ مَناةَ بن عامر الضَّحْيان، وجُشم بن ذُهْل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضَّحْيان، فلَقِيَهم رَجُلٌ من بَهْراءَ يُقال له عُبَيْد بن قُراد كان في الأُسارَى - (أو كان محبوساً) - وكان شاعِراً، فسألهم أنْ يُدْخلوه في عِدَّةِ مَنْ يسْألون. فَكلَّموا المَلِكَ فيه وفي الأُسارَى، فوهبهم لهم. فقال عُبيد بن قُراد في ذلك:

نَفْسي الفِداءُ لِعَوْفِ الفَعالِ	وعَوْفٍ ولابْنِ هِلالٍ جُشَمْ
تَدارَكَني بَعْدَ ما قَدْ هَوَيْتُ	مُسْتَمْسِكاً بِعَراقِي الوَذَمْ[١]
ولَوْلا سَدوسُ وقدْ شَمَّرَتْ	بِيَ الحَرْبُ زَلَّتْ بنعلي القَدَمْ
ونادَيتُ بَهْراءَ كَيْ يَسْمَعوا	وليس بِآذانِهِمْ مِنْ صَمَمْ
ومِنْ قَبْلِها عَصَمَتْ قاسِطُ	معَدّاً إذا ما عَزيزٌ أزَمْ»[٢]

فقد أطلق الملكُ سراح الشاعر عُبيد بن قُراد البهراني وكذلك أطلق سراح الأسرى الذين من ربيعة ومُضَر، ولكنه - فيما قال أبو عبيدة - «احتبس الملك عنده بعض الوفد رهينةً وقال للبقية ايتوني برؤسائكم لآخذ عليهم مواثيقهم بالطاعة وإلّا فاعلموا أني قاتلُ أصحابكم ومُحارِبُكم. فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر، فبَعَثَ كُلَيْبُ في ربيعة فجمعهم. .»[١].

ويُستفاد من ذلك أن زمن ذلك الملك وأولئك الأسرى كان قبل زمن موقعة يوم خَزازَىٰ. وقد سلف ذكر نبأ حملة زيد بن مرب ملك همدان على بعض عشائر ربيعة بمنطقة جُراد وأنه كان على رأسهم (ربيعة بن الحارث بن زُهير - أبو كليب ومهلهل) وكان ذلك أيام الحارث بن عمرو الكندي وأسعد تُبّع بن حسان. بينما في أيام هذا الملك الذي أخذ أُسارى من ربيعة ومُضَرَ كان على قبيلة تغلب ومن معها من ربيعة (كُليب بن ربيعة بن الحارث) وهو كبيرهم في موقعة خزازَى، فيكون زمن ذلك بالقرن السادس الميلادي وسيأتي ذكر يوم خَزازَى في أنباء عدة شعراء جاهليين.

ومما يُماثل نبأ الأسرى من ربيعة ومُضَر: «أن ملكاً من ملوك اليمن غزا ديار تميم - بإقليم نجد واليمامة - فأسر عشيرتي تَيْم وعكل التميمية وقيس بن عاصم التميمي، وحبسهم - ربما في صنعاء - فجمع الأضبط بن قريع والنمر بن مرّة التميمي وفداً كبيراً، وأتوا إلى ملك اليمن، فاستوهبوه الأسرى فأطلق سراحهم

---

(١) عراقي: جمع عرقوة وإنما هما عرقوتان في الدلو.

(٢) النقائض - أبو عبيدة البكري - ص ١٠٩٣.

ووهبهم إياهم». فقال الشاعر جرير ـ في زمن لاحق ـ لتميم يذكر ذلك:

«لَمْ تشكروا نمراً إذْ فَكَّ سَادَتَكُم ولا قُريعاً مِنَ الحيِّ اليمانينا
تَدْعُون تَيّماً، وتَيْمُ في قُرىٰ سَبَأٍ ما التيّمُ يومئذٍ فيكم ولا فِينَا»

وملك اليمن الذي أطلق سراح عشيرة تيم قد يكون أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) بأواسط القرن الخامس الميلادي، أما ملك اليمن الذي أطلق سراح الشاعر عبيد بن قراد والأسرى من ربيعة ومُضَر فكان بعد زمن أسعد بنحو خمسين سنة.

المبحث «٢٠»

سَلَمَة بن الحارث الكندي

«عم امرئ القيس. وشعره في موقعة يوم الكُلَاب»

هو الملك سَلَمَة بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرَار الكندي، وهو القائل في يوم الكُلَاب، في أبيات له:

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طُرًّا قَتِيلٌ بين أحجارِ الكُلَابِ
قَتِيلٌ ما قَتِيلُكَ يابن سَلْمَى تَضُرُّ بِهِ صَدِيقَكَ أَوْ تُحابِي[١]

ويدلُّ ذلك على أن سلمة كان شاعراً. وهو أحد أبناء الحارث بن عمرو الكندي الذين ساروا من اليمن إلى إقليم اليمامة ونجد وإقليم الحيرة لما «بعث أسعد تبّع بن حسان بابن أخته الحارث بن عمرو الكندي في جيش ـ من اليمن ـ إلى بلاد مَعَدّ والحيرة وما والاها»[٢] فكان الحارث ملكاً والياً لأسعد تُبّع بن حسان وشمل حكم الحارث إقليم الحيرة بالعراق (حوالي عام ٤٦٧م) وتحوّل إليه المنذر بن المنذر ـ وكان شاباً يافعاً ـ فزوّجه الحارث بابنته هند بنت الحارث، وأشركه معه في حكم بعض مناطق العرب بالعراق. وولّى الحارث أولاده على قبائل ومناطق مَعَدّ والذين معهم من العرب بإقليم اليمامة ونجد ومناطق من إقليم الحيرة حيث «كان شُرَحْبيل بن الحارث ملكاً على بَكْر بن وائل وحنظلةَ بن مالك وبني أُسَيِّد وطوائف من بني عمرو بن تَميم والرِّباب. وكان سَلَمة بن الحارث ملكاً في بني تَغْلِبَ والنَّمِرِ بن قاسِط وسعد بن زيد مَناة، وطوائف من قُضَاعة. وكان مَعْدِي كرب بن الحارث ملكاً في قيس ومعه الصَّنائعُ وهم الذين يكونون مع الملوك من شُذّان الناس. وكان حُجر بن الحارث ملكاً في بني أسد وطوائف من تميم والرِّباب بأرض نجد واليمامة»[٣]. وفي ذلك الزمن كان مولد امرئ القيس بن حُجر بن الحارث حوالي عام ٤٩٧م[٤]. فنشأ امرؤ القيس في كنف أبيه. وقد ذكر ابن قتيبة أنه: «رأى امرؤ القيس من أبيه جَفْوَةً، فلحق بعمه شُرحبيل بن الحارث، فأقام حيناً ـ مع عمه

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البكري ـ ص١٠٧٩ ـ والكامل ـ ابن الأثير ـ ص٣٣٣ جـ ١.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٦٤ جـ ١.
(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٥٨ جـ ٢ ـ والنقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ١٠٨٣.
(٤) الموسوعة اليمنية ـ ص ١٣٠ جـ ١.

شرحبيل ـ»[١] فيكون ذلك حوالي عام ٥١٧م. وكذلك أقام امرؤ القيس فترة عند عمه معدي كرب، ثم عاد إلى منطقة كندة في حضرموت باليمن.

بينما في إقليم الحيرة بالعراق كان الملك الفارسي قُبَاذ قد أقرّ واعترف بالحارث بن عمرو الكندي ملكاً للحيرة، وكان الحارث قد صالح المنذر «على أن للمنذر ما وراء الفرات من أرض السواد فاقتسما ملك العرب بالعراق. ثم مات قُباذ وتولى الحكم ابنه كسرى أنو شروان، فبعث أنو شروان إلى المنذر ومَلّكه على الحيرة، وأخرج الحارث بن عمرو فنزل الحارث بديار قبيلة كلب بالبادية»[٢] وكان الحارث آنذاك قد بلغ من الكبر عتياً وصار شيخاً عجوزاً فما لبث أن مات بالبادية. قال أبو عبيدة: «فلما مات الحارث بن عمرو تشتّت أمرُ شُرَحْبيل وسَلَمة وتفرّقت كَلِمَتُهما ومشى الرجال بينهما، حتى جمع كلّ واحد منهما لصاحبه الجُموع وزحف إليه بالجيوش، فسار شُرحبيل في بني بَكْر ومَنْ معه من القبائل فنزلوا الكُلاب وهو ماء بين الكوفة والبصرة وهو من اليمامة على سبع ليالٍ أو نحوها. وأقْبَل سَلَمَة بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّمِرِ وسعد وبقية من معه من القَبائل يُريدون الكُلاب.. وكان على بني تغلب السَّفاح وهو سَلَمَة بن خالد بن كعب بن زهير ـ التغلبي ـ. فاقتتل القومُ قتالاً شديداً حتى آخر النهار من ذلك اليوم.. فلما غَشِيَهم الليلُ نادى مُنادي سَلَمة بن الحارث: مَنْ أتاني برأس شُرَحْبيل فله مائة من الإبل..» وقال ابن الأثير «..نادى مُنادي شرحبيل: من أتاني برأس سَلَمة فله مائة من الإبل، فنادى مُنادي سلمة: من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل. فاشتد القتال حينئذ.. فكانت الغلبة آخر النهار لسلمة، ومضى شرحبيل منهزماً..» وقال أبو عبيدة «كان شُرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم والرِّباب، ففرّوا عنه لمّا انهزموا، وخرج شرحبيل معهم، فلَحِقَه ذو السُّنَيْنَة واسمه حبيب بن عُتْبَةَ بن حبيب فضرب شُرحبيلُ ذا السُّنَينة على ركبته فأطنّ رِجْلَه وكان ذو السنينة أخا أبي حَنَش لأُمِّه، فقال ذو السنينة: قَتَلَني الرَّجُل، فقال أبو حنش: قتلني اللّه إن لم أَقْتُلْه..» قال ابن الأثير: «..وهَلَكَ ذو السنينة، وحَمَل أبو حنش على شرحبيل فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللَّبَن اللَّبَن. يعني الديَة. فقال: قد هرقت لبناً كثيراً، فقال: يا أبا حنش أمَلِكاً بسُوقَةٍ؟ قال: إنه كان ملكي، فطعنه فألقاه عن فرسه ـ فمات شُرحبيل ـ فاحتزّ أبو حنش رأسه فبعث به إلى سلمة مع ابن عم له، فأتاه به وألقاهُ بين يديه، فقال سلمة: لو كنت أَلْقَيْتَه إِلْقاءً رفيقاً. وعرف الندامة في وجه سَلَمة فهرب، وهرب أبو حنش. فقال سَلَمة:

أَلا أَبْلِغْ أَبا حَنَشٍ رَسولاً ... فما لكَ لا تَجيءُ إِلَى الثَّوابِ

---

(١) الموسوعة اليمنية ـ ص ١٣٠ جـ ١.

(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٧ جـ ١.

تَـعَـلَّـمْ أنّ خَـيْـرَ الـنّـاسِ طُـرّاً قَـتـيـلٌ بَـيْـن أحـجـارِ الـكُـلابِ[١]
تَـداعَـتْ حَـوْلَـهُ جُـشَـمُ بـنُ بَـكْـرٍ وأسْـلَـمَـهُ جَـعـاسِـيـسُ الـرِّبَـابِ
قَـتـيـلٌ مـا قَـتـيـلُـكَ يـابْـنَ سَـلْـمَـى تَـضُـرُّ بـه صَـديـقَـكَ أَوْ تُـحـابِـي

فأجابه أبو حنش ـ لما بلغه ذلك الشعر ـ:

أُحـاذِرُ أَنْ أَجِـيـئَـك ثُـمَّ تَـحْـبـو حِـبـاءَ أَبـيـكَ يَـوْمَ مُـنَـيْـبِـعـاتِ
وكـانَـتْ غَـدْرَةً شَـنْـعـاءَ تَـهـفُـو تَـقَـلَّـدَهـا أبـوكَ إِلـى الـمَـمـاتِ

قال ابن الأثير: (وكان سبب يوم منيبعات أن ابناً للحارث كان مُسترضعاً في تميم وبكر، ولدغته حيّةٌ فمات، فأخذ الحارث خمسين رجلاً من تميم وخمسين رجلاً من بكر فقتلهم به)[٢].

وجاء في كتاب (أيام العرب): إن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ـ الذي ولّاهُ كسرى أنوشروان ـ هو الذي أغرى بين سَلَمَة وشرحبيل حتى تقاتلا في يوم الكُلَاب). وما لبث أن اتضح ذلك بدخول تغلب في طاعة المنذر وبسيطرة المنذر على المناطق التي كانت تحت حكم شرحبيل وسلمة بإقليم الحيرة، فخرج سلمة إلى بكر بن وائل ـ (الذين بين الحيرة واليمامة) ـ فأطاعوه حيث كما ذكر ابن الأثير: «لما صار سلمة عند بكر أذعنوا له وقالوا: لا يملِّكنا غيرك. فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك.. ثم سار إليهم المنذر في جموعه فالتقوا بجبل أواره، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجلت الوقعة عن هزيمة بكر، وأُسِر يزيد بن شرحبيل الكندي فأمر المنذر بقتله فَقُتِل؛ وقُتِل في المعركة بشر كثير..»[٢].

وجاء في هامش الإكليل: أن سلمة بن الحارث جمع جموع اليمن، ـ بعد ذلك ـ وبلغ نزاراً فتألبت جميعها ورأست كُليب وائل، وبلغ سلمة بن الحارث اجتماع ربيعة فأقْبَلَ ومعه قبائل مذحج.. وأقْبَلَ كليب في جموع ربيعة، فالتقوا بخزازَى واقتتلوا قتالاً شديداً[٣] فكانت موقعة خزازى ـ التي وقعت باليمامة ـ امتداداً لموقعة يوم الكُلاب وموقعة يوم أواره، وسيأتي نبأ موقعة خَزازَى في شعر عمرو بن زيد الخولاني والديان بن قَطَن الحارثي. قال ابن خلدون: «وأما سَلَمة بن الحارث الكندي فإنه فلج ومات». وكان ذلك حوالي عام ٥٣٠ ميلادية.

---

(١) تَعَلَّمْ: بمعنى إعلم، فيكون اسم فعل.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٣٣ جـ ١.
(٣) الإكليل ـ الحسين الهمداني ـ ص ٢٩٩ جـ ١.

المبحث «٢١»

مَعْدِي كَرِب بن الحارث الكِنْدي

«عم امرىء القيس بن حُجْر الكندي»

هو معدي كرب بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرَار الكندي، وهو أحد أبناء الحارث بن عمرو الذين ولّاهم على قبائل ومناطق اليمامة ونجد في عهد أسعد تُبّع بن حسان ملك اليمن (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) فمكثوا ملوكاً وولاة هناك إلى عهد (يوسف أسار ملك اليمن ٥١٥ ـ ٥٢٥م)، قال أبو عبيدة: «كان مَعْدِي كرب بن الحارث ـ وهو غَلْفاء ـ (ملكاً) على قيس، ومع معدي كرب الصَّنائِعُ ـ وهم الذين يُقال لهم بنو رُقَيَّةَ أُمٌ لهم يُنْسَبون إليها ـ وكانوا يكونون مع الملوك من شُذّان الناس»[(١)]. وقال ابن الأثير: «جعل الحارثُ ابنه معدي كرب في قيس عيلان»[(٢)].

وكان معدي كرب شاعراً. قال أبو عبيدة «وكان معدي كرب معتزلاً عن أخويه شُرَحْبيل وسَلَمة وعن حربهما ـ التي قُتِل فيها شُرحبيل في يوم الكُلَاب ـ فقال معدي كرب وهو غَلْفاء يرثي أخاه شُرحبيل:

إنَّ جَـنْـبِـي عَـنِ الـفِـراشِ لَـنـابِ ... كَـتَـجـافِـي الأَسَـرِّ فَـوْقَ الـظِّـرابِ[(٣)]

مِـنْ حَـديـثٍ نَـمـا إِلَـيَّ فـمـا تَـرْ ... قـأُ عَـيْـنـي ومـا أُسِـيـغُ شَـرابـي

مُـرَّةٌ كـالـذُّعـافِ أَكْـتُـمُـهـا الـنّـا ... سَ عَـلَـى حَـرٍّ مَـلَّـةٍ كـالـشِّـهـابِ[(٤)]

مِـنْ شُـرَحْـبِـيـلَ إذْ تَـعـاوَرَهُ الأرْ ... مـاحُ مِـنْ بَـعْـدِ لَـذَّةٍ وشَـبَـابِ

---

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البكري ـ ص ١٠٧٣.

(٢) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ١/٣٣٢.

(٣) قال أبو عبيدة: «الأَسَرّ البعير يكون به سَرَرٌ وهو قَرْحَةٌ في الكِرْكِرة فلا يَقْدِرُ أن يَبْرُكَ إلا على موضع مُسْتَوٍ. والظِّراب: الشُّروز».
وجاء في هامش الكامل: «الأسر ـ بتشديد الراء ـ نقل صاحب اللسان عن المحكم أنه داء في سرة البعير إذا برك تجافى، فيُقال بعير أسر وناقة سراء. وأورد مثله عن أبي عمرو وابن الأعرابي واستشهدا بالبيت نفسه.
والظراب: جمع ظرب، ككتف، ماتنا من الحجارة، وحد طرفه، أو الجبل المنبسط أو الصغير».

(٤) الملّة ـ بفتح الميم وتشديد اللام ـ: الجمر.

يـابْـنَ أُمّـي ولَـوْ شَـهِـدْتُـكَ إِذْ تَـدْ — عـو تَـمـيـمـاً وأنْـتَ غَـيْـرُ مُـجـابِ
لَـتَـرَكْـتُ الـكُـمـاةَ حَـوْلَـكَ صَـرْعـى — كَـرَّ ذي نَـجْـدَةٍ غَـداةَ الـضِّـرابِ
ثُـمَّ طـاعَـنْـتُ مِـنْ وَرائِـكَ حَـتَّـى — تَـبْـلُـغَ الـرُّحْـبَ أَوْ تُـبَـزَّ ثِـيـابـي
أحْـسَـنَـتْ وائِـلُ وعـادَتُـهـا الإحـ — ـسانُ بالحِنْوِ يَوْمَ ضَرْبِ الرِّقاب[1]
يَـوْمَ فَـرَّتْ بـنـو تَـمـيـم ووَلَّـتْ — خَـيْـلُـهُـمْ يَـتَّـقـيـنَ بـالأَذْنـابِ
وَيْـحَـكُـمْ يـا بَـنـي أُسَـيِّـدَ إنّـي — وَيْـحَـكُـمْ رَبُّـكُـمْ ورَبُّ الـرِّبـابِ
أَيْـنَ مُـعْـطيـكُـمُ الـجَـزيـلَ وحـابيـ — ـكُمْ على الفَقْرِ بالمِائِينَ الكُبابِ
والـثَّـمـانـيـنَ قَـدْ تَـخَـيَّـرَهـا الـرَّا — عِـي كَـكَـرْمِ الـزَّبـيـبِ بـالأَعْـنـابِ
فـارسٌ يَـضْـرِبُ الـكَـتـيـبَـةَ بـالـسَّـيْـ — ـفِ على نَحْرِهِ كَنَضْخِ المَلابِ»[2]

وجاء في كتاب الأغاني آخر القصيدة:

فـارسٌ يَـضْـرِب الـكـتـيـبـةَ بـالـسَّـيـ — ـفِ على نَـحْـرِه كَـنَـضْـحِ الـمـذاب
فـارسٌ يـطـعـنُ الـكـمـاةَ جـريءٌ — تـحـتـه قـارح كـلـون الـغُـراب

---

(١) جاء في هامش الكامل: «قال في القاموس: الحنو ـ بالكسر والفتح ـ كل ما فيه إعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحى والضلع والحنى، ومن غيره كالقف والحقف، وهذا هو المراد هنا» (اهـ). وأقول: الحنو اسم موضع لربيعة، فالمراد هنا: يوم الحنو.

(٢) النقائض: أبو عبيدة البكري ـ ص ١٠٧٧.

المبحث «٢٢»

عمرو بن زيد الخولاني

«رئيس قُضاعة . . وقائدها في يوم خَزازَى»

هو الرئيس الشاعر عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن أُسامة الخولاني، وهو من بني الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة بن مالك بن حِمْيَر. قال عنه الأستاذ أحمد الشامي: «عمرو بن زيد شاعرٌ جاهليّ مشهور، كان سيّد قومه والمُجمع على رئاسته، ويُعرف بِمُغْرق الأكبر، وهو الذي قام بحرب (ربيعة) وشهد (خَزازَى). وله يوم (الحِنْوْ) وفيه قَتَلَ عتّاب جدّ عمرو بن كلثوم التغلبي ـ صاحب المعلقة المشهورة الذي عاصر عمرو بن هند ـ وحاطب بن حلزة اليشكري. . وقد شَهَدَ عمرو بن زيد (خَزَازى) فَحَسُنَ أثره وقال في ذلك شعراً ولا أحد يدري كم كان عمره حينذاك، ثم هو جدّ يَعْلىٰ بن سعد بن عمرو صاحب حصن «تلمص» والملقب بـ (مغْرِق الأصغر) والذي كان أحد رماة خولان وشعرائها، والذي نعرفُ من أخباره أنه ـ أي يَعْلى ـ رمى بين يدي سيف بن ذي يزن فأجاد فقال سيف: أغرق المالكيّ في القوم فسُمي «مُغْرِقا» . . وهذا يعني أنَّ يَعْلى حفيد عمرو قد عاصر سيف بن ذي يزن وشهد مواقعه، ويقول الهمداني: إن يعلى بن سعد هاجر إلى النبي ﷺ، وإذنْ فيكون الشاعر ـ عمرو بن زيد ـ قد عاش في أوائل القرن الخامس للمسيح أي قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بحوالي مائة وخمسين عاماً»[١] . ولكن كونه عاش قبل البعثة بحوالي مائة وخمسين عاماً يعني أنه عاش في أواسط القرن الخامس الميلادي ـ وليس في أوائله ـ لأن البعثة كانت عام ٦١٠م فيكون (٦١٠ ـ ١٥٠ = ٤٦٠) مما يعني أنه عاصر أسعد تُبّع بن حسان ملك اليمن (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وعاش بعد ذلك إلى زمن موقعة خَزازَى في أوائل القرن السادس الميلادي.

نسب ورئاسة عمرو بن زيد . . وشهوده يوم الحِنْو:

قال الحسن الهمداني: «أولد سعد بن خولان: الربيعة بن سعد، وسعد بن سعد، وعمرو بن سعد. . فأولد ربيعة بن سعد ستة نفر: حُجْر بن ربيعة، وهو الذي

(١) قصة الأدب في اليمن ـ أحمد محمد الشامي ـ ص ٢٣٦.

حَالَفَ شهاب بن العاقل من كندة يوم خرج حُجر من صرواح، فكانوا جميعاً في حقل صعدة.. وفي ذلك يقول إبراهيم بن كنيف الشهابي:

على حلف حُجر حازت الحقل معشري ... تُطاعن عنه بالرِّماح المواطِرِ

وسعد بن ربيعة، وكامل بن ربيعة، وقَرُوذ بن ربيعة - زنة طرود إلا أنه بالذال - ويغنم بن ربيعة، ورشوان الأصغر بن ربيعة.. فأولد حجر بن ربيعة أربعة نفر: شُرحبيل بن حُجر، وفيه يقول الشاعر(١):

لقد لبس المكارم واحتواها ... لعَمْركم شُرَحْبيل بن حُجْرِ

أخو الغارات مرتكب المعالي ... ومُعطي كل موجود وذخر

ومالك بن حجر، وسعد بن حجر، والهمّاس بن حجر. فأولد شرحبيل بن حُجر: أرطأة بن شرحبيل، فأولَدَ أرطأة زيداً، فأولد زيدُ أسامة.. فأولد أسامة: زيداً والأصحر.. فأولد زيد مالكاً وعوفاً، وهما روقا الربيعة(٢) فأولد مالك بن زيد بن أسامة ستة نفر: عَمْراً وزيداً وجريراً وعنيداً وليثاً وجابراً. فأولد زيد بن مالك: عمرو بن زيد سيّد قضاعة في عصره، والمُجْمَعُ على رياسته، وهو مُغرق الأكبر.. وفيه يقول الحارث بن همام بن مُرّة بن ذُهَلْ بن شيبان:

تدينُ لنا القبائل مِنْ مَعَدٍّ ... كما دانت قُضَاعة لابن زيد»(٣)

ويتبين من ذلك:

أ - إن رؤساء قبيلة خولان الذين بمنطقة صعدة كان أولهم حُجر بن الربيعة بن سعد بن خولان، فتعاقب الرؤساء من ذريته، فتولى بعده شرحبيل بن حُجر، ثم زيد بن أرطأة بن شرحبيل، ثم أسامة بن زيد، ثم زيد بن أسامة، ثم مالك وعوف ابنا زيد بن أسامة، ثم عمرو بن زيد.. فكان عمرو بن زيد ثامن رؤساء خولان بصعدة (محافظة صعدة حالياً) مما يشير إلى أن رئاسة أسلافه بصعدة بدأت منذ نحو مائتي سنة قبل رئاسته، وأنه كان رئيس خولان صعدة (منذ حوالي عام ٤٦٠م).

ب - إن رئاسة عمرو بن زيد شملت كل قبائل قضاعة بصعدة وما يليها من أعالي اليمن وهي قبائل نهد وجَرْم وكلب وبهراء وغيرها، وكانت نهد وجَرم تسكن منطقة السراة بأعالي عسير وما يليها من السَرَاة إلى جرش وتخوم الطائف، وكذلك

---

(١) وهو صاعد الشهابي.

(٢) روقا: تثنية روق، يطلق على معان منها السيد، أي هما سيدا الربيعة، وعلى الشجاع الذي لا يطاق.. ومن الخيل الحسن الخُلق الذي يعجب الرائي.

(٣) الإكليل - الحسن الهمداني - ص ٢٩٧ - ٢٩٩ جـ ١.

كانت تسكن مناطق جبل العارض مما يلي نجران إلى اليمامة (بنو سُلي وبنو صبيح وبنو كبير، وهم من قبيلة جَرم القضاعية). قال الحسن الهمداني: «وعارض اليمامة جبلٌ مسيرة أيام.. وهو جبل منقاد عشرة أيام يعارض من خرج من نجران أربع مراحل فلا يزال يُماشي الإنسان حتى يقطع الفقيء وهو أقصى اليمامة»[١]. ويبدو أن رئاسة عمرو بن زيد لقبائل قضاعة بدأت في عهد أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) لأن قضاعة كانت فرقة واحدة في مسير أسعد بن حسان إلى إقليم اليمامة ونجد وتخوم الحيرة مما يستلزم أن يكون لها رئيس واحد، فأجمعت قضاعة على رئاسة عمرو بن زيد، فكان هو رئيسها وذلك في إطار الدولة الحميرية.

وقد شهد عمرو بن زيد موقعة يوم الحِنْو، حيث ذكر الهمداني عن علماء خولان أن «لعمرو بن زيد يوم الحِنْو. وفيه قَتَل عتاب جد عمرو بن كلثوم التغلبي وقَتَل معه حاطب بن حِلّزة اليشكري»[٢] وكان يوم الحِنْو في عهد أسعد تُبّع بن حسان والحارث بن عمرو الكندي، وكانت قبيلة بكر بن وائل مع الحارث بن عمرو الكندي في يوم الحِنْو بينما كانت تغلب وعشائر من قبيلة تميم ضد الحارث، فانتصر عليهم الحارث ومعه بكر وكذلك عمرو بن زيد وقضاعة. ويدلُّ على ذلك قول معدي كرب بن الحارث الكندي:

أحْسَنَتْ وائلٌ وعادتُها الإحـ ـسانُ بالحِنْوِ يَوْمَ ضَرْبِ الرِّقاب
يوم فَرَّتْ بنو تميم ووَلَّتْ خَيْلُهُمْ يَتَّقينَ بالأذنابِ

وقال عمرو بن حجر بن سعد بن عمرو بن زيد بن أسامة الخولاني يذكر شهود جده عمرو بن زيد يوم الحِنْو:

وإنّي لَمِن بيتيْ أُسامة في الذّرى إذا خَلُصَت يوماً كرام المناسب
لنا البيتُ منها واللواءُ وسَبْقُها، وفِينَا رباط المقربات السلاهب[٣]
ألَيْس أبونا قاد للحِنْو جَمْعَهُ ففاز بعتّابٍ، وعَلّى بحاطب»[٢]

فكان عمرو بن زيد هو الذي قتل عتاب جدّ عمرو بن كلثوم بن عتاب التغلبي وحاطب بن حِلّزة اليشكري في يوم الحِنْو، وعمرو بن كلثوم هو صاحب المعلقة المشهورة الذي عاصر وقتل الملك عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة في أواسط

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٩ جـ ١.
(٣) المقربات: جمع مقربة وهي التي تُدني وتُقرب. والسلاهب: جمع سلهب وهو من الخيل ما عظم وطال عظامه.

القرن السادس الميلادي[١] ـ وعمرو بن هند هو ابن الملك المنذر بن ماء السماء ـ وهو المنذر الذي أغرى بين شرحبيل بن الحارث الكندي وسلمة بن الحارث حتى تقاتلا في موقعة يوم الكُلاب، وقُتِل شرحبيل. فسيطر المنذر على المناطق التي كانت تحت حكمهما وانضمت إليه تَغْلِب، فانحاز سلمة بن الحارث الكندي إلى بكر بن وائل ـ الذين كانت ديارهم ما بين الحيرة واليمامة ـ فأذعنت بكر لطاعة سَلَمَة بن الحارث ومَلّكوه.

نبأ عمرو بن زيد في موقعة يوم خَزازَى وشعره في ذلك:

وكان عمرو بن زيد الخولاني قائد فرسان قُضَاعة في موقعة يوم خَزَازَى، وقال في ذلك قصيدة منها:

كانت لنا بخَزازَى وقعةٌ عَجَبُ ... لمّا التقينا وحادي الموت يَحْدِيها
. . كنّا عبّى بني قحطان إذْ طلعوا ... فيها بحدٍّ، أخو الغارات تُهديها
ثم اصطلينا ونار الحرب ساطعة ... كأُسدِ غابٍ تداعت مِنْ نواحيها
شنّتْ قسيُّ من الشريان مشطرة ... مِنْ كلّ زورا أتى بالذرو باريها[٢]

ومن المهم إدراك النبأ اليقين عن يوم خَزازَى. فقد ذكر أبو عبيدة وابن الأثير رواية تقول: «إنّ ملكاً من مُلوك اليمن كانت في يديه أُسارى من ربيعة ومُضَر، فَوَفَد عليه وفدٌ منهم من وجوه مَعَدّ، فكلموا الملك في الأُسارى فوهبهم لهم. . واحتبس عنده بعض الوفد رَهينةً وقال للبقيّة: إيتوني برُؤَسائكم لآخذ عليهم مواثيقهم بالطاعة وإلّا فاعْلَموا أنّي قاتِلُ أصحابكم ومُحارِبُكم، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر فبعث كُلَيْبُ في ربيعة فجمعهم ثمّ بعث على مقدّمته السَّفّاح التغلبي وهو سَلَمة بن خالد بن كعب بن زُهير بن تَيْم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب، وأمره أن يُوقِدَ على خَزازَى ليهتدوا بناره وقال له: إنْ غَشِيَك العدُوُّ فارْفَعْ نارَيْن. وبَلَغَ مَذْحِج اجتماعُ ربيعة ومسيرُها فاقبلوا بجُموعهم واستنفروا مَنْ يليهم من قبائل اليمن»[٣].

بينما الصواب أن موقعة يوم خزازى لم تكن بسبب ذلك وإنما كان مسير مذحج وغيرهم لمناصرة سلمة بن الحارث الكندي، فقد سلف ذكر أن «السفاح التغلبي كان على بني تغلب في موقعة يوم الكُلاب» ثم بعد مقتل شرحبيل بن

(١) قال الأكوع في هامش الإكليل «عمرو بن كلثوم التغلبي. . هو قاتل الملك عمرو بن هند اللخمي، وكان معاصراً لكسرى أنوشروان، وكان قبل النبوءة باثنتين وخمسين سنة».
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٠ جـ ١.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣١٠ جـ ١ ـ والنقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ١٠٩٣.

الحارث في يوم الكُلاب ـ وكما ذكر ابن الأثير ـ «لحقت تَغْلِب بالمنذر اللخميّ فلجأ سلمة بن الحارث الكندي إلى بكر بن وائل ولما صار عند بكر أذعنت له وحَشَدت معه وقالوا: لا يملكنا غيرك»[١]. ويتبين من ذلك أن قبيلة تغلب برئاسة السفاح التغلبي صاروا تابعين للمنذر ملك الحيرة، بينما بقيت قبيلة بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث الكندي ومَلّكوه. قال ابن الأثير: «وبعث المنذر إلى بكر بن وائل يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك.. وسار إليهم في جموعه، فالتقوا بأواره، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجلت الوقعة عن هزيمة بكر، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي فأمر المنذر بقتله فقُتِل، وأسر المنذرُ من بكر أسرى كثيرة فأمر بهم فذُبِحوا على جبل أوارة..»[١]. ويتبين من الوقائع أنه بعد ذلك استنفر سَلَمة بن الحارث الكندي قبائل مذحج ومن جاورهم من قضاعة وهمدان بمنطقة الجوف ومخلاف نجران فقد جاء في هامش الإكليل: «أن سلمة بن الحارث الكندي جمع جموعاً من اليمن وسار ليُقاتل نزاراً، وبلغ نزاراً فتألبت جميعها ورأست كُليب، وقَدّم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو خزازَى فيوقد بها النار ليهتدي الجيش بناره» . ثم قال «وبلغ سلمة بن الحارث اجتماع ربيعة ومسيرها فأقْبَل ومعه قبائل مذحج وكلما مَرَّ بقبيلة استنفرها، وهجمت مذحج على خزازى ليلاً، فأوقد السّفاح نارين..»[٢] فالسفاح التغلبي الذي أوقد النار بجبل خَزازَى ليهتدي بها الجيش هو رئيس بني تَغْلِب الذين كانوا مع المنذر بن ماء السماء اللخمي اليماني ملك الحيرة فلم تكن موقعة خزازى بين اليمنيين ونزار، ولا بين ربيعة واليمنيين وإنما كانت بين ملكين يمنيين هما المنذر بن ماء السماء اللخمي وسلمة بن الحارث الكندي، وقد وجدنا تأكيداً لذلك في نص لأبي عبيدة حيث قال:

«كان يوم خزازى للمنذر بن ماء السماء ولبني تغلب على بني آكل المُرار الكندي وبكر بن وائل»[٣].

وقال: «خَزازَى: جبل بطِخْفَةَ بنحر الطريق بين البصرة ومكة..» وقال الهمداني: (خَزازَى جبل بالعالية من حمى ضَرِيّة) وجاء في الهامش «ضَرِيّة ـ بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ـ وهي قرية قديمة في طريق مكة من البصرة من نجد. وِحمى ضرية كان لكليب بن وائل، وهو قرب اليمامة من نجد» .

فلما وصل سلمة بن الحارث الكندي ومعه الذين معه من مذحج وبني آكل المرار(كندة) وقُضاعة إلى خَزازَى ـ وكما ذكر أبو عبيدة ـ «هجمت مذحج على

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٣٤ جـ ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٢٩٩ جـ ١.
(٣) النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ٨٨٧.

خزازى، فأوقد السفاح التغلبي نارين، فلما رأى كليب بن وائل النارين أَقْبَلَ إليهم بالجموع، فصبّحهم، فالتقوا بخزازى. . فقال السفاح التغلبي في ذلك:

وَلَيْلَةٍ بِتُّ أُوقِدُ في خَزَازَى ... هَدَيْتُ كتائباً مُتَحَيِّراتِ
ضَلِلْنَ مِنَ السُّهادِ وكُنَّ لولا ... سُهادُ القَوْمِ أَحْسَبُ هادِياتِ»[١]

فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً في خَزازَى، وجاء في الإكليل ما يلي نصه: «قال علماء خولان: شهد عمرو بن زيد يوم خَزازَى في قضاعة ـ (أي ومعه فرسان قضاعة) ـ فحسن أثره في بني شيبان، ونال منهم، وأسر عمرو بن زيد يومئذ بغيض بن عنز بن أسود بن سَلَم، ثم مَنّ عليه. . وفي ذلك يقول بغيض:

عَمرو ابن زَيدٍ يقودُ الخَيْل يُقدِمها ... له مخالبُ أظفارٍ وأنيابُ
يُعطي الجزيل ويحمي دون عقوته ... وفي الحفائظ منّانٌ ووهّابُ
ما زال يحمي على صِيدٍ مَقَاوِلَة ... مِنه هُنالك فرّاس ووثابُ»[٢]

وانجلَت موقعة يوم خَزازَى عن انكسار وانسحاب مذحج وبقية الذين مع سَلَمَة بن الحارث الكندي، وظفرت تغلب وبقية الموالين للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة. وجاء في الإكليل وأيام العرب في الجاهلية وقصة الأدب أنه «قال عمرو بن زيد في يوم خزازى. .» وأنه «من شعر عمرو بن زيد الخولاني قوله عن يوم خَزازَى:

كانت لنا بِخَزازَى وقعةٌ عَجبٌ ... لمّا التقينا وحادي الموت يَحْدِيَها
مِلْنَا على وائلٍ في وسط بلدتها ... وذو الفخار كُلَيْب العزِّ يَحْمِيَها
قد فوّضوه وساروا تحت رايته ... سارت إليه (مَعَدٌّ) من أقاصيها[٣]
وحِمْيَرُ قومنا سارت مَقَاوِلُها ... ومَذْحَجُ الغرُّ سارت في تَعَابِيها
والحيُّ مِنْ صِيدِ هَمْدانٍ لها شَنَفٌ ... يَفري الفريَّ، ويُقمي من يُناويها
ومن قُضاعة حَيّاً بأسها نزلاً ... نَهْدُ وجَرْمٌ وخولانُ تُوافيها
وسار بعضٌ إلى بعضٍ برايته ... وقُدِمت لعواديها عواليها[٤]
حتى التقينا بأكناف المسيل وقد ... أَبْدَىٰ لعَمْرك ما في النفسِ مُخْفِيْها

(١) النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ١٠٩٣.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٠ جـ ١.

(٣) لم تكن قبائل مَعَدّ مع كليب وإنما قال أبو عبيدة «لما سمع أهل تهامة بمسير مذحج ـ إلى خزازى ـ انضمّوا إلى ربيعة ـ أو إلى تغلب ـ» ويعني تهامة الحجاز. .

(٤) جاء في قصة الأدب «وقدمت لغوادينا غواديها» بينما في الإكليل (وقدمت لعواديها عواليها) أي قُدِمت كعادتها العوالي وهي الرماح.

كُنّا عُبّى بني قحطان إذْ طلعوا[١] فيها بحدٍّ أخو الغارات يُهديها[٢]
ثم اصْطَلينا ونار الحرب ساطعةٌ كأُسدِ غابٍ تداعت مِنْ نواحيها
شنَّت قسيٌّ مِنْ الشِرْيان مشطرةً[٣] مِنْ كلّ زَوْرا أتى بالذور بَارِيها[٣]
ثم استخفَّت بنو شيبان ما لبثت كالخُشب مال عليها سيْلُ واديها
وفاز جَمْعُ كُلَيْبٍ عند صولته في «حِمْيَر» الشمّ إذْ زالت نواصيها
(ثم التقينا بها أخرى فما وقفت ولا استقامت ولا أسدت تعانيها
وخرّ رهط كُلَيْبٍ من أسِنْتنا صرعى وخلى لنا الدنيا وما فيها)[٤]
نِلْنَا ونالوا، كذا الأيام نَعْرِفُها لها صروفٌ على الأنام تُخفيها»[٥]

ويدلُّ البيت الأخير على أن موقعة يوم خَزازَى انتهت بدون انتصار أي من الفريقين وإنما (نِلْنَا ونالوا)، ثم (انفضوا) جميعاً، ولكن انفضاض وانسحاب الذين شهدوا الموقعة من قبائل مذحج وقُضَاعة كان بمثابة انتصار للقبائل والكتائب التابعة للمنذر بن ماء السماء وقد جاء في كتائب النقائض أنه «قال الأصمعي: كانوا في يوم خَزازَى أَسَروا خمسين رَجُلاً من بني آكِلِ المُرار، وكان يوم خَزازَى للمنذر بن ماء السماء ولبني تَغْلِب على بني آكِلِ المُرار من كِنْدَة وعلى بكر بن وائل، ففي ذلك قال عمرو بن كلثوم (في زمن لاحق):

ونَحْنُ غَداةَ أُوقِدَ في خَزازَى رَفَدْنا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدينا
وكُنّا الأَيْمَنينَ إذا الْتَقَيْنا وكانَ الأيْسَرينَ بنو أَبينا
فآبوا بالنِهابِ وبالسَّبايا وأُبْنَا بالمُلوكِ مُصَفَّدينا»[٦]

ويعني بقوله (. . بالملوك مصفدينا) بني حُجر آكل المرار الكندي الذين أسرهم جند المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، ولعلهم الذين قام بإعدامهم المنذر في ديار بني مرينا بالحيرة، وكانوا نحو عشرة من بني آكل المرار، فقال امرؤ القيس بن

---

(١) جاء في قصة الأدب (بني شيبان) مكان (بني قحطان). وقد سلف نص أبي عبيدة بأن (بكر بن وائل) كانوا مع سلمة الكندي. ومنهم بنو شيبان.
(٢) جاء في قصة الأدب «فيها بُجيرُ أخو الغارات يهديها» بينما في الإكليل (فيها بحدٍ أخو الغارات يهديها» يعني نفسه فهو أخو الغارات.
(٣) قسي: جمع قوس. الشريان: نَبْع من فصيلة شجر الشوحط. وباريها: باري القوس.
(٤) هذا البيت والذي قبله في النسخة ق من الإكليل فقط.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٣ جـ ١ ـ وقصة الأدب ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٣٨.
(٦) النقائض ـ أبو عبيدة البكري ـ ص ٨٨٧.

حُجر بن الحارث بن حجر بن عمرو آكل المرار لما بلغه خبرهم أبياته المشهورة التي أولها:

ملوكٌ من بني حُجْر ابن عمرو يُساقُون العشية يُقْتَلُونا
فلو في يوم معركة أُصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

وسيأتي ذلك في المبحث الخاص بامرىء القيس.

***

نبأ قيام عمرو بن زيد بإجلاء بني حيّ بن خولان إلى مصر وشعره في ذلك:

بعد عودة عمرو بن زيد الخولاني من خَزازى ـ وكما جاء في الإكليل ـ «تولى عمرو بن زيد إجلاء قوم من بني ربيعة بن نزار من تهامة ـ ثم تولّى ـ إخراج بني حيّ بن خولان إلى مصر، فركبوا البحر، فغرق بعضهم فسُمِّي مُغْرقاً..»[١].

وكان بنو حيّ بن خولان قبيلة لهم رئاسة سابقة في قبائل خولان بصعدة ثم «إن رجلاً من بني سعد بن سعد بن خولان خَطَبَ إليهم بعض كرائمهم، فأكبروا نفوسهم عليه فدافعوه، فلما ألحّ عليهم خَصَوهُ. فغضبت في ذلك بنو سعد بن سعد بن خولان.. فقال عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن أسامة في ذلك:

أبْلغ بني زيد وأسرة راسبٍ إخواننا في كل يوم (خابِسِ)[٢]
أنّ الغواة من آل حيٍّ قلّدوا إخوانهم عاراً بفعلٍ يابسِ[٣]
مثّلوا بأمْثَلِنَا (وجاؤوا سُنّةً)[٤] لم يأتها يوماً جبابرُ فارسِ
يا ابنيّ قُضاعة فاغْضَبا لأخيكما لا خير في ركنٍ ذليلٍ واهسِ»[٥]

ثم جمع عمرو بن زيد الفرسان من بني أسامة وبني سعد بن خولان، فحاربوا بني حيّ بني خولان مدة بصعدة، وأجبروهم على الخروج والانتقال من صعدة إلى مصر، وقيلت أثناء ذلك أشعار في الإشادة ببني حيّ بن خولان وماضيهم، ولكنهم أذعنوا لقرار عمرو بن زيد، فخرجوا بعائلاتهم وأمتعتهم من صعدة وسار فريق منهم

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١٠ جـ ١٠.

(٢) قال الأكوع «راسب: بطن من قضاعة. وهو راسب بن الخزرج بن حرة بن حزم، منهم نعمان بن صهبان الراسبي، أحد العرب المشهورين. والخابس: الأسد، ولم يظهر المعنى هنا». وأقول: قد يكون الأصوب (في كل يوم خالس) أي في كل يوم من الأيام الفائتة.

(٣) اليابس: الصلب الجاف بعدما كان رطباً.

(٤) جاء في الأصل (وخانوا سنةً) ولا بد أنه تصحيف من الطباعة وأن الصواب (جاءوا سنة) أي جاءوا بسنةً وسَنّوا شيئاً.

(٥) واهس: أي موهوس، وهو الموطىء، أتى فاعل بمعنى مفعول.

بحراً وسار أكثرهم براً حتى استقروا في صعيد مصر. قال الهمداني «وقال عمرو بن زيد في إجلائهم:

جَلَبْنَا عتاق الخيلِ من بَطْن لِيّة[١] بأرعنَ مثل الطود تحبو كلاكله[٢]
فألحقتُ حَيّاً بالصعيد بما جنوا وأقْفَرَ منهم خُنْفَعُرٌ فَقَابِله»[٣]

وفيما بعد، قال يَعْلَىٰ بن سعد بن عمرو بن زيد يذكر ذلك في قصيدة عن صروف الزمان ونوائب الدهر:

وصَرَعْنَ مَتْن صفاة حيٍّ بالقنا والمشرفية عن ربيع المنظر
من حيّ سعد يوم سار خميسُهم وابنا أُسامة في زُهاء العسكر
ما زال يصدمهم بها عمرو الندى فِرَقاً كأسراب القطا المتبكر
حتى أتوا مِصراً وقد ذبلت بهم هَوَذات عيسٍ كالحنايا ضُمّر[٤]

ويعلى بن سعد قائل هذا الشعر هو حفيد عمرو بن زيد وكان يعلى بن سعد رئيساً في خولان وصعدة في عهد الملك سيف بن ذي يزن، وسيأتي ذكره في ترتيبه الزمني لأنه من شعراء اليمن الجاهليين الذين أدركوا الإسلام.

---

(١) لِيّة: اسم وادي، وهو وادي لِيّة ـ بكسر اللام ـ ويقع في الجنوب الشرقي من الطائف بمسافة ثلاث ساعات. وكانت مناطق قضاعة تمتد من صعدة إلى وادي ليّة بأرض السراة فيما يلي عسير من أعالي اليمن آنذاك.

(٢) الأرعن: الجيش. الطود: الجبل. الكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر.

(٣) خنفعر ـ بضم الخاء وسكون النون وفتح الفاء وضم العين ـ وهو جبل في ديار جُماعة ويقع شمال غرب صعدة بمسافة أربع ساعات من مدينة صعدة وما يزال يحمل هذا الاسم حتى اليوم.

(٤) هوذات: جمع هوذة، وهي السنام الكبير. العيس: الإبل. الحنايا: جمع حنية وهي كل شيء معطوف. الضمر: الهزال والنحاف البطن.

المبحث «٢٣»

عوف بن يزيد الحَيْواني الخولاني

«شاعر بني حيّ بن خولان ومعاصر عمرو بن زيد»

هو الشاعر عوف بن يزيد بن عوف، من بني عَدِي بن حيّ بن خولان. قال الهمداني: «ويُنسب إلى حيّ بن خولان: حيْواني، فراراً من اجتماع ياءين، إحداهما ثقيلة مع ياء النسبة»(١). وقال الهمداني: «ومِنْ شعراء بني حيّ ثم من بني عدي بن حيّ في الجاهلية: عوف بن يزيد بن عوف، وهو القائل:

قومي الملوك ذوي المكارم لم تَزَلْ ... أهل السوابق فضلهم لا يُنكرُ

ولنا لواء المُلك مِنْ آبائنا ... إرثاً ورثناهُ وفخراً ينسر(٢)

مَنْ ذا يُفاخرُ معشري في محفلٍ ... ولنا المكارم والحِمىٰ المتخيّرُ

. . وقال أيضاً يذكر رياسة بني حيّ:

أبناء حيٍّ ما سَمِعْت بمثلهم ... حازوا المكارم والطعان الداعس(٣)

رَأسوا البريّة كلّها وتمكنوا ... فوق الفروع على المحل الرائس

شَهِدَتْ لهم خولانُ عند فخارهم ... بالمُلك قِدْماً في الزمان الخالس»(٣)

وهذا الشعر يبدو بأنه من أبياتٍ ردّ فيها عوف بن يزيد على شعر عمرو بن زيد الذي قال فيه:

أبلغ بني زيدٍ وأسرة راسبٍ ... إخواننا في كل يومٍ خالسِ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٧ جـ ١.

(٢) قال الأكوع في الهامش «ينسر: إذا كان بالسين فمعناه: ينقض على الشيء وينتقضه. وأما بالشين فمعناه واضح» (اهـ). وأقول: يبدو أن (ينسر) هنا ذات صلة بالمنسر والناسر حيث قال أسعد تُبّع:

وذامر علي فلا تنسه ... وآباؤه لهم المنسر

فقال نشوان الحميري (المنسر جماعة الخيل) وقال الهمداني «المنسر: أي القيادة. والمنسر: الجيش. والناسر: السرية وأهل الغارة».

(٣) الداعس: شديد الوطء والمداعس: الرمح الذي ينثني كالمدعس، وهو الرمح يُدعس به. والزمان الخالس: الزمان الماضي.

أن الـغـواة مـن آل حـيّ قـلّـدوا   إخـوانـهـم عـاراً بـفـعـل يـابـسِ
مـثّـلـوا بـأمْـثَـلِـنـا وجـاؤوا سُـنَّـة   لـم يـأتـهـا يـومـاً جـبـابـر فـارسِ

فعندما أخذ عمرو بن زيد يدعو ويستنفر قبائل سعد بن خولان وغيرهم من قبائل خولان وقضاعة لمحاربة بني حيّ بن خولان وإخراجهم من صعدة بسبب قيامهم بخصيّ السعدي؛ أخذ الشاعر عوف بن يزيد يذكر مناقب بني حيّ بن خولان ورئاستهم القديمة وأفعالهم المحمودة بحيث يبدو تفاخره بذلك نوعاً من الدفاع في ذات الوقت.

ومن شعره أيضاً ـ جاء في الإكليل أنه ـ «هو القائل أيضاً لبعض بني سعد بن خولان:

عَـرفـتْ لـنـا خـولان بـيِّـن فـضـلـنـا   ونـضـربُ يـوم الـروع فـرع الـكـواهـل
ورثنا الندىٰ والعز والمنصب الذي   تُـقَـصِـرُ عـنـه بـسـطـة الـمـتـنـاول
أنـا ابـن عَـدِي في صـمـيـم صـمـيـمـهـا   سَمَوتُ إليها في الفروع الأطاول[١]
وإن يكُ عزٌّ في الربيعة سعدُها[٢]   فـعـزّ بـنـي حـيٍّ سَـرَىٰ فـي الـقـبـائـل
سَلِ النّاسَ عنّا يوم سَفْح عُنيزة[٣]   غداة التقينا بالرماح العواسل[٤]
أبـونـا الـذي أوصـى إلـيـنـا بِـمُـلـكـه   وآثَـرَنـا مِـنـه بـغُـرّ الـفـضـائـل
وكـان إلـيـنـا بـيـتـه ولـواؤه   وكـان لـنـا فَـضْـلٌ عـلـى كـلّ فـاضِـل
وإنّي لَمِنْ فرعَيْ عَدِي كـليـهـمـا   ومشهد قومي ثابتٌ في القبائل
فـأيْـقِـنْ بـأنّـا أهـل عـزٍّ وسـطـوة   ومَحْتَدنا في شامخات المنازل[٥]
سَرَاة بني حيٍّ، نَصولُ على العِدىٰ،   ونُـذهـب عـنـهـا نـخـوة الـمُـتـجـاهـل»

---

(١) قوله (أنا ابن عدي) يعني أنه سليل عدي بن حيّ بن خولان. قال الهمداني: «أولد حيّ بن خولان سبعة نفر: عدي بن حيّ. بطن. وزيد بن حيّ، وشَعْب بن حيّ، ومرثد بن حيّ، وغَنْم بن حيّ، والمقدام بن حيّ، ونوف بن حيّ. بطون كلها. ومِنْ رجالهم: المقدام والمصعب ابنا زيد، وقد رَأسا». [ص ١/٢٨٥ ـ الإكليل].

(٢) يعني الربيعة بن سعد بن خولان، الذين منهم عمرو بن زيد.

(٣) السفح: أسافل الجبل. وعنيزة: واد مِنْ اليمامة مِن نَجد شرقي القصيم الجنوبي.

(٤) الرمح العاسل: المهتز.

(٥) المحتد: الأصل. وقد يكون (محفدنا) والمحفد: الحصن ونحو ذلك، وقد كان معقل بني حيّ جبل خنْفعر. وقال أسعد تُبّع:

«جدي المتوّج عبد شمس ذو العلا   شيخ الملوك، ومحفدي غُمدان»

ويروى (ومحتدى غمدان)

وقال عوف بن يزيد في قومه بني حيّ:

أقرّ لهم خولانُ قِدماً بفضلهم، ولبسهم في الرّوع نسجُ مضاعفُ
فهنّ لنا دون البنين وراثة وما كان فيهم للهمام مخالفُ
وراثة خولان ابْن عمرو، فَبَخٍ لها[١] حَبَانا بها القرم الشريف المُساعفُ[٢]

وقال أيضاً يفخر على بعضٍ بني سعد بن خولان:

أبناء حيّ قد سَمِعْتَ بمُلْكِهم أهل المعالي رُجّحُ أحلامُها
ولنا الوصية مِن أبينا دونكم يا خطةً ما إن يُرام مرامُها
عُقِد اللواءُ لجدّنا فمضىٰ به وإلى بنِيهِ فُوضت أحكامها»[٣]

وقوله «يا خطة ما إن يُرام مرامها» قد يكون في ذلك إشارة إلى خطة عمرو بن زيد بإخراج بني حي من صعدة وتسييرهم إلى مصر، وكان ذلك هو الذي انتهى إليه الصراع.

---

(١) بخ: كلمة مدح. قال أعشى همدان في عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث(الأشج) الكندي، وكانت والدة عبد الرحمن ابنة سعيد بن قيس الحاشدي الهمداني:

وإذا سألتَ المجدَ أيْنَ مَحَلهُ فالمجدُ بين محمدٍ وسعيدِ
بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٌ بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولودِ

(٢) حبانا: أعطانا، المساعف: الذي يسعف ويعطي من جوده وكرمه.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥ جـ ١.

المبحث «٢٤»

عَمْرة بنت زَيد الخولانية

«أقدم شاعرة يمنية في التاريخ»

هي الشاعرة عمرة بنت زيد بن الحارث الخولانية القضاعيّة الحميرية، وهي أقدم ـ وربما أول ـ شاعرة يمنية في التاريخ. وهي من منطقة صعدة. وقد حفظ لنا كتاب الإكليل قصيدة للشاعرة عمرة بنت زيد في قضية (بني حيٍّ بن خولان) لمّا حاربهم عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن أسامة الخولاني وفرض عليهم الخروج والانتقال من بلاد صعدة، فانبرت الشاعرة عمرة بنت زيد بن الحارث تذكر مناقب بني حيّ بن خولان، حيث جاء في الإكليل أنه: «وفيهم تقول عمرة بنت زيد بن الحارث، في بني حيّ[1]:

مَنْ ذا كمثل بني حيٍّ إذا نَزَلَتْ ... إحدى الجوائحُ، والأرماح تَنْتَبِلُ

قومٌ بَنَىٰ لَهُمُ عزًّا ومأثرةً ... حُرٌّ كريمُ وفَرعٌ شامخٌ خَضِلُ[2]

سادوا البريّة إذْ شدّوا مآزرهم ... وفي قُضَاعة أرباب فقد فُضِلُوا[3]

كانوا ملوكَ بني عمروٍ وجوهرها[4] ... والفاصلين إذا ما حُكِّمُوا عَدَلوا

أُسْدٌ ضَراغِمةٌ، بِيضٌ غطارفةٌ[5]، ... غُلْبٌ جحاجِحةٌ، هِيسٌ إذا اتصلوا[6]

لا يهجعون إذا ما ضِيم جَارَهُمُ، ... ولا على حُكْمِ خَسْفٍ للعِدىٰ نزلوا[7]

---

(١) جاء في النسخة المطبوعة من كتاب الإكليل هنا « . . من بني حيّ» بمعنى أن الشاعرة من بني حيّ. بينما كلمة «في بني حيّ» بمعنى: «تقول عمرة بنت زيد بن الحارث في بني حيّ» أي تقول فيهم «في بني حيّ» وليس «من بني حيّ».

(٢) الشامخ: المرتفع العالي. الخضل ـ ككتف ـ كل شيء ندٍ يترشف نداه. أي أنهم فرع غصن شامخ خضل.

(٣) هكذا في الأصل « . . وفي قضاعة أرباب» وقد يكون «وفي قضاعة أرباباً» والمقصود أنهم كانوا رؤساء في قضاعة.

(٤) (بني عمرو): هم قبائل خولان بن عمرو.

(٥) الغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد الشريف.

(٦) غُلب: جمع أغلب، وهو عظيم الرقبة. الجحاجحة: جمع جحجاح وهو السيد. الهيس: أخذ الشيء عنوة. والأهيس: الشجاع.

(٧) الضيم: الظلم. الخسف: الذل.

ولا يُقِلُّون إن أعطوا لسائلهم ... ولا يَضِنّون بالمعروف إن سُئِلوا[١]
ولا تراهم إلى جيرانهم فِرَقاً ... يبغون فضل ندىً مِنْهم إذا رملوا[٢]
ولا تُساقُ لهم عذراءُ إنْ لمعتْ ... بوارقُ في خميسٍ حَبْله نَهَلُ[٣]
الواهبينَ إذا ما ضاق جارهم ... والحاملين إذا ما حُمِّلوا حَمَلُوا
والواردينَ حُميّاها إذا حَميَتْ ... والطاعنين إذا ما خيّم البطلُ[٤]
والمُطْعِمينَ إذا ما أزمةٌ نزلتْ ... أبصرتَ فيهم جِفان الشيز تَقْتَبِلُ[٥]
قد كُلِّلت بسديفٍ فوق ذروتها ... كأنّ أشرافها مِنْ تحتها الأُبُلُ[٥]
فذاك فعل بني حيٍّ إذا نَزَلَتْ ... إحدى المَلمّاتِ ردّوها وما نَكَلُوا[٦]
بكلِّ عَضْبٍ رقيق الحدّ زَيّنه ... عقيقةٌ في ذرى متنيْه تَشْتَعِلُ»[٧]

---

(١) يضِنون: يبخلون.
(٢) الفرق: جمع فرقة وهي الجماعة. وأرمل الرجل أو القوم: إذا قَلّ لديهم الزاد.
(٣) الخميس: الجيش، يكون خمس فرق. النهل: الشرب الأول. والمراد أن الجيش متصل الأوائل بالأواخر.
(٤) حُميّاها: شدتها، أي شدة المعركة. وخيم البطل: أقام صامداً.
(٥) الأزمة: الشدة. وقال الأكوع: (الشيز: جمع شيزى، وهي القصاع تكون من خشب أسود. السديف: الشحم. الأُبل: جمع الأبلة وهي الأكمة الصغيرة، ومنه الأبلة لصبْرة الطعام).
(٦) ما نكلوا: ما نكصوا.
(٧) العضب: السيف. قال الأكوع: (والعقيقة في الأصل: ما يبقى في السحاب من شعاع البرق، تُشبه به السيوف. والمتن: الظهر) ـ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ جـ ١ ـ الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع.

المبحث «٢٥»

خِرْنِق بنت هَفَّان الحميرية

«ثانية الشاعرات اليمنيات في الجاهلية»

هي الشاعرة خِرْنِق ـ (بكسر الخاء وسكون الراء وكسر النون) ـ بنت هَفّان الحميرية زوجة عمرو بن مرثد بن ذي جدن الحميري. وقد ذكرها كتاب الأمالي باسم (خِرْنق بنت هفان) وذكر شعرها في رثاء (زوجها عمرو بن مرثد وابنها علقمة بن عمرو وأخويه حسان وشُرْحبيل)[١] ولم يذكر نسبها. وجاء في أنساب آل ذي جدن بالإكليل اسم (هعان) وأنه (هعان بن عمرو بن النعمان بن عفير)[٢] فقد يكون (هعان) هو (هفان) وأنه اسم ونعت (هعان هفان) مثل الملك (علهان نهفان) الذي فيه قال أسعد تُبّع:

وشُمَّرَ يُرعِشَ خيرَ المُلوك وعَلْهَانَ نَهفانَ قد أذكُرُ[٣]

أما عمرو بن مرثد ـ زوج خرنق بنت هفان ـ فقد جاء في الإكليل أنه «أولد زيد أغلس بن علقمة ذي جَدَن: مَرثد بن زيد أغلس بن علقمة ذي جدن، فأولد مرثد بن زيد: أسْلُم بن مرثد. فأولد أسْلُم بن مرثد: علقمة الأصغر الشاعر. ويقال له علقمة بن ذي جدن، نُسِب إلى جده»[٤]. فإذا كان علقمة بن أسْلُم بن مرثد هو نفسه علقمة بن عمرو بن مرثد فإن مؤدى ذلك أن والدة الشاعر علقمة هي الشاعرة خِرْنق بنت هفان.

وقد ذكر ابن خلدون أنه «سار امرؤ القيس بن حجر الكندي إلى مرثد بن ذي جدن من ملوك حِمْيَر»[٥] وقال قُسّ بن ساعدة الإيادي:

صافحتُ ذا جَدَنٍ وأدرك مولدي عمرو ابن مرثد يُتقى بالرّاح

ويتبين من النقوش الترتيب التالي:

أ ـ كان لحيعة يرخم ذو جدن من كبار الأقيال الأذواء في عهد أسعد تُبّع بن

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٥٨ جـ ٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٩٩ جـ ٢.

(٣) وهو كما في نقوش المسند (علهان نهفان ملك سبأ وذي ريدان بن يارم أيمن).

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٦ جـ ٢.

(٥) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٨١.

حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) ثم تولى الحكم بعده، حيث جاء في نقش مسند كتبه القائد تميم ذو حذية ما يلي «ليرحمنّ أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن»[١] وكان مرثد من أبناء ذي جدن وقد جاء ذكرهم في نقش مُسند مؤرخ بعام ٥٩٥ حميري الموافق عام ٤٨٠ ميلادية كما يلي:

«شُرحبيل يكمل، وشراحيل يقبل، ومرثد أحصن، وسميفع أشوع، بنو ذي يزن وجدن»[٢].

وكان مرثد أحصن بن ذي جدن من كبار الأقيال الأذواء ـ الذين كانوا كالملوك في إطار الدولة الحميرية ـ وذلك في عهد شرحبيل يكمل في الفترة (٤٨٠ ـ ٥٠٠م) ومَرْثَد أحصن بن ذي جدن هذا هو ـ غالباً ـ والد عمرو بن مرثد بن ذي جدن.

ب ـ أما (مرثد بن ذي جدن) الذي سار إليه واستنصر به امرؤ القيس الكندي، فقد جاء ذكره في نقش مسند من عهد الملك يوسف أسار الحميري (٥١٥ ـ ٥٢٥م) كتبه القائد القَيْل (شرحئيل أشوع بن شرحبيل يكمل) وقال فيه ما يلي: «ليباركن الرحمن أبناءهم شرحبيل، وهعن، ولحيعث، ومَرْثَد يمجد بن شرحئيل..»[٣] فهو (مَرْثَد يمجد بن شرحئيل آشوع بن شرحبيل يكمل بن ذي جدن ويزن).

ويتبين من تلك النقوش والنصوص بصفة عامة أن القَيْل عمرو بن مرثد كان من أقيال اليمن الحميريين بالمنطقة الجدنية اليزنية ـ (التي تقع بمناطق شبوة وأبين حالياً) ـ وذلك في الربع الأول من القرن السادس الميلادي، قبل الإسلام بنحو مائة سنة، ولكن زوجته الشاعرة خِرْنِق بنت هفان عاشت بعده حتى وفاة أولادها الثلاثة شُرحبيل وحسان ثم علقمة، فقالت في رثائهم وفي الثناء على قومِها شعراً حفظته الأجيال حيث قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي:

«أمْلَىٰ علينا أبو بكر[٤] قال: أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة لخِرْنق بنت هَفَّان ترثي زوجها عمرو بن مرثد وابنها عَلْقَمة وأخويه حَسْان وشُرْحَبيل:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمي الذين هُمُ ... سُمُّ العُداة وآفةُ الجُزُر[٥]

---

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ بيوتروفسكي ـ النقش رقم ٥١٣ ركمانز من وادي كوكب شمال نجران.
(٢) النقش رقم (R.4069) ـ قرن أملح ـ في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه ـ ص ١٥٩/٢.
(٣) النقش المسند رقم ١٠٢٨ جام بموقع بئر الحمة بنجران وهو مؤرخ بعام ٦٣٣ للتقويم الحميري ويوافق عام ٥١٨ ميلادية.
(٤) هو أبو بكر بن دريد الأزدي.
(٥) الجُزر: ما يُنحر من الحيوانات. فقولها (آفة الجُزُر) كناية عن الكرم والذبائح التي يذبحونها لإطعام الضيوف والناس.

الـنـازلـون بـكـلِّ مُـعْـتَـرِكٍ   والـطـيِّـبـون مَـعَـاقِـدَ الأُزُر

ـ [ويروى:

الـنـازلـيـن بـكـلِّ مُـعْـتَـرِكٍ   والـطـيِّـبـيـن مَـعَـاقِـدَ الأُزُر

ويروى أيضاً:

الـنـازلـون بـكـلِّ مُـعْـتَـرِكٍ   والـطـيِّـبـيـن مَـعَـاقِـدَ الأُزُر] ـ

إنْ يَـشْـرَبـوا يَـهَـبـوا، وإنْ يَـذَرُوا   يَـتَـواعَـظُـوا عـن مَـنْـطِـقِ الـهُـجُـرِ

قـومٌ إذا رَكِـبُـوا سَـمِـعْـتَ لـهـم   لَـغَـطـاً مـن الـتَّـأْيِـيـهِ والـزَّجـرِ

والـخـالـطـين نَـحِـيتَهـم بِـنُـضَـارِهـم   وذَوِي الـغِـنـى مـنـهـم بـذي الـفـقـر

هـذا ثَـنَـائـي مـا بَـقِـيـتُ عـلـيـهُـم   فـإذا هَـلَـكْـتُ أجَـنَّـنِـي قَـبْـرِي

قال أبو علي: الهُجْر: الفُحْش. واللَّغَط: الجَلَبة. والتأييه: الصَّوْت، يُقال: أيَّهْت به تأييها إذا صِحْتَ به. والنَّحِيت: المنحوت. والنُّضَار: الذَّهَب»[١].

وخرنق اسم حميري وهو أيضاً اسم خِرْنِق بنت خليفة الكلبية الحميرية[٢].

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٥٨ جـ ٢.

(٢) قال ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة: «خرنق ـ بكسر الخاء وسكون الراء وكسر النون ـ بنت خليفة الكلبية، أخت دحية بن خليفة الكلبي.. ذكرها ابن سعد ـ في الطبقات ـ عن هشام بن الكلبي عن شرقي بن قطامي حَدّثه: أن رسول اللّه ﷺ تزوج خولة بنت الهذيل، وأمها ـ هي ـ خرنق بنت خليفة أخت دحية، وكانت خالتها شراف بنت خليفة هي التي ربتها، فماتت في الطريق قبل أن تصل (إلى المدينة). وذكرها المفضل بن غسان العلائي في تاريخه». (ص ٢٨٥ جـ ٤/ الإصابة).

المبحث «٢٦»

خُوَيْلة بنت رِئَام القُضَاعية

«ثالثة الشاعرات اليمنيات في الجاهلية»

هي الشاعرة خُوَيْلة، من عشيرة بني رِئَام القُضاعية بمنطقة الشِّحْر في حَضْرَمَوْت. قال أبو علي القالي: «كان يدخل على خُوَيْلة أربعون رجلاً كلهم لها مَحْرَمٌ، بَنُو إِخْوة وبَنُو أَخَوَات، وكانت خُوَيْلة عَقِيماً»[1]. وقد حفظ لنا كتاب الأمالي من شعرها أبياتاً قالتها عندما اعتدت عشيرتا بَنُو ناعب وبَنُو دَاهِن على بني رئام. حيث قال أبو علي القالي: «حدّثنا أبو بكر قال: حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عَبّاد عن هشام بن محمد عن أبي مِخْنَفْ عن أشياخ من عُلَماء قُضَاعة قالوا: كان ثلاثة أبْطُن من قُضَاعة مُجْتَوِرين بين الشِّحْر وحَضْرَمَوْت: بَنُو دَاهِن، وبَنُو ناعب، وبَنُو رِئَام، وكانت بنو رئام أَقَلَّهم عَدَداً وأشجعَهم لقاء، وكانت لبني رئام عجوز تُسَمَّى خُوَيْلة، وكانت لها أَمَةٌ تسمى زَبْراء. وكان بنو ناعب وبنو داهن مُتَظَاهِرين على بني رئام.

فاجتمع بنو رئام ذات يوم في عُرْسٍ لهم وهم سبعون رجلاً كلهم شُجاعُ بَئِيس، فَطَعِموا وأقبلوا على شرابهم. وكانت زَبراء كاهنة، فقالت لخُوَيْلة: انطلقي بنا إلى قومك أُنْذِرْهم، فأقبلت خُوَيْلة تتوكأ على زَبْراء، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالاً لها، فقالت: يا ثَمَرَ الأكباد، وأَنْدادَ الأولاد، وشَجَا الحُسَّاد؛ هذه زبراء، تخبركم عن أنباء، قبل انحسار الظلماء، بالمُؤيِدِ الشَّنْعاء، فاسمعوا ما تقول[2].

قالوا: وما تقولين يا زبراء؟

قالت: واللُّوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمُزن الوادق؛ إنَّ شَجَر الوادي لَيَأْدُوا خَتْلاً، ويَحْرُق أنياباً عُصْلاً، وإن صَخْرَ الطَّوْد لَيُنْذِر ثُكْلاً، لا تَجِدُون عنه مَعْلاً[3].

---

(١) الأمالي - أبو علي القالي - ص ١٢٦ جـ ١ - ومنطقة الشِّحْر ما يزال اسمها الشِّحْر حتى اليوم بمحافظة حضرموت باليمن.

(٢) قال أبو علي (المُؤْيِدُ: الداهية والأمر العظيم).

(٣) قال أبو علي (اللُّوح والنَّفْنَف والسُّكَاك والسُّكَاكة والسَّحَاح والكَبَد والسُّمَّهَى: الهواء بين السماء والأرض، يُقال: لأفعلنَّ ذلك ولو نَزَوْت في اللُّوح، ولو نزوت في السُّكَاك). واللَّوْح بفتح اللام العطش.

=

فوافَقَتْ قوماً أُشَارَى سُكَارَى؛ فقالوا: رِيحٌ خَجُوجٌ، بَعِيدة ما بين الفُرُوج، أتت زَبْراءُ بالأَبْلَق النَّتُوج[١]، فقالت زبراء: مَهْلاً يا بني الأعزة، واللّه إنّي لأشُمُّ ذَفَر الرجال تحت الحديد[٢].

فقال لها فتى منهم يُقال له هُذَيْل بن مُنْقِذ: يا خَذَاقِ واللّه ما تَشُمِّين إلا ذَفَرَ إبْطَيْكِ[٣].

فانصرفَتْ عنهم زبراء وخُوَيلة، وارْتَاب قوم من ذوي أَسْنَانهم، فانصرف منهم أربعون رجلاً ـ مع زبراء وخويلة ـ، وبَقِيَ ثلاثون فَرَقَدُوا في مَشْرَبِهِم، وطَرَقَتْهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين.

وأقبلت خُوَيْلة مع الصباح فَوَقَفَت على مَصارِعهم، ثم عَمَدَت إلى خَنَاصِرِهم فقطعتها، وانْتَظَمَتْ منها قِلادةً وألْقَتها في عنقها، وخرجت حتى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوي بن سَعْوة المَهْرِي[٤] وهو ابن أختها، فأناخت بِفِنائه، وأنشأت تقول:

يا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ، وأمْنَعَ مَلْجَأٍ، وأعزَّ مُنْتَقِم، وأدْرَك طَالِبِ
جاءَتْكَ وافدةُ الثَّكَالَى تَغْتَلِي[٥]، بسوادها فَوْقَ الفَضاء النَّاصِب[٦]

= وقولها: (لَيَأْدُوا خَتْلاً) قال أبو زيد: (أدَوْتُ له آدُوا أدْواً، إذا ختَلْته)، قال الشاعر:

أدَوْتُ لـه لآخُـذَه فَـهَـيْـهـات الـفَـتَـى حَـذِرا

ويُقال: دَأيتُ له أيضاً ودَألْت له بمعنى واحد.

وقولها (يَحْرُق أنياباً عُصْلاً): حَرَق أنيابَه: إذا حَكَّ بعضها ببعض. والعرب تقول عند الغضب يَغْضَبُهُ الرجلُ على صاحبه (هو يَحْرُق عَلَيَّ الأُرَّمَ) أي الأسنان. والعُصْلُ: المُعْوَجَّة، واحدها أعْصَل.

والطود: الجبل. والمَعْلُ: المنجا.

(١) الخَجُوج: السريعة المَرّ. والأبْلَق: لا يكون نَتُوجاً، وإنما العرب تضرب هذا مثلاً للشيء الذي لا يُنال، فتقول:

طَلَبَ الأبْلَقَ العَقُوق فَلَمَّا فـاتـه أراد بَـيْـضَ الأنُـوق

والأنُوق: الذكر من الرّخم ولا بيض له. أي أنه طلب ما لا يُمكن فلما لم يَجِدْ طلب أيضاً ما لا يكون ولا يوجَد. والعَقُوق: الحامل.

(٢) الذَّفَر يكون في النَّتْن والطِّيب، وهو حِدَّة الرِّيح.

(٣) قال أبو علي: (الذَّفَرُ بفتح الفاء لا يكون إلا في النتن. ومنه قيل للدُّنْيا: أُمّ دَفْر، وللأَمَة دَفَارِ. فأما الدَّفْر ـ بتسكين الفاء ـ فالدَّفع، يقال: دَفَرَ في عُنُقه. وخَذَاق: كناية عما يَخْرج من الإنسان، يُقال: خَذَق ومَزَق وزَرَق. وهذا قول ابن الأعرابي).

(٤) المهري: نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان بن قضاعة بن مالك بن حمير. وكان مرضاوي بن سعوة المهري عاملاً والياً لمنطقة الشِّحْر والمهرة في شرق اليمن، وكان أديباً شاعراً.

(٥) المُغَالاة: المباعدة في الرَّمْي. واغتلاء الدابة: ارتفاعها في السير وإسراعها.

(٦) الناصب. قال الأصمعي (الناصِب: البعيد، ومنه نَضَب الماء. أي بَعُدَ عن أن يُنال).

عَيْرَانة سُرُح الْيَدَيْن شِمِلَّة[١] عُبْر الهَوَاجِر كالهِزَفُ الخَاضِبِ[٢]
هَذِي خَنَاصِرُ أُسْرَتِي مَسْرُودةً[٣] في الجِيدِ مِنِّي مِثْل سِمْطِ الكاعِب
عشرون مُقْتَبَلاً وشَطْرُ عَدِيدِهم[٤] صُيَّابة مِلْقَوْم غَيْر أشَايِب[٥]
طَرَقَتْهُمْ أُمُّ اللُّهَيْم فأصبحوا[٦] تَسْتَنُّ فوقَهُمُ ذُيولُ حَوَاصِب[٧]
جَزَراً لعافية الخَوَامِع بعدما[٨] كانوا الغِيَاثَ من الزَّمَان اللَّاحِب[٩]
قَسَمَتْ رجالُ بنِي أبيهم بينهم جُرَعَ الرَّدَى بمَخَارِصٍ وقَوَاضِب[١٠]
فابْرُدْ غَلِيلَ خُوَيْلة الثَّكْلَى التي رُمِيَتْ بأثْقَلَ مِن صُخُور الصاقِب[١١]
وتَلَافَ قبل الفَوْتِ ثأرِيَ إنَّه عَلِقٌ بِثَوْبَيْ داهِنٍ أو ناعِبِ

فقال مَرْضَاوي بن سَعْوة: حِجْرٌ عَلَى مَرْضَاوي الأعْذَبانِ والأحْمَرَانِ، أو يَقْتُلَ بعدد رِئام من داهِنٍ وناعب[١٢]، ثم قال:

أخَالَتَنا سِرُّ النساء مُحَرَّم[١٣] عَلَيَّ وتَشْهَادُ النَّدامَى على الخَمْرِ

---

(١) قال أبو علي «عَيْرانة: تُشْبِه العَيْر لصلابتها. والسُّرُح: السَّهْلة رَجْع اليدين. والشِّمِلَّة: السريعة الخفيفة.

(٢) عُبْر الهواجر (يُقال: ناقة عُبْر أسفار إذا كانت قوية على السَّفر. وعُبْر الهَواجِرِ إذا كانت قوية على الحرّ، وأصل هذا كأنه يُعْبَر بها الهَواجر والأسفار.
والهِزَفُّ والهِجَفُّ: الظَّلِيم الجافي. والخاضِب: الذي قد أكَلَ الربيعَ فاحْمَرَّت ظُنْبُوباه وأطراف ريشه. والظُّنْبُوب: مُقَدَّم عَظْم الساق).

(٣) مَسْرُودة: مَشْكُوكة.

(٤) مُقْتَبَل: مُسْتأنف الشباب. وشَطْر عديدهم: أي نصف العشرين، والمقصود (بقية الثلاثين).

(٥) الصُّيَّابة: صميم القوم وخالصهم.
مِلْقوم: مِنْ القوم. أشايب: أخلاط من الناس.

(٦) قال أبو علي: «أُمُّ اللُّهيْم: الداهية».

(٧) الحواصب: الرياح التي تَسْفِي الحَصْباء.

(٨) الخَوَامع: الضِّباع. أي أصبحوا جَزَراً للضباع.

(٩) اللاحب: القاشر. لَحَبْتُ الشيءَ: قَشَرْته.

(١٠) قال أبو علي «المَخارِص: واحدها مِخْرَص وهو سِكِّين كبير مثل المِنْجَل يقطع به الشجر. وخَرِيصُ البحر: خَلِيجٌ منه كأنه مَخْرُوص، أي مقطوع من مُعْظَمه». وقال أبو عبيدة في التنبيه «إنّما المخارِصُ هنا: الرماح، وهي الخِرْصَان أيضاً. والخُرص: سنان الرمح. وقيل هو الرمح نفسه» [ص ٥١/ التنبيه ـ أبو عبيدة البكري].

(١١) الصاقب: اسم جبل.

(١٢) حِجْرٌ: حَرَامٌ. والأعْذَبَان: النكاح والأكل. والأحْمَرَان: اللحم والخمر.

(١٣) السِّرُّ: النكاح. قال الأعشى:
فلا تَنْكِحَنَّ جارةً إنَّ سِرَّها عليك حَرَامٌ فأنْكِحَنْ أو تَأَبَّدا

كذاك وأفلاذُ الفَئِيدِ وما ارْتَمَتْ[١] ... به بين جالَيْها الوَئيَّةُ مِلْوَذْر[٢]
لئِنْ لم أُصَبِّح داهناً ولَفيفَها ... وناعِبَها جَهْراً بِراغيةِ البَكْر
فَوَارِي بَنَانَ القَوْم في غامِض الثَّرَى[٣] ... وصُوري إليكِ مِن قِناعٍ ومِن سِتْر[٤]
فإني زَعِيمٌ أن أُرَوِّيَ هامَهُمْ[٥] ... وأظْمِيء هاماً ما انْسَرَى الليلُ بالفجر

ثم خرج في مَنْسِر من قومه، فَطَرَق ناعباً وداهناً فأوجَعَ فيهم»[٦].

قال أبو علي «وقوله: أُرَوِّي هاماً، كانت العرب تقول: إذا قُتِل الرجل فلم يُدْرَك بثأره خَرَج من هامَتِه طائر يُسمى الهامة فلا يزال يقول: اسْقُوني أسْقُوني حتى يُقْتَلَ قاتلُه، فيَسْكُن. قال ذو الإصبع العَدْواني:

يا عَمْرو إلَّا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصتي ... أضْرِبك حتى تقولَ الهامَةُ اسْقُوني»[٦]

وقوله (خرج في مَنْسِر) قال نشوان الحميري: «المَنْسِر من الخيل مثل المَقْنِبِ، ويقال بَلِ المَنْسِرُ من الخيل ما بين المائة إلى المائتين. ويقال إن المَنْسِرَ الجيشُ العظيم. قال أسعد تُبَّع:

وذا مَرْعلى فلا تَنْسَه ... وآباؤهُ لَهُمُ المَنْسِرُ»[٧]

أي قيادة الجيش، أو قيادة كتائب الفرسان، فالمنسر الكتيبة من الفرسان بالحميرية.

---

(١) أفلاذُ الفَئِيد: قال أبو علي: «الأفلاذ، واحدها فِلْذٌ: يُقال: أعطيته حُزَّةً من لحم وفِلْذةً من لحم وحِذْية من لحم، كلُّ هذا ما قُطِع طولاً، فإذا أعطاه مجتمعاً قيل: أعطاه بَضْعة وهَبْرة وَوَذْرَة وفِدْرةً. والفَئِيد: الشِّواء.
(٢) جَالَيْها (الجالان: الناحيتان من أعلاهما إلى أسفلهما. والوَئِيَّة: القِدْر العظيمة).
(٣) وَارِي بنان القوم: أي ادفني خناصر القتلى.
(٤) صُورِي. قال أبو علي (صُورِي: ميلي).
(٥) زَعيم: ضامِن وكفيلُ. قال امرؤ القيس الكندي:
وإنّي زعيمٌ إن رجعتُ مُمَلَّكاً ... بسيرٍ ترى منه الفرانق أزورا
(٦) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٩ جـ ١.
(٧) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٠٢.

المبحث «٢٧»

كَبْشَة بنت مَعْدِي كَرِب الزُبَيّدية

«رابعة الشاعرات اليمنيات في الجاهلية»

هي الشاعرة كَبْشة بنت معدي كرب الزُبَيْدية المَذْحَجية، أخت الشاعر والفارس المشهور عمرو بن معدي كرب الزُبيدي. قال أبو علي القالي عن رواية للأصمعي: «كانت كبشة ـ أخت عمرو ـ ناكحاً في بني الحرث بن كعب»[١] وهذا القول غير صائب لأنّ بني الحرث بن كعب كانوا بنجران، بينما كانت كبشة بصعدة ويؤكد ذلك قولها:

«وأُتْرَكُ في بيتٍ بصَعْدة مُظْلِم»[١]

وكان زوج كبشة هو الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني من قبيلة وادعة الهمدانية في صعدة، وما تزال قبيلة وادعة في منطقة صعدة حتى اليوم. قال الحسن الهمداني في الإكليل: «كان الأجدع بن مالك فارس هَمدان وشاعرها في عصره، وكانت تحته كبشة بنت معدي كرب الزُبيدي، ولها يقول الأجدع:

أَلَا أَبْلِغ فتاة بني زُبَيْدٍ … كُبَيْشَةَ والحديثُ له نَمَاءُ
مُغَلْغَلَةً وجَهرُ القولِ مِمّا[٢] … يُوكِلُ في الخطوب به البلاءُ»[٣]

وقد حفظت لنا كتب التراث والأدب من شعر كبشة بنت معدي كرب الأبيات التي قالتها في قضية مقتل أخيها(عبد اللّه بن مَعْدِي كَرِب بن عبد اللّه بن عمرو بن عُصم بن عمرو بن زُبيد الأصغر بن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبّه بن زُبَيْد الأكبر بن الحارث بن صعب بن سَعْد العشيرة المذحجي) . وكان عبد اللّه بن معدي كرب رئيساً لبني زُبيد، قال الأصمعي: «فجلس عبد اللّه مع بني مازن، وهُم رَهْط من سَعْدِ العشيرة، فقعد عبد اللّه يشرب، وكان يَسْقيهم رجلٌ يُقال له المخزّم له مال وشَرَف. وكان عَبْدٌ من عبيد المخزّم قائماً يسقي القوم، فَسَبَّه عبد اللّه وضربه، فقام رجلٌ نَشْوانُ مِنْ بني مازن فقتل عبد اللّه»[٤] . وجاء في كتاب الأغاني: إن

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩٠ جـ ٣.
(٢) مغلغلة: رسالة.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٢ جـ ٣.
(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩٠ جـ ٣.

عبد المخزَّم قام يُغَني، فَشَبَّبَ وتغزل بامرأة من بني زُبَيْد، فقام عبد اللّه فلطمه، فصاح العبد: يا لبني مازن، فقام رجل سكران من بني مازن فقتل عبد اللّه بن معدي كرب[1].

قال الأصمعي: «فرأسَ عمرو بعد أخيه. وكان عمرو غزا غزوةً فأصاب فيها ومعه أُبيٌّ المرادي.. فلما رجع عمرو من غَزَاته ـ [وتولى رئاسة بني زُبيد بعد أخيه] ـ جاءت بنو مازن فقالوا لعمرو: قَتَلَه ـ [أي عبد اللّه] ـ رجلٌ مِنّا سفيه، ونحن يدُك وعَضُدُك، وإنما قتله سكران، فنسألك بالرَّحِم أن تأخذ الديّة وتأخذ بعد ذلك ما أحببت. فأخذ عمرو الديّة وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة»[2]. بينما جاء في كتاب الأغاني أنه «قال عمرو لهم: إحدى يدايّ أصابتني ولَمْ تُرَدْ»[1] ونَوَىٰ عمرو أخذ الديّة والأشياء التي عرضوها، فلما علمت كبشة بنت معدي كرب بأنَّ عَمْراً قال (إحدى يديّ أصابتني ولم تُرد)، وقَرَّر أخذ الجِمال والنُوق (الإفَال والأبْكُر) التي عرضتها بنو مازن ديّة لعبد اللّه بن معدي كرب، غضبت كَبَشْة وقالت وبعثت ستة أبيات من صعدة إلى بني زُبَيْد، وقد حفظت لنا المصادر أبيات كبشة لأنها كانت سبب ما أصاب بني مازن. حيث قالت كبشة بنت معدي كرب:

أَأَرْسَل عبدُ اللّه إذْ حان يومُه[3] ... إلى قومه ألا تُخَلُّوا لهم دَمي[4]
(وأن) تأخُذوا منهم إفَالاً وأبْكُراً[5] ... وأُتْرَكُ في بيتٍ بصَعْدة مُظْلِمِ
ودَعْ عنك عَمْرَاً إنَّ عمراً مُسَالِمٌ ... وهَلْ بَطْنُ عمرو غيرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ
فإنْ أنتُمُ لم تَقْتُلوا واتَّدَيْتُموا ... فَمُشُّوا بآذان النَّعَامِ المُصَلَّمِ[6]
ولا تشربوا إلا فُضُولَ نسائكم ... إذا أُنْهِلَتْ أعقابُهُنَّ مِن الدمِ[7]
جَدَعْتُم بعبد اللّه آنُفَ قومه ... بني مازن أَنْ سَبَّ ساقي المُخَزَّمِ؟

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٤ جـ ١٤.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩٠ جـ ٣.
(٣) جاء بداية البيت في الأمالي والأغاني «وأرسل عبد اللّه» ونرى أن الأصوب (أأرسل عبد اللّه..) وهو استفهام عتاب.
(٤) جاء آخر البيت في الأغاني «تعقلوا لهم دمي».
(٥) في الأغاني والأمالي: «ولا تأخذوا..» بينما سياق الأبيات يشير إلى أن الأصوب «وأن تأخذوا..».
(٦) النَّعَام: البقر الوحشي.
(٧) في معجم ياقوت «إذا ارتملت. أي تلطخت».

قال الأصمعي: «فلما حَضَّت كبشةُ أخاها عَمْراً أكبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون، فأوْجَع فيهم.. وقال عمرو في ذلك:

تَـمَـنَّـتْ مـازنٌ جَـهْـلاً خِـلَاطِـي ... فَـذُوقـي مـازنٌ طَـعْـمَ الـخِـلَاطِ[1]

أَطَـلْـتُ فِـرَاطَـكُـم حـتـى إذا مـا[2] ... قَـتَـلْـتُ سَـرَاتَـكُـم كـانـت قَـطَـاطِ[3]

غَـدَرْتُـم غَـدْرةً وغَـدَرْتُ أُخـرى ... فـمـا أن بَـيْـنَـنَـا أَبَـداً يَـعَـاط[4]

بِـطَـعْـنٍ كـالـحَـرِيـق إذا الْـتَـقَـيْـنـا ... وضرب المَشْرَفِية في الغُطَاط[5]

ثم إن بني مازن احْتَمَلوا فنزلوا في مازن بن مالك بن عمرو بن تميم»[6]. أي أنهم رحلوا من منطقتهم في اليمن فنزلوا وسكنوا في ديار مازن بن مالك بن عمرو بن تميم في نجد، فحالفوهم وباتوا منهم.

وذات مرة سَلَبَ بنو الأصيد جواداً لعمرو بن معدي كرب، وكان بنو الأصيد عشيرة من سفيان بن أرحب الهمدانيين، فلم يرغب عمرو في محاربتهم، وأراد أن تعرف أخته كبشة أن ذلك ليس عجزاً منه وإنما هو تقدير لزوجها الأجدع بن مالك الهمداني، فقال وبعث عمرو إلى أخته كبشة بيتين من الشعر ذكرهما الهمداني قائلاً: «ولها ـ أي لكبشة ـ يقول صهرهُ عمرو بن معدي كرب ـ أي صهر الأجدع ـ فيما فعل بنو الأصيد مِن سفيان بن أرحب:

لَعَمْركِ لولا أَجْدَع الخير فاعْلَمي ... لقُدْتُ إلى هَمْدَان جيشاً عِرَمْرَما

لَـقُـدتُ إلـى هـمـدان ألـف طِـمـرَّةٍ ... وألف طُمير مِنْ كُمَيتٍ وأدْهَما»[7]

وسكتت كبشة فلم ترغب في أن يغزو أخوها قبيلة زوجها الأجدع، وقام بنو الأصيد بردّ فرس عمرو. وكان ذلك آخر ما ذكرته كتب التراث من أنباء كبشة أخت عمرو بن معدي كرب، وسيأتي ذكر تاريخ وأشعار عمرو بن معدي كرب فهو من كبار شعراء اليمن الجاهليين الذين أدركوا الإسلام، وله في الجاهلية مواقف وبطولات وأشعار خالدة.

---

(١) الخلاط: أن يشتبك القوم في الحرب. (٢) فراطكم: إمهالكم والتأني بكم.

(٣) سَرَاتكم: قادتكم. قَطَاط ـ كقطام ـ أي حسبي.

(٤) جاء في هامش الأمالي «يعاط: كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشاً».

(٥) الغُطاط بالضم: أول الصبح أو بقية من سواد الليل.

(٦) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩١ جـ ٣.

(٧) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٢ جـ ١٠ ـ وقوله (ألف طِمرة): الطِمرّة ـ بكسر الطاء وتشديد الراء ـ الأنثى من الخيل. والطمر: الذكر من الخيل. والكميت: المختلط السواد والحمرة. والأدهم: الخالص السواد.

المبحث «٢٨»

فاطمة بنت الأجحم الخُزَاعِية

«خامسة الشاعرات اليمنيات في الجاهلية»

هي الشاعرة فاطمة بنت الأجحم بن دَنْدَنَة الخُزَاعية الأزدية اليمنية، وقد حفظت لها الأجيال شعراً قالته عند وفاة زوجها (صَبَاح). وتَمَثَّلَتْ بشعرها عائشة أم المؤمنين بعد وفاة النبي ﷺ.

قال أبو علي القالي: «ممّا قرأتُ على أبي بكر[1] لفاطمة بنت الأجحم بن دَنْدَنَة الخُزَاعِية:

قَدْ كُنْتَ لي جَبَلاً أَلوذُ بِظِلِّهِ ... فتركتني أَضْحَى بأَجْرَدَ ضاحي

قَدْ كُنْتُ ذاتَ حَمِيَّة ما عِشْتَ لي ... أَمْشي البَرَاز وكُنْتَ أَنتَ جناحي

فاليومَ أَخْضَعُ للذليل وأَتَّقي ... مِنْه وأَدْفَعُ ظالمي بالرّاح[2]

وإذا دَعَتْ قُمْرِيةٌ شَجَناً لها ... يوماً على فَنَنٍ دَعَوْتُ صَبَاحِ[3]

وأَغُضُّ مِنْ بَصَري وأعلمُ أنه ... قد بَانَ حَدُّ فَوَارِسي ورِماحي

قال أبو بكر رحمه اللّه: هذه الأبيات تَمَثَّلتْ بها عائشةُ رضي اللّه عنها بعد وفاة النبي ﷺ»[4].

---

(١) أبو بكر هو أبو بكر بن دريد الأزدي.

(٢) الراح: المراوحة بمعنى الصبر أو المجاملة.

(٣) صباح: اسم زوجها، ولم يذكر المصدر نسبه. وقد كان من أقيال اليمن (صباح بن شرحبيل بن لهيعة بن مَرْثد الخَيْر) وباسمه سُميت منطقة صَبَاح في بلاد رداع (بمحافظة البيضاء) وفيها أطلال مدينة مَوْكل مقر القيل صباح، وابنه أبرهة وحفيدهُ صَبَاح بن أبرهة بن الصباح الحميري.. وفيهما قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك وأقْيَال حمير:

والقَيْلُ أبرهة ابن صَباح قَضَىٰ ... نَحْباً وأبرهة أبو الصباحِ

وكان قيلاً عظيماً جواداً. وفيه يقول قس بن ساعدة الأيادي:

وعَلَىٰ الذي كانت بمَوْكَلَ دارهُ ... يَهَبُ القِيَانَ وكُلَّ أَجْرَدَ شاحِي»

(ص ١٧٠)

(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢ جـ ٢.

المبحث «٢٩»

الدَّيَّان بن قَطَنْ الحارثيّ

«رئيس مَذْحج ونجران في عهد أسعد تُبّع ويوم خَزَازَى»

هو الرئيس والشاعر الديَّان يزيد بن قَطَن بن زياد الحارثي المذحجيّ، وهو من بني الحرث بن كعب الذين يُقال لهم أيضاً بنو الحرث بن كعب. قال ابن خلدون: «أما بنو الحرث بن كعب، فالحرث أبوهم ابن كعب بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج.. وكان من بني الحرث بن كعب المذحجيين هؤلاء: بنو زياد ـ والديان ـ واسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث، وهم بيت مذحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في بيت عبد المدان ابن الديان، وانتهت قبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان»[١].

فقول ابن خلدون (هُمْ بيت مذحج وملوك نجران) أي بيت رئاسة بني الحرث بن كعب وقبائل مذحج جميعها والملوك الولاة على مخلاف نجران منذ عصر الدولة الحميرية. قال ابن المجاور «..وكان ولاة نجران بنو عبد المدان ابن الديان»[٢] وكان من بني الحرث بن كعب عشائر في (سرو مذحج) بمحافظة البيضاء حالياً وفي الجوف ولكن غالبيتهم في مخلاف نجران وانعقدت لهم رئاسة قبائل مذحج جميعها، وفي ذلك قال عبد الحرث بن أنس بن الديان:

ونحن بحمد اللّه هامة مَذْحَجٍ بنو الحرث الخير الذين هُمُ مَدَرْ[٣]

وقال آخر:

والبيتُ بيت بني الديان نعرفه في آل مَذْحج مثل الجوهر الغالي[٤]

وكان أول من تولى رئاسة مذحج ونجران منهم في عصر الدولة الحميرية: زياد بن الحارث، ثم قَطَنْ بن زياد ـ وباسمه سُمّيت منطقة قَطَن بنجران ـ ثم الديان بن قطن بن زياد الحارثي. قال يزيد بن عبد المدان ابن الديان:

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٣٤.
(٢) المستبصر ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٤٠.
(٣) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ترجمة عبد الحرث بن أنس بن الديان.
(٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٧٠.

أورَىٰ زيـادُ لـنـا زِنْـدَاً، ووالـدنـا عبد المدان فأورىٰ الزِنْد مِن قَطَنِ

* * *

وكان الديان رئيساً لقبائل مذحج وملكاً والياً لنجران منذ عهد الملك الحميري أسعد تُبّع بن حسان الذي حكم اليمن في الفترة من ٤٥٧ ـ ٤٧٧م حيث قام أسعد بقيادة وتوجيه حملات على بعض القبائل المُضَريّة بمناطق نجد واليمامة لخروجها على الدولة، فكان الديان قائد قبائل مذحج في تلك الحملات وقد انطلق مع فرسان ورجال مذحج من بَراقش في الجوف ونجران إلى نجد في حملة كبيرة على تميم وغيرها وعاد بسبايا منهم، فقال الديان أو قال غيره في ذلك شعراً ذكره نشوان الحميري في مادة (براقش) بشمس العلوم بأنه «قال الشاعر:

يـقـودُ بـهـا ديّـانُـهـا غـيـر عـاجـزٍ ثـمـانـيـن ألـفـاً قـادهـا مِـن بَـراقِـشِ

فـآبـوا بـألـفـيْ كـاعـبٍ مُـضَـريّـةٍ على إبلٍ مثل الضباع النواهشِ»[١]

وقال عمرو بن معدي كرب الزُبيدي في قصيدة ذكر فيها حملات مذحج منذ زمن الديان، قال عن فرسان مذحج:

وهُـمْ خَـشَـوا مـع الـديـان حـتـى تَـغَـتَّـمَ كـلّ عـضـروطٍ وعـبـدِ[٢]

خشوا: طعنوا، والعضروط: التابع.

وقد كان الديان ملكاً والياً لمخلاف نجران بمدلوله الواسع القديم حيث كان نجران مخلافاً كبيراً من اليمن يشمل مناطق نجران الشاسعة التي تمتد إلى عارض اليمامة ومناطق سَرَاة أعالي اليمن التي منها عسير وجُرَش وبيشة إلى تخوم الطائف وكانت قاعدة مخلاف نجران الشاسع مدينة نجران وهي مدينة الأصل أي مركز وعاصمة مخلاف نجران. ومن المفيد أن نذكر هنا أنه:

قال ابن المجاور: «نجران إقليمٌ طويلٌ عريضٌ من اليمن. ومدينة الأصل نجران. وسَرِيرُ مُلك نجران حصنٌ مانعٌ ما بين نجران والجبال، وكان ولاة نجران بنو عبد المدان ابن الديان»[٣].

وقال ابن خلدون: «قال البيهقي: مسافة نجران عشرون مرحلة. وفيها مدينتان: نجران وجُرش متقاربتان في القدر. . وبها كعبة نجران، وكانت طائفة من العرب تحج إليها وتنحر عندها، وتُسَمّى الدير»[٤].

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١/١٥١.

(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/١٤٦.

(٣) المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٤٠.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٧٠.

فقوله (مسافة نجران عشرون مرحلة) أي مسافة عشرين يوماً للمسافر، فقد كان مخلاف نجران ـ كما ذكر ابن المجاور ـ (إقليماً طويلاً عريضاً من اليمن) ـ وكان يشمل سَرَاة أعالي اليمن التي ذكر الهمداني أن منها « . . سَرَاة بجيلة والأزد بن سلامان، وألمع، وبارق، ودَوْس، وغامد، والحَجْر إلى جُرش. . »[١] وقد ذكر ابن خلدون والبيهقي أن مدينة جُرش من مخلاف نجران مما يدل على أن مخلاف نجران كان يشمل سَرَاة عسير وهو الطود ـ أي المناطق الجبلية ـ إلى تخوم الطائف، ومناطق جبل العارض الذي يمتد من نجران إلى اليمامة[٢] .

وقوله (وبها كعبة نجران. . وتُسَمّى الدير) فقد جاء في تحقيق عن نجران بصحيفة الحياة ما يلي: «تقع آثار كعبة نجران على قمة جبل تصلال على بُعد ٣٥ كيلومتراً من مدينة نجران، وقد ذكرت كتب التاريخ أنها بُنِيَتْ على يد بني عبد المدان ابن الديان الحارثي، وشُيدت على طراز الكعبة. . وعندما تتجه ببصرك إلى الغرب تجد أمامك جبلاً مخروطياً ذا ارتفاع شاهق يشق وادي نجران يُسمى (جبل رعوم) وفي قمته بناء أبيض هو بقايا قصر من القصور القديمة»[٣] . ويبدو أنه حصن بني الديان الذي ذكر ابن المجاور أنه (حصن مانع بين نجران والجبال) وهو سرير ـ أي كرسي وقصر ـ ملوك نجران الولاة وهم آل الديان.

وكان الدّيان مؤمناً بديانة التوحيد التي كانت إحدى الديانات الرئيسية باليمن في عهد أسعد تُبّع وكذلك كانت الديانة المسيحية منتشرة في نجران وبني الحرث بن كعب، وقد ذكرت كتب التراث أنه «قال ابن جفنة الغساني ليزيد بن عبد المدان ابن الدّيان: ماذا كان يقول الدّيانُ إذا أصبح، فإنه كان ديّاناً (أيْ: حاكمٌ قاضٍ) . فقال: كان يقول: آمنتُ بالذي رفع هذه (أي السماء) ووضع هذه (أي الأرض) وشقّ هذه، ثم يَخِرّ ساجداً ويقول: سَجَد وجهي للذي خلقه وهو عاشِم وما جَشَّمَني من شيء فإني جاشم، فإذا رفع رأسه قال:

إنْ تَـغْـفِـرِ الـلَّـهُـمَّ تَـغْـفِـرْ جَـمّـا وأيَّ عَــبْــدٍ لَــكَ لا أَلَــمّــا

فقال ابن جَفْنَة: إنّ هذا لذو دِين»[٤] .

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٦٠.

(٢) وفي أيامنا قال مؤلف هذا الكتاب في قصيدة له:

أرض اليمانين كل الكون يَعْرِفُها نجرانُ منها وجيزانُ وذو حَضَنِ
والطودُ طودُ عسير من مَرَابِعنا والدارُ دار بني الديان بن قَطَنِ

(٣) صحيفة الحياة ـ لندن ـ يوليو ١٩٩٢م.

(٤) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/ ١٢.

وقد تولى الدّيّان بن قَطَن إخراج وتسيير قبيلة ربيعة من منطقة خزاز وهي منطقة المهجم في تهامة اليمن إلى نجد فسكنوا بها مع من كان هناك من ربيعة وذلك في عهد أسعد تُبّع بن حسان (حوالي عام ٤٦٥م) وقد تولى نجد آنذاك الحارث بن عمرو الكندي وأولاده شُرحَبيل وسَلَمة وحُجر ـ والد امرىء القيس ـ ومكث الحارث والياً ملكاً لنجد واليمامة إلى الحيرة مع أولاده إلى (٥٢٨م) وكذلك دامت ولاية الدّيّان بن قَطَن على نجران ورئاسته لمذحج إلى تلك الفترة، وشهد الديان موقعة خَزَازَى في نجد لما استنصر سَلَمة بن الحارث الكندي ـ عم امرىء القيس ـ بقبائل أعالي اليمن، وقد جاء في هامش الإكليل أنه « . .بَلَغ سلمة بن الحارث الكندي اجتماع ربيعة في خَزَازَى فسار ومعه قبائل مذحج وكلّما مرّ بقبيلة استنفرها، وهجمت مذحج على خَزازَى. .»[١] وكذلك جاء في نبأ يوم خَزَازَى بكتاب النقائض أنه «هَجَمت مذحج على خَزَازَى. .»[١] وقد كان الدّيان هو رئيس مَذْحج في يوم خزاز المهجم بتهامة أيام أسعد وفي يوم خَزازَى بنجد (حوالي عام ٥٢٩م)، ولذلك التبس الأمر بين يوم خزاز بتهامة ويوم خَزازَى بنجد، وقد وصلنا من شعر الديان في كتاب شرح الدامغة أبياتاً التبس الأمر هل قالها في يوم خزاز بتهامة أو يوم خزازى والمهم أنه من شعر الديان حيث «قال الديان:

صَبَحْنَا تَغْلِباً وسَرَاةَ بَكْرٍ ... بِدَاهِيَةٍ يَشِيْبُ لَهَا الوَلِيْدُ
بِجَأْوَىٰ تَتْرُكُ الحُزَّانَ قَاعَاً ... لها في الشَّمْسِ مَا اتَّلَقَتْ وَقُودُ[٢]
كأنّ كُمَاتَهَا بُزْلٌ تَخَطّىٰ ... بِأَوْسَاقٍ وَقَابَلَهَا سُعُودُ[٣]
فأَرْدَيْنَا سَرَاةَ لَيْسَ تُحْصَى ... لَهَا فِيْهِمْ إذا حُسِبَتْ عَدِيْدُ
فطارُوا عن تِهامَتِنَا شَعَاعاً ... وفَلّهُمُ بحيثُ جَرَىٰ شَرِيْدُ
فَفُلُّوا: والحَدِيدُ غداة يَعْنَىٰ ... فَلَيْسَ يَفُلُّهُ إلا الحديدُ»[٤]

ومن شعر الديان أيضاً قصيدة استشهد أهل البلاغة ببيت منها وهو قول الديان بن قطن:

لأُصْبِحَنْ ظَالِماً حرباً رَبَاعِيَةً ... فاقْعُدْ لَهَا وَدَعَنْ عَنْكَ الأَظَانِيْنَا

---

(١) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ٢٩٩/٢ ـ والنقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ١٠٩٤.

(٢) جأوىٰ: كتيبة جأوَاء، بيّنة الجَأي، وهي التي يعلوها لون السّواد والخضرة لكثرة الدروع. والحُزّان: جمع حَزّن وهو ما غلظ وارتفع من الأرض.

(٣) البزْل: جمع بازل وهو البعير المثقوب الناب. أوساق: أحمال. وقابلها سعود: أي قابلها نجم السعود ويقال له سعد السعود.

(٤) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٦٧.

والأظانين: جمع ظَنّ على غير قياس، والحرب الرباعية هي الحرب الشديدة الفتيّة، وقعد للحرب أي هيأ لها.

ولم يزل الديان رئيساً وملكاً والياً لنجران حتى وفاته وقد بلغ من الكبر عتياً. وقد ضرب حكيم بن عياش الكلبيّ المثل بعدد من الملوك والأقيال الذين حكموا فترة طويلة ولكن الموت أدركهم ومنهم الدّيّان، حيث قال الكلبي:

وشَمّر، وابنا ذي نُواس، ووائل وجَفْنَةُ، والدَّيّانُ، وابنُ أبي الصعبِ[1]

ولمّا مات الديان تولى الرئاسة عبد المدان ابن الديان ودامت رئاسته إلى عهد سيف بن ذي يزن، وكان عبد المدان زعيماً شاعراً وسيأتي ذكر تاريخه وشعره في مبحث خاص وكذلك يزيد بن عبد المدان وهما من أعلام رؤساء وشعراء اليمن في الجاهلية.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٢٤/ ١٠.

المبحث «٣٠»

زُهَيْر بن جَنَاب الكلبي

«أحد كبار القادة والشعراء في الجاهلية»

هو الشاعر اليمني الجاهلي زهير بن جناب بن هَبَل الكلبي القضاعي الحميري، وهو القائل:

لـقـد عُـمِّـرتُ حـتـى لا أبـالـي أَحَتْفي في صباحي أم مسائي
شهدتُ المُوقدين على خَزَازَى وبـالـسُّـلّان جَـمْـعَـاً ذا زهـاء
ونـادمـتُ الـمـلـوكَ مِنْ آل عـمـرٍو وبـعـدهـم بـنـي مـاء الـسـمـاء

قال أبو الفرج الأصفهاني: «زهير بن جناب بن هَبَل بن عبد اللّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة. شاعر جاهلي. وهو أحد المُعَمرين. وكان سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم. وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة.. ولم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير وكان يُدعى الكاهن لصحة رأيه»[١].

وقال ابن الأثير: «كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد اللّه بن كنانة بن بكر بن عوف الكلبي أحدُ من اجتمعت عليه قُضَاعة. وكان يُدعى الكاهن لصحة رأيه. وعاش مائتين وخمسين سنة أوقع فيها مائتي وقعة. وقيل: عاش أربعمائة وخمسين سنة. وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة»[٢].

وقد قيل إنه (عاش مائتين وخمسين عاماً) لقوله:

«لـقـد عُـمِّـرتُ حـتـى لا أبـالـي أَحَتْفي في صباحي أم مسائي
وحَـقٌّ لـمـنْ أتـت مـائـتـان عـامـاً عـلـيـه أن يَـمـلّ مِـنَ الـثـواءِ
شَهدتُ المُوقدين على خَزَازَى وبـالـسُّـلان جـمـعـاً ذا زهـاء»

ونرى أنّ صدر البيت الثاني قد يكون: ـ «وحَقٌّ لِمَنْ أتت مائةً وعاماً..» وليس

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٣ و ٦٥ جـ ٢١.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٩٩ جـ ١.

(مائتان عاماً) وأنه عاش «مائة وخمس سنين» وليس (مائتين وخمسين سنة) ولا (أربعمائة وخمسين سنة) وإنما ذكر الأصفهاني عن الشرقي ابن القطامي قال «عاش زهير أربعمائة سنة» ونرى أن أصل ذلك «أربع ومائة سنة» لاستحالة أن يعيش الإنسان (أربعمائة سنة) وقال الأصفهاني في موضع آخر «إن زهير بن جناب عُمِّر مائة وخمسين سنة». فذلك مُمكنٌ وأصوب.

وقد شهد زهير بن جَنَاب الكلبي موقعة يوم خَزَازَى التي شهدها أيضاً عمرو بن زيد الخولاني والديّان بن قَطَن الحارثي المذحجي وسَلَمَة بن الحارث بن عمرو الكندي ـ عم امرىء القيس ـ وكليب بن وائل الربيعي، وكانت موقعة يوم خزازَى قبل الإسلام بنحو مائة سنة، وقبل يوم خَزَازَى شهد زُهير موقعة يوم السلان. قال أبو عبيدة: «كان يوم خَزازَى بعَقْبِ يوم السُّلّان»[١] فيكون ذلك في أوائل القرن السادس الميلادي.

قال الأصفهاني ومحمد بن القاسم الأنباري: «لم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير، وكان يُدعى الكاهن لصحة رأيه»[٢]. وكان من ملوك اليمن الأقيال الذين عاصرهم زهير «أبرهة بن الصَبّاح بن شرحبيل الحميري ملك مَوْكَل، الذي ذكر ابن خلدون والمسعودي أنه «مَلَك أبرهةُ ابن الصبَّاح تهامة اليمن»[٣] فكان أبرهة ابن الصباح ملك مناطق مَوْكَل وتهامة اليمن ـ التي تمتد إلى تهامة الحجاز (مكة وما يليها) ـ في عهد أسعد تُبّع بن حسان الحميري (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وحتى عهد الملك يوسف أسار (٥١٥ ـ ٥٢٥م)، قال زهير بن جَنّاب:

ونادمتُ الملوك مِنْ آل عمرٍو ... وبعدهم بني ماء السماء

والملوك من آل عمرو هُمْ (الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرّار الكندي) وأبناء الحارث بن عمرو: «شُرحبيل، وسَلَمة، ومعدي كرب، وحُجْر بن الحارث بن عمرو ـ والد امرىء القيس ـ» وكانوا ملوك اليمامة ونجد إلى إقليم الحيرة في ذلك الزمن، وقد شهد زهير موقعة يوم خَزازَى حيث نَاصَرَت قبائل قُضَاعة ومَذْحج سَلَمَة بن الحارث بن عمرو الكندي ضد القبائل الموالية للمنذر بن ماء السماء ملك الحِيرة. وكانت قبيلة كلب تسكن منطقة صعدة وما يليها من ديار قُضاعة بأعالي اليمن إلى نجد وأداني الحجاز. وقد ذكر الحسن الهمداني في الإكليل أنه (كان عقيل بن مسعود الكلبي سيد قضاعة باليمن) ـ ومنهم خولان وجرم ونهد ـ في

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ١٠٩٣.
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٥ جـ ٢١.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٨٢.

حرب وقعت بين قضاعة وهمدان في حقل صعدة بالجاهلية(١). فذلك يدلُّ ويؤكد أن قبيلة كلب كانت تسكن منطقة صعدة وما يليها من أعالي اليمن إلى تخوم نجد وأداني الحجاز، وأن الشاعر القائد زهير بن جناب الكلبي كان من منطقة صعدة وما يليها من ديار قُضاعة بأعالي اليمن.

* * *

نبأ رئاسة زهير على تَغْلِب ومحاربة زهير إياهم وشعره في ذلك:

كان أبرهة بن الصبّاح الحميريّ لما تولى حكم تهامة اليمن سار إلى تهامة الحجاز ونجد فأطاعوه. وقد جاء في كتاب الأغاني عن أبي عمرو الشيباني، وفي كتاب الكامل لابن الأثير: «أن أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زُهير بن جَنَاب الكلبي فأكرمه أبرهة ثم أمَّره على بكر وتغلب ابني وائل(٢) فولِّيهم حتى أصابتهم سنة شديدة فاشتد عليهم ما يطلب زهير منهم من الخراج، ومنعهم زهير من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بني تيم اللّه بن ثعلبة وكان رجلاً فاتكاً، أتى زهيراً وهو نائمٌ في قُبّةٍ له مِنْ أدم(٣) وكان زهير رجلاً عظيم البطن، فاعتمد التيميّ بالسيف على بطن زهير حتى خرج السيف من ظهره مارقاً بين الصفاق، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه. وظن التيمي أنه قد قتله. وعلم زهير أنه قد سلم فلم يتحرك لئلا يُجْهز عليه فسكت. فانصرف التيمي إلى قومه فأعْلَمَهم أنه قتل زهيراً فسرّهم ذلك. ولما علم زهير أنه لَمْ يُقْدِمْ عليه إلا عن ملأٍ من قومه(٣) وإنما مع زهير نفر من قومه بمنزلة الشُرط(٣) فأمر زهير قومه أن يُظهروا أنه ميت وأن يستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه، ففعلوا ذلك. فأذنت لهم تغلب وبكر في دفنه، فحفروا وعمّقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشك مَنْ رآها أن فيها ميتاً. ثم ساروا ومعهم زهير، فلما بلغ زهير أرض قومه جمع لبكر وتغلب الجموع، وبلغهم أن زهيراً حيّ فقال ابن زيابة:

طعنة ما طعنتُ في غَبَش الليـ ـل زُهيراً وقد توافى الخصومُ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٣٦ جـ ١٠.

(٢) قال نشوان الحميري في قصيدته عن ملوك حِمْيَر:

والقَيْلُ أبرهة بن صباح مَضَى والقَيْل أبرهة أبو الصَّباح

ثم قال «هو أبرهة بن الصباح، القَيْل بن شرحبيل بن لهيعة بن مرثد الخير بن ينكف.. وكان قَيْلاً عظيماً جواداً. وفيه يقول قس بن ساعدة:

وعلى الذي كانت بمَوْكَل داره يَهبُ القِيَان وكل أجرد شاحي

ومَوْكَل قصر في بلاد عنس، يماني أفيق» . (ص ١٧٠) وقال الهمداني «ملك أبرهة بن الصباح ثلاث وتسعين سنة» .

(٣) الأدم: الجلد. عن ملأ من قومه: أي بالتشاور معهم. الشرط: الشرطة أو الحرس.

حينَ تَجْبي لهُ المواسمَ بَكْرٌ أيْنَ بَكْرٌ وأيْنَ منها الحُلومُ؟
خانني السيفُ إذْ طعنتُ زُهيراً وهو سيفٌ مُضَلَّلٌ مشؤومُ

وجمع زهير قبيلة كلب ومن أطاعه من أهل اليمن، وغزا بكراً وتَغْلِب وهُم على ماء يُقال له (الحبي) وقد كانوا نُذِروا به، فانهزمت بكر، وقاتلتْ تَغْلِبُ شيعاً مِنْ قتال ثم انهزمت، وأُسِرَ كُلَيْبُ ومُهَلْهِل ابنا ربيعة، وكثرت القتلى في بني تغْلِب، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم، وأُخِذت أموالهم. فقال زهير بن جناب في ذلك، في قصيدة أولها:

حيِّ داراً تغيَّرت بالجَنَاب أقْفَرت من كواعب أتراب

ـ قال يصفُ هزيمة تغلب في تلك الوقعة ـ:

أين أين الفرار مِنْ حذر المو تِ إذْ تتقون بالأسلاب
إذْ أَسَرْنَا مُهلهلاً وأخاه وابن عمرو في القَيْد وابن شِهَاب
يوم يدعو مُهلهلُ يالبكر، ها، أهذي حفيظة الأحساب
ويحكم ويحكم، أبيح حِمَاكم يا بني تَغْلِبٍ، أنا ابن (ضراب)[1]
وهُمُ هاربون في كل فَجٍّ كشريد النَّعام فوق الروابي[1]
واستدارت رحىٰ المنايا عليهم بِليُوثٍ مِنْ عامرٍ وجَنَابٍ[2]
طَحَنَتْهُم أرحاؤها بطحون ذات ظفرٍ حديدة الأنياب
فَهُمُ بين هاربٍ ليس يألو وقَتِيلٍ مُعَفَّرٍ في التُّراب
فضلُ العزِّ عِزُّنا حين يسمو مِثل فضل السماء فوق السحاب»[3]

ولعل البيت الأخير:

إنما فضلُ عِزّنا حين يسمو مثل فضل السماء فوق السحاب

قال الأصفهاني: «وقال زهير بن جناب في ذلك:

تَبّاً لِتَغْلِبَ أن تُساق نساؤهم سَوْق الإماء إلى المواسم عُطَّلَا
لحقت أوائلُ خيلنا سرعانهم حتى أَسَرْنَ على الحبي مُهَلْهَلا
إنَّا ـ مُهَلْهِلُ ـ لا تطيشُ رماحُنا أيام تَنْقُفُ في يديك الحَنْظلا
وَلَّتْ حُمَاتك هاربين مِن الوغى وبقيتَ في حِلق الحديد مُكَبلَا

(١) جاء في الكامل (. . أنا ابن رضاب) وفي الأغاني (أنا ابن ضراب). النعام: البقر الوحشي.
(٢) رحى المنايا: رحى الحرب والموت. عامر وجناب: قبائل من كلب وقضاعة.
(٣) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٠ جـ ٢ ـ والأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٤ و ٦٥ جـ ٢١.

فلئن قهرت لقد أَسَرْتُك عُنْوةً ... ولئن قُتِلْتَ لقد تكون مرملا»[1]

وكان زهير قد أطلق سراح مهلهل وكُليب وبقية الأسرىٰ ومَنّ عليهم كما فعل مع بني غطفان.

***

نبأ حملةُ زهير على بني غطفان وشعره في ذلك:

وجاء في كتاب الأغاني عن ابن الأعرابي وفي كتاب الكامل لابن الأثير عن «محاربة زهير بن جناب الكلبي لغطفان» ـ وهم قبيلة (غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان) ـ:

«إن بني بغيض[2] حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صُداء وهي قبيلةُ مِنْ مذحج[3] فقاتلوهم، وبنو بغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم (إلى نجد) فقاتلوا عن حريمهم، فظهروا على صداء فأوجعوا فيهم ونكثوا. فعزّت بنو بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها (في ديار غطفان بنجد) فلما رأوا ذلك قالوا: واللّه لنَتّخِذَنّ حَرَماً مثل مكة لا يُقْتل صيده ولا يُهاج عائذه، فبنوا حَرَماً، ووليه بنو مرّة بن عوف، وكان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم، ففعلوا ذلك وهُمْ على ماء لهم يُقال له (بس). فَبَلَغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب وهو يومئذ سيّد كلب فقال: واللّه لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ ولا أخلي غطفان تتخذ حرماً أبداً. فنادى زُهير في قومه فاجتمعوا إليه، فقام فيهم فذكر ما بلغه عن غطفان وقال: إنّ أكرم مأثرة له هو وقومه أن يمنعوا غطفان من ذلك. فأجابوه، فسار في قومه فغزا بهم غطفان وقاتَلَهم أبرح قتالٍ وأشدّه، فظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم. وأخذ فارساً منهم في حرمهم الذي بَنوه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبته، فقال: إنه بَسْل، فقال زهير: وأبيك ما بَسْلُ عليّ بحرام، ثم قام إليه فَقَتَله، وعَطّلَ ذلك الحرم. ثم مَنّ زهير على غطفان وردّ الأسرى والنساء وأخذ الأموال. وقال زهير في ذلك:

فلم تصبر لنا غطفانُ لما ... تلاقينا وأُحرزت النساء

فلولا الفضل منّا ما رجعتم ... إلى عذراء شيمتها الحياء

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٤ جـ ٢١.

(٢) وهم بنو ذبيان وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان.

(٣) صُداء: عشيرة من مذحج، وهم صُداء بن حرب بن عُلة بن جَلْد بن مذحج. وكانوا بأعالي مخلاف نجران وسَرَاة عسير في أعالي اليمن.

وكـم غـادرتُـم بـطـلاً كَـمـيّـاً — لـدى الـهـيـجـاء كـان لـه غِـنـاءُ
فَـخَـلّـتْ بـعـدهـا غـطـفـانُ بَـسّـاً — ومـا غـطـفـانُ والأرض الـفـضـاء
فـقـد أضْـحَـىٰ لِـحَـيّ بـنـي جـنـابٍ — فـضـاء الأرضِ والـمـاء الـرواء
ويـصـدق طـعـنـنـا فـي كـل يـوم — وعـنـد الـطـعـن يُـخـتـبـر الـلـقـاء
نَـفَـيْـنـا نـخـوة الأعـداء عـنّـاً — بـأرمـاح أسِـنّـتُـهـا ظـمـاءُ
وقـد هـربـت حـذار الـمـوت قَـيْـنُ — عـلـى آثـارِ مَـنْ ذهـبَ الـعـفـاءُ
وقـد كُـنّـا رجـونـا أن يـمـدّوا — فـأَخْـلَـفَـنا مِـنْ إخـوتـنـا الـرجـاء
وألْـهَـىٰ الـقَـيْـن عـن (نيـل الـمعـالي) — حلاب النيب والمرعىٰ الضراء»[1]

وكان زهير قد استمد بني القين من جشم ليغزوا غطفان معه، فأبوا أن يغزوا معه، فسار في قومه من بني جناب وكلب فغزا غطفان وظفر بهم وعَطّل الحرم الذي بنوه وأجلاهم عن موضع مياه بَسّ الذي بنوا فيه الحرم، وربما كانوا يريدون أن يجعلوا الحجّ والموسم التجاري إلى ذلك الحرم بدلاً عن مكة ولذلك حاربهم زهير وعطّل ذلك الحرم. وكانت ولاية مكة والبيت الحرام آنذاك في قبيلة خُزاعة اليمنية الأزدية ورئيسها حُلَيْل بن حُبْشِيّة الخزاعي.

* * *

قصيدة زُهير (أمِنْ آلِ سَلْمىٰ . .) ومناسبة القصيدة:

ومِنْ جَيّد شعر زهير بن جناب قصيدته التي أولها:

أمِـنْ آلِ سَـلْـمَـىٰ ذا الـخـيـالُ الـمـؤرقُ — وقد نَمّقَ الطيفَ الغريبُ المشوقُ
وأنّىٰ اهتدت سلمى لوجه محلنا — وما دونها من مَهْمَه الأرضِ يَخْفقُ
. . فـحُـيّـيـت عَـنّـا زَوّديـنـا تـحـيـة — لعلّ بها العاني مِن الكبلِ يُطْلَقُ

وكان سبب تلك القصيدة أن اختلافاً ونزاعاً وقع بين زهير بن جناب وقبيلته وبين قبيلة القين بن جسر القضاعية. فجمع بنو القين بن جسر جموعاً لغزو زهيراً وقبيلته. «وكانت أخت زهير متزوجة في بني القين بن جسر، فجاء رسولها إلى زهير ومعه صرّة فيها رمل وصرّة فيها شوك قتاد. فقال زهير لأصحابه: إنّها تخبركم أنه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة، فاحتملوا ـ أي ارحلوا قبل قدومهم ـ. فقال الجلاح بن عوف السمحي: أنحتمِلُ لقول امرأة، واللّه لا نفعل. فرحل زهير وأقام الجلاح. فقال زهير:

أمـا الـجـلاح فـإنـنـي فـارقـتُـه — لا عن قَلًى، ولقد تشطّ بنا النوىٰ

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٩٩ جـ ١ ـ والأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٣ جـ ٢١.

فلئن ظَعَنْتُ لأصبحنّ مُخيماً ولئن أقَمْتُ لأظْعَنَنّ على هوىٰ

فأقام الجلاح وعشيرته، فصبّحهم الجيش فقتلوا عامة عشيرة الجلّاح وأخذوا ماله وأموالهم. وكان زهير قد مضى فاجتمع مع عشيرته من بني جناب وغيرهم من عشائر كلب. فبلغ الجيش خبره فقصدوه، فحاربهم، وصبر لهم، فهزمهم، وقَتَلَ رئيسهم، فانصرفوا عنه خائبين. فقال زهير:

أَمِنْ ألِّ سَلْمَىٰ ذا الخَيَالُ المؤرِق[1] وقَدْ نَمَقَ الطَيْفَ الغَريبُ المُشوّقُ

وأنّىٰ اهتدت سَلْمَى لوجه محلنا وما دونها مِنْ مَهْمَه الأرضِ يخفقُ

فَلَمْ تَرَ إلا هاجعاً عند حَرّة على ظهرها كور عتيق ونمرقُ

ولمّا رأتني والطليحَ تَبَسَّمَتْ كما أنْهَلّ أعلَىٰ عَارِضٍ يتألَّقُ

* فحُيِيتِ عَنّا زَوِّدِينا تَحِيَةً لَعَلّ بِهَا العاني مِن الكَبْلِ يُطْلَقُ

فَرَدّتْ سلاماً ثم وَلّتْ لحاجةٍ ونحنُ - لعَمْري - يا ابنة الخير أشوقُ

فيا طيب ما رَيّا، ويا حسن مَنْظرٍ لَهَوَتَ به لَوْ أنْ رؤياك تَصْدِقُ

ويم أثالَى قد عرفتُ رسومها فعجنا إليها والدموع تَرَقْرَقُ

وكادتْ تَبِينُ القولَ لما سألتُها وتُخبرني لو كانت الدار تَنْطُقُ

فيا دار سلمى هِجْتِ للعَينِ عَبْرة فماء الهَوَىٰ يَرْفَضُّ أو يترقرقُ

وقال في هذه القصيدة يذكر محاربة بني القين بن جسر:

أيا قومنا إن تَقْبَلُوا الحق فانتهوا وإلّا فأنْيَابٌ مِن الحرب تُحْرقُ

فجاءوا إلى رجراجةٍ مُكْفَهِرةٍ يكادُ المُدِيرُ نحوها الطَرْف يَصْعَقُ

سيوفٌ وأرماحٌ بأيدي أعِزّة، وموضُونةٌ مِمّا أجاد مُحرِّقُ[2]

فما برحوا حتى تركنا رئيسهم وقد حار فيه المضرحيّ المُذَلَّقُ

وكائن ترى مِنْ ماجدٍ وابن ماجدٍ له طعنة نجلاء للوجه يَشْهَقُ»[3]

* * *

ومِنْ جيّد شعر زُهَيْر بن جَنَاب أيضاً قوله:

«سائل أُمَيْمَةَ عني هل وفيتُ لها أم هل مَنَعْتُ مِنَ المخْزَاة جِيرانا

(١) جاء عجز البيت في كتاب الأغاني: «أمِنْ ذا آل سلمى الخيال المؤرق» وهو تصحيف وخطأ، فلا بد أنه (أمِنْ آلّ سَلْمىٰ ذا الخيال المؤرق» ومعنى «آل: سحاب».

(٢) جاء في كتاب الأغاني (ممّا أفاد محرّقُ) والأصوب «مما أجاد» يعني (الدروع الموضوعة التي أجاد صُنعها محرّق).

(٣) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ص ٦٧ جـ ٢١.

لا يمنعُ الضَّيْفَ إلّا مَاجِدٌ بَطلٌ إنّ الكريمَ كريمٌ أين ما كانا
لما أبىٰ جيرتي إلا مصممة تكسو الوجوهَ مِنَ المَخْزَاةِ ألْوَانَا
مِلْنَا عليهم بِورْدٍ لا كفاء له يَفْلُقْنَ بالبِيضِ تحت النقع أبدانا
إذا ارجَحَنُّوا عَلَوْنا هَامَهُم قدماً كأنّما نختلي بالهام خطبانا
كم مِنْ كريم هَوَىٰ للوجه مُنْعَفرِ قد اكتسى ثوبه في النَّقْع ألوانا
ومِنْ عميدٍ تناهىٰ بعد عَثْرته تبدو ندامته للقوم خزيانا »[١]

* * *

مُعاتبة زهير بن جناب لرِزَاح بن ربيعة القُضَاعي ووفادته إلى بعض ملوك غَسَّان:

وفي أيام زهير بن جناب الكلبي مات حُلَيْل بن حبْشِيَّة بن سَلُول بن كعب بن عمرو الخُزَاعي آخر الولاة الخُزَاعيين لمكة والبيت الحرام، وأوصَىٰ حُلَيْل بولاية البيت وبأمر مكة لزوج ابنته قُصيّ بن كلاب الفهري القُرشي، وكان قُصَيّ قد تزوج (حُبّى بنت حُلَيْل) فولدت له (عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العُزّى، وعبدا)، فأوصى له حُليل بولاية البيت وقال له (أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة). فلما مات حُليل عارض بنو غُبْشَان الخزاعيون أن يتولى قُصيّ بن كلاب الكعبة وأمر مكة، فكتب قصيّ إلى رِزَاح بن ربيعة القُضاعي يدعوه إلى نصرته. فسار رِزَاح بفرسان قومه من ديار قُضَاعة بأعالي اليمن إلى مكة، فآزار قُصيّاً وحاربوا خُزاعة حتى تم الأمر لقصيّ بن كلاب. ثم عاد رِزَاح إلى ديار قُضَاعة «فوقع بينه وبين بني نَهْد بن زَيْد وحَوْتكة بن أَسْلُم ـ وهما بطنان من قُضَاعة ـ شيء، فأخافهم رِزَاح حتى جلوا من ديار قضاعة. فقال زهير بن جناب الكلبي ـ وكان يُحب اجتماع قضاعة ببلادها، وكره ما صنع بهم رِزَاح ـ:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رِزَاحاً فإنِّي قَدْ لَحَيْتُك في اثْنَتَيْنِ[٢]
لَحَيْتُكَ في بني نَهْدِ ابْنِ زَيْدِ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمُ وبَيْنِي
وحَوْتَكَةُ ابْنُ أَسْلُمَ إنَّ قَوْماً عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِي »

وقد نسب ابن إسحاق هذه الأبيات لقُصيّ بن كلاب فقال ابن هشام: «تُروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي»[٣] ويتيح ذلك إدراك زمن زهير بن جناب لأن قُصَيّاً هو جد (عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب) وقد وَفَدَ

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٧ جـ ٢١.
(٢) لحيتك: لُمتك.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٤١ جـ ١.

عبد المطلب إلى الملك سيف بن ذي يزن بصنعاء لسنتين من مولد النبي ﷺ وذلك عام ٥٧٢م فيكون زمن زهير في أوائل ذلك القرن السادس الميلادي عندما صارت ولاية البيت لقصيّ بن كلاب.

وجاء في كتاب الأغاني عن محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال:

«وَفَدَ زُهَير بن جناب وأخوه حارثة على بعض ملوك غسان، فلما دخلا عليه حَدّثاه وأنشداه، فأُعْجِب بهما ونادمهما. فقال يوماً لهما إن أُمي عليلة شديدة العلة قد أعيَاني دواؤها فهل تعرفان لها دواء؟ فقال حارثةُ: كُميرة حارة. وكانت فيه لوثة. فقال الملك: أيّ شيء قُلْت؟ فقال له زهير: كميئة حارة تُطعمها. فوثب الملك وقد فهم الأولى والأخرى، يريهما أنه يأمر بإصلاح الكمأة لها، وحلم عن مقالة حارثة. وقال حارثة لزهير: يا زهير أَقْلِب ما شئت ينقلب. فأرْسَلَها مثلاً». (ص٦٥ جـ٢١).

* * *

بيتان حكيمان لزهير بن جناب:

قال ابن قتيبة: «وزهير بن جناب الكلبي هو القائل:

ارْفَع ضَعِيفكَ، لا يحرْ بِكَ ضعفه ... يوماً فتدركه عواقبُ ما جَنَىٰ[١]

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عَليكَ، وإنّ مَنْ ... أَثْنَىٰ عليك بما فعلْتَ فقد جَزَا»[٢]

وقال الأصفهاني: «هذا الشعر لغريض اليهودي وهو السموأل بن عاديا، وقيل إنه لشعبة بن غريض، وقيل إنه ليزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل إنه لورقة بن نوفل، وقيل إنه لزهير بن جناب»[٣]. والصحيح أنه لزهير بن جناب ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ وإنما تَمَثَّل به غريض وشعبة بن غريض ويزيد بن عمرو بن نفيل وتمثَّل به ورقة بن نوفل وأدخل البيتين في شعرٍ له «وروىٰ الإمام الزُهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول اللّه ﷺ وأنا أتمثل بهذين البيتين:

ارفع ضعيفك لا يحرْ بك ضعفه ... يوماً فتدركه العواقب قد نَمَا

يجزيك أو يثني عليك وإنّ مَنْ ... أثنى عليك بما فعلت فقد جَزَا

فقال ﷺ: أيّما رجُلٌ صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه»[٣].

* * *

(١) جاء عجز البيت في كتاب الأغاني: «يوماً فتدركه العواقب قَدْ نَمَا».

(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ترجمة زهير بن جناب الكلبي.

(٣) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٣ جـ ٣.

أخبار وأشعار زهير بن جناب في أواخر حياته:

وقد عاش زهير بن جَنّاب الكلبي عمراً طويلاً. قال الشرقي ابن القطامي: قالت ابنة لزهير بن جناب لابن ابنها: خذ بيد جدك، فقال له: من أنت؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن فلانة. فأنشأ زهير يقول (لأبنائه وأحفاده):

أَبَنِيّ إنْ أَهْلَكْ فقد | أورثتكم مجداً بَنِيّه
وتركتكم أبناء سا | دات زنادكم وريّه
ولكل ما نال الفتى | قد نلته إلا التحيّة[1]
.. ولقد شهدتُ النار للأسـ | ـلاف تُوقدُ في طميّه
ولقد رحلتُ البازلَ الـ | ـكوماءَ ليس لها وليّه
ولقد غدوتُ بمشرق الـ | ـقطرين لم يغمر شظيه
فأصبتُ من بقر الجنا | ب ضُحًى ومن حُمر القفيّه
وخطبتُ خطبة ماجد | غير الضعيف ولا العبيه
فالموتُ خيرٌ للفتى | فَلْيَهلكن وبه بقيّه
من أن يُرى الشيخ البجا | ل وقد تهادى بالعشيّة»

قال هشام بن الكلبي: وقال زهير في كبره أيضاً:

ألا يا لقومي لا أرى النجمَ طالعاً | ولا الشمسَ إلا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها | فأقصَىٰ نكيري أن أقول دعيني
أمينٌ على أسرارهن وقد أرَىٰ | أكون على الأسرار غير أمينِ
فَلَلْموت خيرٌ من حداج موطا | على الظعن لا يأتي المحل لحين

قال الأصفهاني: «المعزبة امرأة تكون مع الشيخ الخرف تكلاه. وقوله (أمين على أسرارهن) أي أن النساء صرن يتحدثن بين يدي بأسرارهن ويفعلن ما كن قبل ذلك يرهَبْنني فيه لأنّي لا أضرهن. والحداج والحدج: مركب من مراكب النساء».

وقال زهير أيضاً:

لقد عُمِرْتُ حتى لا أبالي | أحتفي في صباحي أم مسائي
شهدتُ الموقدين على خَزَازَى | وبالسُّلان جمعاً ذا زهاء
ونادمتُ الملوك من آل عمروٍ | وبعدَهُمُ بني ماء السماء

(١) التحية: يعني المُلك وتحية الملوك. والأبيات التي بعد هذا البيت تختلف في ترتيبها الروايات بتقديم بعضها وتأخير بعضها في الترتيب.

وحَقٌّ لِمَنْ أَتَتْ (مائةٌ وعاماً) عليه، أن يَمَلَّ مِن الثواء

وقال زهير أيضاً في كبره:

إنْ تَنْسِني الأيامُ إلا جلالة أَمُتْ حين لا تأسىٰ عليّ العوائدُ
فيأذىٰ بي الأدنى ويشمت بي العدا ويأمنُ كيدي الكاشحون الأباعدُ

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: «وكان زهير إذا قال: ألا إن الحيّ ظاعن ظعنت قُضاعة ـ الذين معه ـ وإذا قال: ألا إن الحيّ مُقيم نزلوا وأقاموا. فلما أن أسنّ نصب ابن أخيه عبد اللّه بن عليم للرياسة في كلب ـ (أو في بني جناب) فطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاعة كلها ـ (أو كلب كلها) ـ عليه. فقال زهير يوماً: ألا إنّ الحيّ ظاعن، فقال عبد اللّه: ألا إن الحيّ مقيم، فقال زهير: ألا إن الحيّ مقيم، فقال عبد اللّه: ألا إن الحيّ ظاعن، فقال زهير: من هذا المخالف عليَّ منذ اليوم؟ فقالوا ابن أخيك عبد اللّه بن عليم، فقال زهير: أعدى الناسُ للمرء ابن أخيه إلا أنه لا يدع قاتل عمه أو يقتله، ثم أنشأ يقول:

وكيف بمن لا أستطيع فراقه ومَنْ هو إن لم يجمع الدار آلفُ
أمير شِقَاقٍ إنْ أُقِم لا يُقم معي ويرحل، وإنْ أرحلْ يُقِم ويخالفُ

ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات. وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة».

* * *

الشعراء والأمراء من بني زهير بن جناب في الجاهلية والإسلام:

قال أبو الفرج الأصفهاني: «ولم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام وَلَدَ من الشعراء أكثر من ولد زهير بن جناب.. فمنهم عرين بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أبْلغ أبا عمرو وأنـ ـت عَلَيّ ذو النِعمِ الجزيله
أنّا منعنا أن تذ لّ بلادكم وبنو جديله
وطَرَقتهم ليلاً أخـ ـبرهم بهم ومعي وصيله
فصدَّقْتُهم خبري فطا روا في بلادهم الطويله

ومنهم عرفجة بن جنادة بن أبي النعمان بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عَفَا أبرق العزاف من أم جابرٍ فمنعرج الوادي عَفَا فحفيرُ
فَرَوض ثُويرٍ عن يمين رويّة كأنْ لم تَرَبَّعْهُ أوانسُ حُورُ

رقاق الثنايا والوجوه كأنها ... ظباء الفلا في لحظهن فُتورُ

ومنهم حريث بن عامر بن الحرث بن امرىء القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أرى قومي بني قَطَن أرادوا ... بأن لا يتركوا بيدي مالا
فإن لم أجزهم غيظاً بغيظٍ ... وأوْرِدهم على عجلٍ شلالا
فليت التغلبية لم تلدني ... ولا أغنت بما ولدت قبالا

ومنهم مَصَاد بن أسد بن جنادة بن صهبان بن امرىء القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

تَمَنّيْت أن تلقى اللقاح ابن محرز ... وقبلك شامتها العيونُ النواظِرُ
ممنحة في الأمر بين مناحة ... وللضيف فيها والصديق مَعَاقِرُ
فَهَلّا بني عيناء عاينتَ جمعهم ... بحالِك إذْ سُدّتْ عليك المصادرُ

ومنهم الحزنبل بن سلامة بن زهير بن أسعد بن صهبان بن امرىء القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عَبَثْتِ بمنخرق القميصِ كأنّه ... وَضَحَ الهلالِ على الخمور مُعَذْلِ
يا سَلْمُ ويحكِ، والخليلُ مُعاتبُ، ... أزمعتِ أنْ تَصِلِي سواي وتبخلي
لمّا رأيتِ بعارضيْ ولمتي ... غيّر الشبابِ على المشيب المُبْدلِ
أصَرَمْتِ حبل فتى يهش إلى الندىٰ ... لو تطلبين نداه لم يَتَعلّلِ
إنا لنَصْبِرُ عند مُعترك الوغىٰ ... ونبذُّ مكرمة الكريم المُفْضَلِ

ومنهم المسيب بن رفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرىء القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

قَتَلْنا يزيد بن المهلّب بَعْدَمَا ... تَمَنّيتُمُ أن يغلب الحقّ باطله
وما كان منكم في العراق مُنافِقٌ ... عن الدين إلا من قضاعة قاتِلُهُ
تَجَلّله فَحْلٌ بأبيض صارم ... حسامٌ جلا عن شفرتيه صياقله

ويعني بالفحل ابن عياش بن سمير بن أبي شرحبيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو الذي قتل يزيد بن المهلّب[١] ومن بني زهير شعراء كُثُر، ذكرتُ منهم الفحول دون غيرهم»[٢].

---

(١) كان مقتل يزيد بن المهلب في موقعة العقر بالعراق عام ١٠٢هـ في نهاية ثورته على الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ).

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٩ جـ ٢١.

ولعل منهم الشاعر حكيم بن عياش الكلبي وهو لسان اليمن وقحطان، وكان من اليمنيين الذين استقروا بالشام، حيث انتقل بنو كلب جميعاً واستقروا بالشام بعد الفتوحات، فكان لحكيم بن عياش أشعار في الاعتزاز باليمن واليمنيين، وفي الرد على من يتعرض لهم بسوء، ولما هجا الكميت بن زيد الأسدي بعض اليمانيين، هجا حكيم بن عياش بني أسد وقال:

ما سرني أن أمّي مِن بني أسدٍ ... وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني مِن بناتهم ... وأنّ لي كل يوم ألفِ دينار

فأجابه الكميت:

يا كلب مَا لَكَ أُمّ مِنْ بني أسدٍ ... معروفة فاحترق يا كلب بالنار

فقال له حكيم بن عياش الكلبي:

لن يَبْرَحَ اللؤمُ هذا الحيّ من أسدٍ ... حتى يُفَرَقَ بين السبت والأحدِ

ولحكيم بن عياش قصيدة ذكر فيها تاريخ وأمجاد وملوك اليمن واليمنيين في العصور التليدة وفي الجاهلية والإسلام.

أما الأمراء والولاة فكان منهم قبل الإسلام (دجانة بن قنافة بن عَدِي بن زهير بن جناب الكلبي). قال ابن خلدون: «كان لقُضَاعة مُلْكٌ في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة في دومة الجندل وتبوك. ودخلوا في دين النصرانية، وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لآكيدر بن عبد الملك، من السكون، ويُقال إنه كندي من ذرية الملوك الذين ولّاهم التبابعة.. وكان في أول من مَلَك دومة الجندل ـ من كلب ـ دجانة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب»[1]. وقد سار دجانة إلى بني كلب وإخوانهم من قُضَاعة الذين بدومة الجندل وما والاها من تخوم وبادية الشام فَمَلّكوه عليهم. وجاء في بعض الروايات أن اسمه (حارثة) ولكن ابن خلدون ذكر في أكثر من موضع أن اسمه (دجانة). وربما كان هناك أيضاً (حارثة بن جناب).

ومنهم (بَحْدَل بن أنيف بن دجانة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب)[1] وكان (بنو بَحْدَل) من رؤساء اليمنيين الذين دخلوا الشام في الفتوحات واستقروا بها. قال ابن خلدون «وكانت رياسة الإسلام في كلب لبني بحدل هؤلاء»[1] وقد انتقلت قبيلة كلب جميعها وقبائل قضاعية بأكملها من اليمن وما يليها إلى الشام في الفتوحات، فكانت رياسة كلب وقضاعة بالشام في (بني بحدل) ومنهم (مالك بن بحدل) وكان بدمشق قصر البحادلة، وجاء في الجامع أنهم بنو بحدل بن أنيف بن حارثة بن جناب.

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٧ و ١٢٠.

ومنهم الأميرة (مَيْسُون بنت بَحْدَل بن أنيف بن دجانة) حفيدة (زهير بن جناب). وتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهو أمير للشام في خلافة عمر بن الخطاب، فأنجبت له يزيد بن معاوية، وكان مولد يزيد (بدمشق). وجاء في ترجمتها بكتاب الجامع: «مَيْسُون بنت بحدل بن أنيف، من بني حارثة بن جناب الكلبي: شاعرة. وهي زوجة معاوية بن أبي سفيان وأم ابنه يزيد... سمعها معاوية تقول:

لَبَيْتٌ تخفقُ الأرياحُ فيه ... أحبُّ إليَّ مِنْ قصرٍ مُنيفِ
ولبسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عيني ... أحبُّ إليَّ مِنْ لبس الشُّفوف

فطلّقها وأعادها إلى أهلها.. ونقل البغدادي في كتابه (خزانة الأدب): أن معاوية لما طلَّقها قال لها: كُنْتِ فَبِنْتِ، فأجابته: ما سُررْنَا إذْ كُنَّا ولا أَسِفْنَا إذْ بِنَّا..»[1] ـ ولما مات معاوية عام ٦٠هـ تولى الخلافة ابنه يزيد بن معاوية (عام ٦٠ ـ ٦٤هـ) وكان أخواله بنو كلب وقُضَاعة وسائر اليمانية بالشام دعامة عهده. وماتت ميسون بنت بحدل ـ كما في الجامع ـ (حوالي عام ٨٠هـ).

ومنهم الأمير حسان بن مالك بن بَحْدَل بن أنيف الكلبي أمير فلسطين والأردن وبادية الشام ورئيس القبائل اليمانية القحطانية جميعها بفلسطين والشام منذ أيام ولاية معاوية للشام في خلافة عثمان ثم في عهد خلافة معاوية (٤٠ ـ ٦٤هـ) ثم في خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ) وحتى أيام مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان. قال المؤرخ ابن جرير الطبري «كان حسان بن مالك الكلبي أميراً على فلسطين لمعاوية ثم ليزيد بن معاوية بعده، وكان سيّد أهل فلسطين»[2] ولما انقسم الناس في أمر الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد بن معاوية وبويع عبد اللّه بن الزبير بالحجاز وامتدت دعوته إلى الشام وظهرت الدعوة لمروان بن الحكم وغيره بالشام ـ وكما ذكر المؤرخ ابن الأثير ـ «كان حسان بن مالك الكلبي بفلسطين وهو أميرها، فسار إلى الأردن واستخلف على فلسطين رَوْح بن زنباع الجذامي..» وقال ابن الأثير: «واجتمع بنو أُميّة وحسان ووجوه الشام بالجابية، فكان حسان يُصلي بهم أربعين يوماً، وهُم يتشاورون»[3] ثم أسفر التشاور عن الاقتناع بمبايعة مروان بن الحكم، قال المؤرخ أبو الحسن المسعودي: «وكان حسان رئيس قحطان وسيدها بالشام، فاشترط على مروان ما كان لهم ـ (أي لليمنيين القحطانيين) ـ من شروط على معاوية، وابنه يزيد، وابنه معاوية بن يزيد، منها: أن يفرض لهم لألفيْ رجل ألفين

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٦٠٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٣٤ جـ ٨.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٢٦ جـ ٣.

ألفين (في العطاء) وإنْ مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه، وأن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس (مجلس الخليفة)، وكل ما كان من حلٍّ وعقد فَعَنْ رأي منهم ومشورة. فرضي مروان بذلك»[١] فبويع مروان في ذي القعدة سنة ٦٤هـ، ثم سار مروان مع اليمانيين بقيادة حسان فحاربوا وهزموا الموالين لابن الزبير في موقعة (مرج راهط) فتم الأمر لمروان بالشام ومصر. ثم كلم مروان حساناً في مبايعة عبد الملك بن مروان ومن بعده عبد العزيز بن مروان (والد عمر بن عبد العزيز). قال المسعودي: «فقام حسان في الناس خطيباً ودعاهم إلى بيعة عبد الملك وبيعة عبد العزيز بعد عبد الملك، فلم يخالفه في ذلك أحد»[١] ويدل كل ذلك على مدى علو شأن حسان وزعامته بالشام، وقد تولى عبد الملك بن مروان الخلافة في رمضان ٦٥هـ واستمرت خلافته وشملت كل أرجاء دولة الخلافة حتى وفاته عام ٨٦هـ. ولم يزل حسان أميراً كبيراً حتى وفاته.

قال ابن خلدون: «ومن بني زهير بن جناب: حنظلة بن صفوان بن توبل بن بِشْر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن هرير بن أبي جابر بن زهير. وُلِّي إفريقية لهشام بن عبد الملك»[٢].

وكان أخوه: الأمير بِشْر بن صفوان والياً لمصر في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ ـ ١٠٢هـ. ثم ولى يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان على إفريقية الشمالية، وولى حنظلة بن صفوان على مصر. فمكث حنظلة والياً لمصر من عام ١٠٢ ـ ١٠٦هـ ومكث بشر بن صفوان والياً لإفريقية الشمالية من عام ١٠٢ ـ ١٠٩هـ وذلك حتى وفاته عام ١٠٩هـ في خلافة هشام بن عبد الملك. ثم تولى حنظلة بن صفوان ولاية مصر مرة ثانية في خلافة هشام من عام ١١٩ ـ ١٢٤هـ. ثم ولاه هشام على إفريقية الشمالية فتولاها حنظلة من عام ١٢٤ ـ ١٢٩هـ وكانت ولايته تشمل كل بلاد المغرب العربي (ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب) ـ وكذلك كانت ولاية أخيه بِشر بن صفوان الكلبي.

قال ابن خلدون: (ومنهم أبو الخطار حُسَام بن ضرار بن سلامان بن جشم بن ربيعة بن حصين بن ضمضم بن عدي الكلبي أمير الأندلس)[٢] وقد تولى أبو الخطار حسام بن ضرار ولاية الأندلس عام ١٢٤هـ في خلافة هشام بن عبد الملك، ومكث والياً للأندلس إلى عام ١٢٩هـ، وكان أبو الخطار شاعراً وكان شديد الاعتزاز بقومه اليمنيين، وهو القائل لبعض بني مروان بالشام:

أَقَـادَتْ بـنـو مـروان قـيـسـاً دمـاءنـا وفي اللّه إن لـم يعدلوا حَكَمٌ عَدْلُ

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٩٥ و ٩٧ جـ ٣.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٧ و ١٢٠.

كأنّكُم لم تشهدوا مرج راهطٍ ولم تعلموا من كان ثَمَّ له الفَضْلُ
وقيناكم حرّ القَنَا بنحورنا وليس لكم خيلٌ تُعدُّ ولا رجلُ[١]

قال ابن خلدون «ومِنْ عَقِب بني بَحْدَل: بنو مُنقذ ملوك شيزر»[١] وهم ملوك إمارة شيزر بالقرب من حماة بسوريا، وقد حكم بنو منقذ إمارة شيزر حتى القرن السادس الهجري. وكان آخرهم مبارك بن كامل بن منقذ فلما انتهى حكمهم بشيزر سكن مصر ثم أتى إلى اليمن فتولى إمرة زبيد ومنطقة تهامة عام ٥٧٩هـ فمكث أميراً لزبيد فترة ثم سار إلى مصر وتوفي بالقاهرة عام ٥٨٩هـ. ومكث أخوه خطاب بن كامل بن منقذ أميراً بزبيد حتى وفاته عام ٥٧٩هـ، وهو آخر الأمراء من ذلك البيت اليماني الكلبي في تلك الأزمنة التي تعاقبت منذ زمن زهير بن جناب في الجاهلية وحتى القرن السادس الهجري.

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٢٦٠ جـ ٢.

المبحث «٣١»

امْرُؤُ القَيْس بن حُجْر الكِنْدي

«أشعاره، وتاريخ حياته ٤٩٧ ـ ٥٤٥م»

هو أمير الشعراء وأشعر الشعراء امرُؤُ القَيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي. .

قال ابن قتيبة: «قال لَبِيدُ بن ربيعة: أشعرُ الناسِ ذو القُرُوح، يعني امرأ القيس. . وذكره عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فقال: امرؤ القيس سابِقُ الشعراءِ، خَسَفَ لهم عَيْنَ الشِعر»[١]. وقوله «خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر: أي أنبطها وأغزرها لهم، من قولهم خسف البئر إذا حفرها في حجارة فنبعت بماء كثير. يريد أنه ذلَّل لهم الطريق إليه، وبَصَّرَهم بمعانيه، وفنن أنواعه وقصده، فاحتذى الشعراء على مثاله. فاستعار العين لذلك»[١]. وقال أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المثنَّى: يقولُ مَنْ فَضَّله: إنّ امرأ القيس أوّلُ من فَتَح الشعرَ واستوقَفَ، وبَكَىٰ في الدِّمَنِ، ووصفَ ما فيها. فتبَعُوا أثرَه. وهو أوّل من شَبَّه الخيلَ بالعَصَا واللَّقْوة والسِّباع والظِّباءِ والطير، فتبعه الشعراءُ على تشبيهها بهذه الأوصاف. . قال أبو عُبيدة: وهو أوّلُ مَنْ قيّد الأَوابِدَ، فتبعه الناسُ على ذلك، يعني في قوله في وصف الفرس:

وقَدْ أَغْتَدي والطَّيرُ في وُكُناتِها[٢] بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيكلِ[٣]

وقال غيرُه: وهو أوّلُ من شبَّه الثغرَ في لونه بشوك السَّيَال فقال:

مَنابِتُهُ مثلُ السُّدُوسِ ولَوْنُه كَشَوْكِ السَّيَالِ وَهْوَ عَذْبٌ يَفِيصُ[٤]

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٥ و ١٢٧.

(٢) الطير: جمع طائر. الوكنات: مواقع الطير، واحدتها وكنة.

(٣) المنجرد: الماضي في السير. الأوابد: الوحوش. الهيكل، قال ابن دريد: هو الفرس العظيم الجرم، والجمع هياكل. يريد: إن هذا الفرس يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد.

(٤) جاء في الهامش: «السُدوس ـ بضم السين ـ النيلج الأسود، الذي تُسميه العامة (النيلة). السيال: شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض، أصوله أمثال ثنايا العذارى. يفيص: يقطر ويسيل، وقيل يبرق. وأخطأ الأستاذ حسن السندوبي في شرح الديوان إذْ تأول البيت على أنه وصف لشَعر سلمى. فإن البيت الذي قبله صدره في وصف شَعْرها، وعجزه في وصف ثغرها، فهذا تتمة الوصف للثغر متصل به. وفي بعض النُسخ (يفيض) وهو تصحيف».

فاتَّبعه الناسُ. وأَوَّل مَنْ قال (فعادَى عِداءً) فاتَّبعه الناس ـ يعني في قوله ـ:

فـعـادَى عِـداءً بـيـن ثـورٍ ونَـعْـجـةٍ دراكاً ولـم يُنْضَـح بـماءٍ فيُغْسَلِ[1]

وأوَّلُ مَنْ شَبَّه الحمار (بمقلاءِ الوليد) وهو عُود القُلَة[2]. و (بِكَرِّ الأَنْدَرِيّ) والكرُّ: الحبل[2]. . ومِمَّا انفرد به امرؤ القيس قوله في العُقَاب:

كـأنَّ قُـلُوبَ الـطَّـيْـرِ رَطْبـاً ويـابِـسـاً لَدَىٰ وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

شبَّه شيئين بشيئين في بيت واحدٍ، وأحسَنَ التشبيه. وقولُه:

لـه أَيْـطَـلَا ظَـبْـيٍ وسـاقَـا نَـعَـامَـةٍ وإرْخاءُ سِرْحان وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ[3]

وقد تَبِعه الناسُ في هذا الوصف وأخذوه، ولم يجتمع لهم ما اجتَمع له في بيت واحد. . وشبَّه الطَّلَلَ (بوَحْي الزَّبُور في العَسِيبِ)[4] والأصوب (بخط الزَّبور في العَسِيب) وذلك في قوله:

لِـمَـنْ طَـلَـلٌ أبصـرتُـه فَـشَـجَـانـي كَـخَـطِّ زَبُـورٍ فـي عَـسِـيـبِ يَـمَـانِ

فقد كانت باليمن كتابتان هما: الكتابةُ الزُّبرية الحميريةُ العامة التي تُكتبُ بها الرسائل والأمور العامة، وكتابة المُسْند النقوشية الخاصة التي تُنْحَتُ في الأحجار ولا تجوز الكتابة بها إلا في أمور تتصل بالآلهة والتخليد. وقَدْ ذكرهما ابن خلدون قائلاً ما يلي: «كان الخط العربي بالغاً مبلغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لِمَا بلغت من الحضارة والترف وهو المُسَمَّى بالخط الحِمْيَري. . وكان لِحِمْيَر كتابةٌ تُسَمَّى المُسْنَدَ حُرُوفُها مُنْفَصِلةٌ وكانوا يَمنَعُون مِنْ تَعَلُّمِهَا إلا بإذنِهِم»[5]. فالخط

---

(١) «عادى: وَالَى. يُقال «عادى بين صيدين وبين رجلين» إذا طعنهما طعنتين متواليتين».

(٢) جاء في هامش الشعر والشعراء أن «المقلاء، والقلة ـ بضم القاف وفتح اللام ـ عودان يلعبُ بهما الصبيان. فالمقلاء: العود الكبير الذي يُضرب به. والقلة: الخشبة الصغيرة التي تُضرب. والأندري: الحبل الغليظ».

(٣) الأيطل: الخاصرة. والإرخاء: نوع من عَدْوِ الذئب. والسرحان: الذئب. والتقريب: وضع الرجلين موضع اليدين في العَدْو، والتتفل: ولد الثعلب. وجاء في شرح البيت بالمعلقة أنه: «شَبَّه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضُمر، وشَبَّه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول. وعَدْوه بإرخاء الذئب، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب. فجمع أربع تشبيهات في هذا البيت».

(٤) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٣٢ ـ ١٣٤. وجاء في الهامش: «الزبور: الكتاب المزبور. والعسيب سعف النخل الذي جُرد عنه خوصه».
وأقول: العسيب عند اليمنيين الحزام الذي توضع في وسطه الجنبية (الخنجر) بوسط الجسم. وتكون في العسيب كتابةٌ بخط دقيق.

(٥) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٤١٨.

الحميري العام هو **(خط الزبور)** أو الكتابة الزُبرية، بينما كان المُسند كتابة نقوشية خاصة ذات صفة مقدسة، فكانوا يمنَعُون الكتابة بها أو تَعَلُّمِها إلا بإذنهم. . وقد ذكرهما أسعد تُبّع حيث قال أسعد:

«قـد كَـتَـبْـنَـا مَـسَـانِـداً فـي ظَـفَـارِ وكـتَـبْـنَـا أيـامـنـا فـي الـزَبُـورِ»

وذكر امرؤ القيس الكتابة الزُبرية في قوله:

«كـخـطِ زبُـورٍ فـي عَـسِـيـبِ يَـمَـانِ»

* * *

يمنِية امرىء القيس . . وتبيين منطقة كندة ومدينة دَمُّون التي منها امرُؤ القيس:

قال أبو عمرو بن العلاء: «ذهبت اليمن بالشعر كله، بامرىء القيس في الجاهلية وبحسان في الإسلام». وقال امرؤ القيس وهو في مدينة دَمُّون بمنطقة حضرموت في اليمن:

تَـطَـاوَلَ الـلَّـيْـلُ عَـلَـيْـنَـا دَمُّـونْ
دَمُّـونُ إنَّـا مَـعْـشَـرٌ يَـمَـانُـونْ
وإنَّـنَـا لأَهْـلِـنَـا مُـحِـبُّـونْ[(١)]

قال ابن خلدون: «بلاد كندة: وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت والرمل، وكان لهم بها ملوك وقاعدتهم دَمُّون، ذكرها امرؤ القيس في شعره»[(٢)]. وقال ابن خلدون أيضاً: «بلاد كندة في شرقي اليمن، ومدينة مُلْكهم دَمُّون. وتوالى المُلك منهم في بني معاوية **(الأكرمين)** من كندة. وكان التبابعةُ يصاهرونهم ويولونهم على بني مَعَدّ بن عدنان بالحجاز[(٢)]».

وقد ذكر الحسن الهمداني مناطق كندة بالتفصيل وهي بأرض محافظة حضرموت باليمن. قال الهمداني: «بلد كندة من أرض حضرموت. فإذا خرج الخارجُ مِن العَبْر لقي أول ذلك درب العجيز الكندي، ثم هَيْنَن وهي قرية كبيرة في أعلاها حصن حصين. . ثم صورأن قرية لِتُجيب من كندة، ثم قُشَاقش قرية في رأس جبل. . ثم عَنْدَل مدينة عظيمة. . وجودُون وهَدُون ودَمُّون مُدنٌ للصَّدِف بحضرموت ثم الهجران ودَهُون وهي ثنية الهجر. وساكن جودون الصدف، وساكن دَمُّون بنو الحارث الملك ابن عمرو المقصور بن حُجْر آكل المُرَار الكندي. . وبلد كندة مرتفع كأنه سَرَاة وتَصَبُّ أوديته في وادي حضرموت ثم يَصُبُّ حضرموت إلى بلد مهرة.

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٧.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨٤ و ٦٦٢.

ومِنْ الهَجْرين إلى ريدة أرضين وادٍ فيه قرى كثيرة ونخل للعباد من كندة، ثم إلى سدبة ثم حورة وهي مدينة عظيمة لبني حارثة من كندة، ثم قارة الاشباء وهي لكندة، والقارة الأكمه. والعجلانية قرية كبيرة في وادي دوعن لكندة، فوادي العبر ووادي دوعن بلد كندة أعلاهما الحصون وأسفلهما الزروع والنخل. .»[١].

وقال الهمداني في الإكليل: « . .هَدُون، وجودُون، ودَمُّون: مُدن للصَّدِف. وفي دمون وعَنْدَل يقول امرؤ القيس:

كـأنـي لـم أزجُـر بـدَمُّـون مـرةً ولم أشْهَدِ الغارات يوماً بِعَنْدَلِ»[٢]

ويروى (كأنّي لم ألهو بدَمُّون مرة. .) يعني في صباه. قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «دَمُّون: بلدة بحضرموت آهلة بالسكان من الكنديين إلى هذه الغاية، وكانت مسكن الملوك من بني الحارث بن معاوية الذين منهم حامل لواء الشعر وأميره امرؤُ القيس بن حُجْر الكندي وقد ذكرها في شعره». وقال الأكوع: «هدون ـ بفتح الهاء وضم الدال ـ قرية آهلة بالسكان لهذه الغاية، وفيها قبر تزعم العامة أنه قبر هدون بن هود عليه السلام. وجَوُدون كذلك معروفة. ودَمُّون: يطلق على قريتين إحداهما أسفل مدينة تريم وقريبة منها جداً. والأخرى قُرب الهجرين. . وعَنْدَل بلدة آهلة بالسكان ويسكنها بنو كندة»[٢]. والأصوب أن (عندل) يسكنها الصَّدِف وهم إخوة كندة. . قال د .محمد بافقيه: «دمون، بجوار تريم مباشرة»[٣] وكان يليها(حصن كليب) المذكور في النقوش إلى جانب دمون بلفظ (عزّ/ كليبم) أو (عزّ/ كلبم)، قال د .محمد بافقيه: «عزّ كلبم: إما أن يكون حصناً مجهولاً بين ـ دمون ومشطة وقَسَم ـ أو أنه حصنَ العزّ بين قَسَم والسوم»[٣] وكليب من بني حُريم بن مالك بن الصَّدِف وهم أخوال امرىء القيس. قال الهمداني في الإكليل: «أولد أسد بن جعشم بن حُريم: جاحلاً ـ وهو جُحيل ـ وموهِب، وجُلَيبَة. فولد جُلَيْبَة: جعشماً، وكرباً، وقُلَيْباً ـ وهو كُلَيْب ـ ونمراً، وتولباً، وخواراً أبا حسان خال امرىء القيس بن حُجْر الكندي. ويقول بعضهم: أمُّه فاطمة بنت ربيعة أخت كُلَيْب ومُهَلْهِل. ولا أحسب ذلك بشيء»[٤]. وقد شاع بالفعل القول بأن والدة امرىء القيس هي «فاطمة بنت ربيعة، أخت كُلَيْب ومُهَلْهِل ابني ربيعة التَّغْلبيَّيْن»[٥] وأنه «كان

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧٠ ـ ١٧٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٦ و ٢١ جـ ٢.
(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د .محمد بافقيه ـ ص ١٥٣.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٧ جـ ٢.
(٥) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٤.

(مُهَلْهِل خال امرىء القيس شاعراً، فَلَقَّنَهُ الشعر، فقال الشعر وهو غلام»[١]. ولكن ما ذكره الهمداني في الإكليل يدلُّ على وقوع التباس في الظن بأن خال امرىء القيس هو «كليب التَغْلِبي. أخو مُهَلْهِلْ» بينما خال امرىء القيس إنما هو (كُلَيْب بن جُلَيِّبَة بن أسد بن جَعْشم بن حُرَيم بن مالك الصَّدِفي) وكذلك (خوارا ـ أبا حسان ـ ابن جُليِّبْه خال امرىء القيس). وربما كان اسم والدة كليب وخوارا بن جُلَيِّبْه (كَبْشه). ويؤكد كل ذلك أنه جاء في ديوان امرىء القيس أنه: «قال امرؤ القيس:

خَالِي ابْنُ كَبْشَةَ قد عَلِمْتَ مَكَانه   وأبُـو يَـزِيْـدَ وَرَهْـطُـه أعْـمَـامِـي

وجاء في هامش البيت بالديوان: «ابن كبشة وأبو يزيد من أشراف كندة»[٢]. فذلك يؤكد أن أخوال امرىء القيس إنَّما هُم من كندة والصَّدِف بحضرموت. فإذا كان امرؤ القيس قد لُقِّن الشعر من خاله، فإن خاله إنما هو كليب وخوارا ـ أبا حسان ـ وذلك في ديار كندة بحضرموت. وقد كانت مناطق كندة والصَّدِف والسَّكُون بن كندة في حضرموت متداخلة. وقد جاء في ترجمة امرىء القيس أن «. . مولده بنَجْد. وقِيلَ بمنطقة السَّكُون بحضرموت»[٣]. وقال الأستاذ محمد سعيد جرادة أن: «مولد امرىء القيس ومنشؤه في اليمن»[٣].

* * *

ملوكية أُسرة امرىء القيس بحضرموت ونَجْد واليمامة ومناطق حكم حُجْر والد امرىء القيس:

إنّ امرأَ القيس هو: (امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر ـ آكل المُرَار ـ ابن عمرو بن مُعَاوية ـ الأكرمين ـ ابن الحرث الأصغر بن الحرث بن معاوية بن الحرث الأكبر بن ثور بن مُرتّع الكندي الكهلاني السبئي اليماني). قال ابن خلدون: «. . وبطون كندة العظيمة ثلاثة: بنو معاوية بن الحرث، ومنهم الملوك، والسكون، والسكاسك. . وتوالى المُلك فيهم في بني معاوية ـ الأكرمين ـ وكان التبابعةُ يصاهرونهم ويولونهم على بني معدّ بن عدنان بالحجاز. وأولُ مَنْ وُلِّي منهم ـ الحجاز ـ حُجر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية. . »[٤] وكان منهم أيضاً الولاة الملوك بمنطقة كندة وحضرموت وأولهم (جَبَلَه بن عَدِي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين)[٤].

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٩٦.

(٢) ديوان امرىء القيس ـ ص ١٣٨.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٩٦ ـ الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٤٠.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨٢ و ١٨٤.

ولم تكن ملوكية آل حُجر آكل المرار الكندي بنجد واليمامة وما يليهما بالوراثة فحسب، وكان مُلكهم قد ضعف بعد وفاة عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي حتى تولى عرش دولة اليمن الحميرية الملك أسعد تُبَّع بن حسان في أواسط القرن الخامس الميلادي ـ عام ٤٥٧م ـ حيث كما جاء في تاريخ ابن خلدون: «لمَّا مَلَكَ تُبَّع بن حسان على حِمْيَر وهابته حِمْيَر ـ وجميع ـ العرب، بعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار في جيش عظيم إلى بلاد مَعَدّ.. وقال الطبري: كان حسان تُبَّع قد زوّج ابنته من عمرو بن حُجر آكل المُرار الكندي فولدت له الحارث بن عمرو، فكان الحارث مع تُبَّع بن حسان هذا فبعثه على بلاد معدّ.. وقال ابن الكلبي: جاء الحارث بن عمرو الكندي في جيش إلى بلاد معدّ والحيرة، وقد ولّاه تُبَّع بن حسان»[1] وقد امتدّ حكم الحارث بن عمرو إلى إقليم الحيرة بالعراق وذلك منذ السنة العاشرة من عهد أسعد تُبَّع بن حسان ـ سنة ٤٦٧م ـ وكان قد سار مع الحارث بن عمرو الكندي من اليمن أربعة من أولاد الحارث بن عمرو، فولّاهم على قبائل ومناطق من نجد واليمامة إلى الحيرة، وذلك منذ عهد أسعد تُبَّع بن حسان وفي إطار سلطان ونفوذ الدولة الحميرية، وهُمْ:

١ ـ شُرَحبيل بن الحارث: قال أبو عبيدة (كان شُرحبيل بن الحارث ـ ملكاً ـ على بكر بن وائل، وحنظلة بن مالك (بن زيد مناة بن تميم) وبني أَسَيْد، وطوائف من بني عمرو بن تميم، والرِّباب)[2]. والمقصود المناطق التي كانت تسكنها تلك القبائل، في شرق إقليم اليمامة ونجد إلى البحرين وأطراف إقليم الحيرة بالعراق. وكانت تسكن تلك المناطق أيضاً قبائل يمانية قحطانية من قُضاعة، والأزد، وطيء، وكندة.

٢ ـ سَلَمة بن الحارث: ـ قال أبو عبيدة: «وكان سَلَمَة بن الحارث ـ (ملكاً) ـ في بني تَغْلِب والنَّمِرِ بن قاسط، وسعد بن زيد مَنَاة (بن تميم). وكانت طوائفٌ من بني دارم ابن مالك من وَلَدِ أُسيدة بنت عمرو بن ربابة بن عمرو بن عامر بن امْرِىء القيس بن قُتَيَّةَ بن النَّمِر بن وَبَرَةَ بن تَغْلِبَ بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعَةَ». [ص ١٠٧٣].

٣ ـ مَعْدِي كَرِب بن الحارث: ـ قال أبو عبيدة: «وكان مَعْدِي كَرِب ـ (ملكاً) ـ في قيس (عيلان).. ومع مَعْدي كَرِب الصَّنائعُ وهُمْ الذين يُقال لهم بنو رُقَيَّةَ ـ أُمٌ لهم يُنْسَبون إليها ـ وكانوا يكونون مع الملوك من شُذَّانِ الناس». [ص ١٠٧٣].

٤ ـ حُجْر بن الحارث والد امرِىء القيس: ـ قال ابن خلدون والأصفهاني وابن

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢٦٤ و ٢٦٧ جـ ٢.
(٢) النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ١٠٧٣.

قتيبة: «كان حُجْر بن الحارث ملكاً على بني أسد» ـ أي المناطق التي كانت قبيلة أسد من سكانها ـ وقد أشار عُبَيْد بن الأبرص الأسدي إلى أن حكم حُجْر بن الحارث كان يمتد من تخوم يَثْرب إلى اليمامة وذلك في قول عُبَيْد لحُجْر بن الحارث والد امرىء القيس:

في كُلِّ وادٍ بين يَثْرب والقصور إلى اليَمامَهْ
أنت المَلِيكَ عليهم وهُمُ العبيد إلى القِيامَهْ[(١)]

ويَثْرب هي يثرب (المدينة) وروى ياقوت الحموي البيت الأول: «في كل وادٍ بين يَتْرَب..» بسكون التاء وفتح الراء، وقال: «قِيلَ إنها قرية باليمامة عند جبل وشم. وقيل: موضع في بلاد بني سعد ـ التميميين ـ»[(٢)] أما (القصور) فهي غالباً قصور مدينة (قُريّة/ الفاو) وهي عاصمة حكم الكنديين لبلاد نجد واليمامة، وتقع في وادي الدواسر على الطريق بين نجران وبين البحرين والحيرة، وقد سلف ذكر موقع وآثار مدينة (قريّة/ الفاو) عاصمة حكم كندة لنجد واليمامة[(٣)]. وكانت اليمامة إقليماً يشمل مناطق واسعة من بلاد نجد، وتقع «أطلال مدينة (قريّة) بمنطقة (الفاو) من أرض اليمامة.. وتدل نقوش الفاو أن سكانها قبائل عربية من أسد وتميم وقحطان»[(٣)] وكانت من مناطق اليمامة ونجد التي يحكمها حُجْر بن الحارث والد امرىء القيس المناطق التي ذكر الحسن الهمداني: إن من أرض اليمامة ونجد: «..الأنيعم، والدَّخُول، وحَوْمَل، وتُوضِح، والمِقْرَاة، ومأسل الجُمْح، ودارة جُلْجُل..» وقال «..قُرقرى من اليمامة والهزمة.. والدّخول: ناحية الهزمة وقرقرة وتوضح، وإياهما عَنَى امرؤ القيس بقوله:

بِسَقْطِ اللّوَىٰ بين الدَّخول فحَوْمل
وتُوضِح والمِقْراةِ لم يعف رسمها»[(٤)]

..ومأسل الجمح لبني ضِنَّة من نُمير..»[(٤)] وقال أيضاً: «..ثم مأسل الجُمح وفي فرعها صحراء يُقال لها جُراد والرملة، ومن ورائهما هُضيبات حُمر يُقال لهن مجيرات، وعن أيمانهن هضب يُقال لها هضب السمنات»[(٤)] قال امرؤ القيس:

«وجارتها أمّ الرباب بمأسل»

* * *

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٦.

(٢) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ص ٨/٤٩٧.

(٣) المبحث الخاص بحجر آكل المرار الكندي + مجلة المجلة ـ العدد ٤٠٨/ ديسمبر ١٩٨٧م.

(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٢ و ٣١١.

مولد امرىء القَيْس . . والفترة الأولى مِنْ حياته (٤٩٧ ـ ٥١٧م):

لقد وُلِد امرُؤ القَيْس بن حُجر بن الحارث الكندي إما في مدينة (قُرَيَّة) بمنطقة نجد واليمامة التي كان أبوه ملكها، وإما في (دَمُّون ومنطقة السَّكون بحضرموت) باليمن، حيث جاء في ترجمة امرىء القيس بكتاب الجامع أن « . . مولده بنجد، وقيل بمنطقة السَّكُون بحضرموت»[1]. فقد يكون مولده في نجد بالفعل لأن أباه كان ملكاً عليها منذ مسيره من اليمن في عهد أسعد تُبّع بن حسان، وقد يكون مولده في حضرموت باليمن ثم سار إلى أبيه في منطقة حكمه بنجد واليمامة منذ وقت مبكر وهو غلام، فأقام هناك زهاء عشرين سنة ثم عاد إلى حضرموت. وقال جراده إن «مولد امرىء القيس ومنشؤه في اليمن» (اهـ).

وقد جاء في ترجمة امرىء القيس بكتاب الجامع أنه: «وُلد ـ امرؤ القيس ـ نحو عام ١٣٠ قبل الهجرة = ٤٩٧ ميلادية ـ . . ولما زاد عبثه ولهوه ومعاشرته صعاليكَ العرب أبعده أبوه إلى دَمُّون بحضرموت موطن آبائه وعشيرته وهو في نحو العشرين من العمر، فأقام بدَمُّون زهاء خمس سنين . . »[1] ويتبين من ذلك أن امرأ القيس أقام زهاء عشرين سنة في بلاد نجد واليمامة التي كان أبوه ملكها، وتلك هي الفترة الأولى من حياة امرىء القيس وكانت من حوالي عام ٤٩٧ ـ ٥١٦ ميلادية. وقد جاء في ترجمته بكتاب الموسوعة ما يلي: «هو امُرؤ القَيْس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو الكندي، ينتهي نسبه إلى قبيلة كندة اليمنية الكهلانية السبئية. وُلِد عام ٤٩٧ ميلادية تقريباً . . وهو آخر السلسلة الملكية من بني آكل المُرَار الذين كانوا ملوك مملكة كندة التي حكمت اليمامة ونجداً وأصقاعاً أخرى من شمال شبه الجزيرة العربية، بدعم من ملوك اليمن، ووصلت سلطتهم أحياناً إلى مملكة الحيرة ـ بالعراق ـ وإلى بسط شيء من نفوذهم على أرجاء من بادية الشام»[2].

فعند مولد امرىء القيس كان يحكم اليمن الملك (شرحبيل يكمل ذو يزن وجدن . .) وله نقش مسند مؤرخ بالموافق لعام ٤٨٠م ونقش مؤرخ بعام ٤٨١م وقد ذكرته المصادر الخارجية باسم(شرحبيل يكل ملك حمير)[3] وقد حكم إلى عام ٥٠٠م وكان حكمه يمتد إلى مخلاف نجران بمدلوله الواسع القديم وإلى (مأسل الجُمح) بإقليم اليمامة، وكذلك ابنه الملك (سُمَيْفع بن شرحبيل يكمل) وقد ذكرته

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٩٦ ـ الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٤١.

(٢) الموسوعة اليمنية ـ ترجمة امرىء القيس ـ إعداد مطهر الأرياني ـ ص ١/١٣١.

(٣) تبابعة اليمن السبعون ـ محمد الفرح ـ وفي العربية السعيدة ـ د . محمد بافقيه ـ الجزء الثاني.

المصادر الرومانية باسم (سميفيوس ملك حِمْيَر) وقد حكم من عام ٥٠٠ ـ ٥١٥ ميلادية ثم حكم بعده الملك (يوسف أسار ـ ابن أسعد تُبّع بن حسان ـ) وله نقش مؤرخ بالموافق لعام ٥١٨ ميلادية[١]. وخلال عهود أولئك الملوك كان أبناء الحارث بن عمرو الكندي يحكمون اليمامة ونجد وأصقاعاً أخرى من شمال شبه الجزيرة العربية إلى تخوم إقليم الحيرة بالعراق شرقاً وإلى تخوم يثرب غرباً، وكان منهم حُجر بن الحارث والد امرىء القيس.

وقد أورد الأستاذ مطهر الأرياني في الموسوعة أن مولد امرىء القيس كان (عام ٤٩٧ ميلادية تقريباً) ثم تحدث عن العشرين سنة الأولى من حياة امرىء القيس حديثاً اختلط فيه التاريخ بالرأي الشخصي حيث قال: «كان امرؤ القيس أصغر أبناء الملك حُجْر بن الحارث، فَنَال في قلب أبويه وهو طفل المكانة الحميمة الخاصة بأصغر الأبناء، ولقي تدليلاً واستجابة لرغباته ونزواته، فأخرجه ذلك عن الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه كأمير في أسرة مالكة، وانشغل عنه والده، ولم يحاول إصلاحه إلّا بعد فوات الأوان، فأخذ يُكلِّفه بأعمال خشنة لعل ذلك يُعيد الصبي العابث إلى السلوك السليم، ولعله يُكسِبه الخشونة والجد في الأمور حتى لقد كلفه بمهمة الرعي، ولكن ذلك لم يغن فتيلاً، حيث كان الفتى يقوم بهذه المهمات واحدة بعد أخرى، بدون رغبة ولا حافز، ثم يعود في الليل إلى عبثه ومجونه، وهو مع ذلك يقول في كل عمل يقوم به، سجعات تنبىء عن مَلَكاته الأدبية، ومواهبه الشعرية، فهي سجعات تعتمد على إيقاع جديد، غير إيقاع السَّجع الذي يبدأ بالعبارات القصيرة فالطويلة ثم الأطول، لأن إيقاع سجعات امرىء القيس كان يعتمد على ضرب من التفعيلات المتنوعة، التي تجعله أقرب إلى شعر التفعيلة الذي هو في الواقع استجابة للفطرة أكثر منه اعتماداً على الصنعة والالتزام، فيقول في رعي الإبل:

يا حبذا طويلة الرقابِ، غزيرةَ الحِلابِ، كريمة الصِحابِ. . إلخ»[٢].

وجاء في مقدمة ديوان امرىء القيس: «إنه لما ترعرع علق بالنساء وأكثر الذكر لهن والميل إليهن، فكره ذلك أبوه حُجْر، فقال: كيف أصنعُ به؟ فقالوا: إجعله في رعاء إبلك حتى يكون في أتعب عمل، فأرسله في الإبل، فخرج بها يرعاها يوماً ثم آواها مع الليل وجعل يُنيخها ويقول: يا حبذا طويلة الأقراب، غزيرة الحلاب، كريمة الصحاب. يا حبذا شداد الأوراك، عراض الأحناك، طوال الأسماك. . فقال أبوه: ما

(١) النقش رقم ١٠٢٨ جام ـ موقع بئر الحمة بنجران ـ وقد حكم يوسف أسار من عام ٥١٥ ـ ٥٢٥م.

(٢) الموسوعة اليمنية ـ ترجمة امرىء القيس ـ إعداد مطهر الأرياني ـ ص ١/١٣١.

شغلتُه بشيء، قيل له: فأرْسِله في الخيل، فأرسَلَه في خيله فمكث فيها يوماً حتى آواها مع الليل، فدنا أبوه حُجر يسمع فإذا هو يقول: يا حبذا. إناثها نساء. وذكورها ظباء. عدة ونساء. نِعْم الصِحاب راجلاً وراكباً. تدرك طالباً وتفوت هارباً. فقال أبوه: واللّه ما صنعتُ شيئاً، فقيل له: إجْعَله في الضأن، فمكث يوماً فيه حتى إذا أمسى أراحها فلما بلغت المراح ودنا أبوه يسمع، قال: أخزاها اللّه لا تهتدي طريقاً. ولا تعرف صديقاً. أخزاها اللّه لا تطيع راعياً. ولا تسمع داعياً. فلما أصبح قال له أبوه: اخرج بها فمضى حتى بعد من الحيّ وأشرف على الوادي فحَثَىٰ في وجهها التراب فارتدت وجعل يقول: حجر في حجر، حجر لا مدر. هبهاب لحم وإهاب. للطير والذئاب. فلما رأى أبوه ذلك منه، وكان يرغب به عن النساء والشعر، وأبَىٰ أن يدع ذلك، فأخرجه عنه، فخرج مراغماً لأبيه». [ص ١١] ـ وقال مطهر الأرياني: «. . أخرجه أبوه عنه، أو خرج عن أبيه مختاراً. وتَنَقَّلَ في ربوع اليمامة ونَجْد التي نَجِدُ ذكرها في أشعاره. . » (اهـ).

ويمكن تقدير وقت خروج امرىء القيس من عاصمة منطقة أبيه بأنه كان ابن نحو **(خمس عشرة سنة)** ـ فيكون ذلك حوالي عام ٥١١ ميلادية ـ وقد ذكر ابن قتيبة نقطة هامة حيث قال: «كان امرؤ القيس رأى من أبيه جَفْوَةً، فلحق بعمه شُرحبيل بن الحارث، فأقام في بني دارم حيناً»[١]. وقد سلف ذكر المناطق والقبائل التي كان يحكمها شُرَحْبيل وأن منهم قبيلة **(حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم)** ومنهم **(بنو دارم)**. قال أبو عبيدة: «وكانت طوائف من بني دارم بن مالك من ولد أسيدة بنت عمرو. . من بني عمران بن الحاف بن قضاعة».

فمكث امرؤ القيس فترة عند عمه الملك شرحبيل بن الحارث، ثم أخذ يتنقل في ربوع اليمامة ونجد ـ التي تحت حكم عمه شرحبيل والتي تحت حكم أبيه حُجْر بن الحارث ـ وهي مناطق اليمامة ونجد التي تمتد إلى الحيرة والتي ذكرها في أشعاره، وقد جاء في رواية لابن قتيبة: «إن الديار التي وصفها امرؤ القَيْس في شعره كلُّها ديارُ بني أسَد»[١] وهو قول خاطىء، والصواب أنها مناطق من اليمامة ونجد كانت تسكنها قبائل شتى من بني أسد ومن تميم ومن ربيعة وكذلك من قبائل كندة وطيء وقضاعة اليمانية القحطانية. وقد ذكر ابن قتيبة نفسه أنه «قال امرؤ القيس:

تـمـيـمُ بـن مُـرٍّ وأشْـيَـاعُـهـا وكِـنْـدَةُ حَـوْلـي جَـمِـيعـاً صُبُـرْ»[١]

وقال مطهر الأرياني: «. . تَنَقَّلَ امْرؤ القيس في ربوع اليمامة ونجد التي نَجِدُها

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ٢٢ و ١١٥.

في أشعاره مُصْطَحِباً لخِلّانهِ من صعاليك العرب ومُجّانها، يرتادون مواطن الصيد، ويؤمّون الغدران فيأكلون ويشربون ويعابثون النساء» (اهـ) ويبدو لنا أن قول مطهر الأرياني عن اصطحابه (**صعاليك العرب ومُجّانها**) هو رأيٌ شخصي ومبالغةٌ فلم يكن امرؤ القيس يصطحب الصعاليك وإنما كان يرتاد مواطن الصيد ويؤمُّ الغدران مع بعض أصحابه من الشباب.. وقد ذكر ابن قتيبة أنه: «كان امرؤ القيس جميلاً وسيماً.. وكان يُعدُّ مِنْ عُشاق العرب.. وكان يُشَبِّبُ بنساءٍ: منهنَّ فاطمةُ بنت العُبَيد بن ثعلبة بن عامر العُذْرِيَّة، وهي التي يقول لها:

أَفَـاطِـمَ مَـهْـلاً بَـعْـضَ هـذَا الـتَّـدلُّـلِ

ويقول لها:

لا وأبــيــكِ ابْــنَــةَ الــعَــامِــرِ   يّ لا يَــدَّعِــي الــقَــومُ أَنــي أفِــرّ

ومنهنَّ أمُّ الحارث الكلبيَّةُ، وهي التي يقول فيها:

كَـدَأبِكَ مِنْ أُمِّ الـحُـوَيْـرِثِ قَـبْـلَـهـا   وجـارَتِـهـا أُمِّ الـرَّبَـابِ بِـمَـأْسَـلِ

ومنهنَّ عُنَيزةُ، وهي صاحبةُ يوم دَارَةِ جُلْجُل». [ص ١٢٢].

ويتبين من ذلك أن اللاتي عشقهنّ وتغزَّل وشَبَّبَ بهن امرؤ القيس من النساء جميعهن يمنيات، فَعُنَيزةُ ـ صاحبة يوم دارة جُلْجُل ـ يمانية كِنْدِيّة، وأم الحُوَيْرث يمانية كَلْبية قُضَاعية، وفاطمة بنت عُبَيد يمانية من بني عامر من قضاعة، وأم جندب يمانية مِن طيء. فتلك المناطق من اليمامة ونجد لم تكن يمانية الحكم فقط وإنما أيضاً كانت تسكنها قبائلٌ وعشائر يمنية وفيها مراكز تجارية وحاميات عسكرية يمنية، وبيئة يمنية كاملة.

وقد ذكر ابن قُتَيبة حديث يوم دارة جُلْجُلٍ، وهو: «أنَّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمٍّ له يُقال لها عُنَيْزَة، وأنَّه طلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها، حتى كان يومُ الغَدير وهو يومُ دارة جُلْجُل، وذلك أنَّ الحَيَّ احتَملوا، فتَقدَّم الرجالُ وتَخلَّف النساءُ والخدمُ والثقل ـ أي المتاع ـ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تَخَلَّفَ بعدَما سار مع رَجَّالة قومه غَلْوَة ـ (والغلوة: قدر رمية بسهم) فَكَمَنَ في غَيَابَةٍ من الأرض ـ (أي في مكان منهبط من الأرض) ـ حتى مرَّ به النساءُ وفيهنَّ عُنَيْزة، فلما وَرَدْنَ الغَدِيرَ قُلن: لو نزلنا فاغتسلنا في هذا الغدير، فنزلن في الغدير ونَحَّيْنَ العَبِيد، ثم تجرَّدْنَ فوقعنَ في الغدير، فأتاهُنَّ امرؤ القيس وهنَّ غوافلُ، فأخذ ثيابَهنَّ فجَمعها وقَعد عليها وقال: واللّه لا أُعطي جاريةً منكنَّ ثوبها حتَّى تخرجَ متجرِّدةً فتأخذ ثوبها. فأَبَيْنَ ذلك حتى تعالىٰ النهارُ فخرجنَ جميعاً غيرَ عُنَيزَةَ، فناشدَتهُ اللَّهَ أن يَطرحَ إليها ثوبَها، فأَبىٰ،

فخرجتْ، فنظر إليها مقبِلَةً ومدبِرةً، وأقْبَلنَ عليه فقلنَ له: إنَّك قد عذَّبتَنا وحَبستَنا وأجَعْتَنا. فقال: إنْ نحرتُ لكنَّ ناقتي تأكلن منها؟ قلن: نعم. فنحر ناقته، وجَمع الخدمُ حطباً كثيراً فأجَّجْنَ ناراً، وأكلن وأكلَ معهنَّ، فلما أرادوا الرحيل، قال لعُنَيْزة: يا ابنة الكرام لا بد أن تحمليني معكِ فإني لا أطيقُ المشيَ، فحملته على غارب بعيرها، وكان يَجْنَحُ إليها فيُدخل رأسه في خدْرها فيقبّلُها، فإذا امتنعت مال حَدَجها، فتقول: عَقَرْتَ بعيري فانزلْ). ففي ذلك قال امرؤ القيس في مُعلقته:

أَلَا رُبَّ يَوْم لي مِن البِيضِ صالحٍ ... ولاسِيَّمَا يومٌ بدَارَةِ جُلْجُلِ

ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيّتي ... فيا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْم كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ[1]

تُدَارُ عَلَيْنا بالسَّدِيف صِحَافنَا ... ويُؤتىَ إِلَيْنا بالْعَبِيطِ المُثَمَّلِ[2]

ويَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلي[3]

تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعاً ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يا امْرأَ القَيْسِ فانْزِلِ[4]

فَقُلْتُ لَهَا سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ ... ولا تُبْعِدِيْنِي عَنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ[5]

«دَعِي البَكْرَ لا تَرْثِي له مِنْ رِدَافِنَا ... وهَاتِي أَذِيْقِيْنا جَنَاةَ القَرَنْفُلِ»[6]

بِثَغْرٍ كَمِثْلِ الأُقْحُوَانِ مُنَوِّرٍ ... نَقِيِّ الثَّنَايَا أَشْنَبٍ غَيْرَ أَثْعَلِ[7]

* * *

وجاء ذكر (عُنَيْزة) أيضاً في أبيات بالديوان حيث: «قال امرؤ القيس:

سَقَىٰ وَارِدَاتٍ والْقَلِيبَ وَلَعْلَعَا ... مُلِثُ سِمَاكِيُّ، فَهَضْبَةَ أَيْهَبا

---

(١) يرتمين: يرمي بعضهن بعضاً. الهداب: طرف الثوب. الدمقس: الحرير الأبيض. المفتل: المفتول.

(٢) السديف: شحم السنام. الصحاف: الصحوف. العبيط: اللحم الطري. المثمل: المخلوط بالسويق.

(٣) الخدر: يريد به الهودج. مُرْجِلي: أي عاقر ناقتي وتاركني أمشي مترجّلة.

(٤) جاء في هامش البيت بالديوان: (الغبيط: مركب من مراكب النساء كما في لغة طيىء. عقرت بعيري: أصبت ظهره بالدبر أي جرحته).

(٥) جناها: ما اجتنى منها من القُبَل. يريد مِن اقتطاف حمرة خديك بالقُبَل. المعلل: الذي علل بالطِيب أي العطر مرة بعد مرة.

(٦) جاء في هامش هذا البيت بالديوان: «عند الأصمعي أن هذا البيت ليس لامرىء القيس لأنه زايل المعنى».

(٧) كمثل الأُقْحُوان: أي أن ثغرها وثناياها بيض نقية كزهر الأقاح. أشنب: صافي الريق. أثعل: متراكب الأسنان.

فَمَرَّ عَلَى الخَبْتَيْنِ خَبْتَ عُنَيْزَةٍ ... فَذَاتِ النَقَاعِ، فَانْتَحَى وتَصَوَّبا
فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ أَعَالي طَمِيَّةٍ ... أَبَسَّتْ بِهِ رِيَحُ الصَّبَا فَتَحَلَّبا»

فقوله (مُلِثُ سماكي) ملث: مطر جود، وسماكي: نسبة إلى السماك وهو نجم بالسماء تنسب العرب إليه المطر. ووارادت والقليب ولعلع وهَضْبَة أيهب: أسماء أماكن. والخبت: المتسع من بطون الأرض. انتحى: مال. وتصوب: ارتفع. وأعالي طَمِيّة: اسم جبل. وأبَسَّتْ: ساقت وأزجت. وتحلب: سال. وكانت ديار عشيرة عُنَيْزة الكندية بتلك المناطق، ولذلك تمنى لها امرؤ القيس المطر الغزير.

* * *

وكان امرؤ القيس يرتاد منطقة وادي (مأسل الجُمح) التي ذكر الهمداني: أن من أرض اليمامة ونجد «. .الأُنيعم، والدّخُول، وحَوْمَل، وتُوضِح، والمِقْرَاة، ومأسل الجُمْح. .» وقال إن «. .من اليمامة: قُرقرى، والهزمة. . والدّخول (في) ناحية الهزمة (وكذلك) قرقرة وتوضح. .» وقال «. .ثم مأسل الجُمح وفي فرعها صحراء يُقال لها جُراد والرملة. .» (اهـ).

وفي منطقة مأسل الجُمح كانت (أُم الحويرث الكلبيّة وجارتها أُمّ الرَّباب) اللتين تَغَزَّل بهنّ امرؤ القيس، وذكرهنّ في معلقته. وقد قال امرؤ القيس قصيدته (المعلقة) في وقت لاحق لتلك الفترة التي أقام فيها باليمامة ونجد، فاستهلّ معلقته بذكر تلك المناطق وبذكر أم الحويرث الكلبية، حيث «قال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[١]
فَتُوضِح فالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[٢]
رُخَاءَ تَسِحُّ الرِّيْحُ في جَنَبَاتِها ... كَسَاهَا الصَّبَا سُحْقَ المُلَاءِ المُذَيَّلِ[٣]
تَرَى بَعَرَ (الصِّيْرَانِ) في عَرَصَاتِها ... وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ[٤]

---

(١) سِقْطِ اللّوىٰ: منقطع الرمل. قال الهمداني (. .مأسل الجمح وفي فرعها صحراء يقال لها جراد والرملة. .». والدّخول وحومل: شرقي اليمامة.

(٢) لم يعف رسمها: لم يُدرس ولم يُمح أثرها. لما نسجتها: لما مرت عليه الرياح. الجَنُوب والشَّمْأل: أسماء رياح.

(٣) رخاء: يعني الرياح. تسح: تصب. سُحْق: قديم. الصّبَا: اسم ريح. الملأ المذيل: الثوب الطويل الذيل.

(٤) الصيران، جمع صوار: القطيع من البقر أو الظباء. ويروى (الآرام) بدل الصيران. العرصات: الدمن واحدتها عرصة. والقيعان: جمع قاع.

«كأنّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا — لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ»[١]
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ — يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَحَمَّلِ[٢]
وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ (مُهْرَاقَةٌ) — وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[٣]
كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا — وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا — نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ»

وجاء في هامش البيتين الأخيرين بالديوان معنى «كدأبك: كعادتك. أمّ الحويرث: يُقال إنها هي وأم الرَّباب امرأتان من قُضَاعة. مأسل: موضع بنجد. إذا قامتا: يعني أُمّ الحويرث وأمّ الرباب. تضَوّع: فاح وانتشر حتى كأنّ ريح الصَبَا حملت رياح القرنفل». [ص ٩٥].

ويبدو من قول شارح الديوان **(يُقال أنّ أمّ الحويرث وأمّ الرباب امرأتان من قضاعة)** أنه استغرب ذلك لأن قبيلة قُضَاعة حميرية يمنية بينما مأسل الجُمح منطقة في نجد. والواقع أن النقوش المعثور عليها في صخور مأسل الجُمح تؤكد أنها كانت مركز رابطة عسكرية يمنية من كتائب حِمْيَر وكندة وتسكنها عشائر يمنية. ومنها النقش المُسند **(رقم ٥٠٩ ركمانز)** في مأسل الجُمح، وهو ـ كما يذكر د. محمد بافقيه ـ «نقشٌ يذكر زيارة الملك أبي كرب أسعد لذلك الموضع ـ مأسل الجمح ـ ومعه ركبٌ من **(قبيلة)** كندة»[٤]. وثلاثة نقوش منحوتة باسم القائد تميم ذي حذية الحميري في عهد لحيعة يرخم ذي جَدَنْ الذي حكم اليمن بعد الملك أسعد تُبّع بن حسان وعهد أبناء لحيعة ذي جَدَنْ، وهي ـ كما ذكر د. بيوتروفسكي ـ «نقش في مأسل الجمح مكتوب فيه اسم «تميم ذي حذية مقتوى لحيعة ذي جدن، وبجوار الاسم: رسم منحوت لشخص ذي ربطة مخططة حول فخذيه وَيَحْمِلُ خنجراً خلف حزامه ورمحاً في يدهْ» والنقش الثاني **(رقم ٥١٣ ركمانز)** ومكتوب فيه اسم «تميم ـ ذي حذيه ـ» وكلمة «وليرحمن أبناء ملكنا ذي جدن الرحمن» والنقش الثالث **(رقم ١٠٣٠/ JA)** مكتوب فيه «تميم ذو حذية/ مقتوى/ لحيعة يرخم ذي جدن ويزن. ويجوار النقش

---

(١) هذا البيت للشاعر اليمني الأقدم امرىء القيس بن خِذام الكلبي. السمرات: جمع سمرة وهي شجرة. وناقف الحنظل: الذي يشقه فيجد أثر مرارته في حلقه وأنفه وعينه فيكون في أسوأ حال. وقد سلف ذكر البيت في مبحث امرىء القيس بن خذام.

(٢) المطي: الإبل، أو كل ما يمتطى من الدواب. عَلَيَّ مطيهم: في أعلى إبلهم. تحمل: تَصَبَّر وتَجَلد.

(٣) مهراقة: مراقة. ويروى (إن سَفَحْتَها): أي أرقتها. مُعَوّل: معتمد.

(٤) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٥٩.

رسم لشخص يتمنطق خنجراً»[١]. وكان تميم ذو حذية الحميري قائداً للقوة الحامية العسكرية اليمنية بمنطقة مأسل الجمح إلى عهد أبناء لحيعة ذي جدن وهم: شرحبيل يكمل الذي حكم اليمن عام ٤٨٠ ـ ٥٠٠م ثم سميفع بن شرحبيل ملك اليمن عام ٥٠٠ ـ ٥١٥م في نفس عهد حجر بن الحارث والد امرىء القيس وفي نفس تلك الفترة التي كان فيها امرؤ القيس بمناطق نجد واليمامة ومنها **(مأسل الجمح)** فكل ذلك يؤكد ويعزز الوجود والحكم اليمني هناك، وأن أم الحويرث كلبية قضاعية يمنية كما ذكر ابن قتيبة، وكذلك كانت أمّ الرباب. وقد ذكر امرؤ القيس بعدهن ـ في المعلقة ـ خبر يوم دارة جُلْجُل وعنيزة الكندية كما سلف التبيين.

***

ثم وقع امرؤ القيس في غرام فاطمة التي بسببها ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ «أن امرأ القيس طَرده أبوه لمَّا صنعَ في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً» وهي ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ «فاطمةُ بنت العُبَيد بن ثعلبة بن عامر العُذْريَّة ـ القُضَاعية ـ وهي التي يقول لها:

أَفــاطِـمَ مَـهْـلاً بـعـض هـذا الـتَّـدلُّـلِ

ويقول لها:

لا وأبِــيــكِ ابْــنَــةَ الــعَــامِــرِيّ ... لا يَــدَّعــي الــقــومُ أَنــي أفِــرّ»

وجاء في هامش الديوان أنها «هِرْ بنت علند» بما يعني أن اسمها كان (هر) وكذلك **(فاطمة)**. والشعر الذي قاله امْرؤ القيس وغضب أبوه بسببه هو الذي قال فيه «لا وأبيك ابنة العامريّ. .» ومنه قول امرىء القيس:

تَــرُوحُ مِــنَ الــحَــيّ أَوْ تَــبْــتَــكِــرْ ... ومــاذا عَــلَــيْــكَ بِــأَنْ تَــنْــتَــظِــرْ
أَمَــرْخٌ خِــيَــامُــهُــم أَمْ عُــشُــرْ ... أم الــقَــلْــبُ فــي إِثْــرِهِــمْ مُــنْــحَــدِرْ[٢]
وَفِــي مَــنْ أَقــامَ مِــنَ الــحَــيّ هِــرْ ... أَمَ الــظَّــاعِــنُــونَ بِــهَــا فــي الــشُّــطُــرْ[٣]
وَهِــرٌ تَــصِــيْــدُ قُــلُــوبَ الــرِّجَــالِ ... وَأَفْــلَــتَ مِــنْــهَــا ابْــنُ عَــمْــرٍ حُــجُــرْ[٤]

---

(١) ملحمة أسعد الكامل ـ د. بيوتروفسكي.

(٢) المرخ: شجر قصار ينبت بنجد. والعُشُر: شجر طوال بالغور. يعني هل هم مُنجدون أم مُغيرون.

(٣) الشطر: جمع شطير وهو القريب. ويروى هذا البيت:

وشــاقــك بــيــن الــخــلــيــط الــشــطُــرْ ... وفــي مَــنْ أقــام مِــن الــحــيّ هِــرْ

(٤) جاء في هامش هذا البيت بالديوان: «أفلت منها: يعني أباه حُجْر ابن عمرو، ووقعت أنا في شركها». ويتبين من هذا البيت أنها كانت زوجة أو خليلة سابقة لأبيه حُجر. وذلك هو سبب ما سيأتي ذكره من غضب أو طرد أبوه إياه.

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الفُؤَادَ غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ
وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمَشْيِ النَّزِيفِ يَصْرَعُهُ بِالكَثِيبِ البَهَرْ[1]
بَرَهْرَهَةٌ رُؤْدَةٌ رَخْصَةٌ كَخُرْعُوبَةِ البَانَةِ المُنْفَطِرْ[2]
فَتُورُ الْقِيَامِ، قَطِيعُ الكَلَامِ، تَفْتَرُّ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرْ[2]
كَأَنَّ المُدَامَ وَصَوْبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطُرْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ[3]
فَبِتُّ أُكَابِدُ لَيْلَ التَّمَامِ وَالقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مُقْشَعِرْ[4]
فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا فَثَوْباً نَسِيتُ وَثَوْباً أَجُرْ[5]
وَلَمْ يَرَنَا كَالِىءُ كَاشِحٌ وَلَم يُفْشَ مِنَّا لَدَى البَيْتِ سِرْ[6]
وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَرّاً بِشَرْ[7]

ثم يصف في بقية القصيدة أمور الصيد وأحواله في الصيد وحيوانات الصيد

---

(١) يريد بالسهم: عينها. فلم انتصر: لم أطلب بثأري. النزيف: السكران الذي لا يقوى على الإسراع في السير. البهرّ: الكلال وانقطاع النفس.

(٢) البرهرهة: الرقيقة الجلد الملساء المترجرجة. الرُؤدَةُ: الشابة. الرَخْصَةُ: الناعمة. الخرعوبة: الغضة. البانة: قضيب البان. المنفطر: المنشق. فتور القيام: متراخية غير وثابة. قطيع الكلام: قليلة الكلام. تفتر: تبتسم. ذو غروب: ثغر حسن الأسنان رقيق ماؤه. خَصِرٌ: عَذْبٌ بارد.

(٣) قال ابن قتيبة: «ومما يُتمثل به من شعر امرىء القيس قوله:

كَأَنَّ المُدَامِ وصَوْبَ الغَمَامِ وريحَ الخُزامىٰ ونَشْرُ القُطُرْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إذا طَرَّبَ الطائرُ المُسْتَحِرْ

وكل ما قيل في هذا المعنى منه أُخِذ» (ص ١١٣/ الشعر والشعراء). وجاء في الهامش صَوْب الغمام: ماء السحاب ووقع المطر. الخزامى: عشبة طيبة الريح ولا يوجد في الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى. ونشر القطر ـ بضم الطاء ـ: ريح العود الذي يتبخرُ به. وجاء في اللسان أنه «شبّه ماء فمها في طَيّبه عند السَحْر بالمدام وهي الخمر وصوب الغمام الذي يمزج به الخمر وريح الخزامى ونشر القطر وهو رائحة العود. والطائر المستحر: هو المُصوتُ عند السحر». وجاء في هامش الديوان: «يعل: يسقى بالمدام مرة بعد مرة. طرب الطائر: رفع صوته. المستحر: المصوتُ عند السَحَرْ».

(٤) ليل التمام: الليل الطويل. مقشعر: وجِلٌ خائف.

(٥) تسديتُها: علوتها. فثوباً نسيتُ وثوباً أجر: يعني أنها ملكت عليه عقله حتى لقد نسي أحد ثوبيه وجرّ الثوب الآخر على الأثر ليعفيه فلا يظهر.

(٦) الكالىء: المراقب. الكاشح: المعادي.

(٧) رابني: أوقع الريبة في نفسي. يا هناهُ: كما تقول يا هذا. ألحقت شراً بشر: ركبت تهمة فوق تهمة.

ومنها الثيران الوحشية التي يصطادها، وذلك في نحو عشرين بيتاً، وقال قبل ذلك في أوائل القصيدة:

فَـلَا وأَبِـيْـكِ ابْـنَـةَ الـعـامِـرِيِّ ... لا يَـدَّعِــي الـقَــوْمُ أَنِّــي أَفِــرْ
تَـمِـيْـمُ بـن مُـرٍّ وأَشْـيَـاعُـهَـا ... وكِـنْـدَةَ حَـوْلـي جَـمِـيـعـاً صُـبُـرْ
إذَا رَكِـبُـوا الـخَـيْـلَ واسْـتَـلْـئَـمُـوا ... تَـحَـرَّقَـتِ الأرضُ والـيَـوْمُ قَـرْ(١)

وقد ذكر امرؤ القيس في قصيدته ـ المُعلقة ـ التي قالها في فترة لاحقة من حياته، علاقته الغرامية بفاطمة العامريّة ولم يُكنِ عنها باسم (هرٌ) بل ذكرها باسمها (فاطمة) صراحة، حيث قال في المعلقة:

وَيَوْماً عَلَى ظَهْرِ الكَثِيْبِ تَعَذَّرَتْ ... عَلَيّ وآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ(٢)
أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَّدَلُّلِ ... وإنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي(٣)
وإنْ كُنْتِ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيْقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِي(٤)
أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ(٥)
وأَنَّكِ قَسَّمْتِ الفُؤَادَ فَنِصْفُهُ ... قَتِيْلٌ وَنِصْفٌ في حَدِيْدٍ مُكَبَّلِ(٥)
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلَّا لِتَضْرِبِي ... بسَهْمَيْكِ في أعشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ(٦)

وكان غرام امرىء القيس بفاطمة، والشعر ـ الأول ـ الذي قاله فيها، سبب تأجيج غضب أبيه عليه، فلم يكتف أبوه ـ حُجْر ـ هذه المرة بخروج امرىء القيس من عاصمة منطقة حكمه وإنما عقد العزم على قتله، فقد ذكر ابن قُتَيبة «أنَّ امرأ القيس طَرده أبوه لمَّا صنَع في الشعر بفاطمة ما صَنَع، وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها، وكان يطلب منها غِرّةً حتى كان منهما يوم الغدير بدارة جُلْجُل ما كان ـ [والصواب: يوم الكثيب] ـ فلمّا بلغ ذلك حُجْراً أباه دعا مولى له يُقال له ربيعة، فقال له: اقتل امرأ القيس وأتِني بعينيه. فذبح ربيعة جُؤذَراً فأتاه بعينيه، ثم ندم حُجر على ذلك، فقال له ربيعة: أَبَيْتَ اللَّعْنَ إنّي لم أَقتله. قال:

---

(١) استلئموا: لبسوا اللامة وهي الدروع. قر: ذو قر، يعني بارد، شديد البرد.
(٢) الكثيب: موضع الرمل المجتمع المرتفع بمنطقة صحراء جُراد والرملة بالقرب من مأسل الجُمح. تعذرت: تصعبت وتعسرت. آلت: أقسمت. لم تُحَلل: لم تستثن في يمينها.
(٣) أزمعتِ: عزمت. الصرم: الهجر. أجملي: أحسني ودعي هذا العزم.
(٤) الخليقة: الطبيعة. ثيابي: يريد بها قلبه. تنسل: تخرج وتنصرف.
(٥) قاتلي: يريد أن الحب برح بي حتى كاد يقضي علي. القلب: يريد قلبها لا قلبه. ونصف في حديد مكبل: هو النصف الواقع في الحب.
(٦) ذرفت: دمعت. بسهميك: بعينيك. أعشار القلب: أجزاؤه. مُقَتَّل: مُذلل بحبك.

فأتني به. فانطلق (ربيعة) فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبلٍ، وهو قوله:

فلا تَتْرُكَنِّي يا رَبِيعَ لِهٰذِهِ　　وكُنْتُ أرانِي قَبْلَها بِكَ واثِقا»[١]

ـ وبعد هذا البيت في الديوان ـ:

مُخالِفَةُ نَوَى أسيرٍ بِقَرْيَةٍ،　　قُرَى عَرَبِيَّاتٍ يَشِمْنَ البَوَارِقَا[٢]

فإمَّا تَرَاني اليَوْمَ في رَأسِ شَاهِقٍ　　فَقَدْ أغْتَدِي أقُودُ أجْرَدَ تَائِقَا[٣]

وقد أُذْعِرُ الوَحْشَ الرِّتَاعَ بِغِرَّةٍ　　وَقَدْ أجْتَلِي بِيضَ الخُدُورِ الرَّوائِقا[٤]

نَوَاعِمُ تَجْلُو عَنْ مُتُونٍ نَقِيَّةٍ　　عَبِيْراً وَرَيْطاً جَاسِداً أوْ شَقَائِقَا[٥]

قال ابن قتيبة: «فردّه ربيعة إلى أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنّه قال:

أَلَا انْعَمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البَالِي

فبلغ ذلك أباه فطرده». [ص ١٠٧] وجاء في مقدمة ديوان امرىء القيس: «وقِيل إن سبب طرد أبيه إياه أنه كان يتعشق امرأته هرا. وهذا غير معروف من أخلاق العرب» [ص ١١] ـ وقد سلف تبيين أن (هرا) هي (فاطمة بنت العُبَيْد) وأنها كانت زوجة سابقة أو خليلة سابقة لحُجْر ثم طَلّقها أو تركها حُجر، ويدلُّ على ذلك قول امرىء القيس:

وَهِرٌّ تَصِيْدُ قُلُوبَ الرِّجَال　　وأفْلَتَ مِنْهَا ابنُ عَمْرٍ حُجُرْ

فيكون صائباً القول أن سبب طرد أبيه إياه أنه كان يتعشقها، ولكنها لم تكن امرأة أبيه وإنما كانت امرأة أو خليلة سابقة لأبيه، فغضب أبوه وعقد العزم على قتله، وأمر مولاه ربيعة بقتله، فتظاهر ربيعة أنه فعل ذلك، ثم ندم أبوه فأخبره ربيعة بأنه لم يقتله وأنه مختبئٌ في رأس الجبل، فأمره أن يأتي به إليه، فأتىٰ به. وهنا ـ لم يَنْهَهُ أبوه عن قول الشعر ـ وإنّما طرده، أو بتعبير أصح قام بترحيله من منطقة نجد إلى منطقة كندة في حضرموت باليمن. حيث جاء في ترجمة امرىء القيس بكتاب الجامع أنه: «لما زاد عبثه ولَهْوه أبعده أبوه إلى دمُّون بحضَرموت موطن آبائه وعشيرته وهو

---

(١) في الديوان «فلا تُسْلِمَنِّي يا ربيعُ لهذه». يعني (لهذه النكبة التي كدت تحلّها بي).

(٢) جاء في الهامش: «نوى أسير: يعني أن تركي بهذا الجبل على غير حالة الأسير المبعد عن قريته التي يسكنها العربيات اللائي يتشوفن البرق».

(٣) رأس شاهق: قمة جبل. أجرد: فرس. تائقاً: محباً للعدو.

(٤) الرتاع: اللائي يرتعين. بغرّة: على غفلة منهن. بيض الخدور: النساء اللاتي في الخدور. الروائق: البيض النواصع.

(٥) متون نقية: أسنان بيضاء. الريط الجاسد: الثياب المزعفرة. الشقائق: الحُمر.

في نحو العشرين من العمر»[١]. وجاء في ترجمته بكتاب الموسوعة أيضاً ما يلي: «ولما ضاق والده بسلوكه نفاه إلى المواطِنِ الأولى لكندة في حضرموت، فاستقر في مدينة دَمُّون»[٢] وبذلك انتهت المرحلة الأولى من حياة امرىء القيس التي قضاها في إقليم اليمامة ونجد والتي دامت نحو عشرين سنة ما بين حوالي عام ٤٩٧ ـ ٥١٦م.

* * *

عودة امرىء القيس إلى اليمن . . ومعالم الفترة الثانية مِن حياته (٥١٧ ـ ٥٣١م)

لقد عاد امرؤ القيس إلى منطقة حضرموت عندما «أبعده أبوه إلى دمُّون بحضرموت موطن آبائه وعشيرته وهو في نحو العشرين من العمر»[١] واستناداً إلى ما جاء في كتابي الجامع والموسوعة بأن مولده كان عام ٤٩٧م تقريباً، تكون عودته ـ أو إبعاد أبوه إياه ـ إلى حضرموت باليمن (وهو في نحو العشرين من عمره) يكون ذلك حوالي عام ٥١٧ ميلادية، وقد جاء في كتاب الجامع أنه «أقام بدَمُّون زهاء خمس سنين» وكذلك جاء في الموسوعة أنه «بقي في دَمُّون خمساً من السنين»[٢] فيكون ذلك في الفترة من ٥١٧ ـ ٥٢١ ميلادية، ومنذ تلك الفترة «تَنَقَّل في أنحاء حضرموت وغيرها من المناطق اليمنية»[٢] وخاصة بعد الخمس السنين التي مكث فيها بدمُّون، أي بعد عام ٥٢١م وإلى حوالي عام ٥٣١م ويتبين من النقوش والمصادر التاريخية:

* ـ أن ملك اليمن آنذاك هو «سُمَيْفَع أشوع» الذي حكم من ٥٢٥ ـ ٥٣٣م، وقد ذكرته المصادر الرومانية وذكره بروكوبيس باسم سميفئوس ESIMIFAEOS ملك حِمْيَر. ويقول د. فوزي مكاوي: «إن سميفع أشوع كما ورد في النقوش العربية الجنوبية، أو الملك ESIMIFAEOS كما يطلق عليه بروكوبيس. . هو شخصية تجهلها تماماً المصادر العربية»[٣]. والواقع أن المصادر العربية يوجد فيها التباس في أسماء وترتيب الملوك، ولكنها بصفة عامة ذكرت الملك سُمَيفع تارة بلقب (ذي يزن) وتارة بلقب (ذي نواس الثاني) ثم إن النقوش هي أهم المصادر العربية وقد تم العثور على نقش هام قام سُمَيْفَع بكتابته في أول أعوام عهده، وهو نقش موقع حصن الغراب المؤرخ بعام ٦٤٠ للتقويم الحميري الموافق عام ٥٢٥ ميلادية، ويبدأ النقش باسم (سميفع أشوع) واثنين من الأقيال المساعدين له في الحكم هما (شرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر ذو يزن وجدن) ويذكر النقش أن (سميفع أشوع، وشرحبيل يكمل، ومعدي كرب يعفر) هم «ذوو الكلاع، ويزن وجدن، ومثلن. . ويريس،

---

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٩٦.

(٢) الموسوعة اليمنية ـ ترجمة امرىء القيس ـ إعداد مطهر الأرياني ـ ص ١٣١.

(٣) مجلة دراسات يمنية ـ دراسة لفوزي مكاوي ـ العدد ٣/ السنة ١٩٧٩.

ومكربم، وبساين، ويلغب، وغيمان، ويصبر، وجدوين، وكسر، ورخيّه، وجردان.. كبار أقيال قبائل وحاظة، وألهان، والسلف، وضيفتن، ورثحم، والركب، ومطلفتن، وسأكلن، وسكرد»[١]. فالأذوائيات والمناطق والقبائل التي حرص النقش على ذكرها تدل على شمولية حكم (سُمَيفع) لكل أرجاء اليمن بما في ذلك جزيرة سكرد وهي سُقَطرى وسأكلن وهي عُمَان أو كما يذكر بافقيه (منطقة ظفار عُمان) ـ شرقاً ـ ومناطق (الركب) وهي تهامة اليمن إلى ساحل البحر الأحمر ـ غرباً ـ وتشمل بقية الأذوائيات والمناطق والقبائل المذكورة كل بقية ربوع اليمن ومنها وديان ومناطق حضرموت الرئيسية وهي أذوائيات (جدوين، وكسر، ورخيّة، وجردان). ومنطقة الكسر هي (كسر قُشَاقش) التي ذكر الهمداني أنها من مناطق كندة بحضرموت وأن مركزها (قُشَاقش: قرية في رأس جبل.. ثم عَنْدَل مدينة عظيمة.. وجودُون، وهدُون، ودَمُّون»[٢] وجودُون هي (جدوين/ جدون) في النقش. قال الهمداني: «جودون مدينة عظيمة على جبل منيف، والجبل بين جودون ودَمُّون كالجمل البارك، وفيهما يقول القائل:

جـودُون ودَمُّـون كـفـه بـكـفـه   والـنـخـل والـذبـر بـهـا مـحـفـة»[٢]

* ـ وقد سكن امرؤ القيس في مدينة (دَمُّون) ويقول مطهر الأرياني: «..ولكنه ظل في دَمُّون يتوق إلى أهله في مرابع صِبَاه هناك في الشمال (نجد واليمامة) على الأرجح، فيُنْشِد:

تـطـاولَ الـلـيـلُ عـلـيـنـا دَمُّـون
دَمُّـون إنَّـا مـعـشـرُ يـمـانـون
وإنـنـا لأهـلـنـا مـحـبّـون»[٣]

وذلك التطاول لليل، يضعنا أمام أهم قصائد امرىء القيس وهي (المعلقة) التي لم تذكر المصادر أين ومتى قالها، ونرى أنه ربما قالها وهو في دَمُّون باليمن، وقد قال فيها:

ولَيْلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بأنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلي[٤]

---

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ٢/١٦٦ ـ وقال بافقيه: «سكرد هي سقطرى.. وأرض سأكلن هي التي تُعرف اليوم بظفار من سلطنة عمان في أقصى الشرق».

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧٠ ـ والإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢/٣٩.

(٣) الموسوعة ـ ترجمة امرىء القيس ـ ص ١٣١.

(٤) سدوله: يعني ظلامه. ليبتلي: ليختبر.

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى (بِصُلْبِهِ) وَأَرْدَفَ إعْجَازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ(١)
أَلَا أَيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ أَلَا انْجَلي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بأمْثَلِ(٢)
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ(٣)
كأنّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَابِهَا بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ(٣)

وكان امرؤ القيس يتنقل في مناطق ووديان حضرموت الشاسعة التي منها وديان خالية مقفرة، ويُماثِلُ ذلك قوله:

ووادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كالخَلِيْعِ المُعَيَّلِ(٤)
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إنَّ شَأنَنا قَلِيْلُ الغِنَى إنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ(٥)
كِلانَا إذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ ومَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وحَرْثَكَ يَهْزِلِ(٦)
وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ في وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ

[المنجرد: الفرس القصير الشعر].

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ(٧)

[وهذا التشبيه بالجلمود وهو الصخر الأصم الذي يحطه السيل من مكان عالٍ مرتفع، ينطبق على السيول التي تنحدر من المرتفعات والجبال في حضرموت وغيرها من مناطق اليمن].

وتمضي القصيدة في وصف الخيل وصفاً نادراً تفرد به امرؤ القيس. . وقد ذكر

---

(١) ويروى (تمطى بجَوْزِه). تمطى: أي تمدد. وجوزه: وسطه. والأشهر (بصُلْبه) استعار لليل صُلْباً واستعار لطوله لفظ التمطي. أردف: أتْبَعَ. إعجازه: أواخره. ناءَ: بَعُد. الكلكل: الصدر. ويُقال (ناء بكلكل: نهض بصدره).

(٢) الانجلاء: الانكشاف. أمثل: أفضل. يقول: أيها الليل الطويل انكشف وتنح بصبح، وليس الصبح بأفضل منك عندي لأني أقاسي الهموم ليلاً ونهاراً.

(٣) مغار الفتل: شديد الفتل. يذبل: جبل. مصابها: موضعها. الأمراس: جمع مرس وهو الحبل. أمراس كتان: حبال من الكتان. الصُمّ: الصلب. الجندل: الصخرة. يقول: يا عجباً لك من ليل كأن نجومه شدت بحبال من الكتان إلى صخور صلاب. وذلك لأن الليل استطال فيقول إن نجومه لا تزول من مكانها ولا تغرب فكأنها مشدودة بحبال إلى صخور صلبة.

(٤) واد كجوف العير: أي واد خالي كجوف حمار الوحش، وكذلك كان وادي العبر بأعالي حضرموت وكانت مناطق كندة تبدأ مما يلي العبر ـ كما سلف في نص الهمداني ـ. الخليع: الذي خلعه قومه وطردوه وتبرأوا منه. المُعَيَّل: ذو العيال.

(٥) شأننا: أمري وأمرك وحالي وحالك. لما تمول: لم تصب مالاً.

(٦) أفاته: أضاعه ولم يحرص عليه. يحترث حرثي وحرثك: يفعل فعلي وفعلك.

(٧) مكرٍّ مفرٍّ: أي معاود للكر والفر. الجلمود: الصخر الأصم. من عل: من مكان عالي.

في القصيدة ذكرياته وغرامياته في مناطق نجد واليمامة، وبما أنه ذكرها على سبيل التذكر فلا يتعارض ذلك مع الرأي بأنه قال القصيدة وهو باليمن.

* ـ وقد أخذ امرؤ القيس في تبديد الليل الذي تطاول في دَمُّون وحضرموت بالتنقل إلى غيرهما من مدن ومناطق اليمن. وجاء عن ذلك في الموسوعة ما يلي: «استقر ـ امرؤ القيس ـ في مدينة دَمُّون، وتنقَّل في أنحاء حضرموت وغيرها من المناطق اليمنية، ينزل مع ندماه في المواطن الممرعة، وينفق عليهم من المال الذي ظل يجري في يده ويتهيأ له لكونه أميراً من أسرة مالكة، وفي مواطن اللهو يصطادون ويأكلون، وتُدار عليهم الراح، وتُغنيهم القِيَان الملاح، وتُخالطهم الغواني وطالبات الحب والغزل والمتعة». [ص ١٣١] ـ ولم يكن الأمر في الواقع أمر (لهو) و (ملاح) و (طالبات حُب) ولكن امرأ القيس تَنَقَّلَ بالفعل في أرجاء واسعة من اليمن.

ويتبين من شعر امرىء القيس أنه كان يرتاد مناطق **(سَرْو حِمْيَر)** ويقضي فترات عند **(أقْيَال حِمْيَر)**، وقد كان من أقيال حِمْيَر الأذواء في ذلك العهد **(آل ذي يزن وذي جدن)** ـ بمناطق شبوه وأبين وعدن وغيرها ـ ومنهم **(آل ذي رُعَيْن)** ـ بمناطق الضالع وإب وتعز إلى تهامة ـ ومنهم **(آل الصبّاح)** في مَوْكَل ورداع وبلاد عنس. . وكان امرؤ القيس يكثر الإقامة عند **(أقيال حِمْيَر)** الذين كانوا كالملوك في مناطقهم، وقال عن ذلك:

لَعَمْرُكَ ما إن سرَّني وَسْطَ حِمْيَرٍ وأقْوالِها إلَّا المَخيلَةُ وَالسَّكَرْ[١]

وجاء في هامش البيت بالديوان ما يلي: «حِمْيَر قبيلة يمنية شهيرة. وأقوالها: ملوكها لأن القَيْل عندهم بمنزلة الملك، أو هو الذي يليه في السلطان. المخيلة: الخيلاء والكبر. السكر: الشراب المُسْكِر»[١] ولعل الأصوب أن المراد بقوله (المخيلة) هو **(الفروسية، وسباق الخيل)**.

وكان امرؤ القيس يرتاد المنطقة التي تقع فيها مدينة **(هَكِرْ)** التليدة التي تقع أطلالها في بلاد عنس **(بمحافظة ذمار حالياً)**. قال الهمداني في الإكليل: «مَوْكِل ببلد عنس وهو قصر أسود، وما يصلاه من يمانيةٍ أفيق مصنعة فيها قصور، وفي قُلَّته يراخ قصر أبيض في جبل حصين. . وهَكِر ببلد عنس أيضاً على جبل أبيض إلى حُمرة وعليه قصر هَكِر، وهناك أضرِعَة كانت لخلوات الملوك. قال أسعد تُبَّع:

وما هَكِرٌ مِن ديار المُلوكِ بدار هوانٍ ولا الأهجُر

وقال امرؤ القيس:

هُما ظبيَتان من ظباء تَبالَةٍ عَلَى جُؤذُرَيْنِ كَبَعْضِ دُمَىٰ هَكِرْ»[٢]

---

(١) ديوان امرى القيس ـ ص ٥٩.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٨ جـ ٨.

وهذا البيت من أبيات في ديوان امرىء القيس منها قوله:

لَعَمْرُكَ ما قَلْبي إلى أهْلِهِ بِحَرْ ولا مُقْصِرٍ يوماً فَيَأتِينِي بقَرّْ[١]

لَيَالٍ بذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ أَحبُّ إلَيْنا مِنْ لَيالٍ عَلى أُقُرْ[١]

. . هُمَا (ظبيتان) مِنْ ظباء تَبالَةٍ لدى جُؤْذُرَيْنِ أو كبعض دُمَى هَكِرْ

وجاء في هامش البيت بالديوان ما يلي: «تبالة مدينة خصبة باليمن. والجؤذر: ولد البقرة. والدمى: الصور، التماثيل، وهكر: مدينة باليمن يظهر أنه كانت بها مدينة قديمة وصور منحوتة على شبه النساء كأبدع ما يصوّر الإنسان»[٢] وبالفعل كذلك كانت التماثيل والرسوم في هكر.

ويدلُّ ذلك الشعر أيضاً على أن امرأ القيس كان يسير إلى (تَبالَة) وهي مدينة ومنطقة خصبة في سَرَاة أعالي اليمن ما بين نجران والطائف. قال الهمداني: «فلاة مأرب أرض سبأ هي فلاة يشرع عليها بيحان ومأرب والجوف ونجران والهُجيرة وأعراض تَرْج وبيشَة وتبَالة». وقال: «أرض السَرَاة. . (منها) سَرَاة بَجِيلة. والأزد بن سلامان، وألمع، وبارق، ودوس، وغامد، والحجر إلى جُرش. . وبلد خثعم: أعراض بيشة، وتَرْج، وتَبَالة». وكان بمدينة تبالة مَعبد (ذي الخَلَصَة) قال ابن كثير: «وكان يقال لبيت ذي الخَلَصَة الكعبة اليمانية. . قال البخاري: كان ذو الخَلَصَة بيتاً باليمن لخثعم وبَجِيلة فيه نصبٌ يُعبد، يُقال له الكعبة اليمانية»[٣] وقد استقسم امرؤ القيس فيما بعد عند (ذي الخَلَصَة) بتبالة.

وقال امرؤ القيس:

تَبَصَّرْ خَلِيْلي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ الدُّجا بالَّلْيلِ مِن سَرْوِ حِمْيَرا

وجاء في هامش البيت بالديوان «سَرْو حِمْيَر: أعالي بلاد اليمن»[٤] والصواب أن (سَرْو حِمْيَر: جنوب غرب ووسط اليمن) ومنها محافظة إب حالياً وهي مركز مناطق سَرْو حِمْيَر. . وقال امرؤ القيس في نفس القصيدة:

«هُوَ المُنْزِلُ الأُلَّافِ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ»

وجاء في الهامش بالديوان: «ناعط: جبل باليمن من أرض همدان»[٤] وقد

---

(١) بِحَرْ: يعني أن قلبه لم يصبر ولم يجد حراً. ولا مقصر: ولا نازع عما هو عليه من الحب. فيأتيني بِقَرْ: أي لم أقو على الصبر عنهم فأستقر. والقر: القرار. ذات الطلح: أرض فيها طلح. محجر: موضع من بلاد طيىء.

(٢) ديوان امرئ القيس ـ ص ٥٩. (٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٧٥ جـ ٤.

(٤) ديوان ـ امرىء القيس ـ ص ٥١.

كانت ناعط مدينة هامة ممتدة في سفح ورأس الجبل ومقراً لأقيال همدان (حاشد وبكيل) وتقع في محافظة عمران حالياً. وفيها قال الحسن الهمداني:

ومَنْ يَكُ ذا جَهْلٍ بأيام حِمْيَرٍ وآثارهم في الأرض فليأت نَاعِطا
يجد عُمْداً تعلو القَنَا مرمرية وكرسي رخام حوله وبلائطا

وكانت ناعط مقرّ الأميرة لميس بنت الملك أسعد تُبّع الأول.. وفيها قال علقمة بن ذي جدن:

ولَميسُ كانت في ذؤابة ناعطٍ يجبي إليها الخَرْج صاحب بربر

ويطالعنا اسم لميس في قصيدة لامرىء القيس ذكر فيها مناطق سحام وشوكان وغاضر وشبام، ولم يذكر محقق الديوان أين تقع تلك المناطق أو أنها في غير اليمن. فقد ذكر امرؤ القيس (كروم شبام) أي أعناب شبام، وهي شبام الغراس بناحية بني حشيش ـ حالياً ـ وما تزال مشهورة بإنتاج العنب حتى اليوم، وفي نفس المنطقة كانت تقع مدينة (غضران) وهي غاضر، بنيما تقع (شوكان) و (بني سحام) في خولان المجاورة لبني حشيش بمحافظة صنعاء.

وقد ذكر الهمداني أن «سحام ـ بضم السين ـ وصفا الأطيط وهضب ذي أقدام بالقرب من الدخول باليمامة» ولكن «شوكان، وشبام باليمن» والقصيدة هي كما في ديوان امرىء القيس:

لِمَنِ الدِّيَّارُ غَشَيْتُهَا بِسحَام فَعَمَايَتَيْنِ فَهُضْبِ ذي أقْدَام(١)
فَصَفَا الأطِيْطِ فَصَاحَتَيْنِ فَغَاضِرٍ تَمْشِي النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ(١)
دَارٌ لِهِنْدٍ والرِبَابِ وفَرْتَنَا وَلَمِيْسَ قَبْلَ حَوَادِثِ الأيّامِ(٢)
عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كما بكَى ابنُ خِذَامِ(٣)

---

(١) جاء في الهامش: (سحام وما بعدها أسماء مواضع. الهُضْب، جمع هضبة: وهي القطعة من الجبل. وصفا الأطيط وصاحتان وغاضر أسماء مواضع. النعاج: البقر الوحشي. والأرام: الغزلان).

(٢) هند والرباب وفرتنا ولميس: أسماء نساء. ولعل الرباب أميرة سابقة وفيها قال علس (ملشان) ذي يزن:

ما بال أهلك يا رَبَاب خَزْرَاً كأنَّهم غِضَاب

واسم (فرتنا) قد يكون في الأصل (قرتنا) وقد ذكر الهمداني في الإكليل شعراً لأبي الجهم الثمالي الصدفي وهو:

«هل فيك يا قرتنا ما زارنا أو دنا، أو فيّ إنْ أذنا حاديكم ما صبر»

[ص ٢/٥٠]

(٣) ابن خذام: هو الشاعر الأقدم امرؤ القيس بن خذام الكلبي القضاعي الحميري وهو أول من =

دَارٌ لَهُمْ إذْ هُمْ لأهْلِكَ جِيْرَةٌ إذْ تَسْتَبِيْكَ بِوَاضِحٍ بَسَّام[١]
أزْمَانَ فُوهَا كُلَّمَا نَبَّهْتُهَا كالمِسْكِ بَاتَ وظَلَّ فيهِ فِدَامي[٢]
أوَ مَا تَرَى أظْعَانَهُنَّ بَوَاكِراً كالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِيْنَ صِرام[٣]
حُورٌ تُعَلَّلُ بالعَبِيْرِ جُلُودَهَا بِيْضُ الوُجُوهِ نَوَاعِمُ الأجْسَام[٤]
فَظَلَلْتُ في دِمَنِ الدِّيَارِ كأنَّني نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَام[٥]
أُنُفٌ كَلَوْنِ دَمِ الغَزَالِ مُعَتَّقٌ مِنْ خَمْرِ عانَةَ أو كُرُومِ شِبَام[٦]
وكأنَّ شَارِبَهَا أصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ يُخَالِطُ جُسْمَهُ بِسَقَام[٧]
ومُجِدَّةٍ نَسَّأْتُهَا فَتَكَمَّشَتْ رَتْكَ النَّعَامَةِ في طَرِيْقٍ حَام[٨]
تَخْدِي عَلَى العِلَّاتِ سَام رَأسُهَا رَوْعَاءُ مَنْسِمُهَا رَثِيْمٌ دَام[٩]
جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لهاَ اقْصِري إنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَام[١٠]

= بكى في الديار.. وكانت قضاعة ومنها خولان وكلب وبلى وبهراء تسكن مناطق خولان ومأرب، ومنها نفس الديار التي ذكرها امرؤ القيس في هذه القصيدة. وقوله (عوجا): اعطفا وانزلا. الطلل المحيل: الذي أتت عليه الأحوال وحوادث الأيام فغيَّرته.

(١) تستبيك: تسلب عقلك، واضح بسام: ثغر ضاحك.

(٢) جاء في الهامش (الفدام: الغطاء والصمام).

(٣) الأظعان: النوق عليها الهوادج فيها النساء. بواكر: مبكرات. شوكان: منطقة شوكان في خولان باليمن، صرام: قطاف النخل.

(٤) حور: يغلب بياض عيونهن سوادها. تُعَلَّل بالعبير: تُطَيَّبُ بالغالية جلودها مرة بعد مرة. ويروى:

حُورٌ تَعَلَّلْنَ العَبِيْرِ روادعاً كَمَهَا الشقائق أو ظِبَاء سلام

(٥) الدمن: آثار السكان والمساكن. نشوان: منتشي بالشراب. باكره: عجل إليه. الصبوح: الشرب صباحاً.

(٦) أُنُفٌ: لم يشرب من دنها أحد قبله. كلون دم الغزال: أي شديدة الإحمرار. كروم شبام: أعناب شبام وهي منطقة شبام الغراس ناحية بني حشيش بمحافظة صنعاء، وكانت وما تزال مشهورة بالكروم وهي الأعناب ومنها العنب الأحمر.

(٧) جاء في الهامش «الموم: مرض. ويروى: يخالط خبله بعظام».

(٨) ومُجِدّة: ورُبَّ مُجِدّة، يعني ناقته. نسأتها: دفعتها بالمنسأة وهي العصا. فتكمشت: فأسرعت.

رتك النعامة: أي تهتز في سيرها اهتزاز النعامة. حام: حار متوهج.

(٩) تخدي: تسرع. سام: مرتفع. روعاء: قوية القلب. منسمها: طرف خُفِّها. رثيم دام: أدمته الحجارة.

(١٠) جالت: نشطت قلقه. لتصرعني: لتلقي بي على وجه الأرض، فزجرتها ولم أصرع لحذقي بالركوب.

فَجُزِيْتِ خَيْرَ جَزَاءِ نَاقَةَ وَاحِدٍ ... ورَجَعْتِ سَالِمَةَ القَرَا بِسَلَامِ (١)
أَبْلِغْ سُبَيْعاً إِنْ عَرَضْتَ رِسَالَةً ... أَنِّي كَهَمِّكَ إِنْ عَشَوْتُ أُحَامِي (٢)
فَاقْصُرْ إِلَيْكَ مِنَ الوَعِيْدِ فَإِنَّنِي ... مِمَّا أُلَاقِي لا أَشُدُّ حِزَامِي (٣)
وَأُنَازِلُ البَطَلَ الكَرِيْهُ نِزَالُهُ ... وَإِذَا أُنَاضِلُ لا تَطِيْشُ سِهَامِي (٤)
وأَنَا المُنَبِّهُ بَعْدَ ما قَدْ نَوَّمُوا ... وأَنَا المُعَالِنُ صَفْحَةَ النُّوَّامِ (٥)
وأَنَا الذِي عَرَفَتْ مَعَدُّ فَضْلَهُ ... وَنَشَدْتُ عَنْ حُجْرِ ابْنِ أُمِّ قَطَامِ (٦)
خَالِي ابْنُ كَبْشَةَ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهُ ... وأَبُو يَزِيْدَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامِي
وَإِذَا أُذِيْتُ بِبَلْدَةٍ وَدَّعْتُهَا ... وَلَا أُقِيْمُ بِغَيْرِ دَارِ مُقَامِ» (٧)

وقوله (**خالي ابن كبشة . . إلخ**). جاء في هامش الديوان «ابن كبشة وأبو يزيد من أشراف كندة»(٧) وقد سلف تبيين ما جاء في الإكليل بأن «الخال امرىء القيس هو أبو حسان خوارا بن جُلَيبة الصَّدِفي» وكان رئيس قبائل ومناطق الصَّدِف بحضرموت، وربما كان يُقال له (**ابن كَبْشة**) نسبة إلى والدته لأنها من بني معاوية الأكرمين ملوك كندة، فاسم (**كَبْشة**) من أسماء النساء، ومنهن الشاعرة (**كَبْشة بنت معدي كرب الزُبَيْدي، أخت عمرو بن معدي كرب الشاعر والفارس المشهور في الجاهلية والإسلام**) ومنهن ـ في كتاب الإصابة ـ «كَبْشة بنت معدي كرب الكِنْدي عمة الأشعث بن قيس، وهي والدة معاوية بن حُدَيج السكوني الصحابي المعروف»(٨) وهي كَبْشة بنت معدي كرب بن معاوية بن جَبَلة بن عَدِي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي، فهي من نفس أسرة

---

(١) يدعو لها بحسن الجزاء وبسلامة الرجوع وسلامة الظهر.

(٢) سُبيع: اسم شخص هدد وتوعد امرأ القيس. ويُروى أنه (**سبيع بن عوف، من بني طهية، وأنه نزل على امرىء القيس وسأله فلم يعطه شيئاً، فذمه سبيع . .**). إني كهمك: أي مما هممت به وحسبته. ويروى: إني كظنك. عشوت: نظرتُ نظراً ضعيفاً. أحامي: أدافع.

(٣) أقْصر: أمْسِك عليك وعيدك. لا أشد حزامي: لا أحتاج إلى أن أستعد لمثلك.

(٤) أنازل: أقاتل البطل الذي يفرُّ منه الشجعان كراهية للقائه. أناضل: أرمي بالسهام. لا تطيش سهامي: لا تتجاوز ولا تخطىء الهدف الذي أرميه.

(٥) أنا المنبه: أنا الذي أزعج أعدائي عن فراشهم وهم في لذيذ منامهم. المعالن: الذي يقابل القوم وجهاً لوجه.

(٦) معد: يعني قبائل معدّ العدنانية لأن أباه وأعمامه ملوك عليهم. وجاء في الديوان «نشدت: رفعت ذكره في الناس: وحجر بن قطام هو حُجر أبوه».

(٧) يعني إذا أصابني أذى في بلدة تركتها إلى غيرها وحرمتُ على نفسي المقام بها ـ ص ١٣٨ ديوان امرىء القيس.

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٣٩٥/ ٤.

امرىء القيس وكان أبوها معدي كرب ملكاً بحضرموت في ذلك العهد. وقوله **(وأبو يزيد ورهطه أعمامي)** فإن أبا يزيد هو الملك شُرحبيل بن الحارث الكندي عم امرىء القيس[(١)] ويدل ذلك على أن الملك شرحبيل وأخوته كانوا ما يزالون أحياءً ملوكاً عندما قال امرؤ القيس تلك القصيدة وأنه كان باليمن.

وقال امرؤ القيس في بيتٍ وحيدٍ بالديوان:

وقَـدْ أقـودُ بـأقْـرَابٍ إلـى حـرضٍ إلى جَمَاهِيْرَ رَحْبَ الجَوْفِ صَهَّالا

وجاء في هامش البيت بالديوان «يعني أقودُ فرساً واسع الجفرة كثير التصهال»[(٢)]. ولم يذكر مُحَقق الديوان أين تقع **(حَرَض)** و **(رحب الجوف)** وهما باليمن وما تزال حَرْض اسمها حَرْضْ حتى اليوم وهي في أعالي تهامة اليمن، وكذلك الجوف وكان يُقال **(جوف أرحب)** وهي محافظة الجوف ومنها ثم من مأرب كان الطريق الرئيسي للقوافل والسفر إلى حضرموت. ويتبين من مجمل ما سلف أن امرأ القيس كان يرتاد أغلب مناطق اليمن، فالمدن والمناطق التي ذكرها في أشعاره تشمل مناطق سَرْو حِمْير **(محافظات إب والضالع ولحج وتعز حالياً)** ومنطقة هَكِر **(محافظة ذمار)** ومناطق شبام وسحام وشوكان **(محافظة صنعاء)** ومنطقة ناعط **(محافظة عمران)** ومنطقة حرض **(حجّة وتهامة)** ومناطق نجران وتبالة **(مخلاف نجران وعسير)** والجوف **(محافظة الجوف)** بالإضافة إلى حضرموت التي هي منطقة إقامته الرئيسية باليمن.

وقد سلف ذكر قول الهمداني عن مناطق كندة بحضرموت: «. . عَنْدَل مدينة عظيمة، وجودُون، وهَدُون، ودَمُّون، مُدنٌ للصَّدِف بحضرموت، ثم الهجران **(الهجرين)** وهي ثنية الهجر. وساكن جودون الصَّدِف، وساكن دَمُّون بنو الحارث الملك بن عمرو بن حُجر آكل المُرَار الكندي. وفي دَمُّون وعَنْدَل يقول امرؤ القيس:

كـأنِـي لَـمْ أزجُـرْ بِـدَمُّـون مَـرةً ولَـمْ أشْهَدِ الغارات يوماً بِعَنْدَلِ»[(٣)]

وقال الهمداني: «جودون مدينة عظيمة على جبلٍ منيف، والجبل بين جودون ودمُّون كالجَمَلِ البارك»[(٤)]. وقد جاء اسم **(جودون)** في نقش **(سُمَيْفع أشوع)** سالف الذكر بلفظ **(جدوين)** أو **(جُدَين)** وهي ـ فيما نرى ـ المقصودة في قول امرئ القيس **(لِمَنْ طَلَلٌ بين الجُدَيّة والجبل)** وقد أسفرت تنقيبات أثرية في تلك المناطق بالهجرين

---

(١) أنجب شرحبيل يزيداً، فأنجب يزيد بن شرحبيل: النعمان، وكُبْشة وهي والدة الزعيم الصحابي الأشعث بن قيس الكندي.

(٢) ديوان امرىء القيس ـ ص ١٣٤.

(٣) جاء صدر هذا البيت في الموسوعة: «كأني لم أسمر بدَمُّون مرةً».

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٩ جـ ٢.

عن كشف أطلال مدينة قالت البعثة الأثرية أنها «من أقدم المدن في تاريخ اليمن»[١] ولا بد أنها كانت أطلالاً في زمن امرىء القيس لأنها منذ ما قبل العصر الحميري. وقد وقف امرؤ القيس عند أطلال مدينة تقع في نفس تلك المنطقة ـ ونرى أنها نفس الأطلال (بين جودون والجبل) ـ حيث قال امرؤ القيس في قصيدة بالديوان:

لِمَنْ طَلَلٌ بينَ الجُدَيَّةِ والجَبَلْ ... مَحَلٌّ قَدِيمُ العَهْدِ طَالَتْ به الطِّيَلْ[٢]
عَفَا غَيْرَ مُرْتَادٍ ومَرَّ كَسَرْحَبٍ ... وَمُنْخَفَضٍ طَامٍ تنكَّرَ وَاضْمَحَلْ[٣]
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فأَصْبَحَتْ ... عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ ومَنْ سَكَنَ ارْتَحَلْ
تَنَطَّحَ بِالأطْلَالِ مِنْهُ مُجَلْجِلٌ ... أحَمُّ إذَا احْمَوْمَتْ سَحَائِبُهُ انْسَجَلْ[٤]
بِرِيحٍ وَبَرْقٍ لَاحَ بَيْنَ سَحَائِبٍ ... وَرَعْدٍ إذَا مَا هَبَّ هَاتِفُهُ هَطَلْ[٥]
فَأَنْبَتَ فِيهِ مِنْ غَشَنْصٍ وغَشْنَصٍ ... وَرَوْنَقِ رَنْدٍ والصَّلَنْدَدِ وَالأَسَلْ[٦]
وَفِيهِ الْقَطَا والْبُومُ وابْنُ حَبَوْكَلٍ ... وطَيْرُ الْقَطَاطِ والْبَلَنْدَدُ والْحَجَلْ[٧]
وعُنْثُلَةٌ والْخَيْثَوانُ وَبُرْسُلٌ ... وَفَرْخُ فَرِيقٍ والرِّفَلَّة والرَّفَلْ[٨]
وَهَامٌ وهَمْهَامٌ وطَالِعُ أَنْجُدٍ ... وَمُنْحَبِكُ الرَّوْقَيْنِ في سَيْرِهِ مَيَلْ[٩]
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ ... تَكَفْكَفَ دَمْعِي فَوْقَ خَدِّيَ وانْهَمَلْ
فَقُلْتُ لَهَا يا دَارَ سَلْمَى وَمَا الَّذِيَ ... تَبَدلْتِ لا مُتِّعْتِ يَا دَارُ بِالبَدَلْ

---

(١) آثار الهجرين ـ تقرير البعثة الأثرية السوفيتية ـ مجلة الحكمة ـ عدن ـ العدد ١٠٨ ـ سبتمبر ١٩٨٣م.

(٢) الجُديَّة: مدينة جُدين وهي جدُون بحضرموت. الجبل: هو الجبل الشامخ بين جودون ودمون. الطِّيَل: الأيام والأزمنة المتطاولة.

(٣) عفا: دَرَسَ وأمحت آثاره. غير مرتاد: لا يرتاده الناس. سرحب: فرس طويل. طام: كثير. تنكر: لم يعد يُعرف. اضحمل: تلاشى.

(٤) مُجَلجل: رَعْدٌ لَه صوت ومعه سحاب. أحم: أسود لامتلائه بالماء. احمومت: اسودت وتكاثفت. انسجل: انصب منه الماء بشدة.

(٥) هبّ: ثار. هاتفه: رعده. هطل: سح مطره بقوة.

(٦) غَشَنْص وغَشْنص: أسماء نبات. رونق رند: الرند نوع من البخور طيب الرائحة وكذلك الصلندد والأسل. وقد جاء اسم (رند) في النقوش كاسم لنوع من البخور اليمني فتكون كذلك بقية الأسماء. وجاء في الهامش (الأسل: الغاب الذي تُصنع منه الرماح).

(٧) ابن حبوكل: كنية حيوان. طير القطاط: القطا. البلندد: البلند. الحجل: الدجاج البري.

(٨) عنثلة: ضبع. الخيثوان: لعله ذكر الضباع. برسل: من الوحوش. الرفلة: طويلة الشعر والذيل. الرفل: الطول.

(٩) الهام والهمهام: نوع من الطير. طالع أنجُد: لعله الحمار الوحشي. منحبك الروقين: الثور الوحشي، والروقان: القرنان. مَيَلُ: تَثَنٍّ.

لَقَدْ طَالَ ما أَضْحَيْتِ (قَصْراً) ومَأْلَفاً ... ومُنْتَظَراً لِلْحَيِّ مَنْ حَلَّ أَوْ رَحَلْ
وَمَأْوَى لأَبْكَارٍ حِسَانٍ أَوَانِسٍ ... وَرُبَّ فَتًى كاللَّيْثِ مُشْتَهِرٍ بَطَلْ»[١]

وسلمى جدة أو أميرة يمنية قحطانية قديمة كانت بتلك المدينة في عصور سالفة، وطالما كانت تلك الدار والمدينة قصراً لأمراء ومألفاً ـ أي مكاناً للألفة والاجتماع ـ ومأوى لفتيات أبكار أوانس ـ يؤنس بحديثهن ـ وفتى كالليث، ولا يعني بالفتى نفسه وإنما يعني فتيان الزمن الذي كانت فيه تلك الأطلال مدينة عامرة.

ومما قاله امرؤ القيس وهو باليمن أبياتاً ضرب فيها المثل بعدد من عظماء ملوك اليمن القدماء، وهي أبيات يستشهد بها علماء المؤرخين منذ أكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين سنة، وخاصة لأنه ذكر فيها الملك الرائش أول ملوك سبأ التبابعة باسم (ذي رياش) بينما الرواة يقولون (الحارث الرائش) وتؤكد الدراسات النقوشية صواب أنه (ذو رِيَاش) حيث قال امرؤ القيس:

أَلَمْ يُحْزِنْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ ... خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالا[٢]
أَزَالَ مِنَ المَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ ... وَقَدْ مَلَكَ الحَزُونَةَ والرِمَالا[٣]
هُمَامٌ طَحْطَحَ الآفَاقَ دَحْياً ... وَسَاقَ إلى مَشَارِقِها الرِّعَالا[٤]
وأَنْشَبَ في المَخَالِبِ ذَا رُعَيْنٍ ... ولِلزَّرّاد قد نَصَبَ الحِبَالا
بِعِزِّهِمُ عَزَزْتَ فَإِنْ يَذِلُّوا ... فَذُلُّهُمُ أَنَالَكَ ما أَنَالا

---

(١) بعد هذا البيت في الديوان ينتقل امرؤ القيس إلى ذكر بعض غرامياته وإلى الغزل في بقية الأبيات وهي من شعره الغنائي الذي ربما كانت تصدح به القِيَان في مجلس قيس بن معدي كرب الكندي وغيره من أقيال اليمن في الجاهلية، واستمر به الغناء في عصور لاحقة، وغنت به في عصرنا الفنانة العربية هيام يونس، وهي الأبيات التي أولها:

تَعَلَّقَ قَلْبِي طَفْلَةً عَرَبِيَّةً ... تَنَعَّمُ في الدِّيبَاجِ والحَلْيِ والحُلَلْ

وقد أُضيفت إليها بعض الأبيات في عصور مختلفة، ولكن ذلك لا يستوجب الظن بأنها منحولة، فالأصل هو لامرىء القيس.

(٢) جاء صدر البيت في الديوان «ألم أُخْبِرْكَ أنّ الدّهْرَ غُولٌ».

(٣) جاء عجز البيت في الديوان «وقد مَلَكَ السُّهُولَةَ والجِبَالا» وفي الإكليل (الحزونة والرمالا) والمعنى واحد.

(٤) ويروى «وألقى في مشارقها الرعالا» وجاء في هامش الديوان «طحطح: دوّخ. والرعال: جماعات الخيل». ثم بعد هذا البيت في الديوان:

وسَدٌّ بحيثُ تَرقى الشَّمْسُ سَدّاً ... لِيَأْجُوجَ ومأْجُوجَ الجِبَالا

ولم يأت هذا البيت في الإكليل. لأن (ذا رياش) غير (ذي القرنين) فلا بد أن قبل هذا البيت بيتٌ غير مذكور في الديوان.

وقوله (إن الدهر غُولُ) معنى (غُول: يغتال أهله على غرة) والختور من الختر وهو الغدر والمكر والمخادعة. أما المصانع فهي كما جاء في الهامش (المصانع: القصور والحصون والمباني الضخمة) وقال مُحقق الديوان «ذو رياش: هو أحد ملوك اليمن التبابعة». وقال الهمداني في الأنساب بالإكليل: «الحارث وهو الرائش بن إلي شدد وإنما سُمّي الرائش لأنه راش الناس بالغنائم، وقد يُقال ذو رياش، ومن يقول ذلك يُنْشد بيت امرىء القيس:

أَزَالَ مِنَ المَصَانِع ذَا رِيَاشٍ وقد مَلَكَ الحَزُونَةَ والرِمَالا»

[ص ٥٢/ ٢]

ثم ذكر الهمداني عن بعض السُخطيين من علماء حِمْيَر قالوا: «أولَدَ عمرو ابن أسعد بن ملكيكرب: قطنَ بن عمرو، فأولد (قطن بن عمرو بن أسعد) ذا نُواس الأكبر الذي ذكره امرؤ القيس في شعره (بقوله):

أزال مِنَ المصانع ذا نُواسٍ وقد مَلَكَ الحزونة والرمالا

وأنشب في المخالب ذا رُعَيْنٍ وللزراد قد نصب الحِبالا

.. وقد يرى بعض الناس أن امرأ القيس أراد ذا نواس صاحبَ الأخدود، ولم يكن مَلَكَ مثل ما مَلَك ذو نواس الأول، وإنما مَلَكَ اليمن وأطراف الحجاز. وقد يرويه بعض الناس:

أزال مِنَ المصانع ذا رِيَاشٍ

يريدون: الحارث الرايش»[1]. والصواب أنه الملك (ذو رياش) وهو الرائش الثاني أعظم الملوك التبابعة، وإنما قد يكون امرؤ القيس ذكر (ذا نواس) في قوله «وأنشب في المخالب..) فقد يكون الأصوب (وأنشب في المخالب ذا نواس» أو أن (ذا نواس) هو (الزراد) وبذلك يتحقق القول بأن امرأ القيس ذكره في شِعره. ومن المفيد الإشارة إلى صواب وجود ملكين بلقب ذي نواس أولهما (ذرا ـ أمر ـ بن حسان ـ بن أبي كرب أسعد بن ملكي كرب ملك سبأ) وهو قديم من ملوك سبأ التبابعة. أما (ذو نواس صاحب الأخدود الذي مَلَكَ اليمن وأطراف الحجاز) فهو الملك «يوسف أسار/ابن أسعد تُبّع الثاني ابن حسان بن ذي غيمان الحميري» وقد حكم من عام ٥١٥ ـ ٥٢٥ ميلادية، ثم حكم بعده الملك (سُمَيْفَع أشوع) وقد عاصرهما امرؤ القيس كما سلف التبيين، وهما آخر الملوك التبابعة للدولة الحميرية في ذلك العصر الذي شهد بداية ضعف الدولة

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦١ جـ ٢.

الحميرية وأفول عصور التبابعة العظماء. وقد قال امرؤ القيس:

بِــعِــزِّهــم عَــزَزْتَ فَــإنْ يَــذِلُّــوا فَــذُلُّــهُــمُ أَنَــالَــكَ مــا أَنَــالَا

حيث وكما جاء في هامش الديوان «يعني أنه عزّ بأولئك الملوك لأنه مِن سلالتهم». أي الملوك التبابعة الذين بدأ عصرهم بالأُفول في تلك الفترة التي قال فيها امرؤ القيس ذلك الشعر، والتي فيها أيضاً أخذ حكم الملوك الكنديين ـ أسرة امرىء القيس ـ في الحيرة ونجد واليمامة وما والاهما من البحرين والحجاز في الأفول.

* * *

أُفول الحكم الكندي لإقليم الحيرة وشمال الجزيرة وأشعار امرىء القيس في ذلك:

بينما كان امرؤ القيس في اليمن توفي جده الملك الحارث بن عمرو الكندي الذي كان ملكاً لمناطق شمال شرق الجزيرة وإقليم الحيرة بالعراق منذ حوالي السنة العاشرة من عهد أسعد تُبّع بن حسان (حوالي عام ٤٦٧م) وشمل حكمه إقليم الحيرة آنذاك ـ أو عام ٤٦٩م ـ واعترف الملك الفارسي قُبّاذ بملوكيته لبلاد الحيرة بدلاً عن المناذرة، فمكث الحارث ملكاً زهاء ستين سنة حتى مات قُبّاذ وتولى الحكم ابنه كسرى أنوشروان وكان الحارث قد بلغ من الكبر عتياً، وقد ذكر امرؤ القيس وفاة الحارث وضرب به المثل في تقلُّب الزمان حيث يتضمن ديوانه ثلاثة أبيات عن ذلك وهي قوله:

أَبَعْدَ الحارِثِ المَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو لَـهُ مُـلْـكُ الـعِـرَاقِ إلـى عُـمَـانِ

مُجَاوَرَةً بَنِي شَمْجَى ابْنِ جَرْمٍ هَـوَاناً مَـا أُتِـيْـحَ مِـن الـهَـوَانِ

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَمْجَي بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمُ حَنَانَكَ ذَا الحَنَانِ»[1]

ومن المهم تحديد زمن نهاية حكم الحارث بن عمرو الكندي ووفاته. فقد جاء في هامش تلك الأبيات بالديوان ما يلي: «زعموا أن الحارث مَلَك ستين سنة»[1] فيكون ذلك أحد قولين، وبمقتضى ذلك تكون مدة حكمه من حوالي عام ٤٦٧ ـ ٥٢٧م، أو من حوالي عام ٤٦٩ ـ ٥٢٩م. أما القول الرئيسي في كتب التاريخ فهو كما جاء في تاريخ ابن خلدون ما يلي:

«قال هشام بن محمد: لما مَلَك الحارث بن عمرو ملك آل النعمان بن المنذر ـ أي الحيرة ـ بعث إليه قُبّاذ يطلب لقاءه وكان قُبّاذ مُضعفاً، فجاءه الحارث وصالحه على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات. وقال غير هشام بن محمد: إن كسرى قُبّاذ مَلّكَ الحارث بن عمرو على العرب وأنزله الحيرة، ثم مات قُبّاذ ووُلّي ابنه كسرى

(١) جاء في هامش الديوان (بنو شمجي: حيّ من قبيلة طيىء. أتيح: حلّ ونزل. معيزهم: المعزى. حنانك: رحمتك يا ذا الحنان) [ص ١٤٧].

أنوشروان فردّ مُلْك الحيرة إلى المنذر. . وقال هشام بن محمد: وَلّى أنوشروان بعد الحارث بن عمرو، المنذرَ بن النعمان، فلما قوي سلطان أنوشروان واشتد أمره بعث إلى المنذر فَمَلّكه الحيرة وما كان يليه الحارث بن عمرو»[١] فجميع المصادر تتفق على أن الحارث بن عمرو حكم إلى أن مات قُبّاذ الفارسي وتولى الحكم ابنه كسرى أنوشروان فأنهى حكم الحارث وولّى المنذر، وبالتالي يلزم معرفة زمن بداية حكم أنوشروان فقد ذكر ابن خلدون أنه «كان مولد النبي ﷺ لاثنتين وأربعين سنة من مُلك أنوشروان». وقال ابن قتيبة «وجدتُ بين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي ﷺ أربعين سنة»[٢] وبالتالي تكون وفاة قُبّاذ وتمليك أنوشروان إما عام ٥٢٨م أو عام ٥٣٠م. فيكون انتهاء حكم الحارث بن عمرو آنذاك (حوالي عام ٥٢٩م) وهذا يؤكد القول الأول بأنه حكم (ستين سنة) وأن ذلك من حوالي عام ٤٦٩ ـ ٥٢٩م وكان الحارث قد صار شيخاً كبيراً. وجاء في كتاب الموسوعة أنه «أعاد أنوشروان المنذر بن ماء السماء اللخمي إلى عرش الحيرة، فطرد الحارث جد امرىء القيس منها، فلجأ إلى بادية الشام وكان له نفوذ فيها». بينما ذكر ابن الكلبي أنه خرج من الحيرة إلى ديار كلب بالبادية فمات بها، فيكون ذلك في نفس العام لأنه كان كبير السن ربما تجاوز التسعين عاماً.

ثم اندلعت فتنة بين الملكين شُرَحْبيل بن الحارث وسَلَمة بن الحارث ـ عمي امرىء القيس ـ (وكان شُرَحْبيل ملك مناطق وقبائل: بكر بن وائل، وحنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبني أُسَيْد، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرِّباب، بينما كان سَلَمة بن الحارث ملكاً على مناطق وقبائل بني تَغْلِب والنَّمِر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم، وطوائف من قضاعة) ـ وكانت مناطق تلك القبائل تمتد من اليمامة إلى منطقة الخليج (البحرين) وإلى مناطق من إقليم الحيرة بالعراق. وكان شرحبيل وسَلَمة يحكمان تلك المناطق والقبائل منذ بداية حكم أبيهما في زمن أسعد تُبّع بن حسان ـ أي منذ نحو ستين سنة ـ وكان امرؤ القيس قد أقام فترة عند عمه الملك شُرَحبيل بن الحارث (ما بين عام ٥١١ ـ ٥١٤م) قبل أن يعود امرؤ القيس إلى اليمن بترحيل أبيه إياه (حوالي عام ٥١٧م) ـ كما سلف التبيين ـ فلما مات الحارث (حوالي عام ٥٢٩م) وقعت فتنة بين الملكين شُرَحبيل وسَلَمَة. قال أبو عبيدة: «لما مات الحارث بن عمرو الكندي تَشَتّتَ أمر شُرَحْبيل وسَلَمة وتفرّقت كلمتهما ومشى الرجالُ بينهما، فكانت المغاورة ـ أي الغارات ـ بين الأحياءِ الذين معهما، وتَفَاقَمَ

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٦٢ و١٧٨.
(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٥.

أمرهما حتى جَمّع كل واحد منهما لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش. . وكان نُصحاء سَلَمَة وشُرَحْبيل نَهَوْهُما عن الفساد والتحاسُد وحذروهما الحربَ وعَثَراتِها وسُوء مَغَبَّتِها فلم يَقْبَلا ولم يَنْزَجِرا. وقال امرؤ القيس في ذلك:

أَنَّى عَلَيَّ اسْتَتَبَّ لَوْمُكُمَا ... وَلَمْ تَلُومَا حُجْراً وَلَا عُصُمَا
كَلَّا يَمِيْنَ الإِلٰهِ يَجْمَعُنَا ... شَيْءٌ وأَخْوَالُنَا بَنُو جُشَمَا
حَتَّى تَزُورَ (السِّبَاعُ) مَلْحَمَةً ... كَأَنَّهَا مِنْ ثَمُودَ أَوْ إِرَمَا»[١]

وتدلُّ تلك الأبيات على أن امرأ القيس كان يُتابع وهو باليمن تلك الفتنة بين عمه شُرحبيل وسَلَمَة، وبعث إليهما شعراً تم حفظ تلك الأبيات منه، ولكن شُرحبيل وسَلَمة مضيَا في تأجيج الصراع وزحف كل منهما بجيشه وقبائله، فوقعت بينما معركة (يوم الكُلَاب). قال أبو عبيدة: «الكُلَاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة وهو من اليمامة على سبع ليال ونحوها». وأسفرت المعركة عن مقتل شُرَحْبيل بن الحارث الكندي، ويتبين من الترتيب الزمني سالف الذكر للأحداث أن موقعة الكلاب ومقتل شُرحبيل بن الحارث كان حوالي عام ٥٣٠ ميلادية، وكان شُرحبيل قد جاوز السبعين من العمر تقريباً. وجاء في ديوان امرىء القيس أنه (قال يهجو البَرَاجم إذْ لم ينصروا عمه شُرحبيل يوم قُتِل:

أَلَا قَبَّحَ اللّٰهُ البَرَاجِمَ كُلَّهَا ... وَجَدَّعَ يَرْبُوعاً وَعَفَّرَ دَارِمَا[٢]
وآثَرَ بِالمِلْحَاةِ آلَ مُجَاشِعٍ ... رِقَابَ إِمَاءٍ يَقْتَنِينَ الْمَفَارِمَا[٣]
فَمَا قَاتَلُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَرَبِيبِهِمْ ... ولا آذَنُوا جَاراً فَيَظْعَنَ سَالِمَا)[٤]

وكان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة قد ساهم في تأجيج الصراع بين الملكين شُرَحْبيل وسَلَمة وأغرى بينهما حتى تقاتلا في موقعة يوم الكُلاب وقُتِل شُرَحْبيل، ثم انضوى بنو تغلب وغيرهم من العشائر والقبائل في طاعة المنذر وتخلّوا

---

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البكري ـ ص ١٠٧٨ ـ وهذه الأبيات مذكورة أيضاً في ديوان امرىء القيس. وقوله (استتب: يعني نزل. ويمين الإله: يمين اللّه. يجمعنا: لن يجمعنا. السباع: جاء في الديوان (الضِّبَاع) مكان السباع. ملحمة: مقتلة كبيرة.

(٢) البراجم: عشيرة من بني حنظلة بن مالك. وجَدّع يربوعاً: أي قطع آناف بني يربوع. وعَفّر دارما: أي أذل بني دارم وجعل وجوههم في التراب.

(٣) آثر: اختص. بالملحاة: بالملامة. آل مجاشع: بني مجاشع. رقاب إماء: جعلهم كرقاب الإماء ذلة ومهانة. المفارم: ما يضيقن به المحال، فعل الفواجر. ويروى: يعتبثن المفارما.

(٤) ربهم: سيدهم شُرحبيل بن الحارث. وربيبهم: الناشىء في كنفهم ـ وقد يكون يزيد بن شُرحبيل ـ. ولا آذنوه: ولا اعلموه بأنهم غير ناصريه. فيظعن: فيرحل.

عن سَلَمة بن الحارث، فانتقل سَلَمة إلى بكر بن وائل حيث ـ كما ذكر ابن الأثير ـ «لما صار سَلَمة عند بكر أذعنوا له وقالوا: لا يملكنا غيرك. فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك.. ثم سار إليهم المنذر في جموعه فالتقوا بجبل أواره، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجلت الوقعة عن هزيمة بكر، وأُسِرَ يزيد بن شرحبيل الكندي فأمر المنذر بقتله فَقُتِل. وقُتِل في المعركة بشر كثير. وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فأمر بهم فَذُبحوا على جبل أوارة»[١].

ثم استنصر سَلَمة بن الحارث بقبائل مذحج وقُضَاعة الذين بصعدة ونجران وأعالي اليمن، وجاء في هامش الإكليل: (أن سلمة بن الحارث الكندي جَمَع جموع اليمن، وبلغ نزاراً فتألبت جميعها ورأست كُلَيْب وائل. وبلغ سلمة بن الحارث اجتماع ربيعة فأَقْبَلَ ومعه قبائل مَذْحج.. وأقْبَلَ كليب في جموع ربيعة، فالتقوا بخَزَازَى واقتتلوا قتالاً شديداً)[١]. ولم تكن موقعة خَزَازَى بين اليمنيين والنزاريين ولا بين اليمنيين وربيعة ـ كما شاع في بعض الروايات ـ وإنما كانت بين سَلَمة بن الحارث الكندي والذين معه من اليمنيين وبكر بن وائل من جهة وبين جيش المنذر بن ماء السماء والقبائل الموالية له من جهة أخرى، وقد ذكر أبو عبيدة في كتاب النقائض أنه «قال الأصمعي: كان يوم خَزَازَى للمنذر بن ماء السماء ولبني تَغْلِب على بني آكل المُرَار الكندي وعلى بكر بن وائل. وكانوا في يوم خَزَازَى أسروا خمسين رجلاً من بني آكل المُرَار»[١] فقد انجلت موقعة يوم خَزَازَى عن انكسار وانسحاب مذحج وبقية الذين مع سَلَمة بن الحارث، ووقع بيد المنذر خمسين رجلاً أسيراً من بني آكل المُرار الكِنْدي في يوم خَزَازَى.. قال أبو عبيدة «خَزَازَى: اسم جبل بِطِخْفَةَ بنحر الطريق بين البصرة ومكة». وقال الهمداني: «خَزَازَى جبل بالعالية مِن حمىٰ ضَرِيَّة.. وضَرِيّة في طريق مكة من البصرة من نجد، وحِمَىٰ ضَرِية قُرب اليمامة من نجد». وكانت موقعة يوم خَزَازَى الضربة القاصمة لسلمة بن الحارث ولآل سَلَمة وكذلك لآل شُرَحْبيل، ويبدو أن آل حجر آكل المرار الذين أعدمهم المنذر هم من الأسرى الخمسين الذين ذكر أبو عبيدة والأصمعي وقوعهم في الأسر يوم خَزَازَى، كذلك فإن حماية عشيرة بني سعد بن زيد مناة لأهل وعيال شرحبيل بن الحارث ربما كانت آنذاك وليس عند مقتل شُرَحْبيل، وسواءً كان ذلك بعد يوم خَزَازَى أو بعد مقتل شُرَحْبيل فقد دافع عوير بن شجنة العوفي وعشيرة بني عوف بن سعد عن أسرة شُرَحْبيل وساروا بهم من إقليم

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٣٤/ ١ ـ الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٩/ ١ـ النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ٨٨٧.

الحيرة بالعراق إلى مخلاف نجران باليمن، فقال امرؤ القيس يثني عليهم:

عُـوَيْـرُ وَمَـنْ مِـثْـلُ الـعُـوَيْـرِ وَرَهْـطِـهِ وأَسْعَدَ في (لَيْلِ البَلَابِلِ) صَفْوَانُ[١]

ثِـيَـابُ بَـنِـي عَـوْفٍ طَـهَـارَىٰ نَـقِـيَّـةٌ وَأَوْجُـهُـهُـمْ عِـنْـدَ الـمَشَاهِدِ غُرَّانُ[٢]

هُـمُ أَبْـلَـغُـوا حَيَّ الـمُـضَـلَّلِ أَهْـلَـهُـمْ وَسَـارُوا بِـهِـمْ بين الـعِـرَاقِ وَنَـجْـرَانِ

ويُروى هذا البيت:

هُـمُ مَـنَـعُـوا حَـيَّ الـمُـضَـلَّـلِ أَهْـلَـهُ وَسَارُوا بِـهِـمْ بَيْنَ الـفُـراتِ ونَـجْـرَانِ

وقوله (ساروا بهم بين الفرات ونجران) أي من العراق إلى اليمن.

وقال امرؤ القيس حين قَتَل المنذر بن ماء السماء الذين قتلهم من آل حُجْر آكل المُرَار في الحيرة بالعراق (وذلك فيما تقول إحدى الروايات عندما ولّى كسرى أنوشروان المنذر بن ماء السماء على الحيرة ومات الحارث بن عمرو الكندي. ولكن ما ذكره أبو عبيدة والأصمعي عن الأسرى من آل حجر آكل المرار يوم خَزَازَى يُشير إلى أن الذين قتلهم المنذر هُمْ مِنْ أولئك الأسرى) فلما بلغ امرؤ القيس خبر مقتلهم وهو باليمن قال:

أَلَا يَـا عَـيْـنُ بَـكِّـي لـي شَـنِـيْـنَـا وبَـكِّـي لي الـمُـلُـوكَ الـذَّاهِـبِـيْـنـا[٣]

مُـلـوكـاً مِـنْ بـنـي حُـجْـرِ ابْـنِ عَـمْـرٍو يُـسَـاقُـونَ الْـعَـشِـيَّـةَ يُـقَـتَّـلـونَـا

فـلَـوْ فـي يَـوْمِ مَـعْـرِكَـةٍ أُصِـيـبُـوا وَلَـكِـنْ فـي دِيَـارِ بَـنِـي مَـرِيْـنَـا[٤]

فَـلَـمْ تُـغْـسَـلْ جَـمَـاجِـمُـهُـمْ بِـغِـسْـلٍ ولـكِـنْ بـالـدِّمَـاءِ مُـرَمَّـلِـيْـنَـا[٥]

تَـظَـلُّ الـطَّـيْـرُ عَـاكِـفَـةً عَـلَـيْـهِـمْ وتَـنْـتَـزِعُ الْـحَـواجِـبَ والـعُـيُـونَـا[٦]

قال ابن خلدون: «وأما سَلَمة بن الحارث الكندي فإنه فلج فمات»[٧]. وبتلك

---

(١) عوير وصفوان: سيدا بني عوف. والبلابل: الهموم. ويروى: (وأسعد في يوم التلاتِلِ صفوان).

(٢) طهارى نقية: لم تعلق بها الأرجاس والأدناس. المشاهد: الحروب. غران: طَلِقةٌ بيضاء متهللة، وذلك كناية عن الوفاء.

(٣) بكّي شنينا: أبكي وسحي كما يقطر الماء من الشن.

(٤) جاء في هامش الديوان (بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة). وجاء في الأغاني (ديار بني مرينا العباديين: بين دير هند والكوفة).

(٥) مرملين: مخلوطة دماؤهم بالرمال. ويروى: (فلم تُغسل جماجمهم بسدرٍ) وكان منهم عمرو ومالك ابنا الحارث.

(٦) عاكفة: نازلة.

(٧) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨٠.

الأحداث والمعارك انتهى حكم الملوك الكنديين في إقليم الحيرة بالعراق وما بين الحيرة والبحرين والحيرة واليمامة من منطقة الخليج وشرق شمال الجزيرة العربية، وصارت تلك الأقاليم والمناطق وقبائلها تحت حكم ونفوذ المنذر بن ماء السماء اللخمي اليماني ملك الحيرة المرتبط بالدولة الفارسية وملكها كسرى أنوشروان. وكان ذلك حوالي عام ٥٣٠ ـ ٥٣١ ميلادية. وكان حُجْر بن الحارث والد امرىء القيس ما يزال ملكاً على بني أسد وغيرهم من العشائر والقبائل بمنطقة اليمامة ونجد. وجاء في الأغاني أنه «كان ينزل المُشقر باليمامة، ويقال بل كان ينزل في حصن بالبحرين».

قال ابن خلدون: «وأما حُجْر بن الحارث فلم يزل أميراً على بني أسد إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الأتاوة من بني أسد فمنعوها وضربوا الرُسل، وكان حُجْر بتهامة فبلغه الخبر فسار إليهم في ربيعة وقيس وكنانة فاستباحهم وقَتَلَ أشرافهم وسَرَواتهم، وحبس عبيد بن الأبرص في جَمْع منهم فاستعطفه بشعرٍ بعث به إليه، فسَرَّحَه وأصحابه وأرفَدَهُم»[١].

وقال ابن قُتَيْبة: «مَلَكَ حُجر بن الحارث على بني أسد، فكان يأخذُ منهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذ سَرَوَاتِهم فقتلهم بالعصيّ، فسمُّوا (عبيد العصا) وأسَرَ منهم طائفةً فيهم عبيد بن الأبرص فقام بين يديْ الملك حُجر بن الحارث فقال:

مَهْلاً ـ أبَيْتَ اللَّعْنَ ـ مَهْلاً	إنَّ فيما قُلْتَ آمَهْ[٢]
في كل وادٍ بين (يَثْرِبَ)	والقُصُور إلى اليَمَامَهْ[٣]
تَطْرِيبُ عانٍ أوْ صِيَا	حُ مُحَرَّقٍ وزُقَاءُ هامَهْ
أنْتَ المَلِيكُ عليهِمُ	وهُمُ العَبِيدُ إلى القِيامَهْ

فرحمهم الملك حُجْر وعَفَا عنهم وردّهم إلى بلادهم»[٤]. وكان ذلك في وقت سابق لمقتل شُرَحْبيل بن الحارث ولسيطرة المنذر بن ماء السماء على المناطق التي كانت تحت حكم شُرَحْبيل وسَلَمَة بن الحارث. ثم في وقت لاحق كان الملك حُجْر في منطقة بني حنظلة ومعه جماعة صغيرة من فرسان كندة. قال ابن قتيبة: «فركبت

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ حمد الفرح ـ ص ١٨٠.
(٢) أبيتَ اللعن: هي تحية الملوك اليمنيين منذ زمن يعرب بن قحطان، فكان يُقال للملك (أبيتَ اللعن).
(٣) ذكر ياقوت الحموي هذا البيت بأنه (في كل وادٍ بين يتْرب. .) ـ بسكون التاء وفتح الراء ـ وقال «قيل يترب قرية باليمامة عند جبل وشم. وقيل موضع في بلاد بني سعد بالسودة» ـ ص ٤٩٧/ ٨ـ وهي غير يترب التي قال الهمداني (يترب مدينة بحضرموت).
(٤) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٥ وص ١١٥.

بنو أُسد كلَّ صَعب وذلول، فما أشرق لهم الضُّحىٰ حتى انتهوا إلى حُجْر، فوجدوه نائماً فقتلوه». وقال ابن قتيبة في موضع آخر: «بعثت بنو أُسد إلى بني حنظلة تستكِفُّها وتسألها أن تخلّي بينها وبين كندة، فاعتزلت بنو حنظلة، والتقتْ كِنْدةُ وأسد، فانهزمت كندةُ وقُتِل حُجْر»[١] وبذلك انتهى حكم حُجْر بن الحارث الكندي لمناطق بني أسد واليمامة ونجد والذي دام زهاء اثنتين وستين سنة، وكان مقتله وهو في نحو الثمانين من العمر، وذلك حوالي عام ٥٣١ ميلادية. وقال حُجْر ـ قبل أن يفارق الحياة ـ لرجل من أصحابه انطلق إلى ابني نافع ـ وكان أكبر ولده ـ فإن بكى فاتركه. واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ـ وكان أصغرهم ـ فأيهم لم يجزع، فادفع إليه بوصيتي. فسار الرجل إلى نافع وبقية أبناء حُجْر، فكلُّهم بكى ووضع على رأسه التراب، فانطلق الرجل إلى امرىء القيس.

وصول نبأ مقتل حُجْر إلى امرىء القيس بحضرموت وأشعاره في ذلك:

أتى نبأ مقتل حُجْر إلى ابنه امرىء القيس وهو بدمُّون في حضرموت، وكان الذي أتاه بالخبر رجلٌ من بني عِجْل يُقال له عامر العجلي، حيث ـ كما جاء في ديوان امرىء القيس ـ «قال امرؤ القيس حين بلغه نعي أبيه وهو بدَمُّون من أرض حضرموت:

أَتَانِي وأَصْحَابِي عَلى رَأسِ صَيْلَعٍ حَدِيْثٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّي فَأَنْعَمَا
فَقُلْتُ لعجْلِيّ بَعِيدٍ مَآبُهُ أَبِنْ لِي وبَيِّنْ لِي الحدِيْثَ المُجَمْجَما
فقال أَبَيْتَ اللّعْنَ، عَمْرو وكاهِلٌ أَبَاحَا حِمَىٰ حُجْرٍ فأَصْبَحَ مُسْلَمَا»[٢]

وقال ابن قتيبة: «بلغ امرأَ القيس مقتل أبيه وهو بدَمُّون فقال:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ
وإنَّنَا لأَهْلِنَا مُحِبُّونْ»

ولكن هذا الشعر سلف تبيين أن امرأَ القيس قاله في وقت سابق عندما نفاه وأبعده أبوه إلى منطقة دَمُّون بحضرموت فأقام بها وطال ليل إقامته فيها.. وقد يكون امرؤ القيس قال وتَمَثّل بذلك الشعر مرة ثانية عندما بلغه مقتل أبيه. قال ابن قتيبة: «.. فلما كان الليلُ لاح له برقٌ فقال ـ وهو بالجبل الذي تقع فيه مدينة دَمُّون ـ:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلْ يُضِيءُ سَنَاه بأَعْلى الجَبَلْ[٣]

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٠٥ وص ١١٥.
(٢) صيلع: جبل. فأَنْعَمَ: فأَبْعَدَ. مآبه: مرجعه. المجمجم: الذي لا تكاد تتبينه. مرو وكاهل: عشيرتان من بني أسد وحنظلة. مسلماً: مباحاً في أيدي الذين قتلوه.
(٣) أهل: أبرق من وراء السحاب.

أَتَـانِـي حَـدِيْـثٌ فَـكَـذَّبْـتُـهُ ... بِـأمْـرٍ تَـزَعْـزَعُ مِـنْـهُ الْـقُـلَـلْ(١)
بِـقَـتْـلِ بَـنِـي أَسَـدٍ رَبَّـهُـمْ ... أَلا كُـلُّ شَـيْءٍ سِـوَاهُ جَـلَـلْ(٢)
فَـأَيْـنَ رَبِـيْـعَـةُ عَـنْ رَبِّـهَـا ... وأَيْـنَ تَـمِـيْـمُ وأَيْـنَ الـخَـوَلْ(٣)
أَلا يَـحْـضُـرُونَ لَـدَى بَـابِـهِ ... كـمـا يَـحْـضُـرُونَ إذا مَـا اسْـتَـهَـلْ»(٤)

وجاء في كتاب الأغاني أنه: لما قتلت بنو أسد حُجْراً طعنوه ولم يُجهزوا عليه فأوصى وأعطى كتابه إلى رَجُلٍ وقال له: انطلق إلى ابني نافع، وكان أكبر ولده، فإن بكى وجزع فَالْهُ عنه واستَقْرهم واحداً واحداً حتى تأتي أمرأ القيس، وكان أصغرهم، فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقد روي: ووصيتي. وقد كان بيّن في وصيته مَنْ قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحداً واحداً فكلهم فعل ذلك. حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد ـ أي الشطرنج ـ فقال له: قُتِل حُجر، فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى إذا فرغ قال: ما كنتُ لأفسد عليك دستك، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله، فأخبره، فقال: الخمر والنساء عليّ حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجزّ نواصي مائة. وفي ذلك يقول:

أُرِقْتُ وَلَـمْ يـأرَقْ لِـمَـا بِـيَ نَـافِـعُ ... وَهَـاجَ لـي الشَّوْقُ الـهُـمُـومُ الرَّوَادِعُ

وقال ابن الكلبي: إن امرأ القيس أتاه خبر أبيه وهو بدَمُّون من أرض اليمن أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف، فلما أتاه بذلك قال:

تَـطَـاولَ الـلـيـلُ عـلـيـنـا دَمُّـون ... دَمُّـون إنّـا مـعـشـرٌ يـمـانُـون
وإنـنـا لأهـلـنـا مـحـبـون

ـ وقال: (أتاني وأصحابي على رأس صيلع ـ إلخ. الأبيات) ـ ثم قال: ضيّعني صغيراً وحَمّلني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سُكْر غداً، اليوم خمر وغداً أمر. فذهبت مثلاً. ثم قال:

خَلِيْلَيَّ مَا فِي اليَوْمِ مصْحًى لِشَارِبِ ... ولا فِي غَدٍ إذْ كانَ مَا كانَ مَشْرَبُ

---

(١) تزعزع: تضطرب. القُلل: أعالي الجبَال.
(٢) ربّهم: يعني ملكهم حُجر بن الحارث. جَلَلْ: حقير، أو هَيّن وبسيط.
(٣) الخول: الأتباع.
(٤) استهل: يعني بالعطايا والمنح. وهذه الأبيات في الديوان وفي كتاب الأغاني وفي كتاب تاريخ الأدب العربي ـ ص ١٢٤.

ـ (يعني ما في اليوم صحو ولا في غد سكر حتى آخذ بثأري) ـ ثم شرب سبعاً، ثم آلَى (أي حَلَفَ) أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يصيب امرأة حتى يدرك بثأره، فلما جَنّه الليل رأى برقاً فقال:

أرِقْـتُ لِبَـرْقٍ بِـلَـيْـلٍ أهَـلْ   يُـضـيءُ سَنَـاه بـأعـلـىٰ الـجَـبَـلْ
. . بِـقَـتْـلِ بـنـي أسَـدٍ رَبَّـهُـمْ   ألَا كـلّ شَـيءٍ سِـوَاهُ جَـلَـلْ

ـ إلى آخر الأبيات»[١].

ومن المهم تحديد زمن ذلك لأنه جاء في كتاب الجامع وكتاب الموسوعة أن مولد امرىء القيس كان حوالي عام ٤٩٧ ميلادية وأن أباه نفاه أو أبعده إلى دَمُّون بحضرموت وذلك ـ كما في كتاب الجامع ـ (وهو في نحو العشرين من العمر، فأقام بدَمُّون زهاء خمس سنين) وكذلك جاء في الموسوعة أنه «بقي في دَمُّون خمساً من السنين» فيكون ذلك من عام ٥١٧ ـ ٥٢١ ميلادية. وذلك غير صائب فلا بد أنه أقام في دَمُّون وغيرها من مناطق اليمن إلى عام ٥٣١م ـ أي زهاء خمسة عشر عاماً ـ أما إذا كانت إقامته (خمس سنين) فيكون ذلك من عام ٥٢٧ ـ ٥٣١م لأنني وجدتُ أن الذي ولّى المنذر بن ماء السماء على الحيرة هو كسرى أنوشروان الذي تولى الحكم عام ٥٢٨م أو عام ٥٣٠م، ثم وقعت الفتنة والحرب بين شُرحبيل وسَلَمه ابن الحارث بتحريض المنذر في موقعة يوم الكُلاب فيكون ذلك حوالي عام ٥٣٠م، ثم أوقع المنذر ببني بكر بن وائل وقتل يزيد بن شُرحبيل في يوم (أواره) ثم تلت ذلك موقعة يوم خَزَازَىٰ ومات سَلَمة بن الحارث فيكون ذلك عام ٥٣٠م أو عام ٥٣١م. ثم تلا ذلك غدر بني أسد وقتلهم حُجْراً، فيكون ذلك عام ٥٣١ ميلادية. ويتبين من ذلك أيضاً أن امرأ القيس كان عمره نحو ٣٥ سنة حين أتاه نبأ مقتل أبيه وهو في مدينة دَمُّون في حضرموت باليمن. فقال تلك الأشعار وأقسم بالثأر لأبيه، ثم اجتمع إلى امرىء القيس قوة من عشائر وفرسان كندة بحضرموت فلم يكتف بذلك وإنما سار إلى الملك مرثد بن ذي جدن الحميري اليزني.

استنصار امرىء القيس بمرثد بن ذي جَدَنْ اليزني:

وتكتسب واقعة استنصار امرىء القيس بمَرثَد بن ذي جَدَنْ أهمية كبيرة في تأكيد الزمن وفي مسار الأحداث وكذلك في إدراك وتأكيد علاقة حكم كندة في شمال الجزيرة بدولة اليمن الحميرية، فعندما بلغ أمرأ القيس نبأ مقتل أبيه ـ وكما ذكر ابن قتيبة ـ «حَلَفَ امرؤ القيس لا يغسل رأسه ولا يشرب خمراً

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٥ جـ ٨.

حتى يدرك ثأره ببني أسد، فأتى ذا جَدَنٍ الحميري فاستمدّه فأمدّه»[١].

وقال ابن خلدون: «سار امرؤ القيس إلى مَرثَد الخَيْر بن ذي جَدَن، من ملوك حِمْيَر صريخاً، فَنَصَره بخمسمائة رجلٍ من حِمْيَر وبجمع من العرب سواهم»[١].

وقال ابن خلدون في حديثه عن ملوك دولة اليمن الحميرية ما يلي: «ثم مَلَكَ ذو يزن بعد مَهْلَكِ ذي نواس.. ولَمّا هَلَكَ ذو يزن وُلِّي ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه وهو الذي استجاشه امرؤ القيس على بني أسد»[٢].

ويتبين من نقوش المسند الحميرية لتلك الفترة أن مَرثد بن ذي يزن وجَدَن هذا هو (مرثد إل يمجد) وقد جاء اسمه في نقش من عهد الملك يوسف أسار ذي نواس قام بكتابته القائد القيل (شُرحئيل أشوع بن شرحبيل يكمل ذي يزن وجدن) حيث استهل (شرحئيل) النقش بالدعاء التالي:

«ليبارك إلٰهَنَا ذي له السماء والأرض الملك يوسف أسار يثأر ملك كل الشعوب، ولْيُبَارِك الأقيال لحيعث يرخم، وسُمَيْفَع أشوع، وشرحئيل أشوع، وشرحبيل أسعد، بني شرحبيل يكمل ذوي يزن وجدن»[٣].

ثم دعا مرة أخرى لأبناء الأسرة فقال في النقش: «ولْيُبَارك الرحمن أبناءهم شرحبيل يكمل وهعان أسار بني لُحَيْعث، ولُحَيْعث يرخم بن سُمَيْفع، ومرثد إل يمجد بن شُرحئيل، ذوي يزن». وقد أَرَّخ النقش بالعام ٦٣٣ للتقويم الحميري الموافق لعام ٥١٨ ميلادية[٢]. وقد حكم الملك يوسف أسار ذو نواس حتى مهلكه عام ٥٢٥ ميلادية ثم تولى حكم اليمن الملك (سُمَيْفَع أشوع ذو الكلاع ويزن وجدن) ـ وتسميه بعض الروايات (ذا نواس) ـ وهو المقصود بقول ابن خلدون «ثم مَلَك ذو يزن بعد مهلك ذي نواس» وقد جاء في نقش الملك سُمَيْفع هذا اسم (شرحبيل يكمل ومعدي كرب يعفر بني لُحَيْعث يرخم ذوي يزن وجدن»[٤] كمساعدين له في الحكم وأذواء على المناطق التي يتولاها آل ذي يزن وجدن الذين منهم «مَرثَد إل يمجد بن شرحئيل بن ذي يزن وجدن» فكان مرثد من الأذواء الأقيال ويحكم بالمناطق الشرقية من اليمن (شبوة ـ حضرموت) وربما إلى (الجوف ونجران)

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٦.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨١ وص ٨٩.

(٣) تاريخ اليمن القديم ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٦٤ـ النقش رقم ١٠٢٨ جام في موقع بئر الحمة بنجران.

(٤) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ النقش رقم ٦٢٠ في موقع حصن الغراب بشبوة والمؤرخ بعام ٦٤٠ حميرى = ٥٢٥ ميلادي.

لأن أباه (شرحئيل) كان قائدَ وأميرَ مخلاف نجران إلى تخوم نجد حين كتب نقشه المسند سالف الذكر في عهد يوسف أسار، ثم صار ابنه (مرثد) من الأمراء الأقيال في عهد سُمَيْفع الذي حكم من ٥٢٥ ـ ٥٣٣م فلم يكن (مرثد) ملك الدولة الحميرية وإنما كان ـ وكما وصفه ابن خلدون ـ «من ملوك حِمْيَر» ـ أي من الأقيال الملوك في إطار الدولة الحميرية أما الملك الأعلى فكان (سُمَيْفع ملك حِمْيَر). وقد ذكر ابن خلدون وابن قتيبة أنّ امرأَ القيس استنصر واستمد مرثد بن ذي جدن ويزن عندما أتاه نبأ مقتل أبيه وسار من حضرموت. بينما جاء في مقدمة ديوان امرىء القيس وفي كتاب الأغاني أن امرأَ القيس سار إلى نجد ووقعت له أحداث ثم عاد إلى اليمن واستنصر بمرثد بن ذي جدن، فيمكن أن يكون استنصر به مرتين، وقد جاء في مقدمة ديوان امرىء القيس ما يلي: «. . استنصر امرؤ القيس مرثد الخَيْر وهو من أقيال حِمْيَر، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَر، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس فأنفذ له ذلك قرمل الذي جلس في مكان مرثد» (ص ١١٤). وجاء في كتاب الأغاني ما يلي: «. . نزل امرؤ القيس بِقَيْل يُدعى مرثد الخير بن ذي جَدَن الحميري وكانت بينهما قرابة فاستنصره واستمده على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَر، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم وقام بالمملكة بعده رجل من حِمْيَر يُقال له قرمل ابن الحميم وكانت أُمّه سوداء، فردّد امرأَ القيس وطَوّل عليه حتى هَمّ بالانصراف وقال:

وإذْ نحنُ نَدْعُو مَرْثَد الخَيْر ربَّنا وإذْ نحنُ لا ندعو عبيداً لِقَرْمل

فأنفذ له ذلك الجيش» [ص ٨/٦٨] ـ وربما كان ذلك في المرة الثانية، لأن مرثد بن ذي جدن بنفسه أمدّ امرأَ القيس بقوة من الحميريين بعد مقتل حجر، فانطلق امرؤ القيس من اليمن إلى نجد بكتائب حِمْيَر وفرسان كندة.

* * *

مسير امرىء القيس إلى نجد للثأر بأبيه واستعادة مُلْكِه . . وأنباء وأشعار المرحلة الثالثة من حياته (٥٣١ ـ ٥٤٥م):

لقد انطلق امرؤ القيس من اليمن ـ عام ٥٣١م ـ وجاء عن ذلك في كتاب الموسوعة أنه «جمع امرؤ القيس الجموع من حضرموت ومن الكُلَاع، وأمدّه مرثد ذو جدن برجال من مذحج حلفاء كندة، والعاملين في جيش الأعراب في الأمس الأبعد تحت قيادات من أقيال بني جدن». بينما جاء في سائر المصادر أن مرثد بن ذي جدن أمدّه بفرسان من كتائب حِمْيَر. ـ أي من جيش الدولة ـ وجمع امرؤ القيس رجالاً من قبائل العرب، فسار بهم جميعاً. ومرّ بمدينة تَبَالة ـ في أعالي مخلاف نجران بأعالي

اليمن ـ وكان بتبالة بيت للعبادة فيه صنم يقال له (ذو الخَلَصَة) وكان يُقال لذلك البيت (الكعبة اليمانية) وكان الناس يُعظِّمون ذلك البيت وذلك الصنم ويستقسمون عنده، «فاستقسم امرؤ القيس عند ذي الخلصة بقداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: لو أبوك قُتِل ما عقتني» ـ أي ما نهيتني عن المسير والثأر من بني أسد ـ قال ابن الكلبي (ثم سار امرؤ القيس فظفر ببني أسد، ويُقال ـ لذلك ـ أنه ما استقسم أحدٌ عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء الإسلام وهدمه جرير بن عبد اللّه البجلي)

فلما سار امرؤ القيس من تَبالَة إلى منطقة نجد واليمامة ووصل إلى مدينة وعاصمة حكم أبيه ـ وكما جاء في كتاب (الأدب العربي) وكتاب الأغاني عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ «قَدِم على امرىء القيس بن حُجْر رجال من قبائل بني أسد كهول وشبان فيهم مهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص وقبيصة بن نعيم، فأمر ـ امرؤ القيس ـ بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً، فسألوا من حضرهم من رجال كندة ـ (عن سبب عدم مقابلة امرىء القيس إياهم) ـ فقالوا: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدّة، فقال الأسديون: اللهم غفراً إنما قَدِمنا في أمر نتناسى به ما سلف ونستدرك ما فرط، فَلْيُبَلَّغ ذلك عنا. فخرج إليهم امرؤ القيس في قباء وخُفّ وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات، فلما نظروا إليه قاموا له وبدر إليه قبيصة فقال ـ أيها الملك ـ إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتتنقل به أحواله، ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب مُحْتَملٌ يحتمل ما حمل عليه مِنْ إقالة العَثْرة والرجوع عن الهفوة وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجلل الذي عَمّت رزيته نزاراً واليمن، ولم تُخصصْ كندة بذلك دوننا للشرف البارع ـ فقد ـ كان لحُجْر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشِّيم، ولو كان يُفدىٰ هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه، ولكن مضى به سبيلٌ لا يرجع أولَاهُ على آخِرَاه ولا يلحق أقصاه أدناه، فأحْمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك ـ (ما جئنا نعرض عليك) ـ في إحدى خِلال، إما اخترتَ من بني أسد أشرفها بيتاً فقُدناه إليك بنِسْعة تذهبُ مع شفرات حسامك قصرَته[1] ـ [أي تقتله بدلاً عن أبيك] ـ أو تأخذ فداءً بما يرُوح من بني أسد من نِعمها فهي أُلوف تجاوز الحسبة، وإما أن توادعنا حتى تضعَ الحوامل فنُسدل

(١) النِّسْعة: جلد مضفور يجعل زماماً للبعير. قصرَته: عنقه. النظرة: الإمهال. العلق: الدم.

الأزْر ونعقد الخُمُر فوق الرايات. فأطرق ـ امرؤ القيس ـ برهة ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العربُ أن لا كُفْءَ لحجر في دَم وإنّي لن أعتاض به جملاً أو ناقة فأكتسبَ بذلك سبّة الأبد، وفتّ العضُد، وأما النَّظِرَةُ فقد أوجبتها الأجنَّةُ في بطون أمهاتها ولن أكونَ لعطبها سبباً وستعرفون طلائع كندَة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة عَلَقاً[1]:

إذا جَالَتَ الخيلُ في مَأزِقٍ   تُصافحُ فيه المنايا النُّفوسَا

أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرفُ بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترَار لمكروه وأذيّة وحرب وبلية. ثم نهضوا عنه، وقبيصةُ يقول متمثلاً [بصوت خافت]:

لعلَّك أن تستوخمَ الموت إن غَدَتْ   كتائبُنا في مَأزِق الموت تُمْطِرُ

ـ[فسمع امرؤ القيس كلمة من البيت فعرف البيت لأنه لشاعر آخر] ـ فقال امرؤ القيس: لا واللّه لا أستوخمه فرويداً ينكشف لك دُجاها عن فرسان كندة وكتائب حِمْيَر، ولقد كان ذكرُ غير هذا أولىٰ بي إذْ أنت نازلاً بِرَبْعي ولكنك قُلْتَ فأجبتُ، فقال قبيصة: ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب، قال امرؤ القيس: فهوَ ذاك»[2].

ويتبين من ذلك أن امرأ القيس لم يَقْبَل أن يقتل بأبيه أشرف بني أسد ولم يقبل فداء وديَّةً، لأنه أقسم أن يأخذ بثأر أبيه من عشيرة بني أسد التي قتلته ـ وهي عشيرة كاهل وعمرو بن دودان ـ وأن يقتل منهم مائة لأنهم تمالأوا بقتله ـ غالباً ـ وأمهل امرؤ القيس بني أسد مهلة (حتى تضع الحوامل) ـ وذلك ربما نحو ثلاثين يوماً ـ وقال لهم:

«فرويداً ينكشف لكم دُجاها عن فرسان كِندَة وكتائب حِمْيَر»

ويدلُّ ذلك على وجود كتائب من الجيش الحميري الرسمي معه وهُم الذين أمدَّهم به مرثد بن ذي جدن نائب الملك سُمَيْفع بمناطق شرق اليمن. وكذلك يدلُّ مجيء رجالات بني أسد إلى امرىء القيس وعدم مقابلته إياهم ثلاثة أيام وقول الذين حضرهم من رجال كندة (هو مشغول بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدّة)، يدل ذلك على أن امرأ القيس كان بالمدينة العاصمة لمنطقة حكم أبيه، ولم تذكر الروايات اسم المدينة، ولكن الأصفهاني ذكر في بداية ترجمة امرئ القيس أنه: «قال ابن حبيب: كان ينزل المشقر من اليمامة، ويُقال: بل كان ينزل في حصن بالبحرين». [ص ٨/٦١] ـ ولكن المشقر ليس باليمامة، وإنما كانت العاصمة الكندية

---

(١) النِسْعة: جلد مضفور يجعل زماماً للبعير. قصرّته: عنقه. النظرة: الإمهال. العلق: الدم.
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٧٣/ ٨ـ وكتاب (في الأدب العربي وتاريخه) ـ ص ٤٦.

باليمامة هي مدينة (قُرَيّة/ الفاو) فهي مقر حُجْر ثم امرىء القيس، أما (المُشَقَّر) فهو حصن البحرين ومركز الحكم بمنطقة إقليم البحرين (التي هي منطقة الخليج العربي). وربما نزل امرؤ القيس بمدينة قرَيَّة وبحصن المُشَقَّر، وأن كليهما كانا تحت حكم أبيه وأذعنا لحكمه. وقد جاء ذكر (القُرَيَّة) في شعر امرىء القيس.

وخلال المهلة التي أعطاها لبني أسد، التقى امرؤ القيس بالشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي الذي ربما أتى إلى امرىء القيس وأقام عنده أياماً، وربما أتى مع الذين أتوا إليه من بني أسد فلما انصرفوا بقي عُبيد بن الأبرص، وذلك لأنّه: «يُروى أن عبيد بن الأبرص الأسدي لقي امرأَ القيس فقال له عبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال: ألق ما شئت تجدني كما أحببت، فقال عبيد:

ما (حَبَّةٌ) مَيْتَةٌ أحْيَتْ بِمِيْتَتِهَا   درْدَاءَ مَا أنْبَتَتْ سِنًّا وأضْرَاسَا[١]

فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى في سَنَابِلِهَا   فأخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ المُكْثِ أكْدَاسَا[١]

فقال عبيد:

ما السُّودُ والْبِيضُ والأَسْماءُ وَاحِدةٌ   لا يَسْتَطِيْعُ لَهُنَّ النَّاسُ تَمْسَاسَا[١]

فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ السَّحَابُ إذا الرَّحْمَنُ أرْسَلَهَا   رَوَّى بِهَا مِنْ مُحُولِ الأرْضِ أيْبَاسَا[١]

فقال عبيد:

ما مُرْتَجَاتٌ عَلى هَوْلٍ مَرَاكِبُها   يَقْطَعْنَ طُولَ المَدَى سَيْراً وَأمْرَاسَا[١]

فقال امرؤ القيس:

تلك النُّجُومُ إذَا حَانَتْ مَطَالِعُهَا   شَبَّهْتُها في سَوَادِ اللَّيْلِ أقْبَاسَا[١]

ـ [وأرى أن عبيد بن الأبرص أراد بتلك الأوابد ـ أو الألغاز ـ التلميح لامرىء القيس بأن يكون مثل الحبة تُسقى السنابل ومثل السحاب ومثل النجوم، لأنها ـ كما أجاب عليه امرؤ القيس ـ تُخرج الحبة من السنابل أكداساً من الشعير، وتروي السحاب الأرض التي لا نبات بها فتُحْيِيَها. وتضيءُ النجومُ الليلَ المظلم، بدلاً من أن يتهدد ويتوعد بني أسد بالحرب والثأر.

---

(١) ويروى (مَا حَبّة). أكداس: كيمان مكدس بعضها على بعض من الحَبّ. التمساس: المس باليد. المحُول: الأرض التي لا نبات بها. والإيباس: التي لم يبلّها المطر. مرتجات: متعلق بهنّ الرجاء. الأقباس: الأنوار الصادرة عن النيران.

ثم تذكر الروايات ثلاثة أوابد قالها عبيد وأجاب عليها امرؤ القيس، وأرى أن الذي قالها امرؤ القيس ويمكن أن يكون هو الذي أجاب عليها أيضاً لأن عبيداً لم يعرف الإجابة أو لم يرغب في الإجابة، لأن هذه الأوابد نقيض الأولى فيها تلميح بأن امرأ القيس لن يرجع عن وعيده بالحرب والثأر، وسوف يسوق المنايا إلى بني أسد بخيول كندة وفرسان حِمْيَر، حيث] ـ قال عبيد [وربما امرؤ القيس]:

ما القَاطِعَاتُ لأرْضٍ لا أَنِيْسَ بِهَا　　تأتي سِرَاعاً ومَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسَا؟[1]

فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ الرِّيَاحُ إذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا　　كَفَى بأذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَّاسَا[1]

ثم قال:

ما الفَاجِعَاتُ جِهَاراً فِي عَلَانِيَةٍ　　أَشَدُّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَأْسَا؟[2]

فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ المَنَايَا فما يُبْقِيْنَ مِنْ أَحَدٍ　　يَكْفِتْنَ حَمْقَى وما يُبْقِيْنَ أكْيَاسَا[2]

ثم قال:

مَا السَّابِقَاتُ سِرَاعَ الطيْرِ في مَهَلٍ　　لا تَسْتَكِيْنَ وَلَوْ أَلْجَمْتَهَا فَأْسَا؟[3]

فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ الجِيَادُ عَلَيْهَا القَوْمُ قَدْ سَبَحوا　　كانُوا لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَحْلَاسَا[4]

ـ ويعني بذلك فرسان كندة وكتائب حِمْيَر التي توعّدهم بها ـ ثم لَمَّح عبيد لامرىء القيس بأن ما يتوعدهم به هو أحلام، حيث ـ (قال عبيد:

مَا القَاطِعَاتُ لأرْضِ الجَوِّ في طَلَقٍ　　قَبْلَ الصَّبَاحِ وَمَا يَسْرِيْنَ قِرْطَاسَا؟

ويروى (وما يسوين قرطاساً. والقرطاس: الورق). فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ الأَمَانيّ يَتْرُكْنَ الفَتَى مَلِكاً　　دُونَ السَّمَاءِ ولَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَأْسَا[4]

---

(١) الأنكاس: الراجعات وراء ظهورهن. وقوله للتُرب كناساً: يعني أن الرياح تكتسح التراب متى هبت شديدة.

(٢) الفيلق: الفرقة من الجيش. مملوءة بأساً: قوة. يكفتن: يقبضن. الأكياس: العقلاء.

(٣) الفَأس: حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.

(٤) الروع: الفزع يوم الحرب؛ أحلاس: ملازمون كأنهم الأحلاس وهي غطاء ظهر الفرس الذي يكون دون ظهره والسرج. والأماني: جمع أمنية وهي كل ما يتمناه الإنسان من ممكن ومستحيل.

فقال عبيد:

مَا الحَاكِمُونَ بِلا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ ولا لِسانٍ فَصِيْحٍ يُعْجِبُ النَّاسَا؟

ـ ويعني بالحاكمين الحكّام الذين يُنصبهم الناس، وربما أراد التلميح إلى سياسة ونوايا امرىء القيس ـ فقال امرؤ القيس:

تِلْكَ المَوَازِيْنُ والرَّحْمَنُ أَنْزَلَها رَبُّ البَرِيّةِ بَيْنَ النَّاسِ مِقْيَاسَا

ـ ويعني أن الثأر والقصاص هو من تشريع وتنزيل الرحمن رب البرية في الحكم بين الناس. وقد زعم محقق ديوان امرىء القيس في هامش هذا البيت (أن هذه الرواية عريقة في الوضع والنحل) وذلك لأن الرحمن ورب البرية والتنزيل إنما كان في الإسلام بينما امرؤ القيس في الجاهلية ومات قبل الإسلام بسبعين سنة. وأقول: إن النقش المسند الذي أسلفنا ذكره وورد فيه اسم مرثد بن ذي جدن ينطق بعبادة اللّه ذي السماء والأرض الرحمن. وجاء فيه بالحرف «لِيُبَارِكَ الرحمنُ أبناءَهُم شُرَحْبيل وسُمَيْفع.. ومرثد إل يمجد.. صِيغ وسُطِر باسم الرحمن». فذلك دليل قاطع على أن عبادة اللّه الرحمن كانت موجودة باليمن وكانت إحدى الديانات الرئيسية باليمن وهي ديانة توحيدية ذات جذور حنيفية ومسيحية، وبتلك الديانة التوحيدية كان يؤمن الملوك والأقيال الحميريين والكنديين في ذلك العصر باليمن، فلم يكن امرؤ القيس وثنياً ولا مزدكياً ـ كما زعم أحد الدارسين ـ وإنما كان مؤمناً باللّه الرحمن وبالتنزيل الزبوري الإنجيلي، ومما يتصل بذلك أيضاً قوله:

أَتَتْ حِجَجُ بَعْدِي عَلَيْها فأصْبَحَتْ كَخَطِّ زَبُورٍ في مَصَاحِفِ رُهْبَانِ

فليس غريباً أن يذكر امرؤ القيس الرحمن والتنزيل في شعره وفي تلك الأوابد التي دارت بينه وبين عبيد بن الأبرص، وقد أدرك عبيد ـ بعد ذلك ـ أن امرأ القيس لن يتراجع عن وعيده وتخويفه بني أسد بالقتل، فانصرف، ثم قال بعد ذلك الأبيات التي تذكر إحدى الروايات أنه قالها ينفي قيام امرىء القيس بالثأر من بني أسد، والصواب أنه قالها بعد وعيد وتخويف امرىء القيس إياهم بالقتل والثأر، وقبل أن يهاجمهم امرؤ القيس ويأخذ بالثأر. والأبيات هي قول عبيد بن الأبرص بعد انصرافه من عند امرىء القيس، أو «قوله لامرىء القيس:

يا ذَا المُخَوِّفُنَا بِقَتْلِ أبيه إذْلالاً وحَيْنَا

(أَظَنَنْتَ) أنَّكَ قد قَتَلْتَ سَرَاتَنَا كَذِباً ومَيْنَا[1]

---

(١) يروى (أزعمت). ويعني «أضننت بتخويفك إيانا بالإذلال والموت قد قتلت قادتنا ورجالنا فتخويفك إنما هو كذب وأماني».

هَلَّا على حُجْرِ ابْنِ أمِّ قَطَام تَبْكي لا عَلَيْنَا
إنَّا إذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِرَأسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا[١]
نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وبعضُ القوم يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنا
هَلَّا سألْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا هَارِبِينَا
أيام نضربُ هَامَهم ببواتر حتى انحنينا»

يعني الحرس الذين كانوا مع حُجر عندما قتله بنو كاهل حيث كان الحرس من كندة وكان عددهم يسيراً فهربوا، وقد اعترف عبيد بذلك الشعر بأن بني أسد تواطأوا على قتل حُجر ولم يكن القتل من بعض السفهاء كما زعموا حين عرضوا الفداء والديَّة على امرىء القيس، وربما أراد عبيد بذلك الشعر أنْ يرفع معنويات بني أسد، وقد أخذت عشائر وقبائل بني أسد تتجمع إلى مكان واحد قبل انتهاء المهلة التي حددها لهم امرؤ القيس ولكن ليس للمواجهة وإنما للرحيل والهروب إلى بلاد الحِيرة بالعراق وكان بينهم عبيد بن الأبرص نفسه[٢].

وانطلق امرؤ القيس بالفرسان والكتائب عند انقضاء المهلة التي حددها لبني أسد، فوصل إلى منطقتهم وقد رحلوا إلى منطقة بني كِنَانَة، حيث ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ «انتقل بنو أسد عن منازلهم، فنزلوا على قوم من بني كنانة بن خزيمة، فسار امرؤ القيس إليهم، والكنانيُّون لا يعلمون بمسير امرىء القيس إليهم، فطرقهم في جند عظيم، فأغار على الكنانيّين وقتَل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسد..» ـ وذكر ابن الكلبي ـ «أن امرأ القيس كان قد بعث العيون على بني أسد، فنذروا بالعيون وقد لجأوا إلى بني كنانة وكان الذي أنذرهم عِلباء بن الحارث فلما كان الليل قال لهم عِلباء: يا معشر بني أسد تعلمون أن عيون امرىء القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم فارْحلوا بليل ولا تُعْلِموا بني كنانة، فرحلوا، وأقْبَلَ امرؤ القيس بِمَنْ معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد ـ أو أن بني أسد معهم ـ فوضع السلاح فيهم وقال يا لثارات الملك يا لثارات الهمام، فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبَيْتَ اللعن، لسنا لك بثأر، فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس». ثم ـ كما ذكر ابن قتيبة وابن الكلبي والأصفهاني ـ قال امرؤ القيس:

أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي إثْرَ قَوْمٍ ... هُمُ كانُوا الشِّفَاء فلم يُصَابُوا[٣]

---

(١) الثقاف: خشبة تسوى بها الرماح. الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف.

(٢) وقد سار عبيد بن الأبرص إلى الحيرة فيما بعد وأقام بها حيث جاء في ترجمته «عبيد بن الأبرص قتله المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه».

(٣) جاء صدر البيت في الأغاني والديوان (ألَا يا لهف هند..) وقوله (إثر قوم: يعني بني أسد) وأراد بالشفاء أنهم كانوا شفاء نفسه لو أصابهم.

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ   وبالأَشْقَيْنِ مَا كَانَ العِقَابُ(١)
وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً   ولو أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ

يعني عِلباء بن الحرث الكاهلي وهو من قتلة الملك حُجْر، فأفلت وهرب من الخيل جريضاً. والجريض: غصص الموت، يريد أفلت مجهوداً مرعوباً يكاد يموت، صَفِر: خلا. الوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن. يريد أن جسمه بقي صِفراً من حياته كما يخلو الوطب من اللبن. وقوله (.. ببني أبيهم وبالأشقين) جاء في الأغاني أنه (يعني ببني أبيهم بني كنانة لأن أسداً وكنانة ابني خزيمة أخوان) وجاء في هامش البيت بالديوان «بنو أبيهم بني كنانة الأشقين لأنهم حلّ بهم العقاب دون بني أسد). وتدل كلمة (الأَشْقَيْنِ) على أنه في ذلك المسير كان قول امرىء القيس بيتين في الديوان هما قوله:

الخَيْرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وما غَرَبَتْ   مُطَّلَبٌ بِنَوَاصِي الخَيْلِ مَعْصُوبُ
صُبَّتْ عَلَيْهِ وما تَنْصَبُّ مِنْ أَمَمٍ   إنَّ البَلَاءَ على الأَشْقَيْنِ مَصْبُوبُ

ويتفق البيت الأول مع الحديث النبوي: «الخير مَعْقُود بنواصيها الخير»(٢).

وقد ذكر ابن قتيبة أن امرأ القيس أغار على منطقة بني كنانة «في جند عظيم» ويتفق ذلك مع قول امرىء القيس لبني أسد لما أوعدهم «فرويداً ينكشف لكم دُجاها عن فرسان كندة وكتائب حِمْيَر» بينما جاء في رواية الأغاني وابن الكلبي أنه كان مع امرىء القيس (بني بَكْر وتَغْلِب) وهذا يعني أن عشائر بني بكر بن وائل وتغلب الذين بتلك المناطق انضموا إلى امرىء القيس وساروا معه أيضاً، وهم من الذين كانوا قد دخلوا في طاعة المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة مما يعني أيضاً أنه دخل مناطق نفوذ المنذر بن ماء السماء الواقعة بين شرق اليمامة والحيرة. ثم (سار من منطقة كنانة وتتبع بني أسد ذات ليلة، ففاتوه ليلته تلك)، وذكر ابن قتيبة، وكذلك جاء في الديوان أنه «لما هاجم بني كنانة، وفَاتَه بنو أسد، ونَجَت بنو كاهل من بني أسد فلم يظفر بهم قال امرؤ القيس:

يَا لَهْفَ (نَفْسِي) إذْ خَطِئْنَ كَاهِلَا   القَاتِلِيْنَ المَلِكَ الحُلَاحِلَا
تَاللَّهِ لا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلاً(٣)

---

(١) جدهم: حظهم. والأشقين: جمع أشقى، أي وقىٰ بني أسد حظهم حيث وقع العقاب بكنانة بني أبيهم.

(٢) ديوان امرىء القيس ـ ص ٣٣. وجاء في الهامش (أَمَم: قرب؟).

(٣) يا لهف نفسي: يا حسرة نفسي. وجاء في الديوان (يا لهف هند) ولكن رواية ابن قتيبة أرجح =

حَـتَّـى أَبِـيْـرَ مَـالِـكـاً وكَـاهِـلَا   خَـيْـرَ مَـعَـدٍّ حَـسَـبـاً ونَـائِـلَا
(بِـخَـيْـرِهـم) قَـدْ عَـلِـمُـوا شَـمَـائِـلَا[١]
نَـحْـنُ جَـلَـبْـنَـا الـقُـرَّحَ الـقَـوَافِـلَا   يَـحْـمِـلْـنَـنَـا والأَسَـلَ الـنَّـوَاهِـلَا
وحَـيِّ صَـعْـبٍ والْـوَشِـيْـجَ الـذَّابِـلَا[٢]
مُـسْـتَـفْـرِمَـاتٍ بـالـحَـصَـىٰ جَـوافِـلَا   يَـسْـتَـشْـرِفُ الأَوَاخِـرُ الأَوَائِـلَا»[٣]

ثم ـ وكما ذكر ابن قتيبة ـ «تتبع امرؤ القيس بني أسد فأدركهم وقَتَل فيهم قتلاً ذريعاً» ـ وجاء في كتاب الأغاني أنه: «كان بنو أسد حامون على الماء، فنَهَد إليهم، فقاتلهم حتى كثرت القتلى والجرحى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد». وقد ذكر ابن قتيبة وكذلك جاء في الأصمعيات وديوان امرىء القيس أنه (قال عندما نال من بني أسد وأخذ بثأره الأبيات التالية) ـ ومنها البيتان التاليان في الديوان:

يَـا دَارَ مَـاوِيَّـةَ بِـالْـحَـائِـلِ   فَـالسَّـهْـبِ فَـالْـخَـبْـتَـيْـنِ مِـنْ عَـاقِـلِ
صُـمَّ صَـدَاهَـا وعَـفَـا رَسْـمُـهـا   وَاسْتعجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ[٤]

وبقية الأبيات ذكرها ابن قتيبة وهي مذكورة في الأصمعيات والديوان وهي:

قُـولَا لِـدُوْدَانَ عَـبِـيْـدِ الْـعَـصَـا   مَـا غَـرَّكُـمْ بِـالأَسَـدِ الـبَـاسِـلِ
قَـدْ قَـرَّت الْـعَـيْـنَـانِ مِـنْ (مَـالِـكٍ)   ومِـنْ بَـنـي عَـمْـرٍو وَمِـنْ كـاهِـلِ[٥]

= وهي (يا لهف نفسي). وجاء في الهامش بالديوان (هند: هي أخت امرىء القيس) وقد جاء في موضع آخر (هند بنت امرىء القيس). وقوله (الملك الحُلاحلا) الحُلاحل: ـ بضم الحاء الأولى ـ السيد في قومه الركين في مجلسه، والجمع (حلاحل) بفتح الحاء الأولى. وكان حجر شيخاً كبيراً لما قتلوه.

(١) مالك: من بني حنظلة. وكاهل: من بني أسد، وقد وصفهما بخير قبائل معدّ، فجعلهم أكفاء بدم حجر في قوله بخيرهم. ويروى (وخيرهم).

(٢) القرح: الخيل. القوافل: الضُّمر من الخيل. الأسل: الرماح. النواهل: العطاش إلى الدماء. وجاء في الهامش بالديوان (حيّ صعب: من أحياء بني أسد وكانوا في جانب امرىء القيس) والمعروف أنهم من بني سعد العشيرة من مذحج. والوشيج الذابل: الرمح الليّن.

(٣) مستفرمات بالحصى: يريد أن الخيل تضرب الحصى بسنابكها فتتاطير من خلفها حتى تصل ما بين أفخاذها.
والجوافل: السراع. يستشرف: يعلو. وقد يكون الأصوب (تستشرف) يعني الخيل.

(٤) الحائل والسهب والخبتين وعاقل: أسماء أماكن. صمّ صداها: بادت حتى لا صدى لها. واستعجمت: لا تجيب سائلاً.

(٥) دودان: بنو أسد. وقوله (من مالك) يروى (من وائل) والصواب (من مالك) وهم الذين تواطأوا في قتل حجر من بني حنظلة.

وِمِـنْ بَـنِـي غُـنْـمِ ابْـنِ دُوْدَانَ إِذْ نَـقْـذِفُ أَعْـلَاهُـمْ عَـلى السَّـافِلِ[1]

نَـطْعَـنُـهُـمْ سُـلْكَـى وَمَـخْـلُـوجَـةً كَـرِّكَ لأَمَـيْـنِ عَـلَـى نَـابِـلِ[2]

إِذْ هُـنَّ أَقْـسَـاطُ كَـرِجْـلِ الـدَّبَـا أَوْ كَـقَـطَـاً كـاظِـمَـةَ الـنَّـاهِـلِ[3]

حَـتَّـى تَـرَكْـنَـاهُـمْ لَـدَى مَـعْـرَكٍ أَرْجُـلُـهُـمْ كـالـخَـشَـبِ الـشَّـائِلِ[4]

حَـلَّـتْ لِـيَ الـخَـمْـرُ وكُـنْـتُ امْـرأً عَـنْ شُـرْبِـهَـا فـي شُـغُـلٍ شَـاغِـلِ

فـالـيَـوْمَ أَشْـرَب غَـيْـرَ مُـسْـتَـحْـقِـبٍ إِثْـمـاً مِـنَ الـلَّـهِ وَلَا وَاغِـلِ»[4]

* * *

لقد انتهت بذلك قضية الثأر من بني أسد، ووفىٰ امرؤ القيس باليمين التي حلفها بأن لا يشرب حتى يأخذ بالثأر فقد قتل فيهم قتلاً ذريعاً حيث كان القتلى أكثر من مائة، ولذلك قال:

فـاليومَ أشْربُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إثْـمـاً مِـنَ الـلَّـهِ ولا واغِـلِ

وهربت بقية قبيلة بني أسد إلى بلاد الحيرة التي كان يحكمها المنذر بن ماء السماء.

ثم إن امرأَ القيس أراد أن يتتبع بني أسد إلى داخل بلاد الحيرة، وكان ذلك بمثابة ذريعة لكي يهاجم ويحارب المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة. وقد جاء في رواية كتاب الأغاني الخبر السالف بأنه (كان بنو أسد حامون على الماء، فنهد إليهم امرؤ القيس فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد». ثم تقول الرواية أن امرأَ القيس أراد أن يتتبعهم «فأبَتْ بكر وتَغْلِب أن يتبعوهم، وقالوا له: قد أصبت ثأرك. قال: واللّه ما فعلت، ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً» - يعني لم يقتلهم بنفسه - «قالوا: بَلىٰ، ولكنك رجل مشؤوم وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه» - والأصوب أنهم كرهوا قتال المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والجُنَد والقبائل الذين معه،

---

(١) دودان: قبيلة من بني أسد تضم بني كاهل وبني عمرو وبني غُنم وغيرهم. وعبيد العصا: الذين يُساقون بها ذلة وهوانا.

(٢) السلكى: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه. المخلوجة: غير المستقيمة. كرّك لأمين: مثنى (لأم) يقال (سهم لأم) أي عليه ريش لؤام يلائم بعضه بعضاً. النابل: الرامي بالنبل. يريد: يذهب الطعن فيهم ويرجع كما ترد سهمين على رام رمى بهما.

(٣) أقساط: جماعات. كرجل الدَّبا: كفرق الجراد. القطا: طير معروف يكتظ عند مناهل المياه ويطير أسراباً. كاظمة: اسم مكان بمنطقة الخليج بالقرب من العراق وهي الكويت حالياً. الناهل: النازل على الماء.

(٤) الشائل: المرتفع، غير مستحقب: غير حامل. الواغل: الداخل على القوم وقت شربهم بلا إذن.

وكان ذلك هو أيضاً موقف كتائب حِمْيَر الذين معه، والذين عادوا إلى اليمن.

قال الأصفهاني: «وقال ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة وابن قتيبة: لمّا امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج - امرؤ القيس - إلى اليمن فاستنصر أزد شنوءة(١) فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا(٢) فنزل بقيل يدعى مَرثَد الخير بن ذي جَدَنْ الحميري وكانت بينهما قرابة فاستنصره واستمدّه، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَر، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم وقام بالمملكة بعده رجل من حِمْيَر يقال له قرمل(٣).

فردد امرأَ القيس وطوّل عليه حتى هَمّ بالإنصراف وقال:

وإذْ نحن ندعو مَرثَد الخَيْر ربّنا وإذْ نحنُ لا نَدْعِي عبيداً لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيش، وتبّعه شذاذٌ من العرب واستأجر من قبائل العرب رجلاً، فسار بهم..»(٤)- ويمكن تقدير زمن ذلك بحوالي عام ٥٣٢ ميلادية - ولم تذكر الرواية المنطقة التي سار إليها امرؤ القيس وهي منطقة تابعة لحكم ونفوذ المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في أقصى إقليم اليمامة ونجد وتخوم بلاد الحيرة، ويبدو أن امرأَ القيس أخذ يجمع الجند والقبائل في تلك المنطقة للغزو مما أدى إلى سرعة تحرك المنذر بن ماء السماء حيث قال الأصفهاني في روايته السالفة عن ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة ما يلي: «قالوا: وألَحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ، ولم تكن لهم طاقة، وأمدّه كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة، فسرّحهم في طلبه، وتَفَرّق حِمْيَر ومن كان معه، فَنَجَا في عصبة من بني آكل المُرَار»(٤).

وجاء في كتاب الأدب العربي وتاريخه أنه «علم بمكانه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فوجّه الجيوش في طلبه، فتفرقت عنه عصبة حِمْيَر، ونجا في جماعة من بني آكل المُرار»(٥).

---

(١) أزد شنوءة: هم قبائل الأزد الذين بمنطقة عسير والسراة بأعالي اليمن إلى تخوم الطائف.

(٢) إخواننا وجيراننا: يعنون القبائل التابعة للمنذر ملك الحيرة غالباً لأن منهم قبائل من الأزد وقضاعة وطيىء.

(٣) قال نِشوان الحميري في شمس العلوم «قرمل - بفتح القاف واللام -، القَرْمَلُ نباتٌ من نبات السَّهْل. وقَرْمَلُ ابن عمرو بن قَطَن: ملك من ملوك حِمْيَر. قال امرؤ القيس:

وَكُنّا أُنَاساً قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ وَرِثْنَا العُلَى والمَجْدَ أكْبَرَ أكْبَرَا»

[ص ٨٦/ المنتخب]

(٤) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ص ٦٨ جـ ٧.

(٥) في الأدب العربي وتاريخه - تأليف لجنة من الأساتذة العرب - ص ٤٩.

وقال ابن قتيبة: «ثم إنَّ المنذرَ بن ماءِ السماءِ غزا كندةَ فأصاب منهم، وأسَرَ اثني عشرَ فتًى من ملوكهم ـ أي من بني آكل المُرَار ـ فأَمر بهم فقُتِلوا بمكان بين الحيرة والكوفة، يقال له جَفْرُ الأَملاك، وكان امرؤ القيس يومئذٍ معهم، فهرب حتى لجأَ إلى سعد بن الضَّبَاب الإيَاديّ، سيّدِ إياد، فأجاره»(١).

ويتبين من مجمل ذلك أن الصراع لم يكن مع بني أسد، فقضية بني أسد كانت قد انتهت وقد أخذ امرؤ القيس بثأر أبيه منهم وهرب بقيتهم إلى بلاد المنذر ودخلوا في طاعته، ولكن امرأ القيس لم يكتف بذلك وبأن يكون ملكاً في منطقة وعاصمة حكم أبيه باليمامة وما إليها من نجد وإنما أراد محاربة المنذر واستعادة مُلْك جده الحارث بن عمرو وعمه شُرحبيل بن الحارث ببلاد الحيرة وشرق شمال إقليم اليمامة، وأمده قرمل بن عمرو الحميري بمائة وخمسين من الفرسان الحميريين وجمع إمرؤ القيس واستأجر رجالاً مقاتلين من بعض القبائل، وسار من مدينة (القُرَيَّة) عاصمة الحكم الكندي بإقليم اليمامة إلى تخوم بلاد الحيرة، فوجَّه إليه المنذر جيشاً من قبائل إياد وبهراء وتنوخ ـ وكانت بهراء وتنوخ من القبائل اليمنية القضاعية الحميرية بإقليم الحيرة بالعراق ـ وكذلك أَمَدَّ الملك الفارسي كسرى أنوشروان المنذرَ بجيش من الأساورة ـ أي الفُرسان الفُرس ـ فسارت جيوش المنذر العربية والفارسية لقتال امرىء القيس والذين معه فلم يكن لهم طاقة بجيوش المنذر، فتفرّق الحميريون والقبائل الذين مع امرىء القيس، ونجا هو في جماعة من كندة، وأدى ذلك إلى زوال ونهاية حكم امرىء القيس حتى من المناطق التي كانت تحت حكم أبيه، وتلك المواجهة مع المنذر هي (غزوة قَرْمَل) لأن الجنود الحميريين الذين كانوا معه هُم الذين أمدّه بهم قرمل الحميري، حيث قال امرؤ القيس:

وكُنّا (ملوكاً) قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ وَرِثْنَا العُلَىٰ والمَجْدَ أكْبَرَ أكْبَرَا

وبذلك انْتَهىٰ الحكم الكندي في أقاليم اليمامة والبحرين ونجد ـ شرق وشمال الجزيرة ـ الذي بدأ بملوكية حُجْر آكل المرار بن عمرو الكندي في عهد تُبّع ملشان أول تبابعة الدولة الحميرية ـ في أوائل القرن الرابع الميلادي ـ وانتهى بامرىء القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المُرار في عهد (شُمَيْفَع أشوع ملك حِمْيَر) آخر تبابعة الدولة الحميرية في ذلك العصر ـ بالقرن السادس الميلادي، حوالي عام ٥٣٢ ميلادية، فكانت مدة حكم كندة بشمال وشرق الجزيرة نحو ٢٢٠ سنة.

* * *

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٧.

وقد لجأ امرؤ القيس بعد ذلك ـ وكما ذكر ابن قتيبة ـ (إلى سعد بن الضَّبَاب الإيَاديّ، سيّد قبيلة إياد) وكانت قبيلة إيّاد تسكن بالعراق وبالمناطق المتاخمة لها من شمال الجزيرة ـ غالباً ـ وكانت إياد حليفة اليمن واليمنيين منذ عصور سابقة حيث قال الهمداني في حديثه عن حلف اليمن وربيعة في عهد أسعد تُبّع أنه «صارت ربيعة بذلك الحلف من بني قحطان كما صارت قبلهم إياد، وحليف القوم منهم»[١]. قال ابن قتيبة: «لجأ امرؤ القيس إلى سعد بن الضباب الإيَاديّ، سيد إياد، فأجاره، وكان ابن الكلبيّ يذكر: أَن أمَّ سعد بن الضباب كانت عند حُجْرٍ أبي امرىء القيس، فتزوَّجها الضَّباب فولدت سعداً على فراشه، واستشهد على ذلك بقول امرىء القيس:

يُـفَـكِّـهُـنـا سَـعْـدُ ويُـنْـعِـمُ بـالَـنـا ... ويَـغْـدُو عَـلَـيْـنا بـالـجِـفانِ وبـالـجُـزُرْ
ونَـعْـرِفُ فـيـه مِـنْ أَبِـيـهِ شَـمَـائِـلاً ... ومِنْ خالِهِ، ومِنْ يَزيدَ، ومن حُجُرْ

ـ قال ابن قتيبة ـ: وهذا الشعر يدلُّ على أن العربَ كانت في الجاهلية تَرَى الولَد للفراش»[٢]. وهذا الشعر من قصيدة في الديوان أثْنَىٰ فيها امرؤ القيس على سعد بن الضباب الإيادي، وقد قالها أثناء إقامته عنده، وهي:

لَعَمْرُكَ مَا قَلْبي إلى أهلـه بِحَرْ ... ولا مُقْصِرٍ يَوْماً فَيأْتِيني بِقَرْ[٣]
إلا إنَّـمَـا ذا الـدَّهْـرُ يـومٌ ولـيـلـةٌ ... ولَيْسَ عَلى شَيْءٍ قَوِيمٍ بمُسْتَمِرْ[٣]
لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ ... أَحبُّ إلَيْنا مِنْ لَيَالٍ على أُقُرْ[٤]
أُغَادِي الصَّبُوحَ عِنْدَ هِرٍّ وَفَرْتَنَا، ... وَلِيداً، وَهَلْ أفْنَى شَبَابي غَيْرُ هِرْ[٥]
إذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ ... مُعَتَّقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التُّجُرْ[٦]
هُمَا ظَبْيَتَانِ مِنْ ظِبَاءِ تَبالَةٍ ... على جُؤْذُرَيْنِ أَوْ كبَعْضِ دُمَى هَكِرْ[٧]

---

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤١٦.
(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٧ ـ وجاء في الهامش تعليقاً على كلام ابن قتيبة «هذا استنباطٌ بعيد، لا يدل عليه الشعر الذي استنبط منه».
(٣) لعمرك: وحياتك بِحَرْ: يعني أن قلبه لم يصبر ولم يجد حراً. ولا مقصراً: ولا نازعٌ وتاركٌ. فيأتيني بِقر: أي لم أقو على الصبر عنهم فأستقر، والقر: القرار. قويم: مستقيم: مستمر: دائم.
(٤) ذات الطلح: أرض ينبت فيها شجر الطلح. محجر: موضع قريب من بلاد طيىء.
(٥) أغادي الصبوح: أشرب الشراب في أول النهار. وليداً: يعني في أول شبابه. هر: اسم امرأة وهي ابنة سلامة بن علند العامري، فهي غير (هر بنت عبيد) التي اسمها فاطمة، والاثنتان من قضاعة، وفرتنا: اسم امرأة وهي من لدات هر بنت سلامة.
(٦) مدامة معتقة: خمرة قديمة. التجر: التجار.
(٧) تَبالة وهكر: منطقتان باليمن. الجؤذر: ولد البقرة. دُمى هكر: تماثيل ورسوم مدينة هكر باليمن.

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا ... بِرَائِحَةٍ مِنَ اللَّطِيمَةِ والقُطُرْ[١]

كَأَنَّ التِّجَارَ أَصْعَدُوا بِسَبِيئَةٍ ... مِنَ الخُصِّ حتَّى أَنْزَلُوهَا عَلى يَسَرْ[٢]

فَلَمَّا اسْتَطَابُوا صُبَّ في الصَّحْنِ نِصْفُهُ ... وَشُجَّتْ بِمَاءٍ غَيْرِ طَرْقٍ ولا كَدِرْ[٣]

بِمَاءِ سَحَابٍ زَلَّ عَنْ مَتْنِ صَخْرَةٍ ... إلى بَطْنِ أُخْرَى طَيِّبٌ مَاؤُها خَصِرْ[٣]

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ (سرَّنِي) وَسْطَ حِمْيَرٍ ... وأَقْوَالِها إِلَّا المَخِيلَةُ والسَّكَرْ[٤]

وغَيْرُ الشَّقَاءِ المُسْتَبِينِ فَلَيْتَنِي ... أُجِرَّ لِسَانِي يَوْمَ ذَلِكُمُ مُجِرْ[٥]

لَعَمْرُكَ مَا سَعْدُ بِخُلَّةِ آثِمٍ ... ولا نَأْنَاءٍ يَوْمَ الحِفَاظِ ولا حَصِرْ[٦]

لَعَمْرِي لَقَوْمٌ قَدْ نَرَى في دِيَارِهِمْ ... مَرَابِطَ للأَمْهَارِ والعَكَرِ الدَّثِرْ[٧]

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ بِقُنَّةٍ ... يَرُوحُ عَلَى آثَارِ شَائِهِمُ النَّمِرِ[٧]

لَعَمْرِي لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَابِ إِذَا غَدَا ... أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ يَا فَرَسُ حَمِرْ[٨]

يُفَاكِهُنَا سَعْدُ ويَغْدُو لِجَمْعِنَا ... بِمَثْنَى الزِّقَاقِ المُتْرَعَاتِ وبالجُزُرْ[٩]

---

(١) تضوع: فاح وانتشر. اللطيمة: نوع من المسك الأزفر. القطر: العود.

(٢) اصعدوا: ساروا. السبيئة: نوع من الخمر. الخص: مدينة كانت بالشام تجيد عمل الخمر. يسر: قرية كان امرؤ القيس مقيماً بها.

(٣) استطابوا: أخذو طيبة. الصُحن: قدح كبير. شجت: مُزجت. غير طرق: غير ملوث. بماء سحاب: أي أن الماء الذي مزجت به هو ماء سحاب زل عن صخرة وانحدر لصخرة أخرى لم يمس التراب ولم يلوثه شيء. خصر: بارد.

(٤) جاء صدر البيت في الديوان (لعمرُك ما إن ضَرّني وسط حِمْيَر). أقوالها: أقوال حِمْيَر، وهم الأقيال. قال نشوان الحميري في شمس العلوم «القَيْلُ: الملِكُ من ملوك حِمْيَر، والجمع أقوال. قال علقمة بن ذي جدن:

كَانَتْ لِحِمْيَرَ أَمْلاكُ ثَمَانِيَةٌ ... كَانُوا مُلُوكاً وكَانُوا خَيْرَ أَقْوَالِ»

[ص ٨٩ ـ منتخب شمس العلوم]

(٥) المستبين: الواضح. أجر لساني: أي منعت لساني من الكلام كما يمنع الفصيل من الرضاع، والمجر: فاعل ذلك.

(٦) خلة: صداقة ومودة. آثم: مرتكب الإثم. النأنأ: الضعيف المقصر في الأمور. يوم الحفاظ: يوم الجد والقتال. لا حصر: لا ضيق الصدر.

(٧) العكر: المال الكثير ولا يطلق إلا على الإبل. قال الخليل: العكر ما زاد على خمسمائة من الإبل. الدثر: الكثير. القنة: رأس الجبل. شاء: غَنَم.

(٨) يا فرس الحمر: يا منتن الفم، والفرس الحمر الذي أكل شعيراً كثيراً حتى سنق فصار منتن ريح الفم. ويعني: هانيء بن مسعود الشيباني.

(٩) جاء البيت هكذا في الديوان. يُفاكهنا: يمازحنا ويضاحكنا. يغدو: يبكر. مثنى الزقاق: أي يأتينا بزقاق الخمر مثنى مثنى. والمترعات: الممتلئات. الجزر: ما ينحر لنا من البهائم. ويدل قوله (يغدو لجمعنا) على وجود جمع من كندة مع امرىء القيس.

وَنَعْرِفُ فِيْهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلاً ... وَمِنْ خالِه أو مِنْ يَزِيْدَ وَمِنْ حُجُرْ
سَمَاحَةَ ذَا، أو بِرَّ ذَا، وَوَفَاءَ ذَا، ... ونَائِلَ ذَا، إِذَا صَحَا، وإذا سَكِرْ

يعني سماحة أبيه وبرّ خاله ووفاء يزيد ونائل وعطاء حُجْر الكندي. وقد جاء في تلك القصيدة ذكر قرية «يَسَرْ» وهي قرية كان امرؤ القيس يقيم فيها، وجاء ذكرها أيضاً في أبيات أخرى بالديوان حيث «قال امرؤ القيس في وصف الغيث:

دِيْمَةٌ هَطْلَاءُ فِيْهَا وَطَفٌ ... طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرْ[1]
تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْحَذَتْ ... وَتُوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرْ[2]
وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفاً مَاهِراً ... ثَانِياً بُرْثُنَهُ مَا يَنْعَفِرْ[3]
وَتَرَى الشَّجْرَاءَ فِي رَيِّقِهَا ... كَرُؤُوسٍ قُطِّعَتْ فِيْهَا الْخُمُرْ[4]
سَاعَةً ثُمّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ ... سَاقِطُ الأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرْ[5]
رَاحَ تَمْرِيْهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَىٰ ... فِيه شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ[6]
ثَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ أَذِيِّهِ ... عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٌ فَيُسُرْ[7]
قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ ... لَاحِقُ الأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرْ»[8]

ولما أراد امرؤ القيس أن يرحل من عند سعد بن الضباب حاول سعد إقناعه بالبقاء فقال امرؤ القيس يُثني عليه:

مَنَعْتَ اللَّيْثَ مِنْ (آل) ابْنِ حُجْرِ ... وَكَادَ اللَّيْثُ يُودِي بابْنِ حُجْرِ

---

(١) ديمة: مطرة دائمة في سحها يوماً وليلة. هطلاء: مسبلة. فيها وطف: لها حواش وأهداب متدلية من جانبيها حتى لتكاد تمس الأرض. طبق الأرض: تعم الأرض حتى تصير لها كالطبق. تحرى: تقصد وتعتمد. تدر: تصبّ.

(٢) تخرج الود: تبدي الوتد وهو ما تربط به أطناب البيوت. أشحذت: كَفَّتْ تُواريه: تغطيه وتخفيه. تشتكر: تحتفل وتشتد.

(٣) الماهر: السباح الحاذق. برثنه: أصبعه. ما ينعفر: ما يصيبه التراب.

(٤) الشجراء: الغابة الكثيرة الشجر. ريقها: مستهلها، أي أول المطر. الخمر ـ بالضم ـ جمع خما وهو ما يتخمر به الوجه أي يُغطى به.

(٥) انتحاها: اعتمدها وقصدها. الوابل: المطر الشديد. الأكناف: النواحي. واهٍ: متخرق متشقق. منهمر: سائل شديد الوقع.

(٦) راح: عاد في أواخر النهار. تَمْرِيْه الصَّبَا: تستدره ريح الصَّبَا. شؤبوب جنوب: مطر ريح الجنوب. منفجر: غزير شديد.

(٧) ثج: صب. أذِيّه: مَوْجه. عرض: رحاب. خيم وخفاف ويسر: أسماء أماكن منها قرية يسر.

(٨) أنفه: أوله. لاحق: ضامر. الأيطل: الخصر. محبوك: مدمج شديد الخلق. مُمَر: مفتول العضل غير مترهل اللحم.

مَـنَـعْـتَ فـأَنْـتَ ذُو مَـنٍّ ونُـعْـمَـى عَلَيَّ ـ ابن الضَّبَابِ ـ بِحَيْثُ نَدْرِي
سَـأَشْـكُـرُكَ الَّـذي دَافَـعْـتَ عَـنِّـي وَمَـا يَـجْـزِيْـكَ مِـنِّـي غَـيْـرُ شُـكْـرِي
فَـمَـا جَـارٌ بِـأَوْثَـقَ مِـنْـكَ جَـارَاً وَنَـصْـرُكَ لِـلْـفَـرِيْـدِ أَعَـزُّ نَـصْـرِ

وقد جاء صدر البيت الأول في الديوان المطبوع «منعتَ الليثَ من أكل ابن حجر» والصواب ـ فيما نرى ـ «منعت الليث من آل ابن حُجْر» ويعني نفسه فهو الليث هنا كما في قوله في شعر سابق «ما غركم بالأسد الباسل» يعني بالأسد نفسه، ويعني هنا منعت عني الأعداء أو جعلتني ذا منعة ثم قال «وكاد الليثُ.. إلخ». ويعني بالليث في عجز البيت المنذر ملك الحيرة، ولم يمنع سعد بن الضباب المنذر من امرىء القيس وإنما لم يتتبعه المنذر عندما لجأ إلى سعد وقبيلته إياد، وذلك لأن قبيلة إياد لم تكن من القبائل والمناطق التي كان يحكمها والد امرىء القيس فلم ير المنذر من إقامته هناك أي خطر، ولذلك اختلف موقف المنذر عندما سار امرؤ القيس والذين معه من هناك إلى منطقة قبيلة حنظلة التميمية التي كانت تحت حكم أبيه، فقد استشعر من ذلك أنه إنما يريد استعادة ملكه وإعادة تلك القبائل تدريجياً إلى طاعته، فبادر المنذر إلى التحرك حيث، وكما جاء في كتاب الأغاني وكتاب تاريخ الأدب: «سار امرؤ القيس في جماعة من بني آكل المُرَار حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة، وقلّما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يُوعده بالحرب إنْ لم يُسَلِّم بني آكل المُرار، فأسلمهم ـ أو تخلّى عنهم ـ فَنَجَا ـ أو سار ـ امرؤ القيس.. إلى أرض طيء»(١).

* * *

لقد شاع في بعض الكتابات عن امرىء القيس تصوير حياته بعد قضية الثأر من بني أسد والصدام مع المنذر بأنه أخذ يتنقل بين القبائل، وعلى النحو الذي يذكره مطهر الأرياني في ترجمة امرىء القيس بكتاب الموسوعة حيث يقول ما يلي نصه: «وأهدر كسرى ـ أنو شروان ـ والمنذر دمه، وأوكلوا أمر مطاردته إلى فرسان أعدائه وهم كُثر، فأخذ يتجوّل شريداً بين من بقي له من أصدقاء من القبائل والعشائر، مستصرخاً ومستنجداً حيناً، وخائفاً متوارياً حيناً آخر»(٢).

وأقول: إن ذلك مخالف للحقيقة، ومقولة (أهدر كسرى والمنذر دمه) ليس لها أصل ولا صحة، فلم يتتبعه ويطارده أحد عندما أقام عند سعد بن الضباب الأيادي سيد قبيلة إياد بالرغم من أن قبيلة إياد من رعايا المنذر ومنضوية في طاعته، فلما

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٨/٧ الأدب العربي وتاريخه ـ ص ٤٩.
(٢) الموسوعة اليمنية ـ ترجمة امرىء القيس ـ ص ١٣٢.

انتقل امرؤ القيس إلى قبيلة ومنطقة بني حنظلة استشعر المنذر خطراً من ذلك فهدد وتوعد الحارث بن شهاب وبني حنظلة بالحرب فخافوا وتخلوا عن امرىء القيس وبني آكل المرار، بل إن رواية الأصفهاني وابن الكلبي تقول إن امرأ القيس لجأ إلى سعد بن الضباب الإيادي بعد ذلك وليس قبل ذلك، والأصوب ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ أنه نزل أولاً عند سعد بن الضباب، والمهم أنه لم يتعرض للمطاردة. وقد انتقل من منطقة بني حنظلة إلى مناطق قبيلة طيء فتوقف المنذر عن متابعته نهائياً. وقد زعمت الموسوعة أنه «أخذ يتجوّل شريداً بين من بقي له من أصدقاء.. مستصرخاً ومستنجداً حيناً، وخائفاً متوارياً حيناً آخر». والواقع أن ذلك غير صحيح فقد انتقل امرؤ القيس إلى مناطق قبيلة طيء وعاش فيها عدة سنوات وطاب له المقام فيها وقال أشعاراً كثيرة تدل على أن تلك الفترة هي أيضاً من الفترات الهامة في إبداعاته الشعريَّة وليس في تاريخ حياته فقط، بل إنه عندما تخلى عنه بنو حنظلة لم يخرج من عندهم خروج هارب أو شريد، وإنما ـ وكما جاء في كتاب الأغاني وكتاب الأدب العربي وتاريخه ـ فإنه:

«سار امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث بن عمرو الكندي وابنته هند بنت امرىء القيس، والأدرع والسلاح، ومال كان بقي معه، ومضى إلى أرض طيء، ونزل عند المعلى بن تيم الطائي، وأقام عنده، واتخذ إبلاً، وكان عندهم ما شاء الله» [اهـ].

فقد كان مع امرىء القيس لما خرج من منطقة بني حنظلة إلى طيء (الأدرع والسلاح) وهي خزائن السلاح التي تُوصف بأنها «كنزاً كندياً تليداً من الدروع والسلاح» حيث «كانت مع امرىء القيس أدْرَاعه الخمسة المشهورة: الفضفاضة، والضافية، والمحصنة، والخريق، وأم الذيول، وكنّ لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك».

وقد عاتب امرؤ القيس وهجا بني حنظلة بسبب موقفهم الذليل، حيث جاء في الديوان أنه «قال يهجو بني حنظلة:

أَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ إذا مَا لقَيتَهُمْ ... وأَبْلِغْ بَنِي لُبْنَى وأَبْلغْ تُمَاضِرَا
وأَبْلِغْ ولا تَتْرُكْ بنِي ابْنَةِ مِنْقَرٍ ... أُفَقِّرُهُمْ إنِّي أُفَقِّرُ خَابِرَا
أَحَنْظَلَ لَوْ كُنْتُم كِراماً صَبرْتُمُ ... وَحُطتُّمْ، وَلا يُلْفَى التَّمِيْمِيُّ صَابِرَا»(١)

وقوله (أُفَقِّرُهُمْ) أي أرميهم بالفواقر وهي الدواهي، ويعني أنه يهجوهم فيقصم

(١) بنو زيد وبنو لبنى وتماضر وبنو منقر هم عشائر وبطون من بني حنظلة التميميين.

ظهورهم، والخابر: الخبير العالم بهم، وقد رماهم بأنهم غير كرام لا يصبرون، ولا يُوجد ـ ولم يوجد ـ التميمي صابِراً أبداً. فكان قوله (ولا يُلفى التميمي صابراً) كالمثل.

وقد وجد امرؤ القيس الترحيب عند قبيلة طيء وفي مناطق طيء. وغني عن البيان أن قبيلة طيء قبيلة يمنية، وهم ـ كما جاء في الإكليل ـ قبيلة (طيء بن أدد بن زيد بن عَريب بن كهلان بن سبأ) وكان (طيء أخو مَذْحج بن أدد)[١] ولكن فريقاً آخر يذكر أنهم قبيلة من مذحج، وقد ذكر الأصفهاني نسبهم كما يلي نصه: «طيء بن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عَريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»[٢].

وكانت منطقة الجوف باليمن هي الموطن الأصلي لقبيلة طيء، وانتشروا إلى مناطق من اليمامة ونجد حتى الحيرة وحتى بادية الشام، في مراكز الطرق والقوافل التجارية، فكانوا همزة وصل للنشاط التجاري في عصر الدولة الحميرية، وكانت منطقة (جبلي أجا وسلمى) في نجد أهم منطقة رئيسية لقبيلة طيء حيث سكنتها العديد من بطون قبيلة طيء. قال الأستاذ أحمد أمين: «كانت طيء تسكن الجبلين الشهيرين أجا وسلمى، وهما المعروفان الآن بجبل شمّر، وقد سكنتهما طيء قبل الإسلام، واشتهر ذكرها حتى كان السريان والفرس يُسمّون كل العرب طيئاً»[٣].

وقد رحَّبت طيء بامرىء القيس، ونزل عند المُعَلَّىٰ بن تيم الطائي وهو عميد (بني تيم بن ثعلبة). قال ابن خلدون «ـ ومن بطون طيء ـ الثعالب، بنو ثعلبة بن رومَان بن جَنْدَب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء. وبنو ثعلبة بن ذهل بن رومان، ومنهم بنو لام بن ثعلبة، منازلهم من الجبلين ـ آجا وسلمى ـ إلى مدينة يثرب»[٤] وكانت منازل بني تيم بن ثعلبة بمنطقة جبل سلمى، وجاء في الديوان أن «المعلى أحد بني تيم من بني ثعلبة» وقد نزل امرؤ القيس عنده فلقي الترحيب منه ومن بني تيم بن ثعلبة وأقام عندهم، وقال يُثني على المُعَلَّىٰ وعليهم:

كأنّي إذْ نَزَلْتُ عَلَى المُعَلَّىٰ ... نَزَلْتُ عَلَى البَوَاذِخِ مِنْ شَمَامِ
فَما مَلِكُ العِراقِ عَلَى المُعَلَّىٰ ... بِمُقْتَدِرٍ ولا المَلِكُ الشآمي
أَقَرَّ حَشَا امْرِىءِ القَيْسِ ابن حُجْرٍ ... بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ

وقوله (البواذخ من شمام) أي جبال شمام الشواهق. وقوله (أقرّ حَشَا) أي

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١/ ١٠. (٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٦٨/ ٧.
(٣) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٧.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٠.

أسْكَن حشاي وجعل فؤادي قريراً، ويعني بملك العراق ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء، أما ملك الشام آنذاك فهو الحارث بن جَبَلة الغساني ملك العرب بالشام وقد تولى الحكم عام ٥٢٩م وكان نزول امرىء القيس بمناطق طيء حوالي عام ٥٣٢م وهذا يعني أنه أقام بمناطق طيء فترة قد تصل إلى عشر سنوات، وقد جاء في كتاب الأغاني وكتاب الأدب العربي وتاريخه أنه «نزل عند المعلى، وأقام عنده، واتخذ إبلاً، وكان عندهم ـ بأرض طيء ـ ما شاء اللَّه». وتشير كلمة (وكان عندهم ما شاء اللَّه) إلى طول الفترة التي أقام فيها امرؤ القيس عند طيء وليس عند المعلى فقط، وقد (اتخذ إبلاً) أي اشترى إبلاً، وصارت لديه قوافل من الإبل يسوقها السائقون إلى أرجاء بلاد طيء وإلى القُرَيَّةِ ـ التي كانت عاصمة كندة بإقليم اليمامة ـ وإلى حائل وغيرها، وكانت قوافل الإبل تقوم بنشاط تجاري في حماية طيء التي كانت تنتشر في مناطق الطرق التجارية والقوافل، ومنهم (بنو ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيء) وهو ما يتبين من قول امرىء القيس:

تَـبِـيْـتُ لَـبُـونِـي بـالـقُـرَيَّـةِ أُمَّـنَـا ... وأسْـرِّحُـهَـا غِـبًّـا بـأَكْـنَـافِ حَـائِـلِ

بَـنُـو ثُـعَـلٍ جِـيْـرَانُـهـا وحُـمَـاتُـهـا ... وَتُـمْـنَـعُ مِـنْ رُمَـاةِ سَـعْـدٍ ونَـابِـلِ

وقوله أيضاً:

ومِنْهُنَّ نَصُّ العِيْسِ واللَّيْلُ شَامِلُ ... يُيَمِّمْنَ مَجْهُولاً مِنَ الأرضِ بَلْقَعا

خَـوَارِجَ مِـنْ بَـرِّيَّـةٍ نَـحْـوَ قـرِيَّـةٍ ... يُجَدِّدْنَ وَصْلاً، أو يُرَجِّيْنَ مَطْمَعَا

فقوله (تبيت لبوني) اللبون: الناقة، ويعني الإبل، فهي تبيتُ آمنةً بمدينة (القريَّة) وتسرح نهاراً في أكناف (حائل) بأمان، وقد خصّ (القريَّة) بالذكر لأنها كانت عاصمة حكم أبيه وأسرته ولم تعد تحت حكمه وإنما تحت نفوذ آخرين ورغم ذلك فإنّ إبله تسير إلى القرية وحائل وتبيت وتسرح آمنة لأنها بخفارة وحماية طيء. وكذلك قوله (نَصُّ العِيس) أي (سوق الإبل) فهُنّ يُيَمِّمْنَ الأراضي البلقع الخالية، ويخرجنَ من البَرِّيَّةِ المُقفرة إلى القُرى وإلى قُريَّة، فَيُجَدِّدْنَ وصال امرىء القيس بتلك المناطق التي كانت تحت حكمه وحكم آبائه، فالإبل تنوب عنه في تجديد الوصال، أو في طلب مغانم التجارة.

وقد كان لامرىء القيس أكثر من بيت ومنزل في مناطق طيء؛ كان له بيت في منطقة المُعلىٰ بديار بني تيم بن ثعلبة، وكان له بيت بمنطقة بني ثُعَل، وكذلك في بني نبهان، وكانت له عدة زوجات طائيات منهن (أم جَندب الطائية) واسمها (أُميمة) ومنهن (النبهانيَّة) التي يقول فيها:

أمِـنْ ذِكْـرِ نَـبْـهَـانِـيَّـةٍ حَـلَّ أهْـلُـهـا ... بِـجِـزْعِ الـمَـلَا عَـيْـنَـاكَ تَـبْـتَـدِرَانِ

وجاء في هامش البيت بالديوان «نبهانية منسوبة إلى بني نبهان وهم من طيء» وأقول هم (بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء) وهم من أشهر وأهم بطون قبيلة طيء. قال رجل من بني ثعل في مجلس عمر بن الخطاب «.. ومنّا زيد بن سدوس النبهاني، عصمة الجيران والغيثُ بكل أوان ومضرمُ النيران ومطعم الندمان وفخر كل يَمانِ»[1]. وزيد بن سدوس هو شقيق خالد بن سدوس النبهاني الذي نزل عنده امرؤ القيس ومدحه كما سيأتي، فوصف أخيه (زيد بن سدوس) رئيس بني نبهان بأنه (فخر كل يمان) يتيح إدراك أن بيئة طيء التي عاش فيها امرؤ القيس عدة سنوات هي بيئة يمانية، فأشعار امرىء القيس التي قالها وهو بمناطق طيّء كأنّه قالها وهو في اليمن، ومنها القصيدة التي منها البيت سالف الذكر عن (النبهانية) حيث قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طَلَلٌ أبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي ... كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيْبِ يَمانِي[2]

لَيَاليَ يَدْعُونِي الهَوَى فَأُجِيْبُهُ ... وأعْيُنُ مَنْ أهْوَى إلَيَّ رَوَانِ[3]

وَإنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَا رُبَّ بَهمَةٍ ... كَشَفْتُ إذَا ما اسْوَدَّ وَجْهُ جَبَانِ[4]

وَإنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَا رُبَّ قَيْنَةٍ ... مُنَعَّمَةٍ أَعْمَلْتُهَا بِكَرَانِ[5]

لَهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الخَمِيسَ بِصَوْتِهِ ... أَجَشُّ إذَا مَا حَرّكَتْه يَدَانِ[6]

وإنْ أُمْسِ مَكْرُوباً فَيَا رُبَّ غَارَةٍ ... شَهِدْتُ على أَقَبَّ رِخْوِ اللَّبَانِ[7]

عَلَى رَبِذٍ يَزْدَادُ عَفْواً إذَا جَرَى ... مِسَحٍّ حَثِيثِ الرَّكْضِ والذَّأَلَانِ[8]

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٨.

(٢) الطلل: آثار الديار. شجاني: أثار بي الحزن والهم. خط زبور يماني: خط كتابة الزبور الحميرية اليمنية. وقد جاء عجز البيت في الديوان «كخط الزبور في العسيب اليماني». ويليه بيت في الديوان ليس من هذه القصيدة غالباً وهو:

ديار لهندٍ والرباب وفرتنا ... ليالينا بالنعف من بدلان

(٣) ويروى: ليالي يدعوني الصبا. رواني: ناظرات.

(٤) البهمة: الأمر المصمت الذي لا يُدرى من أين يؤخذ: كشفت: فرجت. وجاء آخر البيت في الديوان (وجهُ الجبّانِ).

(٥) القينة: الجارية المغنية. منعمة: ذات نعمة. الكران: العود.

(٦) المزهر: العود. يعلو: يغلب. الخميس: الجيش. أجش: في صوته بحة. يدان: يدا القينة. وجاء في الديوان (حركته اليدان).

(٧) الغارة: الغارة الحربية. شهدت: حضرت. الأقب: فرس ضامر البطن. رخو اللبان: لين الصدر. وقد يكون (رخو لبان).

(٨) الربذ: السريع الواسع الخطو. العفو: نشاط وارتياح إلى الجري. مسح: كثير العرق. حثيث الركض: متوالي الجري. الذألان: الشد الخفيف.

وَيَرْدِي عَلَى صُمٍّ صِلَابٍ مَلَاطِسٍ ... شَدِيدَاتِ عَقْدٍ لَيِّنَاتِ مَثَانِ[١]
وَغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ حُوٍّ تِلَاعُهُ ... تَبَطَّنْتُهُ بِشَيْظَمٍ صَلَتَانِ[٢]
مِخَشٍّ مِجَشٍّ، مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كَتَيْسِ ظِبَاءِ الحُلَّبِ الْعَدَوَانِ[٣]
إِذَا مَا جَنَبْنَاهُ تَأَوَّدَ مَتْنُهُ ... كَعِرْقِ الرُّخَامِي اهْتَزَّ فِي الْهَطَلَانِ[٤]
تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَانِ ... مِنَ النَّشَوَاتِ والنِّسَاءِ الحِسَانِ
مِنَ الْبِيْضِ كالآرَامِ، والأُدْمِ كالدُّمَى ... حَوَاصِنُهَا والمُبْرِقَاتُ رَوَانِ[٥]
أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا ... بِجِزْعِ المَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ[٦]
فَدَمْعُهُمَا سَحٌّ وَسَكْبٌ وَدِيمَةٌ ... وَرَشٌّ وَتَوْكَافٌ وَتَنْهَمِلَانِ[٧]
كَأَنَّهُمَا مَزَادَتَا مُتَعَجِّلٍ ... فَرِيَّانِ لَمَّا تُسْلَقَا بِدِهَانِ»[٨]

والنبهانية التي ذكرها امرؤ القيس في هذه القصيدة هي إحدى زوجاته ـ غالباً ـ وكانت تسكن في ديار بني نبهان بجزع الملا أي بمنعطف وادي بني نبهان، وكان امرؤ القيس في منطقة أخرى من مناطق طيء حين قال تلك القصيدة.

---

(١) يردي: كأنما يهوي في سيره لسرعته. صم صلاب: حوافر صلبة مصمتة. ملاطس: كأنها معاول لأنها تكسر ما تقع عليه من حجر وغيره. شديدات عقد: يريد أن حوافره شديدات عقد الأرساغ. لينات مثاني: لينات المفاصل.

(٢) الغيث: الكلأ. الوسمي: أول مطر يقع على الأرض لأنه يسمها. حُوٌ تلاعة: خُضر مرتفعاته. تبطنته: نزلت إلى بطنه. بشيظم: بفرس طويل. صلتان: منجرد الشعر.

(٣) ويروى (مكر مفر). والمحش: الجريء الماضي. مجش: غليظ الصوت. التيس: فحل الظباء. الحلب: نبتة تأكلها الوحوش تضمر عليها بطونها. العدوان: الجري.

(٤) جنبناه: قدناه إلى جنب الركائب. تأود متنه: تثنى ظهره. كعرق الرخامي: كعود هذا النبت المسمى بالرخامي. اهتز: تحرك: الهطلان: تتابع المطر.

(٥) الأرام: أولاد الظباء. الأدم؛ الظباء طوال الأعناق والقوائم بيض البطون سمر الظهور، ومعنى أدم: أسمر. الدُمَىٰ: الصور المرسومة. حواصن: عفيفات. المبرقات: ذوات الحلّي البراقة. روان: ناظرات.

(٦) نبهانية: من عشيرة بني نبهان الطائية اليمانية. الجزع: منعطف الوادي، الملا: ما استوى من الأرض. تبتدران: تتسابق دموعهما.

(٧) سح: سائل متوال. سكبُ: منسكب. ديمة: كأنه مطر. رش: مطر قليل. توكاف: مطر متتابع. وتنهملان: كالمطر الشديد.

(٨) مزادتان ـ مثنى مزادة ـ القربة الضخمة. فريان: مفريتان أي محزوزتان حديثاً. تسلقا: تدهنا لكي ينسد موضع الخرز.

وكذلك كان امرؤ القيس متزوجاً بامرأة من طيء يُقال لها أم جُنْدب واسمها أُميمة. وفيها قال القصيدة التي أولها:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ ... لِتُقْضَى لُبَانَاتُ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[١]

وجاء في الديوان ما يلي «عن الأصمعي: أن امرأَ القيس تزوج امرأة من طيء تُسمى أم جندب، فلما بات عندها لم تحمده ففركته. فلما كان في بعض الليل قامت وقالت: أصبحت يا خير الفتيان فَقُم، فقام؛ فإذا الليل لم يذهب منه إلا أقلّه. فقال لها: ما حَمَلَكِ على ما فعلتِ؟ فسكتت، فألحّ عليها، فقالت: كرهتك لأنك ثقيل الصدر خفيف العجز سريع الإراقة بطيء الإفاقة»[٢]. ولكنه لم يفارقها أو يُطلقها فاستمرت زوجة له. وذات مرة، بينما هو في منطقة أخرى غير التي فيها أم جُنْدب «نزل به الشاعر علقمة بن عبدة فتذاكرا الشعر، فقال له علقمة: قل شعراً تمدح فيه فرسك والصيد وأقول مثله وهذا الحَكَم بيني وبينك ـ أي: أيّنا أشعر ـ فقال امرؤ القيس:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ ... لِنَقْضِيَ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِيْ سَاعَةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْني لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ[٣]

أَلَمْ تَرَيَاني كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وإِنْ لَمْ تُطَيَّبِ[٤]

عَقِيلَةُ أَتْرَابٍ لَهَا لا دَمِيمَةٌ ... ولا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبِ[٥]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثُ وَصْلِهَا ... وَكَيْفَ تُرَاعِي وُصْلَةَ المُتَغَيِّبِ[٦]

أَقَامَتْ عَلَى ما بَيْنَنا مِنْ مَوَدَّةٍ ... أُمَيْمَةُ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ المُخَبِّبِ[٧]

ثم انتقل امرؤ القيس إلى وصف الفرس والصيد وغير ذلك في بقية أبيات القصيدة فأبدع في الوصف فلم يكن يُضاهيه أحد في ذلك. والقصيدة بأكملها موجودة في الديوان[٨].

---

(١) جاء في هامش البيت في الديوان «اللبانات: حاجات النفس ومطالبها. لِتُقَضى: في رواية (لنقض) وفي أخرى (لنقضي حاجات). وأم جندب: زوجته الطائية».

(٢) ديوان امرىء القيس ـ ص ١٩. (٣) تنظراني: تنتظراني.

(٤) الطارق: الآتي ليلاً. يعني أنها طيبة ريح الجسد من غير طِيْب. والطيب: العطر.

(٥) العقيلة: الكريمة المخدرة. الأتراب: اللدات، وهم الذين يُولدون مع الإنسان في فترة واحدة. لا دميمة: لا قصيرة ولا غير جميلة. الجانب: القصير اللحيم.

(٦) كيف تُراعي وصلة المتغيّب: كيف تُراعي الزوج الغائب حتى يصل.

(٧) ويروى (أدامت على ما بيننا من نصيحة). والمعنى غير متباعد بين الروايتين. ويعني: هل هي ما تزال مقيمة ووفيّة على ما بيننا من مودة أم أفسدَ وَدّها المُخَبب. والمخبب: المفسد.

(٨) ديوان امرىء القيس ـ ص ١٩ ـ ٢٧.

ومن شعره وهو في مناطق طيء بجبلي آجا وسلمى القصائد التي ذكر فيها (ديار سلمى) وهي (جبل سلمى) ومنها قصيدة ربما قالها وقد مَرّت عليه ثلاثون شهراً في ثلاثة أعوام وهو مُقيم هناك، حيث قال امرؤ القيس:

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّها الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ في الْعُصُرِ الخالي (١)

وَهَـلْ يَـنْـعَـمَـنْ إلا سَعِـيـدٌ مُـخَـلَّـدٌ قَلِيْلُ هُمُومٍ ما يَبِيتُ بأوجالِ (٢)

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كانَ أَحْدَثُ عَهْدِهِ ثَلاثِيْنَ شَهْراً في ثَلاثَةِ أَحْوَالِ (٣)

دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الخَالِ أَلَحَّ عَلَيْها كلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ (٤)

وَتَحْسَبُ سَلْمَى لا تَزَالُ تَرَى طَلاً مِنَ الوَحْشِ أَوْ بَيْضاً بِمَيْثاءَ مِحْلَالِ (٥)

وَتَحْسَبُ سَلْمَى لا تَزَالُ كَعَهْدِها بِوَادِي الخُزَامَى أو على رَأسِ أوعَالِ (٦)

لَيَالي سُلَيْمَى إذْ تُرِيكَ مُنَصَّباً وَجِيْداً كَجِيْدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِمِعْطَالِ (٧)

أَلا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّني كَبِرْتُ وأَنْ لا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي (٨)

كَذَبْتِ لَقَدْ أُصْبِي عَلَى المَرءِ عِرْسَهُ وأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الْخَالِي (٩)

وَيَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بآنِسَةٍ كأَنَّمَا خَطُّ تِمْثَالِ (٩)

ثم يذكر في بقية أبيات القصيدة بعض غرامياته السابقة وفروسيته إلى أن يقول:

---

(١) جاء في هامش البيت بالديوان (ويروى: ألا أنعم صباحاً. وكان أهل الجاهلية إذا التقى أحدهم بآخر في الصباح حيّاه بقوله: أنعم صباحاً. أو في المساء قال له: عِمْ مساءً، أو في الليل قال له: عِمْ ظلاماً. والطلل: ما شخص في الآثار. فهو يُحيي أهل الطلول الدوارس). العُصُر الخالي: أي العصور الماضية.

(٢) المخلد: الذي أبطأ عنه الشيب. أوجال: جمع وجل وهو الخوف وكسوف البال من الهموم.

(٣) في ثلاثة أحوال: في ثلاث ستين.

(٤) العافيات: الدارسات الخوالي. ذو الخال: موضع بنخل. ألح: دام. الأسحم: الأسود والمراد به السحاب الكثير الماء. الهطال: المطر الدائم في لين.

(٥) وتحسب سلمى: أي تتخيل أن سلمى ما تزال ترى طلاً، والطلا: ولد الظبية. البيض: بيض النعام. ميثاء: أرض سهلة. المحلال: التي يكثر نزول الناس فيها.

(٦) وادي الخزامى وراس أوعال: موضعان. ويروى (رس أوعال) والرس: البئر.

(٧) ليالي سليمى: أي عندما كانت سليمى في الزمن السالف. منصباً: ثغراً متسقاً مستوياً، الجيد: العنق. جيد الرئم: عنق الظبي. المعطال: الذي لا قلادة فيه ولا حُليّ عليه.

(٨) بسباسة: اسم فتاة. لا يحسن اللهو: يروى (لا يحسن السر) وهو ما يكون بين الرجل والمرأة.

(٩) أصبي: أغريها وأردها إلى الصبا. عرس: زوجتي. يُزَن: يتهم. الخالي: غير المتزوج. خط تمثال: نقش التمثال.

فَلَوْ أَنَّ ما أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَاني ولَمْ أَطْلُبْ (كثيراً) مِنَ المَالِ[١]
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالي[٢]

وربما يعني بذلك أنه إنما يتخذ قوافل الإبل والمال ويطلب أن يكون عنده مال كثير لتحقيق المجد الذي يسعى إليه وهو استعادة مُلك أبيه وأجداده حين يحين وقت ذلك، وقد يحين ذلك فيدرك المجد المُؤثل.

وكانت لامرىء القيس أموال من الإبل في أكثر من منطقة من بلاد طيء، ومنها منطقة بني نبهان التي كان رئيسها خالد بن سُدُوس النبهاني شقيق (زيد بن سُدُوس النبهاني) الموصوف بأنه (فخر كل يماني)[٣] وجاء في ديوان امرىء القيس أنه: «نزل على خالد بن سُدُوس بن أصمع النبهاني. فأكرم نزله، فقال يمدحه - أي يثني عليه وعلى أسرته:

إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِراً فَفَاخِرْ بِبَيْتٍ مِثْلِ بَيْتِ بَنِي سُدُوسَا
بِبَيْتٍ تُبْصِرُ الرُؤَسَاءَ فِيْهِ قِيَاماً لا تُنَازِعُ أَوْ جُلُوسَا[٤]
هُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانِ بنِ عَادٍ إذَا ما أُجْمِدَ المَاءُ الْقَرِيْسَا»[٥]

وذات مرة، بينما كان امرؤ القيس نازلاً عند خالد بن سدوس النبهاني «أغار ونهب باعث بن حويص الجديلي الطائي في رجالٍ معه بعض إبل امرىء القيس، فلما علم امرؤ القيس بذلك أخبر خالداً، فقال له خالد: أعطني بعض رواحلك ألحقُ بها القوم فأرد إبلك. فأعطاه بعض رواحله فركبها خالد فلما أدركهم قال: يا بني جديلة، أغرتُم على إبل جاري فردوا إليه إبله، فقالوا: ما هو لك بجار. فقال: بلى واللّه ما هذه الإبل التي معكم إلا كالرواحل التي تحتي. فقالوا: أكذلك؟ فأنزلوه عنها - هو ومن معه - وذهبوا بها أيضاً. فلما عاد إلى امرىء القيس وأخبره بذلك، تحوّل عنه». أي تحول عن الإقامة في بني نبهان لأنهم تركوا بني جديلة ينهبون إبله

---

(١) جاء عجز البيت في الديوان (كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال) بينما جاء في الهامش: أي (لكفاني القليل ولم أسع لطلب الكثير).

(٢) المجد المؤثل: المجد الدائم.

(٣) قال رجل من طيىء في مجلس عمر بن الخطاب «..ومنّا زيد بن سدوس النبهاني، عصمة الجيران والغيث بكل أوان ومضرم النيران ومطعم الندمان وفخر كل يمان» - ص ٤٨ جـ ١٦ـ الأغاني.

(٤) جاء في الهامش: (يعني لا يُرد عليهم كلامهم ولا ينازعون في حال).

(٥) لقمان بن عاد: من ملوك اليمن القدماء، وهو كما في كتاب الإكليل «لقمان بن عاد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حِمْيَر بن سبأ». أيسار: رفقاء في السيرة والكرم.

ولم يرغبوا في قتالهم - «وسار إلى حارثه بن مرّ الثُعَلي، فأجاره وأكرمه». فأقام بمنطقة بني ثُعَل وهم عشيرة قوية من قبيلة طيء، وهم رهط حاتم الطائي، فكانت قوافل إبل امرىء القيس تسير بحماية بني ثُعَل، فلا يتعرض لها أحد لقوة ومكانة بني ثُعَل، فقال امرؤ القيس يذكر ذلك ويُثني على جارية بن مرّ الثعلي وبني ثُعَل:

دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيْحَ في حَجَرَاتِهِ ... (وَلَكِنْ) حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ[١]

كَأَنَّ دِثَاراً حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ ... عُقَابُ تَنُوفي لا عُقَابُ القَوَاعِلِ[٢]

(تَلَعَّبَ بَاعِثُ بِذِمَّةِ خَالِدٍ)[٣] ... وأوْدَى عِصَامُ في الخُطُوبِ الأوائلِ[٤]

وأعْجَبَنِي مَشْيَ الحُزُقَّةِ خَالِدٍ ... كَمَشْي أَتَانٍ حُلِّئَتْ في المَنَاهِلِ[٥]

أبَتْ أَجَاءُ أنْ تُسلِمَ العَامَ جَارهَا ... فَمنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لهَا مِنْ مُقَاتِلِ[٦]

تَبِيْتُ لَبُونِي بِالقُرَيَّةِ أُمَّناً ... وأَسْرِحُهَا غِبًّا بأكْنَافِ حَائِلِ[٧]

بَنُو ثُعَلٍ جِيْرَانُهَا وَحُمَاتُهَا ... وتُمْنَعُ مِنْ رُمَاةِ سَعْدٍ وَنَابِلِ[٨]

فَلَاعَبُ أولادَ الوُعُولِ رِبَاعُهَا ... دُوَيْنَ السَّماءِ في رُؤُوسِ المَجَادِلِ[٩]

مُكَلَّلَةً حَمْرَاءَ ذَات أسِرَّةٍ ... لَهَا حُبُكٌ كأَنَّهَا مِن حَبَائِلِ»[١٠]

---

(١) النهب: السلب وانتهاز الفُرص في اختطاف الأشياء. الحجرات: النواحي. الرواحل: النوق التي ذهب بها باعث وبنو جديلة. وقد يروى عجز البيت: «وهات حديثاً ما حديث الرواحل».

(٢) دثار: راعي إبل امرىء القيس. حلقت: نزلت عليه من الجو. بلبونه: بنوقه التي كان يرعاها. عُقابُ تنوفي: عُقابٌ ساقطة من ثنية مُشرفة ذاهبة في الهواء. القواعل: جبال صغار.

(٣) ويروى (تلعب باعث بجيران خالد) ويبدو في الروايتين وجود نقص أو تغيير في إحدى الكلمات، وباعث: هو الذي نهب الإبل.

(٤) عصام: راع آخر لإبل امرىء القيس قُتل عند الغارة على إبله. ويروى (وأودى دثارٌ).

(٥) أعجبني: أي تعجبتُ. الحُزُقة: القصير الضخم البطن الضيق الباع. أتان: أُنثى الحُمُر. حلئت: منعت وطُردت أن تَرِد الماء وكلما حاولت الدنو منه طردت ومُنعت منعاً شديداً. المناهل: موارد الماء. ويعني أن مشي خالد بن سدوس إلى الذين نهبوا الإبل لم يكن مشي مقاتل وإنما كان مثل مشي الأتان.

(٦) أجا: أحد جبلي طيىء، والمراد أهل أجا، ومنهم بنو ثعل، وأنهم لا يُسْلِمون الجار، ويعني بالجار نفسه وكذلك إبله وأمواله.

(٧) اللبون: الإبل، والناقة ذات اللبن. القرية: مدينة القُرَيّة باليمامة. أمّناً: آمنة. أسرحها: أبعثها نهاراً. غباً: يوماً بعد يوم. أكناف حائل: جوانب منطقة حائل.

(٨) يعني أن بني ثعل يحمون إبله ويمنعونها حتى من بني سعد ونابل الطائيين.

(٩) الوعول: تيوس الجبل. الرباع: الفصلان. المجادل: الجبال.

(١٠) مكللة حمراء: يعني أن رؤوس الجبال كللتها السُحب. ذات أسرة: ذات خطوط. الحبك: الطرائق. الحبائل: برودٌ يمانية ملونة مخططة.

وقد أقام امرؤ القيس في مناطق بني ثُعَل - وهي مناطق جبل أجا - عدة أعوام، ومما قاله يُثني على أبي حنبل وهو حارثة بن مرّ الثُعَلي ثلاثة أبيات في الديوان وهي:

أحْلَلْتُ رَحْلي في بَنِي ثُعَلٍ ... إنَّ الكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ مَحَلْ

فَوَجَدْتُ خَيْرَ النَّاسِ كلِّهم ... جَاراً وأوْفَاهُمْ أبَا حَنْبَلْ

أقْرَبَهُمْ خَيْراً وأبْعَدُهُمْ ... شَرًّا وَأجْوَدُهُمْ إذَا بُخِّلْ

وقوله (أجودهم إذا بُخِّل) يعني هو أجودهم حتى لو رُمِيَ بالبخل.

وقال امرؤ القيس يُثني على عمرو بن درماء وبني ثُعل الذين بحمايتهم تسير قوافل إيله بين منطقة جَوّ باليمامة ومنطقة مِسْطَح آمنة بحماية نِبَالهم أبياتاً بالديوان وهي:

وَاثُعَلاً وأيْنَ مِنِّي بني ثُعَلْ ... ألا حَبَّذَا قَوْمٌ يَحُلُّونَ بالجَبَلْ

نَزَلْتُ عَلَى عَمْرِو ابْنِ دَرْماءَ بُلْطَةً ... فَيَا كَرَمَ ما جَارٍ ويَا حَسْنَ ما فَعَلْ[1]

تَظَلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ ... تُرَاعِي الفِرَاخَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الحَجَلْ

ومَا زَالَ عَنْهَا مَعْشَرٌ بِقِسِيِّهِمْ ... يَذُودُونها حَتَّى أقُولَ لَهُمْ بَجَلْ[2]

فَأبْلِغْ مَعَدّاً والعِبَادَ وَطَيِّئاً ... وَكِنْدَةَ أنِّي شَاكِرٌ لِبَنِي ثُعَلْ[2]

وقال في أواخر فترة إقامته بمناطق طيء:

«أصْبَحْتُ وَدَّعْتُ الصِّبَا غَيْرَ أنَّني ... أُرَاقِبُ خَلَّاتٍ مِنَ العَيْشِ أرْبَعَا[3]

فِمِنْهُنَّ قَوْلِي لِلنَّدَامَى تَرَفَّقُوا ... يُدَاجُونَ نَشَّاجاً مِنَ الخَمْرِ مُتْرَعَا[4]

وَمِنْهُنَّ رَكْضُ الخَيْلِ تَرْجُمُ بالقَنَا ... يُبَادِرْنَ سِرْباً آمِناً أنْ يُفَزَّعَا[5]

وَمِنْهُنَّ نَصُّ العِيْسِ واللَّيْلُ شَامِلٌ ... يُيَمِّمْنَ مَجْهُولاً مِنَ الأرْضِ بَلْقَعا[6]

خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ ... يُجَدِّدن وَصْلاً أوْ يُرَجِّيْنَ مَطْمَعَا[26]

وَمِنْهنَّ سَوْفُ الخَوْدِ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى ... تُرَاقِبُ مَنْظُومَ التَّمَائِمِ مُرْضَعَا[7]

يَعَزُّ عَلَيْهَا رِيْبَتِي وَيَسُوءُهَا ... بُكاهُ فَتَثْنِي الجِيْدَ أنْ يَتَضَوَّعَا»[7]

---

(١) بُلطة: فترة من الزمن. (٢) قسيهم: أقواسهم. بجل: حسبكم. العِبَاد: عشيرة بالحيرة.

(٣) ودعت الصبا: مضى زمن شبابي وكبرت عن التصابي. أراقب خلات: الخلات الخصائل.

(٤) الندامى: زملاء الشراب. ترفقوا: يعني في شرب الراح. نشاج مترع: زقّ مليء بالخمر.

(٥) ركض الخيل: مطاردة الصيد. السرب: القطيع من الظِّبَا.

(٦) نص العيس: سَوْق الإبل. ييممن: يقصدن. البلقع: الخالي. قرية: مدينة قريّة باليمامة أو من البرية نحو القُرى.

(٧) جاء في هامش الديوان (سوف الخود: شم الغادة الحسناء. ريبتي: ما يأتيه معها. فتثني الجيد: أي تلتفت نحو طفلها الرضيع)

وجاء في كتاب الأغاني أنه «نزل امرؤ القيس بعامر بن جُوَين الطائي واتخذ عنده ـ أيضاً ـ إبلاً، وعامر يومئذٍ أحد الخلعاء الفتّاك قد تبرأ قومه من جرائره، فكان عنده ما شاء اللّه، ثم هَمّ عامر أن يغلبه على أهله وماله ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله:

فكم بالصحيح مِنْ هجانٍ مؤبله ... تسير صحاحاً ذات قيدٍ ومرسله
أردتُ بها فتكاً فلم أرتمض له ... ونهنهتُ نفسي بعد ما كدت أفعله

وكان عامر أيضاً قال يُعَرِّضُ بهند بنت امرىء القيس:

ألَا حَيِّ هنداً وأطلالها ... وتظعان هندٍ وتحلالها
هَمَمْتُ بنفسي كلّ الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها
سأحملُ نفسي على آلة ... فأما عليها وإما لها

فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على نفسه وأهله وماله تغفله وانتقل إلى حارثة بن مرّ الثعلي، فوقعت حرب بين عامر وبين الثعلي فكانت في ذلك أمور كثيرة. قال دارم بن عقال: فلما وقعت الحرب بين طيء من أجله خرج من عندهم»[١].

وكان من آخر شعر امرىء القيس في تلك المرحلة قوله:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لأَمرِ غَيْبٍ ... ونُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وبِالشَّرَابِ[٢]
فَبَعْضَ اللَّوْمِ عَاذِلَتِي فإِنِّي ... سَتَكْفِينِي التَّجَارِب وانْتِسَابِي
إلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُرُوقِي ... وهَذَا المَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
وَنَفْسِي سَوْفَ يَسْلُبُنِي وَجُرْمِي ... فَيُلْحِقُنِي وَشِيكاً بالتُّرَابِ[٣]
أَلَمْ أُنْضِ المَطِيَّ بِكلِّ خَرْقٍ ... أَمَقِّ الطُّولِ لَمَّاعِ السَّرَابِ[٤]
وَأَرْكَب فِي اللُّهَامِ المَجْرِ حتَّى ... أَنَالَ مَآكِلَ القُحَمِ الرِّغَابِ[٥]

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٩/٧.
(٢) موضعين: سائرين. لأمر غيب: لأمر لا علم لنا به.
(٣) فبعض اللوم: أي كُفّي عن لومك أيتها العاذلة فإن تجاربي أقنعتني بأن كل شيء إلى زوال، وانتسابي إلى عرق الثرى، أي إلى آباء ماتوا جميعاً وصاروا تحت الثرى قد زاد في اقتناعي بأنّي فانٍ مثلهم. عرق الثرى: مادة في الأرض. وشجت عروقي: أي اتصلت وتغلغلت. وشيكاً: سريعاً.
(٤) أُنْضِ المطيّة: أهزلها من السير. الخرق: الفلاة الواسعة. الأمق: الطويل. السراب: ما يتخيله المعاقر في الصحراء كأنّه ماء.
(٥) اللهام: الجيش. المجر: الثقيل المتئد في سيره. القحم: البضع الكثيرة من الأموال وغيرها. الرغاب: الواسعة.

وَكُلُّ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ صَارَتْ إِلَيْهِ هِمَّتِي وَبِهِ اكْتِسَابِي[١]
وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[٢]
أَبَعْدَ الحَارِثِ المَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو وبَعْدَ الخَيرِ حُجْرٍ ذِي الْقِبَابِ[٣]
أُرَجِّي مِنْ صُرُوف الدَّهْرِ لِيْناً وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصُّمِّ الْهِضَابِ[٤]
وأَعْلَمُ أَنَّنِي عَمَّا قَلِيْلٍ سأَنْشَبُ فِي شَبَا ظُفُرٍ وَنَابِ
كَمَا لَاقَى أَبِي حُجْرٍ وَجَدِّي ولا أَنْسَى قَتِيلاً بِالْكُلَابِ»

وقوله «سأَنْشَبُ في شبا» الشبا: الحدّ. وأنشب: أعلق. يعني ستنشب المنيّة فيّ أظفارها ونابها. وقتيل الكُلاب هو عمه شُرَحْبيل بن الحارث الكندي.

* * *

قال ابن قتيبة: «ثم سَمَتْ بامرىء القيس نفسه إلى ملك الروم». ولم تذكر الروايات الشخص الذي جعله يسير إلى ملك الروم، أي الذي أشار عليه بذلك، وقد أشار إليه امرؤ القيس في قوله:

وَلَوْ شَاءَ كانَ الغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ ولـكِنَّهُ عَمْداً إِلَى الرُّوم أَنْفَرَا

وأرض حِمْيَر هي اليمن، بحيث يمكن استنتاج أن امرأ القيس رأى فرصة لمحاربة المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة واستعادة مُلْك أبيه وجده، فأتى إلى ملك حِمْيَر وهو آنذاك (معدي كرب بن سميفع ذو يزن) وكان ملكاً للنصف الجنوبي والشرقي من اليمن وقد جاء ذكره في نقش مسند بأنه «معدي كرب بن سميفع ملك مشرقن» والنقش مؤرخ بعام ٥٤٣ ميلادية[٥] فأشار عليه الملك الحميري بأن يستنصر

---

(١) جاء في هامش هذا البيت بالديوان ما يلي «هذا من أفضل ما قيل في شعر العرب».

(٢) طوفت: أكثرت من الطواف والسير في آفاق أرض الجزيرة العربية لتحقيق ما أريد، فرضيتُ بالأمر الواقع.

(٣) الحارث: الملك الحارث بن عمرو الكندي. وحُجر: هو حجر بن الحارث. وكان الملوك فقط يتخذون القباب، فيعني حُجْر الملك.

(٤) الصم: الصلبة المصمتة. الهضاب: الصخور الضخمة الراسية.

(٥) تولى (معدي كرب بن سميفع ذو يزن) الحكم في مناطق سرو حمير وشرق اليمن منذ عام ٥٣٣م وخاض حرباً ضد الأحباش والأكسوميين الذين احتلوا مناطق غرب اليمن وصنعاء وملكهم أبرهة الأكسومي وقد ذكر أبرهة تلك الحرب في نقش مؤرخ بعام ٥٤٣م وصف فيه (معدي كرب بن سميفع) بأنه (ملك مشرقن) أي ملك النصف الشرقي من اليمن، وبعث (معدي كرب بن سميفع ذو يزن) رسالة إلى المنذر ملك الحيرة بشأن الوضع في اليمن عام ٥٤١م وقاد حرباً واسعة ضد الأحباش وأبرهة في المناطق التي سيطروا عليها عام ٥٤٢م ثم استمر ملكاً في النصف الشرقي من اليمن حتى وفاته وهلاك أبرهة عام ٥٧٠م ومعدي كرب هذا هو والد سيف بن ذي يزن.

بالحارث الغساني ملك العرب بالشام وبالقيصر جوستنيان ملك الروم، لوجود صراع وحرب آنذاك بينهما وبين كسرى ملك الفرس والمنذر ملك الحيرة المرتبط بالفرس، والدليل على أن الملك الحميري أشار عليه بذلك هو قوله:

ولو شاء كانَ الغزوُ من أرض حِمْيَرٍ ... ولـكِـنَّـهُ عَـمْـداً إلـى الـرُّوم أنْـفَـرَا

وقد يكون امرؤ القيس نفسه رأى في الصراع بين الروم والفرس فرصة للحصول على دعم الروم في محاربة المنذر ملك الحيرة، وكان امرؤ القيس قد أنهىٰ إقامته في مناطق طيء بسبب وقوع حرب بين حارثة بن مرّ الثعلي وعامر بن جوين بسببه فلم يرغب في وقوع تلك الحرب، وربما أتى إلى الملك الحميري ثم عاد إلى منطقة طيء فأنهىٰ إقامته بها وتوجّه منها قاصداً السموأل بن عاديا صاحب حصن تيماء. وقد ذكر ابن خلدون أن عشيرة «بني لام بن ثعلبة الطائيين كانوا يسكنون ما بين جبليْ آجا وسلمى ومدينة يثرب» ولا بد أن امرأ القيس سلك تلك الطريق من منطقة طيء (جبلي آجا وسلمى) إلى يثرب ثم إلى تيماء، وقد جاء في ديوان امرىء القيس أنه «مرّ امرؤ القيس وأصحابه في طريقهم إلى السموأل فإذا بقرة وحشية مرمية فلما رأوها مالوا إليها فذكوها، فبينا هم كذلك جاءَهُم قومٌ قناصون فقالوا لهم: من أنتم؟ فانتسبوا لهم بأنهم من بني ثُعل وهم في جيران السموأل، فاصطحبوا جميعاً إليه». وكان الذي رمى البقرة الوحشية هو ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ «عمرو بن المُسَبِّح الثُّعْلي الطائي الذي وَفَدَ على النبي ﷺ إلى المدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة، وأسلم. وكان عمرو أرْمَىٰ العرب، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال:

رُبَّ رامٍ مِـــنْ بَـــنِـــي ثُـــعَـــلٍ ... مُـخْـرِجٍ كَـفَّـيْـهِ مِـنْ سُـتَـرِهْ

وله يقول الآخر ـ وهو وبرة بن جحدر المعنيّ الطائي:

نَـعَـبَ الـغـرَابُ ولَـيْـتَـه لـم يَـنْـعَـبِ ... بـالـبَيْنِ مِنْ سَلْمَىٰ وأُمِّ الـحَـوْشَـبِ

لَـيْـتَ الـغُـرَابَ رَمَـىٰ حَـمَـاطَـةَ قَـلْـبِـه ... عَمْرُو بأسْهُمِهِ الَّتي لم تُلْغَبِ»[(١)]

والشعر الذي قاله امرؤ القيس في عمرو بن المُسَبِّح الثُّعَليّ الطائي هو أبدع شعر قديم في وصف الرماية بالنبال، وهو:

رُبَّ رَامٍ مِـــنْ بَـــنِـــي ثُـــعَـــلٍ ... (مُـتْـلِـجٍ كَـفَّـيْـهِ فـي قُـتَـرِهْ)[(٢)]

---

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٥ـ و (حماطة القلب: سواده. لم تلغب: بالبناء للمجهول، يقال (ألغب السهم) أي جعل ريشه لغاباً. والسهم اللغاب ـ بضم اللام ـ الفاسد الذي لم يحسن عمله. وقيل، اللغاب: ريش السهم إذا لم يعتدل.

(٢) ذكر ابن قتيبة عجز البيت بأنه (مُخرجُ كفيه من سُتَرِهْ) أي مخرج كفيه من المكان الذي هو=

عَارِضٍ زَوْرَاءَ مِنْ نَشَمٍ ... غَيْرَ بَانَاةٍ عَلَى وَتَرِهْ(١)

قَدْ أَتَتْهُ الوَحْشُ وَارِدَةً ... فَتَنَحَّى النَّزْعَ في يَسَرِهْ(٢)

فَرَمَاهَا في فَرَائِصِهَا ... بِإزَاءِ الحَوْضِ أوْ عُقُرِهْ(٣)

بِرَهِيشٍ مِنْ كِنَانَتِهِ ... كَتَلَظِّي الجَمْرِ في شَرَرِهْ(٤)

رَاشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ ... ثُمَّ أمْهَاهُ عَلَى حَجَرِهْ(٥)

فَهْوَ لَا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ ... مَا لَهُ، لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ(٦)

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ ... غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهْ(٧)

وَخَلِيلٍ قَدْ أُفَارِقُهُ ... ثُمَّ لا أبْكِي عَلَى أثَرِهْ(٨)

وابْنِ عَمٍّ قَدْ تَرَكْتُ لَهُ ... صَفْوَ مَاءِ الحَوْضِ عَنْ كَدَرِهْ(٩)

وابْنِ عَمٍّ قَدْ فُجِعْتُ بِهِ ... مِثْلَ ضَوْءِ البَدْرِ في غُرَرِهْ(١٠)

وتزعم رواية ذكرها الأصفهاني: أن امرأ القيس لما خرج من عند طيء نزل برجل من بني فزارة وطلب منه الجوار، فقال له: يا ابن حُجر، إنّي أراك في خلل من قومك، وقد كُنْتَ بالأمس تؤكل في دار طيء، وأهل البادية أهل برّ لا حصون

= مُستتر فيه. وفي الديوان واللسان (مُتلج كفيه في قتره). ومعنى متلَج: مدخل. قتره: جمع قترة وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحوش لئلا تراه فتنفر منه. ويروى (مخرج كفيه من شتره) يعني من كُمّه.

(١) الزوراء: القوس المحنية. من نشم: من شجر تعمل منه الأقواس. غير باناة: غير منحن على وتره. ويقال: غير بائنة عن الوتر.

(٢) فتنحى: فمال وقَصَد النزعَ وهو الرمي. في يسره: في قبالته.

(٣) فرائصها: في جنبها الذي به القلب. إزاء الحوض: مَهرَق الماء. عقره: مكان الشاربه.

(٤) يرهيش: بسهم ضامر. كنانته: جعبة السهام. كتلظي الجمر: كتوقد النار. في شرره: في شدة التهابه.

(٥) راشه: أي ركّب في السهم الريش. الناهضة: الصقرة. ثم أمهاه: سقاه. ويقال (أمهاه: أرقه).

(٦) لا تنمي: لا تذهب عن مكانها، يعني أن رميته صائبة. ما له لا عد من نفره: أي قاتله اللّه ما أحذقه بالرمي؟

(٧) مطعم للصيد: يريدان رزقه مضمون من الصيد فهو متى قصده ناله. والصيد صناعته ومورد كسبه رغم تقدمه في السن.

(٨) يعني أنه ذو صبر واحتمال للمصائب فهو لا يبكي لمفارقة خليله وصاحبه، وقد تكون المفارقة بالموت.

(٩) جاء في الهامش بالديوان أنه «يعني أنه حسن الصحبة كريم العشرة حتى لو أنه ابن عمه أتى ما يستحق عليه عقوبة قابله بالصفح والإحسان».

(١٠) ورب (ابن عم قد فجعني فيه الموت وهو حقيق بالجزع فصبرتُ على فراقه)

تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبان من قيس، أفلا أدلك على رجل وبلد، فلم أر لضيف نازل ولا لمُجْتَدٍ مثله ولا مثل صاحبه. فقال: من هو؟ قال: السموأل بتيماء، وهو في حصن حصين، وحسب كبير. فقال امرؤ القيس: وكيف لي به؟ فقال: أوصلك إلى من يوصلك إليه، فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموأل فيعطيه. فسار معه». بينما الصحيح أن مسير امرىء القيس إلى السموأل بتيماء كان في طريقه إلى الشام، لأن الطريق من جبلى طيء إلى الشام كانت من تيماء. وكان مع امرىء القيس مرافقين من الفرسان ومن الرماة الثُعَليين الطائيين وكان بعضهم من المجاورين للسموأل وقد رافقوه حتى وصل إليه، فليس صحيحاً أن امرأَ القيس طلب من رجل من بني فزارة أن يُجيره، وإنما قد يكون فَكّرَ أن يودع سلاحه ودروعه عنده فقال الرجل: نحن أهل بادية لا حصون تمنعنا، واقترح عليه أن يُودعها عند السموأل بتيماء، وكان امرؤ القيس في طريقه إليه، وانضمّ إليه ربيع بن ضبع الفزاري. فمضى امرؤ القيس والذين معه إلى السموأل بن عاديا حتى قَدِموا عليه فأكرمهم وعرف لهم حقهم ومكانتهم، وأنزلهم في مجلس له براح، وأنزل المرأة في قُبة من أدم ـ أي من جِلْد ـ وهي (هند بنت امرىء القيس) ـ غالباً ـ ويُقال إن امرأَ القيس مدح السموأل بقصيدة أولها:

طَرقتكَ هندٌ بعد طول تَجَنُّبِ وَهَناً ولَمْ تكُ قبل ذلك تُطْرَقُ

قال الأصفهاني: «وأظنها قصيدة منحولة لأنها لا تُشَاكِل كلام امرىء القيس، والتوليدُ فيها بيّن، وما دوّنها في ديوانه أحدٌ من الثُقاة. فلم تُكْتَب هُنا». [ص ٧٠/ ٧] ـ وكان السموأل بن عاديا في الأصل من قبيلة غسان اليمنية وهو صاحب حصن تيماء المنيع في أعالي الحجاز في الطريق إلى الشام، فأقام امرؤ القيس فترة عنده، قال الأصفهاني وابن الكلبي: «ثم إنه طلب منه أن يكتب إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر، واستودع عنده المرأة والأدرع والسلاح والمال، وأقام معها ابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية» ـ والأصوب يزيد بن معاوية بن الحارث بن عمرو الكندي ـ وقد أودع امرؤ القيس عند السموأل ـ وكما ذكر ابن قتيبة ـ «استودَعَه مائةَ درعٍ وسلاحاً كثيراً». مما يشير إلى أنه كان قد جمع الدروع والسلاح لمحاربة المنذر ملك الحيرة، فوضعها أمانة عند السموأل حتى عودته، وكذلك أقامت هند بنت امرىء القيس مع ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث عند السموأل بتيماء، ومضى امرؤ القيس من تيماء إلى الملك الحارث الغساني بالشام.

* * *

ومن المفيد الإشارة إلى أن (الحارث الغساني) أو (الحارث بن أبي شمّر

الغساني) الذي سار إليه امرؤ القيس هو الملك «الحارث بن جَبَلة الغساني ملك الشام» وبتعبير أدق «ملك العرب بالشام» وهو أعظم وأشهر الملوك الغساسنة اليمانيين بالشام، وقد تولى الحكم حوالي عام ٥٢٨ ميلادية، ثم أصدر الإمبراطور القيصر الروماني جوستنيان مرسوماً ـ في عام ٥٢٩م ـ ينصُّ على صيرورة الحارث بن جَبَلة الغساني ملكاً للعرب بالشام مع منحه لقب فيلارك وبطريك (Phylarch and patricus) وهو أعلى لقب بعد الامبراطور»[١] وجوستنيان هو (يوستنيانوس) وقد ذكر د. جيمس هنري بريستد في كتاب العصور القديمة: «إن يوستنيانوس تُوّج امبراطوراً في القسطنطينية عام ٥٢٧ ميلادية». وقد ذكره ابن خلدون باسم (يشطينانش) وقال: «مَلَك قيصر يشطينانش أربعين سنة باتفاق من المؤرخين.. وبعث قيصر يشطينانش قائداً من قوّاده اسمه يوليناريوس وجعله بطرك الإسكندرية»[٢]. ويوليناريوس هو (يوليانوس) وقد بعثه القيصر جوستنيان على رأس وفد إلى (سميفع ملك حمير) حوالي عام ٥٢٩ ميلادية حيث ـ كما ذكر د. عدنان ترسيسي ـ «وقد وصف ثيوفانس البيزنطي استقبال سُمَيْفع ملك حِمْيَر لوفد قيصر القسطنطينية برئاسة يوليانوس فقال: إنه رأى ملك حِمْيَر واقفاً على مركبة تجرّها أربعة أفيال وهو يلبس مئزراً مَحُوكُ بالذهب وفي ذراعه أساور ثمينة ويحمل بيده ترساً ورمحين. وحوله رجالاً من حاشيته وعليهم الأسلحة يتغنون بإطرائه»[٣]. وقد كان سميفع ملك الدولة الحميرية من عام ٥٢٥ ـ ٥٣٣ ميلادية، ثم حكم بعده (معدي كرب بن سميفع) في شرق اليمن. وفي أيامه كان مسير امرىء القيس إلى الحارث الغساني وإلى القيصر جوستنيان ملك الروم، وذلك حوالي عام ٥٤٠ ميلادية، أو بعد ذلك بأمد يسير.

وقد أورد الأستاذ مطهر الأرياني في ترجمته لامرىء القيس كلاماً يغلب عليه الرأي والاجتهاد الشخصي حيث قال ما يلي نصه: «..لجأ امرؤ القيس إلى السموأل بن عاديا الغساني صاحب حصن الأبلق بتيماء، فأمَّهُ واستودعه دروعه وسلاحه وما كان معه من مال، واختار أن يلجأ إلى أمر طالما أرجأه لعلمه ما يحفّه من مكاره وحسابات سياسية مضطغنة لأمور قديمة وحديثة نحو أسرته وشخصه. حيث قرر اللجوء إلى قيصر الروم متوسلاً إليه بالحارث بن أبي شمّر الغساني ملك المملكة الغسانية الرومية بالشام. ومع أن امرأ القيس تردد في اللجوء إلى قيصر بواسطة الحارث الغساني، لأنه يعرف أن القيصر كان لا يزال يجِدُ في نفسه على

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٠.
(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٢١٩/٢.
(٣) اليمن وحضارة العرب ـ د. عدنان ترسيسي ـ ص ٣٣.

ملوك كندة لأنّهم في أيام الحارث الكندي تعاونوا مع أعدائه الفُرس، ومع أنه على الأرجح كان يعرف المشاعر غير الودية التي يحملها له الحارث الغساني بسبب ما مَدّه جده الحارث الكندي من نفوذ على مناطق من بادية الشام، كما أن الغساني لا شك لا يريد لأحد من كبار العرب أن يكون له صلة مع الروم غيره؛ إلّا أن امرأَ القيس عقد عزمه وتوجه نحو هذه الجهة. وتقول الروايات أن الملك الغساني جامله فتوسط له عند قيصر الروم جوستنيان، وإن هذا الأخير استقبله ولكنه كان ضعيفاً ولم يغتنم فرصة العداء الطارىء بين امرىء القيس وبين الفرس، ويقال إنه استمع أيضاً إلى خصوم لامرىء القيس من أعدائه قتلة أبيه بني أسد كانوا قد تسللوا إلى القيصر وشككوه في امرىء القيس وأوغروا صدره عليه. ولهذا فإن القيصر لم يمدُّه بقوة يسترجع بها عرش آبائه ويقلص بذلك من نفوذ الفرس، بل زاد في طين النحس الذي لازم امرأَ القيس بلةً، فعيَّنه فيلارق لإقليم فلسطين من ديار الشام الواقعة تحت إشراف الحارث بن أبي شمر الغساني، فزاد انشقاق العصا بين الحارث الغساني وامرىء القيس انشعاباً، وبهذا أصبح امرؤ القيس وسط دائرة من العداء»(١).

والواقع أن القول بأن القيصر والحارث كانا يحملان مشاعر غير وديّة بسبب مواقف الحارث بن عمرو الكندي جد امرىء القيس هو احتمال بعيد لأن كليهما لم يعاصرا الحارث الكندي، فالثابت هو أن امرأَ القيس وصل إلى الملك الحارث بن جبلة الغساني في عاصمته بالشام وهي مدينة جِلَّق في دمشق، فأكرمه الحارث ومكث امرؤ القيس فترة بالشام، ولم يكن بإمكان الحارث أن يمدّ امرأَ القيس بجيش من عنده لمحاربة المنذر ملك الحيرة لأن ذلك يؤدي إلى الحرب بين الحارث والمنذر، ولذلك فإن الحارث الغساني كتب لامرىء القيس رسالة إلى القيصر جوستنيان وتوسط له عنده ليدعمه في محاربة المنذر واستعادة عرش آبائه وأجداده.

قال ابن قتيبة: «ثم سار امرؤ القيس ومعه عَمْرُو بن قُمِيئَةَ، أحدُ بني قيس بن ثعلبة، وكان من خَدَم أبيه، فبكىٰ ابن قُمِيئَةَ، فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بَكىٰ صاحِبي لما رَأىٰ الدَّرْبَ دُونَهُ ... وأيْـقَـنَ أنّـا لا حِـقَـانِ بـقَـيْـصَـرَا

فـقُـلْـتُ لَـهُ: لا تَـبْـكِ عَـيْـنُـكَ إنّـمَـا ... نُـحَـاوِلُ مُـلْـكـاً أو نَـمُـوتَ فنُـعْـذَرَا»

والبيتان من قصيدة لامرىء القيس قالها بالشام عند مسيره إلى القيصر، وهي:

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كانَ أقْصَرَا ... وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا(٢)

(١) الموسوعة اليمنية ـ ترجمة امرىء القيس ـ مطهر الأرياني ـ ص ١٣٣.

(٢) سما: ارتفع. أقصر: ترك. حلت نزلت. بطن قو وعرعر: موضعان.

كِنَانِيَّةٌ بَانَتْ وفي الصَّدْرِ وُدُّهَا مُجَاوِرَةً غَسَّانَ والْحَيَّ يَعْمُرَا[١]
بِعَيْنَيَّ ظَعْنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ قَيْمَرَا[٢]
فَشَبَّهْتُهُمْ في الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِيناً مُقَيَّرَا[٣]
أو الْمُكْرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابنْ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا الّلائِي يَلِيْنَ الْمُشَقَّرا[٤]
سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ وعَالَيْنَ قِنْوَاناً مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرَا[٥]
حَمَتْهُ بَنُو الرَّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِنٍ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أَقَرَّ وَأُوقِرَا[٦]
أطَافَتْ بِهِ جَيْلَانُ عِنْدَ قِطَاعِهِ (تُرَدِّدُ) فِيهِ العَيْنَ حَتَّى تَحَيَّرَا[٧]
كأَنَّ دُمَى سُقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشْياً مُصَوَّرَا[٨]
غَرَائِرُ في كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنِعْمَةٍ يُحَلَّيْنَ يَاقُوتاً وشَذْرَا مُفَقَّرَا
وَرِيحَ سَناً في حُقَّةٍ حِمْيَرِيَّةٍ تُخَصُّ بِمَفْرُوكٍ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا[٩]
وبَاناً وَأُلْوِيًّا مِنَ الهِنْدِ ذَاكِياً وَرَنْدَا ولُبْنَى والكِبَاءَ المُقَتَّرَا

---

(١) كنانية: من بني كنانة وهم كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير. ومنهم بنو يعمر، أما غسان فهم قبيلة غسان اليمنية بالشام.

(٢) بعيني: أي بمرآى عيني كان ظعنهم. ويروى: بعينيك. الأفلاج: جمع فلج وهو النهر الصغير. وكانت الأفلاج في الطريق إلى الشام، وقيمر: اسم مدينة.

(٣) الآل: السراب أول النهار، والسحاب. وكان من الشهور الحميرية (شهر ذو الآل). تكمشوا: أخذوا في سيرهم وجدّوا فيه. قال أسعد تُبّع: (وكمشتُ الجموع كمشاً رحيباً). حدائق: جمع حديقة وهي الأرض الشجراء. الدوم: اسم شجر. والسفين: جمع سفينة. والمقير: المطلي بالقار وهو الزفت.

(٤) المكرعات من النخل. أي النخل التي على الماء. ابن يامن: صاحب نخيل بأرض هَجَر بالبحرين والمشقر: حصن البحرين.

(٥) سوامق: عاليات. الجبار: الفتى من النخل وهو الذي فات الأيدي فلم تنله. الأثيث: الملتف بعضه على بعض. القنوان: العذوف. البسر: ما احمرّ من التمر.

(٦) حمته: أي حمت النخل. بنو الربداء من آل يامن: عشيرة يمانية في هَجَر البحرين. أقرّ: استقر. وأوقر: حمل ثمره.

(٧) أطافت به: اكتنفته. جيلان: اسم عشيرة. عند قطاعه: حين انصرامه. تروده فيه العين: ـ جاء في الهامش ـ (تكرر عليه ماء العين وهي عين محلم التي بالبحرين). وقد سلف ذكر نهر محلم بالبحرين.

(٨) الدُمَى: جمع دمية وهي الصورة من رخام ونحوه. سقف: اسم موضع. المرمر: نوع من الرخام. المزبد: الذي علاه الزبد. الساجوم: اسم وادي. غرائر: لا تجربة لهن. الكن: الحفظ والصون. الشذر: قطع الذهب. المفقر: المصوغ على شكل فقار الجرادة.

(٩) السنا: نبت ذو رائحة زكية. حقة حميرية: قال محمد أبو الفضل شارح الديوان خص الحقة =

[وقوله: وريح سنا. . إلخ. يقول د. محمد بافقيه: «في هذين البيتين قائمة بأنواع الطيوب التي صنعها اليمانيون أو تاجروا فيها وعرفوا بها في كل ديارهم من عدن حتى ديار كندة وحيث كانت قريتهم قُرَيَّة ذات كهل ـ باليمامة ـ إحدى المراكز الرئيسية على طريق البخور. وفي بيته الثاني نجد الرند واللبنى اللذين يذكّراننا بالمقاطر، أي المباخر الأثرية في متحف عدن، والتي حُفرت عليها ألفاظ بالخط المسند هي:

رند

لبنى

. . وهو القائل في مناسبة أخرى، وبالروي نفسه متذكراً أمجاد أبيه:

ويغزو بأعراب اليمانين كلهم ... له أمرهم حتى يحلّ المشقّرا»[1]

وكان المشقّر حصن الأمير والرابطة العسكرية اليمنية في إقليم البحرين (منطقة الخليج العربي) في عصر الحكم الكندي لليمامة ونجد والبحرين، وكان حكم حُجر بن الحارث يشمل (المشقر) وكذلك كان امرؤ القيس قد أقام فترة هناك بعد مقتل أبيه عندما أخذ بثأر أبيه من بني أسد، قبل وقوع الحرب بينه وبين المنذر وإقامته في مناطق طيء ومسيره إلى الشام حيث قال هذه القصيدة فذكر فيها الطيوب والبخور اليمانية وسلمى الكنانية القضاعية ثم قال:

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِيْنَ وَقَدْ أَتَتْ ... عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرِّكابِ وَأَوْجَرَا[2]

فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ والآلُ دُونَهَا ... نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا

تَقَطَّعُ أَسْبَابُ اللُّبَانَةِ والْهَوَى ... عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا

بِسَيْرٍ يَضِجُّ الْعَوْدُ مِنْهُ يَمُنُّهُ ... أَخُو الجَهْدِ لَا يُلْوِي عَلَيَّ تَعَذُّرَا[3]

وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيْتُ ظَعَائِناً ... وَخَمْلاً لَها كالْقَرِّ يَوْماً مُخَدَّرَا

= الحميرية لأن أكثر ملوك العرب من حمير فحُقّتهم تخص بأطيب الطيب). المفروك: المسك الجيد. الأذفر: الشديد النكهة. البان والألوى والرند واللبنى والكباء أسماء بخور.

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ٣٠٤/ ٢.

(٢) خملى وأوجر: موضعان. حوران: جبل مشهور بالشام وهو من الجولان. الآل: السراب والغمام. وقد سار امرؤ القيس من دمشق (جلق) إلى حوران ثم مضى من منطقة حوران وجبالها إلى حماة وشيزر: مدينتان مشهورتان في سورية. وشيزر حصن بالقرب من حماة.

(٣) العود: المُسن من الإبل. يمنه: يضعفه. أخو الجهد: السائق المجد الشديد. لا يلوى: لا يلتفت ولا يميل. تعذر: قَدَّمَ عُذراً. ويروى: «أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا». الظعائن: النساء في الهودج. الخمل: الظعيقة. القرّ: الهودج. المخدر: المستور.

كَأَثْلٍ مِنَ الأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ بَيْشَةٍ ... ودُونَ الْغُمَيْمِ عَامِدَاتٍ بِغَضْوَرَا[١]

[بيشة: وادي بيشة في منطقة السَرَاة بأعالي اليمن. قال الهمداني: بلد خثْعَم: بيشَةَ وتَرْج وتَبَالة.. وكانت بيشة مشهورة بالأسود].

فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وهَجَّرَا[٢]

تُقَطِّعُ غِيطَاناً كَأَنَّ مُتُونَهَا ... إِذَا أَظْهَرَتْ تُكْسَى مُلَاءً مُنَشَّرَا[٣]

بَعِيدَةٍ بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ كَأَنَّهَا ... تَرَى عِنْدَ مَجْرَى الضَّفْرِ هِرًّا مُشَجَّرَا[٤]

تَطَايَرُ ظِرَّانِ الْحَصَى بِمَنَاسِمٍ ... صِلَابِ الْعَجَى(مَلْثُومُهَا) غَيْرُ أَمْعَرَا[٥]

كَأَنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِها وأمامِها ... إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها حَذْفُ أَعْسَرَا[٦]

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تَشِذُّهُ ... صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا[٧]

عَلَيْهَا فَتًى لم تَحْمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ ... أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ وَأَوْفَى وأَصْبَرَا[٨]

هُوَ الْمُنْزِلُ الأُلَّافِ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ ... - بني أَسَدٍ - حَزْناً مِنَ الأَرْضِ أَوْعَرَا[٨]

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ ... وَلَكِنَّهُ عَمْداً إلى الرُّومِ أَنْفَرَا[٨]

[قوله: (عليها فَتًى.. إلخ) جاء في هامش البيت بالديوان: إن (الفتى: هو

---

(١) الأثل: شجر معروف. الأعراض: الأودية. بيشة: موضع باليمن كثير الأسود. الغميم: اسم وادي بالأعراض.

(٢) الجسرة: الناقة القوية على السير. الذمول: السريعة. صام النهار: قامت الظهيرة. هجر: حميت الهاجرة واشتد حرّها.

(٣) الغيطان: المطمئن من الأرض. متونها: ظهورها. أظهرت: دخلت في وقت الظهيرة. الملاء المنشر: الثوب المبسوط.

(٤) المنكب: رأس العضد. الضفر: حبل يفتل من شعر وهو من أطناب الهودج. الهر: القط. مشجر: مربط ومعلق.

(٥) الظران: قطع من الحجارة حادة. العجى: جمع عجاية وهي كما قال الأصمعي: قدر مضغة تكون موصولة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى الفرس. المتلوم: الخف الذي تلمته الحجارة والحصى. غير أمعر: لم يذهب شعره. ويروى (متلومها).

(٦) نجلته: رمته بمناسمها. الحذف: الرمي. الأعسر: الذي يعمل بيديه، ويقال له: أعسر يسر.

(٧) صليل المرو: صوت الحجارة. تشذه: تطيره. الزيوف: الدراهم الخالية من الفضة. عبقر: وادي عبقر، وهو وادٍ لبني عبقر من قبيلة بَجِيلة اليمنية بأعالي سراة اليمن بين مخلاف نجران والطائف.

(٨) الميثاق: العهد. الألّاف: القصّاد الذين ألفوا إحسانه. ناعط: جاء في هامش البيت بالديوان (ناعط: جبل باليمن من أرض همدان. الحَزن: الأرض الصعبة المسالك. أوعر: من الوعرة وهي الشدة والصعوبة. العمد. القصد).

نفسه) والصواب أنه لا يعني نفسه بدليل قوله في البيت التالي (هو المُنْزِلُ الأُلافَ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ) وناعط مدينة فوق جبل في منطقة عمران باليمن، وجاء في هامش البيت بالديوان (ناعط: جبل باليمن من أرض همدان). . فذلك الفتى (الأمير) هو ـ يا بني أسد ـ الذي أنزل الأُلاف من جبل مدينة ناعط إلى حَزْنٍ من الأرض، والحَزْن: الأرض الصعبة المسالك. ثم يقول عن ذلك الفتى الأمير):

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ وَلَـكِـنَّـهُ عَـمْـداً إِلـى الـرُّومِ أَنْـفَـرَا

وأرض حِمْيَر هي اليمن، أو منطقة سَرْو حِمْيَر وبقية مناطق حمير باليمن والتي كان يحكمها آنذاك الملك معدي كرب بن سُمَيْفع ذو يزن، فيكون هو الفتى المقصود وهو الذي أشار على امرىء القيس بالمسير إلى الروم والاستنصار بقيصر الروم] ـ

ثم بعد ذلك البيت قال امرؤ القيس:

بَكَىٰ صَاحِبِي لَمَّا رَأَىٰ الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْـقَـنَ أَنَّـا لَاحِـقَـانِ بِـقَـيْـصَـرَا[1]

فَـقُـلْـتُ لَـهُ لا تَـبْـكِ عَـيْـنُـكَ إِنَّـمَـا نُـحَـاوِلُ مُـلْـكـاً أَوْ نَـمُـوتَ فَـنُـعْـذَرَا

وإِنِّـي أَذِيـنٌ إِنْ رَجَـعْـتُ مُـمَـلَّـكـاً بِـسَـيْـرٍ تَـرى مِـنْـهُ الـفُـرَانِـقَ أَزْوَرَا[2]

عَـلَـى ظَـهْـرِ عـادِيٍّ تَـحَـارُبِـه الـقَـطَـا إذا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا[3]

وبعد هذا البيت في الديوان ٢٣ بيتاً، ويبدو أنها قصيدة سابقة بنفس الروي، فتم دمج القصيدتين، وقد ذكر ابن قتيبة الأبيات السالفة ثم قال ابن قتيبة ما يلي نصه:

«وصار امرؤُ القيس إلى ملك الروم، فأكرمه ونادمه، واستمدَّه فوعده ذلك. وفي هذه القصة يقول:

ونَـادَمْـتُ قَـيْـصَـرَ فـي مُـلْـكِـهِ فـأَوْجَـهَـنـي ورَكِـبْـتُ الـبَـرِيـدَا

(١) الدرب: اسم موضع وهو الطريق بين الشام وأرض الروم. قال ياقوت الحموي: «الدرب: ما بين طرسوس وبلاد الروم، لأنه مضيق كالدرب، وإياه عَنَى امرؤ القيس».

(٢) أذينٌ: كفيلٌ وزعيم. الفرانق: الأسد: أزور. مائل. وجاء في هامش رواية ابن قتيبة: «الفرانق: سبع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به. ويقال إنه شبيه بابن آوى. أزور: مائل العنق».

(٣) جاء صدر البيت في الديوان «على لاحب لا يهتدي بمناره» ومعنى (على لاحب: على طريق واضح. لا يهتدى بمناره: ليس له منار يُهتدى به. والمنار: العلامة توضع على الطريق للاهتداء بها». ورواية ابن قتيبة (على ظهر عادي. إلخ). والعادي: الطريق القديم. سافه: شمّه. العود: الجمل المسن وفيه بقية. الديافي: نسبة إلى دياف. وهي قرية بالشام تنسب إليها النجائب. ويعني: إذا ساف الجمل تربة هذا الطريق جرجر جزعاً من بُعده وقلة مائه. ومعنى جرجرا: رغا وضج.

إِذَا مـا ازدَحَـمْـنـا عـلـى سِـكَّـةٍ سَـبَـقْـتُ الـفُـرَانِـقَ سَـبْـقـاً بَـعـيـدا»

وقبل البيتين بالديوان بيتان ذكر فيهما ابنته هند وهو عند قيصر، وهما:

أَأَذْكَـرْتَ نَـفْـسَـكَ مَـا لَـنْ يَـعُـودَا فَـهَـاجَ الـتَّـذَكُّـرُ قَـلْـبـاً عَـمِـيـدَا
تَـذَكَّـرْتُ هِـنْـداً وأَتْـرَابَـهَـا فـأَصْـبَـحْـتُ أَزْمَـعْـتُ مِـنْـها صُـدُودا
ونَـادَمْـتُ قَـيْـصَـرَ فـي مُـلْـكِـهِ فـأَوجَـهَـنـي ورَكِـبـتُ الـبَـرِيـدَا[١]

قال ابن قتيبة: «ثم بعثَ قيصرُ معه جيشاً فيهم أبناءُ ملوك الروم. فلمَّا فَصَل [أي سار بالجيش] قيل لقيصر: إنَّك أمددتَ بأبناءِ ملوكِ أرضك رجلاً من العرب، وهم أهل غدر، فإذا استمكن ممّا أراد وقَهر بهم عدوّه غزاك»[٢].

ويتبين من ذلك أن الأمر لم يكن كما قال مطهر الأرياني في الموسوعة من أنه: «استقبل قيصر الروم جوستنيان امرأَ القيس ولكنه كان ضعيفاً ولم يغتنم فرصة العداء الطارىء بين امرىء القيس والفرس... ولهذا فإن القيصر لم يمده بقوة يسترجع بها عرش آبائه ويُقَلِّص بذلك من نفوذ الفُرس، بل زاد في طين النحس الذي لازم امرأَ القيس بلَّة، فعيَّنه فيلارق لإقليم فلسطين من ديار الشام الواقعة تحت أشراف الحارث الغساني، فزاد انشقاق العصا بين الحارث الغساني وامرىء القيس انشعاباً..» (اهـ).

فالواقع أن القيصر جوستنيان ملك الروم لم يكن ضعيفاً، فهو أقوى وآخر عظماء القياصرة الروم، ولا بد أنه رأى في إمداد امرىء القيس فرصة في تقليص نفوذ المنذر ملك الحيرة المرتبط بالفرس وفي مدّ نفوذ الروم إلى شمال شرق الجزيرة وإقليم الحيرة، ولذلك فإن القيصر بعث جيشاً مع امرىء القيس بالفعل حيث كما ذكر ابن قتيبة «بعث قيصر معه جيشاً فيهم أبناء ملوك الروم». ولا بد أنهم قوة رمزية لأن القوة الرئيسية لا بد أن تكون من عند الملك الحارث الغساني بالشام، وربما كتب إليه قيصر بذلك، فلما سار امرؤ القيس بذلك الجيش. أعاد قيصر التفكير بالأمر على ضوء قول بعض مستشاري قيصر له: «إنَّك أمددتَ بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب، وهم أهل غدر، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوّه غزاك». ولعل المقصود أن امرأَ القيس إذا استعاد مُلْك آبائه وقهر المنذر سيتحالف مع الفُرس ويغزو معهم كما يفعل المنذر وغيره من ملوك الحيرة. وعندئذٍ ـ فيما يبدو ـ أمر القيصر ببقاء امرىء القيس بالشام، وربما عيّنه فيلارقاً والياً على إقليم فلسطين، وبذلك أوقف مسير القوة التي أمدّه بها، وربما وعده بأنه سيمدّه بجيش يسير به لقتال المنذر

(١) أوجهني: جعلني عنده وجيهاً. ويروى (فأرحبني)
(٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٠.

في وقت لاحق، فمكث امرؤ القيس يراجع من أجل ذلك وهو ما يتبين من قوله:

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو … وأَبْلِغْ ذَلِكَ الحَيَّ الجَدِيْدَا[١]

بِأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ … بَعِيْداً مِنْ دِيَارِكُمُ بَعِيدا

أُعَالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كلَّ يَوْمٍ … وَأَجْدِرْ بِالمَنِيَّةِ أَنْ تَقُودا[٢]

بِأَرْضِ الشَّامِ لا نَسَبٌ قَرِيبٌ … ولا شَافٍ فَيَسْنِدَ أَوْ يَعُودَا[٢]

وَلَوْ وافَقْتُهُنَّ عَلى أُسَيْسٍ … وَحَاقَةَ إِذْ وَرَدْنَ بِنَا وُرُودَا[٣]

عَلى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ … أَزِمَّتَهُنَّ مَا يَعْدِقْنَ عُودَا[٣]

و(أُسَيْس) الذي ذكره امرؤ القيس جبل في جنوب شرق دمشق تم العثور فيه على نقش كتبه أحد قادة الملك الحارث بن جبلة الغساني (هو إبراهيم بن مغيرة الأوسي ويذكر أن الملك الحارث كلفه بالمرابطة في ذلك الموضع على رأس مسلحة أي حامية عسكرية. وقد ذكر امرؤ القيس في هذا الشعر أنه أُصيب بمرض في الشام وأن لا طبيب يشفيه منه (ولا شاف فَيَسْنِدَ أو يعودا) وهو المرض الذي قال عنه:

وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ … فَيَا لَكَ نُعْمَىٰ قد تَحَوَّلَ أَبْؤُسَا

ولذلك يقال له (ذو القروح).

وسار امرؤ القيس إلى قيصر ملك الروم ـ وذلك فيما يبدو للمرة الثانية ـ ليستنجزه وعده بإمداده بجيش لغزو عدوه واستعادة مُلك آبائه. وقد شاعت رواية تزعم «أن امرأَ القيس مضى حتى انتهى إلى قيصر، فأكرمه وكانت له عنده منزلة، ثم اندسّ رجل يقال له الطمّاح ـ كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد ـ حتى أتى بلاد الروم فأقام مستخفياً. وبعد مدة ضمّ قيصر إلى امرئ القيس جيشاً كثيفاً، وفيهم جماعة من أبناء الملوك، فلما فصل قال الطمّاح لقيصر: إن امرأَ القيس لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل بنتك ويواصلها، وأنه يقول فيها أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك. فبعث إليه قيصر بحُلّة منسوجة بالذهب مسمومةٍ، وكتب إليه: إنّي قد بعثتُ إليك بحُلّتي التي كنت ألبسها يوم الزينة تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها، واكتب لي من كل منزل بخبرك، فلما وصلت إليه

(١) بنو حجر بن عمرو: بنو حجر آكل المرار، ويعني قبيلة كندة. وقوله (الجديدا) ربما يعني (الخبر الجديد) أي آخر أخباره.

(٢) أعالج: أطلب وأقصد. وقوله: لا نسب قريب ولا شاف: يعني لا قريب له فيعول أمره في مرضه ولا طبيب يشفيه مما ألمّ به.

(٣) جاء في الهامش بالديوان «أسيس: موضع بدمشق. والضمير عائد على النوق. وحاقة: موضع. القلص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة. ما يعدقن: ما يجمعن.

الحُلّة اشتد سروره بها، ولبسها، فأسرع فيه السم، وتنفط وسقط جلده».

وقد وصف مطهر الأرياني تلك الرواية بأنها «.. قصة ساذجة عن الحلة المسمومة التي أهداها إليه القيصر ليقتله بها غسلاً للعار الذي لحقه لأن ابنته أحبت امرأ القيس وأحبَّها بدوره وفضحها بغزله بين العرب، ولكن هذه الرواية ليست بِمُقنعة». (اهـ) ومما يؤكد عدم صحتها أن ابن قتيبة إنما ذكر أنه «.. لما فَصَل امرؤ القيس بالجيش، قِيل لقيصر: إنّك أمددتَ بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب، وهم أهل غدر، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوه غزاك. فبعث إليه قيصر بحُلَّة منسوجة بالذهب مسمومة.. إلخ..». فلم يكن السبب مكيدة الطمّاح المزعوم بأنه من بني أسد ولا تَغَزُّل امرىء القيس بابنة القيصر، وإنما أراد قيصر أن يتحلل من وعده بمساندة امرىء القيس، وقد سلف تبيين أن امرأ القيس كان مريضاً وهو بالشام وكان مصاباً بذلك المرض عندما سار قاصداً القيصر، مما قد يعني أن مقولة إهداء القيصر له حُلَّة مسمومة غير صحيحة وإنما استنتجها بعض الرواة من المرض الذي أُصيب به، وقد أشار مطهر الأرياني إلى «أن بعض المؤرخين المعاصرين ينكر وصول امرىء القيس إلى بلاد الروم» (اهـ). ونرى صواب عدم وصوله إلى قيصر الروم ولكن في المرة الثانية، فقد كان مقر القيصر مدينة القسطنطينية (استنبول) فلما وصل امرؤ القيس إلى مدينة (أنقرة) وهي في تركيا في الطريق إلى القسطنطينية اشتد به المرض. وقد ذكر ابن قتيبة أنه «لما صار امرؤ القيس إلى مدينة بأرض الروم تُدعى أَنْقِرَة ثَقُل ـ أي اشتد به المرض وظهرت القروح بجسمه ـ فأقام بها حتى ماتَ، وقُبر هناك». وقال وهو مريض:

وبُدِّلْتُ قَرْحاً دامِياً بعد صِحَّةٍ ... فَيَا لَكَ نُعْمَىٰ قد تَحَوَّلَ أَبْؤُسَا

فلو أنَّها نفسٌ تموتُ سويةً ... ولكنَّها نفسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسا

«ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم ماتت بأنقرة، فسأل عن صاحبة القبر فأخبرَ بخبرها، فقال:

أَجَارَتَنَا إنَّ المَزَارَ قَرِيبُ ... وإنّي مُقِيمٌ ما أقام عَسِيبُ

أَجَارَتَنَا إنَّا غَرِيبَانِ هاهنا ... وكُلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وعسيب: جبل هناك»(١).

* * *

زمن وفاة امرىء القيس.. وما بعد وفاته:

لقد سلف تبيين أن مولد امرىء القيس كان حوالي عام ٤٩٧ ميلادية، وذلك

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢١.

قبل الهجرة النبوية بحوالي ١٣٠ عاماً. وقد اعتنى الدارسون بتحديد وتقدير وقت وفاته، فجاء في كتاب تاريخ الأدب العربي أنه «مات حوالي عام ٥٤٠ ميلادية» بينما جاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه «مات نحو عام ٥٤٥م/ الموافق نحو عام ٨٠ قبل الهجرة» وكذلك جاء في ترجمته بالموسوعة أنه «توفي عام ٥٤٥ ميلادية، أو قبل ذلك، أي أنه عاش عمراً لم يتعد الخمسين عاماً، بين عامي ١٣٠ و٨٠ قبل الهجرة النبوية، أي أنه توفي قبل ميلاد الرسول ﷺ بنحو ستة وعشرين عاماً» (اهـ) . بينما جاء في مقدمة ديوان امرىء القيس أنه «مات سنة ٨٠ قبل الهجرة و٥٦٥ ميلادية» وهذا القول بأنه (مات عام ٥٦٥ ميلادية) يتناقض مع كونه (مات سنة ٨٠ قبل الهجرة) لأن الهجرة كانت سنة ٦٢٠ ميلادية، فالذي يوافق سنة ٨٠ قبل الهجرة إنما هو عام ٥٤٠ ميلادية، فيكون الصواب أن وفاة امرىء القيس كانت ما بين عام ٥٤٠م وعام ٥٤٥ ميلادية.

ومما تلي وفاة امرىء القيس من أحداث ذات صلة بتاريخه:

ـ اندلاع الحرب بين الحارث الغساني والمنذر ملك الحيرة عدو امرىء القيس الذي طلب امرؤ القيس دعم الحارث وقيصر ملك الروم لمحاربته. حيث ـ كما ذكر الأستاذ أحمد أمين ـ «قَضَى الحارث بن جَبَلة الغساني أكثر أيام حكمه في محاربة المنذر أمير الحيرة، وفي يونيه سنة ٥٥٤م انتصر الحارث نصراً عظيماً على المنذر في قنسرين. وربما كانت هذه الوقعة هي التي عُرِفت بيوم حليمة»[١] .

وقد ذكر ابن خلدون أن الحارث بن جَبَلة هو «الحارث الأعرج ابن أبي شمر الغساني. وأُمُّه مارية ذات القُرطيْن مِنْ بني جَفْنة بنت الهانىء المذكورة في شعر حسان بن ثابت. وهو الذي سار إليه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في مائة ألف، فبعث إليه الحارث مائة من قبائل العرب، فأظهروا أنهم رُسلٌ في الصلح حتى إذا أحاطوا برواق المنذر فتكوا به وقتلوا جميع من كان معه في الرواق وركبوا خيولهم، فمنهم مَنْ نجا ومنهم من قُتِل. وحملت غسان على عسكر المنذر وقد اختبطوا فهزموهم. وكانت حليمة بنت الحارث تحرض الناس على القتال، فسُمّي ذلك اليوم يوم حليمة»[٢] . وقد كانت حليمة بنت الملك الحارث الغساني تُطيِّب الجنود بالعطر والطيوب على أنه النصر أو الموت، فضرب الناس المثل بذلك اليوم فقيل «ما يوم حَليمة بِسِرّ» وهو يوم موقعة قنّسرين ـ في يونيو ٥٥٤م ـ وقد انجلت الموقعة عن مقتل المنذر بن ماء السماء ملك الحِيرة وملك العرب بالعراق، ووقع

---

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٠.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٢٠١.

كثير ممّن كان معه قتلى وأسرى، ونجا أكثر الذين كانوا معه هاربين. وكان من الأسرى شاس بن عبدة في جماعة من تميم، فوفد الشاعر علقمة بن عبدة إلى الملك الحارث ومدحه واستعطفه بقصيدة منها قوله:

إلى الحارث الوهاب أعْمَلْتُ ناقتي ... لِكَلْكَلِهَا والعَصْرِيّينِ وجِيبُ
وفي كلِّ حيّ قد خبطتَ بنعمةٍ ... فحقّ لشاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذنوبُ

فعفا الملك الحارث عن شاس بن عبدة وأسرى تميم ووهبهم لعلقمة بن عبدة الشاعر، وقد امتدّ سلطان ونفوذ الملك الحارث بن جَبَلَة الغساني إلى مناطق قبيلة طيء ـ التي كان امرؤ القيس أقام فيها ـ وهي مناطق جبلي أجا وسلمى في نجد، وقال بعض الشعراء في الحارث هذا ـ كما جاء في شرح الدامغة:

الحارثُ الأعرجُ نِعْم الفتىٰ ... بالله لا النكس ولا الخامل
مَنْ قوله القولُ الرفيع الذي ... يمرع منه البلد الماحل
الطاعنُ الطعنة عند الوغىٰ ... يذهل عنها البطل الباسل

وقد مَيَّزه الهمداني بأنه «الحارث بن أبي شمر الأكبر وهو الأعرج، وأُمّه مارية ذات القرطين»[١] وذلك تمييز له عن الحارث بن أبي شمر الأصغر بن عمرو الغساني الذي وفد إليه حسان بن ثابت الأنصاري وأدرك الإسلام، فالحارث بن أبي شمّر الأكبر هو الحارث بن جَبَلَة بن الحارث بن ثعلبة بن جَفْنة الغساني وهو الذي به وبقيصر الروم استنصر امرؤ القيس ثم هزم وقتل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في موقعة قنسرين المشهورة بيوم حليمة في يونيو ٥٥٤ ميلادية. وقد ذكر الأستاذ أحمد أمين أنه: «في عام ٥٦٣م سافر الحارث بن جَبَلة الغساني إلى القسطنطينية ليفاوض الإمبراطور (جوستنيان) في شؤون الحرب التي بينه وبين الحيرة. وفي مَنْ يخلفه على الحكم. ومات الحارث عام ٥٦٩ أو ٥٧٠ ميلادية»[٢]. وقد حكم بعد الحارث ابنه (المنذر بن الحارث) واشترك معه أخوته في الحكم. وإليهم ـ وإلى الأيهم بن جَبَلة الغساني ـ وَفَدَ حسان بن ثابت الأنصاري قبل الإسلام، ومما قاله حسان الشعر الذي ذكر فيه (مارية ذات القرطين الجفنية الغسانية اليمانية) والدة الحارث، حيث قال حسان بن ثابت:

لله درّ عصابة نادمْتُهم ... يوماً بِجِلّقِ في الزمان الأول[٣]
أبناء جَفْنَة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المُفْضَل
يُسقون من ورد البريص عليهم ... بَردىٰ يُصَفَّقُ بالرحيق السلسلِ[٣]

---

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١٩. (٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٠.
(٣) جلق: اسم مدينة دمشق. بردى: نهر بردى في دمشق.

بِيضِ الوجوه، كريمة أحسابهم شمّ الأُنوفِ من الطراز الأول

* * *

ومما يتصل بامرىء القيس أنه لما سار إلى الشام وقيصر الروم كان قد وضع دروعه وأسلحته أمانة عند السَّموأل بن عاديا الغساني صاحب حصن تَيْماء، حيث - كما ذكر ابن قتيبة - «استودعه مائة درعٍ وسلاحاً كثيراً». وقد أقامت بتيماء آنذاك هند بنت امرىء القيس، ويزيد ابن عمِّ امرىء القيس وهو - في رواية الأغاني - «يزيد بن معاوية بن الحارث الكندي» ولعل الأصوب أنه «يزيد بن شرحبيل بن الحارث الكندي» وكان معه ابنه (النعمان بن يزيد) وابنته «كبشة بنت يزيد بن شرحبيل بن الحارث الكندي».

فلما مات امرؤ القيس - وعندما اندلعت الحرب بين الحارث الغساني والمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة - وكما ذكر ابن قتيبة:

«بَلَغَ الحارث بن أبي شمّر الغسانيَّ ما خلَّفَ امرؤ القيس عند السَّموأل، فبعث إليه رجلاً من أهل بيته، يُقال له الحارث بن مالك - في خيل - وأمره أن يأخذَ منه سلاح امرىء القيس وودائعه، فلما انتهى إلى حصن السّموأل أغلقه دونَه - أي أبىٰ تسليمه السلاح والدروع - وكان للسّموأل ابنٌ خارج الحصن يتصيَّد، فأخذه الحارث وقال للسّموأل: إن أنتَ دفعتَ إليّ السلاح وإلّا قَتَلْتُه. فأبَىٰ أن يدفع إليه ذلك وقال له: اقتل أسيرك - إن شئت - فإني لا أدفع إليك شيئاً. فقتله. وضربت العربُ المثلَ بالسموأل في الوفاء، وقد ذكره الأعشى في قصيدة له»[1] حيث (قال الأعشى لشريح بن السموأل بن عاديا الغساني:

كُنْ كالسّموأل إذْ طاف الهمام به	في جحفلٍ كهزيع الليل جرّارِ
إذْ سَامَهُ خطتي خسفٍ فقال له	قل ما تشاء فإنّي سامع حارِ
فقال غدرٌ وثكلٌ أنت بينهما	فاختر، وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكّ غير طويلٍ، ثم قال له	اقْتُل أسيركَ إنّي مانعٌ جاري
وسوف يعقبنيه إنْ ظفرتَ به	ربٌّ كريم وبِيضٌ ذات أطهارِ
فاختار أدراعه كي لا يُسبّ بها	ولم يكن وعده فيها بختّار»[2]

قال ابن قتيبة: «ودفع السموأل ما أودعه امرؤ القيس من السلاح وغيره إلى عصبته»[3]. أي إلى ابن عمه يزيد وابنته هند بنت امرىء القيس ومن كان معهما من أسرته.

(١) الشعر والشعراء - ابن قتيبة - ص ١٢١.
(٢) الأغاني - الأصفهاني - ص ٨/٧٩.
(٣) الشعر والشعراء - ابن قتيبة - ص ١١٩.

ـ وعادت هند بنت امرىء القيس ويزيد ابن عم امرىء القيس والذين معهما إلى منطقة كندة في حضرموت باليمن، وكانت الرئاسة في كندة وحضرموت بشرق اليمن ما تزال في نفس آل (معاوية الأكرمين) الذين منهم كان (حجر آكل المرار) والحارث بن عمرو بن حُجر (وامرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية الأكرمين) حيث كان رئيس كندة وحضرموت هو الملك القَيْل «قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جَبَلة بن عَدِي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي» وقد تزوَّج قيس بن معدي كرب بكبشة بنت يزيد ابن عم امرىء القيس، وكان قيس بن معدي كرب زعيماً كبيراً، وفيه قال الأعشى لما وَفَدَ إليه أول مرة:

ونُـبِّـئْـتُ قَـيْـسـاً ولَـمْ أبْـلُـهُ ... كـمـا زَعَـمُـوا خَـيْـرَ أهـلِ الـيَـمَـنْ
رَفِـيـعَ الـوسَـادِ، طـويـل الـنِّـجـادِ ... ضَـخـمَ الـدَّسيعَـة، رَحْـبَ الـعَـطَـنْ

فأكرمه قيس بن معدي كرب، فقال الأعشى يُثني عليه قصيدة منها قوله:

عُـدّ هـذا فـي قَـريـضٍ غَـيْـرِهِ ... واذكُرْن في الشّعرِ دِهْقَان اليَمَنْ
بـأبـي الأشْـعـثِ قـيـسٍ، إنّـه ... يشتري الحَمْدَ بمنفوس الثَّمَنْ

ودهقان كلمة فارسية معناها تاجر كبير، وتُستخدم بمعنى زعيم كبير، فالمقصود بقوله (دهقان اليمن: عظيم اليمن). وكان حصن النُّجير، الشامخ بالقرب من مدينة تريم في حضرموت، مقر قيس بن معدي كرب الكندي، وفيه قال الأعشى:

يَـا حَـبَّـذا وادي الـنُّـجـيـر ... وَحَـبَّـذا قَـيْـسُ الـفِـعَـالِ
الـقـائـد الـخَـيْـلَ الـجِـيَـادِ ... ضَـوَامِـراً مِـثْـلَ الـمـغَـالـي

ـ والمغالي: السهام التي يُرمىٰ بها ـ وفيه أيضاً قال الأعشى:

وجُلُنْدَاء فـي عُـمَـانَ مُـقِـيـمـاً ... ثُـمّ قَيْساً في حَضْرَمَوْتَ المُنِيفِ

وكان حكم قيس بن معدي كرب يمتد في حضرموت إلى المهرة ومفاوز عمان شرقاً وإلى شبوة غرباً، فقد قال الأعشى وهو عنده بشبوة:

إنّـا لَـدَى مَـلِـكٍ بـشَـبْـوَةَ ... مـا تَـغِـبُّ لـه الـنَّـوافِـلْ
مُـتَـحَـلِّـبِ الـكـفَّـيْـنِ مِـثْـل ... الـبَـدْرِ قَـوّالٌ وفـاعِـلْ

وفي منطقة حكم قيس بن معدي كرب بحضرموت عاش يزيد ابن عم امرىء القيس وعاشت هند بنت امرىء القيس بعد عودتهما من تيماء إلى اليمن، فقد تزوج قيس بن معدي كرب بكبشة بنت يزيد وهي والدة الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن: «أمّ الأشعث بن قيس:

كبشة بنت يزيد، من ولد الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المرار»[١] وجاء في كتاب الإصابة أن: «النعمان بن يزيد بن شُرَحْبيل.. خال الأشعث بن قيس، وكان يُلَقّبُ ذا العرف»[٢]. وقد كان قيس بن معدي كرب ملكاً قَيْلاً بحضرموت في إطار الدولة الحميرية أيام ملوكية معدي كرب بن سميفع ذي يزن لشرق اليمن وفي عهد الملك سيف بن ذي يزن (٥٧٢ ـ ٥٩٠م) واستمر ملكاً بحضرموت إلى بداية البعثة النبوية وسنواتها الأولى، ويقال إنه أسلم، ويقال إنه مات في الجاهلية. وتولى الحكم بعده الأشعث بن قيس الكندي، وكان عمه (عفيف بن معدي كرب الكندي) تاجراً وكان يسير إلى مكة للتجارة، فأسلم منذ وقت مبكر، وكذلك أسلم الأشعث بن قيس منذ وقت مبكر وهو في حضرموت باليمن.

ـ وفي سنة ٩هـ ـ الموافق ٦٢٩م ـ انطلقت وفود كندة وحضرموت من اليمن إلى النبي ﷺ بمدينة يثرب، وقد جاء في السيرة النبوية وفي عيون الأثر أنه «قَدِم على رسول اللَّه ﷺ الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً من كندة»[٣] وكان منهم (عفيف بن معدي كرب. عم الأشعث بن قيس) وكذلك كان منهم (النعمان بن يزيد. ابن عم امرىء القيس) وقد جاء في كتاب الإصابة أنه (النعمان بن يزيد بن شرحبيل بن امرىء القيس بن عمرو بن حُجر الكندي. خال الأشعث بن قيس. وكان يُلقب ذا العرف)[٢]. بينما جاء في الاستيعاب أن «أمّ الأشعث بن قيس: كبشة بنت يزيد، من ولد الحارث بن عمرو..»[١] فيكون الأصوب أن النعمان هو «النعمان بن يزيد بن شرحبيل بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي» وهو نجل يزيد ابن عم امرىء القيس الذي عاد مع هند بنت امرىء القيس إلى اليمن كما سلف التبيين.

* * *

ذكر امرىء القيس عند النبي ﷺ وحديث النبي ﷺ عن امرىء القيس:

وقد ذكر النبي ﷺ امرأ القيس بأنه «قائد الشعراء»، وأنه «يجيءُ يوم القيامة معه لواء الشعراء»، وشاع في الروايات والأخبار إضافة (إلى النار) وأنه قال (قائد الشعراء إلى النار) وأن «معه لواء الشعراء إلى النار».

وباستقصاء الخبر والحديث ومناسبة ذلك، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني في ترجمة (عفيف بن معدي كرب الكندي) بكتاب الإصابة ما يلي نصه: «روى البغوي والطبراني وأبو زرعة أحمد بن حسين الرازي في كتاب الشعراء من طريق هشام بن

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ١٠٩/ ١.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٥٦٦/ ٣.
(٣) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٠٨/ ٢ـ والسيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٤/ ٤.

الكلبي عن سعيد بن فروة. وفي رواية أبي زرعة: عن فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب عن أبيه عن جده قال: بينما نحن عند رسول اللّه ﷺ إذْ أقْبَلَ إليه وفد من اليمن، فقالوا: يا رسول اللّه لقد أحيانا اللّه ببيتين من شعر امرىء القيس. فذكر الحديث والقصة. .»[١]. وقد اكتفى الحافظ ابن حجر بتلك الإشارة إلى القصة، وقد ذكرها ابن قتيبة كما يلي نصه: «قال ابن الكلبي: أقْبَلَ قوم من اليمن يريدون النبيَّ ﷺ، فضَلُّوا الطريقَ، ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماءِ، فجعل الرجلُ منهم يَسْتَذْرِي بفَيءِ السَّمُرِ والطَّلْحِ[٢] فبينَما هُم كذلك أقبَلَ راكبٌ على بعير، وأنشد بعضُ القوم:

لَـمَّـا رَأَتْ أَنَّ الـشَّـرِيـعَـةَ هَـمُّـهـا ... وأَنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دامِي[٣]

تَـيَـمَّـمَـتِ الـعَـيْـنَ الـتي عِـنْـدَ ضَـارِجٍ ... يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طامِي[٤]

فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: امرؤ القيس، قال: واللّه ما كَذَب، هذا ضارجُ عندكم، وأشار لهم إليه، فأتوه فإذا ماءٌ غَدِقٌ، وإذا عليه العَرْمَضُ والظِلُّ يَفِيءُ عليه، فشربوا منه وارْتَوَوْا، ولولا ذلك لهلكوا، وساروا حتّى بلغُوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: يا رسول اللّه لقد أحيانا اللّه ببيتين من شعر امرىء القيس فأخبَروه الخبر، فقال النبي ﷺ: ذاكَ رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، مَنْسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يوم القيامة معه لواء الشعراءِ، إلى النار»[٥].

وباستثناء كلمة (إلى النار) فإن قول النبي ﷺ: «ذاك رجل مذكور في الدنيا» فيه

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٤٨٧/ ٢.

(٢) الذرى: ما كَنَّك من الريح الباردة من حائط أو شجر، يقال «تذرى» بالحائط والشجر من البرد والريح، و (استذرى) كلاهما: اكتن.

(٣) الشريعة: مشرعة الماء، وهي مورد الشرب التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عداً لا انقطاع له ويكون ظاهراً مَعِيناً لا يسقى بالرشاء ـ والرشا حبل الدلو. الفرائص: جمع فريصة وهي لحمة عند نغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان، ترتعدان عند الفزع. ويعني أن الحُمر ـ الوحشية ـ لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم، فتحولت إلى العين التي عند ضارج. وقوله: همّها: أي طلبها.

(٤) العين التي عند ضارج: عين الماء التي عند الموضع الذي اسمه ضارج. العرمض: الطحلب. وطامي: مرتفع. وقد تحولت الحمر الوحشية إلى ضارج لعدم وجود رُماة بالسهام عند العين التي في ضارج. وقد كان موضع ضارج ترتاده الحيوانات في أيام امرىء القيس ثم تصحرت تلك المنطقة فيما يبدو، فلم يعرف القوم الذين ساروا من اليمن عبر تلك الطريق طريقهم ومكثوا ثلاثة أيام بدون ماء، ولكنهم كانوا يعرفون ويذكرون شعر امرىء القيس ويدركون أنهم بالقرب من ضارج، فلما سمعهم الأعرابي أشار لهم بمكان ضارج، فأتوه فوجدوا الماء.

(٥) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١٢.

إخْبَارٌ بأن ذكر امرىء القيس سيدوم طوال الحياة الدنيا ولا ينقطع ما دامت الدنيا. وقوله إنه: «مَنْسيٌ في الآخرة» ليس المقصود النسيان وإنما المقصود التأجيل والمنسيُّ: المؤجل، فهو مَنْسيٌ في الآخرة حتى يحكم اللَّه في أمره، فهو مثل أهل الأعراف الذين ذكرهم اللَّه في القرآن، وقول النبي ﷺ: «يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء» فيه إخبار بأنه أمير كل الشعراء وصاحب لواء كل الشعراء يوم القيامة. وقد جاء في آخر الرواية لفظ (إلى النار) مما ألقى ظلالاً من الشك حول الحديث لأنه يتعارض مع القرآن والسُّنَّة.

وكذلك الحديث الثاني، وقد استقصاه محقق كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وهو حديث «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء، إلى النار» وأنه رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وذكره ابن كثير عن المسند وقال: «هذا منقطع، وورد من وجه آخر عن أبي هريرة، ولا يصح من غير هذا الوجه». ورواه أيضاً البزار، كما في مجمع الزوائد وجمع الفوائد. وإسناده عند أحمد «حدثنا هشيم، حدثنا أبو الجهم الواسطي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة». وأبو الجهم هذا يُذكر في بعض كتب الرجال باسم (أبو الجهم الأيادي) وهو مجهول، وضَعّفَه أبو زرعة الرازي، وقال ابن عَدِي إنه «شيخ مجهول لا يُعرف له اسم، وخبره منكر، ولا أعرف غيره». وفي هذا الحديث علة أخرى، أنه موقوف على أبي هريرة، فقد رواه البخاري في كتاب الكُنَى، المطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٦٠هـ ص ٢٠ برقم ١٥٤ قال: «أبو الجهم الإيادي، قال مسدد: حدثنا هشيم قال حدثنا شيخ يُكنّى أبا الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: صاحب لواء الشعراء إلى النار امرؤ القيس لأنه أول من أحكم الشعر». أي أن الحديث في رواية البخاري موقوف على أبي هريرة فلم يقل «. . .عن أبي هريرة عن النبي ﷺ» ولكنه في رواية الإمام أحمد في مسنده «من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ». ورواه الخطيب بإسناده عن أبي هفان المهزمي عن الأصمعي عن ابن عون عن محمد ـ يعني ابن سيرين ـ عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ «امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار» مما جعل الحافظ ابن حجر يقول في لسان الميزان «وهو خبر باطل» ـ انتهى ـ وسبب ذلك إنما هو كلمة «إلى النار» ووجود اسم «أبي الجهم الأيادي» في سند الرواية وهو مجهول وضعيف وخبره منكر، وقد يكون هو الذي أضاف كلمة (إلى النار) والتي بدونها ينتفي الشك والتضعيف والإبطال للحديث، لأن علة الحديث الأول والحديث الثاني إنما هي كلمة «إلى النار» التي جاءت في آخر الحديث الأول بلفظ «. . يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء، إلى النار» وفي الحديث الثاني بلفظ «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء، إلى النار» وبلفظ «امرؤ القيس قائد

الشعراء، إلى النار» فذلك يتعارض مع قول اللّه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. ويتعارض مع قول اللّه تعالى في سورة الشعراء: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ. . .﴾ الآية. وقد كان حسان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ، وفي الصحيحين أنه كان يقول لحسان: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس» وذكر الحافظ ابن حجر «أن النبي ﷺ كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو الذين كانوا يهجون النبيّ ﷺ وقال: إن روح القدس مع حسان». قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو عبيدة: فُضِّل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث، كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ أيام النبوءة وشاعر اليمن كلها في الإسلام»(١). وسمع النبيّ ﷺ شعراً من العلاء بن الحضرمي فقال عليه الصلاة والسلام: «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحِكَماً»(٢). فكل ذلك يتيح إدراك أن كلمة (إلى النار) أُضيفت من أبي الجهم وغيره إلى الأحاديث سالفة الذكر عن امرىء القيس وإنما هي: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء» وأنه «يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء» و «صاحب لواء الشعراء امرؤ القيس لأنه أول من أحكم الشعر» وأنه «قائد الشعراء». .

وقد كانت المناسبة الأولى لذلك مجيء الوفد الذين وفدوا من اليمن إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا: يا رسول اللّه أحيانا اللّه ببيتين من شعر امرىء القيس، فذكروا ما حدث لهم، فقال النبي ﷺ الحديث الذي فيه أنه «يجيء يوم القيامة ومعه لواء الشعراء» إلخ.

والمناسبة الثانية جاء في مقدمة الديوان أنه «نقل السيوطي عن ابن عساكر عن ابن الكلبي قال: أتى قوم رسول اللّه ﷺ فسألوه عن أشعر الناس، فقال: ائتوا حسان، فأتوه سألوه فقال حسان: ذو القروح يعني امرأَ القيس، فرجعوا فأخبروا رسول اللّه ﷺ فقال: صدَق. . هو قائد الشعراء إلى النار»(٣) فتلك هي مناسبة الحديث الذي رُويَ عن أبي هريرة بلفظ: «امرؤ القيس قائد الشعراء، إلى النار» وبلفظ «صاحب لواء الشعراء امرؤ القيس لأنه أول من أحكم الشعر» وحتى بوجود كلمة (إلى النار) في تلك الروايات فإن تلك الأحاديث تنطق بأنه «قائد الشعراء، صاحب لواء الشعراء، وأنه أول من أحكم الشعر».

* * *

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ترجمة حسان بن ثابت ـ ص ٣٢٦ جـ ١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ترجمة العلاء بن الحضرمي ـ ص ٤٩٨ جـ ٢.

(٣) ديوان امرىء القيس ـ دار كرم للطباعة والنشر ـ دمشق ـ ص ٩.

تبيين مكانة امرىء القيس أمير الشعراء وأشعر الشعراء عبر التاريخ:

إن تلك الأحاديث الموقوفة والمرفوعة قد رُويت ـ بأسانيدها سالفة الذكر ـ عن ثلاثة من الصحابة، وهم عفيف بن معدي كرب الكندي وهو شاعر له شعر مشهور في الجاهلية، وأبو هريرة الدوسي وكان يحفظ ويروي الشعر، وحسان بن ثابت الأنصاري وهو أشعر الشعراء المخضرمين وهو الذي قال للذين سألوه عن أشعر الناس أنه (ذو القروح امرؤ القيس) فرجعوا وأخبروا النبي ﷺ فقال: «صَدَق...» وتتجلى تلك المكانة أيضاً وبتعبير بالغ الأهمية على لسان عمر بن الخطاب حيث كما ذكر ابن قتيبة أن امرأَ القيس: «ذكره عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فقال: امرؤ القيس سابقُ الشعراءِ، خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر» وجاء في هامش كتاب ابن قتيبة «أن كلمة عمر في الأغاني والنهاية واللسان، ولفظ النهاية ـ أي كتاب نهاية الأرب ـ «في حديث عمر أن العباس سأله عن الشعراء فقال عمر: امرؤ القيس سابقهم، خَسَفَ لهم عين الشعر. أي أنبطها وأغزرها لهم، من قولهم خسف البئر، إذا حفرها في حجارة فنبعت بماء كثير. يريد أنه ذلّل لهم الطريق إليه، وبَصَّرَهم بمعانيه، وفنَّنَ أنواعه وقصده، فاحتذى الشعراء على مثاله. فاستعار العين لذلك»[١]. قال ابن قتيبة: «وقال لَبِيدُ بن ربيعةَ: أشعرُ الناسِ ذو القُرُوح، يعني امرأَ القيس»[١]. ولَبِيدُ بن ربيعة شاعر كبير مخضرم أدرك الإسلام ووفد إلى النبي ﷺ، وأسلم، فهو من الصحابة. وبذلك فإن خمسة من الصحابة ذكروا المكانة الريادية لامرىء القيس وهم: عمر بن الخطاب، وحسان بن ثابت، ولبيد بن ربيعة، وعفيف بن معدي كرب، وأبو هريرة الدوسي، رضوان اللّه عليهم. فبشهادة وبعلم وبتقديم أولئك الصحابة العلماء العارفين فإن امرأَ القيس بن حُجر الكندي هو أمير الشعراء وأشعر الشعراء لأنه «أول من أحكم الشعر» ولأنه «سابقُ الشعراءِ الذي خسف لهم عين الشعر» ولأنه «أشعر الناس». ومن المهم إدراك أنه ليس في تلك النصوص أنه (أشعر الناس في الجاهلية) أو (سابق الشعراء في الجاهلية) وإنما هو «أشعر الناس» و «سابق الشعراء» كل الشعراء وهو (أمير وقائد الشعراء) كل الشعراء في الأزمنة، و (صاحب لواء الشعر) كل الشعر في كل العصور.

وقد نقل الأستاذ محمد سعيد جرادة أنه «قال عبد اللّه بن سلام الجمحي في الطبقات: «سبق امرؤ القيس العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته الشعراء، منها استيقافه صحبه والبكاء في الديار، ورقة التشبيب، وقرب المأخذ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصي، وقَيَّدَ الأوابد، وأجاد

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١٢٧.

في التشبيه، وفَصّل بين التشبيه وبين المعنى، وكان أحسن طبقته تشبيهاً»[١]. ولكن كلمة (كان أحسن طبقته تشبيهاً) غير دقيقة، فالشعراء الذين اعتبرهم ابن سلام من طبقة امرىء القيس وأنهم (الطبقة الأولى من فحول الشعراء) إنما اقتدوا بامرىء القيس، فهو الذي (خسف لهم عين الشعر) فهو بالنسبة إليهم كالمدرسة والأستاذ، وإنما احتذوا على مثاله. فهو ليس (رأس الطبقة الأولى) فحسب وإنما هو أيضاً (أستاذ الطبقة الأولى).

وقد أصاب الأستاذ مطهر الأرياني في ترجمته لامرىء القيس بالموسوعة حيث قال: «وامرؤ القيس الشاعر، محل إجماع بين الرواة والنقاد وكُتّاب تاريخ الأدب العربي، على أنه من أعظم شعراء الجاهلية، وأنه الأكبر بين فحول الطبقة الأولى، وليس ذلك لأنه قال ما لم يقله أحد من بعده، بل لأنه قال أموراً لم يقلها أحد من قبله. أي أنه كان مجدداً ومؤسساً في بنية القصيدة العربية، وفي مواضيعها، وفي معانيها الكلية والجزئية، في صورها وفي أخيلتها، وفي بلاغتها وبيانها وبديعها، وفي تشبيهاتها وكناياتها ومجازها. . وأبدع في وصف الخيل فرسم للخيل لوحات تعجز عنها ريشة أكبر الفنانين حتى لقد جعل من سرعة الجواد قيداً يكبل الطريدة ويشلّ حركتها»[٢].

وجاء في ترجمة امرىء القيس بالديوان ما يلي: «امرؤ القيس فحلٌ من فحول أهل الجاهلية وهو رأس الطبقة الأولى، وقَرَن به ابن سلام زهيراً والنابغة وأعشى قيس، والأكثر على تقديم امرىء القيس، (قال) قال يونس بن حبيب: إن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حُجْر، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة. وقيل للفرزدق من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس. وسُئل لبيد: من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل امرؤ القيس. قيل: ثم من؟ قال: ابن العشرين، يعني طَرَفَة. قيل له: ثم من؟ قال أبو عقيل، يعني نفسه». [ص ٨].

والواقع أن ابن سلام لم يقرن بامرىء القيس زهيراً والنابغة والأعشى، وإنما روى كلام يونس بن حبيب وهو كلام يمكن أن يكون من باب الاستلطاف وليس التقديم، فلا يصح القول بأن أهل الحجاز كانوا يقدمون زهيراً والنابغة، بدليل قول عمر بن الخطاب (امرؤ القيس سابق الشعراء) وقول حسان بن ثابت «أشعر الناس ذو القروح امرؤ القيس» وفوق ذلك كله الحديث النبوي بأنه قائد الشعراء وصاحب لواء الشعراء. فالنابغة وزهير والأعشى وطرفة وغيرهم من شعراء الطبقة الأولى اقتدوا

---

(١) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٤١.

(٢) الموسوعة اليمنية ـ ترجمة امرىء القيس ـ مطهر الأرياني.

بامرىء القيس بل وأخذوا من شعره، فكانوا من تلاميذه، فقد ذكر ابن قتيبة في كتاب (الشعر والشعراء) أن: «ممّا أخذه الشعراء من شعر امرىء القيس: قال امرؤ القيس:

وُقُوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ: لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ

أَخذه طَرَفَةُ فقال:

وُقُوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يقولون: لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلُّدِ

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

ويَخْطُو على صُمٍّ صِلَابٍ كَأَنَّها حِجَارَةُ غَيْلٍ وارِسَاتٌ بِطُحْلُبِ

ـ [الصم الصلاب: حوافر الفرس، شبهها بالصخور الصُم. والغيل: الماء الجاري. الوارسات: المصفرّات من الطحلب، لونها كلون الورس] ـ أخذه النابغةُ الجَعْدِيُّ فقال:

كأَنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِراً خُضِبْنَ وإنْ كان لم يُخْضَبِ
حِجَارةُ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كُسِينَ طِلَاءً مِنَ الطُّحْلُبِ

[الحوامي: حروف الحوافر من عن يمين وشمال].

وقال امرؤ القيس يصف الناقة:

كَأَنَّ الحَصَىٰ مِنْ خَلْفِها وأمامِها إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أعْسَرا

[نجلته: صرمته بمناسمها. الخذف: رمي الحصى بالأصابع. الأعسر: الذي يعمل بيسراه فإذا خذف بها فقلما أصاب] ـ.

أخذه الشمَّاخ فقال:

لها مِنْسَمٌ مِثْلُ المَحَارَةِ خِفَّةً كأنّ الحَصَىٰ من خَلْفِهِ حَذْفُ أَعْسَرَا

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بالمُتَنَزِّلِ

[أي يزل اللبد عن وسط ظهره. الصفواء: الصخرة الملساء: والبيت من المعلقة].

أخذه أوس بن حجر فقال:

يزِلُّ قُتُودُ الرَّحْلِ عن دَأَيَاتِها كما زَلَّ عن عَظْمِ الشَّجِيجِ المَحَارِفُ

[قتود: جمع قتد، وهو خشب الرحل. الدأيات: فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير. الشجيج: المشجوج. المحارف: جمع محراف وهو الميل الذي تسبر به الجراحات].

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

سَلِيم الشَّظَا عَبْلِ الشَّوَىٰ شَنِجِ النَّسَا   له حَجَباتٌ مُشْرِفَاتٌ على الفالِ

[الشَظا: عظم ملزق بالذراع. عبل الشوى: غليظ القوائم. النَّسَا: قال الأصمعي: (عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر). الشنج: المتقبض، وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه. الحجبات: رؤوس عظام الوركين. الفال: عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل].

أخذه كعب بن زهير فقال:

سليم الشظا عَبل الشوى شَنِجِ النَّسَا   كأنَّ مكانَ الرِّدْف من ظَهْرِه قَصْرُ

وقال امرؤ القيس:

فَلأْياً بَلأْيٍ ما حَمَلْنا غُلَامَنا   على ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاة مُحَنَّبِ

[لأياً بلأي: أي جهداً بعد جهد حملنا غلامنا على الفرس. السراة: مجدول الظهر. محنب: من التحنيب، وهو أحيداب في وظيفي يدي الفرس، وليس بالإعوجاج الشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة].

أخذه زهير فقال:

فلأياً بلأيٍ ما حملنا غُلامنا   على ظهر محبوكٍ ظِمَاءٍ مفاصِلُه

وقال امرؤ القيس:

وعَنْسٍ كألْوَاحِ الإرانِ نَسَأْتُها   على لاحِبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَرَاتِ

[العنس: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها. الإران: خشب صلب يُشد بعضه إلى بعض. نسأتها: زجرتها وسقتها بالمنسأة، وهي العصا. اللاحب: الطريق الواضح. البرد ذو الحبرات: من ثياب اليمن الموشاة].

أخذه طَرَفَة فقال:

أمُونٍ كألواحِ الإران نَسَأْتُها   على لاحِبٍ كأنّه ظهرُ بُرْجُدِ

[أمون: ناقة أمُون. . البرجد: كساء مُخطط].

وقال امرؤ القيس يصف امرأة:

نَظَرَتْ إلَيْكَ بعَيْنِ جازِئَةٍ   حَوْراءَ حانِيَةٍ على طِفْلِ

[جازئة: من (جزاء بالشيء) قنع واكتفى به]. أخذه المسيَّبُ فقال:

نَظَرَتْ إليكَ بعينِ جازئةٍ   في ظلِّ بارِدَةٍ مِنَ السِّدْرِ

وقال امرؤ القيس يصف الفَرَسَ:

يَجُمُّ على الساقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِه جُمُومَ عُيُونِ الحِسى بَعْدَ الْمَخِيضِ

[يَجُمُّ على الساقين: يستريح عليهما بعد تعبه فيذهب أعياؤه. الحسى: حفيرة قريبة القعر في الرمل ينبط ماؤه بارداً عَذْباً. بعد المخيض: أي بعد أن مخض بالدلاء، أي أكثر الناس النزع بها منه].

أخذه زيدُ الخيل بن مُهَلْهِل الطائي فقال:

يَجُمُّ على الساقَيْنِ بعد كلالِه كما جَمَّ جَفْرٌ بالكُلَاب نَقِيبُ

[نقيب: منقوب].

قال أبو عبيدة: وامرؤ القيس هو أولُ من قيَّد الأوابِدَ، يعني في قوله في وصف الفرس «قَيْدِ الأوَابِدِ» فتبعه الناس في ذلك. وقال غيره: هو أولُ من شبَّه الثغرَ في لونه بشوك السَّيَالِ، فاتّبعه الناسُ. وأول من قال «فعادَى عِداءً» فاتَّبعه الناس.. وشبَّه الطَّلَلَ (بخط الزبور في العسيب).. إلخ.

وممّا يُتَمثَّل به من شعره قوله:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَني أبِيهِمْ وبالأشْقَيْنَ ما كان العِقابُ

وقوله:

صبَّت عليْه ولم تَنْصَبَّ من كَثَبٍ إن الشَّقا على الأشقيْن مَصْبُوبُ

وقوله:

وقد طَوَّفْتُ في الآفَاق حَتَّى رَضِيتُ من الغَنِيمَةِ بالإيابِ

[وهذا البيت أخذه الأعشى فقال: وقد طفت للمال آفاقه].

وقال ابن قتيبة: «ويُستجاد من تشبيه امرىء القيس قوله:

كأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً لَدَىٰ وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

وقوله:

كأنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبَابِنَا وأرْحُلِنَا الجَزْعُ الَّذِي لم يُثَقَّبِ

[الجَزْع: خرز فيه بياض وسواد، تُشبه به الأعين]. وقوله:

كأني غَدَاةَ البَينِ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَىٰ سَمُرَاتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

وقد أجاد في صفة الفرس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وساقَا نَعَامَةٍ وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وممّا يُتَغنّى به من شعره:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِل

قوله:

تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِيطُ بنا معاً عَقَرْتَ بَعيري يا امْرَأَ القَيْسِ فانْزِل

... إلى آخر الأبيات[١].

وقوله:

كأَنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمَام وريحَ الخُزَامَىٰ ونَشْرَ القُطُرْ

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إذا طَرَّبَ الطائِرُ المُسْتَحِرْ

وكل ما قيل في هذا المعنى فمنه أُخِذَ». [ص ١١٣/ الشعر والشعراء].

وقد شاع في كتب الأدب قول أبي عمرو بن العلاء: «لقد ذهبت اليمن بالشعر كله، بامرىء القيس في الجاهلية، وحسان في الإسلام، وأبي نواس في المُحْدَثين»[٢]. والواقع أن هذا القول فيه التفاف ومحاولة لحصر ريادة امرىء القيس على الشعراء في الجاهلية فقط وأنه (أشعر الشعراء في الجاهلية) أو (أمير الشعراء في العصر القديم) كما قال بعض الدارسين[٣] بينما الصحيح والأصوب أنه «أشعر الشعراء عبر التاريخ وفي كل العصور) بدليل أن حسان بن ثابت نفسه قال: «أشعر الناس ذو القروح امرؤ القيس» وقال عمر بن الخطاب «امرؤ القيس سابقُ الشعراء، خسف لهم عين الشعر». وقال لبيد بن ربيعة «أشعر الناس امرؤ القيس الملك الضليل» فهؤلاء الثلاثة ـ حسان، وعمر، ولبيد ـ قالوا ذلك في الإسلام، وقولهم حجة ودليل على أن امرأَ القيس هو أشعر الشعراء منذ الجاهلية وحتى عصرهم في فجر الإسلام وعهود الخلفاء الراشدين.

وكذلك كان ما يزال هو أشعر الشعراء حتى عصر الخلافة الأموية والخلافة العباسية فقد ذكر ابن قتيبة أنه: «اجتمع عند الخليفة عبد الملك بن مروان أشرافُ من

---

(١) وممّا يُتغنّى به من شعر امرىء القيس إلى عصرنا هذا في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين الميلادي قوله:

تَعَلَّقَ قَلْبِي في فَتَى عَرَبِيَّةً تَنَعَّمُ في الديبَاجِ وَالْحَلْيِ والحُلَلْ

وهي نحو ثلاثين بيتاً في ديوان امرىء القيس من قصيدته التي أولها «لِمَنْ طلل بين الجدية والجبل».

(٢) قصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ١٦٧.

(٣) (امرؤ القيس أمير الشعراء في العصر القديم) عنوان كتاب للأديب محمد صالح سمك.

الناس والشعراء، فسألهم عن أرقّ بيتٍ قالته العرب، فأجمعوا على بيت امرىء القيس:

وما ذَرَفَتْ عينَاكِ إلَّا لِتَضْرِبِي　　بسَهْمَيْكِ في أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقال امرؤ القيس:

واللَّـهُ أنْجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ　　والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ»

قال ابن قتيبة: «قال يونس النحويُّ: قَدِم علينا ذو الرُّمَّة من سفرٍ، وكان أحسنَ الناس وصفاً للمطر، فذكرنا له قول عَبِيدٍ وأَوْس وعبد بني الحَسْحَاسِ في المطر، فاختار قول امرىء القيس:

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فيها وَطَفُ　　طَبَقُ الأرضِ تَحَرَّىٰ وتَدِرّ»[١]

وذو الرُّمَّة هو الشاعر أبو الحارث غيلان بن عقبة العدوي المتوفى عام ١١٧ هجرية ٧٣٥ ميلادية في أواخر العصر الأموي. كذلك فقد سُئل الفرزدق: «من أشعر الناس؟ فقال: ذو القروح امرؤ القيس». وقال ابن سلام الجُمحيّ «سَبَق امرؤ القيس العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، وتبعه الشعراء». وذلك إلى أيام ابن سلام الجُمحي في عصر الخلافة العباسية بالقرن الثاني الهجري ثم القرن الثالث الهجري[٢] ويتبين من مجمل ذلك أن امرأ القيس بن حُجْر الكندي هو أمير الشعراء وأشعر الشعراء في كل الأزمنة والعصور، بل وحتى في يوم القيامة.

* * *

(١) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ـ ص ١١١.

(٢) توفي ابن سلام الجمحي عام ٢١٣هـ في القرن الثالث الهجري.

المبحث «٣٢»

عبد اللّه بن العجلان النَهْدي

«أقدم الشعراء المُتَيّمين في الجاهلية»

هو الشاعر الجاهلي عبد اللّه بن العجلان بن عبد الأجب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن لَيْث بن سود بن أسْلُم بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر. وهو ـ كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني ـ «شاعرٌ جاهليٌّ، أحد المتيمين مِنَ الشعراء ومَنْ قَتَله الحبّ منهم»[1] وقال الأصمعي «قال ابن سيرين.. ما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير عبد اللّه بن العجلان» وهو القائل:

أعَاوَدَ عيني نَصْبُها وغُرُورُهَا ... أهَمٌّ عَنَاهَا أم قَذَاها يَعُورُهَا
أم الدارَ أمْسَتْ قد تَعَفّتْ كأنّها ... زَبُورُ يَمَانٍ رَقَّشَتْهُ سُطُورُهَا

ويدلُّ نسب عبد اللّه بن العجلان على أنه من نفس جيل زهير بن جناب الكلبي القضاعي الحميري، فقد ذكر الأصفهاني نسب زهير بأنه «زهير بن جناب بن هَبَل بن عبد اللّه بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وكان سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم»[2]. فمقارنة ترتيب نسب زهير بن جناب ونسب عبد اللّه بن العجلان يدل على أن زمنهما متقارب وأن عبد اللّه بن العجلان كان قبل الإسلام بنحو مائة سنة، وبذلك فهو أقدم المُتيمين مِنَ الشعراء في الجاهلية.

قال الهيثم بن عدي: «كان عبد اللّه بن العجلان سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم وكان أبوه أكثر بني نهد مالاً..»[1]. وكانت منطقة بني نَهْد فيما يلي صعدة من نجران والسَرَاة بأعالي اليمن. وقد ذكر الحسن الهمداني منطقة نهد بالتفصيل فقال بعد أنْ ذَكَرَ (**مِخْلاف صَعْدَة من بلد خولان قُضاعة.. وبلد يام بنجران**) قال الهمداني: «بلد بني نهد: طريب ومصابة من ذوات القصص وكتنه[3] وأراك: واد فيه أراك. وتثليث..

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٠٢ جـ ١٩.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٦٣ جـ ٢١.
(٣) قال القاضي محمد الأكوع في الهامش «طريب يحتفظ باسمه ويوجد فيه النخل المثمر. وكتنه تحمل اسمها حية قائمة. وكذلك أراك».

والقرارة والرّيّان وجاش وذو بيضان ومريع وعبالم وغَرب والحضارة والعَشتان والبَردان، والبردان بئر بتَبالَة وبالعرض من نجران، وذات إلاه وهي قرى الدبيل وعُشر. وعاريان وسَقُم وقريتهم الهجيرة. والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد: مُعرِّف وحرام وهي أكثر نَهْد، وبنو زُهير، وبنو دُوَيد، وبنو حزيمة، وبنو مُرَمِّض، وبنو صخْر، وبنو ضِنَّة، وبنو يربوع، وبنو قيس، وبنو ظبيان»[1]. حيث ـ كما ذكر الهيثم بن عدي ـ «كان عبد الله بن العجلان النهدي سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم وكان أبوه أكثر بني نهد مالاً، وكانت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نَهْد، وكانت أحبّ الناس إليه وأحظاهم عنده». وكان قد أحبّها قبل أن يتزوجها وقال فيها أشعاراً، وقد جاء في كتاب الأغاني أنّ «من مختار ما قاله عبد الله بن العجلان في هند:

أَلَا أَبْلِغَا هِنْداً سَلَامِي فإِنْ نَأَتْ ... فَقَلْبي مُذْ شَطَّتْ بها الدارُ مُدْنَفُ[2]
ولَمْ أَرَ هِنْداً بَعْدَ موقفِ ساعةٍ ... بأَنْعُم في أَهلِ الديارِ تَطَوَّفُ
أَتَتْ بَيْنَ أَتْرَابٍ تَمَايَسُ إِذْ مَشَتْ ... دبيب القَطَا أو هنّ منهنّ أَقْطَفُ[3]
يُبَاكِرنَ مَرَّات جليّاً وتارة ... ذكياً وبالأيدي مَذَاكُ ومسوفُ
أَشَارتْ إِلينا في خفاة ورَاعَها ... سراةُ الضُحَىٰ مِنّي عَلَى الحَيّ موقِفُ[4]
وقَالَتْ: تَبَاعَد يا ابن عمي فإنّني ... مُنِيتُ بذي صَوْلٍ يَغَارُ ويَعْنَفُ»

ذو صول: ذو صولة وتعني أباها.

وممّا يُتَغنَّىٰ به من شعر عبد الله بن العجلان قوله في هند:

قَدْ طَالَ شَوْقي وعَادَني طَرَبي ... مِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ كريمةِ النَّسَبِ[5]
غَرَّاء مثل الهلال صورتها ... ومثل تمثال صورة الذَّهَبِ

وروى **(ومثل تمثال بيعة الذهب)**[5] والبيعة: الكنيسة، وقد كان في كنيسة نجران وكنيسة ظفار باليمن في ذلك الزمن تماثيل ورسوم بديعة، وكانت الديانة المسيحية منتشرة في العديد من قبائل ومناطق اليمن.

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٣.

(٢) نأت: بعدت. مدنف: عاشق.

(٣) أتت بين أتراب: أي أتت بين فتيات من سنها: الأتراب: اللدات اللائي هن في سن واحد. القطا: طائر يمشي بخفة عند مناهل المياه والأنهار.

(٤) راعها: أخافها وقوفي عند الضحى أتطلع إليها.

(٥) قال الأصفهاني **(هذا الشعر لعبد الله بن العجلان النهدي والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى)**. والخود: الغادة الحسناء.

وتزوج عبد اللّه بن العجلان هنداً، وكانت أحبّ الناس عنده، قال الهيثم بن عدي «فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد، فقال له أبوه: إنّه لا ولد لي غيرك ولا ولد لك وهذه المرأة عاقر فَطَلِّقْها وتَزوّج غيرها. فأبَىٰ ذلك. فآلَى أبوه أن لا يكلمه أبداً حتى يُطلّقها. فأقام على أمره، ثم عَمَدَ إليه يوماً وقد شرب الخمر حتى سكر وهو جالس مع هند، فأرسل إليه: أَنْ صِر إليّ، فقالت له هند: لا تمض إليه فواللّه ما يريدك لخير وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقني فَنَمْ مكانك ولا تمض إليه. فأبَىٰ وعصاها، فتعلقت بثوبه، فضربها بمسواك فتركته وكان في يدها زعفران فأثّر في ثوبه مكان يدها. ومَضَىٰ إلى أبيه، فعاوده في أمرها وأنّبَهُ وضَعّفَهُ، وجمع عليه مشيخة الحيّ وفتيانهم فتناولوه بألسنتهم وعيّروه بشغفه بها وضعف حزمه، ولم يزالوا به حتى طلقها. فلما أصبح خُبّر بذلك، وقد علمت به هند فاحتجبت عنه وعادت إلى أبيها. وأسف عبد اللّه بن العجلان عليها أسفاً شديداً، فلم يزل دنفاً سقيماً يقول فيها الشعر ويبكيها. . وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهن، وقال في طلاقه إياها:

فـارقـتُ هِـنْـداً طـائـعـاً ... فـنـدمـتُ عِـنْـد فَـرَاقـهـا
فـالـعَـيْـنُ تَـذْري دَمْـعَـةً ... كـالـدُرِّ مِـنْ آمـاقـهـا
مـتـحـلـيـاً فـوق الـرداء ... يـجـولُ مِـنْ رقـراقـهـا
خَـوْدٌ رَدَاحُ طَـفْـلَـةُ ... مـا الـفُـحـش مِـنْ أخـلاقـهـا[1]
ولَـقَـدْ أَلَـذُّ حـديـثـهـا ... وأُسَـرُّ عِـنْـدَ عِـنَـاقـهـا

وفي هذه القصيدة قال عبد اللّه بن العجلان:

إنْ كُـنْـتِ سَـاقِـيَـةٍ بـبـز ... ل الأدْم أو بِـحُـقَـاقـهـا[2]
فـاسْـقِـي بـنـي نَـهْـدٍ إذا ... شَـرِبُـوا خِـيَـار زِّقَـاقـهـا[3]
فـالـخَـيـلُ تَـعْـلَـمُ كـيـف نَـلْـ ... ـحَـقُـهـا غَـدَاة لـحـاقـهـا
بِـأَسِـنَّـةٍ زُرْقٍ صَـبَـحْـ ... ـنـا الـقـوم حـدّ رقـاقـهـا
حـتـى تَـرَىٰ قَـصْـدَ الـقَـنَـا ... والـبـيـضُ فـي أعـنـاقـهـا

وقوله (بأَسِنَّة زُرقٍ) أي برماح زُرق وهي أسنَّة الرماح اليزنية اليمنية. قال

(١) الطَفْلَة ـ بفتح الطاء وسكون الفاء ـ الفتاة الناعمة الرشيقة الجسد.

(٢) الأدم: الجلد. والحُقاق: جمع حُقّة وهي الوعاء أو الأناء، قال امرؤ القيس:

وَرِيـحَ سَـنـاً فـي حُـقَّـةٍ حِـمْـيَـرِيَّـةٍ ... تُـخَـصُّ بِـمَـفْـرُوكٍ مِـنَ الـمِـسْـكِ أذْفَـرَا

(٣) الزِق: زقّ الخمر.

الحسن الهمداني «ذو يزن أحد أقيال حمير العظماء، وإليه تُنسب الأسنَّة اليزنية، قال الكميت:

سقينا الأزرق اليزني منه ... وأكعب صَعْدَة حتى رَوَيْنَا

وقال الهمداني:

وأحْدَثْنا الأسنَّة يوم كانت ... أسِنَّةُ آل عدنانٍ قُرُونا

وكانت العرب تتخذ الأسنَّة من صياصي البقر الوحشية»[(١)] ـ أي من قرونها، فكان اليمنيون أول من أحْدَث وصَنَعَ الأسنَّة من الحديد والمعادن، ومنها الأسنَّة الزُرق اليزنية التي قال عنها عبد اللّه بن العجلان:

بِأسِنَّةٍ زُرْقٍ صَبَحْنا القوم حدّ رقاقها

* * *

ولمّا طَلّق عبد اللّه بن العجلان هنداً ثم أخذ يقول شعراً في أسفه على فراقها وبقائه على حبّها، قام أبوها بتزويجها برجل من خارج قبيلة ومنطقة نهد حتى يقطع أي احتمالٍ وأملٍ لعبد اللّه بن العجلان فيها وأي أمل لهند فيه. فقد خطبها رجلٌ من قبيلة بني عامر، وكانت قبيلة بني عامر تسكن ما بين الطائف وما يليها، فزوجها أبوها إياهُ وأخرجها إلى بلده.

قال الأصفهاني: «قال أبو عمرو الشيباني: لما طلّق عبد اللّه بن العجلان النهدي هنداً نكحت في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات» ـ أي وقع نزاعٌ بينهم أدى إلى غارات ـ «فجمعت نهدُ لبني عامر جمعاً فأغاروا على طوائف من بني عامر فيهم بنو عجلان العامريين وبنو الوحيد وبنو الحريش وبنو قُشَير، ونُذِروا بهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت بنو عامر وغنمت نهدُ أموالهم، وقُتِل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له، وقرط وجدعان ابنا سَلَمَة بن قشير، ومرداس بن جذعة بن كعب، وحسيل بن عمرو بن معاوية، ومسحقة بن المجمع الجُعفي، فقال عبد اللّه بن العجلان النهدي في ذلك:

ألا أبْلِغْ بني العجلان عني ... فلا ينبيك بالحدثان غَيْرِي

بأنَا قد قَتَلْنَا الخَيْرَ قرطاً ... وجُزْنَا في سَرَاة بني قُشَيْر

وأفلَتَنَا بنو شكل رجالاً ... حُفاةً (يرثون) على سُمَير[(٢)]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٥ جـ ٢.

(٢) أي أن بني شكل تركوا ركائبهم وهربوا راجلين. وكلمة (يرثون) قد يكون فيها نقص في الحروف من الطباعة. وسُمير: جبل في نجد.

وقالت امرأةٌ من بني قيس ترثي قتلاهم:

أَصَبْتُم يا بني نَهْد بْنِ زَيْدٍ ... قُرُوماً عِنْدَ قَعْقَعَةِ السِّلَاحِ
إذا اشتد الزمانُ وكان مَحْلاً ... وحادر فيه إخوان السَّمَاحِ
أهانوا المال في اللزبات صبراً ... وجادوا بالمتالي واللقاح
فَبَكِّي مالكاً وأبكي بُجَيْراً ... وشداداً بمستجر الرماح
وكَعْباً فانْدُبِيه معاً وقَرْطاً ... أولئك معشري هَدّوا جناحي
وبَكّي إن بكيتِ على حُسَيْلٍ ... ومرداسٍ قتيل بني صَبَاح»[1]

وبنو صباح هم بنو صباح بن نَهْد، وربما كانت تلك المرأة متزوجة في بني عامر، ولذلك رَثَتْ أولئك القتلى، فقد ذكر الهمداني أن بني قيس من بطون قبيلة نَهْد.

«وأَسَرَ عبد اللّه بن العجلان رجلاً من بني الوحيد، فَمَنّ عليه وأَطْلَقَه، ووعده الوحيدي من الثواب، فلم يف بوعده، فقال عبد اللّه بن العجلان:

وقالوا لن تنال الدهر فقراً ... إذا شكرتك نعمتك الوحيدِ
فيا ندماً ندمتُ علَى رِزَام ... ومخلفه كما خَلْع العتودِ»[1]

* * *

وكان عبد اللّه بن العجلان ما يفتأ يقول الشعر في هند ويتشوّق إليها ويتذكرها، وكانت هند تبادله الشوق بِصَمْتِها وحزنها وهي عند زوجها في بلاد بني عامر. قال أبو عمرو الشيباني: «ثم إن بني عامر جمعوا الجموع للغارة على نَهْد، فقالت هند ـ امرأة عبد اللّه بن العجلان ـ التي كانت ناكحاً في بني عامر لغُلام منهم يتيم فقير: لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتُنْذِرَهُم قبل أن يأتيهم بنو عامر، فقال: أفعل. فحملته على ناقة لزوجها وزوّدته تمراً ورطباً من لبن، فركب، فَجَدّ في السير وفَنِيَ اللبن، فأتاهم والحيّ خلوف في غزوٍ وميرة ـ والميرة التجارة ـ فنزل بهم وقد يبس لسانه، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم وأومأ لهم إلى لسانه، فأمر خُراش النهدي بلبن وسمن فأُسْخِن وسقاه إياه فابْتَلّ لسانه وتكلم وقال لهم: أنا رسول هند إليكم تنذركم ـ (وأخبرهم بما أرسلته به هند إليهم) ـ فاجتمعت بنو نَهْد ـ **(اجتمعوا وساروا إلى منطقة العشيرة النهدية التي كانت بنو عامر قد جمعت للغارة عليهم)** ـ واستعدت نَهْد، ووافتهم بنو عامر ـ بالغارة ـ فلحقوهم على الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر. فقال عبد اللّه بن العجلان في ذلك:

أَعَاوَدَ عَيْنِي نَصْبها وغرورها ... أَهَمٌّ عَنَاهَا أم قَذَاها يَعُورُهَا

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٠٣ جـ ١٩.

أم الدارُ أمْسَتَ قَدْ تَعَفَّتْ كأنَّها زَبُور يَمَانٍ رَقَّشَتْهُ سُطُورُهَا [١]
ذَكَرْتُ بها هِنْداً وأترابَها الأُولَىٰ بها يُكْذَبُ الواشي ويُعْصَىٰ أميرُهَا
فَمَا معول تبكي لفقْدِ أليفُهَا إذا ذَكَرَتْهُ لا يَكِفُّ زَفِيرُهَا [٢]
بأغْزَر مِنّي عَبْرَةً إذْ رأيْتُهَا يَحِثُّ بِهَا قَبْل الصَبَاح بَعِيرُهَا [٢]
أَلَمْ يأت هِنْداً كَيْفَمَا صُنْعُ قَوْمِهَا ببني عَامِرٍ إذْ جَاءَ يَسْعَىٰ نَذِيرُهَا
فقالوا لنا إنَّا نُحِبُّ لِقَاءكُمْ وإنّا نُحَيِّي أرضَكُم ونَزُورُهَا [٣]
فقلنا إذاً لا ننكُلُ الدهرَ عَنْكُمُ بِصُمّ القَنَا اللائي الدماءُ تَمِيرُهَا
فَلَا غَرْوَ أَنّ الخَيْلَ تَنْحَطُّ في القَنَا وتُمْطِرُ مِنْ تَحتِ العَوَالي ذَكُورُهَا
تَأوَهُ مِمَّا مَسَّهَا مِنْ كَرِيهَةٍ وَتُصْفِي الخُدُودَ، والرِّمَاحُ تَصُورُهَا
وأربَابُها صَرْعَىٰ ببرقة أُخْرَتْ يُجرِرُهُمْ ضِبْعَانُهَا ونُسُورُهَا
فَأبْلِغْ أبا الحَجَّاجَ عَنِي رسالةً مُغَلْغَلَةً لا (يفتك)بسورِها [٤]
فأنْتَ مَنَعْتَ السِلْمَ يوم لَقَيْتَنَا بِكَفَيكَ تُسْدِي غَيَّةً وتُثِيرُهَا
فَذُوقُوا عَلَى ما كان مِنْ فَرْطِ إحْنَةٍ حلائبُنَا ما غَابَ عنها نَصِيرُهَا »[٥]

ويتبين من الأبيات أن تلك المعركة كانت مع رهط أبي الحجاج من بني عامر وليس مع قبيلة بني عامر كلها، فلم تكن عشيرة بني نمير التي كانت هند متزوجة فيهم بين بني عامر هؤلاء، وكانت نَهْد قد عرضت على أبي الحجاج والذين معه السلم والصلح قبل القتال، فأبوا إلا القتال، فانهزموا وذاقوا مغبة غيّهم، ورجعوا إلى بلادهم مدحورين، ثم وقع بعد ذلك صُلْحٌ وسِلْمٌ وانتهى النزاع.

* * *

[١] زبور يمان: كتاب مزبور بالخط الزُبْري اليمني الحميري. رَقَّشَتْهُ: زيَّنَته وحسَّنَته أو كَتَبَتْهُ ورَقَّمَتْه. قال امرؤ القيس:
"كخط زبور في عسيب يمان" وقال أبو ذؤيب الهذلي الجاهلي:
عرفتُ الديار كرقم الدواة يَزْبُره الكاتبُ الحِمْيَرِيّ

[٢] يعني أن المرأة التي فقدت وليدها ولا يكف زفيرها كلما تذكرته ليست بأغزر منه دموعاً عندما رحلت هند من ديار بني نهد.

[٣] لقاءكم: أي قتالكم. وكذلك نحيي أرضكم ونزورها بمعنى نزور أرضكم بالفرسان للقتال.

[٤] جاءت هذه الكلمة في كتاب الأغاني هكذا (**يفتك**) حيث سقط حرفان من الطباعة، فاختل ولم يظهر المعنى.

[٥] جاء عجز البيت في الأغاني (**حلائبنا إذْ غاب عنا نصيرها**) بينما الذي حدث هو أنه (**ما غاب عنها نصيرها**) ولذلك انهزم بنو عامر.

وازداد الشوق بعبد اللّه بن العجلان إلى هند وأصابه السقم ولم يزل يقول فيها الشعر، ومما يُتَغَنَّى به من شعره أربعة أبياتٍ بكتاب الأغاني وهي قوله:

خَلِيْلَيَّ زُوْرَا قَبْل شحط النّوىٰ هِنْدَا ... ولا تَـأمَـنَـا مِـنْ دَارِ ذي لـطـفِ بُـعْـدَا

ولا تَعْجَلَا لَمْ يَدْرِ صَاحِبُ حَاجَةٍ ... أَغَيّاً يُلَاقِي في الْتَّعَجُّلِ أَمْ رُشْدَا

وَمُرّا عَلَيْهَا بَارَكَ اللّهُ فِيكُمَا ... وإنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدُ لِوَجْهَيْكُمَا قَصْدَا

وقولا لها ليس الضَّلال أجَازَنَا ... ولكِنَّنَا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمُ عَمْدَا»

قال أبو عمرو الشيباني: «فلما اشتد ما بعبد اللّه بن العجلان من السقم خرج سرّاً من أبيه مُخَاطِراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشر والثّارات حتى نزل ببني نُمير وقَصَدَ خباء هند فلما قارب دارها وهي جالسة على الحوض وزوجها يسقي ويذود الإبل، فلما نظر إليها ونظرت إليه رَمَىٰ بنفسه عن بعيره وأقْبَلَ يشتد إليها وأقْبَلَتْ تشتدُّ عليه، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان حتى سقطا على وجهيهما» ـ ثم يُضيف أبو عمرو في تلك الرواية ما يلي: «وأقْبَلَ زوج هند ينظر ما حالهما فوجدهما ميتين».

ثم ذكر أبو عمرو نفسه رواية ثانية تدل على عدم موتهما، وأن الصواب يتبين من الربط بين الروايتين حيث قال: «وأخبرني بعض بني نَهْد: أن عبد اللّه بن العجلان أراد المضي إلى بلاد بني عامر فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال له نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة، ولم يزل يدافعه بذلك..».

وأرى أن هنا حدث جوهر ما جاء في الرواية الأولى بأنه خرج سرّاً من أبيه حتى أتى أرض بني عامر ونزل ببني نُمير وقَصَدَ خباء ودار هند، وكان زوجها يسقي ويرعى الإبل، بعيداً عن الدار، فلما نظر عبد اللّه إلى هند ونظرت إليه، أقْبَلَ إليها وأقبلت عليه فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان حتى سقطا على وجهيهما». فيمكن القول أنهما أفاقا بعد ذلك، ويادر عبد اللّه بالرحيل ـ مع خَلِيليه اللذين ربما كانا في مكان قريب ـ ولم تكن هنالك ثارات بين نَهْد وبني عامر وإنما خوَّفه أبوه من مغبة ما سيحدثُ من زوجها وعشيرته إذا لقوه هناك، غالباً، وقد تفاداهم، وعاد إلى منطقة نَهْد باليمن.

وهنا يأتي مكان بقية الرواية الثانية وهي أنه «لما جاء وقت الحج ـ وموسم عكاظ التجاري ـ فحجّ وحج أبوه معه، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثر كفها في ثوبه بخلوق، فرجع إلى أبيه وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه»

ـ وتضيف الرواية هنا كلمة (فمات) ـ وقد مات بالفعل ولكن بعد ما ذكره الأصمعي عن ابن سيرين قال: «خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا أن هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحتَ من أدنىٰ حموّتها حما

وأصبحت كالمغمور جفن سلاحه يُقَلِّبُ بالكفين قوساً وأسهما

ثم مدّ بها صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غيره»[١].

---

(١) قال الأصفهاني: أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة... إلخ»، وأقول: إن ابن سيرين أوثق، فيكون مسافر بن أبي عمرو إنما استشهد وتمثل بالبيتين لأن زمن عبد الله بن العجلان أقدم، وبذلك يزول التعارض.

المبحث «٣٣»

رِزَاح بن رَبيعة القُضَاعيّ الحِمْيَريّ

« مُعاصِر نهاية حكم خُزَاعَة لمكة ومُنَاصِرُ قُصَيّ بن كِلَاب»

هو القائد والشاعر اليمني الجاهلي رِزَاح بن ربيعة القُضَاعي الحِمْيَري، من بني عُذْرة بن سَعْد هُذَيم بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أَسْلُم بن عمران بن الحاف بن قُضَّاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر[1] ، وهو القائل في قصيدة له:

لَـمَّـا أَتَـى مِـنْ قُـصَـيٍّ رَسُـولُ ... فَقَالَ الرَّسُولُ أَجِيبُوا الْخَلِيلَا

نَـهَـضْـنَـا إِلَـيْـهِ نَـقُـودُ الـجِـيَـادَ ... ونَـطْرَحُ عَنَّا الْمَلُولَ الثَّقِيلَا[2]

ولِرِزَاح بن ربيعة هذا أهمية تاريخية لأنه عاصر نهاية حكم وولاية قبيلة خُزَاعة الأزدية اليمنية لمكة والبيت الحرام، وساهم في ذلك. فقد كان بنو سعد هُذَيم بن زيد ـ الذين منهم رِزَاح بن ربيعة ـ يسكنون مناطق سَرَاة وتهامة أعالي اليمن مع بني حَوْتَكة بن أَسْلُم وبني نَهْد بن زيد بن ليث بن سود بن أَسْلُم، وغيرهم من أحياء قبيلة قُضاعة الذين كانت مناطقهم تمتد من صعدة(محافظة صعدة حالياً) إلى سَرَاة وتهامة أعالي اليمن التي تمتد إلى تخوم الطائف، ومعهم قبائل أزدية يمنية وهم أزد السَرَاة وفيهم قال جماعة البارقي الأزدي:

مَلَكوا الطَّوْدَ من سروم إلى الطا ... ئف بالبأس منهم والثَّبَاتِ

قال الهمداني: « بلد نَهْد: من جُرْش إلى كُتْنة الهُجَيْرَة، ثم يتلو سَرَاة عَنْز سَرَاة الحَجْر بن الهِنْو من الأزد، ثم يتلوها سَرَاة غامِد ـ من الأزد ـ ثم سراة دَوْس ـ من الأزد ـ ثم سَرَاة فَهْم وعَدْوان ثم سَرَاة الطائف»[3] .

وقال« مكة: أحوازُها لقريش وخُزَاعَة، ومنها مَرّ الظَّهران، والتَّنْعِيم والجعرانة وسَرِف وفَخّ والعُصْم وعَسْفان وقديد وهو لخزاعة. »[3] .

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية كانت تسكن مكة

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٠.

(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١/١٢٨.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٨ و٢٥٩.

ونواحيها وتولت حكم مكة وولاية الكعبة ـ البيت الحرام ـ منذ نحو ثلاثمائة سنة قبل زمن رزاح بن ربيعة وقُصَيّ بن كلاب. حيث ـ كما قال جماعة البارقي:

واحْتَوَتْ مِنْهُم خُزَاعَةُ الكعبةَ ... ذات الرسوم والآياتِ
أَخْرَجَتْ جُرْهُمَ بِنْ يشجُبَ منها ... عنوةً بالكتائب المعْلَمَاتِ
فولاةُ الحَجِيجِ مِنْهَا، ومِنْهَا ... قُدوةٌ في مِنَىٰ وفي عَرَفاتِ
وإليها رفادةُ البيتِ، والمرباعُ ... يُجْبَىٰ لها مِنَ الغارات»[١]

وعن ذلك قال ابن هشام: «إنّ غُبْشَانَ من خُزَاعَة وُلِّيت البيت.. وقُريش إذْ ذاك حُلُولٌ وصِرْم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة، فوُلّيت خُزاعةُ البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: «تولت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر نحواً من ثلاثمائة سنة، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي»[٣].

وخلال تلك الثلاثمائة سنة أيضاً كانت كندة تحكم اليمامة ونجد، وكانت قبيلة طيء تسكن مناطق جَبَلَيْ أجا وسلمى وغيرهما في نجد وحتى مشارف مدينة يثرب وكانت قبيلة الأوس والخزرج اليمنية في يثرب ونواحيها، وكانت بعض قبائل قضاعة تمتد مساكنها من ينبع إلى دومة الجندل وتخوم الشام، بينما كانت خزاعة تسكن وتحكم نواحي مكة وتتولى البيت الحرام. ويدل ذلك على عدم وجود وعدم صحة التقسيم الذي أشاعه بعض الدارسين والمستشرقين عن شمال الجزيرة (العدناني) وجنوب الجزيرة (القحطاني) فقد كانت مناطق شمال الجزيرة بما فيها مكة ـ معقل قريش ـ يمانية الحكم والسكان، وكانت لغة اليمن العربية القحطانية هي اللغة السائدة وهي لسان العرب، ومنها اللغة العربية الفصحى التي كانت لغة الشعر والشعراء، وقد ذكرنا فيما سلف عشرات الشعراء اليمنيين من شتى مناطق وقبائل اليمن خلال تلك القرون، ولم يكن هناك لا شعراء ولا رؤساء من قريش حتى في مكة وإنما ـ وكما ذكر ابن هشام ـ «كانت قريش إذ ذاك حُلُولٌ وصِرْمٌ وبيوتات متفرقة» ـ والحلول: جماعات البيوت. والصرم: الجماعات المتفرقة، فتعلمت وتكلمت قريش وغيرها من بني عدنان اللغة العربية من اليمنيين القحطانيين ومنهم قبيلة خزاعة بمكة والتي ـ كما قال جماعة البارقي:

فولاة الحجيج مِنْها، ومِنْها ... قُدوةٌ في مِنَى وفي عرفات

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٧٣.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٣٠/ ١.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٢٠/ ٢.

وإليها رفادةُ البيت، المرباع يُجبَىٰ لها مِنَ الغارات

وذلك إلى عهد حُلَيْل بن حُبْشِيَّة الخزاعي آخر ولاة مكة والبيت الخزاعيين اليمنيين الذي في أيامه سار ربيعة بن حَرَام القضاعيّ ـ والد رِزاح بن ربيعة ـ من منطقة قضاعة بأعالي اليمن إلى مكة حيث ـ كما ذكر ابن هشام:

«كان ربيعة بن حَرَام، من بني عُذرة بن سعد هُذَيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسْلُم بن عمران بن الحاف بن قُضاعة، قَدْ قَدِم مكة بعد موت كلاب (القريشي) فتزوَّج فاطمة بنت سعد بن سَيَل (امرأة كلاب)، وقُصَيّ فطيم، فاحتملها إلى بلاده فحملت قُصَيّاً معها، فولدت لربيعة رِزَاحاً، فلما بلغ قُصَيّ وصار رجلاً أتى مكة فأقام بها»[1] ويتبين من ذلك أن قُصَيّ بن كلاب نشأ وترعرع وعاش في اليمن منذ كان فطيماً حتى بلغ وصار رجلاً، فسار إلى مكة وأقام بها.

قال ابن هشام: «ثم إن قُصَيّ بن كلاب خَطَب إلى حُلَيْل بن حُبْشِيَّة الخزاعيّ ابنته حُبَيّ، فرغب فيه حُلَيْلُ، فزوَّجه، فولدت له عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العُزَّى، وعبداً. فلما انتشر ولد قُصَيٍّ، وكثر ماله وعظم شرفه؛ مات حُلَيْل، فرأى قُصَيٌّ أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خُزاعة. . وخزاعةُ تزعم أن حُلَيْل بن حُبْشِيَّة أوصَىٰ بذلك قُصَيّاً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر، وقال له: أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خُزَاعة فعند ذلك طلب قُصَيّ ما طلب»[1].

وما ذكرته خُزاعة هو الصحيح ولا يتعارض ذلك مع الصراع والقتال الذي حدث مع خزاعة، لأنه لما مات حُلَيْل وأراد قُصَيّ أن يتولى أمر مكة والقيام بأمر الكعبة ـ هو وأولاده ـ بموجب وصية حُلَيْل، عارضت ذلك بعض عشائر خُزَاعة وعشيرة بني بكر بن عَبْدِ مَنَاة، ومنعوه من أن يتولى أمر البيت ومكة، وعندئذٍ ـ وكما ذكر ابن هشام ـ «كلَّم قُصَيّ بن كلاب رجالاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه، وكتب قُصَيٌّ إلى أخيه من أُمه رِزاح بن ربيعة القضاعي يدعوه إلى نصرته، والقيام معه».

فانطلق رِزاح من اليمن، ومعه أخوته: حُنٌّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وفرقة من فرسان ورجالات قضاعة، فلما وصلوا مكة انضمّ إليهم قصيّ بن كلاب وأولاده: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزّى، وعبداً، وجماعة من قريش. فالتقوا بعشائر خزاعة وبني بكر عند العَقَبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ١٣٠ جـ ١.

كثرت القتلى والجرحى في الفريقين، ثم إنّهم تَداعَوْا إلى الصلح، وإلى أن يُحكِّمُوا بينهم يَعْمُر بن عوف بن كعب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عَبْد مَنَاة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قُصَياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة ـ لأنّ حُلَيْل بن حُبْشِيَّة الخزاعي أوصى بذلك قُصَياً وأمره به ـ وقَضَىٰ يَعْمُرُ بأنّ كلّ دم أُصيب من خزاعة وبني بكر موضُوعٌ يَشْدَخُه ـ أي لا دية فيه ـ وأن ما أصابت خُزَاعة وبنو بكر من قريش وقضاعة ففيه الديَّة مُؤَدَّاة، وأن يُخلى بين قُصَيّ وبين الكعبة ومكة. فوُلّي قُصَيٌّ البيت وأمر مكة.

وبذلك انتهت ولاية خزاعة للبيت ومكة والتي دامت زهاء ثلاثمائة سنة، وتعاصرت مع ولاية كندة لليمامة ونجد، حيث انتهى حكم كندة لإقليم اليمامة ونجد على يد المنذر بن ماء السماء اللخمي اليماني ملك الحيرة، وانتهى حكم خزاعة لمكة وولايتها للكعبة بمناصرة رِزَاح بن ربيعة وفرسان قضاعة لقُصَيّ بن كلاب وبوصية حُلَيْل بن حُبْشِيَّة الخزاعي لقُصَي بن كلاب بأن يتولى أمر مكة والبيت. وكان قُصَيّ أول من تولى البيت ومكة من قريش وأول من وصل إلى مركز رئاسة من قريش وقبائل عدنان.

وقد حفظ لنا التاريخ من شعر رِزَاح بن ربيعة القضاعي قوله في مناصرته لقُصَي بفرسان قضاعة ومسيرهم من اليمن:

لَـمَّـا أَتَـى مِـنْ قُـصَـيٍّ رَسُـولُ ... فَقَالَ الرَّسُولُ: أَجِيبُوا الْخَلِيلَا
نَـهَـضْـنَـا إِلَـيْـهِ نَـقُـودُ الـجِـيَـادَ ... ونَـطْـرَحُ عَـنَّـا الـمَـلُـولَ الـثَّـقِـيـلَا
نَسِيرُ بِـهَـا الـلَّـيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ ... ونَـكْـمِـي الـنَّـهَـارَ لِـئَـلَّا نَـزُولَا[١]
فَـهُـنَّ سِـرَاعٌ كَـوِرْدِ الْـقَـطَـا ... يُـجِـبْـنَ بِـنَـا مِـنْ قَـصِـيٍّ رَسُـولَا[١]
جَـمَـعْـنَـا مِـنَ الـسِّـرِّ مِـنْ أَشْـمَـذَيْـنِ ... وَمِـنْ كُـلِّ حَـيٍّ جَـمَـعْـنَـا قَـبِـيـلَا[٢]
فَـيَـا لَـكِ حَـلْـبَـةً مـا لَـيْـلَـةٍ ... تَـزِيـدُ عَـلَـى الأَلْـفِ سَيْباً رسِـيـلَا[٣]
فَـلَـمَّـا مَـرَرْنَ عَـلَـى عَـسْـجَـرٍ ... وأَسْـهَـلْـنَ مِـنْ مُـسْـتَـنَـاخٍ سَـبِـيـلَا[٤]
وَجَـاوزْنَ بِـالـرُّكْـنِ مِـنْ وَرِقَـانٍ ... وجَـاوَزْنَ بِـالْـعَـرْجِ حَـيَّـاً حُـلُـولَا[٥]
مَـرَرْنَ عَـلَـى الْـحِـلِّ مَـا ذُقْـنَـهُ ... وعَـالَـجْـنَ مِـنْ مَـرَّ لَـيْـلاً طَـوِيـلَا[٦]

(١) نكمي: أي نكمن ونستتر. ورد القطا: الوارد من القطا إلى مناهل المياه.
(٢) السرّ: الوادي. أشمذين ـ بفتح الذال وكسر النون ـ اسم حيّين من تهامة أعالي اليمن.
(٣) الحلبة: جماعة الخيل. السيب: المشي السريع في رفق. الرسيل: الذي فيه تمهل.
(٤) عسجر: اسم موضع. أسهلن: سلكن السهل.
(٥) جاوزن: أي الخيول. ورقان والعرج: أسماء مناطق من تهامة وَسَراة أعالي اليمن.
(٦) مَرّ: مَرّ الظهران، وهي المنطقة الرئيسية لقبيلة خزاعة. قال ياقوت الحموي (قال الواقدي: بين =

نُـدَنِّـي مِـنَ الـعُـوذِ أَفْـلَاءَهَـا ... إِرَادَةَ أَنْ يَـسْـتَـرِقْـنَ الـصَّـهِـيـلَا(١)
فَـلَـمَّـا انْـتَـهَـيْـنَـا إِلَـى مَـكَّـةٍ ... أَبَـحْـنَـا الـرِّجَـالَ قَـبِـيـلاً قـبـيـلا
(قَـتَـلْـنَـا) خُـزَاعَـةَ فـي دَارِهـا ... وَبَكْراً (قَتَلْنَا) وَجِيلاً فَجِيلَا(٢)
نُـعَـاوِرُهُـمْ ثَـمَّ حَـدَّ الـسُّـيُـوفِ ... وفي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا العُقُولَا(٣)
نُـخَـبِّـزُهُـمْ بِـصِـلَابِ الـنُّـسـور ... خَبْزَ القَوِيِّ العَزِيزِ الذَّلِيلَا(٤)

قال ابن هشام «وقال ثعلبة بن عبد اللّه بن ذُبْيَان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم القُضَّاعي في ذلك من أمر قُصَيّ حين دعاهم فأجابوه:

جَـلَـبْـنَـا الْـخَـيْـلَ مُـضْـمَـرَةً تَـغَـالَـى ... مِـنَ الأعْـرَافِ أعْـرَافِ الْـجِـنَـابِ(٥)
إلـى غَـوْرَيْ تِـهَـامَـةَ فَـالْـتَـقَـيْـنَـا ... مِـنَ الـفَـيْـفَـاءِ فـي قَـاعٍ يَـبَـابِ
فـأَمَّـا صُـوفَـةُ الـخُـنْـثَـى فَـخَـلَّـوْا ... مَـنَـازِلَـهُـمْ مُـحَـاذَرَةَ الـضِّـرَابِ
وَقَـامَ بَـنُـو (عَـلِـيٍّ) إذْ رَأَوْنَـا ... إلـى الأسْـيَـافِ كـالإبِـلِ الـطِّـرَابِ»

وكانت عشيرة (صُوفَة) من بني بكر بن زيد مناة بن كنانة أول من انهزم في المعركة، بينما قاتلت خزاعة ومنهم عشيرة بني عَلِيّ ـ أو بني عَدِي ـ حتى تم الصلح والتحكيم ـ كما سلف التبيين ـ وتم تمكين قُصَيّ بن كلاب من ولاية مكة والبيت الحرام هو وأولاده الذين أخوالهم من خُزاعة، ومنهم عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب، جدّ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الذي وَفَدَ إلى الملك سيف بن ذي يزن الحميري بصنعاء لسنتين من مولد النبي ﷺ، ويتيح ذلك إدراك زمن قُصَيّ بن كلاب ورزاح بن ربيعة بأنه قبل الهجرة بأقل من مائة سنة.

* * *

قال ابن هشام: «وقد كان بين رِزَاح بن ربيعة ـ حين عاد إلى بلاده ـ وبين نَهْد بن زَيْد وحَوْتَكة بن أَسْلُم ـ وهما بطنان من قُضَاعة ـ شيءٌ، فأخافهم وأجلاهم

= مَرّ وبين مكة خمسة أميال) وقال أيضاً «مر الظهران: موضع على مرحلة من مكة له ذكر في الحديث. قال عرام (مر: القرية. والظهران: هو الوادي. وبمر عيون كثيرة ونخل وجميز» .

(١) جاء في الهامش «العوذ: جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت وبعدما تضع أياماً حتى يقوى ولدها. والأفلاء: جمع فلو، وهو المهر العظيم، أو البالغ سنة» .

(٢) قتلنا: بمعنى (قاتلنا)، وقد يكون (أتينا) فتصحف إلى (قتلنا) .

(٣) نعاورهم: أي نتعاون عليهم بالضرب واحداً بعد واحد. ثَمَّ: أي هناك.

(٤) نخبزهم: أي نسوقهم سوقاً شديداً.

(٥) الجناب: جاء في الهامش (الجناب: موضع من بلاد قضاعة) .

من بلاد قضاعة» أو أراد أن يجليهم منها. قال ابن إسحاق (فقال قُصيّ . .) قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزهير بن جَنَاب الكلبي:

أَلَا مَــنْ مُـبْـلِـغٌ عَــنِّـي رِزَاحــاً ... فَـإِنِّي قـد لَـحَـيْـتُـك فـي اثْـنَـتَـيْـنِ[1]

لَـحَـيْـتُـكَ فـي بـنـي نَـهْـدِ بْـنِ زَيْـدٍ ... كَـمَـا فَـرَّقْـتَ بَـيْـنَـهُـمُ وَبَـيْـنِـي

وحَـوْتَـكَـةُ بْـنُ أَسْـلُـمَ إِنَّ قَـوْمـاً ... عَـنَـوْهُـمْ بِـالْـمَـسَـاءَة قَـدْ عَـنَـوْنِـي»

وقد سلف تبيين أن زهير بن جناب الكلبي شهد موقعة خَزَازَى (عام ٥٢٩م) وذلك يدلُّ على زمن رزاح بن ربيعة وأن نهاية ولاية خزاعة لمكة والبيت الحرام كانت في تلك الفترة من القرن السادس الميلادي.

---

(١) لحيتك: لمتك.

المبحث «٣٤»

مُعَقِّر بن أوْس البارِقيّ

«مُعَاصر حسان ابن الجَوْن وموقعة يوم جبلة»

هو الشاعر اليمني الجاهلي المُعَقِّر سفيان بن أوْس بن حَمَّار بن الحارث البارِقيّ، وهو من أعلام الشعراء والفرسان في الجاهلية، وسُمِّي مُعَقِّراً لقوله في قصيدته المشهورة:

لَهَا نَاهِضٌ في الْوكْرِ قَدْ مَهَدَتْ لَهُ ... كَمَا مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حَسْنَاءُ عاقِرُ

قال الهمداني «بارِق من الأزد، رهط المعَقِّر الشاعر»[١] وقال نشوان الحميري في شمس العلوم «بارِق: قبيلة من اليمن، من الأزد، وهم ولد بارق، واسمه سعد بن عَدِيّ بن حارثة بن عمر مُزَيْقِيَا بن عامر ماء السماء»[٢] وكذلك ذكر أبو عبيدة الشاعر «مُعَقِّر بن أوْس بن حمّار البارقي» وقال: «بارِق حَيّ من الأزْد، وبارِقُ هو سعد بن عَدِيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَا بن عامِرِ ماءِ السَّماءِ»[٣] وعمرو مُزَيْقِيَا هو الملك «عمرو مُزَيْقِيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البَهْلُول بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»[٤] وفي زمن الملك عمرو مُزَيْقِيَا هاجرت وانتقلت قبائل الأزد من أرض مأرب ولكن ليس كل الأزد هاجروا وانتقلوا إلى خارج اليمن وإنما انتقل وهاجر بعضهم إلى خارج اليمن وهم أزد عُمان وبنو نصر بن الأزد وغسان والأوس والخزرج وخُزَاعة ـ الذين سكنوا بنواحي مكة ـ بينما انتقل بعض الأزد من منطقة مأرب إلى مناطق داخل اليمن نفسها ومنهم عَكّ وأزْد شنوءة بتهامة وأزد السَرَاة بمنطقة سَرَاة أعالي اليمن والذين منهم بارق وألمع ودوس وغامد، والحِجْر بن هنو، وأزد بن سلامان، وفيهم قال جماعة البارقي:

مَلَكوا الطَّوْدَ مِنْ سَرُوم إلَىٰ الطَا ... ئِفِ بـالـبـأسِ مِنْـهـمُ والـثَـبَـاتِ

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٦١ جـ ٢.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١٤٨ جـ ١.

(٣) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٦٥٩.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٣.

والطود هو المنطقة الجبلية التي بين جبال أعالي اليمن وتهامتها بمنطقة عسير حالياً. قال الحسن الهمداني «. . الطود: ما قطع اليمن من جبل السَرَاة الذي بين نجدها وتهامتها». وقال: «يماني الطائف وادٍ يُقال له جَفْن لثقيف، وهو بين الطائف ومعدن البرام. . ثم يتلو معدن البرام ومُطَار صاعداً إلى اليمن، أرض السَرَاة. . سَرَاة بني على (عدوان) وفَهْم، ثم سَرَاة بَجِيلة، والأزد بن سلامان بن مفرج، وألْمَع، وبارق، ودَوْس، وغامد، والحِجْر إلى جُرْش. . وبلد خثعم: أعراض بيشه، وترج، وتَبَاله، والمراغه. . وحَلَبا قرية لبني مالك بن شهر، وشرقيها ما جاور بيشه من بلد خَثْعم، وغَوْرِيّها بلد بارق»[١]. ويتبين من ذلك أن منطقة بارق هي في غور وادي بيشه بمنطقة السَرَاة في أعالي اليمن حيث عاش الشاعر مُعَقِّر بن أوس البارقي منذ ما قبل الإسلام بمائة سنة ونيف لأنه شهد موقعة يوم جَبَلة وهو شيخ كبير قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة.

قال القاضي محمد الأكوع في هامش قول الهمداني «بارق من الأزد، رهط المُعَقِّر. .» ما يلي: «المُعَقِّر كمُحَدِّث، واسمه عمر بن سفيان بن حمَّار بن أوس البارقي وهو جاهلي. . إلخ»[٢]. والأصوب أن اسمه سفيان بن أوس وقال بامطرف في ترجمته بكتاب الجامع: «مُعَقِّر بن أَوْس بن حَمَّار بن الحارث البارقي الأزدي: شاعر، من فرسان الأزد في الجاهلية. شهد يوم جَبَلَة **(قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة، وقبل المولد النبوي بتسع عشرة سنة)** وله شعر في ذلك اليوم وفي غيره، وهو صاحب البيت المشهور من قصيدة طويلة:

وأَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَىٰ ... كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإياب المُسَافِرُ»[٣]

وقد ذكر أبو عبيدة قوله في تلك القصيدة:

لَهَا ناهِضٌ في المَهْدِ قَدْ مَهَدَتْ لَهُ ... كَمَا مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حَسْناءُ عاقِرُ

ثم قال أبو عبيدة: «بهذا البيت سُمِّيَ مُعَقِّراً، واسمه سُفْيان بن أَوْس، وإنّما خَصَّ العاقِرَ لأنّها أَقلُّ دالَّةً على الزّوج من الولود فهي تصنع له وتُداريه»[٤].

* * *

وقد عاصر مُعَقِّر البارقي الأمير حسان بن عمرو بن الجَوْن بن حُجْر آكل المُرَار الكندي. وقد سلف ذكر ملوكية «حُجْر آكل المُرَار بن عمرو الكندي» على

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٦٠.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٦١ جـ ٢.
(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٥٨٣.
(٤) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٦٧٧.

نجد واليمامة والبحرين، قال ابن الأثير: «فلما مات حُجْر آكل المُرار صار عمرو بن حُجر آكل المُرار ملكاً بعد أبيه وهو عمرو المقصور، وكان أخوه معاوية وهو الجون ملكاً على اليمامة»[١] . وقد كان عمرو المقصور ومعاوية الجَوْن ملكين حتى عهد الملك تُبّع حسان ملك اليمن (عام ٤٤٥ ـ ٤٥٦م) حيث قال الهمداني «كانت أم عمرو المقصور ابنة حسان، ورَتَّبه حسان بالمشقر حصن البحرين»[٢] ويتبين من ذلك أن حصن المشقر بإقليم البحرين كان مقر ملوكية وحكم عمرو المقصور بن حُجْر آكل المُرَار وأن اليمامة كانت مقر ملوكية وحكم معاوية الجَوْن بن حُجر آكل المُرَار.

ثم صار الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المُرَار ملكاً على أقاليم البحرين واليمامة ونجد وامتد حكمه إلى إقليم الحيرة بالعراق وذلك في عهد أسعد تُبع بن حسان ملك اليمن (عام ٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وصار أبناء الحارث بن عمرو ملوكاً على قبائل ومناطق البحرين واليمامة ونجد حتى نواحي الحيرة، وهم شُرحبيل، وسَلَمة، ومعدي كرب، وحُجْر بن الحارث ـ والد امرىء القيس ـ وقد استمر حكم الحارث وأولاده زهاء ستين سنة ـ وذلك إلى عام ٥٢٨ وعام ٥٢٩م ـ وفي تلك الحقبة أيضاً كان عمرو بن الجَوْن بن حُجر آكل المُرار وأخوه أخضر بن الجون من الحكام الأمراء على بعض المناطق والقبائل بإقليم اليمامة ونجد، ثم كذلك كان حسان بن عمرو بن الجون وهو من نفس جيل حجر بن الحارث والد امرىء القيس الذي هو من جيل معاوية بن شرحبيل بن أخضر بن الجَوْن، حيث إن أنسابهم كما يلي:

- (حُجْر ـ والد امرىء القيس ـ ابن الحارث بن عمرو المقصور بن حُجْر آكل المرار الكندي).

- (حسان بن عمرو بن معاوية الجون بن حُجر آكل المرار الكندي).

- (معاوية بن شرحبيل بن أخضر بن معاوية الجون بن حجر آكل المرار الكندي).

وقد انتهى حكم حُجر والد امرىء القيس بمقتله حوالي عام ٥٣٠ ميلادية (قبل المولد النبوي بنحو أربعين سنة) وانتهى صراع امرىء القيس بن حُجْر مع بني أسد ومع المنذر ملك الحيرة بمسيره إلى الشام وقيصر الروم حوالي عام ٥٤٠ وبوفاته «نحو عام ٨٠ قبل الهجرة، وذلك قبل المولد النبوي بنحو ستة وعشرين عاماً». بينما استمر حسان بن عمرو بن الجون أميراً إلى زمن موقعة يوم جَبَلة التي شهدها مُعَقِّر بن أَوْس

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٠٤ جـ ١.

(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٢٦.

البارقي بعد وفاة امرىء القيس بسبع سنين وقبل المولد النبوي بتسع عشرة سنة.

قال أبو عبيدة: «كان يوم شِعْب جَبَلَة من أعْظَمِ أيّام العرب، وكانت عِظامُ أيام العرب ثلاثة أيام، يوم الكُلَاب ويوم ذي قار ويوم جَبَلَة.. كان يوم جَبَلَة قبل الإسلام بسَبْع وخمسين سَنَةً قبل مولد النبي ﷺ بتسعَ عَشْرَةَ سَنَةً»[1]. حيث سار حسان بن عمرو بن الجون ومعاوية بن شرحبيل بن أَخْضَر بن الجون في جموع كثيفة من قبائل ذبيان وتميم وطيء وفرسان كندة لمعاقبة وقتال قبائل عبس بن بغيض وبني عامر. وفي ذلك قال مُعقِّر البارقي:

مُعاوِيَةُ ابْنُ الجَوْنِ ذُبْيَانُ حَوْلَهُ ... وحَسّانُ في جَمْعِ الرِّبابِ مكابرُ
وقَدْ جَمَعوا جَمْعاً كَأنَّ زُهاءَهُ ... جَرادٌ هَوَى في هَبْوةٍ مُتَطايِرُ

وقال النابغة الجعدي:

ونَحْنُ حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعَامِراً ... لِحَسّانَ ابن الجَوْنِ إذْ قِيلَ أَقْبلَا

وكانت قبيلة عَبْس بن بَغيض قد أحدثت حدثاً وقتلت نفراً من قبيلة ذُبْيَان فخرجوا هاربين من بني ذُبيان حتى نزلوا بقبيلة بني عامر فطلبوا من بني عامر أن يُجيروهم وأن يصيروا حلفاء لبني عامر، فاجاروهم وحالفوهم. وكانت قبيلة بني عامر تسكن ما بين نجد والطائف مما يلي سَرَاة أعالي اليمن والطائف. وكان بنو عامر حلفاء قبيلة بارق وقبيلة بَجِيلة اليمنية حيث كانت بارق وبجيلة بمنطقة سرَاةَ أعالي اليمن قريباً من منطقة بني عامر التي هي من القبائل النزارية العدنانية.

فلما نزلت قبيلة عَبْس بن بغيض بديار بني عامر وأجارتهم بنو عامر وحالفتهم ـ وكما ذكر أبو عبيدة ـ «سَمِعَتْ بهم حيث قَرَّ قَرارُهم بنو ذُبْيان فحَشَدوا واستعدّوا وخرجوا عليهم حِصْنُ بن حُذَيْفَة بن بدر يطلبون بدم حذيفة بن بدر، وأَقْبَل معهم مُعاويةُ بن شَرَحْبيل بن أَخْضَرَ بن الجَوْن بن حُجْر آكِلِ المُرَار الكندي في جَمْع من كِنْدَةَ، وأَقْبَلَتْ بنو حنظلة بن مالك والرِّبابُ ـ التميميون ـ عليهم لقيطُ بن زُرارة يَطْلُبون بدم مَعْبَد بن زُرارة ويَثْربي بن عُدُس، وأَقْبَل حسان بن عمرو بن الجَوْن في جَمْع عظيم من كِنْدَة وغَيْرِهم، أَقْبَلوا بوضائع كانت تكون عند الملوك وهم الرّابِطة»[1] ويدل شعر النابغة على أن ذبيان وحنظلة والرِّباب أولئك هم من جموع حسان بن عمرو بن الجون، فلم تكن ذبيان وحدها وحنظلة والرباب وحدها وإنما كانوا مع حسان ويؤكد ذلك أيضاً قول معقر البارقي:

مُعاوِيةُ ابن الجَوْنِ ذُبْيَانُ حَوْلَه ... وحَسَّانُ في جَمْعِ الرِّبَابِ مُكابرُ

---

(١) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ٦٥٣ و٦٥٦.

ولما سمعت بنو عامر وبنو عبس بمسيرهم أرادوا الفرار والارتحال وخرجوا إلى منطقة وادي بحار، فأتاهم عمرو بن عبد اللّه بن جَعْدَة في فتيان من بني عامر وقال للأحوص العامري ـ كبيرهم ـ: أتريد أن تفضحنا وتُخْرِجَنا هاربين من بلادنا ونحنُ مِنْ أعزّ وأكثر العرب عدداً وجَلَداً وشوكةً تريد أنْ تجعلنا موالي في العرب إذْ خرجتَ بنا هارباً؟ قال: فكيف أفعلُ فقد جاء ما لا طاقةَ لنا به فما الرّأيُ؟ قال عمرو: نرجع إلى شِعْب جَبَلَة فنَحوزُ النّساءَ والذّراريَّ والضَّعَفَة والأموال في رأسه ونكون في وَسْطه ففيه ثَمَلُ وماءُ فإنْ أقام مَنْ جاءك أسْفَلَ أقام على غير ماء ولا مُقامَ لهم ـ أي سيرحلون ـ وإنْ صَعِدوا قَاتَلْتَهم من فوق رؤوسهم بالحِجارة وكنتَ على قِتالهم أَقْوى منهم على قتالك، فقال الأحوص: هذا واللّه الرأي، وقال لبني عامر وبني عبس: ارجعوا، فرجعوا فدخلوا شِعب جَبَلَة. ففي ذلك قال نابِغَةُ بني جَعْدَة ـ فيما بعد ـ:

ونَحْنُ حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعامِرَاً ... لِحَسّانَ ابن الجَوْنِ إذْ قِيلَ أَقْبَلا[1]

وقَدْ صَعِدَتْ عَنْ ذي بِحارٍ نِساؤُهُمْ ... كَاصْعادِ نَسْرٍ لا يَرومونَ مَنْزِلا

عَطَفْنا لَهُمْ عَطْفَ الضَّروسِ فصادَفوا ... مِنَ الهَضْبَةِ الحَمْراءِ عِزًّا ومَعْقِلا

وكان خروج بني عامر وعبس إلى وادي بِحار للهروب ثم عودتهم إلى شِعب جَبَلة قبل عشرة أيام من قدوم حسان ومعاوية بن الجون والذين معهم فقد ذكر ابن الأثير أنه «عَقَدَ معاوية بن الجون الألوية، فكان بنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون، وعَقَد لبني عمرو بن تميم مع حاجب بن زرارة، وعقد للرباب مع حسان، وعَقَدَ لجماعة من بطون تميم مع عمرو بنِ عدس، وعَقَدَ لحنظلة بأسرها مع لقيط بن زرارة. وساروا في جمع عظيم لا يشُكّونَ في قتل عبس وعامر، فلقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان السعدي وكان شريفاً، فقال له: ما منعك أن تسير معنا في غزاتنا؟ قال: أنا مشغول في طلب إبل لي. قال: لا بل تريد أن تنذر بنا القوم ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تنذرهم، فحلف له. ثم سار عنه وهو مغضب، فلما دنا ـ كرب بن صفوان السعدي ـ من بلاد بني عامر أخذ خرقة فصَرَّ فيها حنظلةً وشوكاً وتراباً وخرقتين من يمانيةٍ وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود، ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم، فأخذها ابن قشير فأتى بها الأحوص وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون فقال الأحوص ـ ابن جعفر العامري ـ لقيس بن زهير العبسي: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: هذا رجل قد أُخِذ عليه عهد على أن لا يكلمكم فأخبركم أن

(١) جاء عجز البيت في النقائض «لحسان وابن الجون إذْ قيل أقْبلا» . أي لحسان ومعاوية ابن الجون.

أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وأن شوكتهم شديدة، وأما الحنظلة فهم رؤساء القوم ـ أبو بني حنظلة ـ وأما الخرقتان فهما حيّان من اليمن معهم، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة، وأما الأحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم فيها»(١). ويتبين مما ذكره أبو عبيدة أن قوله: (أما الخرقتان فهما حيَّان من اليمن) هما الرئيسان حسان والذين معه من كندة وطيء ومعاوية بن الجون والذين معه من كندة. أما الخرقة الحمراء فقد يكون حاجب بن زرارة أو لقيط بن زرارة لأنّ بني حنظلة والرباب كان عليهم لقيط بن زرارة. وإذا كانت حبة الحنظل ـ الحنظلة ـ كناية عن بني حنظلة ـ فإن الشوك قد يكون كناية عن بني ذُبيان وكان عليهم حصن بن حذيفة بن بدر الذي قد يكون هو المقصود بالخرقة الحمراء فقد كانت ذبيان شوكة ذلك الجمع. ويتبين من العشرة الأحجار السوداء أن ذلك الإنذار كان قبل عشر ليال من وصول حسان ومعاوية ابن الجون والذين معهم، أي أنهم سيصلون ويهاجمون بني عامر وبني عبس بعد عشرة أيام، فلم يكونوا قد ساروا وإنما تجمعوا وحشدوا للسير، وعندئذٍ أراد بنو عامر وبنو عبس الهروب وخرجوا إلى وادي بحار فأتاهم عمرو بن عبد اللّه الجعدي وأشار عليهم بالرجوع والتمركز في شِعْب جَبَلَة ـ كما سلف التبيين ـ فرجعوا إلى منطقة شِعْب جَبَلة، وخلال العشرة أيام انطلقت من سَرَاة أعالي اليمن وانضمّت إليهم قبيلة بارق برئاسة الشاعر معقّر بن أوس البارقي وقبيلة بَجِيلة اليمنية التي كان فرسانها ورجالها زهاء خمسة عشر ألفاً، وقد كانت بجيلة وعامر حليفتان، وكانت بارق حليفة بني نمير من بني عامر، وفي ذلك قال مُعَقِّر بن أَوْس البارقي:

ونَـحْـنُ الأَيْـمَـنـونَ بَـنـي نُـمَـيْـرٍ يَـسـيـلُ بِـنـا أَمـامَـهُـمُ الـخَـلـيـفُ

والخليف: الطريق بين شِعْب مُسْلَّح وشِعْب جَبَلة.

قال أبو عبيدة: «وجَبَلَةُ هَضْبَةٌ حمراء بين الشُرَيْفِ والشَّرْفِ. والشُّرَيْفُ ماءُ لبني نُمَيْر، والشَّرْفُ ماءُ لبني كِلاب. وجَبَلَةُ جَبَل طويل له شعْب عظيم واسع لا يُؤتَى الجَبَلُ إلّا من قِبَلِ الشِّعْب، والشِّعْبُ متقارِبُ المَدْخَل وداخله مُتَّسِع وبه اليومَ عُرَيْنَة من بَجِيلةَ. فدخلت بنو عامر شِعْباً منه يُقال له مُسَلَّحُ فحَصَّنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل. واقتسموا الشِّعْبَ بالقِداح، فأُقْرِعَ بين القبائل في شَظاياه فخرجت بنو نُمَيْر ومعهم بارِقُ حَيٌّ من الأزد حُلفاء يومئذٍ لبني نُمَيْر فوَلجوا الخَليفَ وهو الطريق بين الشِّعْبَيْن لأنّ سَهْمَهم تَخَلَّف. وفيه يقول مُعَقِّر بن أَوْس البارقي:

ونـحـنُ الأيـمـنـون بـنـي نُـمَـيْـرٍ يَـسـيـلُ بِـنـا أمـامَـهُـمُ الـخَـلـيـفُ

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٥٦ جـ ١. (٢) النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ٦٥٩.

وكان مُعَقِّر يومئذٍ شيخاً كبيراً»[١]. وكان وصول بارق من اليمن إلى شِعْب جَبَلَة في أواخر الأيام التسعة التي سبقت المعركة لذلك تخلف سهمهم فتمركزوا في الطريق بين الشِّعْبَيْن وهي المنطقة الأخطر التي سيبدأ الهجوم عليها لأنها الطريق بين الشِّعْبَيْن، وكان عدد بارق كبيراً ويدل على ذلك قول مُعَقِّر البارقي «يسيل بنا أمامهم الخَليفُ». أما قبيلة بَجِيلَة اليمنية فقد وصل فرسانها ورجالها إلى شِعْب جَبَلَة قبل بارق، فطلعت قرعتهم وأسهمهم مع عشائر قبيلة بني عامر وبني كلاب بن ربيعة بن عامر داخل ووسط مناطق شِعْب جَبَلَة. قال أبو عبيدة: «شَهِدَتْ يوم جَبَلَةَ قَبائِلُ بَجِيلَة كُلُّها إلا قَسْراً لحَرْبٍ ـ أو خلافات ـ كانت بين قَسْر وقومها. فارتحلت بَجيلةُ (من منطقة السَرَاة باليمن إلى شِعْبِ جَبَلَة) فتفرَّقوا ـ أي انتشروا ـ في ـ ومع ـ بطون بني عامر. فكانت (عشيرة) عادِيَةُ بن عامر بن قُداد من بَجِيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت (عشيرة) سُحْمَةُ من بَجِيلة في بني جعفر بن كلاب، وكانت (عشيرة) عُرَيْنَةُ من بَجِيلة في عمرو بن كلاب، وكان بنو قَيْس كُبَّةَ من بَجِيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت (عشيرة) عامر بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت بنو قُطَيْعَة من بَجِيلة في بني أبي بكر بن كلاب، وكانت (عشيرة) نصيب بن عبد اللّه مِن بَجِيلة في بني نُمَيْر بن عامر، وكانت ثعلبة والخِطام مِن بَجِيلة في بني عامر بن ربيعة، وكان بنو عمرو بن معاوية بن زيد مِن بَجِيلة في بني أبي بكر بن كلاب ومعهم يومئذٍ نُفَيْر من عُكْل». [ص ٦٤٠]

وبَجِيلة هم قبيلة بجيلة بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»[٢] وكانوا هم وقبيلة بارق الأزدية اليمنية يمثلون غالبية الذين مع بني عامر في موقعة يوم جَبَلَهُ، فقد كانت بَجِيلة وبارق زهاء عشرين ألفاً، وكانت قبائل عامر وعبس ـ غير اليمنية ـ زهاء عشرة آلاف[٣] قال أبو عبيدة: «فبلغ جمعهم ثلاثين ألفاً»[٤].

بينما في الجانب الآخر أَقْبَلَ معاوية ابن الجون الكندي بقبيلة ذُبْيَان وجماعة من كندة، وحسان ابن الجون بقبيلة الرباب وغيرها من عشائر تميم وجماعة من كندة وطيء، ولم تذكر الروايات عددهم، ويمكن تقديرهم بزهاء عشرين ألفاً، فيكون عدد

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٧.

(٢) قبيلة عامر هم (عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان) أما عبس فهم (عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار).

(٣) النقائض ـ أبو عبيدة ـ ص ٦٤٠.

الفريقين زهاء خمسين ألفاً. وذبيان هم قبيلة ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان. والرباب وحنظلة من قبيلة تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانوا هم وذبيان يُمَثِّلُون غالبية الذين مع حسان ومعاوية ابن الجون، فأقبلوا بجموعهم إلى منطقة شِعْبِ جَبَلَة. وقد وصف مُعَقِّر بن أَوْس البارقي قدومهم حيث قال:

مُعَاوِيَةُ ابن الجَوْنِ ذُبْيَانُ حَوْلَهُ ... وحَسّانُ في جَمْعِ الرِّبَابِ مُكَابِرُ
فَمَرُّوا بأَطْنَابِ البُيوتِ فَرَدَّهُم ... رِجَالٌ بأَطْرافِ الرِّمَاحِ مَسَاعِرُ
وقَدْ جَمَعُوا جَمْعاً كَأَنَّ زُهاءَه ... جَرادٌ هَوَىٰ في هَبْوَةٍ مُتَطايِرُ

ولم يقع عند قدومهم قتال وإنما باتوا حتى الصباح، وربما وقعت اتصالات ومراسلات فقد أَبَىٰ المتمركزون في شِعْب جَبَلَة تزويد جمع معاوية وحسان بالماء وغير ذلك كما يدل على ذلك قول مُعَقِّر (فلم نَقْرِهِمْ شيئاً)، وجرى أيضاً اتصال ببارق وبَجِيلة بأن جمع معاوية وحسان من ذبيان وتميم إنما جاؤوا لقتال بني عامر وعَبْس وليس بجيلة وبارق، فلم تقبل بجيلة وبارق وأبلغتهم بأنها ستقاتل مع عامر وعبس في الصباح مما أدى إلى انصراف طيء قبل المعركة بينما كابرت الرِّباب وتميم بالذات وتهيأوا للقتال ولذلك قال مُعَقِّر البارقي (وحسان في جمع الربابِ مُكابِرُ) وقال بعد الأبيات السالفة عن قدومهم:

فَبَاتُوا لَنَا ضَيْفاً، وبِتْنَا بِنِعْمَةٍ ... لنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوفِ وسَامِرُ
فَلَمْ نُقْرِهِمْ شَيْئاً ولكن قَصْرَهُمْ ... صَبوحٌ لَدَيْنا مَطْلِعِ الشَّمْسِ حازِرُ
وظَنَّ سَرَاة القوم أَنْ لن يُقَتَّلوا ... إذا دُعِيَتْ بالسَّفْحِ عَبْسٌ وعامِرُ

أي ظنّوا أننا لن نقاتلهم لأنهم إنما جاؤوا لقتال عبس وعامر، ولكننا أَبَيْنا إلا قتالهم وقتلهم.

وقد اندلعت معركة يوم جَبَلَة في الصباح بهجوم شنته بارق ومعها نُمَير من موضع الخَليف حيث انطلقوا بكتائب الفرسان فكركروا وشتتوا القوم. وقد أشار أبو عبيدة إلى ذلك قائلاً: «خَرَجَتْ بنو نُمَير من الخَليف على الخيل فكركروا الناس». ويتبين من شعر مُعَقِّر البارقي أن كتائب فرسان بارق كانوا القوة الأساسية في ذلك الهجوم حيث ذكر الهجوم ووصف المعركة، فقال في قصيدته بعد الأبيات السالفة:

صَبَحْنَاهُمُ عِنْدَ الشُروقِ كَتائِباً ... كأَرْكانِ سَلْمَى سَيْرُها مُتَواتِرُ[1]

---

(١) جاء في نسخة النقائض «..شَبْرها متواتر». والأصوب (سيرها) أي الكتائب. ويعني بأركان سلمى جبل سلمى.

كَـأنَّ نَـعـامَ الـدَّوِّ بَـاضَ عَـلَـيْـهِـمُ ... وأعْيُنُهُمْ تَحْتَ الحَبيكِ حَواجِرُ
مِنَ الضّارِبينَ الكَبْشَ يَمْشونَ مقْدِماً ... إذا غَصَّ بالرّيقِ القَليلِ الحَناجِرُ(١)
وظَنَّ سَرَاةُ القَوْمِ أنْ لَنْ يُقَتَّلوا ... إذا دُعِيَتْ بالسَّفْحِ عَبْسٌ وَعَامِرُ
ضَرَبْنا حَبيكَ البَيْضِ في غَمْرِ لُجَّةٍ ... فلَمْ يَنْجُ في النَّاجينَ مِنْهُم مُفَاخِرُ
ولَمْ يَنْجُ إلّا مَنْ يَكونُ بِطِمرّةٍ ... تُوائِلُ أوْ نَهْدُ مُلِحٌّ مُثابِرَ

وقد جاء صدر البيت في نسخة من النقائض (ولم ينج إلا من يكون طِمِرَّةٌ) والأصوب (من يكون بطمرة) والطمرّة ـ بكسر الطاء وتشديد الراء ـ الأنثى من الخيل. ويعني لم ينج من قادة وفرسان القوم إلا من كان على خيل (طمرة) سريعة أو خيل (نهد) يسرع ويلح ويثابر بالنجاة والهروب من غمار ولجة المعركة، وكان القوم الذين انهزموا في ذلك المكان (الخليف) هم الذين بقيادة حاجب بن زُرارة التميمي. قال أبو عبيدة: (أما حاجب بن زُرارة فخرج مُنهزماً وخرج في أثَرِه الزَّهْدَمانِ زَهْدَمُ وقيسُ ابنا حَزْن بن وهب يطردان حاجباً» ـ أي يطاردانه والذي طارده هو زهدم بن حَزْن بن وهب.. وقد ذكر ووصف معقِّر البارقي ذلك حيث قال بعد الأبيات السالفة:

هَوَى زَهْدَمُ تَحْتَ الغُبارِ لِحاجِبٍ ... كَما انْقَضَّ أقْنا ذو جَناحَيْنِ ماهِرُ
هُما بَطَلانِ يَعْثُرانِ كِلاهُما ... أراد رئاس السَّيف، والسَّيفُ نادِرُ
فلا فَضْلَ إلّا أن يكون جراءة ... وذو بَدَنَيْنِ والرُّؤُوسُ حَواسِرُ
يَنُوءُ وكَفّا زَهْدَمٍ مِنْ وَرائِهِ ... وقَدْ عَلِقَتْ ما بَيْنَهُنَّ الأظافِرُ

وقوله (هما بطلان يعثُران.. إلخ). قال أبو عبيدة «يَعْثُرانِ يُنْسَبانِ إلى أنّهما بطلان. ورِئاسُ السَّيْفِ: الداخل في المَقْبضِ منه الدَّقيقُ. كلّ واحد منهما يطلب رئاس السيف لِقَتْلِ صاحبه». وقد أسفرت المطاردة عن فداء حاجب بن زرارة نفسه بتعهده بأن يعطي زهدماً وأخاه مائة ناقة.

وأثناء ذلك القتال والانهزام للذين مع حاجب بن زرارة في الخليف، كان فرسان بَجِيلة مع شُريح بن الأحوص العامري يقاتلون القوم في موضع الجُرف. قال أبو عبيدة «انقطع شُرَيح بن الأحوص في فُرْسانٍ حتى أخذ الجُرْف، فَقُتِل الناس هناك قَتْلاً شديداً.. وكان لقيط بن زُرارة يومئذٍ على الجُرف على برذون له فطعنه شُريح فسقط قتيلاً.. وقُتِل يومئذٍ أيضاً ـ في الخَليف والجُرف ـ قُرَيط بن مَعْبد بن زُرارة وزيد بن عمرو بن عُدُس وثمانين رجلاً من تميم».

---

(١) الكبش: يعني الفارس البطل، يقال (كبش القوم).

وأدى مقتل وانهزام وهروب قادة ورجالات تميم وبعض بني ذبيان إلى انكسارهم وانهزامهم وهروبهم جميعاً، ولم يبق مع حسان ومعاوية بن الجون إلا جماعة صغيرة من كندة، وقد ذكر أبو عبيدة أنه «نَزَلَ حسان بن عمرو بن الجَوْن وصاحَ يال كِنْدَةَ، فَحَمَلَ عليه شُرَيحُ بن الأحوص فاعترض دون ابن الجون رَجُلٌ من كندة يُقال له حَوْشب فضربه شُريح في رأسه فكسر السيف فيه فخرج يَعْدو بِقَصْدَةِ السَّيف وكان مما رَعَّبَ النَّاسَ مكانه. وشَدَّ طُفَيْل بن مالك على حسان بن الجَوْن فأَسَرَه، وشَدَّ عوفُ بنِ الأحوص على معاوية ابن الجَوْن فأَسَرَه. .» (اهـ). والتعبير الأصوب أنهما استسلما، فلم يبق بعد مقتل وانهزام وهروب قادة وعشائر تميم وبعض بني ذبيان وانسحاب طيء وبعض بني ذبيان إلا نفرٌ يسير مع حسان ومعاوية بن الجوْن منهم حوشب الكندي فلما أُصيب حوشب وانكسر السيف في رأسه أرعب منظره الناس، فأعلن حسان ومعاوية أنهما يُسلمان نفسيهما فتقدم إليهما عوف وطفيل وأَخَذَاهُمَا، ففدى حسان ومعاوية نفسيهما بمالٍ وبنوقٍ يؤديانهما وانصرفا مع من بقي معهما من كندة. فانتهت بذلك موقعة يوم جَبَلَة، وقد أطال بعض الرواة ذكر أخبارها واكتفينا بذكر جوهرها وصحيح ما حدث فيها استناداً إلى الوثيقة التاريخية عنها وهي قصيدة مُعَقِّر البارقي.

وكان بعض فرسان بارق قد لحقوا وأسروا سنان بن أبي حارثة الذبياني الغطفاني وابنيه هرماً ويزيد عند هروبهما وانصرافهما من موقعة يوم جَبَلَة، ويقال إن سنان بن أبي حارثة انصرف مع طيء قبل المعركة. ولا يتعارض ذلك مع مطاردته أو اللحاق به أو حتى العثور عليه بالمصادفة وكان عند غدير ماء مع ابنيه فأسره بعض فرسان بارق في نفس اليوم فتعهد لهم بأنه سيؤدي لهم مائة ناقة يَحْدُوا بها فرسان ويثيبهم ثواباً حسناً فتركوه وأطلقوا سراحه على ذلك وانصرف إلى بلاده، ثم سار إليه بعض رجالات بارق وفيهم مُعَقِّر بن أَوْس البارقي لاستلام ذلك فلم يَفِ بوعده وتعهده ولم يصنع بهم خيراً. فرجعوا إلى منطقة بارق في سَرَاة أعالي اليمن. وقد جاء في كتاب النقائض أنه «قال مُعَقِّر البارِقي:

مَتَى تَكُ فِي ذُبْيَانَ مِنْكَ صَنِيعَةٌ ... فَلَا تَحْمَدَنْهَا الدَّهْرَ بَعْدَ سِنَانِ

يَظَلُّ يُمَنِّينَا بِحُسْنِ ثَوابِهِ ... لَكُمْ مائَةٌ يَحْدُوا بِها فَرَسانِ

مَخاضُ أُؤَدِّيها لِقائِحُ مائَةٌ ... وأُكْرِمُ مَثْوى مِنكم مَن أتاني

فَجِئْناهُ لِلنُّعْمَا فكانَ ثَوابُهُ ... رَغُوثٌ ووَطْباً حازِرٍ مَزَقانِ[1]

وظَلَّ ثَلاثاً يَسألُ الحَيَّ ما يَرَى ... يُؤامِرُهُمْ فِينَا لَهُ أَمَلانِ

---

(١) الوطب: وطب اللبن.

فإِنْ كُنْتَ هذا الدَّهْرَ لا بُدَّ مُنْعِماً فلا تَبْغِيَنَّ الشُكْرَ في غَطَفانِ »

* * *

ومِنْ جَيْدِ شعر مُعَقِّر بن أَوْس البارقي قصيدة (أمِنْ آل شَعْثاءِ الحُمولُ البَواكِرُ) وهي القصيدة التي ذكر ووصف فيها موقعة يوم جَبَلَة، ولها أهميتان، أهمية تاريخية لأنه ذكر ووصف فيها موقعة يوم جَبَلَة التي شَهَدَها بنفسه قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة. وأهمية أدبية وفنية لأنها من جَيد الشعر الجاهلي وقد أَبْدَعَ مُعَقِّر البارقي في مطالع القصيدة وخواتمها، وبين المطالع والخواتم تقع الأبيات التي وصف فيها موقعة يوم جَبَلَة وهي الأبيات التي سلف ذكرها في سياق أنباء الموقعة وعددها (١٥) بيتاً فلا يلزم إعادة ذكرها. ونذكر هنا مطالع القصيدة وخواتمها وهي من جيد وروائع الشعر حيث قال مُعَقِّر بن أَوْس البارقي:

أَمِنْ آلِ شَعْثَاءِ الحُمُولُ البَواكِرُ مَعَ اللَّيْلِ أَمْ زَالَتْ قُبَيْلُ الأَبَاعِرُ
وحَلَّتْ سُلَيْمَى في هِضَابٍ وأَيْكَةٍ فلَيْسَ عَلَيْها يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرُ
وَخَبَّرَهَا الوُرَّادُ أَنْ لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ قُرَى نَجْرَانِ والدَّيْرِ كَافِرُ [(١)]
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَىٰ كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإِيابِ المُسَافِرُ [(٢)]
تُهَيِّبُكَ الأسفارَ مِنْ خشيةِ الرَّدَىٰ وكَمْ قد رأينا مِنْ رَدٍّ لا يُسَافِرُ

[أيْ يُهيبونك الأسفار من خشية الموت بينما كم من ميت لا يسافر مات في المكان الذي هُو فيه فلا تتهيب الأسفار، وهذا البيت فيه شيء من الحكمة]. وقال:

---

(١) قرى نجران: قُرى مخلاف نجران وكان مخلاف نجران يشمل نواحي نجران وعسير ومناطق سَرَاة أعالي اليمن التي منها جُرش ومنطقة دوس وبارق وغيرهما من أزد السَرَاة إلى تخوم نجد والحجاز حيث قال ابن المجاور: «نجران إقليمٌ طويل عريض من اليمن ومدينة الأصل نجران» ـ أي عاصمة وقاعدة إقليم أو مخلاف نجران ـ [ص ٤٠/ المستبصر] وقال ابن خلدون «قال البيهقي: مسافر نجران عشرون مرحلة. وفيها مدينتان نجران وجُرْش. وبها كعبة نجران وكانت طائفة من العرب تحج إليها وتنحر عندها وتُسَمَّى الدير»[ص ٦٧٠ ـ اليمن في تاريخ ابن خلدون].

فقول معقر البارقي «.. والدير كافر» يعني بالدير كعبة نجران، ومعنى كافر: مزارع.

(٢) جاء صدر البيت في النقائض والجامع «فألقت عصاها واستقرت بها النوى» وفي معجم الشعراء وهامش الإكليل «فألقت عصاها واستقر بها النوى» ويعني انتهى سفرها واستقرت بعد البُعد، أو استقر البُعد والنوى بها.

(٣) مِسَح بكسر الميم وفتح السين. ويروى مَسِح بفتح الميم وكسر السين. السرحان: الذئب. القصيمة: قال أبو عبيدة (القصيمة من الرمل ما أنبت الغَضَى والرِّمْثَ).

(٤) طموح في العنان: يعني الخيل. فتخاءُ كاسر: طيرٌ من النسور والعقبان الكواسر.

يُـفَـرِّجُ عَـنّـا كُـلَّ ثَـغْـرٍ نَـخَـافُـهُ مِسَحٌّ كَسِرْحَانِ القَصِيمَةِ جَاسِرُ[١]
وكُـلُّ طَـمُـوحٍ فـي الـعِـنـانِ كَـأَنَّـهـا إذا اغْتَمَسَتْ في الماءِ فَتْخاءُ كاسِرُ[٢]
لَها ناهِضٌ فِي الوَكْرِ قَدْ مَهَدَتْ له كَمَا مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حَسْناءُ عاقِرُ[٣]
تَـخـافُ نِـسـاءٌ يَـبْـتَـدِرْنَ حَـلـيـلَـهـا مُـحَـرَّدَةٌ قَـدْ حَـرَّدَتْـهـا الـضَّـرائِـرُ[١]

* * *

ويدلُّ وصف مُعَقَّر البارقي لموقعة يوم جَبَلَة التي شهدها وكان قائد فُرسان بارق فيها، يدلُّ على عدم صواب ما يُرْوَىٰ من أنه «كان مُعَقَّرُ البارقي يومئذٍ شيخاً كبيراً أَعْمَى ومعه بنت له تقود به جَمَله فجعل يقول لها مَنْ أَسْهَلَ من النَّاس فتخْبِرُه وهو يقول هؤلاء بنو فلان حتّى إذا تَتامُّوا قال: اهبِطي لا يزال الشِّعْبُ منيعاً سائِرَ اليوم، وهَبَطَ الناس». ونرى أنه لم يكن شيخاً كبيراً عجوزاً أَعْمَى آنذاك وإنما خَلطت تلك الرواية بين حالته في موقعة يوم جَبَلَة وحالته في موقعة أخرى هي التي فيها كان قد صار شيخاً كبيراً أَعْمَى ومعه ابنته تقود به جَمَلَه، فقد شهد مُعَقَّر البارقي وسراقة البارقي معركة ذكرها الأستاذ محمد سعيد جرادة عن الآمدي قائلاً أن: «سراقة البارقي شاعر جاهلي، رَوَىٰ الآمدي أنه اشترك في حرب مع قريش حين قَتَلَتْ قريشُ أبا أُزيهر الدوسي فقتلت به أزدُ اليمن ـ وهُمْ أَزْدُ السَّرَاة ـ جماعةً من كبار رجال قريش..». ثم قال: «وفي ذلك يقول سراقة البارقي، وبعض المصادر تنسب هذه الأبيات للشاعر اليمني الجاهلي مُعَقَّر بن أَوْس البارقي:

لـقَـدْ عَـلِـمـتْ بـنـو أُسْـدٍ بـأَنّـا تَـقَـحّـمْـنَـا الـمَـعَـاشِـر مُـعْـلِـمِـيـنَـا
تَـرَكْـنَـا تـسـعـةً لـلـطـيـر مِـنْـهُـمْ بِـمـكـة لـلـسـبـاع مَـطُـرَّحِـيـنَـا
فـلـمـا أن قَـضَـيْـنَـا الـدَّيْـنَ قـالـوا نُـريـدُ الـصُـلـح، قُـلـنـا قَـدْ رضـيـنـا
وَضَـعْـنَـا الـخَـرْجَ موظوفاً عـلـيـهـم يـؤدون الأتـاوة صـاغـريـنـا
لـنـا فـي الـعـيـد دينـار مُـسَـمَّـى بـه حـزّ الـحـلاقـم يـتـقـونـا
ولـولا ذاك مـا عَـدَلَـتْ قُـريـشُ شـمـالاً فـي الـبـلاد ولا يَـمـيـنـا»[٤]

ونرى أنه يعني بالخَرْج والأتاوة ما تم فرضه على الذين قتلوا أبا أزيهر الدوسي

---

(١) ناهض في الوكر: أي للفتخاء وليد في وكرها ترعاه. وجاء في النقائض «لها ناهض في المهد قد مَهَدَتْ له». وقوله «كما مهدت للبعل حسناء عاقر» أي كما مهدت لزوجها امرأة حسناء عاقر لأن العاقر ترعى زوجها وتداريه أكثر من المرأة الولود خوفاً من أن تبتدر زوجها نِساءُ أخريات ضرائر.

(٢) الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور ـ محمد سعيد جرادة ـ ص ٥٠ ـ عن المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ ص ١٢٤.

ونهبوا ماله من قريش مُقَابل المال الذين نهبوه فتم الصلح على أن تؤدي قريش مبلغاً من ذلك المال في كل موسم، ورجع مُعَقِّر البارقي وفرسان بارق والأزد الذين شهدوا تلك الموقعة بمكة إلى منطقتهم بسراة أعالي اليمن، ويومئذٍ ـ وليس يوم جَبَلَة ـ كان مُعَقِّر البارقي شيخاً كبيراً أعمى تقود جمله ابنته وتخبره بما يُريد ـ غالباً ـ.

ومما يُسْتَشْهَدُ به من شعر مُعَقِّر البارقي قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي: «أنشدنا أبو بكر بن دريد لِمُعَقِّر البارقيّ:

إذا اسْتَرْخَتْ عِمَادُ الحَيِّ شُدَّتْ ولا يُثْنى لقائمةٍ وَظِيفُ

يقول: هم سائرون وبيوتهم على ظهور إبلهم، فإذا استرخى منها شيء شُدَّ من غير أن يُنِيخوا بعيراً ويَثْنُوا وَظِيفَه»[١].

وقد توفي مُعَقِّر البارقي ـ كما جاء في كتاب الجامع ـ **(نحو عام ٤٥ قبل الهجرة الموافق عام ٥٨٠ ميلادية)**[٢]. ثم بعد ذلك بخمس وثمانين سنة ـ في عام ٤٠ هجرية ـ تمثلت عائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة النبي ﷺ بشعر مُعَقِّر البارقي لما أتاها خبر مقتل علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه فقالت عائشة رضي اللّٰه عنها:

وأَلْقَتْ عَصَاها واستقرَّ بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المُسَافِرُ[٣]

فذلك البيت من شعر مُعَقِّر البارقي الذي يتمثل به الناس عبر الأزمنة والعصور.

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٠٢ جـ ١.

(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٨٣.

(٣) الإكليل ـ الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٦١ جـ ٢.

المبحث «٣٥»

حسان ذو جيشان الحِمْيَريّ

«أحد الملوك الحِمْيَريين في القرن الخامس الميلادي»

هو الملك الشاعر حسان ذو جيشان ابن أسعد تُبَع بن حسان الحِمْيَرِيّ. وقد ذكر الهمداني بيتين من شعره في حديثه عن نسب بني القَفَاعة بن عبد شمس بن وائل الحِمْيَريين حيث قال الهمداني: «أولد القَفَاعةُ بن عبد شمس: يحصان، وفَرعان، ومَوْزع، بطونُ كلّها، ونَعْمَان، ووادعة الكبرى وإياهم عَنَىٰ تُبَع الأصغر بقوله:

وَوَادعــةَ الـكِـرام فَــقَــدْ نَــأونَــا ... وأَضــحــوا لَــمْ يــهــمّــوا بــارتِــدَاد
أَمَرَّتْ خيلُهم ما بين عرض اليَـ ... ـمَامَـةِ فـالـعـقـيـقِ إلـى جُـرَادِ»[١]

فلم يذكر الهمداني اسمه وإنما ذكره بلقب **(تُبَع الأصغر)** وقد أورد دغفل في كتاب السيرة القصيدة التي منها البيتين وذكر أنها للملك **(ذي حسان بن جيشان)** أو **(ذو جيشان حسان)**[٢] ويتبين من ربط الاسم باللقب الذي ذكره الهمداني أنه **(تُبَع الأصغر حسان ذو جيشان)** وقد ذكر الهمداني في موضع آخر بالإكليل «تُبَع الأصغر: عمرو بن حسان بن أسعد. مَلَكَ بعد حسان بن أسعد. بعد أسعد الكامل»[٣] وهذا استدراك بسبب تشابه واتفاق الأسماء فقد كان من ملوك اليمن التبابعة القدماء في عصور مملكة سبأ **(عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد تُبَع بن ملكيكرب)** ثم كان من آخر ملوك اليمن التبابعة الحميريين «حسان بن أسعد تُبَع ـ الكامل ـ بن حسان بن ذي غيمان» فيكون هو **(حسان ذو جيشان)** وهو **(تَبَّع الأصغر)** لأنه كان في أواخر عصر الدولة الحميرية فقد تولى أسعد تُبَع بن حسان حكم اليمن في الفترة من عام ٤٥٧ ـ ٤٧٧م بالقرن الخامس الميلادي ثم تولى الحكم بعده **(حسان بن أسعد بن حسان)** فيكون عهده في الربع الأخير من القرن الخامس الميلادي ويتفق ذلك مع لقب **(تُبَع الأصغر)** بمعنى أنه من آخر الملوك التبابعة، وكان لقبه الشخصي **(ذو جيشان)** فليس اسمه **(ذو حسان جيشان)** وإنما هو **(حسان ذو جيشان)**.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩١ جـ ٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٦٩.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٢١ جـ ٨.

قال الهمداني بعد ذكره للبيتين في النص السالف ما يلي: «فأُدْخِل هذان البيتان في قصيدة عبد اللّه بن عبد الرحمن الأزدي التي يذكر فيها تفرق الأزد:

أرَقْتُ فَقُلْتُ في أرق العداد ... عداد مولّهٍ جمّ السُّهادِ

ثم أُضيف كثيرٌ من هذه القصيدة إلى تُبّع وبعض قول تُبّع إلى هذه». [ص ٩١/ ٢٢] ولذلك ذكر الهمداني في الصفة بعض أبيات القصيدة منسوبة إلى عبد اللّه الأزدي بينما ذكر دغفل أنها للملك ذي جيشان حسان، أو كما قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الصفة: «نُسبت هذه القصيدة في كتاب السيرة المنسوب لدغفل لذي حسان بن جيشان وهي تسعة عشر بيتاً»[1]. ويمكن القول أن سبب الالتباس هو أن عبد اللّه الأزدي أخذ بعض أبيات قصيدة حسان ذي جيشان، فقد قال حسان:

ووادعة الكرام فقد نأونا ... وأضْحُوا لَمْ يهمّوا بارتِدَاد

فقال عبد اللّه الأزدي:

وحيّاً منهم نزلوا عُماناً ... أراهم لَمْ يهمّوا بارتِدَاد

والأبيات التي يصح الاكتفاء بأنها لحسان ذي جيشان هي نحو عشرة أبيات في الإكليل والصفة، وهي الأبيات التالية:

وَدُون لقائها وادي عُمَانٍ ... ونجرانٌ ومهيعُ نجد هادِ
وقد جاوزْتَها ترجو رَجَاءً ... فَرُحْتَ مِنْ الرجاء بغير زاد
وقد تَدنو وتوصِلُ مَنْ يُدَاني ... وتُبْعِدُ مَنْ يحُطُّ إلى البِعاد
وما طرب اللّهيفِ إلى الغَوَاني ... على عَقِبِ المشِيبِ مِنَ الشدادِ
ألَا مَنْ مُبْلِغٌ عني رَسُولا ... مُغَلْغَلَةً تَحثُّ إلى مُرَادِ
ووادعةَ الكِرام فقد نأونا ... وأَضحوا لم يهمُّوا بارتِدَاد
أمَرَتْ خيلُهم ما بين عرض اليـ ... ـمامة فالعقيق إلى جُرَاد[2]
وغَسَّان الذينَ هُمُ اسْتَتبُّوا ... قبائلهم بأطْرَاف البلاد
فسَيرُوا نحو قومكم جميعاً ... ولا تَنْأوا سواهم في الأعادي
فإنّكُمْ خَيَارُ الناسِ قدماً ... وأجْلَدَهُم رجالاً بعد عَادِ

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٦٩.

(٢) عرض اليمامة: هو إما عارض اليمامة ما بين نجران واليمامة، أو عروض اليمامة ما بين اليمامة والحيرة. والعقيق: اسم موضع. وجُراد: صحراء جراد فيما يلي الدخول وحومل من إقليم اليمامة.

وأكثرهم شباباً في كُهُولٍ ... كأُسْدِ تَبَالة الشُّهْبِ الورادِ[1]

ويتبين من الأبيات أنه لم يقل تلك القصيدة لذكر تلك القبائل اليمنية التي انتقلت من اليمن وإنّما قالها يَسْتحثُّ تلك القبائل على أن تسير إليه وتَنْضَمّ إليه في المسير الحربي الذي كان يتهيأ للقيام به إلى العراق وغيرها بقبائل وجيش حمير، وقد بدأ بذكر قبيلة مراد وهي رئيسة قبائل مذحج ولم تكن خارج اليمن وإنما كانت بمناطق سرو مَذْحج ومأرب والجوف ونجران داخل اليمن، ثم ذكر الذين باليمامة إلى جُراد ـ في الطريق إلى العراق ـ وقبيلة غسان بالشام وأطراف الشام مناشداً إياهم بأن يسيروا نحو قومهم ويعني أن ينضموا إليه.

أما القصيدة التي ذكر فيها منازل القبائل التي انتقلت من اليمن وزعامتها في المناطق التي انتقلت فيها، فقد ذكر الهمداني في الصفة أنه «قال بعضُ آل أسعد بن مَلكيْكرب، تُبَّعُ، يَذكرُ منازل من خرج من اليمن. . » ثم أورد أبياتاً من القصيدة، ونرى أن الأصوب (بعض آل أسعد بن حسان) لأن زمن أسعد بن ملكيكرب قديم جداً، وقد مَيّزَ الهمداني القائل بأنه (تُبّع) فيكون هو (تُبّع الأصغر من آل أسعد) وهو (حسان ذو جيشان بن أسعد)، وأبيات القصيدة هي:

وقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا خُزَاعةُ منزلاً ... كريماً لدى البيتِ العتيق المُسَتّرِ
وفي يَثْرِبٍ مِنَّا قبائل إنْ دُعُوا ... أَتَوْا سُرُباً مِنْ دَارِعينَ وحُسَّرِ[2]
هُمُ طرَدُوا عنها اليَهُودَ فأصْبَحُوا ... على معزلٍ منها بساحة خَيْبَرِ
وغَسَّانُ حيٌّ عزّهم في سُيُوفهم ... كِرامُ المساعي قَدْ حَوْوا أرضَ قَيْصَرِ[3]
وقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا قُضَاعةُ مَنْزِلاً ... بعيداً فأمْسَتْ في بلاد الصَّنَوْبَرِ
وَكَلْبٌ لها ما بين رملة عَالجٍ ... إلى الحَرّة الرجلاءِ من أرض تَدْمُرِ
وحَلّتْ جُذَامُ حيثُ حَلّتْ وشاركتْ ... هنالك لَخْماً في الغُلا والتّجَبُّرِ
وأزْدُ لها البَحْران والسِّيف كُلُّه ... وأرض عُمَان بعد أرض المُشَقَّرِ
ومِنّا بأرض الغرب جُنْدٌ تَعَلّقُوا ... إلى بَرْبَرٍ حتى أتوْا أرض بَرْبَرِ

ونرى أنّه لم يقل تلك القصيدة لمجرد ذكر منازل ومناطق الذين انتقلوا من اليمن

---

(١) أُسد تبالة: أسُودُ منطقة تَبَالة وبيشة بأعالي سَرَاة اليمن وكانت مشهورة بالأسود قبل الإسلام.

(٢) الذين في يثرب هم الأوس والخزرج.

(٣) أرض قيصر: الشام. قال حسان بن ثابت الأنصاري قبل الإسلام للملك الأيهم بن جَبَلة الغساني بالشام:

أشْهِرْنَهَا فإنّ مُلْكَكَ بالشام إلى الروم فَخْرُ كلّ يماني

وإنّما أيضاً يتصل ذلك بنواياه في المسير الحربي الخارجي ويتجلى ذلك في قوله:

وفـي يـثـربٍ مِـنّـا قـبـائـل إنْ دُعُـوا أتَـوْا سُـربـاً مِـنْ دَارِعِـيـنَ وحُـسَّـرِ

وقد يكون أراد تشجيع القبائل الحميرية وغيرها في اليمن على المسير معه في الغزو بتذكيرهم أن كل تلك القبائل اليمنية المنتشرة خارج اليمن ستكون سنداً لهم عندما يسيرون إلى بعض تلك الأرجاء، مما قد يعني أن نواياه كانت أبعد وأكبر من المسير إلى جهة العراق، فالقبائل اليمنية التي ذكرها في أشعاره تشمل:

(أ) قبائل خزاعة والأوس والخزرج بنواحي مكة ويثرب في الحجاز.

(ب) قبائل وادعة والأزد الذين ما بين عروض اليمامة وجُراد والذين بالبحرين وعُمان كما في قوله:

وأزد لـهـا الـبـحـران والـسِّـيـف كـلـه وأرض عُـمـان بـعـد أرض الـمـشـقـر

والبحران هي البحرين، والسِّيف ـ بكسر السين ـ ساحل البحر ويعني ساحل الخليج. وعُمان هي أرض عُمان، وأرض المشقر هي أرض هَجَر البحرين التي كانت تمتد إلى تخوم العراق.

(جـ) قبائل قضاعة التي قال عنها:

وقـد نـزلـت مِـنّـا قـضـاعـة مـنـزلاً بـعـيـداً فـأمـسـت فـي بـلاد الـصـنـوبـر

وقد انتشرت قضاعة في مناطق كثيرة بالشام والجزيرة الفراتية وكانت منهم قبيلة عامل في جبل عاملة بلبنان، قال ابن خلدون: «وكان لبني عبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سَليح، من قضاعة، مُلْكٌ يتوارثونه بالحضر، آثاره باقية في برية سنجار»[١] ـ أي في الموصل ومنطقة الجزيرة الفراتية المتاخمة لتركيا ـ قال ابن خلدون «وسارت فرقة من بني حلوان، من قضاعة، فنزلوا عبقرة من أرض الجزيرة ونسجت نساؤهم البرود العبقرية من الصوف والبرود التزيدية لأنهم بنو تزيد»[١].

فتلك البلاد من أرض الجزيرة الفراتية هي غالباً بلاد الصنوبر.

(د) قبيلة كلب القضاعية الحميرية التي قال عنها حسان ذو جيشان:

وكـلـبٌ لـهـا مـا بـيـن رمـلـة عـالـجٍ إلى الحرّة الرجلاء من أرض تَدْمُرِ

قال ابن خلدون: «وكان لقضاعة مُلْكٌ آخر في قبيلة كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة، فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك، ودخلوا في دين النصرانية..»[١] قال الهمداني: «وأما كلب فمساكنها السماوة ـ بادية السماوة ـ..

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١١٦.

وما وقع في ديار كلب من القُرى: تَدْمُر، وسَلميَّةُ، والعاصِميَّةُ، وحمص وهي حميرية، وخلفها حَمَاة وشيْزَر وكفرطاب لكنانة من كلب، ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه إلى ناحية السماوة»[١] .

(هـ) قبائل جُذام ولَخْم. وهم جُذّام ولخم ابنا عَدِي بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد انتقلوا من اليمن إلى الشام منذ وقت مبكر وكانت مواطنهم تنتشر في الشام إلى مصر ولهم مُلْكٌ وزعامة هناك حين قال حسان ذو جيشان:

وَحَلّت جُذَامُ حيثُ حَلّتْ وشَاركتْ هنالك لَخْماً في العُلا والتَجَبُّرِ

قال ابن خلدون: «وأما جُذام، فبطن متَّسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأفصى وبنو حرام بن جذام وبنو ضبيب وبنو مخرمة وبنو نفاثة، وديارهم حوالي أيلة من أول أعمال الحجاز إلى بين أطراف يثرب، وكانت لهم رياسة في معان (بالأردن) وما حولها من الشام لبني النافرة من نفاثة.. وبقيتهم اليوم في مواطنهم الأولى في شعبين من شعوبهم، يعرف أحدهما: بنو عائد، وهم ما بين بلبيس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من فلسطين. وتعرف الثانية: بنو عقبة، وهم من الكرك إلى الأزلم، وضمان السايلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من الشام» . قال الهمداني: «وكان للخم ومن يخالطها: الرملة إلى نابلس. وللخم أيضاً ما جاز تبوك إلى زُغر ثم البحيرة الميتة التي يرمى فيها وادي اليرموك ونهر الأردن.. وكانت للخم أيضاً مساكن في الجولان وما يليها وفي حوران والبثينة ومدينة نوى وجبال الشراة وفي شقص من أرض حوران» . وكذلك «كان من لخم بنو راشدة بالبقارة والواردة والعريش مخالطين لبني بياضة من جذام» وكانت من جذام أيضاً قبائل «في البقارة والواردة والعريش وغزة وغيرها..» وفيهم قال جميل بن معمر العذري:

جُذَامُ سيوفُ اللّه في كل موطنٍ إذا أزمت يوم اللقاء إزام
هُمُ منعوا ما بين مصر فذي القُرى إلى الشام مِنْ حلّ به وحرام[٢]

(و) القبائل الحميرية البربرية ببلاد المغرب، وفيهم قال حسان ذو جيشان:

ومِنّا بأرض الغرب جندٌ تعلقوا إلى بربر حتى أتوْا أرض بربر

وهم قبائل كثيرة منهم صنهاجة، وكتامة، ولواتة، وزناتة، وعهامة، ومساكنهم من ليبيا إلى الجزائر والمغرب الأقصى، وربما أراد حسان بذكره إياهم أنه لو بلغ في

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٧٥.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٨.

غزوه حتى إلى بلاد المغرب فإن فيها قبائل حميرية يمانية ستكون سنداً له، ولكن نواياه المُعلنة كانت المسير والغزو إلى إقليم البحرين والعراق.

* * *

وقد ذكرت كتب التاريخ التراثية مسير الملك حسان بن أسعد بالجيش الحميري والقبائل من اليمن إلى اليمامة قاصداً غزو العراق، ولكنها خلطت بين أمرين ومسيرين:

أ - مسير تُبّع عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد بن ملكيكرب ملك سبأ من اليمن لغزو العراق في الزمن الأقدم في عصور ما قبل الميلاد فلما وصل إلى أطراف العراق امتنع الأقيال والقادة عن المسير ورغبوا في العودة إلى اليمن، فاتفقوا مع أخيه معدي كرب، فقتلوا الملك عمرو بن حسان ورجعوا إلى اليمن ومَلّكوا معدي كرب.

ب - مسير حسان بن أسعد بن حسان الحميري لغزو العراق ـ في أواخر القرن الخامس الميلادي ـ وهو المقصود بقول ابن هشام: «لمَّا مَلَكَ حسان بن أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام: بالبحرين فيما ذكر لي بعض أهل اليمن ـ كَرِهَتْ حِمْيَر وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم وأهلهم..»[(١)]. وذكر نشوان الحميري: «أن حساناً نهض بجنوده يريد العراق، فصعب ذلك على أقيال حمير، وعلموا أنه لا ينتهي عن غزوته حتى يبلغ بهم حيث بلغ آباؤه، فَشَقَّ ذلك عليهم..»[(٢)] وكان ذلك عند بلوغهم اليمامة، أما الذي كان بلغ بعض أرض العراق والبحرين فهو تُبّع عمرو بن حسان في الزمن الأقدم، فلما بلغ حسان بن أسعد اليمامة انقلب عليه الأقيال والقادة وشعروا بأنه لن يكتفي بالغزو إلى البحرين والعراق، فكرهوا المسير معه، وطلبوا منه الرجوع بهم إلى اليمن، فأبَىٰ ذلك. قال ابن هشام: «فكلّموا أخاً له يُقال له عمرو وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حَسَّانَ. ونُمَلِّكُكَ علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك، إلا ذَا رُعَيْنٍ الحميري، فإنه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه..»[(٣)] وقد تشابه هنا خبر التشاور لقتل حسان بن أسعد بخبر التشاور لقتل عمرو بن حسان بن أبي كرب أسعد في الزمن الأقدم حيث

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥ جـ ١.
(٢) السيرة الجامعة ـ شرح قصيدة نشوان ـ ص ١٤٣.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥ جـ ١.

تشاور واتفق الأقيال والقادة مع أخيه معدي كرب على قتله وحلفوا له وعاهدوه على ذلك إلّا واحداً من الأقيال نهاه عن قتل أخيه ـ تقول الروايات أنه (ذو رُعَيْن) ـ وكذلك في تشاور الأقيال والقادة لقتل الملك حسان بن أسعد بن حسان الحِمْيَرِيّ امتنع أحد الأقيال عن المشاركة وهو (ذو رُعَيْن) فلا يمكن أن يكون (ذو رُعَيْن) هو الذي امتنع عن المشاركة في الحادثتين، وإنما دَمَجَ الرواة بينهما، وقد أجمعت الروايات على أن ذا رُعَيْن قال بيتين من الشعر في ذلك، وهذا يشير إلى أنه في زمن حسان بن أسعد لأن زمن تُبّع عمرو بن حسان الأول زمن قديم سابق لظهور الشعر، بينما زمن حسان بن أسعد هو زمن شاع فيه الشعر، وقد كان حسان بن أسعد نفسه شاعراً، فلما طلب منه الأقيال والقادة الرجوع، أَبَىٰ ذلك، وقال الأبيات التي تُنسب إلى عمرو بن حسان الأول، والأصوب أو الأنسب أنها لحسان بن أسعد هذا، وهي الأبيات التالية:

مَنْ كانَ يرجو أن يؤوب ... فَلَسْتُ مِنْ سَفَرِي بآيِبْ
فَتَجَهَّزِي، وتَجَمَّلِي ... يا يُمْن، يا خير الركائبْ[1]
فَلَقَدْ وَصَلْتِ بنَا اليمامةَ ... حاجباً من بعد حاجبْ
سيري إلى هَجَرٍ ... لِنَحْوِي منهم خير الحقائب[1]
وتوجَّهي نحو العراقِ ... بكلِّ سيَّافٍ وناشبْ
حتى أبيد ملوكهم ... أهلَ الأكاللِ والأعاصِبْ

فاتفق الأقوال ـ وهم الأقيال والقادة الحميريون ـ على قتله هم وأخوه عمرو بن حسان وأجمعوا على ذلك، إلا ذا رُعَيَن الحِمْيَرِيّ. قال نشوان: وهو «ذو رُعَيْن الأصغر شراحيل بن عمرو بن شمّر ينعم بن شراحيل بن معدي كرب بن ذي عَشم ابن الغوث بن يعرب ينكف بن جيدان بن لهيعة بن مُثَوِّب بن يريم ذي رُعَيْن الأكبر» ـ وكان شراحيل ذو رُعَيْن هذا من كبار الأقيال ورئيس مناطق ظفار وسرو حِمْيَر ـ محافظة إب وما جاورها حالياً ـ وكان مقر آل ذي رعين مدينة ظفار ـ التي تقع في مديرية السَّدة بقضاء يريم في محافظة إب حالياً ـ قال نشوان: «وكان شراحيل ذو رُعَيْن الأصغر هذا خال عمرو فنهاه عن قتل أخيه، وأشار عليه أن لا يفعل، وقال له: ما قتل رَجُلٌ أخاه أو ابن عمه أو خاله إلا ندم. فأَبَىٰ (عمرو) مشورته وأكْرَه خاله ذا رُعَيْن على الدخول مع (أقيال) حِمْيَر فيما دخلوا فيه، فقال له خاله: على شريطة وهي أن تحفظ لي وديعة تجعلها عند بعض خدمك وتُشدد عليه

---

(١) يُمن: اسم جواد حسان بن أسعد. وهجر: أرض وقاعدة إقليم البحرين منطقة الخليج العربي.

في حفظها، فقال: لك ذلك. فكتب ذو رُعَيْن بيتين في رقعة ـ وهما ـ:

أَلَا مَـنْ يَـشْـتَـرِي سَـهَـراً بِـنَـوْمٍ ... سَـعِـيـدٌ مَـنْ يَـبِـيـتُ قَـرِيـرَ عَـيْـنِ

إذا مـا حِـمْـيَـرُ غَـدَرَتْ وَخَـانَـتْ ... فَـمَـعْـذِرَةَ الإِلَـٰهِ لِـذِي رُعَـيْـنِ»

وجاء في هامش البيتين بسيرة ابن هشام ما يلي: «أصل نظم هذا الشعر هكذا: ألا أَمَنْ يشتري سهراً بنوم سعيد، بل من يبيت قرير عين هو السعيد. فحذف همزة الاستفهام بعد ألا، وحذف حرف الإضراب بعد خبر المبتدأ الأول، وحذف خبر المبتدأ الثاني. فأما حذف همزة الاستفهام فله نظائر كثيرة، منها قول امرىء القيس:

أَحَـارِ تَـرَى بَـرْقـاً أُرِيـكَ وَمِـيـضَـهُ

أراد: أترى.. وأما حذف الخبر فإن الأمر فيه أسهل من ذلك لدلالة خبر المبتدأ الأول عليه». قال ابن هشام: «ثم كتب ذو رُعَيْن البيتين في رقعة وختم عليها، ثم أتى بها عمراً، فقال له: ضَعْ لي هذا الكتاب عندك، ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسان، ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجلٌ من حِمْيَر:

لَاهِ عَيْنَا الَّذِي رَأَىٰ مِثْلَ حَسَّانَ قَتِيلاً في سَالِفِ الأَحْقَابِ

قَتَلَتْهُ مَقَاوِلُ خَشْيَةَ (الحَبْسِ) غَدَاةَ قَالُوا لَبَابِ لَبَابِ

مَيْتُكُمْ خَيْرُنَا، وَحَيُّكُمُ رَبٌّ عَلَيْنَا وكُلُّكُمْ أَرْبَابِي»

وجاء في الهامش «قوله (لاه) أراد (للَّه) فحذف لامين، أولاهما لام الجر، والثانية أولى اللامين من كلمة (اللَّه) وهي لام التعريف، وهذا الحذف يجري في هذه الكلمة دون غيرها، لكثرة ورودها على الألسنة، ومثله قول ذي الأصبع العدواني:

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لا أُفْضِلْتَ في حَسَبٍ ... عَنِّي ولا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

والمقاول: هم الأقيال: جمع قيل. والقَيْل: هو الذي يلي الملك في المرتبة عند حِمْيَر». قال امرؤ القيس:

لَعَمْرِكَ ما أن سَرّني وسط حِمْيَرٍ ... وأقوالُها إلا المخيلة والسُّكَرْ

ولعل الأصوب (قتلتهُ مقاول خشية الحرب» قال ابن هشام «قال ابن إسحاق: وقوله «لَبَابِ لَبَابِ» لا بأس لا بأس، بلغة حِمْيَر. قال ابن هشام: ويُروى لِبَابِ لِبَاب» قال أبو ذر «ويقال: لباب معناها القفل أي الرجوع».

قال ابن هشام «فلما نزل عمرو ـ ابن أسعد ـ اليمنَ مُنع منه النوم وسُلِّط عليه السهر.. فجعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن حتى خَلَصَ إلى ذي رعين، فقال له ذو رُعَيْن: إن لي عندك براءة، فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعت إليك، فأخرجه فإذا فيه البيتان، فتركه ورأى أنه قد نصحه. وهَلَكَ عمرو

فمرج أمر حِمْيَر عند ذلك وتفرقوا، فوثب عليهم رجل من حِمْيَر لم يكن من بيوت المملكة يُقال له لَخْنِيعَة ينوف ذو شناتر»[1] ـ وهو (لَحيعَة يرخم) ـ قال ابن هشام: «حتى قام ذو نواس بن أسعد أخي حسان.. فقتل لخنيعة، فأجمعت على ذي نواس حِمْيَر وقبائل اليمن، فمَلّكوه، وتَسَمَّى يوسف..»[1] وهو الملك (يوسف أسار) الذي حكم اليمن من عام ٥١٥ ـ ٥٢٥ ميلادية ثم حكم اليمن بعده (سُميفع أشوع من عام ٥٢٥ ـ ٥٣٣ ميلادية) ثم حكم النصف الشرقي من اليمن (معدي كرب بن سُمَيفع ذو يزن) والد سيف بن ذي يزن ويتبين من ذلك زمن تُبع الأصغر حسان ذي جيشان بن أسعد بن حسان الحميري في تلك الحقبة من عصر الدولة الحميرية ما بين الربع الأخير من القرن الخامس والربع الأول من القرن السادس الميلادي.

وله أشعار متفرقة في كتب التراث منها قول نشوان الحِمْيَري في مادة (دخل) بكتاب (شمس العلوم) ما يلي: «دَخِيْلُك: خَاصَّتُك الذي يُدَاخِلُك في أُمورك. والدَّخِيلُ في عِلْم الرَّوِيّ: الحرفُ الذي بين الرَّوِيِّ وأَلِفِ التَّأسيس في الشعر المُؤَسّس ولا تجِبُ إعادتُه وتكريرُه في أبيات الشعر كما يجبُ تكريرُ الرويّ كقول حسان بن أسعد تُبَع في المقيَّدِ.

مُـتَـسَـرْبِـلـيـنَ بـهـا تُـفِـيْـضُ عَـلَـى الـقَـوَانِـسِ والـرَّوَاجِـبْ

فالجيمُ دخيلُ، ثم قال:

وَالــبِــيــضُ فَــوْقَ رُؤوسِــهِــم يَـلْـمَـعْـنَ أمْـثَـالَ الـكَـوَاكِـبْ»[2]

والبيضُ: خوذات الرأس الحديدية. وحسان بن أسعد هذا هو تُبّع الأصغر القائل:

زَبَـرْنَـا فـي ظَـفَـار زَبُـورَ مَـجْـدٍ سَـيَـقْـرأه قُـرومُ الـقَـرْيـتـيـن

أي كتبنا كتاب زبور مزبور بالكتابة الحميرية الزُبرية عن مجد وتاريخ الملوك الحميريين وكان ذلك الكتاب مزبوراً في مدينة ظفار الحميرية العاصمة التالية لصنعاء في ذلك العصر من عصور الدولة الحميرية.

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٨ و٢٩ جـ ١.

(٢) المنتخب من شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٣٦.

المبحث «٣٦»

مالك بن عمرو الكلبي

«معاصر القَيْل الزعيم زُرْعَة بن عمرو الخَنْفري»

هو الشاعر اليمني الجاهلي مالك بن عمرو الكلبي القُضَاعي الحميري. وكانت بعض عشائر قبيلة كلب تسكن في منطقة صعدة وأعالي اليمن وبعضها ما تزال في منطقتها الأولى بأرض سَرْو حِمْيَر ـ في وسط وجنوب اليمن ـ ومنهم كان الشاعر مالك بن عمرو الكلبي الذي قال الهمداني أنه «جارٌ لِحِمْيَر اليمن»[١] وذلك لأنه كان يسكن منطقة سَرْو حِمْيَر وقد عاصر مالك بن عمرو القَيْل الزعيم زُرعة بن عمرو الخنفري الحميري وفيه يقول:

مَتى تَفْخَر بِزُرْعَة أو بِحُجْرٍ تَجِدْ فَخْراً يَطِيرُ بِهِ السَّناءُ

هُمُ السَّاداتُ مِنْ أبناء عمرو وَمَنْ لَهم المهابَةُ والبَهاءُ

وكان زُرْعَة بن عمرو من كبار أقيال اليمن في النصف الأول من القرن السادس الميلادي (٥٠٠ ـ ٥٥٠م) وهو: زُرْعَة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن حُجْر بن ذي شَمِرْ بن عمرو بن عبد شمس بن سيار بن خَنْفَر. واسم خَنْفر الحارث بن سيار بن زُرْعة بن معاوية بن صيفي بن حِمْيَر الأصغر بن كعب الحميري[١] وباسم جدهم الحارث خَنْفر سُمِّيت بلدة خنفر من يافع السُفلى بمحافظة أبين حالياً. قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «واشتقاق خنفر من الخنفرة وهي الغطرسة في شراسة وانتفاخ في الوجه والأوداج وإظهار الكبر واللامبالاة. وتقول العرب جاء فلان وهو يَخَنْفَر، ومَا لَهُ يَخَنْفَرُ عليّ، وهي لغة يمنية فصحى حيَّة. وخنفر بلدة من يافع السفلى وبلدة أيضاً في حضرموت»[١].

وكان زرعة بن عمرو الخنفري من كبار أقيال اليمن فقد ذكر الحسن الهمداني أنه: «كان زُرعة بن عمرو وآباؤه يتولون للتبابعة أعمال المعافر ومأرب وحضرموت. وبأسفل المعافر قصر ذي شَمِر. ويدخلون في قيالة حِمْير، وكانت أقوالها يكونون في كل عصر ثمانين قَيْلاً من وجوه حِمْيَر وكهلان، فإذا حدث بالملك حدثٌ، كانوا ـ هم ـ الذين يقيمون القائم من بعده، ويعقدون له العهد.. وكانوا إذا لم يرتضوا بخَلَف الملك تراضوا لخيرهم وأدخلوا مكانه رجلاً ممن يلحق بدرجة الأقوال، فيتم الثمانين قَيْلاً.. وزُرعة بن عمرو هو الذي قام بحرب مَذْحج.. فأولد زُرعة بن

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ١١٤ ـ ١١٦ جـ ٢.

عمرو: يريم بن زُرْعة، وحُجْر بن زُرْعة ـ الذي قام برئاسة أبيه زُرْعة ووُلِّي ما كان في يده، ووازر أبا مُرة سيف بن ذي يزن في أمره»[١].

ويتبين من ذلك أن زُرعة بن عمرو كان قبل زمن سيف بن ذي يزن، وكان زُرعة قَيْلاً ووالياً لمناطق شاسعة تمتد من مناطق المعافر (محافظة تعز حالياً) إلى مدينة خنفر (محافظة أبين) والي حضرموت ومأرب، وذلك في عهود ملوك اليمن التبابعة الذين كان منهم الملك شُميفع بن شرحبيل (٥٠٠ ـ ٥١٤م) ثم الملك يوسف أسار (٥١٥ ـ ٥٢٥م) ثم الملك شُميفع أشوع (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) ثم معدي كرب بن شُميفع ذو يزن ملك حِمْيَر والنصف الشرقي من اليمن (٥٣٤ ـ ٥٧٠م) وخلال تلك الفترة وقعت حرب قبلية كبيرة بين قبائل حِمْيَر وقبائل مذحج تزعم فيها زُرعة بن عمرو كل قبائل وأقيال حِمْيَر بحيث قال الهمداني «وزرعة بن عمرو هو الذي قام بحرب مذحج». ثم إن ثلاثين رجلاً من أشراف قبائل مذحج ساروا إلى زُرعة بن عمرو وطرحوا أنفسهم عليه قَوْداً في الدماء التي كانت على مَذْحج، أي طرحوا أنفسهم لكيْ يقتص منهم زُرعة وأقيال حِمْيَر بالدماء التي لحِمْيَر على مذحج، لأنه (كان لحِمْيَر فضل في الدماء على مذحج في تلك الحرب) وكان الاقتصاص منهم سيؤدي إلى تفاقم وتعاظم الحرب ودخول قبائل كهلان كلها في حرب مع حِمْيَر، فعفا زُرعة بن عمرو الخنفري وأقيال حِمْيَر عن الدماء وأكرموا الذين طرحوا أنفسهم من أشراف مذحج بالعطاء، فعاد الوئام بين حِمْيَر ومذحج وانتهت تلك الحرب.

فأثنى الشاعر مالك بن عمرو الكلبي على زُرعة بن عمرو وابنه حُجر بن زُرعة بن عمرو الخنفري بقصيدة قال فيها:

متى تفخر بِزُرْعَةَ أو بِحُجْرٍ ... تَجِدْ فخراً يَطيرُ به السَّناءُ

هُمُ السَّاداتُ مِنْ أبناء عمرٍو ... ومَنْ لَهُمُ المَهَابةُ والبَهَاءُ[٢]

ومَنْ قَامُوا بحربٍ مَا جَنُوها ... فكان لَهُمْ رَحَاهَا واللواءُ[٣]

وهُمْ وقفوا على ماءِ الركايا ... لِتَكْرَعَ في النجيع قَنىً ظِماءُ

وهُمْ جادوا بعفوٍ من حُلُومٍ ... وهُمْ ساسوا البريَّة كيف شاءُوا[٤]

وتلك الأبيات هي كل ما وصلنا من شعر مالك بن عمرو الكلبي وتدلُّ على أنه

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ١١٤ ـ ١١٦ جـ ٢.

(٢) أبناء عمرو: يعني أبناء عمرو بن عبد شمس بن سيار الحميري.

(٣) من قاموا بحرب: يعني تلك الحرب التي وقعت بين حمير ومذحج.

(٤) جاء أول البيت في كتاب الإكليل المطبوع «وهم عادوا بعفو من حلوم» وهو تصحيف وإنما هو «جادوا بعفو من حلوم» يعني عفو زرعة بن عمرو عن أشراف مذحج الذين طرحوا أنفسهم عليه قوداً في الدماء التي كانت على مذحج.

كان من أعلام شعراء اليمن في تلك الفترة التي كان فيها من الشعراء أيضاً عمرو بن علقمة العقدي، وقد ذكر الهمداني من شعره قوله في زُرعة بن عمرو الخنفري:

زُرْعُ بْنِ عَمْرو خَيْرُ مَنْ ذَمَلَتْ به ... أُدْمُ المَطِيِّ وكلّ أجْرَد شَاحِ(١)

يسمو بصِيدٍ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرِ ... بِيضِ الوجوه مُنَعَّمِينَ صِبَاحِ

مِنْ شُمَّرٍ أو مِنْ مُهَتِّكَ عَرْشِهِ ... والغُرِّ آل جُذَيْمَةَ الوَضَّاحِ(٢)

وقد تواصل ذكر القَيْل زُرعة بن عمرو والإشادة به حتى بعد وفاته حيث تولى مرتبته في القيالة والرئاسة ابنه حُجْر بن زُرْعة الذي عاصر ووازر الملك سيف بن ذي يزن الحِمْيَري ـ عام ٥٧٢ م ـ وقد وَفَدَ الشاعر الجاهلي أعشى قيس إلى حجر بن زُرْعة حيث ـ قال الهمداني ـ «وفي زُرعة بن عمرو يقول الأعشى وقد وَفَدَ على بعض أولاده ومَدَحَهُمْ:

تَسَنَّم في العلا زُرْعُ ابْنُ عَمْرٍو ... وَشَيَّد ما بَنَىٰ عمرو وزادا

وحَصَّنَ ما بَنُوه لهُ ووَلّوا ... وأثبتَ مِن رواسيها العمادا

وما زال ابنُ زَرْع ذا ارتفاع ... مَا زالت رئاسته تَغَادَا

بنو الذَّلفاء أسودُ مَنْ عَلَيْهَا ... وأنْجَدَ مَنْ عَلَا الحُصُنَ الجيادا

وأكرمَ مَنْ حَذَا قَدَماً بِنَعْلٍ ... وأسْمَحَ مَنْ أماحَ جَداً وجَادَا

لَهُمْ مُتَقَدِمَات قِرَىً وبِشْر ... إذا نظروا على بُعْدٍ سَوادا

وهُم قَبَضُوا غوادي آل زَيْدٍ ... وكانت في غوايتها تَمَادىٰ

وكَفَّتْهَا المخافةُ عَنْ حِمَاهُمْ ... وقد كانت تمكّنتِ البلاد»(٣)

وقوله (بنو الذَّلفاء أسودَ مَنْ عَليها) يعني بني خنفر بن سيار، واسم خنفر الحارث وأمّه الذلفاء ابنة زُرْعة بن مالك بن زيد بن قيس بن صيفي بن حِمْيَر، وبها يُعرف آل خَنْفر، ذَهَبت عليهم بالصوت، وفيهم يقول عمرو بن يزيد الخولاني:

جَارتْ رِمَاحُ بني الذَّلفاء أو قَصَدَتْ ... إن كان قوم جروا في الغيّ أو قصدوا

وقال فيها ابن أبان الخنفري:

لئن منحت بني الذَّلفاء فضلهم ... لقد صَدَقْتَ وما في مدحهم فَنَدُ»(٣)

وتدلُّ أشعار مالك بن عمرو الكلبي وعمرو بن علقمة العَقْدي والأعشى على أن زُرعة بن عمرو الخنفري كان أبرز الأقيال الذين كانوا بمثابة ملوك في مناطق اليمن في النصف الأول من القرن السادس الميلادي.

---

(١) ذمل البعير: إذا سار سيراً حثيثاً. الأدمة بالضم في الإبل: أي التي لونها أسود في بياض. الأجرد: قصير الشعر. الشاح: الجاد.

(٢) آل شمّر وآل مهتك عرشه وآل جذيمة الوضاح: بيوت من أقيال حمير.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١١١ و١١٥ جـ ٢.

المبحث «٣٧»

الأسْفَع بن أوبر البَكِيلِيّ

«مُعاصر زُرْعَة بن عمرو الخَنْفَري في حرب حِمْيَر ومَذْحِج»

هو الشاعر اليمني الجاهلي وكبير قبيلة بكيل الأسفع بن أوبر بن عوذ بن علْوي بن عِلْيان بن أرْحَب بن الدَّعَّام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل البكيلي الهمداني الكهلاني. وبكيل وحاشد إخوان وهما ابنا جُشَم بن خيران بن نوف بن همدان ـ بن زيد ـ بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. قال الحسن الهمداني: «حاشد وبكيل هما قَبِيْلَا همدان العظيمان»[١] ـ أي همدان بن زيد الجد الأعلى لحاشد وبكيل، وهما من قبائل كهلان الذين منهم قبيلة (مَذْحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ»[٢] فكانت بين همدان (بكيل وحاشد) وبين (مذحج) روابط قبلية لانتمائهم إلى كهلان، عندما وقعت حرب قبلية بين حِمْيَر ومَذْحِج، في زمن القَيْل زُرعة بن عمرو الخنفري الحِمْيَري الذي هو أيضاً زمن الأسفع بن أوبر البكيلي وذلك في النصف الأول من القرن السادس الميلادي.

قال الحسن الهمداني: «كان الأسفع سَيّد بكيل في عصره». وقال: «كانت حرب حِمْيَر ومَذْحج حرباً مُضرَّة بالجميع. والذي هاجها ابن سريع السكسكي[٣] ثم أنهم تداعوا إلى الكف، ولحمير فضل في الدماء على مَذْحج. ثم إن جابر بن عَدِي ومالك بن عمرو المازنيين مِنْ زُبَيْد ـ وزُبَيد من مَذْحج ـ خرجا في ثلاثين راكباً من وجوه مَذْحج حتى طرحوا أنفسهم على زُرْعة بن عمرو الخنفري ـ عن غير مشورة من كهلان ـ قوداً في الدماء التي كانت على مَذْحج. فاتفق باقي كهلان أنّهم لا يَسْلَمُون، وأنّهم إن عُدِّي عليهم ـ أي قتلتهم حِمْيَر ـ دخلت كهلان كلها في حرب

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٧ جـ ١٠.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣١.

(٣) ابن سريع السكسكي: رجل من قبيلة السكاسك الحميرية بمنطقة السكاسك في محافظة تعز حالياً، وكان هو الذي أهاج وأشعل تلك الحرب بين حمير ومذحج وكانت منطقة السكاسك تمتد إلى مناطق من تهامة وفيها بدأت تلك الحرب حيث أشار الهمداني في موضع آخر إلى أن الحرب كانت (في جزيرة السكاسك) وهي منطقة السكاسك.

حِمْيَر. فقال الأسفع بن أوبر البكيلي في عجز قصيدة له قد أثبتناها فيما تقدم»[١] ـ يعني في الجزء السادس من الإكليل وهو من الأجزاء المفقودة حتى الآن، ولذلك لم تصلنا مطالع القصيدة، وقد وصلنا منها الأبيات التي ذكرها الهمداني في الجزء العاشر وهي أغلب القصيدة، حيث قال الأسفع:

أَلَا يا لـهَمْدَانٍ فَجِدُّوا وَشَمِّروا[٢] فَقَدْ ضَافَكُمْ في القوم إحدى الكبائرِ

ونَادُوا مُرَادَاً ثُمَّ زمُّوا سلاحكم[٣] وضُمُّوا جِيَادَ الخَيْلِ ضَمَّ المُكَاثِرِ

فإنّي أرىٰ قَوْماً أقادوا نفُوسَهُمْ[٤] وصَاحِبُهم فيما يُرىٰ أيّ غَادِرِ[٥]

ونَادُوا بِحَارٍ يَالِكَعْبٍ سَرَاتَكُمْ[٦] فَلَيْس جَهُولاً بالأُمور كَخَابِرِ

فَفِي حِمْيَرٍ أربَابُ مُلْكٍ ونَخْوَةٍ جَبَابِرَةٌ مَا فَوْقَها مِنْ جَبَابِرِ[٧]

ونَادُوا زُبَيْداً غَابَ عَنْها زَعِيمُها وَمَا هُو فيما قَدْ أَخَالُ بِصَابِرِ[٨]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٥٥ جـ ١.

(٢) يا لهمدان: يا قبائل همدان بن زيد وهي حاشد وبكيل، وكانت مناطق بكيل تمتد في مناطق من محافظتي الجوف وصعده وتنتشر بكيل وحاشد في محافظات عمران وصنعاء والمحويت وحجة، وما تزال كذلك حتى اليوم.

(٣) مراد: قبيلة مراد بن مذحج، وكانت مناطق مراد بمحافظات الجوف ومأرب والبيضاء، وهي شوكة قبائل مذحج.

وقوله (زمّوا سلاحكم) أي أجمعوا سلاحكم. وقوله (ضافكم) أي نزل بكم ضيفاً، ويعني دهاكم.

(٤) جاء صدر هذا البيت في الإكليل المطبوع (فإني أرى قوماً أقادوا نفوسكم) وهو تصحيف وإنما هو (نفوسهم).

(٥) صاحبهم: يعني الذي طرحوا أنفسهم عليه قوداً في الدماء وهو القَيْل زُرعة بن عمرو الخنفري الحميري. وقد وصفه الأسفع بأنه (غادر) لأن الأسفع كان يتوقع أنه سيقتلهم.

(٦) جاء في الإكليل المطبوع: «ونادوا يا بجاراً يا لكعب..». وهو تصحيف من الناسخ أو الطباعة وإنما هو «ونادوا بحار بالكعب» أيّ ونادوا قبيلة (حارث بن كعب) وهم من قبائل وبطون مذحج، ومنطقتهم هي نجران ونواحيها. وكان في الذين أقادوا أنفسهم جماعة من كبارات بني الحرث بن كعب، سَرَاتكم: قادتكم.

(٧) في الأصل (ففي حمير الأرباب). وحمير: هم قبائل حمير، وكانت مناطق حمير تشمل محافظات ومناطق إب وتعز والحديدة ووصاب ورداع والضالع ويافع ولحج وعدن وأبين إلى شبوة وحضرموت. وأرباب حمير: هم ملوك وأقيال حمير، ومنهم أنذاك الملك معدي كرب بن سُمَيفع ذو يزن، والأقيال زرعة بن عمرو، وآل ذي رُعين، وآل الصباح، وذو فائش، وذو الكلاع.

(٨) زبيد: قبيلة زُبيد المذحجية، وكان منهم عشائر بمنطقة عنس محافظة ذمار ومنهم زُبيد بن صعب بمنطقة نجران.

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَدِيّاً رسالةً ويُخْبِرُهُ عَنِّي وَلَسْتُ بِحَاضِرِ[1]
بأنكم أمْكَنْتُمْ مِنَ نفُوسِكُمْ وفي عقب الأيام بَلوىٰ السَرَائرِ
فَيَالَيْت شعْرِي هل يؤوبنَ مالِكٌ أمّ الحَيْن يَهْوىٰ للثرىٰ والحفائرِ[2]
بني مَازنٍ هَلّا عَذَلْتُمْ أخَاكُمُ وقُلْتُم لَهُ قَوْل الشّفِيقِ المُحَاذِرِ[2]
هَلُم ولا تَطْرَحْ يَديْكَ إلى العِدَىٰ فَتُوعَبُ إذَنْ بَعْدَ جَدْعِ المَنَاخِرِ[3]
فإنْ تَسْلَمُوا عَنْها نَرَىٰ الأمرَ مُقْبِلاً وإنْ تَعْطَبُوا نَثْأر بِبِيضٍ بَوَاتِرِ[4]
وَكُلِّ رُدَيْنِيٍّ أصَمٍّ عَنَطْنَطٍ يَلُوحُ كَنَجْمٍ في المَجَرَّةِ زَاهِرِ[5]
وبالجَوْفِ مِنْ هَمْدَان مَا عَادَلَ الحَصَا فوارسُ هَيْجٍ غَيْر مَيْلٍ عَوَاوِرِ[6]
إذَا اسْتَلأمُوا شباكهم فَتَوَثَّبُوا كمردفِ عِقْبَانِ الشَرَىٰ في الكواسَرِ[7]
كأنَّ عَزِيف الجنِّ بَيْنَ قِسِّيهِم إذا (أصبحت) بالمحصدات الجبائرِ[8]

وبينما قال الأسفع بن أوبر البكيلي تلك القصيدة التي توقع فيها أن زُرْعة بن عمرو الخنفري وأقيال حِمْيَر سيقتلون مالك بن عمرو الزُبَيْديّ وجابر بن عَدِي المازني والثلاثين رجلاً من أشراف مَذْحج الذين طرحوا أنفسهم على زُرعة بن عمرو قوداً في الدماء التي كانت على مَذْحج، فقد كان زُرعة بن عمرو وأقيال حِمْيَر من أهل الحلوم الرواجح فلم يقتلوا منهم أحداً وإنما أكرموهم وأسقطوا الدماء التي على مَذْحج وأجزلوا العطاء لهم، حيث كما ذكر الهمداني «ففعلت فيهم حِمْيَرُ الجميل، وشَدَخَت الدماء، وأسْنَىٰ لهم

(١) عدي: أبو جابر بن عدي المازني الزُبَيْدي.
(٢) مالك: مالك بن عمرو الزبيدي. الحين: الموت والهلاك. بنو مازن: هم بنو مازن بن ربيعة بن مُنبه بن زُبيد.
(٣) هلم: اسم فعل، معناه أقبل. وأوعب وتوعب: استكمال القطع. وجدع المناخر: قطع الأنوف.
(٤) العطب: الهلاك. البيض: السيوف. البواتر: القواطع.
(٥) الرديني: الرمح. العنطنط: الطويل. المجرة: منطقة في السماء فيها مجموعة النجوم.
(٦) بالجوف من همدان أي بمنطقة الجوف من قبائل همدان، وكانت بالجوف قبائل من بكيل، منهم رهط الأسفع بن أوبر البكيلي الشاعر. هيج: حرب. الميل العواوير: الضعفاء.
(٧) استلأموا: لبسوا لأمة الحرب وهي الدروع وآلة الحرب. الشباك: كل شبك كالدروع. العقبان: جمع عُقاب وهو طائر جارح. الشرى: اسم موضع. الكواسر: الضاريات.
(٨) عزيف الجن: أصواتها. قسيهم: أقواسهم. أصبحت قد يكون (ضجحت أي صوتت) المحصدات: الأوتار محكمة الفتل.

زُرْعَة في العطاء والحباء. ففي ذلك قال مالك بن عمرو الزُبَيْديّ في كلمة له:

فَمَنْ مِثْلُ زُرْعَة في العَالَمِينَ لِمَنْ عَضَّهُ الدَّهْرُ أو ضَمَّهْ
تَمَكَّنَ في الصِيدِ مِنْ خَنْفَرٍ ومِنْ بيتِ حِمْيَرٍ في الصُمَّهْ»[١]

وقد كان مالك بن عمرو الزُبيدي أيضاً من شعراء اليمن في تلك الحقبة، لكنه لم يصلنا من شعره إلا البيتان السالفان في الثناء على زُرعة بن عمرو. وقد سلف تقدير زمن زُرعة بن عمرو بالنصف الأول من القرن السادس الميلادي (عام ٥٠٠ ـ ٥٥٠م) فتكون حرب حِمْيَر ومَذْحج التي قيلت فيها تلك الأشعار قبل الهجرة بنحو خمس أو ستين سنة، وكان الأسفع بن أوبر شيخاً كبيراً، وقد ترأس معه وبعده ابنه ثمامة بن الأسفع وكان ابناه قيس بن ثمامة ويزيد بن ثمامة أيضاً من شعراء اليمن في الجاهلية.

(١) الصمة من كل شيء ما عظم واشتد. وقد يكون (في صمّة) أي في صميمه، وأن في البيت إقواء ومثل ذلك كثير في الشعر الجاهلي.

المبحث «٣٨»

قيس بن ثُمامة بن الأسفع

«مُجير الأمير الأعن الكندي ومعاصر ذي يزن»

هو الشاعر والقائد أبو المنتصر قيس بن ثمامة بن الأسفع، حفيد الشاعر الأسفع بن أوبر البكيلي الذي جاء في الإكليل أنه «كان الأسفع سَيّد بكيل في عصره» وأنه «رأس بعده ثمامة بن الأسفع وكان مكيناً» وأنه «أولد ثمامة بن الأسفع قيساً ويكنى أبا المنتصر، وقد رأس، وهو مجير الأعن ملك من ملوك كندة من بني الكيشم ويقال الكيشوم (نَبزُ) واسمه يزيد بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن تملك ـ الكندي ـ»[١].

وقد عاصر الأسفع بن أوبر البكيلي القيل زُرعة بن عمرو الخنفري الحَمْيَري الذي ترأس بعده ابنه (حُجْر بن زُرعة بن عمرو الذي وازر سيف بن ذي يزن وقام معه في أمره» . ويدل ذلك على أن ثمامة بن الأسفع وقيس بن ثمامة وأخوته (يزيد بن ثمامة ومالك بن ثمامة وشرح بن ثمامة وحارث بن ثمامة) عاصروا معدي كرب بن سُميفع ذي يزن وسيف بن ذي يزن، وشهدوا الحرب التي قادها ذو يزن ضد أبرهة والأحباش في المناطق التي احتلوها بالنصف الغربي من اليمن.

وقد وصلنا من شعر قيس بن ثمامة أبياتاً ربما قالها في تلك الحرب وقد ذكرها الهمداني في الإكليل ولم يذكر مناسبتها حيث قال قيس بن ثمامة:

لَقَدْ غَدَوْتُ أمام الحيّ تَحْمِلُنِي ... قَوْدَاءُ مِنْ أعوجياتٍ مَحَاضِيرِ[٢]

خَيْفَانَةٍ فرطٍ تقريبها المرطي ... كأنّ هاديها قامُ على بيرِ[٢]

ومذكياتٍ فِحَالٍ في رَجَائلها ... مِنْ أرْحَب الشُمّ فرسان المساعير[٣]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٥٦ جـ ١٠.

(٢) جاء في الهامش بالإكليل أن «القوداء: الناقة سهلة الانقياد. والأعوجيات: الإبل أو الخيل تنسب إلى فحل مشهور (محاضير) سريعة الحضر والجري. خيفانة: نشيطة. المرطي: نوع من السير. الهادي: مقدم العُنق.

(٣) المذكيات: الخيل. من أرحب: من بني أرحب بن الدعام بن مالك بن صعب بن دومان بن بكيل المساعير: الذين يسعرون الحرب.

وقد جاء ذكر (ثمامة) أو (بني ثمامة) في نقش مُسْنَدٍ عن الثورة والحرب التي قادها الملك معدي كرب بن سُميفع ذو يزن ـ والد سيف بن ذي يزن ـ ضد أبرهة الأكسومي والأحباش في المناطق التي احتلوها بالنصف الغربي من اليمن عام ٥٤٢ ميلادية، وقد أمر بكتابة النقش أبرهة الأكسومي وذكر فيه الذين شنوا تلك الحرب بأنهم ـ كما جاء في النقش حرفياً ـ:

«معدي كرب بن سُميفع وأقياله الذين يافقوا بقاه ملكن بمشرقن هعن وأخوته بني أسْلُم.

وذو جرة، ومُرّة، وثمامة، وحنش، ومرثد ـ ذي سحر ـ وبني سيبان، وحنف ذو خليل»[١].

ومعدي كرب بن سُميفع هو (ذو يزن) وقد وصفه النقش بأنه (ملكن بمشرقن) أي ملك النصف الشرقي من اليمن وكان مركزه القصر يزن في مدينة عبدان بمنطقة العوالق في محافظة شبوة حالياً، وكانت ملوكيته تشمل مناطق يافع والضالع والعود ـ في سَرْو حِمْيَر ـ وأبين وشبوة إلى مناطق كندة في حضرموت. بينما كان الأحباش يحتلون مناطق تهامة والمناطق الواقعة على الطريق من تهامة إلى صنعاء ومدينة صنعاء والمناطق الواقعة على الطريق من صنعاء إلى مأرب، فقام معدي كرب بن سُميفع ذو يزن وأقياله اليزنيون والجدنيون بقيادة تلك الحرب ضد أبرهة والأحباش في القسم المحتل من اليمن، وقد ذكر النقش الأقيال بأنهم (هعن وأخوته بنو أسْلُم) وهعن هو هعان وهو من آل ذي يزن حيث جاء في الإكليل أنه «أولد هعان بن عمرو: زُرعة بن هعان بطن»[٢] أما بنو أسْلُم فهم بطن كبير من قبائل حِمْيَر ومنهم كان آل ذي يزن وجدن وهم ـ كما في الإكليل ـ «بنو أسْلُم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِي بن مالك بن زيد بن سدد بن حِمْيَر الأصغر»[٢] قال الشاعر المجيدي في سيف بن ذي يزن ـ في أبيات بالإكليل:

مِـنْ فـرع كـعـبٍ وذُرىٰ أسْـلُـمِ وعـبـد شـمـس جـدّه الأشْـهَـرُ

واشترك معهم في قيادة الثورة والحرب ـ كما ذكر النقش ـ «ذو جرة، ومُرّة، وثمامة، وحنش، ومرثد...» وقد يكون السياق عطفاً على (بني أسْلُم) وأنهم (بنو ذي جرّة، وبنو مُرة، وبنو ثمامة.. إلخ). فأما (ذو جرة) فهم بنو ذي جُرة بمخلاف ذي جُرة وهو منطقة سنحان وبلاد الروس واليمانيتين من خولان ـ بمحافظة صنعاء

---

(١) نقش أبرهة ـ c.I.H ٥٤١.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٤ و٢٥٩ جـ ٢.

حالياً ـ وأما «مُرّة» فقد جاء في الإكليل أن من الأقيال (مُرّة ذو خليل بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن حِمْيَر الأصغر) وأن منهم «بُحر بن بُحر. في مخلاف أقيان بلاد شبام»[١] ـ وأقيان شبام هي منطقة بني حشيش المجاورة لخولان ـ بمحافظة صنعاء حالياً ـ ومنها يمتد الطريق إلى مأرب والجوف. وأما (ثمامة) أو (بنو ثمامة) فقد كان من قبيلة الصدف بحضرموت آل ثمامة، ولكن ذكر (ثمامة) في سياق الأقيال السبئيين يتيح القول بأنه (ثمامة بن الأسفع بن أوبر البكيلي) الذي رأس قبيلة بكيل الذين بمنطقة الجوف وما جاورها من محافظة صنعاء آنذاك وأن (بني ثمامة) هم أبناء (ثمامة بن الأسفع) وكانوا من مشاهير الفرسان. وهم ـ كما في الإكليل ـ (قيس أبو المنتصر بن ثمامة وقد رأس. ويزيد بن ثمامة الأصم فارس همدان، والحارث بن ثمامة، وشرح بن ثمامة، وعبد اللّه بن ثمامة، ومالك بن ثمامة).

وكان من أبرز الذين شاركوا في تلك الثورة والحرب أيضاً يزيد بن كبشة الكندي الذي يبدو أنه قريب الأمير الأعن يزيد بن عمرو الكندي الذي أجاره قيس بن ثمامة. ويقول د. محمد بافقيه في تعليقه على النقش: «إن يزيد بن كبشة، الذي قد يكون من أخوال امرىء القيس ابن حجر الشاعر[٢] هو ولا شك من فرع الأمراء أو الزعماء الكنديين. وكان يزيد، كما حرص النقش أن يسجل، خليفة (أي عاملاً) لأبرهة قبل حدوث التمرد أو الثورة.. فيزيد بن كبشة لم يكن إلا زعيماً للأعراب في تلك المنطقة الحساسة، وإذا كان له نفوذ آخر فلا يعدو أطراف وادي حضرموت الغربية كمنطقة الكسر، أما قلب الوادي وقبيلة حضرموت فكانت تابعة لليزنيين (أي لمعدي كرب بن سُميفع).. وقد ربط بعض الدارسين للنقش بين تمرد يزيد وثورة الأقيال من سبأ وآل ذي يزن ربطاً محكماً يجعل من الحركتين حركة واحدة وَوَصَفها بأنها ثورة وطنية.. أما الأقيال الثائرون فبعضهم من سبأ وهم: مرّة، وثمامة، وحنش، ومرثد من الأساحر، وحنيفة ذو خليل. ومن اليزنيين وهم: معدي كرب بن سُميفع (الملك) وهعان وأخوته بنو أسلم. وقد اعترض الأقيال المذكورون سبيل جرة ذي زنابر الذي أنفذه أبرهة ـ لفرض نفوذ أبرهة في المشرق ـ فقتلوه ودَكّوا مصنعة كدور الحصن المنيع ـ الذي تم اتخاذه مركزاً للإدارة التابعة لأبرهة ـ. وكان ما فعله يزيد بن كبشة لا يزيد عن جمع بعض من أطاعه من كندة للإغارة على حضرموت ـ (أو على جماعة من حضرموت) ـ الموالية لأبرهة، وأسْر هجان الأذموري والعودة

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٢١ جـ ٢.

(٢) قال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

«خالي ابن كبشة قد علمت مكانه وأبو يزيد ورهطه أعمامي»

إلى العَبْر ـ ـ أي إلى منطقة العبر بأعالي حضرموت في الطريق إلى مأرب والجوف ـ فيزيد بن كبشة الذي سارع إلى مبايعة أبرهة، سارع أيضاً إلى الانقلاب عليه حين رأى أقيال المشرق وفيهم معدي كرب بن سُميفع يثورون. . »[١].

وقد ذكر النقش أن أبرهة قام بتوجيه المقاتلين من الأحباش والحِمْيَريين إلى مناطق المواجهة وخاصة مناطق صرواح ـ العَبْر ـ كدور ـ وإن أحد قادة أبرهة واسمه (علي نبط) قام بمفاوضة الأقيال في مصنعة كدور، فاستجابوا لإنهاء الحرب والدخول في طاعة أبرهة. وأبرموا عهداً بالطاعة للملك أبرهة. وعند ذلك ـ كما ذكر النقش ـ «دخل في الطاعة ـ قبائل وأقيال ـ التراخم والعود وحُبَيْش ومضرفة ذافان ورؤساء (دا) و (جبا). كما قَدِم يزيد بن كبشة إلى أبرهة ودخل في الطاعة، واستخلفه على كندة»[٢] وقد اكتفى النقش بذكر إبرام العهد بالطاعة لأبرهة ولم يذكر مضمون ذلك العهد والذي يبدو أنه كان يتضمن أيضاً استقلالية الأقيال والأذواء بحكم مناطقهم وأذوائياتهم ولذلك وافقوا على إنهاء الحرب ودخلوا في ذلك العهد ومنهم أقيال وقبائل التراخم والعود (في سَرْو حِيَر/ بمحافظة إب) ورؤساء جبا (في المعافر/ بمحافظة تعز) وأقيال (ذي جرة، ومُرّة، وبني ثمامة، وحنيفة ذي خليل) بمناطق ذي جُرّة وشبام أقيان إلى الجوف، ويزيد بن كبشة في العبر وأعالي المنطقة الغربية من حضرموت. أما مناطق النصف الشرقي من اليمن فقد استمرت تحت حكم الملك معدي كرب بن سُميفع ذو يزن ولم يكن فيها أي نفوذ لأبرهة والأحباش حتى هلاك أبرهة ووفاة معدي كرب بن سُميفع ذو يزن عام ٥٧٠ ميلادية.

وخلال تلك الحرب ضد أبرهة والأحباش، أو بعد ذلك، أجار قيس بن ثمامة بن الأسفع رئيس بكيل بمنطقة الجوف الأمير الأعن يزيد بن عمرو الكندي، وكان الأمير الأعن الكندي أيضاً من شعراء اليمن في تلك الفترة، فقال الأعن يثني على قيس أبي المنتصر بن ثمامة بن الأسفع:

أرَاحَ خَـلـيـلُـكِ أم يَـبْـتَـكِـرْ	أم الـقَـلْـبُ لِـلْـشَّـوقِ لا يَـصْـطَـبِـرْ
فَـسِـيـرِي ولا تَـرْهـبِـي مـا حَـيَـيْـتِ	إذا عـاش قـيـسُ أبـو الـمـنـتـصِـرْ
إذا ضَـيَّـع الـنـاسُ جِـيـرَانَـهـم	فـجـارك يـطـلـى عـلـيـه الـصـبـرْ[٣]
لَـهُ أسْـرَةٌ مِـنْ خِـيَـار الـفَـصِـيـحِ	ولـلـجـارِ فـيـهـم وفـاء وبِـرّ

(١) في العربية السعيدة ـ د. محمد بافقيه ـ ص ١٩١ ـ ١٩٦/ ٢.
(٢) نقش أبرهة ـ C.I.H. ٥٤١.
(٣) جاء في هامش الإكليل أنه «كنى بقوله يطلي عليه الصبر عن مناعته وعزته فلا يُقرب. وخيار الفصيح: الواضح البين».

مَـطَـاعِـيـمُ حـيـن يـعـزّ الـقُـتَـار وهُـم فـي الـحـوادثِ قـومٌ صُـبُـرْ[١]

وقد عاش الشاعر الرئيس قيس أبو المنتصر بن ثمامة بن الأسفع رئيساً وقائداً لقبيلة بكيل بالجوف وما جاورها إلى عهد سيف بن ذي يزن وربما كانت الأبيات التي وصلتنا من شعره قد قالها في الحرب التحريرية التي قادها سيف بن ذي يزن وتم فيها القضاء على الأحباش في المناطق التي كانت محتلة من غرب اليمن عام ٥٧٢م فقد يكون قيس بن ثمامة هو الذي قاد فرسان أرحب البكيليين في الحرب التحريرية ويدل على قيادته إياهم قوله:

ومـذكـيـات فـحـال فـي رحـائـلـهـا مِنْ أرحب الشُمّ فرسان المساعير

وكان ذلك قبل الإسلام والهجرة النبوية بنحو ٤٨ سنة، وسيأتي ذكر تلك الحرب في المبحث الخاص بالشاعر حجر بن زُرعة الخنفري بعد ذكر يزيد بن ثمامة شقيق قيس بن ثمامة ونُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي.

(١) المطاعيم: كثيرو الإطعام والضيافات. القتار: بضم القاف وفتح التاء، رائحة اللحم المشوي وهو كناية عن كثرة طبخ اللحم. صُبُر: بضمتين شديدو الصبر على البلايا ونوائب الدهر.

المبحث «٣٩»

يزيد بن ثُمامة بن الأسْفَع

«مُعَاصِر عنترة بن شداد. . وابن ذي يزن»

هو الشاعر والفارس اليمني الجاهلي يزيد بن ثمامة بن الأسفع بن أوبر البكيلي الهمداني شقيق الشاعر القائد قيس بن ثمامة بن الأسفع رئيس وقائد قبيلة بكيل بالجوف وما جاورها في عصر معدي كرب بن سُميفع ذي يزن وسيف بن ذي يزن في الحقبة ما بين عام ٥٤٠ و٥٨٠م والتي فيها أيضاً كان يزيد بن ثمامة من شعراء وفرسان اليمن، فقد كان لثمامة بن الأسفع ستة أبناء وهم: قيس ويزيد ومالك وشرح وعبد اللّه والحارث. قال الحسن الهمداني: «وقيس ويزيد ومالك وشرح هم أسافعة همدان»[١] وكان يزيد بن ثمامة فارس همدان كلها ـ أي فارس حاشد وبكيل ـ وكان يُقال له الأصم حيث جاء في الإكليل أنه «يزيد بن ثمامة الأصم فارس همدان»[١].

وكان يزيد بن ثمامة من شعراء اليمن في تلك الحقبة من الجاهلية بالنصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وقد وصلنا من شعره في الإكليل قوله:

سَائِلْ مُرَاداً يُنْبِيكَ عَالِمُهَا[٢] ... أَنَّا نَعِلُّ القَنَا ونُوردُهَا[٣]
ونُخْمِدُ الحَرْبَ حِينَ يُضْرِمُهَا ... أَهْلُ الوَغىٰ تارةً ونُشْعِلُهَا

ومن جَيّد شعر يزيد بن ثمامة قوله:

أَعَاذِلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفُ ... أَحَبُّ إِليَّ مِنْ مَالٍ تَلَادِ[٤]
أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْنَىٰ شَبَابِي ... وأَقْرَحَ عاتقي حَمْلَ النجَادِ[٥]

* * *

---

(١) الإكليل ـ الحسن بن أحمد الهمداني ـ ص ١٥٧ جـ ١٠.

(٢) مراد: قبيلة مراد بن مذحج وكانت تسكن بمناطق من الجوف إلى جانب مناطقها في مأرب والتي تسكنها مراد حتى اليوم.

(٣) العلّ: الشرب الثاني وتكرار الشرب. والقَنَا: الرماح. ويعني: إننا نعلّ الرماح ونوردها مراراً في الحرب.

(٤) المال الطريف: المال المكتسب الجديد. والمال التلاد والتليد: المال القديم والمخزون. ويعني أنه ينفق المال التليد وذلك كناية عن الكرم.

(٥) النجاد: حمائل السيف.

وكان يزيد بن ثُمامة يُغيرُ ـ في بعض الأحيان ـ بفرسان من بكيل وهمدان من منطقة الجوف وصعدة باليمن إلى مناطق من نجد، فذاع صيته كواحد من مشاهير فرسان العرب في تلك الحقبة من الجاهلية التي كان من الفرسان والشعراء المشهورين فيها عنترة بن شداد العبسي حيث جاء في كتاب (. .الأدب العربي وتاريخه) إن عنترة بن شداد عاش في الفترة (٥٢٥ ـ ٦١٥ ميلادية)[١] وذلك يؤكد معاصرة يزيد بن ثمامة لعنترة بن شداد لأن يزيد بن ثمامة كان فارس همدان في الفترة ما بين (٥٥٠ ـ ٦٠٠م).

قال الحسن الهمداني في الإكليل يُرْوَىٰ: أن عَبْلة عنترة العبسي قالت له: هل بَقِىٰ في قلبك إلى لقاء فارس من فرسان العرب واختباره أرب؟ قال: نعم يزيد بن ثمامة بن الأسفع. فبينما هم في ذكره، إذْ أقْبَلَتْ خَيْلٌ، فوجَّه فارساً يأتيه بخبرها، فسألهم الفارس: من أنتم؟ ولِمَنْ هذه الخيل؟ فقالوا: ليزيد بن ثمامة بن الأسفع. فرجع الفارسُ فأعْلَمَ عنترة، فقالت له عبلة: ما أراك إلا قد أتاك ما أرَدْتَ، فقام إلى فرسه يرتجز:

يـا صـاحـبـي شـدّ حـزام الأبـجَـرِ
إنّـي إذَا يَـدْنُـو الـرَدَىٰ لا أضْـجَـرِ[٢]

وركب فيمن حضره في الصِرْم من بني عبس[٣] فطعنَ يزيدُ بن ثمامة عَنْتَرَةَ في كفّه فأطار رمحه، وحَمَل عليه عنترةُ فاعتنقه فوقعا ويزيد على صدره. وولّتْ بنو عبس فَخَلَّىٰ عنه وقال: إليك فإنما كُنَّا على طريق غيركم. فلما انصرف عنترة قالت له عبلةُ: كيف رأيت يزيد. كأنّها تعيّره. فقال عنترة:

أَلَا يــا عَـبْـلُ إنّ الـقـوم وَلّـوا ... ولاقـانـي جَـحَـاجِـحَـةُ كِـرَام[٤]
لـقَـيْـتُ كـريـمـهـم فـاخـتـلّ كـفـي ... وأضـرعـه بـجـحـجـاح الـصـدام[٥]
فـألْـقَـىٰ سـاقـطـاً، وصـددت عَـنْـهُ ... أبـادِرُ كـالـقـراطـي الـحـسـام»[٦]

وقد قال الحافظ ابن كثير أنّ «سيرة عنترة العبسي مكذوبة»[٧] ولكن ذلك لا

---

(١) الموجز في الأدب العربي وتاريخه ـ لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية ـ ص ٩٧ـ دار المعارف.
(٢) الأبجر: فرس عنترة. الردى: الموت.
(٣) الصِرْم: بكسر الصاد وسكون الراء. البيوت والجماعات المتقطعة.
(٤) ألا يا عبل: أي يا عبلة. الجحاجحة: السادة.
(٥) أضرعه: أذله، أو أصرعه.
(٦) القراطي: الأبيض ـ الحسام: السيف ـ الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٥٨ جـ ١.
(٧) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣٣٤ جـ ٩.

يعني أنه شخصية خيالية، وإنما أضاف بعض القصاصين إلى أخباره وأشعاره أخباراً وأشعاراً مكذوبة، فقد كان عنترة بن شداد شخصية حقيقية ومما يؤكد ذلك الحادثة سالفة الذكر بينه وبين يزيد بن ثمامة بن الأسفع الذي هو من شخصيات وشعراء اليمن المعروفين هو وأسرته في الأنساب والتاريخ في ذلك الزمن فقد كان أبوه (ثمامة بن الأسفع) ثم أخوه (قيس بن ثمامة) رئيس قبيلة بكيل بمنطقة الجوف وما جاورها في عصر معدي كرب بن سُميفع ذي يزن وسيف بن ذي يزن، واشترك (ثمامة) و (بنو ثمامة: قيس ويزيد ومالك وشرح وحارث) في الحرب ضد الأحباش وفي الحرب التحريرية للمناطق المحتلة من اليمن بقيادة سيف بن ذي يزن عام ٥٧٢ ميلادية[1] وذلك قبل الإسلام والهجرة بنحو ٤٨ سنة.

---

(١) قال الهمداني في الإكليل «والحارث بن ثمامة هو قاتل (الحسا) عبد لبعض ملوك حمير وكان خطيراً. . وولد مالك بن ثمامة: شرحاً فارس الجرادة، ولقى عامر بن الطفيل في بعض أيامه وأيام بني عامر فطعن عامراً فأذراه عن فرسه. وفي ذلك قال عامر:

أصبح شَرْحُ قد شفى فؤاده زوى إليّ الرمح ثم عاده

اذهب إليك فارس الجرادة»

[ص ١٥٨ جـ ١٠ ـ الإكليل]

وعامر بن الطفيل هذا وُلِد في يوم موقعة شعب جَبَلة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة، وكان من مشاهير فرسان العرب وأدرك الإسلام فلم يُسلم بل أعرض عن الإسلام وتكبر، وأما عبد اللّه بن ثمامة فقتلته زُبيد في موقعة بالجاهلية وهو شيخ كبير.

المبحث «٤٠»

نُفَيْلُ بن حبيب الخَثْعمي

«مُعَاصر غزوة أبرهة للكعبة وهلاك أبرهة وأصحاب الفيل»

هو الشاعر والقائد اليمني الجاهلي نُفَيْلُ بن حبيب الخَثْعمي الذي عاصر وشهد غزوة أبرهة الأشرم الأكسومي والذين معه من الأحباش ـ وهم أصحاب الفيل ـ للكعبة وهلاكهم، فقال نُفيل في أبيات له عن ذلك سيأتي ذكرها:

. . وكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحِبْشَانِ دَيْنَا[١]

وقال نُفَيْل حين رأى ما أنزل اللَّهُ بهم من نقمته:

أَيْنَ المَفَرُّ والإِلٰهُ الطَّالِبْ والأَشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبْ[١]

والأشرم هو أبرهة الأكسومي وقد عاصره نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي وعرفه وعرف الفيل ـ الذي غزا به إلى الكعبة ـ منذ وقت سابق قد يعود إلى بداية حكم أبرهة بصنعاء والمناطق التي احتلها الأحباش بالنصف الغربي من اليمن وقيام أبرهة ببناء القُلَّيْس بصنعاء، وتتصل بكل ذلك معارف تاريخية هامة نذكرها فيما يلي:

*** ـ نبأ أفيال الملك سُمَيْفع . . وفيل أبرهة:**

كان ملوك الدولة الحِميرية يتخذون الأفيال، وقد نقل د. عدنان ترسيسي عن ثيوفانس البيزنطي نبأ استقبال سُمَيْفع ملك الدولة الحِميرية لوفد بعثه الملك الروماني القيصر جوستنيان برئاسة قائده ونائبه يوليانوس ـ من القسطنطينية ـ إلى الملك سُمَيْفع ملك الدولة الحِميرية ـ حوالي عام ٥٢٩م ـ وكانت صنعاء هي عاصمة ومقر الملوك الحميريين التبابعة حيث كما ذكر د. عدنان ترسيسي: «وَصَفَ ثيوفانس البيزنطي كيفية استقبال ملك حِمير ـ سُمَيْفع ـ لوفد قيصر القسطنطينية برئاسة يوليانوس. قال إنه رأى ملك حِمير واقفاً على مركبة تجرها أربعة أفيال، وهو يلبس مئزراً مَحُوكٌ بالذهب وفي ذراعه أساور ثمينة ويحمل بيده ترساً ورمحين، وحوله رجال من حاشيته عليهم الأسلحة يتغنون بإطرائه وتفخيمه»[٢] وقد كان بصنعاء آنذاك ومنذ عهود سابقة (قليس

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٥٤ جـ ١.

(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٠٧٧/٢.

صنعاء) كما كان بمدينة ظفار (قليس ظفار) وقد جاء ذكره في نقوش المسند بلفظ (قليس ظفار)[١] ومعنى (قليس) كنيسة، وكان الملك سُمَيْفع هذا يدين بالديانة المسيحية وقد حكم إلى عام ٥٣٣ ميلادية[٢] ويتبين مما ذكره المؤرخ ثيوفانس البيزنطي الروماني أن ملوك حِمْيَر كانوا يتخذون الأفيال وأن مَرْكَبَة الملك سُمَيْفع الحِميري كانت تجرها أربعة أفيال. ويتيح ذلك إدراك أن الفيل الذي اتخذه أبرهة فيما بعد لم يكن مجلوباً من خارج اليمن وإنما هو أحد تلك الأفيال الحِميرية التي كانت بصنعاء منذ أيام الملك سُمَيْفع، وكان قد بقي منها أو تناسل منها فيل اسمه (محمود) وهو الفيل الذي اتخذه أبرهة. وكان نفيل بن حبيب الخثعمي يعرف ذلك الفيل وكيفية تدريبه وتوجيهه بما يدل على أنه كان يعرف ذلك الفيل منذ وقت مبكر بصنعاء، وسيأتي ذكر خبره مع الفيل لما سار أبرهة بذلك الفيل لغزو الكعبة.

* ـ حكم أبرهة لصنعاء وغرب اليمن وأصله اليمني:

لقد بدأ حكم أبرهة الأكسومي في صنعاء والقسم الغربي من اليمن قبل مسيره لغزو الكعبة بنحو ثلاثين سنة، وهو في الأصل من أسرة آل ذي معاهر الحِميرية اليمنية التي انتقلت وهاجرت من اليمن إلى منطقة أكسوم في الحبشة حين فقدت أسرة ذي معاهر سلطتها في اليمن حيث كان ذو معاهر من كبار الأذواء الملوك الحِمْيَريين، وفيه قال نشوان بن سعيد الحِمْيري في قصيدته عن ملوك حِمْير:

أو ذو مَعَاهِرَ غُلِّقتْ أبوابُه ... فأتَىٰ له الحَدَثانُ بالمفتاح

ثم قال نشوان «هذا الملك ذو معاهر بن حسان الأضخم. سُمّي ذا مَعاهِر لأنه أول من أحْدَثَ المعاهر لباب ظفار وهي جُرُس من ذهب كانت بباب ظفار، إذا فُتح الباب سُمع لتلك الجُرس صوتُ من مكان بعيد»[٣]. وقد حكم آل ذي معاهر فترة من الزمن ولما انتهى حكمهم هاجر بعضهم إلى منطقة أكسوم في الحبشة ومن أولادهم كان أبرهة، فقد ذكر أبرهة في نقشه المسند ابنه (أكسوم بن أبرهة) بلفظ «أكسوم ذو معاهر ابن الملك»[٤] فذلك النص يعني أن الملك أبرهة وابنه أكسوم من آل ذي معاهر الحِميريين اليمنيين، وكان أبرهة قد اشترك مع (إرياط الحبشي) في قيادة الغزو الأكسومي الحبشي واحتلال النصف الغربي من اليمن ومدينة صنعاء ثم قام أبرهة بقتل إرياط الحبشي وصار ملكاً في النصف الغربي من اليمن لأن معدي كرب بن سُمَيْفع ذو يزن كان ملك النصف

---

(١) النقش رقم ١٠٢٨ جام + الجديد في تاريخ سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ١٠٣٧/ ٢.
(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٠٧٧/ ٢.
(٣) قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٤٧.
(٤) النقش رقم ٥٤١ .C.I.H+ الجديد في تاريخ سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ١١٠٤/ ٢.

الشرقي من اليمن، ومما يتصل بيمنية أبرهة أيضاً قول الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم:

مَتَى نَلْحَقْ بأبرهة اليماني   أو النُعمانَ يُوجِّهُنَا وعمرو

ولكن انتساب أبرهة إلى اليمن وإلى آل ذي معاهر لا يُغيِّر من كونه رأس الغزو والاحتلال الأكسومي الحبشي وأنه نائب ملك الحبشة (نجاشي اليسباس) في القسم الغربي المحتلّ من اليمن بما في ذلك مدينة صنعاء، وخاصة منذ أن قام أبرهة بعقد عهود مع أقيال ورؤساء القسم الغربي من اليمن ودخولهم في طاعته مقابل استقلال الأقيال بحكم مناطقهم وذلك عام ٥٤٢م فاستتب لأبرهة الحكم في النصف الغربي من اليمن ومدينة صنعاء التي كانت مقر حكمه.

*** ـ قيام أبرهة ببناء القُلَّيْس بصنعاء:**

ويرتبط غزو أبرهة إلى الكعبة بقيامه ببناء القُلَّيْسَ بصنعاء. والواقع أن قُلّيس صنعاء كان موجوداً قبل أبرهة بنحو مائة وتسعين سنة، وإنما قام أبرهة بتفخيمه وتعظيمه، فقد تم تشييد قُليس صنعاء وقُليس ظفار في عهد الملك عبد كُلال بن مُثوّب ملك الدولة الحِميرية بأواسط القرن الرابع الميلادي. فقد اعتنق الملك عبد كلال الديانة المسيحية التوحيدية الأولى على يد راهب غساني اسمه فيوفيل وَفَد إليه من الشام حيث جاء في تاريخ الأمم والملوك أنه «تولى عبد كُلال بن مُثوب ـ حكم اليمن ـ بسن وتجربة وسياسة حسنة، وكان على دين النصرانية الأولى، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان قَدِم عليه من الشام»[١] وقد ذكرت المصادر الرومانية أن اسم ذلك الراهب الغساني (ثيوفيلوس) وأنه «نجح ثيوفيلوس في إقناع ملك حِمير باعتناق المسيحية، وقام ببناء ثلاث كنائس إحداها بمدينة ظفار..»[٢] وهي المذكورة في النقوش باسم (قليس ظفار)، والثانية بصنعاء وقد قام ببنائها نائب الملك عبد كلال بصنعاء وهو (ذو القُليس ابن شرحبيل الحِميري) وقال الحسن الهمداني في الأنساب بالإكليل «أولد شرحبيل بن عمرو: يازل، وأحداق، والقُلَّيْسَ، ثلاثة نفر بني شرحبيل بن عمرو. فإلى القُلَّيْسَ ابن شُرحبيل ينسب قصر القُلَّيْسَ بصنعاء وهو بناء قديم»[٣]. وقال الهمداني في الصفة «غمدان والقُلَّيْسَ محفدا صنعاء وقد ذكرنا أخبارهما في الإكليل» فقال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في الهامش: «يذهب المؤلف ـ أي الهمداني ـ إلى أن الباني للقُليس تُبَّع أو أحد ملوك حِمير، وأن أبرهة صاحب الفيل إنما اتخذه كنيسة لا هو الذي عمَّرها»[٣] فبناء قُليس صنعاء كان

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٨٦ جـ ٢.

(٢) تاريخ صنعاء الحضاري القديم ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٢٢ و١٢٣.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٧ جـ ٢ـ وصفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٠٨.

في عهد الملك عبد كُلال ملك حِمير الذي اعتنق الديانة المسيحية التوحيدية الأولى عام ٣٥٤م أو ٣٥٦م وقام ببناء قُليس ظفار وقام نائبه في صنعاء ببناء قُليس صنعاء، وفيه قال نشوان الحِميري:

أمْ أينَ عبدُ كُلال الماضي على ... دينِ المسيح الطاهر المسّاحِ

وكان قُليس صنعاء موجوداً إلى عهد سُمَيْفع ملك حِمير الذي كان يدين بالمسيحية ووصل إليه الوفد الروماني سالف الذكر عام ٥٢٩م ولم يكن قُليس صنعاء قصراً وإنما كان كنيسة إلى أن قام أبرهة بتجديده وتفخيمه خلال العشر سنوات الأخيرة من حكمه، وقد ذكر ابن هشام: «أنّ أبرهة بَنَىٰ القُلَّيسَ بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيء من الأرض»[١]. قال الحافظ ابن كثير: «وذكر السهيلي أن أبرهة استذلَّ أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة، وسَخّرَهم فيها أنواعاً من السخر، وجعل ينقل إليها من قصر الملكة بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة، وركَّبَ فيها صلباناً من ذهب وفضة، وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس، وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً. . وكتب أبرهة إلى النجاشي - ملك الحبشة - إني قد بنيتُ لك كنيسةً لم يُبنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولست بِمُنتَهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب»[٢].

وتذكر الروايات أن رجلاً من العرب أتى القُلَّيْسَ فَقَعَدَ فيها، أي أحدث فيها، عندما سمع قول أبرهة «أصرفُ إليها حَجَّ العرب»، فلما علم أبرهة بذلك غضب وحلف لَيَسِيرَنَّ إلى الكعبة حتى يهدمها. بينما يتبين من الرسالة التي ذكرت الروايات أن أبرهة كتبها إلى نجاشي الحبشة أنه كان قد نوى المسير لهدم الكعبة حتى يصرف الحجّ إلى قُلَّيْسَ صنعاء.

مسير أبرهة وأصحابه بالفيل لهدم الكعبة ونبأ نُفَيَلُ بن حبيب الخثعمي:

ولما تهيأ وسار أبرهة بفرقة من الأحباش ومعه الفيل (محمود) من صنعاء قاصداً مكة لهدم الكعبة تهيأ للتصدي إليه اثنان من القادة اليمنيين أخذهما القَيْل ذو نفر بمناطق صعدة وما يليها من ديار قبيلة قضاعة الحِميرية، وثانيهما نُفيل بن حبيب الخثعمي الشاعر، وكان نُفَيْل من وجهاء قبيلة ومنطقة خَثْعم بسراة أعالي اليمن. وقبيلة خثعم أخوة بَجِيلة وهم بنو «خثعم وبَجِيلة ابنا أنمار بن أراشة بن عمرو بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»[٣] وقد ذكر ابن خلدون: «أنّ بني نهد من قُضاعة يسكنون اليمن - في أجوان السروات

---

(١) السرة النبوية - ابن هشام - ص ١/٤٦. (٢) البداية والنهاية - ابن كثير - ص ٢/١٧٠.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون - محمد الفرح - ص ١٢٧ و٦٦٢.

وتَبَالة ـ بجوار خثعم، والعامة تُسمِّيهم السَّرو، وأكثرهم أخلاطٌ مِنْ بَجِيلة وخثعم، ومن بلادهم تَبَالة»[١]. وقد ذكر الهمداني مناطق قبيلة نهد في سراة أعالي اليمن وقال: «بلد خثعم: أعراض بيشة وترج وتَبَالة والمراغة»[٢]. فمنطقة خثعم هي وادي بيشة ومنطقة ومدينة تَبَالة وما والاها في أرض سراة أعالي اليمن التي تمتد إلى تخوم منطقة الطائف، وقد ذكر ابن هشام أيضاً أنَّ منطقة بجيلة وخثعم تلك جزء من اليمن حيث قال ابن هشام: «ودار بَجِيلة وخَثْعم يمانية»[٣]. ولم يكن حكم أبرهة يمتد إلى مناطق قضاعة في صعدة وبلد نهد ومناطق بجيلة وخثعم بأعالي اليمن كما لم يكن يمتد إلى النصف الشرقي من اليمن.

وقد ذكر ابن هشام والحافظ ابن كثير عن مسير أبرهة ما يلي نصه: «أمر أبرهةُ الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفُظعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت اللّه الحرام. فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يُقَالُ له ذُو نَفْر، فدعا قومه ومن أجابه من العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت اللّه الحرام وما يريده من هدمه وإخرابه، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فَهُزِم ذو نفر وأصحابه، وأُخِذَ ذو نفر أسيراً فلما أراد أبرهة قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من القتل، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً. ثم مضى أبرهة حتى إذا كان بأرض خَثْعم عرض له نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي في قبيلَيْ خثعم: شهران وناهس ومَنْ تبعه من قبائل العرب، فقاتله، فهزمه أبرهة، وأُخِذَ له نُفيل أسيراً، فلما هَمّ بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فإنّي (سأكون) دليلك (بأرض العرب) وهاتان يَدايَ لك على قَبيليْ خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة، فَخَلّى أبرهة سبيله وخرج به معه»[٤]. ويدل ذلك على أن نفيل بن حبيب كان يعرف أبرهة ورجال حاشيته بصنعاء منذ سنوات سابقة، ولذلك قبلوا عرضه بأنه سيكون دليلهم ووثقوا به وأطلق أبرهة سراحه وسار نفيل معه، وقد كان نفيل يعرف حتى فيل أبرهة معرفة وثيقة. ولم يكن أبرهة والذين معه بحاجة إلى دليل فقد مضوا من أرض خثعم إلى الطائف ثم إلى المغَمَّس بضواحي مكة، وكان حبيب بن نفيل معهم. وقد ذكر ابن كثير وابن هشام أنه «لما

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٧ و٦٦٢.
(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٨.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٨٠ جـ ١.
(٤) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٧١/ ٢ ـ والسيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٤٧/ ٢.

نزل أبرهة بالمغَمّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مفصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب، وهو يومئذ كبير قريش.. وبعث أبرهةُ حناطة الحِميري إلى مكة وقال له: سَلْ عن سيدهم وشريفهم وقل له - ولهم - إن الملك يقول: إنّي لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فائتني به، فلما دخل حناطة مكة وسأل عن سيّدهم وشريفهم فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأَخْبَرَهُ بما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: واللّه ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة.. فقال له حناطة: انطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك، فانطلق معه عبد المطلب وبعض بنيه..» قال ابن إسحاق (ويقال إنه كان مع عبد المطلب يعمر بن نفاثة الكناني سيد بني بكر بن عبد مناة، وخويلد بن واثلة سيّد هذيل) ولعل ذلك هو الأصوب لأنه لم يكن لقريش سيّد واحد وكان يتولى البيت عدد من بني قُصَيّ بن كلاب أشهرهم آنذاك عبد المطلب، ولما التقى عبد المطلب بأبرهة سأله أن يردّ إليه بعيره. وتتفق الروايات على أنه «قال له أبرهة: أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال عبد المطلب: أنا رَبُّ إبلي وإنّ للبيت رباً سيمنعه، فقال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك. فرد أبرهة لعبد المطلب إبله). فلما انصرف عبد المطلب - والذين معه - إلى مكة أخبروا الناس فخرجوا من داخل مكة وتحرزوا في الجبال.

وقد ذكر ابن هشام وابن إسحاق وابن كثير ما يلي نصه: «فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيَّأ فيله وعَبّىٰ جيشه، وكان اسم الفيل محموداً - وكان أبرهة وجيشه بالمُغَمّس -، فلما وجّهوا الفيل إلى مكة أَقْبَلَ نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جانب الفيل ثم أخذ بأذنه وقال: إبْرُكْ محمود وارجع راشداً من حيث أتيت فإنك في بلد بيت اللّه الحرام، ثم ترك أذنه، فَبَرَكَ الفيل». - قال ابن كثير (قال السهيلي: أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير فاللّه أعلم) - فلما بَرَكَ الفيل أو سقط إلى الأرض «مضى نفيل بن حبيب يشتد حتى صعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم، فأبَىٰ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يُهرول، ووجهوه إلى جهة الشام والمشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فَبَرَكَ. فأرسل اللّه عليهم طيراً أبابيل، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجرٌ في منقاره، وحجران في رجليه، لا تُصيب منهم أحداً إلّا هَلَكْ، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤوا، ويسألون عن نُفَيْلُ بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن». هكذا ذكر ابن هشام وابن إسحاق وابن كثير أنهم كانوا «يسألون

عن نفيل ابن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن». ولكن ما حدث للفيل بعد أن أخذ نُفَيَلُ بن حبيب بإذنه وقال له ما قال وأسرع صاعداً إلى الجبل يجعل من المحتمل أنهم كانوا يسألون عن نُفَيَلُ بسبب ما حدث للفيل وأنهم ربطوا ذلك ومجيء الطير الأبابيل وصعود نُفَيَلُ إلى الجبل، أي أنهم لم يكونوا يسألون عن نُفَيَل ويطلبونه ليدلهم على الطريق وإنّما للقبض عليه. . وفي ذلك قال نُفَيَلُ:

وكُـلُّ الـقَـوْمِ يَـسْـأَلُ عَـنْ نُـفَـيَـلٍ ... كـأنَّ عَـلَـيّ لِـلْـحِـبْـشَـانِ دَيْـنَـا

وقال نُفَيَلُ وهو يُراقِبُ ما أنزل اللَّه بهم من نقمته وهُم يبتدرون إلى الفرار:

أيْـنَ الـمَـفَـرُّ والإلَـهُ الـطَّـالِـبْ ... والأشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبْ

وقد أُصيب أغلب جنود أبرهة الذين كانوا بالقرب من الفيل وهم من الأحباش ومعهم أيضاً كتيبة من فرسان كندة من حضرموت الذين كان أبرهة قد ولّى عليهم يزيد بن كبشة الكندي الصدفي فقد ذكر ابن هشام وابن كثير أن أُميّة بن أبي الصلّت قال:

حُبِسَ الفِيلُ بالمُغَمَّس حَتَّى ... صار يَحْبُو كأنَّهُ مَعْقُورُ

حَوْلَهُ مِنْ كِنْدَةَ أبْطَالُ مَلَاوِيثُ في الحُروبِ صُقُورُ

خَلَّفُوهُ ثُم ابْذَعَرُّوا جَمِيعاً ... كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ

ويدلُّ ذلك على أن الذين كانوا مع أبرهة لم يكونوا من الأحباش فقط وإنما كانت منهم أيضاً كتيبة من كندة وحضرموت أتباع يزيد بن كبشة الكندي الصدفيّ ولكن الأحباش كانوا غالبية الذين مع أبرهة، وقد أُصيب الذين كانوا بالمنطقة التي فيها الفيل من جند أبرهة الأحباش والذين معهم وأُصيب أبرهة، أما الذين كانوا بعيداً من ذلك الموضع فلم يصابوا، ومضوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤوا، وحملوا معهم أبرهة وهو مُصابٌ في جسده إلى صنعاء.

فقال حبيب بن نُفَيَل الخثعمي في ذلك قصيدته النونية، وقد ذكرت كتب التاريخ والتراث منها ستة أبيات وهي قول حبيب بن نُفَيَل:

أَلَا حُـيِّـيـتِ عَـنَّـا يَـا رُدَيْـنَـا ... نِعِمْنَاكُمْ مَعَ الإصْبَاحِ عَيْنَا[1]

أَتَـانَـا قَـابِـسٌ مِـنْـكُـمْ عِـشَـاءً ... فَـلَـمْ يُـقْـدَرْ لِـقَـابِـسِـكُـمْ لَـدَيْـنَـا

رُدَيْـنَـةُ، لَـوْ رَأَيْـتِ فَـلَا تَـرَيْـهِ ... لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا[2]

---

(١) نعمناكم: أي نعمنا بكم. و(عينا) تمييز محول عن الفاعل. وأصل الكلام (نعمت عيننا بكم) فلما حول الإسناد عن العين إلى المضاف إليه صار (نعمنا بكم عيناً) ثم حذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى ما كان مجروراً به فصار كما في البيت.

(٢) المحصب: اسم لموضعين في مكة، أحدهما: الشِعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة =

إذاً لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَيْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا[١]
حَمِدْتُ اللَّهَ إذْ أَبْصَرْتُ طَيْراً ... وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَىٰ عَلَيْنَا
وكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحِبْشَانِ دَيْنَا

وقد ذكر ابن هشام وابن كثير أن الأحباش «خرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مَهْلِكٍ، وأصيب أبرهة في جسده. وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةً أُنْمُلَة كلما سقطت أنملةٌ أتبعتها منه مِدةٌ تَمُثُّ قَيْحاً ودماً[٢] حتى قَدِمُوا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فمات ـ بصنعاء ـ»[٣] قال ابن كثير «قال السهيلي: وكانت قصة الفيل في أول المحرم من سنة ٨٨٦ من تاريخ ـ الإسكندر اليوناني ـ وفي عامها ولد رسول اللّه ﷺ على المشهور. .»[٤] والتاريخ الذي ذكره السهيلي هو التقويم اليوناني الذي يبدأ بعام مولد الإسكندر اليوناني المقدوني عام ٣١٦ قبل الميلاد، فالعام المذكور يوافق عام ٥٧٠ ميلادية.

ولم يكن مع أبرهة في غزوته تلك إلى الكعبة إلا فرقة من جيشه من الأحباش والأكسوم وكان معظمهم في صنعاء ومراكزهم بغرب اليمن، وكان أكسوم بن أبرهة ملكاً نائباً لأبيه منذ زمن نقش أبرهة ـ عام ٥٤٣ م ـ فلما هلك أبرهة ـ عام ٥٧٠ م ـ تم تمليك أكسوم فلم يلبث إلا يسيراً ومات فتم تمليك مسروق بن أبرهة في صنعاء والمناطق المحتلة من غرب اليمن، بينما تم تمليك سيف بن ذي يزن في النصف الشرقي من اليمن بعد أبيه الملك معدي كرب بن سميفع ذي يزن، فقاد سيف بن ذي يزن حرب التحرير وقضى على الأحباش عام ٥٧٢ ميلادية، بعد هلاك أبرهة بسنتين.

= ومنى، والثاني: موضع رمي الجمار بمنى، كما ذكر ذلك الفيروز آبادي في القاموس المحيط. وقد جاء في السيرة (أن أول ما رؤيت الحَصْبَة والجُدَري بأرض العرب في ذلك العام).

(١) تأسيْ: تحزني وتأسفي. وقوله (بينا) هو مصدر بان يبين بينا، ومعناه الفراق والبُعد.

(٢) أصل الأنملة: طرف الإصبع، وتطلق على الجزء الصغير من الشيء على التشبيه بالأنملة في الصغر فالمراد هنا أن جسمه قد تناثر قطعة فقطعة. والمدة ـ بكسر الميم ـ القيح. وتمث: تتصبب وترشح، يريد أن جسمه كان يرشح قيحاً ودماً. والقيح: المدة لا يخالطها دم.

(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٥٤ جـ ١.

(٤) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ١٧٥ جـ ٢.

المبحث «٤١»

حُجْر بن زُرْعة الخَنْفَريّ الحِمْيَريّ

«أشهر الأقْيال المُؤازرين لسيف بن ذي يزن في موقعة يوم غيمان والقضاء على الأحباش»

هو الشاعر القَيْل حُجْر بن زُرعة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن حُجْر بن ذي شَمِرْ بن عمرو بن عبد شمس بن سيار بن خَنْفَر (الخنفري) واسم خَنْفَر الحارث بن سيار بن زُرْعة بن معاوية بن صيفي بن حِمْيَر الأصغر بن كعب الحِميري، قال الحسن الهمداني «كان زُرعة بن عمرو وآباؤه يتولون للتبابعة أعمال المعافر ومأرب وحضرموت. وبأسفل المعافر قصر ذي شَمِرْ.. فأولد زُرعة بن عمرو: يريم بن زُرعة، وحُجْر بن زرعة فقام ـ حُجر ـ برياسة زُرْعة ووُلِّي ما كان في يده، ووازر أبا مُرَّة سيف بن ذي يزن في أمره، وقام معه بيوم غيمان.. وهو القائل:

أَلَسْنَا المَقَاوِلُ مِنْ حِمْيَرِ ... لنا الفَضلُ يطمو على مَنْ ذكرْ(١)

إذا اسْتُلّت البِيض يوم النِزَال ... وكانت لنا مَعْقَلٌ لم نفِرْ(٢)

لنا فَخْرُ غَيْمَان في مَشْهَدٍ ... بَدَا الفَخْرُ فيه لِمَنْ يفتخِرْ

بِكُلِّ قَضِيبٍ مِنَ الشَرْعَبِيّ ... مُعالي الكعوب، طويلِ العُشرْ(٣)

حديثِ الثِقافِ، ذليقِ اللسانِ ... خفيفِ المهزِّ، شخيصِ الثمرْ(٣)

وكلُّ فَتّى أنْسَلَتْهُ المُلوكُ ... كريم المساعي، عظيم الخطرْ

يَصُفُّونَ في الرَوْعِ أقْدَامَهُم ... ويَعْلُونَ بالبِيضِ فرع الصَّدَرْ»(٤)

* * *

(١) المقاول: الأقيال. قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «المِقْوَلُ: القَيْل، والجمعُ المَقَاوِلُ والمَقَاوِلَةُ. قال أسعد تُبَع:

وَطِفْنَا بِلادَ اللّهِ طُرّاً فَلَمْ نَجِدْ ... وَلَمْ نَرَ قوماً مِثْلَ قَوْمِي المَقَاوِلِ»

[ص ٨٩/ المنتخب]

(٢) البيض: السيوف. يوم النزال: يوم الحرب.

(٣) قال الهمداني: «يريد متباعد الكعوب فيه طول كثير بعد عشر عُقَد. بعيد الثمر: بعيد الأسنَّة لطول الرماح».

(٤) قال الأكوع في الهامش (الصَّدَر: من معانيه الأسد وهو المراد هنا). ص ١١٧/ ٢ـ الإكليل.

نبأ موقعة يوم غيمان والقضاء على الأحباش بقيادة سيف بن ذي يزن:

لقد كان حُجر بن زُرعة من كبار الأقيال الحِمْيريين عندما تم تمليك سيف بن ذي يزن بعد وفاة أبيه الملك معدي كرب بن سُميفع ذو يزن ملك النصف الشرقي من اليمن حيث كان معدي كرب بن سُميفع ملكاً لمناطق النصف الشرقي من اليمن وإذوائيات يزن الحِمْيَرية في الفترة التي كان فيها أبرهة الأكسومي والأحباش في النصف الغربي المحتل من اليمن ومدينة صنعاء حتى هلاك أبرهة في شهر محرم من عام الفيل ـ عام ٥٧٠ م ـ فتم تمليك ابنه أكسوم ثم ابنه مسروق بن أبرهة في صنعاء والمناطق المحتلة من غرب اليمن، بينما مات معدي كرب ذو يزن فتم تمليك سيف بن ذي يزن في القصر يزن بمدينة عبدان الحميرية والنصف الشرقي المستقل من اليمن وذلك عام ٥٧١ ميلادية، فقام حُجْر بن زُرْعة ـ وكما ذكر الهمداني ـ (بمؤازرة سيف بن ذي يزن في أمره، وقام معه بيوم غيمان)، وأمر سيف بن ذي يزن هو محاربة الأحباش لتحرير المناطق المحتلة من اليمن، ويوم غيمان هو يوم موقعة غيمان التي تم فيها النصر على مسروق بن أبرهة والأحباش ومعهم مالك بن يزيد الصدفي والذين معه. . ومن المهم هنا معرفة وتبيين المعالم التالية عن ذلك:

لقد كان حجر بن زُرعة أحد الأقيال الذين تشاور معهم سيف بن ذي يزن قبل مسيره إلى كسرى أنوشروان، فقد تشاور واتفق سيف مع كوكبة من أقيال ورؤساء مناطق وقبائل اليمن على أن يقوموا معه في أمره وذلك بالجمع والحشد لمحاربة الأحباش وتحرير المناطق المحتلة من اليمن، فجمعوا ـ أو اتفقوا على جمع ـ زهاء مائة ألف من فرسان ورجالات اليمن وأن يكونوا في انتظار واستقبال سيف عند عودته وقدومه بالدعم الرمزي المنشود من كسرى. ومما يدل على ذلك أنه عند عودة سيف ـ وكما ذكر نشوان الحِميري ـ «كان قد اجتمع أهل اليمن للقاء سيف بن ذي يزن»[١] فذلك يدل على أن التشاور والتجمع قد تم قبل مسير سيف وقبل عودته بالدعم الرمزي من كسرى أنوشروان ملك الفرس إذْ أنّه ـ كما ذكر ابن هشام ـ: «خرج سيف بن ذي يزن حتى أتى النعمان ابن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من العراق، فشكا له أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وِفَادَةَ كل عام، فأقِمْ حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج النعمان معه إلى كسرى»[٢]. وقد أقام سيف بن ذي يزن عند النعمان ابن المنذر في الحيرة نحو ثلاثة أشهر، ثم سار هو والنعمان إلى كسرى أنوشروان في عاصمته وهي مدينة المدائن في شرق الفرات

(١) شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٥١.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٦٥ جـ ٢.

بالعراق، فدخل النعمان ابن المنذر أولاً وتكلم مع كسرى وجلس معه ثم دخل سيف حيث ـ كما ذكر نشوان ـ «لما دخل سيف بن ذي يزن قام له النعمان ابن المنذر من مجلسه وعَظَّمَهُ فقال كسرى للنعمان: من هذا الملك، ملك سمران ـ [أو: أهذا ملك سمران؟] ـ فقال النعمان لكسرى: هذا ملك سمران. يعني ملك العرب. فقرّبه كسرى وعَظَّمَهُ. وقال له: ما حاجتك، فقَصّ عليه قصته، وسأله النصرة»(١). وقد كان ما يريده سيف هو مجرد دعم رمزي يردع الروم عن التدخل لأن الحبشة كانت مرتبطة بالروم، ولذلك لم يطلب سيف سوى نحو ألف جندي فارسي لإظهار التأييد الفارسي لحرب التحرير أما الحرب فهي مسؤولية الجيش اليمني وقد تهيأ ويتهيأ لذلك زهاء مائة ألف من فرسان ورجالات اليمن، ومما يؤكد ذلك محدودية ورمزية الدعم الفارسي، فقد كان في سجون كسرى ثمانمائة جندي من الديلم والفرس محبوسين بتهمة التمرد، فأخرجهم كسرى وجهَّزهم بالسلاح ووهبهم لسيف بن ذي يزن حيث ـ كما ذكر نشوان «أمر كسرى بِمَنْ في سجونه، فوجههم مع سيف، واختار رجلاً يُقال له وهرز فأمَّرة عليهم، وكانوا ثمانمائة في مركبين، في كل مركب أربعمائة، فغرق أحدهما وسلم الآخر. فخرجوا بساحل عدن»(١). وقال ابن هشام: «بعث كسرى مع سيف من كانوا في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل، واستعمل عليهم رجلاً منهم يُقال له وهرز، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن»(٢). وكذلك قال ابن خلدون «..كانوا ثمانمائة، وركبوا البحر في ثماني سفائن، فغرقت منها سفينتان، وخَلَصَت ستُ إلى ساحل عدن»(٣). ويتبين من ذلك أن الدعم الفارسي الذي يظنه البعض قوة كبيرة إنما هو ستمائة رجل فقط كانوا في سجون كسرى فأخرجهم وأمدّ بهم كسرى سيفاً، بل وهبهم كسرى لسيف، ولذلك قال عنهم عبد الخالق الشهابي في زمن لاحق في قصيدة بالإكليل:

عَـبِـيـد الـقَـيْـلِ ذي يَـزَنٍ حَـبَـاهُـمْ لـهُ كِـسْـرَىٰ، وقَـلَّ لَـهُ الـحَـبَـاءُ

وقد وصل سيف بن ذي يزن وإياهم إلى ساحل عدن وهو ساحل أبين وكان بمدينة أحور في ساحل أبين قصر لوالد سيف بن ذي يزن، وفيه قال الشاعر ـ في أبيات بالإكليل ـ:

«وقَـصْـرَ أحْـوَرَ أسَّ الـقَـيْـلُ ذو يَـزَنٍ»

وكان عشرات الأقيال وعشرات الآلاف من الفرسان بانتظار سيف بن ذي يزن

(١) شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٥١.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٦٥ جـ ٢.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٩٤.

هناك حيث كما ذكر نشوان «اجتمع أهل اليمن للقاء سيف، وحضروا معه الوقعة»[١] وإلى جانب الذين اجتمعوا والتقوا سيف بن ذي يزن فقد أخذت مواكب الأقيال والفرسان تتدفق إلى سيف بن ذي يزن من أرجاء اليمن، وكانت مدينة عبدان في منطقة العوالق ـ بمحافظة شبوة حالياً ـ هي مقر وعاصمة ذي يزن والنصف الشرقي من اليمن الذي كان يمتد إلى مدينة مَوْكل بمخلاف صباح ورَدَاع وناحية عنس ـ بمحافظتي البيضاء وذمار حالياً ـ وكذلك مناطق سَرْو حِمْيَر ـ [التي تشمل محافظات إب والضالع ويافع ولحج وبلاد المعافر التي كان من أبرز أقيالها حُجْر بن زُرْعة الخنفري] ـ فاجتمع إلى سيف بن ذي يزن زهاء مائة ألف من فرسان اليمن وساروا تحت لوائه لتحرير صنعاء والمناطق المحتلة من اليمن، بينما في صنعاء أخذ مسروق بن أبرهة في جمع وحشد الأحباش وكذلك الذين معه من العمال اليمنيين بتلك المناطق والموالين لهم من القبائل، فقد ذكر المسعودي سيف بن ذي يزن والذين معه وقال المسعودي: «ونَمَا خبرهم إلى مسروق بن أبرهة فأتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حِمْيَر وكهلان ومن سائر مَنْ سَكَنَ اليمن من الناس»[٢].

وقال ابن خلدون « . . سار إليهم مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن»[٣].

وقال الطبري: « . . سار إليهم مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وحِمْيَر والأعراب. ولحق بابن ذي يزن بَشَرٌ كثير»[٤].

ويتبين من تلك النصوص أن جيش مسروق بن أبرهة الذي بلغ مائة ألف مقاتل لم يكونوا من الحبشة فقط وإنما كان معهم أيضاً فريق من اليمنيين، ويتبين من أنباء الموقعة أن اليمنيين الذين كانوا معه كانوا بقيادة (مالك بن يزيد الصدفي) الذي هو غالباً نجل (يزيد بن كبشة) الذي كان عامل أبرهة على كندة ومنطقة غرب أعالي حضرموت ـ كما سلف التبيين ـ حيث كما ذكر أيضاً د. محمد بافقيه «أن يزيد بن كبشة لم يكن إلا زعيماً للأعراب في تلك المنطقة ـ منطقة العَبْر ـ وإذا كان له نفوذ آخر فلا يعدو أطراف وادي حضرموت الغربية كمنطقة الكسر، أما قلب الوادي وقبيلة حضرموت فكانت تابعة لليزنيين»[٥]. فكما كان يزيد بن كبشة عاملاً لأبرهة بتلك المناطق كان ابنه (مالك بن يزيد الصدفي) عاملاً لمسروق بن أبرهة ورئيساً ملكاً على

---

(١) شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٥١.

(٢) مروج الذهب ـ الحسن المسعودي ـ ص ٨٠ جـ ٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص ٦٣ جـ ٢. (٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١١٨ جـ ٢.

(٥) في العربية السعيدة ـ محمد بافقيه، ص ١٩١/ ٢.

الأعراب وتلك المناطق من حضرموت إلى فلاة مأرب، وقد جاء في الإكليل «أن مالك بن يزيد الصدفي سار ـ بقبائل ـ الأشبا والصدف وحضرموت لقتال سيف بن ذي يزن في يوم غيمان» فذلك المسير لمالك بن يزيد إنما هو مع مسروق بن أبرهة، فقد كان جيش الحبشة زهاء سبعين ألفاً من الأحباش والأكسوم والبربرة (أهل منطقة بربرة بالساحل الحبشي الصومالي) وزهاء ثلاثين ألفاً من اليمنيين بقيادة مالك بن يزيد الصدفي، فبذلك بلغ جيش مسروق بن أبرهة مائة ألف مقاتل ساروا معه من صنعاء إلى منطقة غيمان التي تقع في ناحية بني بهلول في جنوب صنعاء والتي وصل إليها سيف بن ذي يزن وجيشه.

ولم تذكر الروايات عدد جيش سيف بن ذي يزن سوى الستمائة فارسي الذين أمدّه بهم كسرى أنوشروان بقيادة وهرز الديلمي وقد كان جيش سيف بن ذي يزن لا يقل عن مائة ألف من فرسان وقبائل اليمن فقد ذكر نشوان الحِميري أنه «اجتمع أهل اليمن للقاء سيف فحضروا معه الوقعة» وذكر الطبري أنه «سار إليهم مسروق بن أبرهة في مائة ألف.. ولحق بابن ذي يزن بشر كثير»(١) فقد كان مع سيف بن ذي يزن:

أ ـ القَيْل حُجر بن زُرعة الخنفري ومعه الأقيال والفرسان من بني خَنفر بن سيار وآل ذي أصبح وآل الصباح وآل سُخط وغيرهم من بيوت صيفيّ بن حِمْيَر الأقيال بمناطق أبين ويافع وإب والمعافر (تعز) وغيرها، وذلك، وكما ذكر الهمداني في الإكليل: «لأنّ آل ذي يزن وآل خنفر وآل ذي أصبح بن عمرو بن الحارث ذي أصبح وآل الصباح بن شُرَحْبيل بن لهيعة كانوا إلْباً ويداً واحدة في جاهليتهم على حد القرابة والدعوة إلى صيفيّ. ويشهد بذلك قول ابن أبان الخنفري:

فَنَاديتُ في حيّ الأزون وخَنْفَرِ	ورهط بني سُخْطٍ وحيّ الأصابحِ
فجاؤوا على قُبٍّ تَغَادَىٰ كأنّها	يعاسيبُ في يوم مِنَ الدجن ساجحِ
مِنْ أبناء صيفيّ ذوي المُلْكِ والحجا	وأهل المساعي والحلوم الرواجح»(٢)

فكان جميع الأقيال من بني صيفيّ بن حِمْيَر وقبائلهم مع وبقيادة حُجر بن زُرعة تحت لواء سيف بن ذي يزن في المعركة ضد الأحباش ومالك بن يزيد الصدفي مؤازر مسروق بن أبرهة في يوم غيمان، ويدل على ذلك قول حُجر بن زُرعة:

لنا فخر غيمان في مشهد	بَدَا الفخر فيه لِمَنْ يفتخرْ
بكلِّ قضيب مِن الشرعبيّ	مُعالي الكعوبِ طويلِ العُشرْ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ١١٨ جـ ٢.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٤٤ جـ ٢.

وكـلُّ فـتـى أنْـسَـلَـتْـهُ الـمُـلـوكُ كـريـمُ الـمـسـاعـي عـظـيـمُ الـخَـطـرْ

يعني الأقيال أنسال الملوك من بني صيفيّ بن حِمْيَر ذي ريدان وفرسان قبائلهم ومناطقهم وهي سَرْو حِمْيَر والمعافر وغيرها من مناطق وسط وجنوب اليمن.

ب ـ القَيْل عمرو بن الصباح الحِميري، وكان مقر قيالة ورئاسة بني الصباح مدينة مَوْكل، قال نشوان الحِميري: «وكان ـ الصباح وابنه أبرهة بن الصباح ـ قَيْلاً عظيماً جواداً. وفيه يقول قس بن ساعدة:

وعـلـى الـذي كـانـت بِـمَـوْكِـل داره يَـهَـبُ الـقِـيَـانَ وكـل أجـرد شـاحـي

وموكل قصر على جبل في بلاد عنس»[1] وتقع موكل حالياً في ناحية صَبَاح ورداع، وكان آل الصباح أقيال موكل ورداع إلى بلاد عنس ـ بمحافظتي البيضاء وذمار حالياً ـ.

جـ ـ القَيْل سَلَامَة ذو فائش، وابنه يزيد بن سلامة ذي فائش. وكان سلامة ذو فائش قَيْل منطقة وقصر إرياب ـ في ناحية يريم ونقيل سمارة بمحافظة إب ـ وفيه قال أعشى قيس الجاهلي:

وبـالـقـصـر مِـنْ إريَـابَ لَـوْ بِـتَّ لـيـلـةً لَـجَـاءكَ مـثـلـوجُ مـن الـمـاءِ جَـامِـدُ
وذو فـائـش مِـن رأسـهِ فـوق مُـشْـرِفٍ تُـقَـصِّـرُ عـنـه الـهـاضـبـاتُ الـرواعـدُ
ومِـنْ دونـه جُـرد الـمـذاكـي وفـوقـهـا حُـمـاة بـأيـديـهـا الـسـيـوفُ الـحـواصـدُ

وقال الهمداني في الأنساب بالإكليل «أولد سَلامة ذو فائش: يزيد بن سلامة وهو أحد الأقوال الذين أَمَدّ بهم ابن ذي يزن خولان» [ص ٢٠٠/ ٢] ـ ويدل ذلك على أن سلامة ذا فائش ويزيد بن سلامة كانا مع سيف بن ذي يزن.

د ـ فرسان قبيلة بني شهاب من كندة بحضرموت ومن مخلاف شهاب بناحية بني مطر بمحافظة صنعاء، وقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه «سار بنو شهاب إلى سيف بن ذي يزن مُنْجِدين ومُنَاصرين»[2].

هـ ـ فرسان قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة الذين بمناطق صعدة وبناحية خولان بين مأرب وصنعاء، وقد تدفقوا إلى سيف بن ذي يزن وهو بمنطقة غيمان، وشهدوا معه الموقعة، وفي ذلك قال علقمة بن زيد الخولاني في قصيدته التي مدح بها سيف بن ذي يزن:

ومَـدّ إلـيـه يـوم غَـيْـمَـان إذْ دَعَـا مِـنْ أبْـنَـاءِ عَـمْـرو أشْـبُـلُ وأُسُـودُ

---

(١) شرح قصيدة نشوان الحميري ـ ص ١٧٠. (٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٢٠ جـ ١.

وكانت منطقة غيمان هي ساحة الحرب بين سيف بن ذي يزن ومعه زهاء مائة ألف من أقيال وفرسان اليمن وستمائة من الفُرس ـ من جهة ـ ومسروق بن أبرهة الذي خرج إليهم من صنعاء إلى غيمان في مائة ألف مقاتل بينهم زهاء سبعين ألفاً من الحبشة وزهاء ثلاثين ألفاً من اليمنيين بقيادة يزيد بن مالك الصدفي ـ من جهة أخرى ـ فاندلعت الحرب بين الفريقين وكان ذلك ـ كما ذكر ابن كثير ـ «السنتين من مولد النبي ﷺ»، فيكون ذلك في شهر ربيع الثاني في عام ٥٧٢ ميلادية وكان من أقيال وأبطال اليمن في تلك الحرب، حرب يوم غيمان، القَيْل عمرو بن الصباح الحِميري والقَيْل نُعامة اليزني ـ قال الهمداني في الإكليل ـ «. . وفيه يقول بعض بني عمه في حرب الحبشة:

نَادَتْ فَوارِسُنا عمرو الصباح فَتًى يـرمـي الـمـنِيَّـةَ لا عـنـهـا بِـعـرِّيـدِ
نَادَىٰ نُعَامَةُ يا عمرو النَدَىٰ فَمَضىٰ بيـن الـقيـولِ وأبـنـاءِ الـصـناديـدِ»[1]

وكذلك كان من الأقيال الأبطال يَعْلَىٰ بن سعد المالكي الخولاني زعيم خولان وقضاعة بمنطقة صعدة وكان يعلى بن سعد المالكي زعيم فرسان خولان صعدة وقضاعة في موقعة يوم غيمان، فرمى وقتل كثيراً من الأحباش بالسهام ـ النبال ـ قال الهمداني: «رَمَىٰ يعلى بن سعد بين يدي سيف بن ذي يزن، فقال سيف: أغرق المالكي في القوم، فَلَزِمَهُ لقب مُغْرِق»[1].

وكذلك كان من أبطال اليمن عمرو بن يزيد الخولاني. قال الهمداني في الإكليل: «كان عمرو بن يزيد فارس العرب، وحُمّة البلد، ولسان خولان، وشهد مع ابن ذي يزن حروبه. وخولان تقول: لم يقتلْ أحدُ مِثْل من قَتَل عمرو بن يزيد من السادة والعظماء. وعَقَلَ ـ عمرو بن يزيد ـ نفسه زُويداً ورمىٰ مالك بن يزيد الصدفي فقتله في يوم غيمان»[1] وقال عمرو بن يزيد الخولاني في ذلك:

ولـقـد جَلَسْـتُ مـجالسـاً مـحـمـودةً وحَـزَزْتُ من حَـلْقِ الـمـليـك وريـدا
فـقـتـلـتُ ذا الـتـاج الـمُـذَهَّـبِ مـالـكـاً وَلَـكُـمْ أَفَـتُّ مُـذَهَّـبـاً صِـنْـدِيـدا[1]

وكان مالك بن يزيد الصدفي ملك وقائد الأشباء والصدف وحضرموت وغيرهم من اليمنيين الذين كانوا مع مسروق بن أبرهة فلما سقط مالك بن يزيد قتيلاً تفرق سائر اليمنيين الذين كانوا مع مسروق بن أبرهة وكانوا زهاء ثلاثين ألفاً فانسحبوا وانصرفوا من ساحة الحرب في غيمان، ففتك أقيال وفرسان اليمن الذين مع سيف بن ذي يزن بالأحباش وسقط مسروق بن أبرهة قتيلاً. وكان للشاعر القَيْل

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٧ و٣٠٧ و٣٧١ جـ ٢.

حُجْر بن زُرعة الخنفري والأقيال والفرسان الحِميريين الذين معه دوراً كبيراً في تلك الموقعة التي تتوجت بالنصر، وقد جاء في تاريخ الطبري وغيره من المصادر أنه: «انكشفت الحبشة وقُتِلَ منهم نحو ثلاثين ألفاً بينهم مسروق بن أبرهة وخوّاص الحبشة، ولحق الحِميريون بمن هرب من الحبشة فأسروهم وامتلكوهم»(١) وقال نشوان: «انهزمت الحبشة، وكان أهل اليمن حضروا الوقعة مع سيف، فقُتِلت الحبشةُ قتلاً عظيماً، ومَلَكَ أهل اليمن مَنْ سَلَمَ منهم من القتل»(١) وقال عَدِيّ بن زيد العَبّادي عن ذلك اليوم ـ وهو يوم غيمان ـ ومطاردة اليمنيين للأحباش:

يوم يُنَادون: آل بَرْبَرَةَ والأ ... كسوم لا يُفْلِحَنَّ هَارِبُها
وكان يومُ باقي الحديث وزا ... لَتْ أُمّةٌ عن مَرَاتِبها(١)

وقال حجر بن زُرعة الخنفري يذكر دوره هو والذين معه في ذلك النصر العظيم القصيدة التي ذكر الهمداني في الإكليل أبياتها السبعة التي سلف إيرادها والتي منها قوله:

لنا فخرُ غَيْمَان في مَشْهَدٍ ... بَدَا الفخرُ فيه لِمَنْ يفتخرْ
بكلّ قَضِيبٍ مِنَ الشرعبيِّ ... مَعَالي الكعوب، طويلِ العُشَرْ
حديثِ الثِقافِ، ذليقِ اللسان ... خفيف المهزِّ، شخيصِ الثمرْ

وقال حفيده ابن إبان الخنفري في أبيات بالإكليل:

ونحنُ نَصَبْنَا يوم غَيْمَان عارضاً ... . نُحَامِي عَلَى العِزِّ الذي أسّ يعرُبُ
ورُحْنَا لواء العِزِّ يَخْفقُ فوقنا ... كذاتِ جَنَاحٍ في الهواءِ تَقَلّبُ

فقد راحَ ـ أي توجّه ـ حُجر بن زُرعة والأقيال مع سيف بن ذي يزن ـ ولواء العزّ والنصر اليماني اليعربي يخفق فوق رؤوسهم وكتائبهم ـ من غيمان إلى مدينة صنعاء حيث تسنم سيف بن ذي يزن سدة العرش الحِميريّ التليد في قصر غُمدان بصنعاء. قال ابن دريد الأزدي:

وسَيفُ اسْتَعْلَتْ بِه هِمَّتُه ... حتى رمىٰ أبعد شأو المُرْتَمَىٰ
فَجَرّعَ الأحبوش سُمّاً ناقعاً ... واحتلّ مِنْ غُمْدَان مِحْرابَ الدُّمَىٰ

فاستقر سيف بن ذي يزن في قصر غُمْدان بصنعاء ملكاً لكل اليمن وذلك في شهر ربيع الثاني في العام ٥٧٢ ميلادية، وقد ذكر الهمداني في شرح الدامغة أنه «. . مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة»(٢). فيكون ذلك من عام ٥٧١ ـ ٥٩٠م. وقد مكث مع

---

(١) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ١١٢٤/٢.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٤١.

سيف بن ذي يزن لما دخل صنعاء كوكبة من الأقيال وأبناء الأقيال منهم حُريز بن حُجر بن زُرعة الخنفري والحصين وميمون ابنا حريز بن حجر بن زُرعة ـ قال الهمداني ـ «وهُما ـ الحصين وميمون ـ من الأقوال التي أَمَدّ بها سيف بن ذي يزن إلى بلد خولان» ـ أي إلى خولان صعدة وذلك في سنوات لاحقة من عهد سيف بن ذي يزن، أما حجر بن زُرعة وكبار الأقيال الذين كانوا مع سيف فقد عادوا إلى مناطق قيالتهم ورئاستهم التي تواصلت في إطار الدولة الحِميرية بزعامة سيف بن ذي يزن.

* * *

مركز قِيَالة حُجر بن زُرعة . . ووفود الشعراء إليه:

كانت مناطق قِيَالة ورئاسة حُجر بن زُرعة تمتد من أسفل مخلاف المعافر (بمحافظة تعز) إلى مناطق من لحج ويافع وإلى خنفر أبين، فكانت بعض تلك المناطق تتداخل مع مناطق ذي رُعَيْن (التي تمتد من محافظة إب إلى يافع) حيث كان التراخم من أقيال ذي رُعَيْن، فوقع بينهم وبين مناطق قيالة حُجر بن زُرعة بعض الاحتكاك، فقال حُجر بن زرعة قصيدة وصلتنا منها أربعة أبيات في الإكليل وهي قوله:

أَبْـلِـغْ سَـرَاةَ بـنـي ذُهـل وإخـوتَـهـا   مِـنْ الـتَـراخِـم والأنـبـاءُ تـأتِـيـهَـا
أنَّـا شَـجَـى لَـهُـمُ فـي الـحَـلـقِ مُـنْـزَلـةً   تَـطـيـرُ مِـنْـهُ شَـظَـاةٌ فـي تَـرَاقِـيَـهـا

وقال فيها يذكر دوره في محاربة الأحباش مع سيف بن ذي يزن في يوم غيمان:

مَا زلتُ أرمي بِنَفْسِي القَوْمَ مُضْطَرِباً   حتى اسْتَفَقْتُ وقَدْ زَالَتْ رَواسِيهَا
جَادَتْ سَحَابَتُنا فيهم وأسْعَدَهَا   حُضُور آجالهم والموتُ حَادِيهَا

وكان حجر بن زُرعة قَيْلاً كبيراً وكان مقره الرئيسي القصر الذي ذكره الهمداني قائلاً: «وبأسفل المعافر قصر ذي شَمِر» وكان الشعراء يفدون إليه من داخل اليمن وخارجها، فكان ممن وَفَدَ إليه من الشعراء مالك بن عمرو الكلبي الحِميري وأعشى قيس الجاهلي والمسيب بن علس خال الأعشى. قال الهمداني: «وعُمِّرَ حُجْر بن زُرْعة عُمراً طويلاً وفيه يقول الأعشى، وكان كثيراً ما يَفِدُ إلى المعافر، وقيل هي للمسيب بن علس:

حَلَلْتُ عَلَى حُجْر بن زُرْعَة بَعْدَمَا   بَرَىٰ الجِسْمَ مِني مُشْفِقَاتُ العُوَاذِلِ
يَقُلْنَ لقد أضْرَرْتَ بالمالِ هفوةً   هُدِيتَ، فَلَمْ أَحفَل مقالة قَائِلِ
فلما رَمَاني الدهرُ فافتلَّ مَرْوَتي[1]   ورَاجَعْتُ حِلْمِي بعد مَا زَاح باطلي
فَزَعْتُ إلى مَنْ لَيْسَ يفزع مُفْزَعٌ   إلى مِثْله عند الهِنَاتِ النوازِلِ[2]

---

(١) افتلّ: وقع فيها فلول. المروة: الحجارة أو الحجارة البيضاء وهي هنا للكتابة.
(٢) الهنات: النوائب والنكبات.

فَرَوَتْ سِجَالاً مِنْهُ ظمآن هائماً وأصبحتُ مغبوطاً بأفْضَلِ نَائِلِ[١]
فَرَحّبَ مقصوداً وأغْنَىٰ مُسَرِّحاً وجَادَ بما يُعطي مُنَى كلِّ سائلِ»

وفي رحاب حُجر بن زُرعة أيضاً قال الأعشى الأبيات التي ذكر الهمداني أنه «قال الأعشى في زُرعة بن عمرو، وَقَد وَفَدَ على بعض أولاده ومدحهم:

تَسَنَّم في العُلا زُرْع بن عمرو وشَيَّدَ ما بَنَىٰ عَمْرُو وزَادَا
. . بنو الذُّلفاء أسودَ مَنْ عليها وأنْجدَ مَنْ عَلَا الحُصُن الجِيادا»

وقد سلف ذكر تلك الأبيات. . ويدل قول الهمداني « . . وكان الأعشى كثيراً ما يفد إلى المعافر» يدل بأن مقر حُجر بن زرعة كان قصره بالمعافر والذي ذكره الهمداني قائلاً: «وبأسفل المعافر قصر ذي شَمِر» وكان من أبرز الأقيال بمناطق المعافر أيضاً فهد بن النعمان بن عبد كُلال بن ذي رُعين الحِميري وفيه قال الأعشى:

ونَادَمْتُ فَهْدَاً بالمعافرِ حِقبةً وفَهْدُ سَمَاحُ لَمْ تشبه المواعدُ
ووالده نُعمان مِنْ حَفَدَاتِه رُعَيْنُ وهم قوم مُلوك أماجِدُ

وكانت قيالة فهد بن النعمان الرعيني هذا تمتد في مخلاف المعافر إلى حيس وغيرها من تهامة إلى ساحل وجزر البحر الأحمر وإلى زيلع وجزيرة بربرة في الساحل الحبشي الصومالي حيث يبدو أنه بعد الانتصار اليمني بقيادة سيف بن ذي يزن على الأحباش وحين تتبع اليمنيون الهاربين من الأحباش الذين كان منهم آل بربرة والأكسوم فقد تتبعوهم إلى ساحل الحبشة وبربرة فامتدّ الحكم والنفوذ الحِميري إلى هناك حيث جاء في الإكليل أنه «كان فهد بن النعمان هذا يُجْبِي من بلد الحبش: زيلع وجزيرة بربرة»[٢].

وكانت وفادة الأعشى إلى حُجر بن زُرعة وفهد بن النعمان وغيرهما من أقيال اليمن بعد عهد سيف بن ذي يزن ـ أي بعد عام ٥٩٠ م ـ في الفترة ما بين ٥٩٠ و٦٢٠ ميلادية، وكان حجر بن زُرْعة قَيْلاً رئيساً منذ وفاة أبيه زُرعة بن عمرو حوالي عام ٥٥٠م وقد جاء في الإكليل أنه «عُمِّرَ حُجر بن زُرعة عمراً طويلاً» فيمكن تقدير زمن قيالة حجر بن زُرعة «منذ عهد معدي كرب بن سُميفع ذي يزن وفي عهد سيف بن ذي يزن وبعد عهده) ـ وذلك في الحقبة ما بين عام ٥٥٠ و٦١٠ ميلادية، فقد توفي حُجر بن زُرعة في الجاهلية، وذلك قبل الهجرة بنحو عشر سنين أو بنحو عشرين سنة.

---

(١) قوله (ظمآن هائماً) قال الهمداني «ـ جاء ـ في الأصل (آيماً) وأظُنه هائماً ـ من الأيام وهو العطش».

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٦٣ جـ ٢.

المبحث «٤٢»

عمرو بن يزيد المجيدي

«ثاني الشعراء اليمنيين في عهد سيف بن ذي يزن»

هو الشاعر اليمني الجاهلي عمرو بن يزيد المجيدي وهو أحد الشعراء والوفود الذين وفدوا إلى سيف بن ذي يزن من داخل مناطق اليمن وخارجها مهنئين إياه بالنصر على الأحباش وبتوحيد اليمن بزعامته، فقد مدح عمرو بن يزيد المجيدي سيف بن ذي يزن بقصيدة إسْتَهَلَّ الأبيات التي وصلتنا منها قائلاً:

دَعْ عَنكَ رَبْعاً قد عَفَىٰ رَسْمُهُ ... وامْدَحْ مليكاً فَخْرَةُ المَفْخَرُ

فكان عمرو بن يزيد أول وأقدم من دعا إلى التخلي عن استهلال القصائد بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار التي عَفَا رسمها، وهو الأسلوب الذي كان أول من انتهجه امرؤ القيس بن خذام الكلبي ثم انتهجه امرؤ القيس بن حجر الكندي فاتّبَعَه في ذلك الشعراء. فقد شاع القول بأنه ـ وكما قال الأستاذ أحمد أمين في كتاب النقد الأدبي ـ «أن أبا نواس دعا إلى أنه ليس من الصدق أن نبكي على الأطلال.. فقال:

صفة الطلول بلاغة القَدْمِ ... فاجعل صفاتك لابنة الكرْمِ

.. الخ.

ولكنه لم يثبت على نظريته ولم يستمر على دعوته، بل رجع عنها، فبكى الطلول، واستعمل الغريب، وقَلَّدَ الجاهليين في شعرهم عند مدحه للأمين»[1] وكان الشاعر أبو نواس قد قال بيته المشهور:

قُلْ لِمَنْ يبكي على رَسْمٍ دَرَسْ ... واقفاً ما ضَرّ لو كان جَلَسْ

فشاع الظن عند الدارسين بأنه أول من دعا إلى التخلي عن البكاء على الأطلال وانتقد ذلك، وبالرغم من أن أبا نواس رجع عن ذلك فبكى الأطلال فالواقع أنه ليس أول من دعا إلى ذلك أو انتهج ذلك، فقبل أبي نواس بمائتي سنة ونيف قال الشاعر اليمني الجاهلي عمرو بن يزيد المجيدي في قصيدته التي مدح بها سيف بن ذي يزن:

دَعْ عَنْكَ رَبْعاً قد عَفَىٰ رَسْمُهُ ... وامدح مليكاً فَخْرَةُ المَفْخَرُ

(١) النقد الأدبي ـ أحمد أمين ـ ص ٤٧٩.

فقد قال عمرو بن يزيد ذلك سنة ٥٧٢ ميلادية، قبل الهجرة النبوية بنحو خمسين سنة بينما قال أبو نواس ما قال في أواخر القرن الثاني الهجري حوالي سنة ٧٩٢ ميلادية أي بعد عمرو بن يزيد بنحو ٢٣٠ سنة [١].

ولقد كان لعمرو بن يزيد المجيدي أشعار لم تصل إلينا كما هو الحال بالنسبة لأغلب الشعراء اليمنيين وإنما وصل إلينا من شعرهم ما استدل به وذكره المؤرخون لسبب من الأسباب أو لأنّه قيل في إحدى الحروب مثل شعر حجر بن زُرعة الخنفري أول الشعراء المذكورين في عهد سيف بن ذي يزن وعمرو بن يزيد المجيدي الذي وصلنا من شعره ما ذكره الهمداني في الإكليل بسبب ذكر آل الملك عبد شمس بن كعب وهو أحد الملوك الحِميريين الأوائل وانتماء أسلاف آل ذي يزن إليه بالأمهات حيث قال الهمداني:

«فولد عبد شمس بن كعب: ذهلاً، فأولد ذُهل بن عبد شمس: ذهلاً، وريّا، فتزوج بها زيد بن الغوث بن عوف بن عَدِي، فأولدها أسْلُم بن زيد ـ (الجد الأعلى لليزنيين) ـ . . وكانت الشعراء تمدح آل ذي يزن بولادة ذهل بن عبد شمس بن كعب أكثر من مدحهم لهم بالآباء، يوجد ذلك في أشعار وفد خولان وغيرها على سيف بن ذي يزن، من ذلك قول عمرو بن يزيد المجيدي في سيف بن ذي يزن:

دَعْ عَنْكَ رَبْعاً قَدْ عَفَىٰ رَسْمُهُ ... وامْدَح مَلِيْكاً فَخْرَهُ المَفْخَرُ
مِنْ فَرْعِ كَعْبٍ وذُرَىٰ أسْلُم ... وعبد شَمْسٍ جَدّه الأشْهَرُ
أعْلَاهُ ذُهْلُ وبَنَىٰ بَيْتَهُ ... مُسَامِيّ النَّجْم لِمَنْ يَنْظُرُ
وَقَدْ سَمَىٰ بَعْدُ بِهِ أسْلُمُ ... وَمَا اتَّلَى مَالٌ ولا خَنْفَرُ
فَجَادَ سَيْفُ وسَمَا لِلْعُلَا ... فَبَحْرهُ يَطْمَىٰ بِهِ الأبْحُرُ
ألْفَىٰ أباهُ مُنْذِراً قد سَمَىٰ ... فَشَادَ ما أسَّ له المُنْذِرُ» [٢]

فتلك الأبيات التي وصلتنا من قصيدة عمرو بن يزيد المجيدي ذات أهمية تاريخية تتجلى فيها معرفة الشاعر بالتاريخ ونظرته إلى سيف بن ذي يزن كامتدادٍ لأسلافه من الملوك والأذواء العظماء الأوائل فمدحه بأنه من فرع وسلالة ثلاثة من ملوك سبأ التبابعة الأوائل بقوله (من فرع كعب) وقوله (وعبد شمس جده الأشهرُ) وقوله (أعلاه ذُهلُ . .) فأما كعب فهو كعب بن الملك الرائد ابن همال، وكان الرائد ابن همال من كبار الأذواء القادة في عهد الملك أفريقيس بن ذي منار ملك سبأ قبل

(١) عاش أبو نواس من عام ١٤٥ ـ ١٩٨هـ الموافق ٧٦٢ ـ ٨١٣م كما في كتاب (الموجز في الأدب العربي وتاريخه) ـ ص ١٣٤.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١١٠ جـ ٢.

زمن الملكة بلقيس وقد جاء في الإكليل أنه «كان الرائد ابن همال صاحب مقدمة أفريقيس وقائد بعوثه وكان مع ذلك يتولى أعمال تهامة والحجاز واليمامة والبحرين ونجد» ولما مات أفريقيس تم تمليك الرائد ابن همال وهو «ذو مر علي وتار ملك سبأ وذي ريدان بن سمهعال» في نقوش المسند المعثور عليها في محرم بلقيس بمأرب[١].

وعبد شمس هو عبد شمس بن زيد بن كعب بن الرائد ذي مرعلي وتار ملك سبأ وذي ريدان بن سمهعال ـ الهمال ـ فأنجب عبد شمس القَيْل ذُهل وصار ذُهل من الأذواء الأملاك الثمانية وأنجب القَيْل ذهل بن عبد شمس: ذهلاً وريّا، فمات ذهل وانقطع بموته ذلك البيت أما ريّا بنت ذهل فتزوجها القَيْل زيد بن الغوث فولدت له القَيْل أسْلُم بن زيد وانتقلت مرتبة بني عبد شمس من القيالة والقيادة والأعمال إلى أسْلُم بن زيد ثم إلى بني أسْلُم، ومن سلالته اليزنيون وهم آل «عامر ذي يزن ـ الأكبر ـ ابن أسْلُم بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عَدِي بن مالك بن زيد بن سدد بن حِمْيَر ذي ريدان» ولذلك مَدَحَ الشاعر سيفاً بأنه «من ذُرى أسْلُم».

وقوله (أَلْفَىٰ أباه مُنذراً قد سَمَىٰ) يعني معدي كرب بن سُميفع والد سيف وكان يُقال له المُنْذِر فشاد وحافظ سيف على المُلك الذي امتلكه بعد أبيه، وهو مُلْك النصف الشرقي من اليمن ثم زاد سيف على ذلك بتحريره المناطق المحتلة وانضواء كل اليمن تحت ملوكيته وقد جمع الشاعر عمرو بن يزيد المجيدي وعَبَّرَ عنه أجود تعبير بقوله:

فَجَادَ سَيْفُ وَسَمَا لِلْعُلَا فَبَحْرُهُ يَطْمَىٰ بِهِ الأَبْحُرُ

* * *

ومن المفيد أن نذكر هنا أنه في ذات الفترة التي مدح بها عمرو بن يزيد المجيدي سيف بن ذي يزن بتلك القصيدة في قصر غُمدان بصنعاء، وَفَدَ إلى سيف بن ذي يزن وفود وشعراء من مكة والحجاز أيضاً. قال الحافظ ابن كثير: «لمَا ظَهَرَ سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد رسول اللّه ﷺ بسنتين، أتته وفود العرب وشعراؤها تُهنئه وتمدحه وتذكر حسن بلائه، وأتاه فيمن أتاه وفدُ قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأُميّة بن عبد شمس، وعبد اللّه بن جدعان، وخويلد بن أسد، في أناس من وجوه قريش، فَقَدِموا عليه صنعاء فإذا هو في رأس ـ قصر ـ غُمدان الذي ذكره أميّة بن أبي الصَّلت بقوله:

واشربْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً في رَأسِ غُمْدَانَ داراً مِنْكَ مِحْلالا»[٢]

(١) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢/٣٢٩.

وقال ابن خلدون: «لما اسْتَقَلّ سيف بن ذي يزن بِمُلكِ اليمن وفَدَتْ العربُ لتهنئته بالمُلْكِ ولِمَا أرجع من سلطان قومه وأباد من عدوهم، وكان فيمن وفَدَ عليه مشيخة قريش.. وفدوا في عشرة من رؤسائهم فيهم عبد المطلب بن هاشم..»[1].

وقد ألقى عبد المطلب كلمة بين يدي سيف بن ذي يزن، ورحّب سيف به وبالوفد وأمر بنزولهم في دار الضيافة والوفود فمكثوا ثلاثين يوماً، ثم دعا سيف عبد المطلب ـ على انفراد ـ وبشّره بالنبي محمد ﷺ، ثم دعا بقية الوفد فأكرمهم بالعطاء الجزيل. قال ابن خلدون: «وأسْنَىٰ سيف بن ذي يزن جوائز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها، لِبُعدِ غايتها في الهمة وعلو نظرها في كرامة الوفد، وبقاء آثار الترف في الصبابة شاهد لشرافة الحال في الأول، فقد ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد بمائة من الإبل وعشرة أعبُد وعشر وصائف وعشرة أرطال من الوَرِق والذهب وكرش مليء من العنبر، وأضعاف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب»[1].

وكان ممن وفد إلى سيف بن ذي يزن الشاعر أُمية بن أبي الصَّلت الثقفي فمدح سيفاً بقصيدة قال فيها:

لا يَطْلُبُ الثأر إلّا كابن ذي يَزَن ... في الحرب رَيَّمَ للأعداء أهوالا
أرْسَلْتَ أُسْداً على سُودِ الكِلَابِ فَقَدْ ... أَمْسَىٰ شَرِيدُهُمُ في الأرضِ فُلَّالا
فاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... في رَأسِ غُمْدَانَ داراً مِنْكَ محلالا
.. واشْرَبْ هَنِيئاً فقد شَالَتْ نُعامَتُهُمْ ... وأسْبِلِ اليَوْمَ في بُرْدِيْكَ إسْبَالَا[2]
تِلْكَ المكارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أبْوَالا[3]

وقد أجاز سيف بن ذي يزن أُميَّة بن أبي الصَّلت بمثل ما أجاز به رجالات وفد قريش. فلا بد أيضاً أن جائزة عمرو بن يزيد المجيدي التي أجازه إياها سيف بن ذي يزن كانت تدل على شرف الدولة وعظمتها وتدل على بقاء آثار الترف في الصبابة وهو شاهد لا تخطىء دلالته على شرافة الحال في الأول.

* * *

ولعمرو بن يزيد المجيدي أيضاً شعر ذكره الهمداني في حديثه عن أنساب

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٩٦.

(٢) شالت نعامتهم: أي هلكوا يعني الأحباش. اسْبِلْ بُرديك: أي أرسل وأرخي ثوبك اختيالاً. والبُرد: ثوب ملوك وأقيال اليمن.

(٣) قعبان: تثنية قعب وهو قدح يُحلبُ فيه. وشيبا: خُلطا ومُزجا. وقد جاء قوله (لا قعبان) على لغة قديمة للعرب، كانوا يُلزمون المثنىٰ الألفَ في الأحوال كلها.

قضاعة بن مالك بن حِمْيَر، ومنهم خولان وبنو مجيد، لأن بني مجيد من بني حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، ومنطقة بني مجيد هي في تهامة اليمن ـ بمحافظة الحديدة حالياً ـ.

قال الهمداني: «وأنشدني رجال من خولان لعمرو بن يزيد من قدماء بني مجيد بن حيدان بن عمرو بن الحاف:

وكُلُّ أُناسٍ يَدَّعُونَ وإنَّمَا ... يريدون بالدعوى وجُوهَ المَعَاشِرِ
ومَا نحنُ إلّا عُصْبةٌ حِمْيَرِيَّةٌ ... مِنَ الجوهر المكنون خير الجواهرِ
وراثة قَحْطان بْنِ عَابر جَدّنَا ... ورثناه منه كابراً بعد كابرِ
ورثنا نبيّ اللَّه هُود بْنِ شَالِخ ... وسام ابْن نُوحٍ فخر كل مُفَاخِرِ
فنحن خيار الناس في كلّ موطنٍ ... وخُطّابهم بالفَصل فوق المنابرِ

وبنو مجيد هؤلاء أشدُّ النّاس عصبيةً في الحِميريَّة»[1]. أي أشد الناس اعتزازاً بنسبهم الحِميري القحطاني العريق. وقوله «وراثة قحطان بن عابر جدنا» يعني قحطان ابن النبي هود عليه السلام لقول علماء اليمن الأوائل أن النبيّ هود اسمه (عابر) بمعنى أن اسمه يتكوّن من كلمتين (هود عابر بن شالخ) وهو سليل سام ابن النبيّ نوح عليه السلام، قال حسان بن ثابت الأنصاري:

ويَعْرُبُ يَنْمِيهِ لقحطان ينتمي ... لِهُودٍ نبيّ اللَّه فوق الحبائكِ
يَمانُون عَادِيُون لَمْ تختلط بِنَا ... مَنَاسِب شَابَتْ مِنْ أُولىٰ وأولئك

وتدل أبيات عمرو بن يزيد هذه وأبياته تلك في سيف بن ذي يزن على معرفته بالتاريخ والجذور عبر الأزمنة والعصور.

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٢٨ جـ ١.

المبحث «٤٣»

كَثِير بن الصَّلْت الشِّهَابيّ

«ثالث شعراء اليمن في عهد ابن ذي يَزَنْ»

هو الشاعر والقائد كثير بن الصَّلْت ابن المُسَلِّم الشهابي الكندي، أحد قادة وفرسان قبيلة بني شهاب التي آزرت وناصرت سيف بن ذي يزن في موقعة يوم غيمان والقضاء على الأحباش ـ عام ٥٧٢ م ـ. قال الحسن الهمداني في الإكليل: «وكان أصل من وقع بصنعاء من بني شهاب ويمشرقها من صعدة، أنهم ساروا إلى آل ذي يزن مُنجدين ونَاصِرين. . »(١) وكان منهم الشاعر القائد كثير بن الصَّلْت الشهابي وهو القائل في قصيدة له بين يدي سيف بن ذي يزن:

إنِّـي لَـمِـنْ كِـنْـدَة الـشُّـمّ الـذيـن إذا ... جَرُّوا الرِمَاح أزالوا نَخْوَة البَطِنِ (٢)

والضَارِبِينَ حَبِيك البِيضِ إنْ نَزَلُوا ... ضَرْبالمُورعِ عن أحواضِ ذي العَطِنِ (٣)

وفي نسب قبيلة بني شهاب قولان: «فَنُسابُ حِمْيَر تقول: هو شهاب بن العاقل ابن الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ـ بن مالك بن حِمْيَر بن سبأ ـ. وقِيل: بل هو شهاب بن العاقل بن ربيعة بن وهب بن الحارث الأكبر بن معاوية بن مرتّع بن كندة (الكندي) بن مرتع بن معاوية بن كندي بن عفير بن عَدِي بن عفير بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ»(٤).

ولعل القول بأنهم من بني الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ـ بمنطقة صعدة ـ يعود إلى أن فرقة من بني شهاب انتقلت من منطقة كندة وسكنت مع قبيلة خولان بصعدة منذ زمن متقدم حين انتقلت عشائر من خولان من منطقة خولان (بين صنعاء وصرواح ومأرب) ـ إلى منطقة صعدة بقيادة حُجر بن ربيعة الخولاني فقد جاء في الإكليل: «إن حُجْر بن ربيعة بن سعد بن خولان خرج من

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٢٥ جـ ١.

(٢) النخوة: الزهو. البطن ـ بكسر الطاء ـ النهم والبطر.

(٣) البيض: السيوف. إن نزلوا: أي إذا حاربوا.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٥٥ جـ ١.

صرواح مُتَاقاة لبعض ملوك حِمْيَر[١] فَمَرَّ بحقل صعدة وهو قليل السكن، فاختط فيه واقتطع هو ومن معه. ثم نزل عليه بنو شُهاب ـ الكنديون ـ فسألوه الحلف والمظافرة لمّا أعجبهم حقل صعدة، فأجابهم إلى ذلك. وأشركهم في الحِمَىٰ والسبوق[٢] فسكنوا صعدة من يومئذٍ» ـ قال الهمداني ـ «وحجر بن ربيعة هو الذي حالف شِهاب بن العاقل من كندة يوم خرج حُجْر من صرواح، فسكنوا جميعاً في حقل صعدة.. وفي ذلك قال ابن كنيف الشهابي:

عَلَى حلف حُجْرٍ حَازَتْ الحَقْلَ مَعْشَري ... تُطاعِنُ عَنْه بالرماح الشَّوَاجِر»[٣]

فسكن بنو شهاب بمنطقة صعدة في ظل رئاسة حجر بن ربيعة الخولاني القضاعي ثم أولاد حُجْر بن ربيعة ومنهم شُرحبيل بن حُجر، وفيه يقول صاعد الشهابي ـ عم كثير بن الصَّلت:

لـقـد لَـبَسَ الـمـكـارمَ واحـتـواهـا ... لَـعَـمْـرَكُـم شُـرَحْـبِـيـلُ ابـن حُـجْـرِ

أخـو الـغـارات مُـرتـكـب الـمَـعَـالـي ... ومُـعْـطِـي كـلِّ مَـوْجُـودٍ وذُخْـرِ

وكان حفيده عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن أسامة بن أرطأة بن شرحبيل بن حجر رئيس خولان وقضاعة بصعدة وأعالي اليمن في عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان بأواسط القرن الخامس الميلادي وحتى زمن موقعة خَزَازَى التي نَاصَرَ فيها عمرو بن زيد الخولاني الملك سَلَمَة بن الحارث الكندي ـ عم امرىء القيس ـ حوالي عام ٥٣٠م. وقد تكاثر بنو شهاب بمنطقة صعدة وصاروا قبيلة كإحدى قبائل خولان بن عمرو بمناطق صعدة مع اعتزازهم وذكرهم لنسبهم بأنهم من كندة.

وقد أورد الهمداني أبياتاً قال إنها لكثير بن عمرو الشهابي فقال القاضي الأكوع في الهامش «لا أعرف عن الشاعر المذكور شيئاً» وأقول قد يكون هو نفسه (كثير بن الصّلت الشهابي) لأن الصّلت لقب فقد يكون اسمه عمرو، فبذلك يمكن أن نعرف ونستنتج أن (كثير بن عمرو الشهابي) هو نفسه الشاعر كثير بن الصلت الشهابي، والأبيات هي قوله:

لنا العزّ مِنْ خولان في عقر دارها ... وكندة قومي في الفروع النواضر[٤]

إذا حُصِلَتْ أنسابُ كِنْدَةَ أصبحت ... مَـنـاسِـبُـنـا تـزهـو عـلـى كـلِّ مَـفْـخَـرِ

---

(١) المتاقاة: أن يتقي أحدهما الآخر تجنباً للشر والفتنة حتى تبقى العلاقة الطيبة.

(٢) السبوق: ما سبقوا إليه من إحياء الأرض واختطاطها وتعميرها.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٩٧ جـ ١.

(٤) النواضر: من النضارة، وهي الحُسن والبهجة.

لنَا الفضلُ مِنْها والفضائل والعُلَىٰ إذا انْتَسَبَتْ في عزِّها والأواصِرِ
بنو الشيخ كِنْدِيّ بْنِ ثورِ ابْنِ مَرْتَعٍ تبحبح في أصلٍ كريم العناصِرِ
أَحَلّ بنيه في ذرى عقوة الحِمَىٰ مع القِرْم حُجْرٍ في رفيع المناظر[١]

وقد انطلق كثير بن الصَّلت الشهابي مع فرسان ورجالات قبيلة بني شهاب ـ بأكملها ـ ومع قبائل خولان بن عمرو مُجيبين وناصرين للملك سيف بن ذي يزن لما استنفر أقيال وقبائل اليمن لمحاربة الأحباش في المنطقة المحتلة من اليمن فشهدوا معه موقعة يوم غيمان والقضاء على الأحباش، وفي ذلك قال علقمة بن زيد السحاري الخولاني:

ومَدّ إليه يوم غيمان إذْ دعا مِن أبناء عمرو أشْبُلٌ وأسُودُ

وقال عمرو بن يزيد العوفي الخولاني يذكر دور بني شهاب في الحرب:

وكندة أحلافُ بحُجْرٍ وقَبْلها تَمَكّنَ في فرعيْ قُضَاعة مَنْصِبُه
شعارهُم في الحرب دعوة كِنْدةٍ إذا حَانَ مِنْ وِرْدِ المَنِيَّة مَشْربُه

واستجاب أكثر بني شهاب لرغبة سيف بن ذي يزن بأن يسكنوا بصنعاء وما حولها وأقطعهم ومَنَحَهُم المناطق التي استقروا بها. وعن ذلك قال الحسن الهمداني في الإكليل: «وكان أصل مَنْ وقع بصنعاء من بني شهاب وبمشرقها من صعدة، أنهم ساروا إلى آل ذي يزن مُنْجِدين ونَاصِرين، فأقطعتهم حِمْيَرُ ـ (أي الدولة الحميرية) ـ هذه المكارم التي لهم بازال وما حولها[٢] منها بيت سبطان بنهرها وضِيَاعَها[٣] وعضدان، وسَحَرْ، ومواضع كثيرة بالمشرق[٤]. وبالْرَحبة مَيْفَعة وجَدِر[٥]، ولهم أكثر حقل صنعاء ومنه ميدان عبّاد بن الغمر الشهابي..»[٦] ولعل قيام سيف بن ذي يزن بمنح بني شهاب تلك المناطق والأراضي واستقرارهم بها يرتبط بقيامه بتوطين الفُرس الأبناء ـ الستمائة ـ الذين أمدّه بهم كسرى في صنعاء لأنّ كسرى وهبهم إياه، فحرص

---

(١) العقوة: ما حول الديار.
(٢) قال القاضي الأكوع في الهامش «لعل ما حول صنعاء هو المعروف بمخلاف بني شهاب الذي يطلق عليه تارة بلاد البستان، ومنه حازة بني شهاب، وكل ذلك غربي صنعاء» ـ أي في مديرية بني مطر حالياً.
(٣) بيت سبطان هي قرية بيت زبطان حالياً. وتقع في الجنوب الغربي من مدينة صنعاء.
(٤) عضدان: هي عطان حالياً بضواحي صنعاء. وسَحَر: قرية ووادي سَحَر في سنحان جنوب شرق صنعاء. والمشرق: مشرق صنعاء بخولان وسنحان.
(٥) جدر ـ بفتح الجيم وكسر الدال ـ قريتان كبيرتان في قاع الرحبة شمال صنعاء.
(٦) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٢٦ جـ ١.

سيف بن ذي يزن على أن تكون بجانبهم وبالقرب منهم قبيلة يمنية عربية قوية حتى لا يكون للأبناء الفُرس تأثير في المستقبل مما يدل على بُعد نظر سيف بن ذي يزن حين منح بني شهاب تلك المناطق بصنعاء وما حولها وجَعَلَهُم يستقرون بها، وهم أكثر بني شهاب، بينما رجع بقية بني شهاب مع قبائل خولان صعدة إلى منطقة صعدة وأعالي اليمن وفيهم كثير بن الصّلت الشهابي وعمرو بن يزيد العوفي ويَعْلىٰ بن سعد الخولاني، وكان الثلاثة من الشعراء الفرسان الذين شهدوا يوم غيمان.

وبعد نحو عشر سنوات من عهد سيف بن ذي يزن وقعت حرب قبلية بين قبائل خولان وقضاعة ـ من جهة ـ وبين قبائل هوازن وبني سُليم ـ النجدية الحجازية ـ من جهة أخرى، حيث أغارت قبائل هوازن وبني سُليم على مناطق خولانية قضاعية في شمال بلاد صعدة بمنطقة سَرَاة أعالي اليمن التي كانت تمتد إلى تخوم الطائف. فأتى كثير بن الصّلت الشهابي مع سبعين مُوفَداً من قبائل خولان وقضاعة إلى سيف بن ذي يزن بصنعاء يطلبون منه إمدادهم بالخيل والعتاد للرد على ذلك العدوان، فَألْقَىٰ كثير بن الصّلت الشهابي قصيدة بين يدي سيف بن ذي يزن ولم تصلنا المقاطع الأولى من القصيدة التي مدح فيها سيفاً وإنما وصلتنا منها تسعة أبيات ذكرها الهمداني بسبب تلك الحرب مع هوازن وبني سليم قائلاً: «وكان كثير بن الصّلت ابن المُسَلِّم الشهابي أحد وفد خولان على ابن ذي يزن، مُستنجدين على هوازن وبني سُليم، وكانوا سبعين رجلاً، وقال في قصيدة امتدحه بها:

يَا خَيْرَ مَنْ أَصْبَحَتْ خولانُ تأمَلَهُ ... وقد أتَتْهُ بِأُخْرى جَرْعَةُ الذَّقَنِ

مَالَ العَدُوّ عَلَيْنَا مَيْلَةَ عَرَكَتْ ... مِنَّا المُقَدم والعرقوب بالثَّفَنِ[١]

فَسَار نَحوكَ أمجادٌ غَطَارِفَةٌ ... مِنْ آلِ خَوْلانِ حمّالُون لِلمِنَنِ

هُمْ خيرُ قومِهِم، فابْسِطْ رجَاءهُم ... يثنوا بخَيْرٍ لِمَا أولَيْتَ مِنْ حَسَنِ

فاعْطِفْ عَلَيْنا بِخَيْلٍ مِنْكَ يُبْلِغُنا[٢] ... دارَ العدوّ وينفي رَيْبَة الظَنِنِ[٣]

حتى نكافئهم مثل الذي فعلوا ... إنَّ المَضِيمَ لذو بَثٍّ وذو شَجَنِ[٤]

---

(١) الثفن: اللحمة الغليظة في بطن الإبل، أو ما يبرك عليها البعير، وموصل الفخذ من الساقين.

(٢) جاء صدر البيت في النسخة المطبوعة من الإكليل «فاعطف علينا بفضل منك يبلغنا» ونرى أنه تصحيف من الناسخ أو الطباعة، لأنهم طلبوا من سيف بن ذي يزن إمدادهم بالخيول، ولعل الأصوب:

فاعطِف علينا بخيلٍ مِنك تُبْلِغُنَا ... دارَ العدوّ وتنفي ريبة الظنن

(٣) دار العدو: أي منطقة هوازن وسُلَيم فيما يلي الطائف من الحجاز. الريبة: الشك. الظنين ـ بفتح الظاء وكسر النون: المتهم، والظِنن ـ بكسر الظاء ـ جمع ظِنة بالكسر، وهي التهمة.

(٤) المضيم: المظلوم. البث: الشكوى.

كَيْلاً بِكَيْلٍ وإنْ جُرْنا فلا حَرَجٌ   فالجورُ أشْفَى لصدر الثائرِ الأحِنِ»[١]

فأمدّهم سيف بن ذي يزن بالخيول وبكتائب من الجيش الحميري والأقيال، فردّوا على غارة هوازن وبني سُلَيم بحملة على بلاد هوازن وبني سُليم أشفت الصدور، وانتهى ذلك الصراع بعودة الوئام والسلام في تلك الثغور.

ومن جيِّد شعر كثير بن الصَّلت الشهابي قوله في تلك القصيدة:

إنّي لَمِنْ كِنْدة الشُّمّ الذين إذا   جرّوا الرّماح أزالوا نَخْوة البَطِنِ

والضاربين حبيك البيض إنْ نزلوا   ضربَ المُورعِ عن أحواض ذي العطنِ

* * *

وكان لبني شهاب الذين استقروا بصنعاء وما حولها في عهد سيف بن ذي يزن دَوْرٌ هام في التصدي لأبناء الفُرس الذين تكاثروا في عهود لاحقة حيث «كان بنو شهاب أحد أبيات العرب ـ الكبيرة ـ الذين بصنعاء، وهم بنو شهاب وبنو عبد المدان، والعمريّون. فهذه الأبيات الثريَّة ـ كثيرة العدد ـ وباقي من بها من أبيات العرب فهُم البيت والبيتان والأنفار. ولم يزل بين الشهابيين والأبناء المشاقة والمنابذة والحرب والمهاجاة»[٢] فكان بنو شهاب هم حملة لواء الحميرية والقحطانية والعروبة بصنعاء، وخاصة في مواجهة الأبناء الفرس الذين فيهم قال عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي:

عبيدُ القَيْل ذي يَزَنٍ حَبَاهُمْ   له كسرى وقَلّ له الحِباءُ

وشكدته التي سِيْقَتْ إليه   عَلَى عَمَدٍ وكالهِبَة الشراء

وأخبار وأشعار ذلك كثيرة في الإكليل وغيره من المصادر ولكنها بعد الإسلام وكان عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي أشعر شعراء اليمن في عصره بعد الإسلام وله قصائد كاملة في الإكليل. ولم يزل لبني شهاب رئاسة ومكانة عالية ومنهم شعراء وأمراء منذ عهد سيف بن ذي يزن وكثير بن الصلت الشهابي وحتى ما بعد الإسلام بثلاثمائة سنة، حيث لم يزالوا من بيوت العلم والشعر والرئاسة باليمن عبر تلك الأزمنة والعصور.

---

(١) الإحن: جمع إحنة، وهي الضغن والحقد.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٢٩ جـ ١.

المبحث «٤٤»

عَلْقَمَةُ بن زَيْد السَحَاري

«صاحب أروع قصيدة جاهلية في عهد سيف بن ذي يزن»

هو الشاعر اليمني الجاهلي عَلْقَمة بن زيد، من بني سحَار وهُم صحار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر، بمنطقة صعدة وما يليها من سَرَاة وتهامة أعالي اليمن التي منها دَفَا وبَيْش، فقد كانت قبيلة صحار بن خولان ستة بطون وهم عامر وبشر وطارق وعلقمة وشبل وحاذر، كل هذه بطون كبار، ومناطقهم تمتد من نواحي سحار بمدينة صعدة وما جاورها إلى دَفَا وبَيْش، فبنو عامر بن صحار بن خولان هم ـ كما جاء في الإكليل ـ أهل الغور ما بين دَفاء إلى قيوان إلى سراة جَنْب إلى بَيْش[1]. ومنهم كان الشاعر علقمة بن زيد صاحب أروع قصيدة يمنية جاهلية في عهد سيف بن ذي يزن، وهي من دُرر الشعر ومِنْ نادر الشعر العربي اليمني الجاهلي. وقد ألْقىٰ علقمةُ بن زيد تلك القصيدة بين يدي الملك سيف بن ذي يزن في قصر غُمدان بمدينة صنعاء، ووصف فيها المناطق التي سلكها مع المُوفدين من قبائل خولان وقضاعة من منطقة دَفَا وبَيْش بأعالي اليمن إلى صعدة ثم من صعدة إلى صنعاء مروراً بمناطق قبائل همدان ـ حاشد وبكيل ـ قاصدين سيف بن ذي يزن، سائلين إياه إمدادهم بالخيول والعتاد بسبب اعتداء قبيلة هوازن وبني سُلَيم على أطراف بلاد خولان وقضاعة بأعالي اليمن، فكان علقمة بن زيد أحدُ المُوفدين من خولان، وكانوا سبعين رجلاً انطلقوا على ظهور الإبل الركائب، فوصف علقمة بن زيد المناطق التي سلكوها ـ وسلكتها بهم الإبل ـ في مسيرهم إلى سيف بن ذي يزن وصفاً شعرياً رائعاً يتخلل مَقَاطِعَهُ مدح ابن ذي يزن وذكر ما أتوا من أجله بأسلوب نادر، مما أدى إلى حفظ وتدوين قصيدته كاملة لأنها نادرة المثيل. وقد أوردها الحسن الهمداني في كتاب الصفة قائلاً: «وقال عَلْقَمَةُ بن

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٢٢ جـ ١. وقال في الصفة: إن سَرَاة خولان أولها جبل أبذر، ومن وسطها وغورها أرض ساقين وحيدان ـ ثم ما يليها ـ ودفا وقيوان.. إلى إبراق من ناحية بَيْش، ثم يتلوها سَرَاة جَنْب.. إلى أرض جُرش ثم سَرَاة الحَجر وخثعم.. وإن من الحصون المشهورة حصن دَفا وعنم وخنْفُعر من بلد خولان.. وقال «بَيْش وساحله عَثَر وهو سوق عظيم شأنها.. ثم قرية أم جحدم وهي حدّ اليمن» وذلك بأعالي سَرَاة منطقة عسير وتخوم منطقة الطائف وهي حدّ اليمن تاريخياً.

زيد بن بِشْر، أخو بني صحَار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة، يَطْلُبُ المَدَد على هوازن وبني سُلَيم، ووصفَ البلاد التي سلكها من بلده إلى صعدة ثم من صعدة إلى صنعاء ـ مروراً ـ في وسط بلد همدان ـ هذه القصيدة:

سَقَىٰ طَلَلاً بِالجَهْلَتَيْنِ رُعودُ ... وغُرٌّ سَوَارٍ سَيْلَهُنَّ مَجُودُ(١)
مَنَازِلَ مِنْ أُمّ الحُصَيْنِ عَهْدَتُها ... تَقَادَمَ مِنْهَا العَهْدُ وهوَ جَدِيدُ
وَقَدْ مَا أرَاهَا وهي جامِعةُ الهَوىٰ ... يَنُوسُ بِهَا عَصْرُ الصِّبَا وَيَرُودُ(٢)
تَقُولُ التي مِنْ بَيْتِها شَخَصَتْ بِنَا ... رَكَائِبُ أمْثَالَ العَطَائِفِ جُودُ(٣)
أَرَاكَ طَوَيْتَ الكَشْحَ هَجْراً على التي ... كَلَفْتَ بِها والقَلْبُ مِنْكَ عَمِيدُ(٤)
فقُلْتُ لَهَا: إنّي أؤَمِّلُ رِحْلَةً ... إلى مَلِكٍ مَحْضٍ نَمَتْهُ جُدودُ(٥)
إلَيْكَ ابن ذي التَاجَيّنِ سِرْنَ ركائباً ... مُوَقعةً كأنَّهُنَّ جُنُودُ(٦)
إذَا انْبَعَثَتْ غَادَرْنَ لِلسَبعِ سِتّةً ... قرىً، وقَرَاهُنَّ البِلادَ وَخِيدُ(٧)
إلىٰ طَلِقٍ لَمْ يعقدِ اللؤمُ كَفَّهُ ... وما زَنْدُه في المكْرمَاتِ صَلُودُ(٨)
نَمَاهُ إلىٰ العلْيَاءِ نَفْسٌ أبِيَّةٌ ... وبَاسٌ غَدَاةَ البأسِ مِنْهُ وجُودُ(٨)

* * *

فَلَمّا بَطَنّا السَهْلَ مِنْ تَحْتِ بَهْتَرٍ ... وأسْفَرَ مِنْ ضَوءِ الصَبَاح عَمُودُ(٩)
سَلَكْنَا بِهنَّ السَهْلَ سَهْلَ سحَامةٍ ... لها ذَمِلُ مِنْ تَحْتِنَا وسَمِيدُ(١٠)

---

(١) الجهلتين: اسم منطقة من أعالي اليمن. غُررُ سوار: سُحبُ تسري ليلاً.
(٢) قال نشوان في مادة (نوس) بشمس العلوم (تنوس: أي تَذَبذَبُ). وعصر الصِّبا: عصر الشباب. والصَّبا ـ بالفتح ـ الريح.
(٣) تقول التي من بيتها: أي زوجة الشاعر. شخصت بِنَا: خرجت بِنَا. الركائب: الإبل. العطائف: المنحنيات من طول السفر.
(٤) الكشح: ما تحت الأضلاع. وهذا تشبيه بأنه عقد العزم على أن يهجرها. كلفت بها: أي أحببتها.
(٥) ملكُ محض: ملكٌ خالصٌ من الشوائب. أي قال لها: لم أطو الكشح هجراً وإنما أؤملُ رحلة إلى الملك سيف بن ذي يزن.
(٦) ابن ذي التاجين: هو سيف بن ذي يزن. سرن ركائباً: أي الإبل. موقعة: نوع من السير المنتظم.
(٧) الوخيد: نوع من السير.
(٨) إلى طلق: أي إلى طلق المحيا، كناية عن البشوش الكريم. لم يعقد اللؤمُ كفّه: كناية عن أنه ليس ببخيل. الزند: الذي يُقرعُ منه النار. وقد مدح الشاعر في هذا المقطع سيف بن ذي يزن بثلاثة أبيات إلى قوله (نَمَاه إلى العلياء نفسُ أبيّة. . إلخ).
(٩) بَطَنا السهل: دخلنا بطن السهل. وقد عاد الشاعر في هذا المقطع إلى وصف الرحلة وأنهم دخلوا سهل منطقة بهتر.
(١٠) سلكنا بهن: أي بالإبل. سهل سحامة: بلد من مناطق صعدة. الذمل والسميد: نوع من السير الذي تسير به الإبل.

تَرَامَىٰ بِنَا مِثْلَ السَعَالِي فَجَافِجُ ... وذو خَفْقَةٍ فوق القتودِ يَمِيدُ[١]

طَوَيْنَ جُبَيْلَ الخَانِقَين بِسَحْرَةٍ[٢] ... وَمَرَّتْ بماءِ الحَبْطِ وهي تَهُودُ[٣]

وقَدْ وَدَعَتْ هَضْبَيْ ثَقِيفَ مع العَمَا ... بأَوْسَطِ لَيْلٍ، والعِبَادُ هُجُودُ[٤]

تَعَدَّت على ماءِ العُمَيْشِ وقَدْ بَدَا ... مِنَ الظُّلِّ مَيَّاحِ الجَنَاحِ رَكُودُ[٥]

إلى مليكٍ يُعطي البريَّة مَالَهُ ... يقولُ لَهُمْ: عُودُوا فسوفَ أعُودُ[٦]

* * *

فَلَمّا تَعَدّىٰ الرَّكْبُ، سَارتْ نَواعِجُ ... سَوَاءٌ عليها سَبْسَبٌ ونُجُودُ[٧]

إذا مَسَحَتْ أَخْفَافُها الأرضَ في الخُطا ... ظَنَنْتَ أُكُفّاً تَحتَهُنَّ خُدودُ[٨]

تُعَالِي إلى بابِ إمْرِىءٍ ذِي مُرَكَّبٍ ... تَكَامَلَ فِيهِ العَقْلُ وهو وَلِيدُ[٩]

أَقَبُّ طويلُ البَاعِ مِنْ بَيْتِ أَسْلُمٍ ... صَبُورٌ على رزءِ الزمانِ، جَلِيدُ[١٠]

* * *

تَرَامَتْ بِبوبَانٍ بأولِ لَيْلِها ... وماءِ أَثَافٍ، والعُرَيْبُ رُقُودُ[١١]

فَصَبَّحْنَ ذَا قَيْنٍ وكَبَّرَ وَفْدُنَا ... وقَدْ قَابَلَتْنَا أَنْجُمٌ وسُعُودُ[١١]

---

(١) قال الأكوع في الهامش «السعالي جمع سعلاة وهنَّ إناث الشياطين وهي لغة دارجة في صنعاء وجوارها».

(٢) جاء في الكتاب هنا «طوين جميل الخانقين» وهو تصحيف من الناسخ أو الطباعة، فلا بد أنه «جبيل الخانقين» وهو منطقة الخانقين بصعدة وكانت غزيرة المياه، وقام نوال بن عتيك عامل سيف بن ذي يزن بصعدة وأعالي اليمن ببناء سد الخانقين ـ أو سد الخانق ـ هناك. قال الهمداني في حديثه عن سدود اليمن بالإكليل «وسد الخانق بصعدة وهو الذي بناه نوال بن عتيك في عهد سيف بن ذي يزن، ومظهره بالخنفرين من رُحبان صعدة» [ص ١١٥/٨].

(٣) ماء الحبط: اسم موضع مياه. وهي تهود: أي الإبل. قال نشوان الحميري في شمس العلوم «التَهْوِيدُ: المَشْيُ الرُّوَيدُ».

(٤) هضاب ثقيف والعما: أسماء هضاب ومناطق مرّوا بها قبل منطقة الخانقين حتى وصلوا إلى الخانقين في رُحبان صعدة.

(٥) تعدّت على ماء العميش: أي عبرت الإبل منطقة مياه العميش في رُحبان صعدة.

(٦) إلى ملك: أي إلى الملك سيف بن ذي يزن وقد أنهى الشاعر علقمة بن زيد هذا المقطع أيضاً بمدح سيف بالجود والكرم، وأنه يقول للذين يقصدوه: عودوا فسوف أعود إلى العطاء والجود عليكم أيضاً.

(٧) سارت نواعج: أي الإبل بعد عبورها منطقة مياه صعدة. السبسب والنجود: السهول والجبال.

(٨) أخفافها: أقدام الإبل، وكانت أخفافها تدمى من السير، فشبهها بالخدود المتوردة.

(٩) تُعالي: تسير وتتوجه. إلى باب امرىء ذي مُركب: أي إلى ذي عقل راجح وهو سيف بن ذي يزن.

(١٠) طويل الباع: كناية عن علو المكانة. بيت أسْلُم: بنو أسْلُم بن الحارث الحميري الذين منهم آل ذي يزن، فمدح سيفاً هنا بأنه منهم.

(١١) تَرَامَت ببوبان: وصلت الركائب إلى بلدة بوبان من منطقة سفيان. وأثاف: أثافت وكانت تقع =

تَـؤُمُ فَتًـى مِنْ خَيْرِ مَنْ حَمَلَتْ بـه ... كَـرَائـمُ ذُهْـلٍ والْـمجِيـدُ مَـجِيـدُ[١]

تَكَـامَلَ فِيـهِ مَنْصِبٌ لَـمْ يَلِتْ بِـه ... ومُـلْـكٌ نَـمَـاهُ طَـارِفٌ وَتَـلِيـدُ[٢]

وَمَـدّ إلـيـهِ يـومَ غَـيْـمَـان إذْ دَعَـا ... مِنْ أبنـاءِ عَمْرو أشْبُلٌ وأسـودُ[٣]

* * *

وَمَالَتْ إلى رُكْنَيْ عَجِيْبٍ رِكَابُنَا ... يُـقَـلِّبُـهَـا خَـفْـضٌ لَـهُ وصُـعُـودُ[٤]

يُؤَمِّلْن نَصْراً مِنْكَ يـا خير سَيِّدٍ ... وأنْـتَ وَصُـولٌ لِـلْـقَـرِيـبِ وَدُودُ

وَحَامٍ لِسَرْحِ الجـارِ عن بُعْدِ دَارِه ... لِخَوْفِكَ عَنْهَا حيثُ كـان حيـودُ

* * *

فَلَمّـا استوينـا رأس طَوْدٍ مُنَفْنِفٍ ... هَبَطْنَ وبَطْنُ القَـاعِ مِنْهُ بَعِيـدُ[٥]

إلى الغَوْلَةِ الفَيْحَاءِ تَهْوَيْ بِفِتْيَةٍ ... أضـرَّ بـهـم مِـنَّـا سَـرَىً وسُـهُـودُ[٦]

وَقَـدْ فَـارَقَـتْ دَارَيْ جُمَـاع وأهـلـهـا ... إلـيـكَ وفـيـهـا ثـروةٌ وَعَـدِيـدُ[٧]

ودارَ أطَـاف الـكَرْمِ والـزرعُ حُـوْلـهـا ... ومـا بيـنـهـا أُطْـمُ تَـنِـيـفُ مَـشِيـدُ[٧]

= في بني صريم من حاشد. وذا قَيْن: قرية لم يبق إلّا مَاجِلُها الكبير. وبوبان وأثاف وذوقين من مناطق محافظة عمران بين صعدة وصنعاء.

(١) تؤمُ: تقصد. وقد مدح الشاعر علقمة بن زيد هنا سيف بن ذي يزن بأنه من خير من أنجبت بنات الملك ذُهل بن عبد شمس ويعني الأميرة ريّا بنت ذهل بن عبد شمس التي تزوجها زيد بن الغوث فولدت له أسْلُمْ، جد آل ذي يزن. قال الهمداني: «فكانت الشعراء تمدحُ آل ذي يزن بولادة ذهل بن عبد شمس أكثر من مدحهم لهم بالآباء». [ص ١١٠/ ٢ـ الإكليل].

(٢) مُلكٌ طارفٌ وتليد: مُلْكٌ حديثٌ وقديم.

(٣) مَدّ إليه: استجاب لسيف بن ذي يزن. يوم غيمان: يوم موقعة غيمان والنصر على الأحباش. أبناء عمرو: أبناء قبائل خولان بن عمرو. وقد مدح الشاعر علقمة بن زيد سيفاً بهذه الأبيات الثلاثة في نهاية هذا المقطع بأسلوبه النادر في هذه القصيدة ثم عاد إلى وصف مسار الرحلة.

(٤) ركنا عجيب: ركنا جبل ومنقل عجيب في شمال ريدة بمحافظة عمران. قال الهمداني «وعجيب مَنْقَلٌ رفيعٌ مصلولٌ لِلركْبِ في المحامل عليه». فوصلت الركائب إلى ركني جبل ومنقل عجيب تميل في منخفضاته ومرتفعاته. وقد أشار الشاعر علقمة إلى الغاية بقوله في البيت التالي لسيف بن ذي يزن (يؤملن نصراً منك يا خير سيد.. إلخ) بأسلوبه المتميز في القصيدة.

(٥) الطود: الجبل. طود منفنف: جبل منفنف. وجاء في عجز البيت بالكتاب (هبطنا) وهو تصحيف وإنما هو (هبطنَ) أي الإبل الركائب من جبل منفنف وهو نقيل الغولة ويُطِلُّ على قاع البون في عمران.

(٦) الغولة: شِعْبٌ عظيم له غولٌ أي عُمق، ومنه يمتد الطريق إلى صنعاء، والغولة: ما انحنى من الأرض.

(٧) فارقت داري جُماع: أي فارقت مناطق جُماعة في صعدة. وفارقت دار أطاف وما بينها هناك، والأطم والآطام: الحصون.

وَمَالَتْ إلى أجْزَاعِ حَيْفَةِ ضُمَّراً شوازِب في تِسْيَارِهنّ وئِيدُ

❊ ❊ ❊

فَلَمّا رأيْنَا مِنْ أزَال قُصُورَهَا تَبَادَرَ مِنّا مُخْبِرٌ وبَرِيدُ[١]
ولَمْ نَرَ إلّا مردَفِ الأرض دحْلَةً[٢] لإعظامِهَا داراً ونحنُ حفُودُ[٣]
أبَا مُرَّةَ الفَيّاضَ يا خيرَ حِمْيَرٍ[٤] وخيرُ بني ذُهْلٍ إلَيْكَ تُرِيدُ
تُرِيدُ نوالاً مِنْ سِجَالٍ غَزِيرةٍ فأنْتَ لها في النّائِبات مُفِيدُ
شوازِبَ قد تَطْوِي نَقِيلاً وسَبْسَباً ورَوْحاً بِلَيْلٍ قَرُّهُنَّ شديدُ[٥]
وقَطَعْنَ تَيهِ الأرْضِ مِنْ دُمْنَتَي دَفَا[٦] إليكَ وقَدْ تُعْطِي المُنَىٰ وتَزِيدُ
صَرَفْنَ إليكَ القَوْمَ تَدْمَى كُلُومُهُمْ[٧] لِيَنْدمل قَرْحٌ مِنْهُمُ ولُهُودُ
ويَرْتَاشُ قَرْحٌ مِنْهُمُ ذو تَمَرُّط[٨] ويَفْتَاقُ يوماً مِنْكَ وهو سَدِيدُ
وتَصْدُرُ مِنْكَ بالتي تتركُ العِدَىٰ[٩] عَبَادِيدَ مِنْهم خائفٌ وشَرِيدُ
لَعَمْرُكَ ما أُدْلِي بغيرِ مَودّتي ومَا لي سوى ما قد عَلِمْتَ شُهودُ»[١٠]

❊ ❊ ❊

---

(١) أزال: مدينة صنعاء وكانت قصورها وأعظمها قصر غُمدان يراها الناس من خارج وضواحي مدينة صنعاء.

(٢) جاء في آخر صدر البيت بالكتاب «رحلة» وهو تصحيف، والأصوب (دحلة) أي أن الإبل جعلت الأرض دحلة بأقدامها ابتهاجاً وتعظيماً لصنعاء.

(٣) قوله (ونحن حُفود) جاء في مادة (حفد) بشمس العلوم «المَحْفِدُ: واحدُ مَحَافِد الثَّوب وهي وَشْيُهُ. والمَحْفِد: واحد المحافِدِ وهي قصور الملوك التي فيها الحَفَدَةُ وهم الأعوان».

(٤) أبا مُرّة كنية سيف بن ذي يزن، وجاء في بداية هذا البيت بالكتاب (أبا مُنذر الفياض) والصواب أنه كان يُكنى (أبا مُرّة).

(٥) قوله (وروحاً) أي رياحاً. وقرُّهُن: بردهن.

(٦) تيه الأرض: شاسع الأرض. دَفا: حصن دفا بأقصى أعالي اليمن من تهامة عسير. قال الحارث بن عمرو الخولاني:

ويسنم دار العزّ مِن دمنتي دَفا إلى أسفل المعشار فرع التهائم

(٧) جاء بداية هذا البيت بالكتاب «صرفتُ إليك القوم» وهو تصحيف وإنما هو «صَرَفْنَ إليك القومَ» أي الإبل الركائب، فالسياق هو عن الإبل التي تحمل القوم الموفدين إلى سيف بن ذي يزن. تدمى كلوهم: تدمى جراحهم.

(٨) جاء في الأصل «ويرتاش قدحُ» ولعل الأصوب إنما هو «قرحٌ» ولذلك قال (ويفتاق). وقوله (ذو تمرط) جاء في شمس العلوم أن (المُراطَةُ ما سَقَط عن المَرْط) وبذلك يستقيم المعنى.

(٩) جاء في الأصل «ونصدر منك» ولعل الأصوب «وتَصدر منك» أي الإبل.

(١٠) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧.

وقد أكرم الملك سيف بن ذي يزن الشاعر علقمة بن زيد وبقية المُوفدين السبعين الذين معه ومنهم الشاعر كثير بن الصَّلت الشهابي والشاعر عمرو بن يزيد العوفي والشاعر الرئيس يَعْلى بن سعد المالكي الخولاني، وأَمَدَّهُم بالخيول والعتاد وبكتائب من الجيش الحميريّ الرسمي والأقيال، فجعلوا العدو عباديد، وفي ذلك قال عمرو بن يزيد العوفي:

مِن أَسْفَلِ غُمْدَانٍ جَلَبْنَا جيادنا   تَرَامَىٰ إليكم بالمُثقفة السُّجْم

فتمَّ تأديب هوازن وأشياعها بجهات الطائف ونجد، ولكن الأهم من ذلك أن قصيدة علقمة بن زيد سالفة الذكر التي ألقاها بين يدي سيف بن ذي يزن بقصر غُمْدَان بصنعاء ـ قبل الإسلام بنحو أربعين سنة ـ هي أروع قصيدة جاهلية في ذلك الزمان.

المبحث «٤٥»

يَعْلَى بن سعد المالكي

«خامس الشعراء الرؤساء في عهد ابن ذي يزن»

هو الرئيس الشاعر يعلى بن سعد بن عمرو بن زيد بن مالك (المالكي) بن زيد بن أسامة بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حُجْر بن ربيعة الخولاني القضاعيّ. وهو ـ كما جاء في الإكليل ـ «يعلى بن سعد المالكي صاحب حصن تلمص. وهو القائل:

إذا ما المرءُ سَارَعَ في هَوَاهُ   فَدَعْهُ ورَأيَهُ فِيمَا يُرِيدُ
فإنْ نَازَعْتَه رَسْناً لأمرٍ   فأنْتَ لَهُ عَدُوٌّ أو حَسُودُ»[١]

ويَعْلىٰ بن سعد هو حفيد الرئيس الشاعر عمرو بن زيد الذي ترأس قبائل خولان وقضاعة في صعدة وسَرَاة أعالي اليمن منذ عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) وشَهَد موقعة خَزَازَى (حوالي عام ٥٢٩م). وقد ترأس خولان وقضاعة بعده: حُجر بن سعد بن عمرو بن زيد، وهو الأخ الأكبر ليعلى بن سعد، وفيه قال ابن أبان أو غيره:

وحُجر ابن سعد كان ربّ قُضَاعة   وعمرو ابن حُجْر فهو أعلى وأسْمَحُ[٢]

وكان حُجْر بن سعد شاعراً، فقد ذكر الهمداني أنه «قال أبو زُرعة حُجْر بن سعد، أخو يعلى بن سعد:

أَقَمْنَا على صرواح سبعين حجةً   وسبعة أعوام ونحن ملوكها[٣]
فأَصْبَحَ ذاك المُلك بُدِّد شَمْله   كذاك الليالي ليس يَبْلَىٰ مسوكها»[٤]

ثم ترأسَ يَعلىٰ بن سعد، كما ترأس عمرو بن حجر بن سعد، فكان مقر يعلى بن سعد حصن تلمص بصعدة، وجاء في (قصة الأدب. .) ـ «أن يعلى بن

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٧ جـ ١.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١١ جـ ١.
(٣) صرواح: مدينة صرواح بمأرب، وكان قد تولى الحكم فيها ملوك قدماء من خولان ٧٧ سنة في العصور الأقدم.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٠ جـ ٨.

سعد قد عاصر سيف بن ذي يزن وشهد مواقعه»[1]. فقد كان يعلى بن سعد من الرؤساء الفرسان الذين انطلقوا مع قبائلهم مؤازرين لسيف بن ذي يزن، فشهد يعلى بن سعد موقعة يوم غيمان والقضاء على الأحباش والذين معهم من الأعراب ـ في تلك الموقعة ـ حيث كما جاء في الإكليل: «رَمَىٰ يَعْلىٰ بن سعد المالكي بين يدي سيف بن ذي يزن فأجاد، فقال سيف: أغرق المالكي في قوسه، فلزمه لقب مُغْرِق»[2]. وقد كان ذلك حوالي سنة ٥٧٢ ميلادية، مما يشير إلى أن مولد يعلى بن سعد كان حوالي عام ٥٣٠م لأنه كان رئيساً وقائداً مع سيف بن ذي يزن في يوم غيمان وكان أحد كبار القادة الذين دخلوا معه صنعاء آنذاك ـ عام ٥٧٢ ميلادية ـ.

وقد ذكرت المصادر التاريخية يعلى بن سعد بأنه (صاحب حصن تَلمُصْ)، وهذا يشير إلى أنه عرض على سيف بن ذي يزن أن يقيم عامله على صعدة وسَرَاة أعالي اليمن في حصن تَلمُصْ، وكانت صعدة وسراة أعالي اليمن إلى تخوم الطائف ونجد غير مشمولة بحكم الدولة ـ قُبيل عهد سيف ـ وإنما كانت تحت حكم رؤساء قبائلها ومناطقها، فانضوت تلك القبائل والمناطق تحت حكم سيف بن ذي يزن، وبعث سيف عاملاً اسمه نوال بن عتيك على صعدة وسراة أعالي اليمن، فسار نوال مع يعلى بن سعد وفرسان ورجالات خولان صعدة، فاستقر نوال في حصن تَلمُصْ بصعدة ـ الذي هو حصن يعلى بن سعد ـ. قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «كان نوال بن عتيك، والٍ للملك سيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة وما جاورها من نجد والحجاز، وكان ذا جبروت وعسف، وكان يُلَقَّبُ بنازع الأكتاف، وكان مقر إمارته حصن تَلمُصْ، وفيه يقول الشاعر:

تَلْمُص القِبَابِ في تَلمُصِ ... كالبيضِ من تحت الجَلَا المُجَلَّصِ
فيه نوال مثل ثعبان النصي ... فَحْلُ لديه كل فحلٍ كالخصي
ودونه الخُدَّام غير نُكَّصِ ... يعصون بالأسياف من غير العصي
كَمْ من قتيل لنوالٍ مُقْعصِ ... ومِنْ جريحِ بدم مُغْمَصِ
وكَمْ قميص قبله لم يُقْمَصِ ... أصبح تحت المجلس المجصَّص
يَرَىٰ بِعَيْنٍ مِنْ خِلَال الخِصصِ ... وينثني ببيعه والقصص»[3]

فكان نوال بن عتيك والياً لسيف بن ذي يزن على مناطق صعدة وسَرَاة أعالي اليمن التي منها مناطق قضاعة وخثعم ـ في عسير وتبالة وبيشة ـ حتى تخوم الطائف

(١) قصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٣٦.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٧ جـ ١ + قصة الأدب ـ ص ٢٣٦.
(٣) الإكليل ـ الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٧٥ جـ ١.

وما يليها من تخوم نجد والحجاز. وبذلك كان حكم سيف بن ذي يزن يشمل كل أرجاء اليمن بمدلولها ونطاقها التاريخي القديم. وقام نوال بن عتيك ـ عامل سيف بن ذي يزن ـ بتشييد سد الخانق في صعدة، فقد ذكر الهمداني في حديثه عن سدود اليمن بالإكليل ذلك السد قائلاً: «سد الخانق بصعدة، وهو الذي بناه نوال بن عتيك في عهد سيف بن ذي يزن، ومظهره بالخنفرين من رُحبان صعدة»[1]. وقد مكث نوال بن عتيك والياً لصعدة وسَرَاة أعالي اليمن طيلة عهد سيف بن ذي يزن حيث ـ كما جاء في شرح الدامغة ـ «مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة»[2] ـ وذلك من حوالي عام ٥٧١ ـ ٥٩٠م.

* * *

وكان يعلى بن سعد أحد الموفدين السبعين من قبائل خولان وقُضَاعة إلى سيف بن ذي يزن في نحو السنة العاشرة من عهده ـ (حوالي عام ٥٨٠م) ـ بسبب قيام قبائل هوازن وبني سُليم النجدية الحجازية بغارة على إحدى مناطق خولان وقضاعة ـ وهي منطقة نَهْد في سَرَاة أعالي اليمن ـ، فجاء إلى سيف بن ذي يزن بالعاصمة صنعاء سبعون من شخصيات وفرسان خولان وقُضاعة، بينهم يعلى بن سعد، وعمرو بن يزيد العوفي، والشاعر علقمة بن زيد، والشاعر كثير بن الصَّلت، يطلبون منه إمدادهم بالخيول والعتاد للرد على اعتداء هوازن وبني سُليم، فأكرم سيف بن ذي يزن يعلى بن سعد والذين معه من رجالات خولان وقُضاعة، وأمَدَّهم بالخيول والعتاد وبكوكبة مِنْ أقيال وكتائب حِمْيَر، وقد جاء في الإكليل أن منهم: «الحصين بن حريز الخنفري، وميمون بن حريز الخنفري، وهما من الأقوال التي أمَدَّ بها سيفُ إلى بلد خولان في حرب خولان وهوازن وبنو سُليم»[3].

«ويزيد بن سلامة ذي فائش، وهو أحد الأقوال الذين أَمَدّ بهم ابن ذي يزن خولان، وإليه تُنسبُ بئر القَيْل بصعدة في شق يرسم»[4]. وكان سلامة ذو فائش اليحصبي الحميري قَيْلاً كبيراً بمناطق إرياب وما جاورها من قضاء يريم ورُعَيْن ونقيل يَسْلح ـ بمحافظة إب ـ فكان مع يزيد بن سلامة ذي فائش كتيبة من فرسان إرياب ويحصب التي كان أبوه قيلاً عليها في عهد سيف بن ذي يزن، وكذلك كان مع الحصين بن حريز الخنفري كتيبة من بني خَنْفَر بن سيار والمعافر.

وكان من الأقيال المدد أيضاً: «مُرّ بن عامر بن الحارث بن زيد بن مُرّ ذي سخيم الكلاعي الحميري». وهو من آل ذي الكلاع أقيال مناطق الكُلَاع. قال القاضي

(١) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ١١٥ جـ ٨.
(٢) شرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص ٥٤١.
(٣) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ١١٨ جـ ١.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٥ جـ ٢.

محمد الأكوع في هامش الصفة «الكلاع: كان يُطلق على العدين وبلاد ذي سُفَال وبلد حُبَيْش وبلاد إب»[١] قال الهمداني «ومُرّ بن عامر بن الحارث هو أحد الأقوال المدد لخولان.. وفيه يقول عمرو بن يزيد العوفي:

أَلَمْ تَعْلم بتصريف الليالي ويَعْلَىٰ يوم شَارَفَنا بِمُرٍّ»[٢]

فاستقر أولئك الأقيال وكتائبهم بمناطق صعدة وقضاعة، واشتركوا مع فرسان خولان صعدة وقضاعة في الهجمات على مناطق هوازن وبني سُلَيْم النجدية الحجازية. وكان يعلى بن سعد وعمرو بن يزيد العوفي أبرز فرسان خولان وقضاعة في الهجمات على هوازن وبني سُلَيْم، وفيهما قال عباس بن مرداس السُّلمي:

فَمَنْ مُبْلغُ عمرو ابْنِ عوفٍ رسالةً ويَعْلىٰ ابْن سعدٍ مِنْ ثَؤُوَرِ يُرَاسِلُه
بأني سأرمي الحقل يوماً بغارة لها منكبُ حابٍ تدوّي أوائله

وكانت الأمور قد استتبت بتلك الثغور في بقية عهد سيف بن ذي يزن حيث ـ كما جاء في شرح الدامغة ـ «مَلَكَ سيف بن ذي يزن عشرين سنة»[٢] فانتهى عهد سيف بوفاته بصنعاء سنة ٥٩٠ ميلادية، وفيه قال يعلى بن سعد المالكي في قصيدته عن نوائب الزمان:

وثَنَىٰ ابْنَ ذي يَزَنٍ فَثَلَّلَ عَرْشَهُ قَيْلَ المَقَاوُل واللُّباب الأَنْضرِ[٣]
ورَثَ الملوكَ فطَابَ مَغرس نَبْته وعَلَا بِتَاجِ المُلْك فوق المنبر»

* * *

وبعد سيف ـ وكما جاء في مروج الذهب ـ «قام معدي كرب بن سيف بن ذي يزن مَلكاً على اليمن. وكان مُلْكه أربع سنين»[٤] فيكون عهده من (٥٩٠ ـ ٥٩٣م) وقد تواصلت في عهده رئاسة يعلى بن سعد المالكي وولاية نوال بن عتيك لصعدة وسَرَاة أعالي اليمن، ومرابطة الأقيال الحميريين بصعدة، ثم أظهر نوال بن عتيك التعسف والتَجَبُّر، وفي ذلك قال أبان بن ميمون الخنفري الحميري:

يا خليليّ قِفَا أخبركُمَا بِعجيبٍ مِنْ نَوالِ بن عَتِيكْ
قام يردي صخرة ملمومةً ويُجَاري في العلا عَبْدَ المليكْ

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ١٠٢.
(٢) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ٢٧١/ ٢ـ وشرح الدامغة ـ الهمداني ـ ص ٥٤١.
(٣) قيل المقاول: ملك الملوك ـ اللباب: الخالص من كل شيء. الأنضر: المبهج الجميل المنظر.
(٤) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ص ٨٥ جـ ٢.

جئتـه بـالـنـصـح مـنـي جـاهـداً فَـجَـرَا بـي جَـرْيَ جـبّـارٍ مَـحَـوُكْ
يـا لـه مِـنْ عُـرضـة بـل فـتـنـةٍ ساقـهـا سيـفُ إلـيـنـا مِـنْ تـبـوك

فسار عمرو بن يزيد العوفي وفرقة من الفرسان إلى نوال بن عتيك فقتلوه لأنه لم يمتثل لأوامر سيده. وتم بموجب رأي يَعْلَى بن سعد المالكي تأمير القَيْل مُرّ بن عامر بن الحارث الكلاعي، ولذلك قال عمرو بن يزيد العوفي:

«ويَـعْـلَـىٰ يـوم شَـارَفَـنَـا بِـمُـرّ»

وقد استمر القيل مُرّ بن عامر بمثابة أمير في مخاليف صعدة وسَرَاة أعالي اليمن فترة امتدت زهاء ١٧ عاماً، قام خلالها بقتل الحصين بن حريز الخنفري حتى لا يُضاهيه ولا يُنافسه في الزعامة الحِمْيَرِيَّة بصعدة ـ غالباً ـ وكانت قبائل خولان صعدة تنتمي إلى (ربيعة بن سعد بن خولان) ـ الذين منهم بيت الرئاسة ـ وإلى (سعد بن سعد بن خولان)، فأَخَذَ مُرّ بن عامر باستمالة بني سعد بن سعد بن خولان بتقويتهم والتقوي بهم ـ غالباً ـ وجاء في الإكليل أن مُرّ بن عامر بن الحارث: «هو الذي قتل الحصين بن حريز الخنفري، وفَرّق خولان، وأخلّ بها إلى هوازن، ومال إلى بني سعد بن سعد بن خولان»[١] ثم إن قادة وفرسان الربيعة بن سعد بن خولان ثاوروا مُرّاً، فحاربهم فظفر به عمرو بن يزيد العوفي وعمرو بن حُجر بن سعد المالكي ـ ابن عم يعلى بن سعد ـ وفي ذلك قال عمرو بن حُجْر بن سعد:

ألا هـل أتـى أُم الـحـصـيـن بـأنـنـا سَقَـيْـنَـا ذُعـاف الـسُّـم مُرّ بـن عـامـر
بـكـل رُديـنـيّ ظـمـاءٍ كـعـوبُـه وأبـيـض مـثـل الـبرق في كفّ ثـائـر

وكان قتل مُرّ بن عامر (أول ما ظهرت دعوة الإسلام بمكة)[١]، فيكون ذلك قبل الهجرة بعشر سنين، في حوالي عام ٦١٠م، فقال يَعْلَىٰ بن سعد المالكي:

ذَهَـبَ الـزمـانُ بِـمُـلْـك آل مُـحَـرِّقٍ ورَمَـىٰ صَـفَـاتَـهُـم بـيـوم قَـمْـطَـرِ[٢]
ولَقَدْ رَمَىٰ القَيْلَ الحُصَيْنَ بِصَرْفِهِ فَثَوىٰ وأَصْبَحَ في ضَرِيحٍ مُغْدِرِ[٣]

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٧١ جـ ٢.

(٢) مُحَرِّق: لقب الملك المنذر بن الحارث بن جَبَلَة الغساني اليماني ملك العرب بالشام، كان أبوه الحارث بن جَبَلَة ملكاً للشام في الفترة (٥٢٩ ـ ٥٦٩م) وجاء في تاريخ ابن خلدون أنه «ثم مَلَك منهم المنذر بن الحارث وهو مُحَرّق لأنه حَرّق الحَيْرة دار مُلْك آل النعمان، ومَلَكَ ثلاثين سنة». [ص ٢٠١ ـ اليمن في تاريخ ابن خلدون] ـ والصفاة: الحجر الصلد، كناية عن شدتهم وقوتهم. ويوم قمطر: يوم شديد. وقد حكم محرق الغساني في الفترة (٥٦٩ ـ ٥٩٩م) وقد حكم معه وبعده أخوته وبعض أبنائه وهم آل محرّق.

(٣) القيل الحصين: القَيْل الحصين بن حريز الخنفري الذي قتله مرّ بن عامر. مُغْدِر: مُظْلِم.

وَدَحَا بِمُرٍّ في قُلَيْبٍ مُظْلِمٍ إنّ ابن عامر كان غير مُظَفَّرِ[1]
ولَقَدْ أغَارَ عَلَى ابن هَاتِكِ عَرْشَهُ وعلى الخَضَارِمِ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرِ[2]
وسَرَاة قَابُوسٍ أزالَ زَمَانُهم رَيْبُ الحوادثِ، يَا لَهُمْ مِنْ مَعْشَرِ[3]
(وبَنِي أُذَيْنَةَ قَدْ رَمَىٰ بِنَوافِذٍ)[4] كانوا الملوكَ وعبرة المُتَفَكِّرِ[5]
ورَمَىٰ ابنَ جَفْنَةَ حين طَابَ زَمَانُه في الحادثات، فَيَا لَهَا مِنْ مَعْشَرِ[6]
.. وكَبَا عَلَى اللخميّ يوم حَلِيمةٍ والخَيْلُ تركضُ في نَجِيعٍ أحْمَرِ[7]

---

(١) القليب: البئر لم تَطو. وجاء في الجزء الثامن بالإكليل «..في غدير مُظْلم». ومُرّ هو القَيْل مُرّ بن عامر الذي قُتِل حوالي عام ٦١٠م.

(٢) ابن هاتك عرشه: هو الحارث بن الحارث هاتك عرشة بن زُرعة بن ذي غيمان الحميري، كان من كبار الأقيال، وفيه قال النابغة:

بعدَ ابن جَفْنَة وابن هَاتك عرشه والحارثَيْن يُؤمِّلَنّ فَلاحَا

(٣) قابوس: هو قابوس بن المنذر اللخمي اليماني، أحد ملوك الحيرة المناذرة. وقد ذكر ابن خلدون أن «منهم قابوس بن المنذر».

(٤) جاء صدر هذا البيت في الجزء الأول بالإكليل «وابنى أذينة قد رمى بنوافذ» وفي الجزء الثامن بالإكليل «وابنا أذينة قد أنال تواقداً». والأصوب (وبني أذينة) وهم بنو أذينة بن السُمَيْدع الذين انتقلوا من اليمن إلى الشام والجزيرة الفراتية منذ زمن مبكر.

(٥) كان بنو أُذينة ملوكاً للعرب والأراميين بالجزيرة الفراتية ومشارف الشام إلى أواسط العراق قبل اللخميين والمناذرة والغساسنة، وكان أشهرهم عمرو بن الظرب. قال ابن خلدون: «كان عمرو بن الظرب بن حسان بن أُذينة مَلِك العرب بالجزيرة ومشارف الشام. وكان مقره بين الخابور وقرقيسيا.. وقامت بِمُلكه من بعده ابنته الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أُذينة» ـ فهلكت الزباء بمكيدة عمرو بن عدي بن تصر اللخمي ووزيره قصر اللخمي، فكانت الزباء آخر الملوك من بني أُذينة ثم صار المُلْكُ بالعراق للخميين الذين منهم آل المنذر وبالشام للغساسنة.

(٦) ابن جَفْنَة: هو الملك ثعلبة بن جَفْنة الغساني من أوائل الملوك الغساسنة بالشام في القرن الرابع الميلادي. وقد يكون المقصود أشهر الملوك الجَفْنيين وهو (الحارث بن جَبَلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) وقد طاب زمانه ودام حكمه زهاء أربعين سنة من عام ٥٢٨ ـ ٥٦٩م وهو الذي سار إليه امرؤ القيس بن حجر الكندي، فوجهه إلى قيصر الروم طالباً الدعم لمحاربة المنذر ملك الحيرة.

(٧) جاء هذا البيت بعد عدة أبيات في ترتيب القصيدة بالجزء الثاني من الإكليل. ويدل السياق على أن الترتيب الأصوب هنا، فقد ذكر في البيت السابق (ابن جفنة) الذي قد يكون هو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة، ثم ذكر في هذا البيت الملك اللخميّ المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وقد انتصر عليه وقضى عليه الحارث بن جبلة في موقعة يوم حليمة عام ٥٥٤م. وقد دام عهد الحارث بن جبلة الجفني إلى عام ٥٦٩م بينما حكم بالحيرة بعد المنذر بن ماء السماء ابنه المنذر بن المنذر فحاربه وقضى عليه المنذر بن الحارث بن جبلة =

وأجَاب ذو اليومين ريب زمانه عمرو ابن هِنْدٍ خيرُ آل المُنْذِرِ [١]
وملوك كِنْدَة ما أقَالَ لِحُجْرِهم خلف الحِجاب وفي الرعيل المُصْحِرِ [٢]
وأشَتّ كِنْدة يوم فَرّق جَمْعَهُم وبحيّ كِنْدَة كان عظْم المَفْخَرِ
ولقَدْ أزالَ مُلوكَ نَاعِطَ صَرْفهُ ورَمَىٰ ابنَ زُرَعةَ واستحال بِشَمَّرِ [٣]
ومَضَىٰ لذي قَيْفان دولة مُلْكِه فَعَفَا وغِيلَ بحادثات الأدْهُرِ [٤]
ورَمَىٰ ابنَ ذي يَزَنٍ فَثَلّلَ عَرْشَهُ [٥] قَيْلَ المَقَاوِل، في اللُّباب الأنْضَرِ [٦]
وَرِثَ الملوكَ وطاب مَغْرس نَبْتِهِ وَعَلَا بتاج المُلْك فوق المنبرِ
وأزالَ عُصْبة آل حيّ بالقَنا [٧] والمشرفية عن رفيع المَنْظَرِ [٨]
من حيّ سعدٍ يوم سَارَ خَمِيسُهُم وابْنَا أسَامة في زُهَاءِ العَسْكَرِ
ما زَالَ يَصْدُمَهُمْ بها عمرو النَدَىٰ فِرَقاً كأسرابِ القَطَا المُتَبَكِّرِ [٩]
حتى أتوا مِصْراً وقَدْ ذبلت بهم هَوَذات عِيسٍ كالحَنَايا ضُمَّرِ [١٠]

* * *

= الجفني في موقعة عين أباغ سنة ٥٧٩م. ومعنى (كبا): ارتمى على وجهه وخياشيمه. وجاء عجز البيت بالجزء الثاني من الإكليل «والخيل ترحض في نجيع أحمر» قال الأكوع «ترحض: تغسل. النجيع: الدم..».

(١) عمرو بن هند: هو الملك عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي. كانت والدته هند بنت الحارث الكندي عمة امرىء القيس فاشتهر باسم (عمرو بن هند) وسُمي ذا اليومين لأنه كان له يوم بؤس ويوم نعمة. وقد حكم عمرو بن هند إقليم الحيرة إلى عام ٥٧١م.

(٢) ملوك كندة: الملوك الكنديون من آل حُجر أكل المرار الذين حكموا اليمامة ونجد، وكان آخرهم حجر بن الحارث والد امرىء القيس. والرعيل: جماعة الخيل. المصحر: الذي ظهر في الصحراء.

(٣) ناعط: من المدن العواصم لمخاليف اليمن. وابن زُرْعة وشَمّر من الملوك الحميريين الأقيال.

(٤) ذو قيفان: أحد ملوك الدولة الحميرية.

(٥) جاء صدر هذا البيت في الجزء الثاني بالإكليل: «وثَنَىٰ ابن ذي يزن فثلل عرشه» وفي الجزء الثامن «ورمى ابن ذي يزن فزال بعرشه».

(٦) جاء عجز البيت هكذا في الجزء الثامن بينما جاء في الجزء الثاني «قَيْل المقاول واللُّباب الأُنضر».

(٧) آل حيّ: بنو حيّ بن خولان. القَنَا: الرماح.

(٨) جاء في الجزء الثاني «..ربيع المنظر» وفي الجزء الثامن (رفيع المنظر، وهو الأصوب لأنهم كانوا في حصن جبل خُنْفُر بصعدة).

(٩) عمرو الندى: هو عمرو بن زيد، جد يعلى بن سعد، وهو الذي حارب آل حيّ ونفاهم من بلاد صعدة، فمضوا بحراً وبراً إلى مصر.

(١٠) هوذات: جمع هوذة، وهي السنام الكبير، العيس: الإبل. الحنايا: جمع حنية وهي القوس وكل شيء معطوف. الضُمّر: هزال ونحاف البطن.

وقد أدرك يَعْلى بن سعد البعثة والهجرة النبوية، وقد كان مولد يعلى بن سعد حوالي عام ٥٣٠م وكان يَعْلَىٰ من القادة والرؤساء في عهد سيف بن ذي يزن (عام ٥٧٢ و٥٩٠م) وشَهَد مقتل مرّ بن عامر بن الحارث الكلاعي حوالي عام ٦١٠ ميلادية وذلك (أول ما ظهرت دعوة الإسلام بمكة) وكان يعلى بن سعد آنذاك في نحو الثمانين من عمره، وبلغ زهاء التسعين عند وقوع الهجرة النبوية (حوالي عام ٦٢٠م) وقد جاء في الإكليل: «أن يَعْلَىٰ بن سعد هاجر إلى النبي ﷺ» وكان يعلى قد بلغ من الكِبر عتياً، ولم تذكر تراجم الصحابة وصوله إلى النبي ﷺ. فربما مات في طريقه إلى النبي ﷺ وإما في طريق عودته إلى صعدة وهو يومئذٍ قد جاوز التسعين سنة.

المبحث «٤٦»

عمرو بن يزيد العوفي

«آخر كبار شعراء وعظماء عهد سيف بن ذي يزن»

هو الشاعر اليمني الجاهلي عمرو بن يزيد بن عمرو بن عوف (العوفي) ابن زيد بن أسامة بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حُجر بن ربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو القضاعي الحميري. قال عنه الحسن الهمداني في الإكليل:

«كان عمرو بن يزيد العوفي فارس العرب وحُمَّة البلد، وسَيّد بني عوف، ولسان خولان. .»[١] وجاء في كتاب قصة الأدب أنه: «نَادَمَ عمرو بن يزيد سيف بن ذي يزن وحضر معه حروبه، وسيف بن ذي يزن كما يقول المؤرخون استعاد مُلْك آبائه وأجداده حوالي سنة ٥٧٠ ميلادية، ولا شك أنه لا يستطيع أن يَحْضُر حروب سيف بن ذي يزن وينال لديه الحظوة والمكانة إلا وقد تَخَطى سن الشباب المبكر، وصقلته تجارب الحياة والشعر. . أي أنه وُلِد حوالي سنة ٥٤٠ ميلادية»[٢]. وأقول بل يمكن أن يكون مولده حوالي سنة ٥٥٥ ميلادية وأنه شهد مع سيف بن ذي يزن حربه ضد الأحباش والصدف والأعراب في موقعة يوم غيمان وهو شاب عمره نحو سبع عشرة سنة وذلك سنة ٥٧٢م أما مُنَادَمَته لسيف فكانت بعد ذلك بعشر سنوات، لذلك فإن الأصوب تقدير مولده بحوالي سنة ٥٥٥م.

فلما تم تمليك سيف في مناطق سرو حِمْيَر وشرق اليمن عام ٥٧١م ثم زحف لقتال الأحباش والذين معهم من الأشباه والصدف والأعراب عام ٥٧٢م كان عمرو بن يزيد العوفي من فرسان قبائل خولان بن عمرو وقضاعة الذين أقْبَلُوا من صعدة وسَرَاة أعالي اليمن مُسْتَجِيبين لنداء سيف بن ذي يزن، الذي ـ كما قال علقمة بن زيد ـ:

مَـدَّ إلـيـه يـوم غَـيْـمَـان إذْ دَعَـا   مِـنْ أبْـنـاءِ عـمـروٍ أشْـبُـلٌ وأُسـودُ

فكان عمرو بن يزيد من الأشبال الشباب الذين شهدوا يوم غيمان مع سيف بن ذي يزن، بينما في الجانب الآخر كان مع الأحباش فرقة من الأشباه والصدف أعراب

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٧١ جـ ١.

(٢) قصة الأدب في اليمن ـ أحمد الشامي ـ ص ٢٥١.

أعالي حضرموت بقيادة أميرهم مالك بن زيد الصدفي، وكان عمرو بن يزيد العوفي بارعاً في الرماية بالسهام والرماح، وقد جاء في الإكليل أنه: «شهد عمرو بن يزيد مع سيف بن ذي يزن حرب الأشباه والصَدف، فَعَقَلَ نفسه زويداً، ورَمَىٰ مالكَ بن زيد الصَدَفي المَلِك فقتله»[1] وكان مالك الصَدَفي أميراً لفرقة الأشباه والصدف وأعراب أعالي حضرموت فلما رَمَىٰ وقتل عمرو بن يزيد مالكاً الصدفي تفرقوا وتركوا الأحباش مما ساهم في النصر الحاسم بالقضاء على العدو في ذلك اليوم، فَنَال عمرو بن يزيد تقدير سيف بن ذي يزن، ومكث معه فترة بصنعاء، وكان عمرو بن يزيد يقول الشعر آنذاك وهو في نحو السابعة عشر من عمره فقال عن قيامه بقتل مالك الصدفي أبياتاً وصلنا منها بيتان بالإكليل هما قوله:

ولَقَدْ تَرَكْتُ أخا المهابة مَالِكاً ... رَهْنَ الضَريحِ مُرَمَّلاً مَدْفُونا[2]

وأنا ابنُ عَوْفٍ في فروعِ أُسامةٍ ... مِنْ خَيْرِ أَنْضَرِها ذُرىً وغُصُونَا

وقال في ذلك أيضاً أبياتاً يمكن استنتاج أنه قالها عند عودته من صنعاء مع فرسان خولان وقضاعة بالعطاء والتكريم من سيف بن ذي يزن إلى مناطقهم بصعدة، وأنّ فتاةً سألتْهُ عن أحواله لأنه ربما عاد بعطاء وجائزة كبيرة من سيف بن ذي يزن، فقال: (فعلتُ كذا، أو قَتَلْتُ مَلِكَ العدو)، فاستغربت ولم تظنه جاداً، وسألته عما إذا كان يقولُ الحق، وعَمَّا كان يفعل حقاً في الحرب، فقال عمرو بن يزيد:

أَغْشَىٰ الكُماةَ إذا تَرَاجَعَ لَحْظُهَا ... لا طَائِشاً فَرِقاً ولا رِعديدا[3]

ولَقَدْ جَلَسْتُ مَجَالِساً محمودةً ... وحَزَزْتُ مِنْ حَلْقِ المَلِيكِ وَرِيدا

وقَتَلْتُ ذا التَّاجِ المُذَهَّبِ مَالِكاً ... ولَكَمْ أَفَتُّ مُهَذَّباً صِنْدِيدَا

مَا قُلتُ إلا الحقَّ قَوْلاً فَاعْلَمي ... أُبْدي بِذَاك بَراهِناً وشُهُودا

ولم يذكر المصدر وهو كتاب الإكليل الفتاة التي قال لها عمرو بن يزيد ذلك الشعر، ونرى أن لتلك الفتاة أهمية فقد كان عمرو بن يزيد شاباً لا يتجاوز عمره سبعة عشر عاماً. وقد أَبْدَىٰ استعداده لتقديم براهين وشهود على قوله، فإذا افترضنا أنه كان يُحبّ تلك الفتاة ولم يكن أهلها يعلمون بحبهما، فإنّ تقديم عمرو بن يزيد دليلاً وشاهداً على صحة ما فَعَل في تلك الحرب سيجعل أهلها يوافقون ويبادرون

---

(١) عَقَل نفسه ـ ربط نفسه ولعل المقصود ربط ركبتيه. زويداً: جاء في الهامش (زويداً): (ذويداً) ومعنى ذود: طرد وسَاقَ ودَفَع.

(٢) المرمل: المغطى بالرمل، وهذا كقول امرىء القيس:

«ولم تُغسل جَمَاجِمهم بسدرٍ ... ولكن في الدماء مرملينا»

(٣) لحظها: مؤخر عينها. فِرقاً: خائفاً. والرعديد الذي يرتعد جبناً وخوفاً.

بقبول زواجهما، وليس هناك أفضل مَنْ يشهد على وقوع ذلك من الشاعر الرئيس يَعْلَىٰ بن سعد المالكي الذي سلف ذكر دوره في موقعة يوم غيمان وأنه أصاب جموعاً من الأحباش والأعراب فقال سيف بن ذي يزن: «أغْرق المالكي في القوم، فلزمه لقب مغرق» وكان هو صاحب حصن تَلَمُص، فمجرد معرفة أو تأكيد يعلى بن سعد لدور عمرو بن يزيد سيجعل زواجه بتلك الفتاة يسيراً وسريعاً، ويتبين مما جاء في الأنساب بالإكليل أن زوجة عمرو بن يزيد هي «الخريدة بنت يعلى بن سعد المالكي» فيمكن أن ندرك من ربط الأمور أنّ تلك الفتاة التي قال لها ذلك الشعر هي الخريدة بنت يَعْلى، وأن معرفته لدور عمرو بن يزيد وبأنّ ابنته تحبّه أدى إلى الاحتفال بزفافهما خلال أيام، وبما أن يعلى بن سعد هو صاحب حصن تَلَمُص، يمكن أن يكون الزفاف قد تم في حصن تَلَمُص، ويبدو أنه كان قلعة كبيرة داخلها قصر ومباني عديدة بحيث أقام فيه نوال بن عتيك عامل سيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة وسَرَاة أعالي اليمن، وكان قدوم نوال بن عتيك عاملاً لسيف بن ذي يزن في نفس وقت عودة يعلى بن سعد وعمرو بن يزيد وفرسان خولان وقضاعة الذين شهدوا يوم غيمان، فأقام نوال بن عتيك في قصر قلعة تَلَمُص، وكان ليعلى بن سعد عدة مباني داخل القلعة، وكان للقصر وللمباني قِبابٌ تَلْمَعُ عندما يشاهدها المرء من سهول وحقل صعدة، وفي ذلك قال الشاعر:

تَلمُصُ القِبَابِ في تَلمُصِ ... كالبيضِ من تَحت الجَلَا المُجَلّص
فيه نوالُ مثل ثعبان العصيّ

ولم يُقِمْ عمرو بن يزيد في قلعة تَلَمُص التي ربما تم فيها حفل زفافه بالخريدة بنت يعلى، ثم توجه بعد حفل الزفاف إلى ديار عشيرة عوف فأقام مع زوجته الخريدة في منزله بديار عوف بصعدة[1].

* * *

وقد تولى عمرو بن يزيد قيادة فرسان عشيرة بني عوف وغيرهم من شباب العشائر في غارات وحملات ضد شخصيات ربما أظهرت مواقف عدائية ضد الدولة، فلم يقم نوال بن عتيك ـ عامل سيف بن ذي يزن ـ بقيادة أو توجيه أي حملات ضد مثل تلك الشخصيات وأتباعها ومناطقها، وكانت مثل تلك الشخصيات ما تليث أن تسقط بحملات شبابية وشعبية بقيادة عمرو بن يزيد العوفي بحيث يبدو بمثابة قائد للقوات الشعبية بمخاليف صعدة وسَرَاة أعالي اليمن إلى تخوم الطائف وأطراف نجد والحجاز، أي إلى منتهى حدود اليمن التاريخية. وقد سقط العديد من الشخصيات

(١) أنجبت له الخريدة في سنوات لاحقة ثلاثة أبناء وهم: محكم ويعلى ويزيد، ص ٣٧٨ جـ ١ ـ الإكليل.

التي أظهرت مواقف عدائية بالحملات التي قادها عمرو بن يزيد العوفي خلال سنوات في تلك المناطق وقد جاء في الإكليل أنه «تقول خولان: لم يقتُل أحدٌ من العرب مثل مَنْ قَتَل عمرو بن يزيد من السادة والعظماء» [ص ٣٧١/ ٢].

وقد ساهمت حملات عمرو بن يزيد العوفي في انبساط ورسوخ سلطة الدولة الحميرية بالمناطق التي وَلّى سيف بن ذي يزن عليها نوال بن عتيك حيث قال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «كان نوال بن عتيك، والٍ لسيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة وما جاورها من نجد والحجاز»(١) وقد كانت مناطق قبيلة نَهد القضاعية وعشائر أزد السَرَاة هي منتهى أراضي مخاليف صعدة وسَرَاة إعالي اليمن التي كان نوال والياً عليها، وقد ذكر الحسن الهمداني في الصفة: «مخلاف صعدة من بلد خولان وقُضاعة، وبلد يام بنجران.. وبلد بني نَهْد (وهي) طريب ومصابة من ذوات القصص وكُتْنة وأراك، وتثليث (نجران) والقرارة والرّيان وجاش وذو بيضان ومريع وعبالم وغَرب والحضارة والعشتان. والبردان، والبردان بئر بتَبالَة وبالعرض من نجران. وذات ألاه وهي قُرى الدبيل وعُشر، وعاريات وسقُم وقريتهم الهجيرة». وقال الهمداني: «بلد نَهْد: من جُرْش إلى كُتْنة الهُجَيْرة. ثم يتلو سَرَاة عَنْز سَراة الحَجْر ابن الهِنْو من الأزد ثم سَرَاة غامد وسَرَاة دوس، من الأزد، ثم سَرَاة فهم وعَدْوان ثم سَرَاة الطائف»(٢) فكانت مناطق عشائر نَهْد والسَرَاة المجاورة للطائف ونجد هي آخر أراضي أعالي اليمن أما الطائف وما يليها من نجد والحجاز فقد كانت تسكنها قبائل وعشائر من هوازن وبني سُلَيْم وغيرهما من قبائل معد بن عدنان النجدية الحجازية غير التابعة ولا حتى الحليفة لدولة اليمن آنذاك حيث قامت قبائل هوازن وبني سُلَيْم باعتداءٍ على إحدى مناطق نَهْد اليمنية المجاورة للطائف ونجد، فانطلق عمرو بن يزيد على رأس حملة من بني عوف ومن شباب ورجالات عشائر خولان قضاعة بصعدة إلى منطقة نَهْد القضاعية في أعالي السَرَاة حيث رابط عمرو بن يزيد والذين معه هناك تحسباً وتخوفاً مِنْ تكرار الاعتداء عليها من جانب قبائل هوازن وبني سُلَيم المَعْدية العدنانية. قال الهمداني: «وفي عمرو بن يزيد قال بعض رجّاز نجد وفي قومه:

قَدْ عَرَّسَتْ عَوفُ بِدَارِ نَهْدِ ... في عرمة مُنكَرٍ وحَدِّ
مثل أسود غابةٍ بنَجْدِ ... فيها ابن زيدٍ كالثبيّ الأبْدِ(٣)
خَافَ عليها صَوْلَة ابن مَعْدِ»

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٧٥ جـ ١.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٨.

(٣) بنجد: بجبل. الثبي: واحد الأثبية وهي جماعة الخيل. الأبد: القوي.

ويدلُّ ذلك على أن المهام الشعبية الأمنية الحربية التي كان يقودها عمرو بن يزيد العوفي كانت تشمل الدفاع عن المناطق الحدودية من أعالي اليمن وحمايتها من الاعتداءات، ولكن القيام بعمل حربي خارج أراضي اليمن حتى للرد على اعتداء كان يقتضي إبلاغ الملك وكان يستلزم الدعم من الدولة ومشاركة قوة رسمية في العمل الحربي ـ غالباً ـ. ولذلك انطلق سبعون مُوفداً من قبائل خولان وقُضاعة بصعدة وسَرَاة أعالي اليمن إلى الملك سيف بن ذي يزن بصنعاء وكان من بين الموفدين السبعين عمرو بن يزيد العوفي، وقد مرّت على لقائه الأول بسيف بن ذي يزن نحو عشر سنين، فقد كان آنذاك ابن نحو سبع عشرة سنة فصار ابن نحو سبع وعشرين سنة، وكان سيف بن ذي يزن يسمع عن حملاته الشبابية والشعبية وأخبار فروسيته وأشعاره، ولم يكن عمرو بن يزيد من الذين تكلموا وألقوا قصائد بين يدي سيف من أولئك الموفدين، فأراد سيف أن يستثيره ليتكلم ويقول شعراً، فجرى بينهما ما جاء ذكره في الإكليل وقصة الأدب من أن:

«عمرو بن يزيد العوفي هو القائل لسيف بن ذي يزن وقد سأله عن أحواله وقال له: شِبْتَ بعدي يا أخا بني عوف، فقال عمرو:

فَمَا كِبَرٌ يُشِيبُ لِدَات مثْلي ... ولكنْ شَيّبَتْ رأسي الحُروبُ
وغاراتي بكلِّ صباح يوم[1] ... يغُصُّك عنده اللّبنُ الحَليبُ
ومختلف الرماح عَلَى لَبَاتي[2] ... كأشطانِ أَلَفَّ بها قَليبُ
فذاك هو الذي أبْلَىٰ شبابي ... وأخْلَقَهُ وبُردَيْهِ قَشِيبُ»[3]

وكان من بين الموفدين علقمة بن زيد السحاري الذي ألقى بين يدي سيف بن ذي يزن قصيدته الرائعة:

سَقَىٰ طللاً بالجهلتين رعودُ ... وغُرٌّ سوارٍ سَيْلهُن مُجُود

وكثير بن الصلّت الشهابي الذي قال في قصيدته لسيف بن ذي يزن:

فاعطفْ علينا بخيل مِنْكَ تُبلِغُنَا ... دار العدوّ وتنفي ريبة الظّنِنِ

ويعلى بن سعد المالكي صاحب قلعة تَلمُص، ومالك بن مسعود بن يزيد العوفي، وربيعة بن مسعود العوفي، فمكثوا أياماً في رحاب سيف بن ذي يزن في

(١) بكل صباح يوم: أي بصبيحة كل يوم حرب، يُقال: يوم غيمان، يوم الكُلاب، يوم جَبَلة. أي يوم معركة غيمان، يوم حرب الكلاب، يوم حرب جَبَلة، وليس المقصود صباح أي يوم.
(٢) لباتي: درعي.
(٣) قشيب: جديد.

دار الوفود والكرامة بقصر غُمدان بصنعاء، وأكرمهم سيف بن ذي يزن وأمَدّهم بما طلبوه من الخيول والعتاد، وبعدة كتائب من الجيش الحميري وبكوكبة من الأقيال منهم القَيْل مُرّ بن عامر الكلاعي والحصين بن حريز الخنفري وميمون بن حريز الخنفري ويزيد بن سلامة ذي فايش الحميري وخُمَيْر بن مالك بن الصبَّاح الحميري. فساروا مع يعلى بن سعد المالكي وعمرو بن يزيد العوفي وبقية الموفدين بالخيول والمدد والكتائب إلى صعدة وسَرَاة أعالي اليمن والمناطق الحدودية بتلك التخوم.

وقام عمرو بن يزيد العوفي ويعلى بن سعد المالكي بقيادة فرسان خولان وقضاعة في حملات ضد قبائل هوازن وبني سُلَيم بمناطق الطائف وما يليها مِنْ نجد والحجاز، وقال عمرو بن يزيد لهوازن وبني سُلَيم في تلك الحملات أبياتاً في شرح الدامغة منها قوله:

مِنْ أسْفَلِ غُمدانٍ جلبنَا جِيَادَنا ... تَرَامىٰ إليكم بالمُثقَّفةِ السُّجْمِ
عَلَقْنَاكُمُوهَا فاصبُروا لعليقها ... فإنّا نُجَليها بكلِّ فتًى شَهْمِ

وقد طال النزاع مع هوازن وبني سُلَيم بعد تلك الحملات التأديبية حيث تحوّل الأمر إلى نزاع طويل وكان يتجدد بين فترة وأخرى تنقطع خلالها الحرب عدة سنين ثم يندلع النزاع وتقع معركة كبيرة. لذلك استمرت الحرب ـ المتقطعة ـ مع هوازن وبني سُلَيم في تلك الجبهة فترة طويلة، وكان من أشهر أحداثها مقتل عَمّار بن مرداس السُّلمي على يد عمرو بن يزيد العوفي، وفيه قال عباس بن مرداس السُّلمي:

أبَعْدَ عَمَّار الخَيْر نرجو سلامة ... وقد بُتِكتْ آرابه ومَفَاصِلُه(١)
فلا وضَعتْ عِندي حَصَانٌ خِمَارُها ... ولا ظفرتْ كفي بقرنٍ أنازِلُه(٢)
لئِن لَمْ أَزُرْ خولانَ في عقر دارها ... بأرعن رجافٍ يُزَجّي قَنَابِلُه(٣)
وأشْف غليلي من سَرَاة قُضَاعةٍ ... بكلّ صقيلٍ يملأ الكفّ حَامِلُهُ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَمْرو ابن عَوفٍ رسالةً ... ويَعْلىٰ ابن سعدٍ مِنْ ثَؤُورٍ يرَاسِلُه(٤)

---

(١) بتكت: قُطِعَت. الآراب: الأعضاء.

(٢) الحَصَان: المرأة المتعففة، كناية عن الزوجة.

(٣) الأرعن: الجيش الكبير. الرجاف: المضطرب لكثرته. يُزجّي: يَسُوق، ومنه قوله تعالى: ﴿يُزجي سحاباً﴾ [النور، الآية: ٤٣]. القنابل: جمع قنبلة وهي القطعة من الخيل، قال ابن رافع الأوسي الأزدي:

فلما هَبَطنا بَطنَ مكة أحْمَدَتْ ... خَزاعةُ دارَ الآكِلِ المُتَحَامِلِ
فَحَلَّتْ أكَارِيساً وشَتَّتْ قَنَابِلاً ... على كلِّ حيٍّ بين نَجْدٍ وسَاحِلِ

(٤) الثؤور: كثير الأخذ بالثأر، والطالب بالثأر.

بأني سأرمي الحَقْلَ يوماً بغارةٍ لها مَنْكَبُ حابٍ تُدوّي أوائلُه[1]

حتى قال فيها:

وعمرو ابن عَوْفٍ كان همّي ومنيتي إذا كان لي يوماً قرينٌ أُنازِلُه
أقام بدار الغور في شَرّ منزلٍ وخَلّى بَياضَ الحَقْل يُزْهِرُ خامِلُه

وقوله: «أقام بدار الغور» يشير إلى إقامة ومرابطة عمرو بن يزيد العوفي بديار قبيلة نهد القضاعية بسبب تلك الحرب مع هوازن وبني سُلَيم، وقد اتخذ عمرو بن يزيد داراً في غور نَهْد وتزوج امرأة نهدية، فأنجبت له ابنه حكيم بن عمرو، وبه كان يُكنّى، ولم يتخلّ عن الإقامة في منطقة حقل صعدة وإنما كان يقيم فترة في غور نَهْد ـ قَدْ تطول ـ وفترة في حقل صعدة حيث داره وزوجته الخريدة بنت يعلى بن سعد المالكي، فكانت إقامة عمرو بن يزيد في غور نَهْد بمثابة مرابطة قيادية في ثغور منطقة نَهْد الحدودية بسراة أعالي اليمن، وكان ممن أقام وتولى الرئاسة بمناطق سَرَاة أعالي اليمن أيضاً القَيْل خُمَيْر بن مالك بن الصَبَّاح الحميري وقد صار رئيساً عاملاً بمدينة تَبَالَة مركز مناطق بجيلة وخَثْعم اليمنية بسَرَاة أعالي اليمن، وكان بتَبالَة معبد ذي الخَلَصَة وهو بيت كان يحجُّ إليه بعض القبائل، قال ابن كثير: «كان يُقال لبيت ذي الخَلَصَة الكعبة اليمانية.. قال البخاري: كان ذو الخَلَصَة بيتاً باليمن لخثعم وبَجِيلة فيه نَصْبُ يُعْبد يُقال له الكعبة اليمانية»[2]. وقد ذكر الهمداني أن «بلد خثعم: أعراض بيشة وتَرْج وتَبَالة» فكان خُمَيْر بن مالك بن الصَبّاح الحميري عاملاً على تَبَالة وسائر مناطق خثعم وبجيلة التي تمتد إلى تخوم الطائف، مما يستلزم أنه كان من عمال ونواب نوال بن عتيك عامل سيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة وسراة أعالي اليمن.

* * *

وقد تَصَدّى عمرو بن يزيد العوفي لنوال بن عتيك لَمّا ساءت سيرته بعد عهد سيف بن ذي يزن، وذلك تقريباً في أواخر عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن الذي حكم في الفترة من حوالي ٥٩٠ ـ ٥٩٣ ميلادية، وقد سلف ذكر بعض الأشعار التي قيلت في تعسف وتجبر نوال بن عتيك، ويُستفاد من شعر عمرو بن يزيد أن نوال بن عتيك أبَىٰ الامتثال لحكم وأمر مولاه، فلم يتبين المقصود بمولاه وإنما من المفترض أن مولاه هو الملك، لذلك افترضنا أن مقتل نوال بن عتيك كان في أواخر عهد معدي كرب بن سيف بن ذي يزن حيث سار إليه عمرو بن يزيد العوفي مع كوكبة من الفرسان فقتله، وقال عمرو بن يزيد يذكر ذلك في قصيدة له:

---

(١) الحقل: حقل صعدة. المنكبُ الحاب: الزاحف قدماً، والمرتفع قدماً.
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثر ـ ص ٣٧٥ جـ ٤.

وقَـدْ تَـركْـنَـا نـوالاً لا حـويـل لـه ... كأنّه الجَذْعُ جَذْعُ النَخْلةِ القُطُلُ(١)
لَـمَّـا أَبَـىٰ حُـكـم مـولاه دلَـفْـتُ لـه ... مـنـي بـأسْـمَـرِ ألـويـه فَـيَـنْـفَـتِـلُ(٢)
حتى اجلعبَّ على الخدّين مُنْعَفِراً ... وفـوق حـيـزومـه غـرافـةُ تَـهِـلُ(٣)
مِنْ كفّ أَصْيَد لا يخشى عواذله ... وليس يدخلُ فيه اللّوم والعَذَلُ»

وكذلك وقعت حادثة أخرى في مدينة تَبَالَة بمناطق بَجِيلة وخثعم حيث أشار الهمداني في الإكليل إلى أن «حُمَيْر بن مالك بن الصَبَّاح الحميري قتله عبد اللّه بن جابر (البَجَلي) ـ أبو جرير بن عبد اللّه البجلي ـ يوم ذي الخَلَصَة من تَبَالَة، وكان رئيس جَمْعَهُ»(٤). وقد تولى عبد اللّه بن جابر الرئاسة على بجيلة وخثعم، بينما صار القَيْل مرّ بن عامر الكلاعي الحميري أميراً في مرتبة نوال بن عتيك بمخاليف صعدة وسَرَاة أعالي اليمن، وكان تأمير القَيْل مرّ بن عامر بحسب رأي الرئيس يعلى بن سعد المالكي ـ غالباً ـ وهو ما يبدو من قول عمرو بن يزيد العوفي:

ألـم تـعـلـم بـتـصـريـف الـلـيـالـي ... ويَـعْـلَـىٰ يـوم شَـارَفَـنَـا بِـمُـرِّ

* * *

وفي تلك الفترة وقعت حرب قبلية بين قبائل قضاعة ـ التي على رأسها خولان ـ وبين قبائل مذحج اليمنية أيضاً والتي منها قبيلة زُبَيْد في مناطق سَرَاة أعالي اليمن. وكان سبب ذلك أن: «زيد بن الحارث بن عمرو بن النعمان بن الفياض، وهو من بني الحارث بن سعد بن سعد بن خولان، كان يُريدُ ميرةً من التمر من بيشة بعطان، فلقيَه ذؤبانٌ من بني زُبيد فَقَتَلُوه طمعاً في رحله، فقامت بسببه الحرب بين قُضاعة ومذحج باليمن، وفي ذلك قال أخوه عبد اللّه بن الحارث لبني زُبَيْد، وقد قتل عاصل الزبيدي:

أخـي بـأخـيـكـم إن أردتـم سـلامـةً ... وإلا فَـجِـدّوا يُـوقِـدُ الـحـرب مُـوْقِـدُ
أخـذنـا بـزيـدٍ نـفـس زيـد أخـيـكـم ... وكـانـت نـيـار الـخـوف مـنـي تَـوَقَّـدُ(٥)
فـلـسـتُ أبـالـي بَـعـدَمَـا ظَـفَـرتُ بـه ... يميني أغار الناسُ يوماً أو أَنْجَدوا»

وكان من بني الحارث بن سعد بن سعد بن خولان: الخاطب المخصيّ الذي

---

(١) لا حويل له: لا حول له، القُطُل ـ بضمتين ـ المقطوع.
(٢) دلفت له: زحفتُ إليه وقربت منه.
(٣) اجلعبَّ: اضطجع وامتدّ. منعفراً: أي متعفراً بالتراب. الحيزوم: الصدر أو وسط الإنسان أو ما استدار على الظهر. غرافة: طعنة تغترف الدم. تهلُّ: تصبُّ.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٥٥ جـ ٢.
(٥) النيار: جمع نار، كالنيران.

خصته بنو حيّ لأنه خطب فتاة منهم، وذلك أيام عمرو بن زيد المالكي، «وعن خصاء بني حيّ للسعدي قال عمرو بن معدي كرب الزُبيدي لبعض بني سعد بن خولان في أيام الحرب التي كانت بين مذحج وخولان:

فلولا سَرَاة الحيّ من آل مالكٍ وذروة عَوْفٍ كان حوضُك مُتْرَعُ[1]
هُمَا قَارَعا عن بِيْضَةِ العزّ بالقَنَا ذؤابة حيّ والرّماحُ تَهزّعُ[2]
وجَدّكَ مخصيٌّ على الوجه تاعِسُ يسيرُ به الركبانُ ما قام أفرعُ»[3]

وفي حرب مذحج وخولان تلك قتلت زُبَيْدُ ربيعة بن مسعود بن يزيد، وهو ابن أخي الشاعر عمرو بن يزيد العوفي، فقال عمرو بن يزيد يرثي ابن أخيه:

يا عَيْنُ ويحك عَبْرَةً لا تَسْأمي وابكي ربيعةَ ما رأيتِ صَبَاحا
مِنْ خَيْرِ عوف مَنْصِباً ومركباً يغشى الكُماةَ عريكةً ونِطَاحَا
السَيّدَ البَطلَ الهُمَام إذا غَدَا أردَىٰ الكُمَاة وغَاورَ الأرماحا

قال الهمداني «فأبأتْ خولانُ مالك بن عبد اللّه بن معدي كرب» وقال: «وكان ربيعة بن مسعود أعظم قتيلٍ رزئت به خولان من بني عوف، وبه طرح مالك بن عبد اللّه بن معدي كرب نوا». فقال القاضي الأكوع في الهامش: «لم تظهر هذه الكلمة (نوا) هل هي بالباء أو بالنون أو بغير ذلك، كما لم يظهر تفسيرها»[4] وأقول: الظاهر أن مالك بن عبد اللّه بن معدي كرب الزبيدي طرح موضعاً اسمه (نوا) وتنازل به لخولان مقابل دم ربيعة بن مسعود وبذلك انتهى النزاع بين الفريقين وعاد بينهما الوئام.

* * *

وقد اغتنمت هوازن وبني سُلَيم مثل تلك المنازعات الداخلية واتصالاتها بالقَيْل مُرّ بن عامر فقامت بشن هجوم على بني عوف والذين معهم من خولان وقضاعة بمناطق نَهْد القضاعية، فكان لعمرو بن يزيد العوفي مواقف باسلة، وفي ذلك قال العباس بن مرداس السُلَمي:

وسرنا كموج البحر تطمو سُيولُه بخيلٍ تراها في العَجَاجَةِ تَمْزَعُ[5]
فقامت بنو عوف وقد حَمِي الوغى يُنادون عَمْراً والأسِنّةُ تَنْجَعُ

وحمل عمرو بن يزيد ومعه كوكبة من فرسان بني عوف وبني شهاب على كتيبة

---

(١) مُترع: ملآن. (٢) تهزع بالتشديد: تتكسر الرماح.
(٣) تاعس الوجه: هالكه. أفرع: اسم جبل قرب اليمامة وجبل في بني زبيد.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تحقيق الأكوع ـ ص ٣٨٤ جـ ١.
(٥) العجاجة: غبار المعركة. تمزع: تتقطع وتتطاير.

فرسان هوازن وسُلَيْم المعديّة فقاتلهم قتالاً باسلاً، ومن جيد شعر عمرو بن يزيد العوفي قوله في ذلك:

حَمَلْتُ على الكتيبةِ مِنْ مَعَدٍّ ولو أنّي قُتِلْتُ لَمَا حَفَلْتُ
حَمَلْتُ المهرُ إذ حميتْ لظاها ولا واللّه ما فيها نَدمتُ
حمتني الغُرُّ أخوتُنا شهابٌ لهم كان المصاعُ بحيثُ كنتُ

وأشاد عمرو بن يزيد ببني شهاب وهم من كندة في قصيدة ذكر الهمداني في الإكليل منها قوله:

وكندة أحلاف بحجرٍ وقبلها تمكّنَ في فرعي قُضاعة منصبُه
نمته إلى العليا يدٌ مِنْ قُضاعةٍ وعِرقٌ إلى خير المغارسِ يجْذِبُه
وحالفهُ الساداتُ مِن حيّ مُغرقٍ فدان له شرق البلاد ومغربُه
شعارهم في الحرب دعوة كندة إذا حان مِنْ وِرْدِ المنيّة مشربُه

وقال عمرو بن يزيد في ابن أخيه مالك بن مسعود بن يزيد الذي قُتِل في حرب هوازن وبني سُلَيْم:

لم يكن في سَرَاة قومي نظيرُ لابن يعلىٰ ومالكٍ وابن حَارِ
أخذ الدهرُ مالكاً وابن يعلى وابن حارٍ هُمَامنا باقتسارِ

وكان للقيل مُرّ بن عامر بن الحارث الكلاعي الحميري وهو أحد الأقيال الذين أمَدّ بهم سيف بن ذي يزن خولان وقضاعة وتم تأميره بعد قتل نوال بن عتيك؛ كان للقيل مُرّ مواقف غير محمودة، حيث أنه ـ كما جاء في الإكليل ـ «قَتَلَ القَيْل الحصين بن حريز الخنفري ـ وهو أحد الأقيال الذين أمَدّ بهم سيف بن ذي يزن خولان وقضاعة ـ، ومَالَ ـ مُرُّ بن عامر ـ إلى بني سعد بن خولان (ربما ليتقوى بهم لأن الرئاسة كانت في الربيعة بن خولان)، وفَرّق خولان، وأخَلّ بها إلى هوازن، وفيه قال عمرو بن يزيد العوفي:

ألَمْ تعلم بتصريف الليالي ويَغلَىٰ يوم شارفنا بِمُرٍّ
(أبانَ لنا العداوة والتجنّي وبغياً ليس يمزجه ببرٍّ)(١)
أبَانَ لنا العداوة يوم سِرنا مُصِراً أيّما ضَغنٍ مُصِرِّ(٢)
طَلَبْنَا نَصْرَهُ فَتَلىٰ علينا أحَاديثاً مزخرفةٍ بصخرِ

---

(١) جاء هذا البت في نسخة الإكليل كما يلي:
«بدأت لنا العداوة والتجني وبغياً ليس تمزجه ببرّ»
(٢) قد يكون الأصوب «مُسِراً أيما ضغنٍ مُسِرّ» ـ أي عندما ساروا لقتال هوازن.

وأبْـدَىٰ غـشـه لَـمَّـا الْـتَـقَـيْـنـا بـأقـبـح سـيـرة مـنـه ومـكـرِ
يُـبـيـحُ إلـى هـوازن كـلّ سِـرٍّ ويـخـلـط كـلّ خـائـنـة بـغـدرِ
فـإنْ أسْـلَـمْ وتـعـطـفـني الـليـالـي أجـرعـه الـذعـاف بـكـأس صـبـرِ
وضـربـاً بـالـمـشـطـب غـيـر قَـطْـم وطـعـنـاً بـالأسِـنَّـةِ غـيـر نَـبْـرِ
وحـربـاً تَـذْعَـرُ الـشـمـطـاء مـنـهـا وتـطـمـثُ كـل عـذراء وبِـكـر[١]
بـكـلِّ مـهـنـدٍ ذكـرٍ حُـسَـام كـأنَّ بِـصَـفْـحَـتـيـه لـهـيـب جَـمْـرِ
وكـلِّ مُـقَـوَّم لَـدن تَـراهُ على عسلانه في الكفِّ يجري[٢]
ألَا يـا مـرّ ويـلـك فـانـتـظـرنـي فـإنّـي فـي مـسـاتـك سـوف أفـري
وحـسـبـك طـعـنـة مـنـي إذا مـا تـلاقـيـنـا بـجـعـجـاع الـمَـكَـرِّ[٣]
لَـحَـاكَ الـلّـهُ مِـنْ قَـيْـلٍ مـشـوم فـضـضـتَ الـيـوم بـيـضـة آل عـمـرو
وقـد خـذَّلـت خـولان ابـن عـمـروٍ ولـم يـدرك لـهـا أحـدٌ بـوتـر
فـلَا أمْـسَـيْـتَ ثُـمّ قَـرِيـرَ عَـيْـنٍ ولا أسقيت فيها صوب قَطْرِ»[٤]

ويستفاد من تلك القصيدة أن فرسان خولان وقضاعة لم يكسبوا تلك المعركة مع هوازن بسبب اتصالات سرية بين مرّ بن عامر وقبيلة هوازن وأنه كان يبيح إلى هوازن بكل سرّ ويخلط اتصالاته الخيانية بالغدر، وأنه تسبب في خذلان قبائل خولان قضاعة في تلك المعركة والتي استمر الصراع بعدها حتى وقعت مواجهة حربية انهزمت فيها هوازن وبني سُلَيْم في يوم يُسَمّىٰ يوم الغُمير، وقد اكتفى الهمداني بالإشارة إلى ذلك لأن الحدث الهام الذي وقع آنذاك كان مقتل القَيْل مرّ بن عامر، فقد تشاور رؤساء الربيعة بن خولان ـ ومنهم يعلى بن سعد المالكي، وعمرو بن حجر أبو رعثة المالكي، مع عمرو بن يزيد العوفي، ثم ـ كما ذكر الهمداني في الإكليل ـ «ثاوروا مُرّاً، فحاربهم فظفر به عمرو بن يزيد فقتله جبهة[٥] وفيه قال عمرو بن يزيد:

رويدك لا تجزع من الحرب إنّها ستعليك يوماً إن سَلَمتَ المَعَاليا
وردّ سِنَان الـرمـح مـمـن تَـخَـافَـهُ وذُبَّ بنصل السيف عنك الأعاديا
أتَـيْـنَـا بِـمُـرٍّ كَـيْ يـقـومَ بِـنَـصْـرِنـا (فَنَتَّجَ) فينا يا لقومي الدواهيا[٦]

---

(١) الطمث: الحيض.
(٢) العسلان: الاضطراب.
(٣) من معاني الجعجاع: معركة الحرب.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٧١ جـ٢.
(٥) جبهة: أي مقابلة ليس عن غرة أو غفلة.
(٦) (فَنَتّج) أي أنتج وأظهر. وجاء في نسخة الإكليل المطبوع (ونتح ـ بالحاء ـ) وفي القاموس «النتح: العرق وخروجه من الجلد كالنتوح، والندى من الثرى، والدسم من النّحي».

فدبّت إليه في الحديد عصابةٌ فأصبح رهناً بين طمرين ثاويا

وقال عمرو بن حُجر أبو رَعْثة المالكي:

ألا هل أتىٰ أم الحصين بأننا سَقَيْنَا ذُعاف السُّم مُرّ بن عامر

بكل رديني ظماءٍ كعوبُه وأبيض مثل البرق في كفِّ ثائر»[١]

ومن شعر عمرو بن يزيد العوفي أيضاً قوله في قتل مرّ بن عامر:

لَمَا أبانَ لنا مُرٌّ عداوته مِلْنَا عليه برجاسٍ له زجلُ[٢]

مِنْ آلِ عوفٍ إذا جروا رماحهم حسبتَ مِنْهم جبال الأرض تحتملُ

إنْسٌ إذا أمِنُوا، جِنٌّ إذا غضبوا تحت العجاجة في أيمانهم شُعَلُ

سرنا إلى حصن مُرٍّ حين لاذَ بِه فلَمْ يكد عن ظُبَا أسيافِنا يعلُ»[٣]

وقال يعلى بن سعد المالكي في قصيدته عن تصاريف الزمان:

ورمَىٰ بمُرٍّ في قُليبٍ مُظْلِمٍ إنّ ابن عامر كان غير مُظَفّرِ

بينما على النقيض من أشعار عمرو بن يزيد العوفي وعمرو بن حجر أبي رَعْثة ويعلى بن سعد المالكي ـ وهم كبار الربيعة بن سعد بن خولان ـ فإنّ عشيرة بني سعد بن سعد بن خولان أدانت قتل القيل مرّ بن عامر وذرفت الدموع عليه، وهو ما يَتَجلىٰ في قصيدة بالإكليل حيث ذكر الهمداني أنه «وفي مُرّ بن عامر قال شاعر بني سعد بن سعد بن خولان:

كَسَفَتْ نجومُ مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ فينا وأظلم شمسُها وبدُورها

وطوى سماحتُها الزمانُ وهَدَّهَا بالمجحفات وغاضَ ثمّ بحورُها

وتقطعت منها الأواصرُ بينها ومَضَىٰ سَنَاها عند ذاك ونورُهَا

ومَضَىٰ ابن ذي يزنٍ وحَلّتْ بينها حربُ عوانُ ما يبوخُ سعيرها[٣]

ومَضَتْ قُيولُ من سُلالة زُرْعةٍ وتبدلت شرّاً وغاب سرورها

ومَضَىٰ ابنُ عامر واستُبيح حريمه وهوى صريعاً، قِرْمُها ومُجِيرُها

فَرَدَتْ بنو عوفٍ مَجَامِعَ قَلْبَهُ فَثَوىٰ قتيلاً، قَيْلُهَا وأمِيرُهَا

وجرت عيونٌ بالدموع غزيرةً فيه وغودر في المكرّ خفيرُها

(١) الرديني: الرمح. والأبيض: السيف ـ ص ٢٧٣ ـ ٢ ـ الإكليل.

(٢) رجاس: جمع له صخب وجلبة كثير الصياح لكثرته. مأخوذ من سحاب رجاس له هدير وصوت. ص ٣٧٥ جـ ١ـ الإكليل.

(٣) جاء في نسخة الإكليل المطبوع «وحلت بينها حرباً وعواناً» والظاهر أنه تصحيف. ومعنى (تبوخ: تطفي أو تسكن).

يا مُرّ يا ابن الأكرمين لقد جرتْ مـنـي دمـوعٌ يـسـتـهـلُ غـزيـرُهـا
فـليُـقْـطَـعَـنَ مـنَ الـقـريـبِ قـرابـةً ولـيُـفْـقَـدَنَ رئـيـسُـهـا وكـبـيـرُهـا
ولـيُـصْـبِـحُـنَ ثـواكـلُ يـنـدُبْـنَـهُـمْ بِيضُ تميلُ من القرون عفورُها(١)

وقد تزامن مقتل القيل مرّ بن عامر مع آخر معركة حربية بين خولان، قضاعة وبين قبائل هوازن وبني سُلَيْم حيث انتصرت خولان في تلك المعركة وقال الهمداني إن خولان «وجدوا من العدو غفلة في تلك الحرب» وقد أسر عمرو بن يزيد العوفي رئيساً كبيراً من هوازن اسمه (حكيم بن العلاء) ثم أطْلَقَ سراحه وأجاره وأرسل معه جماعة من فرسان بني عوف أوصلوه إلى أصحابه سالماً، فقال حكيم بن العلاء أبياتاً في ذلك منها قوله:

فلولا الفتى العوفي ما أبتُ سالماً ومـا زلـتُ مـخـلـول الـيـديـن أسـيـراً

وساهم ذلك الموقف في انتهاء الحرب مع هوازن وبني سُلَيْم وعودة الوئام، وكان ذلك ـ كما جاء في الإكليل ـ «أول ما ظهرت دعوة الإسلام بمكة» وآنذاك أيضاً كان قتل القيل مرّ بن عامر، فيكون ذلك حوالي عام ٦١٠ ميلادية.

وقد انتقد بنو سعد بن سعد بن خولان وبعض رجالات بني حيّ بن خولان قيام عمرو بن يزيد العوفي بإجارة وإطلاق سراح حكيم بن العلاء، وكانوا يريدون قَتْلَهُ ببعض مَنْ قُتِل في الحرب من فرسانهم، وقيلت في ذلك أشعار أجاب عليها عمرو بن يزيد بأن له حق إجارة وخفارة حكيم بن العلاء لأنه كان أسيره، وانتهى الأمر بذلك.

* * *

ثم في فترة لاحقة وقع خلاف بين عمرو بن يزيد العوفي وبين المقدام بن زيد وعوف سيّدي بني حيوان، فقتلهما عمرو بن يزيد، وقد جاء في الإكليل أنه (قال في قتل المقدام بن زيد وعوف سيدي بني حيّ:

ولـقـد كـسـوتُ أبـاكَ عـوفـاً ضـربـةً جـذّت مـرافـقـه بـعـظـم الـمـفـصِـلِ
وخـتـمـتُ بـالـمـقـدام عـمـك عَـنْـوةً وفَتَقْتُ حشوتَه بسهمٍ منضلِ)(٢)

قال الهمداني: «وفي قتل المقدام بن زيد افترقت بنو مالك وبنو عوف، ابني أُسَامة بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان»(٣) فقد أدى قيام عمرو بن يزيد العوفي بقتل المقدام بن زيد إلى استياء بني مالك والرئيس عمرو بن حُجر أبو رَغْثة المالكي رئيس الربيعة وسائر خولان قُضاعة في تلك الفترة،

(١) عفورها: شعر القفا أو الناصية.
(٢) حشوته ـ بالضم ـ أمعاءه. المنضل: السهم الذي قد رمى به.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٨٥ جـ ١.

وساهم بنو سعد بن سعد بن خولان في التأليب على عمرو بن يزيد العوفي وعشيرته، ويبدو أن ما قام به عمرو بن يزيد بقتل المقدام بن زيد كان انتهاكاً للأعراف القبلية، مما أدى إلى صيرورة (بني مالك) جميعهم ضد (بني عوف) - مع أنهم أقرب الناس إليهم لأن بني مالك وبني عوف ابنا أسامة بن زيد - وقد تمادى بنو مالك بمطالبة عمرو بن حجر أبي رَعْثة برحيل وخروج بني عوف كلها من صعدة، وقال عمرو بن يزيد في ذلك:

«بني مالكٍ، عودوا لفضل حلومكم ... ولا تركبوا في غيِّكم كلّ بَاطِلِ
فأنتُم لنا كفُّ نطولُ بها العدىٰ ... وهلْ تُوجَدنْ كفُّ بدون أنامِلِ
ونحنُ أشقاءُ أبونا أبوكم ... وأخوتكم في كلّ يومِ زَلازِلِ
أليس أبونا مِنْ أسامة في الذرى ... شقيق إليكم، قسمة في المنازل»

ولكن ذلك التذكير لبني مالك بالأواصر والقرابة لم يمنع تماديهم في الغيّ والباطل بالمطالبة بخروج كل بني عوف من بلاد صعدة أو محاربتهم، وربما أيضاً عدم قبول أي تفسير أو حلٍّ لقضية مقتل المقدام بن زيد الحيواني التي هي سبب الخلاف، وكان لتأليب بني سعد بن سعد وبعض (الوشاة) تأثيراً في موقف (بني مالك) وبالتالي في موقف الرئيس عمرو بن حجر أبي رَعْثة الذي يبدو أنه تشاور مع (بني مالك) مرة أخيرة، فأجمعوا على رحيل بني عوف ومفارقتهم، وكان عمرو بن حجر أبو رَعْثة هو رئيس بني مالك وعشائر الربيعة بن سعد بن خولان وقبائل خولان صعدة كلها في تلك الفترة، فاتخذ عمرو بن حجر نوعاً من القرار برحيل وخروج بني عوف من بلاد صعدة تمشياً مع إرادة بني مالك والآخرين، وعندئذٍ رأى عمرو بن يزيد العوفي أن يرحل مع بني عوف تفادياً للفتنة والحرب مع بني مالك، ونادى عمرو بن يزيد بعشيرة بني عوف للرحيل من صعدة، فخرجوا بأمتعتهم وأهاليهم وأولادهم وقوافلهم، وصاح بهم عمرو بن يزيد يوم الرحيل والنفير، فانطلقوا من ديارهم في صعدة يؤمُّون ديار عنز بن وائل في تهامة عسير، وذلك في مواكب ومشاهد تَجَلَّى فيها انقطاع الأواصر وتمنى عمرو بن حجر أبو رَعْثة لو أن يمينه أصابها الشلل وهو يشاهد ذلك المشهد والدموع تذرف من عينيه. وقال عمرو بن يزيد العوفي عند رحيله ببني عوف من صعدة إلى بلد عنز بن وائل:

أبْلِغْ بني مالكٍ ببلدتها ... أخوتنا الأقربين إنْ نُسِبُوا
ما قوضتْ عوفُ دارها فرَقاً ... منكم، ولا زُعْزِعتْ لها طُنُبُ[١]

---

(١) ما قوضت عوف دارها فرقاً: أي ما غادرت عوفُ ديارها خوفاً.

لكن إحدى اليدين طاح بها الـ ـميلُ، فَزَالَ العِنَادُ والكربُ

ومن جيِّد شعر عمرو بن يزيد العوفي أيضاً قوله في تلك الفُرْقة:

إذا ما معشرٌ ضَغِنوا فدْعهُمْ فإنَّ الضغْنَ ليس له دواءُ
أضاعوا عزّهم سفهاً ونوكاً فلا حلم هناك، ولا ارعواءُ(١)
فبعضٌ في أظلتهم حقودٌ وبعضٌ ظلها الأسلُ الظماءُ
رموا بالعزّ منهم واستقادوا لكل قبيلة منها انتحاءُ
تَنَازُعُ أمْرِهِم لخلافِ بَيْنٍ كذاك اللَّهُ يخلقُ ما يشاءُ

وقال عمرو بن يزيد لما بلغه ندم عمرو بن حجر أبي رَعْثَة المالكي:

أطاعَ بِنَا عمرو قول الوشاة ومِنْ قَبْل عمرو وشاة أطعنا
فكلٌّ توسدها نادماً لأنّ الحَمْيّةَ مِنْها خُلِقْنَا
وكُنَّا يَدَيْنِ كعظم اليمين فجاز الفراقُ علينا فَهُنَّا
فلمْ نَهْتِكْ العَرْشَ مِنْ مَالِكٍ ولا عزّ عوفٍ لذلّ وضَعْنَا
وصحتُ بقومي غداة النفير فما إنْ حَزنَّا، وما إنْ نَدمْنَا
ولو كان حَيّاً أبو رَعْثَةٍ لَمَا إنْ رَحَلْنا ولا إنْ ظعنَّا(٢)

وفي تلك الفرقة قال مالك بن قطينة العوفي:

تَرَحَّلَ عن عمرو قطائعُ قَوْمِهِ فحالف موج البحر عنزُ ابن وائلِ
وكانوا لعمرو أخوة وبنو أبٍ فأكرم بها مِن عترةٍ وقبائل

وقد رحل مع عمرو بن يزيد إلى منطقة عنز بن وائل جماعة من بني عوف منهم «بنو جابر، ومالك، ورفاعة، وصعب، وعوذة بني عوف بن زيد بن أسامة. ومنهم جماعة كثيرة خرجوا مع بني مالك بن زيد إلى زبيد وحيس. وقد ندم الرئيس عمرو بن حجر أبو رَعْثة على رحيل بني عوف، وقال في ذلك يذم نفسه على الفرقة:

فَشُلّتْ يميني عَلَى معشري غَدَاة تولُّوا فما وَدّعُوا
سَرَاةَ بني عوف أهل الحُجَىٰ وأهل الرماح إذا تُشْرعُ
ومالكُ قومي أرادوا الفراق فماذا عسيتُ وما أصْنَعُ
ونادىٰ بقومي مُنادي الرحيل فعيني على معشري تدمعُ
هما إخوان كعظم اليمين وفرعا أسامة إذْ يفرعُ

(١) نوكاً: حُمقاً.

(٢) أبو رعثة: هو حجر أبو رعثة الأكبر بن سعد والد عمرو بن حجر الذي هو أبو رعثة الأصغر.

فـفـي آل عـوفٍ وفـي مـالـكٍ رسـا الـعـز والـشـرف الأيـفـعُ[1]
أطـاع الـوشـاة بـنـو مـالـكٍ أواصـرنـا بـالـمُـدَى تُـقْـطَـعُ»[1]

وكان رحيل عمرو بن يزيد والذين معه من بني عوف إلى ديار عنز بن وائل في أوائل أيام الهجرة، وقد كان المثنى بن كثير العنزي خال عمرو بن يزيد، فأحسن الترحيب بهم، وقد علم عمرو بن يزيد بندم عمرو بن حجر أبي رَعْثة وبرغبته في عودتهم وبأنّ بعض بني سعد بن سعد ما زالوا يؤلبون ويسعون للحيلولة دون رجوع بني عوف، فعقد عمرو بن يزيد العزم على المسير إلى يثرب والعودة بعد ذلك، وأخبر ابنه محكم بن عمرو بذلك وبأنهم سيعودون إلى صعدة، وقال عمرو بن يزيد يعاتب بني سعد بن سعد ويذكر مسيره إلى يثرب أبياتاً هي خاتمة تاريخه وأشعاره لأنه لم يرجع بعد ذلك المسير وربما مات في الطريق. قال الهمداني: «فمحكم بن عمرو الذي رجع من بلد عنز بن وائل وذلك بعد خروج أبيه إلى المدينة في آخر أيام الهجرة، والدليل على ذلك قول أبيه يعاتب بني سعد بن سعد:

مـهلاً بني سعـد ابـن سعـدٍ عَمّـنَا إنّـا نـصـرنـاكـم ولـمّـا نـخـذلِ
فـارعـوا قـرابـة مـعـشـرٍ نـصـروكُـم وارجـو مـودتـنـا لـعـام مُـقـبـلِ
فـلـعـلـنـا يـومـاً نُـقَـارعُ دونـكـم ونـذبُّ مَنْ يغشى البلاد بِمُعْضِلِ
إنّـا لـكـم دون الـعـشـيـرة كـلّـهـا إنّ الـمـودّة لـلـحـبـيـب الأولِ[2]
لـولا رحـيـلـي يـثـربـاً لـكـررتُـهـا بـالـجـد مـنـي لـلـئـيـم الأعـزلِ
أمّـلْـتُ أمـراً لـسـتُ أرجـع دونـه والـرشـدُ في رفـق الـفـتـى الـمـتـأمـلِ
حـتـى أزورَ نـبـيّ صـدقٍ مـرسـلاً يـأتـيـه وحـيٌ بـالـكـتـاب الـمُـنْـزَلِ
مِـنْ خـيـر بـيـتٍ فـي لـؤي بـيـتُـه بيتُ لعمرك في الرفيع الأطولِ»[3]

فقول الهمداني: «محكم بن عمرو الذي رجع.. بعد خروج أبيه إلى المدينة في آخر أيام الهجرة» ـ يحتمل أن رجوع محكم بن عمرو كان في آخر أيام الهجرة كما يحتمل أن يكون مسير أبيه إلى المدينة في آخر أيام الهجرة، ولعل الأول أرجح وأنّ مسير أبيه كان في نحو السنة السابعة من الهجرة وذلك قبل فتح مكة لأنه «لا هجرة بعد الفتح» وقد جاء في كتاب قصة الأدب أنه «لا ندري هل أكمل عمرو بن

---

(١) الأيفع: المرتفع. المدى ـ بضم الميم ـ جمع مدية وهي السكين.
(٢) جاء في الهامش «أن لأبي تمام مثل هذا. ويستعمله العرب كثيراً. وبيت أبي تمام لعله:
كـم مـنـزل فـي الأرض يـألـفـه الـفـتـى وحـنـيـنـه أبـداً لأول مـنـزل
(٣) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ٣٧٨ جـ ١.

يزيد رحلته إلى يثرب وقَضَىٰ أمره الذي عزم عليه، أم أن المنيَّة قد فاجأته وهو في الطريق، ولم نجدْ له سيرة أو خبراً في كتب طبقات الصحابة والسِّير» (ص ٤٠٢) فعدم وجود خبر عن وفادته إلى النبيّ ﷺ ورجوعه إلى اليمن يشير إلى أنه توفي عند مسيره أو عودته من ذلك المسير وذلك حوالي عام ٧ هجرية (٦٢٨م) ولذلك رجع ابنه محكم بن عمرو بن يزيد ومعه كوكبة من رجالات بني عوف وكان رجوعهم إلى صعدة خاتمة طيبة لحادثة الفرقة التي وقعت في تلك الفترة الأخيرة من حياة عمرو بن يزيد، فقد ذكر الهمداني في الإكليل أنه: «لما رجع محكم بن عمرو بن يزيد إلى بلده بعد مخرج أبيه إلى المدينة، سُرَّ به عمرو بن حُجْر أبو رَعْثة لِمَا كان قد مسَّه من المضرَّة في فرقة قومه. فرآه خلفاً من أبيه، وقال: واللّه ما أخطأ مَنْ سَمَّاكَ محكماً. وكان من صحابة محكم ـ الذين جاؤوا معه ـ خال أبيه المثنى بن كثير العنزي، وأم عمرو ليلى بنت كثير، في عشرة من وجوه عنز بن وائل، فحباهم عمرو بن حجر أجزل الحباء، وانصرفوا. وأقام محكم بن عمرو في بني مالك ـ بصعدة ـ مع من بقي في البلد ورجع من بني عوف» (اهـ). فكان لذرية محكم بن عمرو ولبني عوف إسهامهم في الحياة الأدبية والسياسية بمنطقة صعدة في عصور ما بعد الإسلام.

المبحث «٤٧»

حاتم الطائي

«أجود وأكرم العرب في الجاهلية»

هو الرئيس والشاعر حاتم بن عبد اللّه بن سعد الطائي اليماني القحطاني. قال أبو علي القالي «قال الأصمعي: كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً شاعراً، وكان شِعْرُهُ يُشبِهُ جودَه، وجُودهُ يُشبه شعره. وكان حيثما نزل عُرِف منزلُه، وكان مُظَفَّراً إذا قَاتَل غَلَبْ وإذا غَنِم أنْهَبْ، وإذا سُئِل وهَبْ، وإذا أَسَرَ أَطْلَق، وكان يُقْسِم باللّه أن لا يَقْتُلَ واحد أمِّه. وكان إذا أَهَلَّ الشهرُ الأصمُّ وهو رجب الذي كانت العرب تُعظمه في الجاهلية نَحَر كل يوم عشرة من الإبل فأطعم الناس واجتمعوا إليه»[١]. وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه: أنشدوني أفضل ما قيل في الجود، فقال رَوْح بن زِنْباع: قول حاتم الطائي:

أَلَـمْ تَـر أن الـمـال غـادٍ ورائـح ... ويَبْقَى من المال الأحاديثُ والذِّكرُ
حَيِينا زماناً بالتَّصَعْلُك والغِنَى ... وكُلّاً سَقَاناهُ بَكأسَيْهِما الدهرُ[٢]
فـمـا زادنـا بَـغْـياً عـلى ذي قَرابـةٍ ... غِنانا ولا أَزْرَى بأحسابنا الفَقْرُ

قال: فَمَنْ أشعرُ العرب؟ قال: الذي يقول ـ وهو امرؤ القيس ـ:

كـأنَّ عُـيونَ الـوَحْش حَوْلَ خِبائنا ... وأرْحُلِنا الـجَزْعُ الـذي لـم يُثَقَّبِ

والذي يقول:

كـأنَّ قـلـوبَ الـطير رطْباً ويابساً ... لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي»

وقال الحافظ ابن كثير: «كان حاتم الطائي جواداً مُمدحاً في الجاهلية.. وكانت لحاتم أمور ومآثر عجيبة وأخبار في كرمه..»[٣] ونستهل ذلك بذكر نسب حاتم الطائي وقبيلة طيء ومنطقتها باليمن وانتشارها إلى جبلي أجا وسلمى.

❊ ❊ ❊

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٥٢ جـ ٣.

(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣٠ جـ ٣ ـ ويروى (غنينا زماناً..) وقوله (التصعلك) يعني الفقر والحاجة.

(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢١٦ جـ ٢.

فحاتم الطائي هو (حاتم بن عبد اللّٰه بن سعد بن الحَشرج بن امرئ القيس بن عَدِي بن أخزم بن أبي أخزم ـ هرومة ـ بن ربيعة بن جرول بن ثُعَلْ بن عمرو بن الغوث بن طيء) واسم طيء جلهمة. قال الأصفهاني: «وإنما سُمِّي طيء طيئاً واسمه جلهمة لأنه أول من طوى المناهل وكان يطوي المناهل في غزواته، وهو طيء بن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عَريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود النبي عليه السلام. كذا نسبه النسابون، واللّٰه أعلم»[1]. يعني نسب قحطان وأنه ابن النبي هود عليه السلام وذلك هو الصحيح المتواتر في معارف اليمنيين عبر التاريخ. قال أبو الطيب المتنبي يمدح أميراً من بني ثُعل الطائيين:

إلى الثَّمَر الحلو الذي طيءٌ له فروعٌ، وقحطانُ ابن هودٍ لها أصلُ
إلى سَيدٍ لو بَشَّرَ اللّٰهُ أمةً بغير نبيٍّ بَشَّرَتنا به الرسلُ[2]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

ويَعْرُبُ يَنْمِيه لِقَحْطان يَنْتَمي لهُودٍ نبيّ اللّٰه فوق الحبائكِ
يمانُون عادِيُون لَمْ تختلط بِنَا مَنَاسِب شَابَتْ مِن أوُلئ وأولئكِ

وفي نسب طيء قولان، القول الأول: أنه جلهمة طيء بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. حيث كما جاء في الإكليل أنّ «أدد بن زيد بن عريب بن كهلان بن سبأ: أولد مُرّة بن أدد، ونَبْتاً وهو الأشعر، ومالكاً وهو مذحج، وجلهمة وهو طيء»[3]. وكذلك قال ابن خلدون: «وأما بنو عريب بن زيد بن كهلان فمنهم طيء، والأشعريون، ومذحج، وبنو مرّة: أربعتهم بنو أدد بن زيد بن يشجب بن عريب»[4] ومؤدى ذلك أن طيئاً شقيق مذحج. والقول الثاني: أن طيئاً قبيلة من مذحج فهو ـ كما ذكر الأصفهاني ـ «طيء بن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» ومما يؤيد ذلك قول الشاعر الجاهلي زيد الخيل بن مهلهل الطائي:

أو يفُتني، فقد سبقتُ بوترِ مَذْحجي، وجدّ قومي كثاب[5]

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٦ جـ ١٦.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣١ جـ ١٠.
(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٨.
(٥) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٥٢ جـ ١٦.

فقوله (سبقتَ بوتر مذحجي) يؤكد أن قبيلة طيء من قبائل مذحج فلما كثرت عشائر وبطون طيء اشتهرت باسمها (طيء).

منطقة طيء في اليمن وانتشارهم إلى جبلي أجَا وسَلْمى:

ومن المفيد هنا تبيين أن منطقة قبيلة طيء في اليمن هي مدينة براقش ووادي الجوف (بمحافظة الجوف حالياً) حيث كانت طيء تسكن الجوف مع قبائل أخرى من مذحج أهمها مراد يحابر وبنو الحرث بن كعب وذلك منذ زمن دولة معين التي كانت عاصمتها مدينة معين ومدينة براقش (يثل) بالجوف، ومما يتصل بذلك ـ وكما ذكر الحسن الهمداني ـ «قال فروة بن مسيك المرادي في شعر له بالجاهلية:

أَحَلَّ يُحابر جدِّي غُطَيْفاً ... مَعِينَ المُلْك من دون البنينا
ومَلَّكَنا براقش دون أعلى ... وأنعم أخوتي وبني أبينا

وقال أبو سليمان بن يزيد الطائي:

وأوطنَ مِنَّا في قُصورِ بَراقِشِ ... فمأود وادي الكسْر كَسْر قُشَاقِشِ
إلى قَيّنانِ كلُّ أغلبَ رائش ... بَهَالِيلُ ليسوا بالدُّناةِ الفواحِشِ
ولا الحلم إن طاش الحليم بطائش»[١]

ويدل ذلك على أن منطقة طيء كانت تمتد من مدينة براقش المعينية وما يليها من وادي الجوف حتى كسْر قُشَاقش في ديار كندة بأعالي حضرموت. وعن ذلك أيضاً قال ابن خلدون: «كانت طيء تسكن الجوف من أرض اليمن، وكان الوادي مسبعة..»[٢] ـ أي كثير السِباع لكثرة الغابات والأشجار في وديان مأرب والجوف التي كانت تمتد إلى نجران واليمامة في تلك العصور.

وقد انتقلت وانتشرت بعض بطون وعشائر قبيلة طيء من منطقتها في براقش ووادي الجوف باليمن إلى منطقة جو (وهي اليمامة) وإلى منطقة جبلي أجَا وسَلمى في نجد حتى بادية السماوة وتخوم الحيرة في عدة موجات ذات صلة بالسيطرة على الطرق التجارية وتأمين وحماية القوافل التجارية وبالنشاط التجاري اليمني في عصر دولة معين وعصر الدولة الحميرية. ومما يتصل بذلك الانتقال والانتشار قال ابن خلدون: «كانت طيء تسكن الجوف من أرض اليمن وكان الوادي مسبعة، وكانت الأزد قد خرجت أيام سيل العرم، واستوحشت طيء فظعنوا على أثرهم، ونزلوا

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٧٥.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨.

بالجبلين أجا وسلمى»[١]. وكان ذلك أول انتقال لعشائر من طيء، ثم تلتهم عشائر أخرى من طيء فنزلوا (جو) اليمامة إلى جبلي أجا وسلمى. حيث قال ابن خلدون «وكانت الرياسة على طيء في الجاهلية لبني هاني بن عمرو بن الغوث بن طيء»[١] وقد تم العثور في مدينة براقش بالجوف على نقش مسند يعود إلى القرن الثاني الميلادي ويذكر النقش «أن بني هاني رؤساء جوّ، قدموا قرباناً إلى معبد آلهة معين في عهد ملكهم تُبّع كرب ملك معين»[٢]. ويؤكد ذلك النقش رئاسة بني هاني لطيء في مناطق جو (اليمامة) وجبلي أجا وسلمى وارتباطهم بالدولة اليمنية وبمنطقتهم ومدينتهم براقش في الجوف، وكذلك انتقلت بعض عشائر وبطون قبيلة طيء إلى تلك المناطق وتخوم الحيرة في عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان في القرن الخامس الميلادي، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك قائلاً «قال الطبري: أن تُبّعاً لما غزا العراق كانت طريقه على جبلي طيء وانتهى إلى الحيرة وخَلفَ هنالك قوماً من الأزد ولَخْم وجُذام وعاملة وقُضاعة ولحق بهم ناس من طيء وكلب والسكون وإياد فكانوا معهم. وقيل، وهو قريب من الأول، خرج تُبّع في العرب حتى تحيّروا بظاهر الكوفة فسُميت الحيرة، فاستوطنوا هنالك وفيهم من قبائل هذيل ولخم وجعفى وطيء وكلب. . . فكان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة الآراميون ومن كان من بقية عساكر ابن تُبّع من جُعفى وطيء وكلب وغيرهم من جرهم»[١]. وتدل تلك الروايات والنصوص على أن بعض بطون وعشائر قبيلة طيء كانوا من عساكر الملك أسعد تُبّع بن حسان تُبّع لما غزا إلى اليمامة ونجد والحيرة في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) فاستقروا هنالك في إطار السيطرة على الطرق التجارية وتأمين وحماية القوافل التجارية والنشاط التجاري اليمني، وكان ذلك في الفترة التي فيها ولى أسعد تُبّع الحارث بن عمرو الكندي على إقليم نجد واليمامة إلى الحيرة، وقد كان لطيء دور هام في النشاط التجاري حيث قال الأستاذ أحمد أمين: «كانت طيء تسكن الجبلين الشهيرين أجا وسلمى، وهما المعروفان الآن بجبل شمّر، وقد سكنتها طيء قبل الإسلام، واشتهر ذكرها حتى كان السريان والفرس يسمُّون كل العرب طيئاً»[٣] وذلك لاشتهار طيء بالنشاط التجاري وبتأمين وحماية الطرق والقوافل التجارية بين اليمن ونجد والحيرة والعراق والشام.

* * *

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٨ و ١٤٦.

(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ٧٧٠.

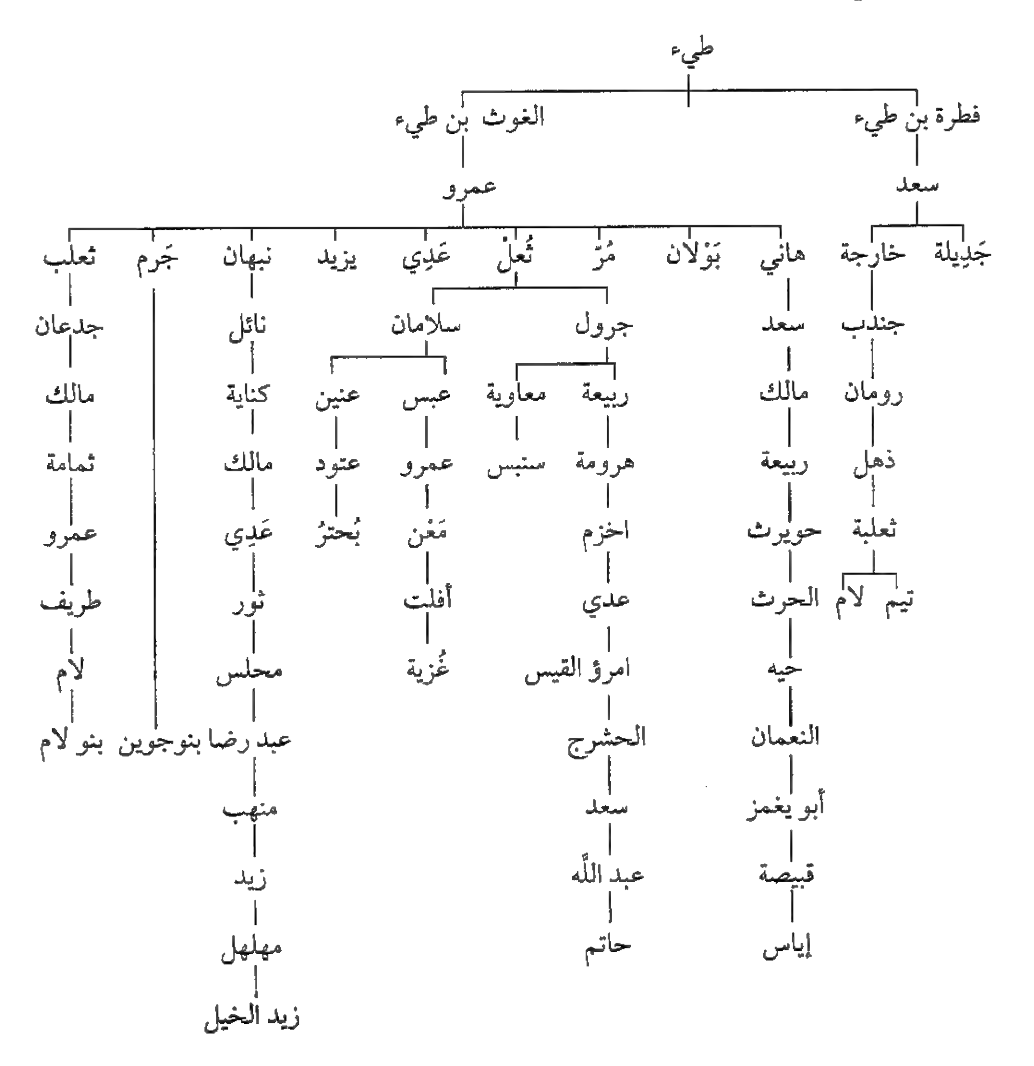
(٣) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٧.

بنو ثُعَل . . عشيرة حاتم الطائي:

وكانت قبيلة طيء زهاء عشرة بطون وعشائر منهم (بنو ثُعَل) عشيرة حاتم الطائي. وفيهم قال حاتم الطائي في أبيات له بالأغاني:

بـنـي ثُـعَـلٍ قـومـي فَـمَـا أنـا مُـدّعٍ سـواهُـم إلـى قـوم، ومـا أنـا مُـسـنـدُ
بـدرئـهُـم أغـشـىٰ دروء مـعـاشـرٍ ويحنفُ عني الأبلجُ المُتعمدُ[1]

وبنو ثُعَل هم إحدى بطون وعشائر قبيلة طيء الرئيسية الذين تفرعوا كما في الجدول التالي:



---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٠٢ جـ ١٦.

وكان (بنو ثُعل) و (بنو نبهان) من آخر عشائر قبيلة طيء التي انتقلت وانتشرت من منطقة الجوف باليمن إلى مناطق جبلي أجا وسلمى واليمامة وتولت حماية الطرق والقوافل التجارية وكانت لهم رئاسة بتلك المناطق، وخاصة منذ عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان الحميري وولاية الحارث بن عمرو الكندي وأولاده الذين منهم حُجر بن الحارث ـ والد امرىء القيس ـ لإقليم اليمامة ونجد في القرن الخامس الميلادي حيث كانت قبيلة طيء بتلك المناطق ترتبط برئاسة بني الحارث بن عمرو الكندي المرتبطين بدولة اليمن الحميرية حتى انتهاء حكم بني الحارث الكندي بمقتل حجر والد امرىء القيس ثم بتغلب المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة على امرىء القيس (حوالي عام ٥٣٠م) فلجأ امرؤ القيس إلى مناطق طيء بجبلي أجا وسلمى ونزل عند (المعلى بن تيم الطائي) فأقام عنده فترة، ثم (نزل امرؤ القيس على خالد بن سدوس بن أصمع النبهاني، فأكرم نزله، واتخذ امرؤ القيس قوافل من الإبل وأقام في ديار بني ثُعل بمنطقة جبلي أجا وسلمى في جوار (حارثة بن مرّ الثُعلي) فكانت إبل امرىء القيس تسير للتجارة بحماية بني ثُعل في مناطق طيء ومناطق (القُريّة) باليمامة إلى (حائل) وغيرها وإلى (جوّ) باليمامة وحتى تخوم الحيرة فلا يتعرض لها أحد لقوة ومكانة بني ثُعل وانتشارهم بتلك المناطق والطرق التي تسلكها القوافل التجارية، فقال امرؤ القيس يذكر ذلك ويثني على بني ثُعَل وحارثة بن مُرّ الثعلي:

أَبَتْ أَجَاءُ أَنْ تُسْلِمَ العام جَارَها ... فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لها مِنْ مُقَاتِلِ
تَبِيتُ لَبُونِي بالقُرَيَّةِ أُمَّناً ... وأُسَرِّحُها غِبّاً بأكنافِ حَائلِ
بنو ثُعَلٍ جِيْرَانُهَا وحُمَاتُها ... وتُمْنَعُ مِنْ رماةِ سعدٍ ونابِلِ

وقال امرؤ القيس أيضاً يُثني على عمرو بن درماء وعشيرته من بني ثُعَل:

واثُعَلاً وأَيْنَ مِنّي بني ثُعَلْ ... ألا حَبذَا قوم يَحُلُّون بالجبل
تَظَلُّ لَبُوني بين جَوٍّ ومِسْطَحٍ ... تُراعي الفِرَاخَ الدّارجاتِ مِن الحَجَلْ
وما زَالَ عَنْهَا مَعْشَرُ بِقِسِيِّهِمْ ... يَذودُونها حتى أقُولَ لهم بَجَلْ
فابْلغْ مَعَدّاً والعِبَادَ وطَيِّئاً ... وكِنْدَةَ أنّي شَاكِرُ لبني ثُعَلْ

وكان منهم عمرو بن المُسَبِّح الثُعلي الطائي وكان أرمى العرب وفيه قال امرؤ القيس أبياته التي أولها:

رُبَّ رامٍ مِنْ بني ثُعَلٍ ... مُخْرِج كفَّيْهِ مِنْ سُتَرِه

وقد رافق جماعة من رماة بني ثُعل امرأَ القيس لما سار من منطقة أجا وسلمى إلى السموأل بن عاديا صاحب حصن تيماء قاصداً الملك الحارث بن جَبَلة الغساني

بالشام وقيصر الروم حوالي عام ٥٤٠م. ويدل كل ذلك على أهمية ومكانة قبيلة طيء وبني ثُعَل في تلك الحقبة التي فيها كان مولد حاتم الطائي.

والد حاتم الطائي.. ووالدته:

وكان والد حاتم الطائي من شخصيات طيء ذات الرئاسة والمكانة بمنطقة جبلي أجا وسلمى وهو (عبد اللّه بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عَدِي بن أخزم بن هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثُعل الطائي) وهو خامس خمسة رجال من طيء قَدِمُوا إلى الكاهن اليمني سواد بن قارب الدوسي في منطقة السَّرَاة باليمن ليسألوه في قضية قَدِموا إليه بشأنها. وكان الناس يعتقدون أن سواد بن قارب يعرف كل شيء لفراسته وعلمه وكهانته. حيث كما جاء في كتاب الأمالي: «خرج خمسةُ نَفَرٍ مِنْ طَيِّء من ذوي الحجا والرأي، منهم بُرجُ بن مُسْهر، وأُنَيْفُ بن حارثة بن لَأْم، وعبد اللّه بن سعد بن الحَشْرَج أبو حاتم الطائي.. يريدون سَوادَ بن قارِب الدَّوسي ليمتحنوا علمه، فلما قَرُبوا من السَّرَاة قالوا: لِيَخْبأْ كُلُّ رجلٍ مِنّا خبيئاً ليسأله عنه، فإن أصاب عرفنا علمَه وإن أخطأ ارتحلنا عنه. فَخَبأ كل رجل منهم خبيئاً ثم صاروا إليه، فاهدَوا إليه إبلاً وطُرفاً مِنْ طُرَفِ الحيرة.. فتكلم بُرْجُ بن مُسْهر وكان أَسَنَّهُم فقال: جَادَكَ السَّحاب وأَمْرَعَ لك الجَنَاب وضَفَتْ عليك النِّعم الرِّغَاب؛ نحنُ أُولو الآكال والحَدَائق والأغْيَال أصهار الأَملاك وفُرْسانُ العِرَاق[1]. يُوَرِّي عنهم أنهم مِن بَكر بن وائل ـ فقال سواد بن قارب: والسماءِ والأرض، والغَمْرِ والبرض؛ إنكم لأَهْلُ الهِضابِ الشُّمّ والنخِيل العُمّ، مِنْ أَجَأَ العَيْطَاء وسَلْمَى ذاتِ الرَّقَبةِ السَّطْعَاء[2] فقالوا: إنّا كذلك وقد خبأ لك كل رجلٍ مِنّا خبيئاً لِتُخبرنا باسمه وخبيئه.. ثم قام عبد اللّه بن سعد ـ أبو حاتم ـ فقال: مَا خبيئي؟ فقال سواد بن قارب: والسَّحابِ والتراب، والأَصْباب والأحْداب، والنَّعَم الكُثَّاب؛ لقد خَبَأْتَ قُطَامَة فسِيط، وقُذَّة مَريط في مَدَرةٍ من مَدِيّ مطِيط[3] فقال عبد اللّه بن سعد: ما أخطأت حرفاً، فَمَن

(١) قال أبو علي القالي، قوله (أمرع لك الجناب) أمرع: أخْصَب. والجَنَابُ: ما حول الدار. والضافي: السابغ الكثير. والرِّغاب: الواسعة الكثيرة. وقوله: (نحن أولو الآكال) يُقال فلان ذو أُكُلٍ أي ذو حظ ورزق، والجمع آكال. والأغيال: جمع غيل، والغيلُ: الماء الجاري على وجه الأرض.

(٢) قوله: (والغمر والبرض) الغَمْر: الماء الكثير. والبرضُ: الماء الطويل. والشُّمُّ: الطوال. والعُم: الطوال أيضاً. والعيطاء: الطويلة، يُقال ظبية عيطاء إذا كانت طويلة العنق، والسطعاء: الطويلة أيضاً.

(٣) قوله: (والأصباب والأحداب) الصبب: ما انخفض من الأرض. والحدب: ما علا. وقوله: (قطامة فسيط.. إلخ). القطامة: ما قطعته بفمك. والفسيط: قُلَامة الظُّفر. والقُذَّة: الريش. =

أنا؟ فقال سواد: أنت ابن سَعْدِ النَّوال، عَطاؤُك سِجَال، وشَرُّك عُضال، وعَمَدُك طِوَال، وبَيْتُك لا يُنَالْ»[١].

فأيقن عبد اللَّه بن سعد والذين معه بعلم وفراسة سواد بن قارب وسألوه عَمَّا جاؤوا لأجله ثم عادوا من منطقة السَّرَاة ـ عن طريق نجران والجوف وجميعها من مناطق مذحج ـ إلى منطقة جبلي أجا وسَلمى، وكان ذلك قبل الإسلام بنحو ستين سنة، حيث تتجلى مكانة عبد اللَّه بن سعد في قول سواد بن قارب له: «أنت ابن سعد النَّوال، عطاؤك سِجَال، وشَرُّكَ عُضَال، وعَمَدُك طِوَال، وبيتك لا يُنال». فذلك هو والد حاتم الطائي.

أما والدة حاتم الطائي فهي «غَنِيَّة بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس بن عدي الطائي» قال ابن كثير: «كانت غَنِيَّة بنت عفيف، أُمُّ حاتم الطائي، لا تمسك شيئاً سخاءً وجُوداً، وكان أخوتها يمنعونها، وكانت امرأة موسرة. . ». وكذلك جاء في كتاب الأمالي أنه «كانت غَنِيَّة بنت عفيف، وهي أمُّ حاتم، من أسخى النساء وأقراهم للضيف، فلما رأى إخوتُها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها، فمكثت دهراً لا تصل إلى شيء ولا يُدفعُ لها شيء مِن مالها» ـ قال ابن كثير «مكثت سنةً في بيتٍ ـ ممنوعة من الخروج ـ يطعمونها قُوتها لعلها تكفُّ عَمّا تصنع، ثم ظنوا أنها قد تركت ذلك الخُلق فدفعوا إليها صِرْمةً مِن مالها» ثم وكما ذكر أبو علي القالي «جاءتها امرأةٌ من هوازن تسألها، فقالت لها: دُونَكِ هذه الصِّرْمة فخُذيها، فقد واللَّه مَسّنِي من ألم الجوع ـ أي في تلك السنة ـ ما آليْتُ معه ألا أمْنَع الدهر سائلاً شيئاً. ثم قالت:

لَعَمْري لَقد مَا عَضَّنِي الجوعُ عَضَّةً ... فـآلَـيْـتُ ألّا أمْـنَـعَ الـدهـرَ جَـائـعَـا

فقولا لـهـذا اللائمي اليـومَ أعْـفِـنـي ... فإنْ أنت لم تفعل فَعَضَّ الأصابعا

فـمـاذا عَسَيْتُم أنْ تـقـولـوا لأختكـم ... سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ من كان مانعا

ومــاذا تَـرَوْن الـيـوم إلا طـبـيـعـة ... فكيف بِتَركي يا ابن أمي الطبائعا»[٢]

وجاء في كتاب الأغاني عن ابن الأعرابي وفي كتاب الأمالي عن الأصمعي أنه «ذُكِرَ أن أمَّ حاتم أُتِيَتْ وهي حُبْلَى في المنام[٣] فقيل لها: أغلامٌ سَمْحٌ يُقال له حاتم أحبُّ إليك أم عشرة غِلْمةٍ كالليوث عند البأس ليسوا بأوغالٍ ولا أنكاس؟ فقالت: بل

= والمريط من السهام: الذي قد تمرط ريشه، أي نُتف. والمديُّ: جُديول يجري منه ما سال مما هُرق من الحوض. . ».

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٨٩ جـ ٢.

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢١٦ جـ ٢ ـ والأمالي لأبي علي القالي ـ ص ٢٣ جـ ٣.

(٣) أي أتاها ملاك من الملائكة في المنام. الأغاني ـ ص ٩٤ جـ ١٦ والأمالي ـ ص ١٥٢ جـ ٣.

حاتم. فولدت حاتماً، فلما تَرَعْرَع جعل يُخْرِج طعامَه، فإن وجَدَ أحداً أكَلَ مَعَه، وإن لم يجد أحداً طَرَحه»[١].

جواهر أنباء وأشعار حاتم الطائي:

وكان من أول أنباء كرم حاتم وأشعاره أن أباه قال له «الْحَقْ بالإبل، فخرج إليها ووهب له جارية وفَرَساً. . » وجاء في رواية الأغاني أن أبا حاتم مات وهو صغير فكان في حُجر جده سعد بن الحشرج وهو الذي جعله يرعى الإبل ـ «فبينما هو كذلك إذْ بَصُر بِرَكْبٍ على الطريق، فأتاهم، فقالوا: يا فتى هل مِنْ قِرًى؟ فقال حاتم: تسألون عن القِرَى وقد رأيتم الإبل، انزلوا ـ وكان الذين بَصُر بهم عَبِيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم وزياد بن جابر وهو النابغة ـ وكانوا يريدون المسير إلى النعمان، فنَحرَ لهم حاتم ثلاثةً من الإبل، فقالوا: إنما أردنا اللبن وكانت تكفينا بَكْرة إذ كنتَ لا بُدَّ مُتكلفاً لنا، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكني رأيتُ وجوهاً مختلفة فعلمتُ أن البلدان غير واحدة وسيذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه. فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، فقال لهم حاتم: إنما أردتُ أن أحسن إليكم فصار لكم عليّ الفضل، فأنا أعاهد اللّٰه أن أضرب عَراقِيبَ إبلي أو تقوموا إليها فتقتسموها، ففعلوا، فنال كلّ منهم تسعة وثلاثين بعيراً» ـ وفي رواية الأغاني ـ (نال كل منهم تسعة وتسعين بعيراً) ـ ومَضَوْا على سَفَرهم إلى الملك النعمان، وسمع أبوه بما فعل فأتاه، فقال: أين الإبل؟ فقال: (يا أبَتِ طوَّقْتُك طَوْقَ الحمامة مَجْد الدهر وكرماً، لا يزال الرجل يَحْمِل بيت شعر أثنىٰ به علينا عوضاً من إبلك) ـ وهنا تقول رواية الأمالي والأغاني ـ «فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلت ذلك؟ قال: نَعَمْ. قال: واللّٰه لا أسكن معك أبداً، فخرج بأهله وترك حاتماً» والأصوب أن الذي قال ذلك إنما هو جده (سعد بن الحشرج) فهو الذي قال «واللّٰه لا أسكن معك أبداً، فخرج بأهله وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفَلُوَّها. فقال حاتم في ذلك:

وإنّي لَعَفُّ الفَقْر مُشْتَرِكَ الغِنَى ... وتـارِكُ شـكـلٍ لا يُـوَافِـقُـه شَـكْـلـي
وشَـكْـلِـي شَـكْـلٌ لا يـقـومُ بـمـثـلـه ... مِـن الـنـاس إلّا كـلُّ ذي ثِـقـةٍ مِـثْـلـي
ومـا ضَـرَّنـي إن سـار سـعـدُ بـأهـلـه ... وأفردني في الدار ليس معي أهلي
سيكفي ابتناء المجد سعد بن حَشْرَجٍ ... وأحملُ عنكم كلّ ما ضاع مِنْ نَفْلِ
ولي مَعَ بَذْلِ المالِ في المجد صولةٌ ... إذا الحربُ أبدتْ من نواجذها العصل»

قال الأصفهاني: «وهذا الشعر يدل على أن جده صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه». [ص ١٦/٩٥] وأقول: لعل الالتباس وقع لأن أباه أيضاً كان ما يزال

---

(١) أي أتاها ملاك من الملائكة في المنام. الأغاني ـ ص ٩٤ جـ ١٦ والأمالي ـ ص ١٥٢ جـ ٣.

حيًّا بدليل قوله لأبيه (يا أَبَتِ طوقْتُك طوقَ الحمامة مجد الدهر) ولكن الذي كانت الإبل إبله وقال (واللّه لا أسكن معك أبداً) هو جده (سعد بن الحشرج) بدليل هذا الشعر، وبذلك يزول الالتباس.

وجاء في كتاب الأغاني أنه «أَقْبَلَ ركبٌ من بني أسد وقيس يريدون النعمان، فلقوا حاتماً، فقالوا له: إنّا تركنا قوماً يثنون عليك خيراً، فأنشده الأسديون شعراً لعبيد ولبشر يمدحانه وأنشده القيسيون شعراً للنابغة. ثم قالوا: إنّا نستحيى أن نسألك شيئاً وإن لنا لحاجة، قال: ما هي؟ قالوا: صاحبٌ لنا قد أرجل، فقام حاتم: خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم. فأخذوها. وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت فاتبعته الجارية، فقال حاتم: ما تبعكم من شيء فهو لكم. فذهبوا بالفرس والفلو والجارية. فمرّوا على أبي حاتم، فعرف الفرس والفلو فقال: ما هذا معكم، فقالوا: مررنا بغلام كريم ـ أو بفتىً كريم ـ فسألناه فأعطى الجسيم». قال الأصفهاني: «وأم حاتم: غنية بنت عفيف.. وكانت في الجود بمنزلة حاتم لا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه».

وذات مرة صار لحاتم نحو مائتي بعير فقال له بعض قومه: يا حاتم أبق لنفسك فقد رُزقت مالاً ولا تعودن إلى ما كنت عليه من الإسراف، فقال: إنها نهبي بينكم فانتُهِبت ـ أي اقتسموها ـ وقال حاتم في ذلك:

تداركني مجدي بسفح متالع ... فلا ييأسن ذو نومة أن يغنما

ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله ـ أي إعطاء إبله للناس ـ وصار من رؤساء قومه.

* * *

وتزوج حاتم ابنة عمه (النّوار) وهي أُمُّ سَفَّانة بنت حاتم، وجاء في كتاب البداية والنهاية عن الدارقطني أنه: «قالت امرأة حاتم لحاتم: يا أبا سَفَّانة أشتهي أن آكل أنا وأنت طعاماً وحدنا ليس عليه أحد، فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ، وأمر بالطعام فهُيىء، وهي مرخاة ستورها عليه وعليها، فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال:

فلا تطبخي قِدري وسترِك دونها ... عَلَيّ إِذَنْ ما تطبخين حَرامْ

ولكنْ بِهَذَاكَ اليفاعِ فأوقدي ... بِجزلٍ إذا أوْقَدْتِه لا بِضرامْ

ثم كشف الستور وقَدّم الطعام ودعا الناس فأكل وأكلوا. فقالت له امرأته: ما أتممت لي ما قُلتَ: فأجابها: إنّي لا تطاوعني نفسي، ونفسي أكرم عليّ من هذا وقد سبق لي السخاء، ثم أنشأ يقول:

أمارسُ نفسي البخلَ حتى أعزّها ... وأتركُ نفسَ الجود ما أستثيرُها

ولا تشتكيني جارتي غيرَ أنّها ... إذا غاب عنها بعلُها لا أزورُها
سيبلُغها خَيري ويرجع بعلُها ... إليها ولم تقصُر عليها ستورُها

ومن شعر حاتم:

إذا ما بتّ أشربُ فوق ريٍّ ... لِسكرٍ في الشراب فلا رُويتُ
إذا ما بتّ أخْتِلُ عرسَ جاري ... ليخفيني الظلامُ فلا خُفِيتُ
أأفضحُ جارتي وأخونُ جاري ... فلا واللّه أفْعَلُ ما حَيَيْتُ

ومن شعره أيضاً:

ما ضرّ جاراً لي أجاوره ... أن لا يكون لِبَابِهِ سِتْرُ
أُغْضي إذا ما جارتي بَرَزت ... حتى يواري جارتي الخِدْرُ

ومن شعره:

سَلِي البائسَ المقرورَ يا أمّ مالكٍ ... إذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي إنه أولُ القِرىٰ ... وأبذلُ معروفي له دون منكري

ومن جيّد شعر حاتم أيضاً قوله:

وما مِنْ شِيمَتِي شَتْمُ ابن عَمّي ... وما أنا مُخْلِفُ مَنْ يَرْتَجِينِي
وكلمةِ حاسدٍ في غير جُرْم ... سمعتُ فقلتُ مُرّي فانْفُذِيني
فعابُوها عليَّ ولم تَسُؤني ... ولم يَعْرَقْ لها يوماً جَبِينِي
وذُو اللَّوْنَيْن يَلْقاني طَلِيقاً ... وليسَ إذا تَغَيَّبَ يَأتِلِيني [(١)]
ظفرتُ بعيبه فكففْتُ عنه ... مُحَافَظةً على حَسَبي وديني» [(٢)]

وجاء البيت الأخير في الأمالي بأنه:

سمعتُ بعَيْبه فصَفَحْتُ عنه ... مُحَافَظةً على حَسَبِي ودِيني [(٣)]

وقوله «مُحافظةً على حَسَبي وديني» يبعث على التساؤل عن ديانة حاتم الطائي وقبيلة طيء، ومن المفيد أن نذكر هنا أن بعض طيء كانوا يدينون بالديانة المسيحية النصرانية وبعضهم بعبادة ثلاثة آلهة وثنية هي: الفُلْس، والعزّى، ورُضا. وقد ذكرت المصادر أن «الفُلْس: الصنم الذي كانت تعبده طيء هو أنفُ أحمر وسط جبلهم يبدو كأنّه تمثال إنسان، وكانوا يهدون إليه، ويعترون عنده عتائرهم، ولا يأتيه خائفٌ إلا أمن

---

(١) قال أبو علي القالي: (ما ألَوْتُ: ما قَصَّرْتُ: وما ألوتُ: ما استطعتُ).
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢١٥/٢.
(٣) قال أبو علي القالي: ويروى (سمعتُ بغَيْبة) ـ ص ٢٠٣ جـ ٢ ـ الأمالي.

عنده، وكانت سدانته في بني بولان»[١] وكان الفُلْسُ يقال له (الجبل الأسود) وربما (يفاع) أيضاً وهو من جبلي أجا وسَلمى[٢] وكانت سائر عشائر وبطون طيء بما في ذلك النصارى منهم ـ يُعظمون الفُلْس، وفيه قال عارف الطائي في أبيات له بالأمالي:

فأقْسِمُ بالعَتائرِ حيثُ فُلْسُ ومَنْ نَسَكَ الأُقَيْصرَ مِ العِبَاد[٣]

وجاء في عيون الأثر أنه «كان في خزانة بيت صنم طيء الفُلْس ثلاثة أسياف هي: رسوب والمِخذم وسيفٌ يُقال له اليماني»[٤] وقد ذكر ابن كثير أن «السيفين: الرسوب والمِخذم نذرهما الحارث بن أبي شمّر الغساني لبيت صنم طيء الفُلْس»[٤] مما يشير إلى أن السيف الثالث الذي يُقال له اليماني نذره أيضاً ملك اليمن في تلك الحقبة لبيت الفُلْس، وقد يكون الذي نذره الملك الحميري سُميفع أشوع الذي حكم اليمن في الفترة (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) وعاصر الحارث الغساني، وقد كان الملك سُميفع والملك الحارث الغساني يدينان بالديانة المسيحية وأهديا السيوف لإظهار احترامهما لمعبود طيء وقد يكون الذي أهدى السيف اليماني سيف بن ذي يزن. وكذلك كانت بعض عشائر طيء تعبدُ (رُضَا)، قال الأصفهاني «رُضَا: صنمٌ كان لطيء»[٥] وكان اسم جد زيد الخيل بن مهلهل (منهب بن عبد رُضَا) ومن شخصيات طيء أيضاً «مُرَّة بن عبد رُضا الطائي»[٣] وكانت عبادة (رُضَا) موجودة أيضاً في قبيلة خولان بصعدة ومأرب القريبة من الجوف باليمن حيث ذكرت التراجم اسم (عبد رُضَا الخولاني)[٦] ويدل ذلك على أن (رُضَا) كان معبوداً لبعض عشائر طيء وكذلك لبعض خولان باليمن.

وكذلك كانت الديانة النصرانية المسيحية شائعة في العديد من رجالات وعشائر طيء كما كانت شائعة في العديد من أقيال ومناطق اليمن حيث كان الأقيال آل ذي رُعين وآل ذي فائش بمناطق حِمْيَر يدينون بالمسيحية ومنهم عبد كلال بن مُثوب بن ذي رُعين وفيه قال نشوان الحميري:

أم أين عبد كُلالٍ الماضي على دين المسيح الطاهر المسَّاح

(١) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ٢٨٧.

(٢) جاء في الأغاني أن النبي ﷺ قال لوفد طيىء: «أنا خير لكم من العُزى ومما حاز يفاع من كل ضار غير مناع ومن الجبل الأسود الذي تعبدونه..». قال أبو المنذر (يعني بيفاع جبل طيىء) ص ١٦/٤٧ ـ الأغاني.

(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٨٩ جـ ٢.

(٤) عيون الأثر ـ ابن سيد النأس ـ ص ٢٦٦/ ٢ ـ والبداية والنهاية ـ ابن كثر ـ ص ٦٨/ ٥.

(٥) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ض ١٦/٤٦.

(٦) الوثائق السياسية ـ محمد حميد الله ـ ص ٢٣٧ ـ وجاء في كتاب أُسد الغابة أنه «كتب رسول الله ﷺ كتاباً لعبد رضا الخولاني إلى معاذ بن جبل».

ومنهم أيضاً آل ذي يزن وأقيال كندة في حضرموت وآل الديان وبني الحرث بن كعب المذحجيين بمخلاف نجران، ومن رجالات طيء ذكرت التراجم أن «رافع بن عميرة السنبسي الطائي كان نصرانياً» وأنه «كان قبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي نصرانياً» وجاء في كتاب السيرة والتراجم أنه «كان عَدِي بن حاتم الطائي نصرانياً»[(١)] وبالتالي يمكن استنتاج أنه كذلك كان أبوه حاتم الطائي يؤمن بالدين النصراني المسيحي وهو الدين المقصود في قوله (محافظةً على حَسَبي وديني).

* * *

لقد عاش حاتم الطائي في الفترة ما بين عام ٥٤٠ وعام ٦٠٠م تقريباً، وعاصر كوكبة من ملوك الشام الغساسنة اليمانيين وملوك الحيرة المناذرة اللخميين اليمانيين، وتكتسب أنباء ذلك أهمية أساسية في معرفة وضبط الأزمنة وترتيب الأحداث وكذلك في علاقة طيء بالغساسنة والمناذرة فقد عاصر حاتم فترة من عهد الحارث بن جَبَلة الغساني ملك العرب بالشام وكان الحارث يحمل أيضاً لقب فيلارخ وبطريك (Phylarch and patricus) وهو أعلى لقب بعد القيصر الروماني، وكانت له رئاسة دينية مسيحية تتجلى في لقب (بطريك) لأن الغساسنة وأغلب العرب بالشام كانوا يدينون بالمسيحية، وهو الحارث بن أبي شمر الغساني الذي سار إليه امرؤ القيس بن حجر الكندي طالباً دعمه ودعم قيصر الروم لمحاربة المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فمات امرؤ القيس هناك حوالي عام ٥٤٥م. ثم اندلعت الحرب بين الحارث الغساني والمنذر بن ماء السماء حيث «انتصر الحارث بن جَبَلة الغساني على المنذر بن ماء السماء في موقعة قنسرين في يونيو ٥٥٤م وهي الوقعة التي اشتهرت باسم يوم حليمة»[(٢)] وفيها سقط المنذر بن ماء السماء قتيلاً، وقد امتد نفوذ الحارث الغساني إلى منطقة أجا وسَلمى الطائية وأهدى الحارث سيفين يقال لهما الرسوب والمِخذم ـ بكسر الميم ـ إلى بيت الفُلْس معبود طيء. وقد ذكر ابن الأثير: «إن الحارث بن جبلة الغساني أصلح بين قبائل طيء»[(٣)] ويدل ذلك على العلاقة الجيدة وعلى نفوذ الحارث بن جبلة الغساني وقد توفي الحارث بن جَبَلة عام ٥٦٩م. قال ابن الأثير: «فلما مات الحارث بن جَبَلة الغساني عادت طيء إلى حربها» ـ أي وقع صراع حربي بين عشائر من قبيلة طيء ـ «فالتقت جديلة والغوث بموضع يُقال له غرثان، فَقُتِل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لام، عم أوس بن حارثة بن

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٤٨/ ٤ ـ وعيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٠٢/ ٢.

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٠.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثر ـ ص ٣٨٨ جـ ١.

لام، وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه، وعظُم ما صنعت الغوث على أوس بن حارثة وعزم على لقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحرب المتقدمة لا هو ولا أحدٌ من رؤساء طيء كحاتم بن عبد اللّٰه وزيد الخيل بن مهلهل. وبلغ الغوث جمع أوس لها وأوقدت النار على مناع وهو ذروة جبل أجا. وذلك أول يوم توقد عليه النار، فأقبلت عشائر الغوث كل عشيرة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم، وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لام». ثم ذكر ابن الأثير اقتتالهم في يوم اليحاميم، وتدل القرائن على أن يوم اليحاميم كان في أيام النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وليس في الصراع الذي وقع بعد موت الحارث بن جبلة الغساني، ومما يتصل بذلك الصراع والفساد جاء في كتاب الأغاني والأمالي أنه «جاور في بني بدر من احترب من جديلة وثعل في زمن الفساد فقال حاتم:

إن كنتِ كارهةً لعيشتِنا ... هاتا فَحُلِّي في بني بَدْرِ
جاوَرْتُهم زَمَنَ الفَساد فنِعْـ ... ـم الحَيُّ في العَوصاء واليُسْرِ [١]
فسُقِيتُ بالماء النَّمِير ولم ... أُتْرَكْ أُلاطِم حَمْأةَ الجَفْرِ [١]
ودُعِيتُ في أُولَى النَّدِيِّ ولم ... يُنْظَرْ إليَّ بأَعْيُنٍ خُزْرِ [٢]
الضاربين لدى أعِنَّتِهم ... والطاعنين وخَيْلُهم تجري» [٣]

وجاء في كتاب الكامل أنه «وفد حاتم الطائي وأوس بن حارثة بن لام الطائي على عمرو بن هند». وعمرو بن هند هو الملك عمرو بن المنذر بن ماء السماء، ووالدته هي هند بنت الحارث الكندي عمة امرىء القيس بن حجر الكندي. وقد جاء في تاريخ ابن خلدون أنه «مَلَك بعد المنذر بن ماء السماء ابنه عمرو بن هند ست عشرة سنة، ولثماني سنين من مُلكه كان عام الفيل» [٤]. وقد مات المنذر في موقعة يوم حليمة ـ سنة ٥٥٤ م ـ فتكون فترة حكم عمرو (من ٥٥٤ ـ ٥٧٠م) بينما عام الفيل كان عام ٥٧٠م، فربما حكم قبل عمرو أخوه قابوس بن المنذر ثم حكم عمرو ١٦ سنة بحيث يكون عهد عمرو ما بين (٥٥٩م و٥٧٧م) وأنه اشترك مع عمرو في الحكم النعمان بن المنذر، والمنذر بن المنذر، لأن النعمان كان ملكاً بالحيرة عندما

---

(١) قال أبو علي القالي (زمن الفساد: حرب كانت لهم. العوصاء: الشدة. الماء النمير: الناجع في الأبدان. الجفر: البئر ليست مطوية).

(٢) في رواية الأغاني:
«فسقيت بالماء النمير ولم ... ينظر إلى باعين خُزرِ»

(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٦٩/ ٢.

(٤) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٦٣.

سار إليه سيف بن ذي يزن فسار النعمان معه إلى كسرى أنوشروان فأمدّه كسرى بالدعم الرمزي في محاربته للأحباش وذلك عام ٥٧١م بينما فترة حكم عمرو بن هند التي ذكرها ابن خلدون استمرت إلى عام ٥٧٤ أو عام ٥٧٧م فيدل ذلك على أن النعمان بن المنذر كان يشترك في الحكم مع أخيه عمرو في تلك الفترة التي وفد خلالها حاتم إلى عمرو بن هند وكان كذلك بالتأكيد منذ عام ٥٧٠م، وقد جاء في كتاب الكامل أنه:

«وَفَدَ أوس بن حارثة بن لام الطائي هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند. وكان أوس سيداً مطاعاً في قومه وجواداً مقداماً، فدعا عمرو بن هند أوساً فقال له: أنت أفضَل أم حاتم؟ فقال: أبَيْتَ اللعنَ إنّ حاتماً أوحدُها وأنا أحدُها، ولو مَلَكني حاتم وولدي ولُحْمتي لوَهَبنا في غداة واحدة. ثم دعا عمرو حاتماً فقال له: أنتَ أفضل أم أوس؟ فقال: أبيتَ اللعنَ إنّما ذكَرْتَ أوساً ولأحد ولده أفضل مني، فاستحسن ـ عمرو ـ ذلك منهما وحباهما وأكرمهما»[1]. وقد انتقل ابن الأثير من ذلك الخبر عند عمرو بن هند مباشرة قائلاً «ثم إن وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس..»[1] وهذا يُعزز كون النعمان ملكاً مع وفي نفس فترة حكم عمرو بن هند وليس بعده فقط.

وكان عمرو بن هند غزا قبل ذلك إلى تخوم جبلي طيء، فقال له زرارة بن عدس التميمي (أي ملك إذا غزا لم يرجع ولم يُصب، فملْ على طيء فإنك بحيالها فَمَالَ إليهم فأسَرَ وغنم، فكانت في صدور طيء على زرارة. وكان عمرو بن هند قد ترك ابناً له اسمه أسعد عند زرارة التميمي، فمرت بأسعد ناقة سمينة فرمى ضرعها، فشدّ عليه صاحبها سويد أحد بني دارم التميمي فقتله. وهرب إلى مكة، وكان زرارة يومئذٍ عند عمرو بن هند فقال له عمرو بن مِلْقَطِ الطائي يحرضه على زرارة:

مَـــنْ مُـــبْـــلِـــغٌ عـــمـــراً بـــأ نَّ الـــمـــرءَ لـــم يُـــخـــلـــق صـــبـــاره
هـــــا أن عـــــجـــــزة أمـــــه بـــالـــســـفـــح أســـفـــل مـــن أواره
فـــــاقْـــــتُـــــل زرارة لا أرى فـــي الـــقـــوم أوفـــى مـــن زرارة

فقال عمرو: يا زرارة ما تقول؟ قال: كذبَ قد علمتَ عداوتهم. فلما جن الليل سار زرارة مجداً إلى قومه ولم يلبث أن مرض فمات. فلما بلغ عمرو وفاة زرارة غزا بني دارم، وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ جبل أُوّارة ـ باليمامة ـ وقد أُنذروا به فتفرقوا، وبَثّ سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلاً من بني

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثر ـ ص ٣٨٢ جـ ١.

دارم فقتلهم، فجاء رجل من البراجم ليمدحه فأخذه فقتله ليُتم مائة ثم قال: إنّ الشقي وافد البراجم. فذهبت مثلاً. وقيل: أنه نذر أن يحرقهم فلذلك سُمّي محرّقاً، فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلاً، وأتمّهم بالبرجمي. فقال جرير للفرزدق يذكر ذلك:

أيْنَ الذين بنار عمرو أُحرقوا   أم أين أسعد فيكم المُسْتَرضَعُ)

وقال السهيلي: «كان عمرو بن هند من أعاظم ملوك الحيرة ويُعرف بمُحرِّق لأنه حَرّق مدينة الملهم عند اليمامة». فتكون هي قرية بني دارم التميميين وبعد ذلك كان قدوم حاتم الطائي وأوس بن حارثة بن لام إلى عمرو بن هند وإكرامه إياهما. وكذلك اشتهر بلقب (مُحرّق) أيضاً الملك منذر بن الحارث بن جبلة الجفني الغساني، فعندما توفي الحارث بن جَبَلة عام ٥٦٩م ـ وكما ذكر الأستاذ أحمد أمين ـ «خَلَفَ الحارث بن جبلة ابنه المنذر فغزا عرب الحيرة فانتصر عليهم في وقعة عين أباغ»[١]. وقال ابن خلدون في أنباء الملوك الغساسنة أنه «توالى المُلك في ولد الحارث فملك منهم المنذر بن الحارث وهو مُحرّق لأنه حَرّق الحيرة دار ملك آل النعمان ـ المناذرة ـ» ـ وكان ذلك في موقعة عين أباغ التي اشترك معه في قيادتها جَبَلة بن الحارث وكان ملكاً أميراً بصفين ـ قال ابن خلدون ـ «وجَبَلة هو صاحب وقعة عين أباغ يوم كانت له الهزيمة على المنذر بن المنذر بن ماء السماء، وقُتِل المنذر في ذلك اليوم» فيكون ذلك في إطار غزوة المحرّق منذر بن الحارث الغساني وانتصاره في موقعة عين أباغ وقيامه بإحراق منطقة من إقليم الحيرة ولذلك قيل له (مُحَرِّق). وربما سار إلى تخوم منطقة جبلي أجا وسَلمى الطائية، وقد ذكر الأصفهاني خبراً لحاتم الطائي مع الملك الذي اشتهر بلقب (محرّق) دون تبيين ما إذا كان المقصود عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة أو منذر بن الحارث الغساني، ولعل المقصود هو محرّق الغساني. فقد جاء في كتاب الأغاني أنه:

«أتى حاتم الطائي مُحَرِّقاً، فقال له مُحرق: بايعني. فقال حاتم: إنّ لي أخوين ورائي فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا. فقال محرّق: اذهب إليهما فإن أطاعاك فائتني بهما وإن أبَيَا فأذِن بحرب: فلما سار حاتم قال:

أتاني مِن الديان أمسِ رسالة   (وغدوا يحيى) ما يقولُ مواسلُ[٢]

---

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٠ ـ وبعد انتصار منذر بن الحارث في موقعة عين أباغ، نشأ خلاف بينه وبين قيصر الروم جوستنين الثاني، استمر ثلاث سنين، ثم هدد عرب الحيرة والفرس تخوم الروم، فاضطر قيصر الروم إلى مصالحة منذر بن الحارث وعقد اتفاقاً معه عام ٥٨٠م.

(٢) مواسل: طرفا جبل طيىء. وجاء بداية عجز البيت في الأغاني (وغدوا يحيى) ولم يظهر المقصود ولا بد أن فيه تصحيف من الطباعة.

هُما سألاني ما فعلتُ وإنني كذلك عَمَّا أحدثا أنا سائلُ
فقلتُ ألا كيف الزمان عليكما فقالا: بخير كلُّ أرضك سايلُ

فقال مُحرق: ما أخواه؟ فقيل له: طرفا الجبل. فقال: لأجَلِلَنّ مواسلاً الريط مصبوغات بالزيت ثم لأشعِلَنَّهُ بالنار.. وانْصَرَف مُحرق ولم يُقدم على ذلك» [ص ١٠٥/١٦] ـ وقد حرص حاتم ـ فيما يبدو ـ على بقاء طيء بمنأى عن الصراع بين الغساسنة والمناذرة وذات علاقة طيبة مع كليهما ومستقلة عن دولتيهما فلم يبايع محرّقاً الغساني ولا المناذرة.

وذكر الحافظ ابن كثير أنه: «وَفَدَ حاتم الطائي على النعمان بن المنذر فأكرمه وأدناه ثم زوّده عند انصرافه حمولة جَمَلين ذهباً ووَرِقاً غير ما أعطاه من طرائف بلاده. فرحل، فلما أشرف على أهله ـ بالجبلين ـ تلقته أعاريب طيء فقالوا: يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينا من عند أهالينا بالقفر، فقال حاتم: هَلُم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه، فوثبوا إلى ما بين يديه من حباء النعمان فاقتسموه. فخرجت إلى حاتم جاريته طريفة فقالت له: اتق اللّه وابق لنفسك فما يدع هؤلاء ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً، فأنشأ حاتم يقول:

قالت طريفةُ ما تُبقي دراهمنا وما بِنَا سرفُ فيها ولا خَرَقُ
إنْ يَفْنَ ما عِندنا، فاللّه يرزُقنا مِمّن سوانا ولسنا نحن نرتزقُ
ما يألفُ الدرهمُ الكاري خِرقَتَنا إلا يمرّ عليها ثم ينطلقُ
إنّا إذا اجتمعت يوماً دراهمُنا ظلّت إلى سُبُلِ المعروفِ تستبقُ»[١]

* * *

وفي إحدى رحلات حاتم الطائي تعرّف إلى الأميرة ماوية بنت عفزر التي جاء في كتاب الأمالي أنها «كانت من بنات ملوك اليمن» حيث جاء في كتاب الأغاني «إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت وأنها بعثت غلماناً لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه فجاؤوها بحاتم الطائي. فقالت له: استقدم ـ أي ادخل ـ فقعد على الباب وقال إني أنتظر صاحبين لي، فارتابت منه وسقته خمراً ليسكر فجعل يريقه بالباب فلا تراه تحت الليل ثم قال: ما أنا بذائق قرًى ولا قارٍ حتى أنظر ما فعل صاحباي، فقالت: إنّا سنرسل إليهما بقرًى، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما. فأتاهما فقال: أفتكونان عبدين لابنة عفزر ترعيان غنمها أحبّ إليكما أم تقتلكما؟ فقالا: كل شيء يشبه بعضه بعضاً وبعض الشر أهون من بعض، فقال

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢١٦/٢.

حاتم: الرحيل والنجاة. وقال يذكر ابنة عفزر وأنه ليس بصاحب ريبة:

حَنَنْتُ إلى الأجبال أجْبَالِ طيءٍ ... وحَنّتْ قَلُوصِي إنْ رأتْ سوط أحمرا[1]
فقُلتُ لها إن الطريق أمامنا ... وإنّا لمحيُو رَبْعَنا إنْ تَيَسّرَا
فيا راكبي عَلْيَا جديلة إنّمَا ... تُسَامَانِ ضيماً مستبيناً فتنظرا[2]
فَمَا نَكَرَاهُ غير أنّ ابن مِلْقَطٍ ... أراه وقد أعطى الظُّلامة أوجرا[3]
وإنّي لَمُزْجٍ للمطيّ على الوجا ... وما أنا مِنْ خِلّانِكِ ابنة عفزرا
وما زلتُ أسعىٰ بين ناب ودارةٍ ... بلحيان حتى خفتُ أن أتَنَصّرَا[4]
وحتى حسبتُ الليلَ والصبحَ إذْ بَدَا ... حصانين سيالين جَوْناً وأشْقَرَا
لِشَعْب مِن الريان أملك بابه ... أنادي به آل الكبير وجعفرا
أحَبُّ إليّ مِنْ خطيبٍ رأيتُه ... إذا قُلتُ معروفاً تبدّلَ مُنْكِرَا
تُنَادي إلى جاراتها أنّ حاتماً ... أراه لَعَمْرِي بَعْدَنَا قد تَغَيّرَا
تغيرتُ إنّي غير آت لريبةٍ ... ولا قائلُ يوماً لذي العرفِ مُنْكَرَا
فلا تسأليني واسألي أي فارسٍ ... إذا بادرَ القومُ الكنيفُ المُسَتّرا
ولا تسأليني واسألي أي فارسٍ ... إذا الخيلُ جالت في قناً قَدْ تَكَسّرَا
فلا هي ما ترعى جميعاً عُشَارها ... ويصبحُ ضيفي ساهمَ الوجْهِ أغْبَرا
متى تَرَني أمشي بسيفي وسطها ... تَخَفْني وتُضمِر بينها أن تُجَزّرا
وإنّي ليَغْشَىٰ أبعد الحي جَفْنَتي ... إذا ورق الطلح الطوال تَحَسّرا
فلا تسأليني واسألي بي صحبتي ... إذا ما المطيُّ بالفَلَاةِ تَضَوّرا
وإنّي لوهابٌ قطوعي وناقتي ... إذا ما انتشيتُ والكميتَ المصَدّرَا
وإنّي كأشلاء اللجام ولن ترى ... أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغْبَرَا
أخو الحرب إنْ عَضّتْ به الحربُ عَضّها ... وإن شَمّرت عن ساقها الحربُ شَمّرَا
وإنّي إذا ما الموتُ لم يك دونه ... قدى الشبر أحمى الأنف أن أتأخّرَا
متى تَبْغ ودّاً من جَدِيلة تَلْقَهُ ... مع الشيء منه باقياً مُتَأثّرا

---

(١) سوط أحمرا: لعله يعني بيت الفُلْس وهو أنف أحمر وسط جبل طيىء يبدو وكأنه تمثال إنسان.

(٢) عليا جديلة: أي أعالي منطقة جديلة. وجديلة من عشائر طيىء.

(٣) ابن ملقط: عمرو بن ملقط الطائي القائل لعمرو بن هند (من مبلغٌ عمراً بأن المرء لم يُخلق صبارة).

(٤) لحيان: اسم منطقة قبيلة لحيان الجرهمية. وقوله: (أن أتنصرا) لعله يعني أن يدخل أرض الشام أو أرض الروم.

فـإلّا يَـفَـادُونَـا جَـهَـاراً نُـلاقِـهِـم لأعـدائـنـا رداءَ دلـيـلاً ومُـنْـذِرا
إذا حَـالَ دونـي مـن سـلامـان رمـلـة وجدت توالي الوصل عندي أبترا

ثم إن حاتماً دعته نفسه إلى ماوية بعد انصرافه من عندها، فعاد إليها من منطقة طيء، وأتاها يخْطُبها، فوجد عندها النابغة ورجلاً من النَّبِيت يَخْطُبانها[1] - حيث كما جاء في كتاب الأمالي - «قالت لهم ماوية: انقلبوا إلى رِحَالِكم ولْيَقُل كل رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله وخصاله فإنّي أتزوجُ أشعرَكم وأكرمَكم، فانصرفوا ونَحَر كلُّ واحد منهم جزوراً، ولبست ماوية بنت عفزر ثياباً لأمَةٍ لها، وأتتهم، فاستطعمت النَّبِيتِيَّ فأطعمها ثِيلَ جَمَلِه فأخذته، ثم أتت النابغة فأطعمها ذنب جزوره فأخذته. ثم أتت حاتماً وقد نَصَب قُدورَه وهي على النار فاستطعمته، فقال لها: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به فانتظرت، فأعطاها قِطعاً من العَجُز والسنام قد نَضِجَتْ، ثم انصرفت. ثم أُرسل كل واحد منهم إليها ظهر جَمَلِه وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها» ثم صبَّحوها فاستنشدتْهم، فأنشدها النبيتي:

هَـلّا سـألـتِ الـنَّـبِـيـتـيـن مـا حَـسَـبِـي عـنـد الـشـتـاء إذا مـا هَـبَّـتِ الـريـحُ
ورد جـازرهـم حـرفـاً مـصـرمـة في الرأس منها وفي الاصلاء تلميحُ
وقـال رائـدهـم سَـيَّـان مـا لـهـم مـثـلان مِـثْـلُ لِـمَـنْ يرعى وتسريحُ
إذا الـلـقـاح غـدت مُـلْـقَـى إصـرَتُـهـا ولا كـريـم مـن الـولـدان مـصـبـوحُ

فقالت له: لقد ذَكَرْتَ جَهْداً. ثم استنشدت النابغة فأنشدها يقول:

هَـلّا سـألـتِ بـنـي ذبـيـان مـا حَـسَـبِـي إذا الـدُّخـان تَـغَـشَّـى الأشْـمَـطَ الـبَـرَمـا
وهَـبَّـتْ الـريـحُ مـن تـلـقـاء ذي أزل تُرجي مع الليل من صرادها الصرما
إنّـي أتـمِّـمُ أيـسـاري وأمـنـحـهـم مثنى الأيادي وأكسو الجفنةَ الأدمَا

فقالت: ما ينفك الناس بخير ما ائتدموا. ثم قالت: يا أخا طيء أنشدني، فأنشأ حاتم يقول:

أمـاويَّ قَـدْ طـالَ الـتَـجَـنـبُ والـهَـجْـرُ وقَـدْ عَـذَرَتـنـي فـي طِـلَابِـكُـمُ الـعُـذرُ
أَلَـمْ تَـر أنَّ الـمـالَ غـادٍ ورائـحُ ويَبْقَىٰ من المالِ الأحاديثُ والذِكْرُ[2]
أمـاويَّ إنّـي لا أقـولُ لـسـائـلٍ إذا جاء يوماً حلّ في مالنا النذرُ
أمـاويَّ إمـا مـانِـعُ فـمُـبـيـنٌ وإمـا عـطـاءُ لا يُـنَـهْـنِـهَـهُ الـزَّجْـرُ

---

(١) النابغة هو النابغة الذبياني. والنبيتيّ رجلٌ من الأوس والخزرج.

(٢) جاء صدر البيت في الأمالي هكذا (ألم تر أن المال غاد ورائح) وفي كتاب الأغاني (أماويّ إن المال غاد ورائح).

أماويَّ ما يُغْني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
إذا أنا دلاني الذين أحبّهم ... بملحودةٍ زَلْخٍ جوانِبُها غُبْرُ
وراحوا سراعاً يَنفضُونَ أكفّهم ... يقولون قد دَمَّىٰ أنامِلَنا الحَفْرُ
أماويَّ إن يُصبح صَدَاي بقفرةٍ ... مِن الأرض لا ماء لديّ ولا خمرُ [(١)]
تَرَيْ أنّ ما أنفقتُ لم يَكُ ضَرَّني ... وأنَّ يَدِي مما بَخِلْتُ به صِفْرِ [(٢)]
أماويَّ إنّي رُبَّ واحد أُمّه ... أخَذْتُ فلا قَتْلُ عليه ولا أسْرُ [(٣)]
وقد عَلِم الأقوامُ لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفرُ [(٤)]
فإنّي لا آلو بمالي صنيعة ... فأوله زادٌ وآخره ذُخْرُ
يُفَكُّ به العاني ويؤكَلُ طيباً ... وما أن تعرته القداحُ ولا الخمرُ
ولا أظْلِمُ ابنَ العمّ إنْ كانَ إخوتي ... شهوداً وقد أودىٰ (بأخوته الدهرُ)[(٥)]
عَنِينَا زَماناً بالتَّصَعْلُك والغِنَى ... فكلّاً سَقَاناه بكأسَيْهما (العصرُ)[(٦)]
فما زادنا بَغْياً على ذي قرابةٍ ... غِنَانا ولا أزْرَىٰ بأحسابِنا الفقرُ
وما ضَرَّ جاراً يا ابنة القوم فاعلمي ... يُجاورني ألا يكون له سترُ
بِعينيَّ عن جارات قومي غفلة ... وفي السمع مني عن أحاديثهم وَقْرُ »[(٧)]

فلما فرغ حاتم من قصيدته دَعَتْ بالغَداء، وقد كانت أمرتْ جواريَها أن يُقَدِّمْنَ

---

(١) قال الأصفهاني «الصدى ههنا: كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائراً يخرج من جسم الإنسان أو رأسه فإذا قُتِل يُصوِّتُ على قبره حتى يدرك بثأره. والصدي: العطش. والصدى: ما يجيب إذا صوَّت في المكان الخالي».

(٢) الصفر: الخالي.

(٣) قال الأصمعي (كان حاتم مظفراً إذا قَاتَلَ غَلب وإذا أَسَرَ أطلق، وكان يُقسم بالله أن لا يقتل واحد أمّه).

(٤) قال الأصفهاني (الثراء: الكثرة في المال وفي عدد القوم أيضاً. والوفر: الغنى ووفور المال).

(٥) لعل الأصوب (أودى بأخوتي الدهر).

(٦) في الأمالي (بكأسيهما الدهر) قال أبو علي القالي «والصُعلُوك: الفقير في كلام العرب.. والتَّصَعْلُكِ والغنى: أي الفقر والغنى».

(٧) هذه القصيدة من أشهر شعر حاتم الطائي، وقد جاء في كتاب الأغاني أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه: إني أحبّ أن أسمع حديث حاتم وماوية، فحدثه رجل من الحاضرين بخبرهما السالف وبهذه القصيدة. وكذلك لما قال الخليفة عبد الملك بن مروان لجلسائه: أنشدوني أفضل ما قيل في الجود، قال روح بن زنباع: «قول حاتم الطائي.. وأنشده هذه القصيدة» وهي أيضاً من مختار أغاني العرب في كتاب الأغاني فقد أورد الأصفهاني أبياتاً منها وقال (الشعر لحاتم الطائي والغناء لإسحاق الموصلي رمل بالسبابة في مجرى البنصر) وكذلك غناه مالك خفيفاً، وابن سريج ثاني ثقيل بالوسط. وغناه ابن جامع خفيف رمل بالوسط.

إلى كل رجل ما أطعمها، فَقدَّمْنَ إلى النابغة والنَّبيتي ثِيلَ الجَمَل وذَنَبه، وإلى حاتم مثل الذي أعطاها، فَنكَّس النَّبيتي والنابغة رؤوسهما، فلما نظر حاتم إلى ذلك أطعمهما مما قُدِّم إليه. وقالت ماوية: إن حاتماً أكرمكُم وأشعركُم. فتسلّلا لِواذاً. فلما خرجا قالت لحاتم: خلّ سبيل امرأتك، فأبَىٰ، فرَدّته، فلما انصرف ـ إلى منطقته ـ ماتت امرأته (النّوار) فدعته نفسه إلى ماوية ـ قال أبو علي القالي ـ «فخطبها فتزوجته، فولدت له عَدِيًا، وكانت من بنات ملوك اليمن»[١] ـ أي من بنات أقيال اليمن الذين كانوا بمثابة ملوك في مناطقهم باليمن حيث كان (حُجر) وهو اسم (عفرز والد ماوية) شائعاً في بيوت أقيال اليمن. بينما جاء في رواية الأغاني أن ماوية كانت ملكة (بالحيرة). وجاء في كتاب الجامع أنه (زار حاتمٌ الشام فتزوج ماويّة بنت حُجْر الغساني»[٢] ويدل ذلك على أن أباها كان من أمراء الشام الغساسنة اليمانيين ما لم يكن من أقيال اليمن الملوك بمناطقهم لأنها كما جاء في الأمالي «كانت من بنات ملوك اليمن» فانتقلت معه وسكنت بمنطقته في جبل أجأ فولدت له عَدِياً.

* * *

وكان حاتم الطائي قد وَفَدَ مع أوس بن حارثة بن لام الطائي إلى الملك عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة، وقد سَلَفَ ذكر خبر ذلك وأن النعمان بن المنذر كان ملكاً بإقليم الحيرة منذ فترة حكم أخيه عمرو. وقد ذكر ابن الأثير: «إن وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس بن حارثة بن لام، فدعا النعمان بحلّة من حلل الملوك وقال للوفود: احضروا في غد فإني مُلْبِسُ هذه الحلّة أكرمكم، فلما كان الغد.. ألبس الحلّة أوساً». وكذلك أكرم النعمان بن المنذر حاتماً وحباه عند انصرافه حمولة جملين ذهباً ووَرِقاً وغير ذلك من طُرفِ الحيرة، حيث أعطاه حاتم لأعاريب طيء لما عاد إلى منطقته بالجبلين كما سلف التبيين. ولكن تقدير النعمان بن المنذر لأوس بن حارثة اقترن بأمور أخرى فقد جاء في كتاب الأغاني «أن النعمان بن المنذر جعل لبني لام بن عمرو بن طريف ربع الطريق طعمة لهم، وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا أصهاره». فتولى بنو لام ـ وبالتالي عشائر جديلة ـ حماية وخفارة تلك الطريق التي تمرّ بين الحيرة والدهناء واليمامة وغيرها والتي كانت تسكنها العديد من القبائل من بني أسد وتميم وطيء وغيرهم، وقد قام أوس بن حارثة بقيادة حملة ضد عشيرة بني أسد تقول الروايات أنها بسبب هجاء بشر بن أبي خازم الأسدي لأوس بن حارثة، وربما كانت لها علاقة

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٥٥ جـ ٣.
(٢) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٤٨.

بحماية الطريق، قال ابن الأثير: «فهرب بشر بن أبي خازم إلى بني أسد عشيرته فمنعوه من أوس ورأوا تسليمه إليه عاراً، فجمع أوس جديلة طيء وسار بهم إلى بني أسد فالتقوا بظهر الدهناء فاقتتلوا، فانهزمت بنو أسد وقُتِلوا قتلاً ذريعاً، وهرب بشر بن أبي خازم ونزل على جندب بن حصن الكلابي بأعلى الصمان ـ وهو موضع برملة عالج ـ فأرسل إليه أوس يطلب منه بِشراً فأرسله إليه، فلما قُدِم به على أوس قال له: يا بشر ما ترى أني أصنع بك فقال:

إنّي لأرجو منك يا أوس نعمة ... وإنّي لأُخرى منك يا أوس راهبُ
وإنّي لأمحو بالذي أنا صادق ... به كلّ ما قد قلتُ إذْ أنا كاذبُ
فهل نافعي في اليوم عندك إنني ... سأشكر إنْ أنعمتَ والشكرُ واجبُ
فدىً لابن سُعدىٰ اليوم كل عشيرتي ... بني أسدٍ أقصاهم والأقارب

ـ وسُعدىٰ هي أمُّ أوس بن حارثة ـ فمنّ عليه أوس، وحمله على فرس جواد، وأعطاه من ماله مائة من الإبل. فقال بشر: لا مدحتُ أحداً حتى أموت غيرك ومدحه بقصيدته التي أولها:

أتعرف من هنيدة رسم دار ... بخرجي ذروة فإلى لُوَاهَا»

[ص ٣٨٢/١ ـ الكامل]

إلى أن يقول:

«إلى أوس بن حارثة بن لام ... ليقضي حاجتي فيمن قَضَاهَا
فما وطئ الثرىٰ مثل ابن سُعدىٰ ... ولا لبس النعال ولا احتذاها»

وجاء في كتاب الأغاني عن ابن الأعرابي وأبن السكيت وسائر الرواة أنه «خرج الحَكَم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ـ من مكة ـ ومعه عطر يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام ربع الطريق لأن بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا أصهاره. فَمَرَّ الحَكَم بن أبي العاص بحاتم بن عبد اللّه الطائي فسأله الجوار ـ أي الحماية ـ في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنُحِرت وطُبِخت فأكلوا ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه. فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على راحلته وفرسه تُقاد، فأتاه بنو لام فوضع حاتم سفرته وقال: أطعموا حياكم اللّه، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيراني، فقال له سعد: فأنت تُجِيرُ علينا في أرضنا ـ أو في طريقنا ـ فقال: أنا ابن عمكم وأحقّ من لم

تخفروا ذمته، فقالوا: لست هناك وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِح عامر بن جوين قبله، فوثبَ إليه سعد بن حارثة بن لام فأهوىٰ له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك ـ (فيما بعد) ـ:

وددتُ ـ وبيت اللّه ـ لو أن أنفه هواء فما متّ المَخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فآب ومرّ السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فنُمَاجِدَك ونضع الرهن، ففعلوا». ـ فوصل حاتم بالحكم بن أبي العاص وبضاعته والذين معه إلى الحيرة سالمين.

ثم وقعت المناجدة ـ أو المماجدة ـ التي قال سعد بن حارثة والذين معه من بني لام لحاتم (بيننا وبينك سوق الحيرة فنُمَاجِدك ونضع الرهن) فوضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كلب يُقال له امرؤ القيس بن عَدِي الكلبي، ووضع حاتم فرسه، ثم خرجوا حتى دخلوا إلى الحيرة، وسار سعد بن حارثة وبنو لام إلى النعمان بن المنذر ليقويهم بماله وسلطانه، بينما ذهب حاتم إلى مالك بن جبار وهو ابن عم له ـ (من بني الغوث) ـ بالحيرة وكان كثير المال فقال له: يا ابن عمي أعنّي على مخابلتي ـ والمخابلة المفاخرة ـ وقال له:

يا مال إحدى خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها بزحزاح
يا مال جاءت حياض الموت واردةً من بين غَمْر فخُضْنَاهُ وضَحْضَاحِ

فقال له مالك: ما كنتُ لأخرب ـ على ـ نفسي وعلى عيالي وأعطيك مالي. فانصرف عنه.

ثم أتى حاتمُ ابن عم له ـ بالقرب من الحيرة ـ اسمه (وَهْم بن عمرو الثُعَلي) وكان حاتم مصارماً له لا يكلمه، فقالت له امرأته: أي وَهْم هذا واللّه أبو سَفَّانة حاتم. فقال: ما لنا ولحاتم أثبتي النظر، فقالت: ها هو، قال: ويحك هو لا يكلمني فما جاء به إليَّ، فنزل حاتم وسَلّم عليه فردّ سلامه وحياه ثم قال: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حسبي وحسبك ـ بمماجدة بني لام ـ فقال وَهْم بن عمرو: في الرحب والسعة هذه إبلي فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد ـ وكانت عدّتها يومئذٍ تسعمائة بعير ـ فقالت امرأته: يا حاتم أنت تخرجنا من مالنا وتُفقر صاحبنا ـ تعني زوجها ـ فقال: اذهبي عني فواللّه ما كان الذي غَمّكِ ليَرُدَّني عما قِبَلي. وقال حاتم يُثني عليه:

ألا أبلغا وَهْم ابن عمرو رسالة فإنك أنت المرء بالخير أجدرُ
رأيتك أدنى الناس مِنّا قرابة وغيرك منهم كنتُ أحبو وأنصرُ

إذا مـا أتـىٰ يـوم يُـفَـرِّقُ بـيـنـنـا بموتٍ فكُنْ يا وهْم ذو يتأخرُ[1]

وكان إياس بن قبيصة الطائي أبرز شخصيات طيء في الحيرة وهو كبير عشيرة (بني حيّة) فسمع بتلك المماجدة فخاف أن يعين النعمان بن المنذر بني لام ويقويهم بماله وسلطانه، (فجمع إياس رهطه من بني حيَّة، وقال: يا بني حيَّة إن هؤلاء القوم - أي بني لام - قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده أي مُمَاجدته، فقال رجل من بني حيَّة: عَلَيَّ مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء، وقام آخر فقال: عَلَيّ عشرة حُصن على كل حصان منها فارس مُدَجج، وقال حسان بن جبلة الخير: عَلَيَّ كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: عليّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم. وكان حاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا. ثم سار إياس بن قبيصة إلى الملك النعمان بن المنذر فدخل إليه فقال: أنْعِم صباحاً أبَيْتَ اللعن، فقال النعمان: حيّاك إلٰهك. فقال إياس: أتُمِد أختانك - بني لام - بالمال والخيل وجعلتَ بني ثُعَل في قعر الكنانة، أظَنَّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حيَّة بالبلد فإن شئت واللّه ناجزناهم حتى يسفَحَ الوادي دماً، فَلْيُحْضِروا مجادهم غداً بمجمع العرب، فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب فإنّي سأكفيك. وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة بن لام وأصحابه - قائلاً - انظروا ابن عمكم حاتماً فارضُوه فواللّه ما أنا بالذي أعطيكم مالي تُبَذِّرُونه وما أُطيق بني حية. فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا له: أعْرِضْ عن هذا المجاد نَدَعْ أرش أنف ابن عمنا. فقال حاتم: لا واللّه لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويُغلب مجادكم، فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم - التسعة التي كانوا وضعوها - وقالوا: قَبّحَها اللّه وأبعدها فإنما هي مقارف. فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم النبيذ. وقال حاتم في ذلك: -

أبْـلِـغ بـنـي لام فـإنّ خـيـولـهـم عَقْرىٰ وأنّ مجادهم لم يمجد
هـا إنَّـمـا مَـطَـرَتْ سـمـاؤكـمُ دماً ورفعتُ رأسي مثل رأس الأصيد)

* * *

ومما حدث بعد ذلك جاء في كتاب الأغاني أنه «خرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم، فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنى بن عبد اللّه بن يشخب بن عبدودّ، في فضاء من الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن

(١) قوله: (ذو يتاخرُ) قال الأصفهاني (ذو: في لغة طيىء الذي) يعني أن ذو في لهجة طيىء تأتي بمعنى الذي، وكذلك هي في اللهجة الحميرية. وتأتي (ذو) بلفظ واحد، والمشهور بناؤها، وقد تعرب بالحروف وقد تُثنى وتؤنث وتُجمع.

لام: لا تعجلوا بقتله فإنْ أصبحتم وقد أحدق الناسُ بكم استجرتموه وإن لم تروا أحداً قتلتموه، فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم فاستجاروه فأجارهم. فقال حاتم:

عمروُ بْنِ أوسٍ إذا أشياعه غضبوا فـاحـرزوه بـلا غـرم ولا عـار
إنّ بـنـي عـبـدودّ كُـلّـمـا وقـعـتْ إحدى الـهـنـاتِ أتـوهـا غير أغمار»

[ص ٩٧/١٦]

* * *

وقد شهد حاتم الطائي وابنه عَدِي بن حاتم موقعة يوم اليحاميم التي استهل ابن الأثير ذكرها بقوله: «إن الحارث بن جَبَلة الغساني كان قد أصلح بين طيء فلما مات عادت إلى حربها» ـ فأصل ذلك أنه بعد موت الحارث الغساني (عام ٥٦٩) وقعت مصادمة عشائرية قبلية بين عشائر (الغوث) وعشائر (جديلة) فَقُتِل فيها قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو عم أوس بن حارثة بن لام، حيث كما ذكر ابن الأثير (لم يشهد تلك الحرب أوس بن حارثة ولا حاتم الطائي ولا زيد الخيل). فموقعة اليحاميم كانت بعد ذلك بفترة من الزمن فقد سبقتها أحداث سلف ذكرها، مِن بينها غزوة المحرّق منذر بن الحارث الغساني لإقليم الحيرة في موقعة عين أباغ، وعدم مبايعة حاتم الطائي لمُحرق الغساني، واعتماد النعمان بن المنذر اللخمي على أوس بن حارثة وبني لام في حماية الطريق بما يعنيه ذلك من بسط نفوذ وسلطة النعمان بن المنذر، وما وقع من المماجدة بين حاتم وبني لام. فترتيب يوم اليحاميم لا بد أنه بعد ذلك، ولم يكن امتداداً للنزاع الذي قُتِل فيه أسبع بن عمرو ـ عم أوس بن حارثة ـ وإنما كان بسبب محاولة أوس بن حارثة إخضاع منطقة جبلي طيء وعشائر الغوث لسلطة النعمان بن المنذر، وهو ما يتبين من ربط خبر يوم اليحاميم بما جاء في كتاب الأغاني من أنه: «كان أوس قال للنعمان بن المنذر: أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما، فبلغ ذلك حاتماً فقال:

ولـقـد بَـغـىٰ بـجـلادِ أوسٍ قـومَـهُ ذلّا وقـد عـلـمـت بـذلـك سـنـبـسُ
حاشا بني عمرو ابن سنبس أنّهُم مـنـعـوا ذمـار أبـيـهـم أن يُـدْنِـسُـوا
وتـواعـدوا وِرْد الـقَـرِيّـةِ غـدوةً وحَـلَـفْـتُ بـالـلّـه الـعـزيـز لـنَـحْـبِـسُ
والـلّـهُ يـعـلـمُ لـو أُتِـي بـسـلافـهـم طرف الـجـريض لظَلّ يوم مُشْكِسُ
كـالـنـار والـشـمـس الـتـي قـالـت لـهـا بِـيِـدُ الـلـويـمـس عـالـمـاً ما يـلـمسُ
لا تـطـعـمـن الـمـاء إن أوردتـهـم لِـتَـمام ظمئكم ففوزوا واحبسوا
أو ذو الـحـصـيـن وفـارس ذو مـرّة بـكـتـيـبـةٍ مَـنْ يُـدركـوه يُـغْـرسُ
ومـوطـأ الأكـنـاف غـيـر مُـلْـعـنٍ في الـحـيّ مَـشّـاءُ إلـيـه الـمـجـلسُ»

[ص١٠٤/١٦]

وجاء في خبر يوم اليحاميم بكتاب الكامل أنه: «تجهّز أوس بن حارثة بن لام للحرب وأخذ في جَمع جديلة، وبلغ (عشائر) الغوث جمع أوس لها، وأوقدت النار على مناع وهي ذروة جبل أجا، وذلك أول يوم تُوقد عليه النار، فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة عليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم، وأَقْبَلَتْ جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لام. وحلف أوس لا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جبليها أجا وسَلمى وتجبي لها أهلها: (الخراج والأتاوة)، فتزاحفوا والتقوا بقارات حوق - وتُعرف باليحاميم - فاقتتلوا قتالاً شديداً فدارت الحرب على بني كباد بن جندب بن جديلة فأبيروا. قال عَدِي بن حاتم: إنّي لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد أحضر ابنيه مِكْنَفاً وحُريثاً في شِعْبٍ لا منفذ له وهو يقول: أي ابْنَيّ أبْقِيا على قومكما فإن اليوم يوم التفاني فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال، فقلتُ له: كأنك قد كرهت قِتال أخوالك. فاحمرّت عيناه غَضَباً وتَطَاولَ إليّ فخفته فضربتُ فرسي وتنحيتُ عنه، واشتغل بنظره إليّ عن ابنيه فخرجا كالصقرين، وحمل قيس بن عازب على بحير بن حارثة بن لام فضربه على رأسه ضربة عَنَقَ لها بحيرُ فرسه وولّى، فانهزمت جديلة عند ذلك». [ص ٣٨٨/ ١ـ الكامل]

فموقعة يوم اليحاميم تلك لم تكن حرباً قبلية بين طيء بعضها في بعض، لأن أوس بن حارثة بن لام وعشائر جديلة الذين معه كانوا بمثابة قوة تابعة للنعمان بن المنذر ملك إقليم الحيرة الذي قال له أوس: «أنا أدخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما» فأسفرت موقعة يوم اليحاميم عن هزيمة أوس بن حارثة وعشائر جديلة وانتصار عشائر الغوث الذين كان أهمهم بنو ثُعل برئاسة حاتم وبنو نبهان برئاسة زيد الخيل بن مهلهل، فكان ذلك انتصاراً لفكرة عدم الدخول في الطاعة والتبعية لا لدولة الغساسنة بالشام ولا لدولة المناذرة بالحيرة والاحتفاظ بعلاقة جيدة مع الطرفين وهو ما تجلى في امتناع حاتم الطائي عن مبايعة المحرّق ابن الحارث الغساني وكذلك في التصدي لأوس بن حارثة كقائد للنعمان بن المنذر في يوم اليحاميم، وقد قام حاتم بعد ذلك بزيارة النعمان بن المنذر في الحيرة.

* * *

ومن أنباء وأشعار حاتم ذات الصلة بالملوك الغساسنة بالشام ما جاء في كتاب الأغاني من أنه: «أغارت بعض طيء على إبلٍ - أي قافلة - للنعمان بن الحارث الجفني الغساني فقتلوا ابناً له - (كان في القافلة) - فخرج النعمان بن الحارث يريد غزو طيء، فأصابت وأسرت مُقدمة فرسانه سبعين رجلاً من بني عَدِي بن أخزم - الثُعليين - بينهم وَهْم بن عمرو، من رهط حاتم، وحاتم يومئذٍ بالحيرة عند النعمان بن المنذر، فلما عاد حاتم إلى الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي فتقول: يا

حاتم أُسِر أبو هذا. فلم يلبث حاتم إلا ليلة حتى سار إلى النعمان بن الحارث - بالشام - ومعه ملحان بن حارثة وكان لا يُسافِر إلا وهو معه، فقال حاتم:

أَلَا أنني قد هاجني الليلة الذكر ... وما ذاك مِنْ حُبّ النساء ولا الأشرْ
ولكنه ممّا أصاب عشيرتي ... وقومي بأقرانٍ حواليهم الصُبرْ(١)
ليالي نمشي بين جوّ ومِسْطَحٍ ... نُشاوي لنا مِنْ كلِّ سائمةٍ جُزُرْ(٢)
فيا ليت خير الناس حَيّاً وميتاً ... يقولُ لنا خيراً ويمضي الذي (أمر)(٣)
فإن كان شرًّا فالعزاء فإنّنا ... على وقعات الدهر مِنْ قبلها صُبُرْ
سَقى اللّهُ ربُّ الناسِ سَحاً ودِيمةً ... جنوب الشراة (من قُراتٍ إلى ذعر)(٤)
بلادَ امرىءٍ لا يعرفُ الذمَّ بيته ... له المشربُ الصافي ولا يُطعم الكَدَرْ
تذكرتُ مِنْ وَهْم ابن عمرو جِلادَهُ ... وجرأة مغزاهُ إذا صارخٌ بَكرْ
فابْشِرْ وقرّ العين منك فإنني ... أُحَيّي كريماً لا ضعيفاً ولا حصرْ»

وقوله (أحيي كريماً) يعني النعمان بن الحارث وهو المقصود بقوله: «فيا ليت خير الناس حياً وميتاً» وكان النعمان بن الحارث أحد أربعة ملوك غساسنة يشتركون في حكم مناطق الشام حيث كان منذر بن الحارث بن جبلة الغساني هو الملك الأعلى ومقره مدينة (جِلق) بدمشق، وذكر ابن خلدون منهم «النعمان بن عمرو الذي بَنَى قصر السويداء وقصر حارب عند صيداء.. وأبو كرب النعمان بن الحارث ومنزله بالجولان وهو مذكور في شعر النابغة.. والحارث بن عمرو الجفني» وقد ذكر حاتم بلاد النعمان بن الحارث بأنها تمتد من جنوب الشَراة وهي بمنطقة البلقاء (بالأردن) إلى قُريات والجولان وإنها:

بلاد امرىء لا يعرفُ الذمَّ بيته ... له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

فيكون هو (أبو كرب النعمان بن الحارث الذي كان مقره ومنزله بالجولان) وكان يحكم معه بتلك المناطق أيضاً الحارث بن عمرو الجفني الغساني).

«فدخل حاتم إلى النعمان بن الحارث فأنشده القصيدة واستوهبه الأسرى من

---

(١) قال الأصفهاني (الأقران: الحبال. والصبر: الحظائر، واحدها صبرة).

(٢) جاء صدر هذا البيت في الأغاني (ليالي نمشي بين جور ومسطح) وهو تصحيف وإنما هو (بين جوّ ومِسْطح) كما في قول امرىء القيس (تبيت لبوني بين جَوّ ومِسْطح..) وقوله: (نشاوي) أي نَشوي. والجُزُر: ما يذبح من البهائم.

(٣) جاء في الأغاني (الذي ائتمر) - ولعل الأصوب (الذي أمر) لكي يستقيم الوزن.

(٤) جاء في الأغاني (جنوب السراة من ما أتت إلى ذعر) والصواب (جنوب الشراة) وكان من مدن الغساسنة هناك (قريات).

عشيرته ومنهم وَهْم بن عمرو، فوهب له النعمان بني امرىء القيس بن عَدِي بن أخزم، وفيهم وَهْم بن عمرو - أي أطلق سراحهم - ولم يُطلق له بني عبد شمس بن عَدِي بن أخزم - الثُعلي - وأنزل النعمانُ حاتماً في قصره وأتاه بالطعام والنبيذ، فقال ملحان لحاتم: أتشرب وقومك - بني عبد شمس - في الأغلال. قُمْ إليه فسَلْهُ إياهم، فدخل حاتم إلى النعمان وقال له:

إنّ امرأَ القيس أضحىٰ منْ صنيعتكم وعبدشمس- أبيتَاللعنَ -فاصطنِعُوا

أَتْبِعْ بني عبد شمس أمر صاحبهم أهلي فداؤك إنْ ضَرّوا وإنْ نَفَعُوا

لا تجعَلَنا - أبيتَ اللعن - ضاحكةً كمعشرٍ صلموا الأذان أو جدعوا

أو كالجناح إذا سُلّت قَوَادِمُه صار الجناحُ لفضل الريش يَتّبِعُ

فأطلق له الأسرى من بني عبد شمس بن عَدِي بن أخزم أيضاً، وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة وكانت أمه من بني عَدِي ولكنه من قبيلة لخم، فدخل حاتم إلى النعمان فقال له النعمان: أبَقَىٰ أحدٌ مِنْ أصحابك؟ فقال حاتم:

فَكَكْتَ عَدِياً كلها مِن أسَارِها فافْضِل وشَفّعني بقيسِ ابْن جَحْدر

أبوه أبي والأمهاتُ أمهاتُنَا فَانْعِمْ فدتك اليوم نفسي ومعشري

فقال: هو لك يا حاتم». فأطلق النعمان بن الحارث سراح السبعين تكريماً لحاتم الطائي.

وكان من ملوك الشام الغساسنة في تلك الحقبة الحارث بن عمرو الجفني الغساني وهو (الحارث الحراب) فزاره حاتم الطائي واستقبله الحارث بالترحيب والتكريم، فلما عاد حاتم من الشام إلى منطقة طيء في جبلي أجا وسَلمى قال يُثني على الحارث بن عمرو الغساني:

أبْلِغَا الحارث ابن عمرو بأنّي حافظُ الودّ مرصدٌ للثواب

ومجيبٌ دعاهُ إن ما دعاني عَجِلاً واحداً، كذا أصحابي

إنّما بيننا وبينك فاعْلَمْ سَيْر تسع للعاجل المنتابِ

فثلاث مِنَ الشَرَاة إلى الجلة للخيلَ جاهداً والركاب

وثلاث يوردن تيماء زهواً وثلاث يقربن بالإعجاب

فإذا ما مررن في مسبطرٍ أجمحَ الخيل مثل جمح الكعاب[1]

ليت شِعري متى أرىٰ قُبَّةً ذا ت قلاعٍ للحارث الحراب

---

(١) قال الأصفهاني (أجمحَ: أرم بهم كما يرمى بالكعاب. ويقال: إذا انتصب لك أمر جمح).

لِـبـقـاعٍ وذاك مـنـهـا مـحـلٌّ ... فـوق مَـلْـكٍ يـديـن بـالأحـسـابِ
إنـهـا مـوعـدي فـإن لَـبُـونـي ... بين حقلٍ وبين هضبِ هِضابِ
حيث لا أرهبُ الجرأةَ حولي ... ثُعَلِيُّون كالليوث الغِضاب»

* * *

ومن عجيب أنباء حاتم أنه سار ذات مرة قاصداً مكة فمرّ بمنطقة عَنَزَة حيث ـ كما جاء في كتاب الأمالي عن أبي عبيدة ـ «مَرَّ حاتم بن عبد اللّه الطائي ببلاد عَنَزَة، فناداه أسِيرٌ عندهم: يا أبا سَفَانة أَكَلني الإسارُ والقَمْل. فقال له: وَيْحَك واللّه لقد أسأت إذْ نوهت بي في غير بلاد قومي» ـ وجاء في الأغاني أن حاتماً قال له: «ويلك، واللّه ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء. ومَا لَكَ مَتْرك. فساومَ به العنزيين ـ فطلبوا مالاً كثيراً فداءً له ـ فقال: خلوا عنه، وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أودي فداءه، ففعلوا ـ» قال أبو عبيدة «فنزل حاتم فشدّ نفسه في مكانه في القِدّ وأطلقه، حتى عُرِف مكانه فَفُدِي فداء كثيراً» ـ أي أن حاتماً أرسل إلى أهله بمنطقة طيء أن يبعثوا إليه بالمال المطلوب للفداء، وبقي أسيراً حتى بعث له أهله بالفداء من ماله وإبله.

وأثناء بقاء حاتم مكان الأسير ـ «جعل نساء عنزة يدارئن بعيراً ليفصدنه، فضعفن عنه، وكان الحيُّ خُلُوف، فَقُلنَ: يا حاتم أفاصده أنت إن أطلقنا يديك؟ قال: نعم، فقام فوجأ لبته ثم إن البعير عضد أي لوى عنقه وخرّ. فقلن: ما صنعت أمرناك أن تَفْصِدَه فنحرتَه؟ ـ (أي أن يفصده ليأكلن دم فصدها) ـ فقال: هكذا فصادتي. فجرتْ مثلاً». وفي الأمالي أنه قال: «ذلك فَصْدِي أَنَهْ. فبذلك عُرف) فلطمته امرأة صاحب البعير، فقال: (لو غَيْرُ ذات سِوارٍ لَطَمَتْني) أو قال (لو ذات سوار لطمتني). ـ وهذا القول يورده النحويون في باب (لو) من أمثلة ورود (لو) متلوة باسم معمول بفعل محذوف يفسره ما بعده. فذات سوار فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير والتقدير (لو لطمتني ذات سوار) وذات السوار: الحرة، لأن الجواري لا تلبس السوار، وجواب لو محذوف تقديره (لهان ذلك علي). فهجا حاتم بتلك الكلمة نساء عنزة بأنهن إماء وجواري لأنهن غير كرام ولا ذوات أحلام. وكان اسم المرأة عالية. فقال حاتم ـ كما جاء في كتاب الكامل ـ:

عـالـي لا تـلـتـدّ مِـنْ عـالـيـه ... إنَّ الـذي أهـلـكـتُ مِـنْ مَـالِـيـهْ
إنّ ابـن أسـمـاء لـكُـم ضـامِـنٌ ... حـتـى يـؤدي أنـسُ نـاويـهْ
لا أفْـصِـد الـنـاقـةَ مـن أنْـفِـهـا ... لـكِـنَّـنـي أُوجِـرُهـا الـعـالِـيَـهْ
إنّـي عـن الـفَـصْـد لـفـي مَـفْـخَـرٍ ... يـكـره مـنـي الـمـفـصـد الآلِـيَـهْ

والـخـيـلُ إن شَـمّـصَ فـرسـانُـهـا ··· تـذكـر عـنـد الـمـوت أمـثـالـيـه[١]

وجاء في الأغاني أنه قال يذكر البعير الذي فصده:

كـذلـك فَصْدي إنْ سـألـت مـطـيـتـي ··· دم الـجـوف إذْ كـل الـفـصـاد وخـيـمُ

وما لبث أن وصل نفر من عشيرة حاتم بالمال والإبل للفداء المطلوب للأسير، فأدىٰ إليهم حاتم الفداء وزادهم فوق ذلك كثيراً، ومضى إلى حيث كان قاصداً ثم عاد إلى منطقة طيء.

* * *

وجاء في كتاب الأمالي عن الأصمعي: «أن ابن عم لحاتم يقال له مالك قال لماويّة ــ امرأة حاتم ــ: ما تصنعين بحاتم، فواللّه لئن وَجَدَ لَيُتْلِفَنَّ ولئن لم يَجِدْ ليَتَكَلَّفَنَّ ولئن مات لَيَتْرُكَنَّ ولدكِ عيالاً على قومه. فقالت: صَدَقتَ إنّه لكذلك. وقال لها: فأنا أنصحك وأنا خير لك منه وأكثر مالاً وأنا أُمْسِك عليكِ وعلى ولدكِ، فلم يزل بها حتى طلّقت حاتماً ــ وكانت النساء أو بعضهنّ يطلّقْنَ الرجالَ في الجاهلية، وكان طَلَاقُهنّ أنهنَّ يُحَوّلْنَ أبواب بُيوتهن، إن كان الباب إلى المشرق جَعلْنَه إلى المغرب، وإن كان الباب قِبلَ اليمن جَعلْنَه قِبَلَ الشام، فإذا رأى الرجل ذلك عرف أن امرأته طلقته ــ فأتى حاتم وقد حَوّلت باب الخباءَ، فقال لابنه عَدِي: ما ترى أمك ما عَدَا عليها؟ فقال: لا أدري ــ غير أنها قد غيرت باب الخباء، فهبط حاتم به بطن وادٍ. وجاء قوم فنزلوا عند الخباء كما كانوا ينزلون فَتَوافَى خمسون رجلاً فضاقت بهم ماويّة ذَرْعاً، فقالت لجاريتها: إذهبي إلى مالك فقولي: إن أضيافاً لحاتم نزلوا بنا وهُم خمسون رجلاً، فأرسِلْ إلينا بناب ننحرها لهم وبوَطْب لبن نسقيهم، وقالت لجاريتها: انظري إلى جبينه وفَمه، فإن سابقك بالمعروف فاقبلي منه، وإن ضَرَب بلَحْيَيْه على زَوْرِه وأدخل يدَه في رأسه فارجعي ودَعِيه. فلما أتته وأبلغته الرسالة وقالت له: إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم. فضرب مالك بلحييه على زوره وأدخل يده في رأسه وقال لها: اقرئي عليها السلام وقولي لها: هذا الذي نَهَيْتُك عنه وأمرتُك أن تُطَلِّقِي حاتماً من أجله، فما كنتُ لأنحر صغيرة لشحم كلاها، وما عندي من لبن يكفي أضيافَ حاتم. فرجعت الجارية وأعلمتها بمقالته، فقالت لها: ائتي حاتماً فقولي له: إن أضيافك نزلوا بنا الليلة، فأرسل إلينا بناب ننحرها لهم ولبن نسقيهم. فأتت الجارية حاتماً وأخبرته، فقال: نعم، وأنياب. وقام إلى الإبل فأطلق عُقُلَها، وصاح بها حتى أتى باب الخباء ــ فنحر اثنتين من الإبل ــ فطفِقَتْ

(١) شَمَّصَ: أي طردَ ولحق.

ماويّة تصيح: هذا الذي طلقتك فيه ستترك ولدك ليس لهم شيء». وكذلك جاء في الأغاني وأنه في تلك الليلة «قال حاتم:

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غَدُ ... كذاك الزمانُ بيننا يترددُ
يَرُدُ علينا ليلةٌ بعدَ يومِها ... فلا نحنُ ما نبقىٰ ولا الدهر ينفدُ
لنا أجلٌ إمّا تَناهَىٰ أمامه ... فنحنُ على آثاره نترددُ
بني ثُعَلٍ قومي فما أنا مُدّعٍ ... سواهم إلى قوم وما أنا مُسْنِدُ
بدرئهم أغشىٰ دروء مَعَاشِرٍ ... ويحنف عني الأبلجُ المُتَعَمّدُ
فمهلاً فِدَاكِ اليوم أُمي وخالتي ... فلا يأمرني بالدنيَّة أسودُ[1]
على حين إن ذكَيْتُ واشتد جانبي ... أسامُ التي أعْيَيْتِ مُذْ أنا أمردُ
فهل تركت قبلي حضورُ مكانها ... وهل مَنْ أتىٰ ضَيماً وخَسْفاً مُخَلّدُ[2]

* * *

إذا كان بعض المال رَبّاً لأهله ... فإني بحمد اللّه مالي مُعْبَدُ
يُفَكُّ به العاني ويُؤكَلُ طيباً ... ويُعْطىٰ إذا مَنَّ البخيلُ المُصَرِدُ[3]
إذا ما البخيل الخبّ أخْمَدَ ناره ... أقولُ لِمَنْ يَصْلىٰ بِنَارِيَ أوقِدُوا[4]
توسّعَ قليلاً أو يكن ثَمّ حسبنا ... ومُوقِدُها البادي أعفُّ وأحمدُ
كذاك أمور الناس راض دَنِيَّة ... وسام إلى فَرْعِ العُلَا مُتَورِّدُ
فمنهم جوادُ قد تَلَفّتُ حَوْله ... ومنهم لئيمُ دائم الطَرْف أقودُ
وداعٍ دعاني دعوة فأجَبْتُه ... وهل يدعُ الداعين إلا اليلندُ

* * *

ومعتسف بالرمح دون صحابه ... تَعَسّفْتُه بالسيف والقوم شُهدُ
فخرّ على حَرّ الجبين وذاده ... إلى الموت مطرور الوقيعة مذود
فما رمته حتى أزحتُ عويصه ... وحتى علاه حالك اللون أسود
واقْسَمتُ لا أمشي على سر جارتي ... يد الدهر ما دام الحمامُ يُغرِّدُ
ولا أشتري مالاً بغدر علمته ... ألّا كلّ مالٍ خالط الغدر أنكدُ»

---

(١) أسود: أي سيد مَسُودُ على قومه.

(٢) حضور: قبيلة يمانية قحطانية كانت تسكن منطقة الرس فهلكت في زمن سابق وهم أهل الرس.

(٣) العاني: الأسير.

(٤) إيقاد النار كناية عن الكرم فيرى المسافر والمحتاج النار فيقصدها. قال الشاعر أحمد دحبور:

ولكن ناراً هدتني إليك ... ونارُ اليمانيُّ لا تخمدُ

وقد عاد الوئام بين حاتم وماويّة، ومما قاله حاتم فيها:

لم تُنْسِني أطلال ماويّة بأسي ... ولا الزمنُ الماضي الذي مثله يُنْسِي
إذا غربت شمس النهار وَرَدْتُهَا ... كما يورد الظمآن آتية الخُمْسِ

* * *

قال الحافظ ابن كثير: «وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا أبو العباس المبرد قال: أخبرني الثوري عن أبي عُبيدة قال: لمّا بلغ حاتم الطائي قول المتلمس:

قليلُ المال تُصْلِحُه فيَبْقَى ... ولا يبقى الكثيرُ على الفَسَاد
وحِفظُ المال خيرٌ مِنْ فَنَاه ... وعسفٍ في البلاد بغير زَادِ[(١)]

قال حاتم: مَا لَهُ قطع اللَّهُ لسانَه حَمَل الناس على البُخْل فَهَلّا قال:

فلا الجودُ يُفْنِي المالَ قَبْل فَنَائِه ... ولا البخلُ في مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمسْ مالاً بِعَيْشٍ مُقَتر ... لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألم تَرَ أنّ المال غادٍ ورائح ... وأن الذي يُعطيك غير بعيد

قال القاضي أبو الفرج: ولقد أحسن في قوله: وإن الذي يعطيك غير بعيد»[(٢)].

* * *

وكان لحاتم المرباع ـ أي ربع الغنائم ـ إذا اشترك في قيادة غزوات حربية، وقد اشترك حاتم مع فرسان بني ثُعل وطيء في غزوة على قبيلة تميم النجدية، ولم تذكر الروايات تفاصيلها وقد تكون (يوم النسار) الذي كان من قادته الأسود بن المنذر أخو النعمان بن المنذر ضد تميم، وقد تلاه بعد سنة واحدة (يوم الجفار) الذي اشتركت فيه فرسان من طيء ومذحج وخولان في حملة ضد تميم ـ وكان بنو تميم يغيرون على بعض القوافل في نجد بين اليمن والحيرة ـ. وقد حصل حاتم على المرباع من تلك الحملة على تميم، وقد جاء في الأمالي: أن مرباع حاتم من الغارة على تميم مائتا بعير سوى نِيبِها وفِصَالِها. فعاد حاتم بالمرباع إلى منزله. ثم أتى إليه أبو جُبَيْل عبد قيس البرجمي حيث كما جاء في كتاب الأمالي: «إن أبا جُبَيْل عبد قيس بن خُفَاف البُرْجمي أتى حاتم الطائي في دماء حَمَلَها عن قومه. فأسْلَموه فيها وعجز عنها، وكان شريفاً شاعراً، فلما قَدِم على حاتم قال: إنه وقعت بين قومي

---

(١) أورد ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء هذا الشعر للمتلمس كما يلي:
(لحِفْظُ المال أيسرُ مِنْ بُغَاهُ ... وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاحُ القليل يزيدُ فيه ... ولا يبقى الكثير على الفساد)
(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢١٥ جـ ٢.

دماءُ فَتَواكَلُوها، وأنّي حَمَلْتُها في مالي وأَمَلي فَقَدَّمت مالي وكُنْتَ أملي. فإن تَحمِلْها فَرُبَّ حَقٍّ قد قضيتَه وهَمٍّ قد كفَيْتَه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذْمُمْ يومَك ولم أيأس مِنْ غَدِك، ثم أنشأ يقول:

حَمَلْتُ دماءً للبراجم جَمَّةً ... فجئتك لما أَسَأَتْنِي البراجمُ[١]

وقالوا سَفَاهاً لِمْ حملتَ دماءنا ... فقلتُ لهم يَكْفي الحَمالةَ حاتمُ

مَتَى آتِهِ فيها يَقُلْ لي مَرْحَباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائِمُ

فيحملُها عني وإن شئتُ زادني ... زيادة من حَلَّت إليه المكارم

يَعِيشُ النَّدَىٰ ما عاش حاتمُ طيِّءٍ ... فإن مات قامت للسَّخاء مآتمُ

وقال رجالٌ: أنْهَبَ العامُ مَالَه ... فقلتُ لهم: إنِّي بذلك عالِمُ[٢]

ولكنّه يُعْطِي مِنَ أمْوال طيِّء ... إذا جَلَّفَ المالَ الحُقوقُ اللوازم[٣]

فَيُعْطِي التي فيها الغِنَى وكأنَّه ... لتصغيره تلك العَطِيَّةَ جارم

بذلك أوصاه عَدِيٌّ وحَشْرَجُ ... وسَعْدُ وعبدُ اللّه تلك القَمَاقِمُ»[٤]

فقال له حاتم: هذا مِرْباعِي من الغارة على بني تميم، فَخُذْهُ وافراً، وهو مائتا بعير سِوَى نِيبها وفِصَالِها، فإنْ وَفَّى بالحَمالة وإلا أكملتها لك. فوهبه إياها وزاده مائة بعير، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه، فقال حاتم في ذلك:

أتاني البُرْجُمِيُّ أبو جُبَيْلِ ... لِهَمٍّ في حَمَالتِهِ طويلِ

فقلتُ له خُذِ المِرْباع رَهْواً ... فإني لستُ أرضىٰ بالقليل

على حال ولا عَوَّدْتُ نفسي ... على عِلّاتِها عِلَلَ البَخِيل

فخذها إنها مائتا بعيرٍ ... سوى الناب الرَّذِيَّة والفَصِيل[٥]

فآب البُرْجُمِيُّ وما عليه ... مِنَ أعباء الحَمالة من فَتِيل

يَجُرُّ الذَّيلَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ... خفيف الظهر من حِمْلٍ ثقيل[٦]

* * *

وجاء في الأمالي والأغاني أنه «كانت سَفَّانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصِّرْمة من الإبل فَتَهَبُها وتُعطيها الناس، فقال لها أبوها: يا بُنَيَّة إن

(١) حملت دماء: أي تحملت ديات دماء القتلى. وأسلمتني بمعنى ألزمتني بأداء الحمالة.

(٢) أنهب ماله: أي وهب وقَسّم ماله.

(٣) جلف المال: أذهبه وأفناه.

(٤) عبد اللّه ـ والد حاتم ـ وسعد ـ جَدُّهُ ـ وحشرج وعدي ـ من أجداده.

(٥) الرَّذِيَّة: المهزولة.

(٦) مذرويه ـ جاء في هامش الأمالي أنه (يقال جاء ينفض مذرويه إذا جاء باغياً متهدداً).

القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاهُ فإما أن أُعْطِي وتمْسِكِي وإما أن أُمْسِك وتُعْطي، فإنه لا يَبْقَىٰ على هذا شيء. فقالت: واللّه لا أُمْسِك أبداً، فقال: وأنا واللّه لا أُمْسِك أبداً. قالت: فلا نَتَجاور. فقَاسَمَها ماله، وتَبَاينا» ـ فسكنت سَفَّانة في صرم غير صرم أبيها في نفس منطقة جبل أجا، ربما مع زوجها، ولم تزل من أجود النساء.

وذكر الجاحظ أنه «قال حاتم لعَدِي ابنه: أي بُنيّ، إنْ رأيتَ أنّ الشرّ يتركُك إذا تركتَه فاتركْه. وقال عَدِي بن حاتم لابنٍ له: قُم بالباب فامنَعْ من لا تعرف. وأذَنْ لِمَنْ تعرف، فقال: لا واللّه لا يكونَنّ أوّلَ شيء وليته من أمر الدنيا منعُ قوم من طعام»[١]. ـ وكان ذلك في أواخر حياة حاتم.

ومن مختار الشعر في الأمالي (قال حاتم الطائي:

أَكُفُّ يَدِي عن أن يَنالَ الْتِماسُها ... أكُفَّ صِحابي حِينَ حاجاتُنا مَعَا

أَبِيتُ هَضِيمَ الكَشحِ مُضْطَمِرَ الحَشَا ... من الجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أنْ اتَضَلَّعَا

وإنّي لأسْتَحْيي رَفِيقِيَ أن يَرَى ... مكانَ يَدِي مِنْ جانِبِ الزاد أقْرَعَا

وإنك إنْ أعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وفَرْجَكَ نالا مُنْتَهى الذَّمِّ أجْمَعَا»

أنباء وفاة حاتم إلى وفادة عَدِي بن حاتم إلى النبيّ ﷺ والحديث عن حاتم:

وقد توفي حاتم الطائي بمنطقة جبل أجا. قال أبو علي القالي «حَدّثنا أبو بكر بن دريد ـ قال ـ حَدَّثني العكلي عن ابن خالد عن الهيثم بن عَدِي عن مُلحان بن عَرْكيّ عن أبيه قال، حَدَّثنا عَدِي بن حاتم قال: شَهِدْت حاتماً وهو يجود بنفسه فقال لي: يا بُنَيّ، أعْهِدُك من نفسي ثلاثاً: ما خالَفْتُ إلى جارة لِسُوءٍ قط، ولا أؤْتمِنتُ على أمانة قَطُّ إلا أدّيْتُها، ولا أتَى أحداً مِنْ قِبَلي سُوءٌ»[٢].

وتم دفن حاتم في موكب مهيب في مكان اسمه (عوارض) بمنطقة جبل أجا. قال ياقوت الحموي: «وقبر حاتم على جبل عوارض» ـ أي بمنطقة جبل أجا ـ وجاء في كتاب الأغاني عن محرز بن أبي هريرة أنه «كان حول قبر حاتم أنصابٌ مُتقابِلاتٌ من حجارة كأنهنّ نساءٌ نوائح» ـ أي أنصاب منحوتة من الحجارة على هيئة نساء نوائح في أركان القبر.

أما زمن وفاته فقد نقل بامطرف في ترجمة حاتم بكتاب الجامع أن «أخبار حاتم كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرّخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ» وأنه «توفي حوالي سنة ٤٦ قبل الهجرة الموافق حوالي ٥٧٨ م». ولم يذكر

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ١٤٥ جـ ٢.
(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٧ جـ ٣.

الذين حددوا ذلك التاريخ لوفاته من الدارسين وأساس ذلك التحديد، ونرى عدم صواب ذلك التحديد فقد عاصر حاتم النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي حكم في الفترة منذ عام ٥٧٠م وانفرد بالحكم بعد أخوته من عام ٥٨٠ ـ ٦٠٢م وأخبار حاتم في عهده كثيرة وقد سلف ذكرها وربما عاش حاتم فترة بعد نهاية عهد النعمان بن المنذر عام ٦٠٢م ـ ولعل الأصوب أنه مات في السنة الثامنة قبل ـ أو بعد ـ البعثة النبوية.

ومن أنباء ما بعد وفاته ما ذكره الحافظ ابن كثير أنه «قال أبو بكر الخرائطي، حدثنا علي بن حرب، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين جعفر بن المحرر بن الوليد عن المحرر مولى أبي هريرة) ـ وفي الأغاني (.. عن أبي مسكين جعفر بن المحرر بن الوليد عن أبيه عن جده الوليد وهو مولى لأبي هريرة عن محرز بن أبي هريرة). قال: مرّ نفر بقبر حاتم وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح، فنزلوا قريباً من القبر، فقام إليه أحدهم ويقال له أبو الخيبري فجعل يركض القبر برجله ويقول: يا أبا جعد أقرِ أضيافك. فقال له بعض أصحابه: مهلاً، أتُكلِّم رمة قد بليت. وأجَنّهم الليل فناموا، حتى إذا كان في السَّحَر وثب أبو الخيبري فزعاً وقال: يا قوم عليكم بمطيكم فإن حاتماً أتاني في المنام وأنشدني أبياتاً وقد حفظتها..». وفي أنه رأى في المنام حاتماً يعقر ناقته ـ «فنظروا فإذا ناقة أبي الخيبري تكوس عقيراً فنحروها وقاموا يشتوون ويأكلون، وقالوا: واللّه لقد أضافنا حاتم حياً وميتاً. وأصبحوا فأردفوا صاحبهم ـ أبا الخيبري ـ وساروا، فإذا رجلٌ ـ وهو عَدِي بن حاتم ـ يُنوه بهم راكباً جملاً ويقود آخر فقال: أيكم أبو الخيبري؟ قال: أنا، فقال: إن حاتماً أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك وأمرني أن أحملك وهذا بعيرٌ فخذه. ودفعه إليه»[1]. وفي رواية الأغاني أنه «.. قال عَدِي بن حاتم: أيكم أبو الخيبري فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في المنام فذكر لي شتمك إياه وأنه أقرى راحلتك لأصحابك وقد قال أبياتاً حفظتُها وهي:

أبا خيبريّ وأنتَ امرؤ ... ظلوم العشيرة شتّامُها

أتيتَ بِصَحْبِكَ تَبْغىٰ القِرَىٰ ... لدى حفرةٍ قد صَدَت هَامُها

أتبغىٰ أذاها وإعسارها ... وحولك طيء وأنعامُها

وإنّا لنُطعِمُ أضيافَنا ... وتأتي المطيّ فنغتامُها

وقد أمرني أن أحملك على جمل ـ أو أحمل إليك جملاً ـ فدونكه، فأخذه وركبه، وذهبوا»[1].

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢/٢١٧ ـ والأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٩٧.

ولعل تلك الرواية ذكرت ظاهر ما حدث، فمن المحتمل أن أبا الخيبري وأصحابه لما نزلوا عند قبر حاتم وقالوا ما قالوا، سمع ذلك رجلٌ كان يمرُّ بالقرب منهم فسار وأخبر عَدِي بن حاتم، فلما ناموا بعث عَدِي من عقر ناقة أبي الخيبري فنهض فزِعاً ورأى هو وأصحابه الناقة تكوس عقيراً فنحروها وأكلوا، فلما أردفوا صاحبهم وساروا أتاهم عَدِي بن حاتم فقال لهم القول والشعر سالف الذكر وأعطى أبا الخيبري جملاً بدلاً عن ناقته، والله أعلم.

وقد سلف ذكر شهود عَدِي بن حاتم موقعة اليحاميم مع أبيه ومع زيد الخيل في أيام النعمان بن المنذر وكان عَدِي شاباً آنذاك، فلما مات أبوه انتقلت إليه مرتبته في الرياسة على بني ثُعل والذين إليهم من عشائر طيء، بحيث ـ كما جاء في ترجمته بكتاب الجامع ـ «كان عَدِي بن حاتم من الأجواد العقلاء، وكان رئيس طيء في الجاهلية» وجاء في البيان والتبيين أنه «كان عَدِي بن حاتم نصرانياً» وجاء في السيرة النبوية وعيون الأثر أنه قال عَدِي بن حاتم: كنتُ امرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنتُ أسيرُ في قومي بالمرباع، وكنت ملكاً ـ رئيساً ـ في قومي»[١] فلما ظهر الإسلام بعد الهجرة النبوية وبلغت غارات بعض سرايا المسلمين إلى مناطق من جبلي أجا وسلمى توجه عَدِي بن حاتم إلى الشام وقال (ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام) أي الغساسنة فمكث فترة ثم عاد إلى منطقة أجا، وقال في نفسه «والله لو أتيتُ هذا الرجل، فإن كان كاذباً لم يضرني وإن كان صادقاً علمت». واستشار حاتم أخته سَفَّانة في أمر الرجل ـ أي النبي ﷺ ـ حيث كما جاء في السيرة «قال عَدِي بن حاتم لأخته سَفّانة وكانت امرأة حازمة: ماذا تَرَيْنَ في أمر هذا الرجل؟ فقالت: أرى والله أن تَلْحَقَ به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله. وإنْ يكُنْ ملكاً فَلَنْ تَذلَّ في عز اليَمَنِ، وأنتَ أنت. فقال: والله إن هذا للرأي»[١]. وقد قالت له سَفّانة «فلن تَذِلَّ في عزِّ اليمن وأنتَ أنت» لأن الأنصار كانوا من اليمن وكذلك عَدِي بن حاتم، فانطلق إلى يثرب حيث كما ذكر الحافظ ابن عبد البر «قَدِم عَدِي بن حاتم على النبي ﷺ في شعبان سنة سبع للهجرة»[٢] فالتقى عَدِي بن حاتم بالنبي ﷺ وسمع منه، فأيقن أنه نبيٌّ فأسلم وأخذ مكانه في صفوف الصحابة، وله أخبار كثيرة في موكب الرسول (عليه الصلاة والسلام) وكان إسلامه قبل فتح مكة وإسلام قريش بسنة كاملة فهو من السابقين إلى الإسلام ثم عاد إلى منطقة طيء ووفد مرة ثانية مع وفد يُمثل كل عشائر قبيلة طيء مع زيد الخيل سنة ٩ هجرية.

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٤٨/٤ ـ وعيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٠٢/٣.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ص ١٤١/٣.

وتم ذكر حاتم الطائي أكثر من مرة عند النبي ﷺ، قال الحافظ ابن كثير: «قال الإمام أحمد، حدثنا يزيد بن إسماعيل ـ قال ـ حدثنا سفيان عن سَمَاك بن حرب عن مري بن قطري عن عَدِي بن حاتم قال: قلتُ يا رسول اللّه إنّ أبي كان يَصِلُ الرَحِم ويفعل ويفعل فهل له في ذلك. يعني من أجر. فقال: إن أباك طلب شيئاً فأصابه» وهكذا رواه أبو يَعْلَىٰ عن القواريري عن سماك به، وأنه قال النبي ﷺ إنّ أباك أراد أمراً فأدركه. يعني الذكر. . وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن معمر عن عبيد بن واقد عن أبي نصر عن عبد اللّه بن دينار عن ابن عمر ـ وهو عبد اللّه بن عمر بن الخطاب ـ قال: ذُكِر حاتم عند النبي ﷺ فقال: «ذاك أراد أمراً فأدركه». وقال ابن كثير «كانت لحاتم مآثر عجيبة وأخبار في كرمه يطول ذكرها ولكن. . كان قصده السمعة والذكر» وقال «وقد ذكرنا ما كان يُسديه حاتم الطائي إلى الناس من المكارم والإحسان إلا أن نفع ذلك في الآخرة معذوق بالإيمان». [ص ٢/٢١٣].

وقالت سَفَّانة بنت حاتم لرسول اللّه ﷺ: «إنّ أبي كان يحمي الذِمار ويفك العاني ويُشبعُ الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويُطعم الطعام ويُفشي السلام ولم يردّ طالب حاجة قط. فقال: هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه» وقال: «إنّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، واللّه يحبّ مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول اللّه: واللّهُ يُحبُّ مكارم الأخلاق؟ فقال: والذي نفسي بيده لا يدخلُ الجنة أحدٌ إلا بِحُسن الخلق» [ص ٢/٢١٣].

وجاء في كتاب الآغاني أنه قال محمد بن الحسن بن دريد حَدّثني السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال: دخل زيد الخيل بن مُهَلْهل الطائي على رسول اللّه ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فقال عمر لزيد الخيل: أخبرنا يا أبا مِكْنف عن طيء وملوكها وعدتها وأصحاب مرابعها» ـ فتحدث زيد الخيل إلى أن قال «أما حاتم بن عبد اللّه فهو الجواد بلا مُجَارِ، والسَمْحُ بلا مُبار، والليث الضرغامة، قراع كل هامة، جُوده في الناس علامة» [ص ١٦/٤٩].

وكانت لعَدِي بن حاتم منزلة عالية بين الصحابة وولاه النبي ﷺ على صدقات طيء، وكان له دور قيادي في فتوح العراق وفارس ومصر في خلافة عمر وعثمان، وشهد صفّين مع الإمام علي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ، وقضىٰ بقية حياته بالكوفة ولم يزل من أعيان الأمة حتى وفاته سنة ٦٧هـ.

وجاء في كتاب الأمالي: «إنّ جماعة من الأنصار وقفوا على دَغْفَلٍ النَّسَّابة بعد ما كفّ ـ بصره ـ فسلّموا عليه، فقال: مَنِ القومُ؟ قالوا: سادةُ اليمن، فقال: أَمِنْ أَهلِ مَجْدِها القديم وشَرِفها العَمِيم كِنْدَةَ؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الطِّوَالُ قَصَباً

المُمَحَّصُون نَسَباً بنو عَبْد المَدَانِ؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أَقْوَدُها للزُّحُوف وأَخْرَقُها للصُّفوف وأضرَبُها بالسُّيوف رَهْطُ عمرو بن مَعْدِي كَرب؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أَحْضَرُها قِرَاءً وأطيبها فِناءً وأشدُّها لقاءً رهط حاتم بن عبد اللّه؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الغارسون للنَّخْل والمُطْعِمون في المَحْل والقائلون بالعدل الأنصار؟ قالوا: نعم»[1]. فذكر أن حاتم بن عبد اللّه الطائي ورهطه من سادة اليمن وبيوت الرئاسة اليمنية لأنهم كذلك كانوا عبر التاريخ.

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٨٤/٢.

المبحث «٤٨»

زَيْد الخَيْل بن مُهَلْهِل

«قائد كتائب طيء في الجاهلية»

هو الشاعر والقائد زيد الخَيْل بن مُهَلْهِل بن زيد بن مُنْهِب بن عبد رُضَا بن محلس بن ثور بن عَدِي بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان (النبهاني) بن عمرو بن الغوث الطائي المذحجي اليماني القحطاني[١].

قال عنه الأصفهاني: «كان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت في الجاهلية. .»[١] وقال ابن حجر العسقلاني: «كان زيد الخَيْل شاعراً خطيباً شجاعاً كريماً. يُكنىٰ أبا مِكْنف. . قال المرزباني: وكان زيد الخَيْل أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم المعدودين، وكان جسيماً طويلاً، موصوفاً بحسن الجسم وطول القامة»[٢].

وقال ابن الثُّعَليُّ الطائيّ «ومِنّا زيد الخيل بن مُهَلْهل النبهاني، سيد الشيب والشبان وسمّ الفرسان وآفة الأقران والمهيب بكل مكان، رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم على شحط المزار وطموس الآثار»[١].

«وإنّما سُمّي زيد الخيل لكثرة خيله وأنه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفَرس والفَرسان، وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي: الهَطَّال، والكميت، والوَرْد، وكامل، ودوُول، ولاحق. وفي الهطَّال يقول:

أُقَرِّبُ مربط الهَطَّال إنّي ... أرىٰ حرباً ستَلْقَحُ عن حيالِ

وقال في الورد:

أبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أن يكره القَنا ... وحاجة نفسي في نُميرٍ وعامرِ

وقال في دوول:

فاقْسِمُ لا يُفارقني دوولُ ... أجولُ به إذا كثر الضرابُ»[١]

* * *

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٦ جـ ١٦.

(٢) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٥٧٢ جـ ١.

وكانت عشيرة نبهان من عشائر طيء التي كانت تسكن مع غيرها من قبائل مذحج في براقش ووادي الجوف بمنطقة الجوف في اليمن، وقد أشار زيد الخيل إلى أنهم من مذحج في قوله:

أو يفُتّني فقد سبَقْتُ بِوِتْرِ   مَذْحجيٌّ، وجدّ قومي كِئاب

وانتشرت بعض عشائر طيء ومنهم نبهان وثُعَل من الجوف إلى منطقة جبلي أجا وسَلمى وإلى فيد في الطريق إلى الحيرة في إطار السيطرة على الطرق التجارية وحمايتها وتأمين القوافل التجارية، وخاصة في عهد أسعد تُبع بن حسان ملك اليمن والحارث بن عمرو الكندي الذي ولاه أسعد على إقليم اليمامة ونجد مع أولاده ومنهم حُجْر بن الحارث ـ والد امرىء القيس ـ، فكان منهم في أيام امرىء القيس بن حجر الكندي خالد بن سُدُوس النبهاني فعندما أقام امرؤ القيس بمنطقة طيء (عام ٥٣٠م) اتخذ إبلاً وأموالاً بمنطقة نبهان حيث جاء في ديوان امرىء القيس أنه: «نزل امرؤ القيس على خالد بن سُدُوس بن أصمع النبهاني فأكرم نزله، فقال يُثْني عليه وعلى أسرته:

إذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِراً فَفَاخِرْ   بِبَيْتٍ مِثْلِ بَيْتِ بَنِي سُدُوسَا
بِبَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤَسَاءَ فِيْهِ   قِيَاماً لا تُنَازَعُ أَوْ جُلُوْسَا
هُمُ أيْسَارُ لُقْمَان ابن عَادٍ   إذا ما أُجْمِدَ الْمَاءُ الْفَرِيْسَا»[1]

ومنهم زيد بن سدوس النبهاني الذي به وبزيد الخيل افتخر ابن الثُّعلي الطائي قائلاً: «ومِنّا زيد بن سُدوس النبهاني، عصمة الجيران والغيث بكل أوان ومُضرم النيران ومُطعم الندمان وفخرُ كل يمان»[2]. وقد وصفه بأنه (فخر كل يمان) لأن بيئة طيء كانت بيئة يمانية وامتداداً لمناطق طيء ومذحج باليمن وبالتالي امتداداً لكل اليمن واليمنيين.

وكان من النظام السائد في مناطق وقبائل اليمن في عصر الدولة الحميرية وفي عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان وجود رئيس ووجود قائد حربي لكل قبيلة ومنطقة كبيرة، حيث ولّى أسعد تُبّع القائد يزيد ذا الكلاع قيادة قبائل مناطق سَرْو حِمْيَر في الحروب، وفيه قال أسعد:

وجعلنا على المجنَّبة اليُمنىٰ   أخا الحرب ذا الكلاع يزيدا

---

(١) لقمان بن عاد من ملوك اليمن وهو لقمان بن عاد بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير، قال الهمداني في الإكليل: «أعطى اللّه تعالى لقمان بن عاد ما لم يعطه غيره من الناس في زمانه، أعطاه حاسة مائة رجل وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه». وقال الجاحظ: «كانت العرب تُعظم شأن لقمان بن عاد في النباهة والقدر وفي العلم والحكم وفي اللسان والحلم..» [ص ١٨٤/ ١ ـ البيان والتبيين].

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٨ جـ ١٦.

وتولى تلك المرتبة فيما بعد (سُمَيْفَع ذو الكلاع قائد كتائب حِمْيَر) في الحقبة التي امتدت إلى ظهور الإسلام، وكذلك كان في قبائل همدان ومذحج وحضرموت رؤساء أقيال مع وجود قادة للحروب، فكانت رئاسة بني الحرث بن كعب بمخاليف نجران في (بني الديان بن قطن الحارثي) بينما كان الحصين بن قنان الحارثي هو القائد الحربي لبني الحرث بن كعب وغيرهم من قبائل مذحج بمناطق مأرب والجوف ونجران، وكذلك كان في عشائر قبيلة طيء رؤساء بينما كان زيد الخيل بن مُهَلْهل هو القائد الحربي لكتائب طيء في الحروب بحيث وصفه ابن الثُعلي بأنه «قائد قومه إلى أعدائهم على شحط المزار».

* * *

جواهر أنباء وأشعار زيد الخيل في الجاهلية:

لقد عاصر زيد الخيل بن مُهَلْهل حاتماً الطائي وشهدا معاً موقعة يوم اليحاميم في أيام النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة التي كان سببها «أن أوس بن حارثة بن لام قال للنعمان بن المنذر: أنا أُدخِلك بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلهما، فبلغ ذلك حاتماً فقال:

ولقد بَغَىٰ بِجِلادِ أوسٍ قومَهُ ذلّاً، وقد علمت بذلك سنبسُ»

«وتجهَّز أوس بن حارث بن لام للحرب وأخذ في جمع عشائر جَدِيلة، وبلغ عشائر الغوث بن طيء جمع أوس لها، وأوقدت النار على مناع وهي ذروة جبل أجا (لاستنفار كل عشائر الغوث للحرب) فأقبلت عشائر الغوث (من مناطق جبلي أجا وسَلمى وفيد وعارض اليمامة والجوف) ـ كل عشيرة وقبيلة عليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم. وأقبلت جديلة برئاسة أوس بن حارثة بن لام، فتزاحفوا والتقوا بقارات حوق ـ وتُعرف باليحاميم ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً. قال عَدِي بن حاتم: إنّي لواقِفُ يوم اليحاميم والناس يقتتلون إذْ نظرتُ إلى زيد الخيل قد أَحْضَرَ ابنيه مِكْتَفَاً وحُريثاً في شِعْبٍ لا منفذ له وهو يقول: أي بنيّ أَبْقِيَا على قومكما فإن اليوم يوم التفاني فإن يكنْ هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال. فقُلتُ له: كأنك قد كرهت قتال أخوالك. فاحمرّت عيناه غضباً وتَطَاولَ إليّ حتى نظرت إلى ما تحته من سِرْجِه، فخُفْته فضربتُ فرسي وتنحيتُ عنه واشتغل بنظره إليّ عن إبنيه فخرجا كالصقرين (للقتال) وحمل قيس بن عازب على بَجِير بن حارثة بن لام فضربه على رأسه ضربة عَنَقَ لها بَجِيرُ فرسه وولّى فانهزمت جَدِيلة عند ذلك وقُتِلَ فيما قُتِلَ ذريع، فقال زيد الخيل في ذلك قصيدة منها:

نَجَىٰ بني لأمِ جِيادُ كأنّها عَصَائب طَيْرٍ يوم طلٍّ وحاصبِ

وفَـرَّ ابـن لأم واتَّـقـانـا بـظـهـره يُـرْدِعَـهُ بـالـرمـح قـيسُ ابـن عـازبِ
فـإنْ تَـنْـجُ مـنـهـا لا يـزل بـك شـامـة إنـاء حَـيًـا بـيـن الـشـجـا والـتـرائـب
وجـاءت بـنـو مَـعْـنٍ كـأنّ سـيـوفـهـم مصابيح مِنْ سَقف فليس بآيب[١]
ومـا فَـرّ حـتـى أَسْـلَـمَ ابـن حُـمـارس لوقعة مصقول من البيض قاضب»[٢]

وقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن حاتماً الطائي مات حوالي سنة ٤٦ قبل الهجرة الموافق ٥٧٨ ميلادية[٣] مما يعني أن موقعة اليحاميم التي شهدها حاتم وزيد الخيل كانت قبل ذلك التاريخ ـ حوالي سنة ٥٠ قبل الهجرة الموافق ٥٧٥ م ـ ولكن معاصرة حاتم للنعمان بن المنذر الذي حكم في الفترة (٥٨٠ ـ ٦٠٢م) وكون تلك الموقعة في أيامه تتيح القول بأنها كانت ما بين عام ٥٨٥م وعام ٥٩٥م، وربما كان موت سيف بن ذي يزن ملك اليمن حوالي عام ٥٩٠م من العوامل التي دفعت النعمان بن المنذر إلى محاولة بسط سيادته على مناطق طيء من خلال أوس بن حارثة بن لام في موقعة يوم اليحاميم ولكنه انهزم ولم يَتَأَتَّ له تحقيق ذلك، وتدل تلك الموقعة على أن زيد الخيل كان من القادة وأن ابنيه مكنف وحريث كانا من الفرسان آنذاك، مما يعني أنه كان ما بين الثلاثين والأربعين من عُمره وأن مولده كان في حوالي عام ٥٦٠م لأنه استمر في مركز القيادة إلى عام ٦٣٠م، فذلك يُرجح أن موقعة اليحاميم كانت حوالي عام ٥٩٥م.

* * *

ويُستفاد من قول زيد الخيل لإبنيه مكنف وحريث (**إن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال**) أن بني لأم كانوا أخوال والد زيد الخيل أما والدته فقد جاء في الإصابة «إن اسم أم زيد الخيل: قوشه بنت الأثرم، كلبيه» فهي من قبيلة كلب اليمنية بصعدة، وربما كانت امرأة زيد الخيل من بني لأم وأنها (سلامة) حيث جاء في كتاب الأمالي أنه «قال زيد الخيل:

وقَـدْ عَـلِـمَـتْ سـلامـةُ أنّ سـيـفـي كَـريـمٌ كُـلّـمَـا دُعِـيـتُ نَـزالِ
أُحـادِثُـه بِـصَـقْـلٍ كـلّ يـوْمٍ وأعـجُـمُـه بـهـامـاتِ الـرجـالِ

تقول العربُ: حادَثَ فلانٌ سَيْفه إذا جلاه وشَحَذَهُ. وقوله (أعجُمُه بهامات الرجال) أي أُعِضَّهُ، يُقال: عَجَمَه إذا عَضَّهُ»[٤] . وكانت امرأة زيد

(١) بنو معن: هم بنو معن بن عمرو بن عبس بن سلامان بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيء.
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ٣٨٩ جـ ١.
(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص ١٤٨.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ١٢٣ جـ ١.

الخيل تقول الشعر، فقد جاء في كتاب الأغاني: إن امرأة زيد الخيل قالت:

ألا إنّمَا زيدٌ لكلّ عظيمة إذا أقْبلَتْ أوب الجَراد رِعَالُها
لَقَاهُمْ فما طاشَتْ يداهُ بضَرْبِهم ولا طَعْنِهم حتى تَوَلىٰ سِجَالها

قال الأصفهاني: «وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر، وهم عُرْوة وحُريث ومُهَلْهِل. ومن الناس من يُنكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحريث» بينما قال ابن عبد البر في ترجمة زيد الخيل أنه «. .يُكَنَّىٰ أبا مِكْنف، وكان له ابنان مِكْنف وحُريث»[1] ويؤكد حديث عَدِي بن حاتم عن موقعة اليحاميم أن ابنيْ زيد الخيل هما مِكنف وحريث، ولذلك يمكن استنتاج أن عروة هو مكنف ـ اسم ونعت ـ وأن حريثاً هو مُهَلْهِل، اسمه حُريث ونعته مُهَلْهِل، وبذلك يزول التعارض. وقد جاء في الإصابة أن «عروة بن زيد الخَيْل. . شهد مع أبيه بعض الحروب في الجاهلية. . وقال المُبرد: قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: أرأيتَ قول أبيك:

بني عامرٍ هل تَعْرِفون إذا غَدَا أبو مِكْنَفٍ قد شَدَّ عَقْدَ الدّوابر
بجيشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِه ترى الأُكَمَ منه سُجَّداً للحوافر

فقلت لأبي: أحضرت هذه الوقعة مع أبيك؟ فقال: نعم. . »[1] ويدلُّ ذلك الشعر على أن عروة هو مكنف، فقد سألته ابنته: أحضرت تلك الوقعة لأن أباه ذكره في قوله (أبو مكنف قد شدَّ عقد الدوابر) مما يدلّ على أن (مكنف) كان لقب ونعت عُرْوة كما كان مُهَلْهِل لقب أو نعت حُريث بن زيد الخيل، وقد شهدا موقعة اليحاميم ثم موقعة بني عامر، وكانا آنذاك من الفتيان الشباب.

* * *

ومن أنباء زيد الخيل أنه مَرّ ذات مرة ببعض المناطق فسرقت قبيلة بني الصيداء البدوية أحد خيوله، وقيل (بل تركه في بعض أحياء العرب ظالعاً ليستقل فأغارت عليهم بنو الصيداء فأخذوا الفرس فيما استاقوه من الحي. وقيل: إن ذلك الفرس ظلع في إحدى غزواته فلم يَتْبَع الخيل فأخذته بنو الصيداء). فبعث إليهم زيد الخيل بأبياتٍ قال فيها:

يا بني الصَّيْداءِ رُدُّوا فَرَسي إنَّما يُفْعَلُ هذا بالذليلْ
لا تُذِيلوه فإنّي لَمْ أكُنْ يا بني صَيْدا لِمُهْري بالمُذِيلْ

(١) الاستيعاب ـ ابن عبد البر ـ ص ١/٥٦٣ ـ والإصابة ـ ابن حجر ـ ص ٢/٤٧٦ ـ والكامل ـ المبرد ـ ص ١/٣٥٨.

عَــوِّدُوا مُــهْـرِي الـذي عَـوّدْتُـهُ[1] دَلَـجَ الـلـيـل وإيـطـاءَ الـقـتـيـلْ[2]
أَحْـمِـلُ الـزقّ عـلـى مـنـسـجـه شائل الرِجْلَيْنِ نشواناً يميلْ)[3]

وقوله (شائل الرجلين) أي رافع الرجلين.

قال الأصفهاني: «نَسَخْتُ من كتاب لأبي المحلم قال: حدثني أضبط ابن الملوح قال: أنشِد حبيب الفقعسي قول زيد الخيل (عَوِّدوا مُهري الذي عودته) فضحك ثم قال: قولوا له إنْ عَوّدْنَاه ما عَوّدْتَهُ دفعناهُ إلى أول من يلقانا وهربنا». ونرى أن حبيباً الفقعسي أدرك تحذير زيد الخيل لبني الصيداء في قوله:

عَــوِّدُوا مُــهْـرِي الـذي عَـوّدْتُـه دَلَـجَ الـلـيـل وإيـطـاء الـقـتـيـل

ففي ذلك تلميح بأنهم إذا لم يَرُدّوا فرسه ستغشاهم خيله دلج الليل وتطأ قتلاهم وأنه سيحمل الزقّ والغنائم على منسج فرسه ويعود به شائل الرجلين نشواناً يميلُ ابتهاجاً بالنصر، لذلك قال الفقعسي لبني الصيداء: قولوا له إن عوّدناه ما عَوّدْتَه دفعناه إلى أول من يلقانا وهربنا». وفي ذلك تلميح بأن يتركوا الفرس ويهربوا، ولكنهم لم يفعلوا، وربما لم يفهموا، فانْطَلَق إليهم زيد الخيل على رأس مَنْسَرٍ من الفرسان. والمنسر: كتيبة الفرسان باللهجة اليمنية الحميرية.

وكان بنو الصيداء يسكنون شِعْباً فيه شجر كثير الشوك تأكله الإبل، ويُقال له بالحميرية (ذي هيشر)، فأغار عليهم زيد الخيل في ذلك الشِعْب ذي الهيشر فأثخن فيهم واستعاد فرسه. وقال زيد الخيل في ذلك:

ضَـجَّـتْ بـنـو الـصَّـيـداء مِـنْ حَـرْبِـنَـا والْـحَـرْبُ مَـنْ يـحـلِـلْ بـهـا يَـضْـجَـرُ
بِـتْـنَـا نُـزَجّـي نَـحْـوَهُـم ضُـمـراً مـعـروفـة الأنـسـاب مِـنْ مَـنْـسَـرِ
يَـدّعُـون بـالـويـل وقـد مَـسَّـهُـم مِـنّـا غَـدَاة الـشِـعْـبِ ذي الـهَـيْـشَـرِ
ضـربٌ يُـزيـلُ الـهَـامَ ذو مُـصْـدِقٍ يـعـلـو عـلـى الـبـيـضـة والـمَـغْـفَـرِ»

---

(١) في كتاب الأمالي: «عوِّدُوه مِثْل ما عَوَّدْتُه».

(٢) قال أبو علي القالي: «الدَلج ـ بفتح الدال ـ سير آخر الليل. والإدلاج: من أول الليل. ويقال: الدلَج والدَّلجة: سيرُ الليل كله. والدُلجة ـ بضم الدال ـ من آخر الليل. ويروى (دُلَج الليل..) ودُلج: جمع دُلجة. [ص ١/١٢ ـ الأمالي].

(٣) روى الأصمعي وأبو عمرو الشيباني هذا البيت بأنه:

أحـمـلُ الـزقّ عـلـى مـنـسـجـه فـيـظـلُّ الـضـيـف نـشـوانـاً يـمـيـل

وفي الأغاني:

«واسـتـبـاء الـزق مـن حـانـاتـه شـائـل الـرجـلـيـن معصوباً يـمـيـل»

قال الأصفهاني: «استباء الزق: أي استباء الخمر.. والحانات جمع حانة».

فقوله (ضُمراً) أي خيولاً وقوله (منسر) أي كتيبة أو جيش من الفرسان باللهجة الحميرية. قال أسعد تُبّع:

وذا مرعليّ فلا تَنْسَهُ … وآباؤه لهم المنسرُ

قال الهمداني (أي القيادة. والمنسر: الجيش. والناسر: السّرِّية وأهل الغارة)[1].

وقوله (الشِعْب ذي الهيشر) الهيشر: شجر كثير الشوك تأكله الإبل. وقوله (ضربُ. . ذو مصدق) أي ضرباً صادقاً. وذو مصدق لهجة حِمْيَر وطيء. والبيضة والمغفر: الخوذة والدرع. فاستعاد زيد الخيل فرسه المسروق وعاد به شائل الرجلين نشواناً يميل.

وكان من رؤساء عشائر طيء في تلك الحقبة عمرو بن مِلْقَطِ الطائي الذي حَثَّ الملك عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة على القيام بحملة على بني تميم لقيامهم بالغدر بأسعد بن عمرو بن هند وهو عند زُرَارَة التميمي فقال عمرو بن مِلْقط لعمرو بن هند:

مَنْ مُبْلِغٌ عمراً بأ … نّ المرءَ لم يُخْلَقْ صُبَارَهْ[2]

ها إنّ عَجْزَةَ أُمّهِ … بالسَّفْحِ أسْفَلَ مِنْ أُوَارَه[2]

فاقْتُلْ زُرَارَةَ لا أرىٰ … في القوم أوْفَىٰ مِنْ زُرَاره

فهرب زُرَارَة ولم يلبث أن مرض فمات. فقاد عمرو بن هند حملة ضد بني دارم التميميين بمنطقة جبل أُوَارة ـ باليمامة ـ وكان عمرو بن مِلْقط الطائي مع الملك عمرو بن هند في تلك الحملة التي أحرق فيها قرية الملهم وقتل مائة من تميم، وأراد أن يتتبعهم ويقتل كثيراً منه، فسأله عمرو بن ملقط العفو عنهم فأطلقهم له. فصارت لعمرو بن ملقط وعشيرته مكانة قيادية في تأمين تلك المنطقة أيام عمرو بن هند وأخيه النعمان بن المنذر، ولم تكن علاقة عمرو بن ملقط طيبة مع حاتم وزيد الخيل، كما يبدو من قول حاتم:

فَمَا نَكَّرَاهُ غير أنّ ابن مِلْقَطٍ … أراه وقد أعطى الظُّلامة أوجَرا

ومن أنباء زيد الخيل أنه «وقعت فتنة بين أخلاط طيء فنهاهم زيد الخيل عن ذلك فلم ينتهوا، فاعتزل وجاور بني تميم، ونزل على قيس بن عاصم» ـ ولعلها

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٧ جـ ٢.

(٢) الصبارة: الحجر المُلس: أي ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا. عجزة أمّه: آخر ولد للمرأة، ويعني أسعد بن عمرو بن هند.

نفس الفتنة التي اعتزل فيها أيضاً حاتم الطائي وجاور بني بدر ـ «ثم إن تميماً أغارت على بني بكر بن وائل وعليهم قيس بن عاصم، وكان زيد الخيل معه دون أن يقاتل، فلما رأى ما لقيت تميم مِنْ قَتْل، ركَبَ فرسه وحمل على القوم وجعل يدعو (يالتميم) ويتكنى بكنية قيس إذا قتل رجلاً أو ذراه عن فرسه حتى انهزمت بكر وظفرت تميم، فلما عادوا قال زيد لقيس بن عاصم: أقسم لي نصيبي من الغنيمة فقال: وأيّ نصيب فواللّه ما تولى القتال غيري وغير أصحابي. فقال زيد الخيل في ذلك:

ألَا هَـلْ أتـاهَـا والأحـاديـثُ جَـمّـةٌ مُـغَـلْـغَـلَـةً أنـبـاء جـيـش الـلـهـازمِ
فلستُ بوقافٍ إذا الـخيلُ أحْجَمَتْ ولستُ بكذابٍ كقيس ابن عاصمِ
تُـخَـبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أنْ قَدْ هَزَمْتَهُمْ ولـم تَـدْرِ مـا سِيـمَـاهُـم والـعـمـائـمَ
بل الفارس الطائي فَضّ جموعهم ومكة والبيت (الذي عند هاشم)
إذا مـا دعـوا عـجلاً عَـجَلنـا عَـلَيْهِم بِـمَأْثُورةٍ تشفي صداع الجماجم

فبلغ المكشر بن حنظلة العجلي التميمي قول زيد الخيل فخرج في ناس من بني عجل وأغار على جماعة من بني نبهان فأخذ بعض إبلهم، وبلغ ذلك زيد الخيل فخرج في فوارس من نبهان حتى اعترضهم فقال لمكشر: ما لي ولك يا مكشر؟ فقال: قولك (إذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم) فقَاتَلَهم زيد الخيل حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ونجا المكشر ببقية ما أصاب، فأغار زيد الخيل على بني تيم بن ثعلبة التميميين فغنم وسَبَى، وقال في ذلك:

إذا عَـرَكَـتْ عـجـلُ بِـنَـا ذَنْـبَ غيـرنـا عَـرَكْنَا بتَيْم اللاتِ ذَنْبَ بني عَجْلِ)

وكان من أول أنباء رياسة وقيادة زيد الخيل أن عشائر فزارة وبني عبد اللّه بن غطفان ـ وهي من العشائر القيسية في نجد ـ ربما كانت تُغيرُ على بعض القوافل وتنهبها في بعض الطُرق، بحيث ـ كما جاء في كتاب الأغاني ـ: «أغار زيد الخيل على فزارة وبني عبد اللّه بن غطفان ورئيسهم يومئذٍ أبو ضب ـ الغطفاني ـ ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يُقال لهما بنو نصر وبنو مالك، فأصاب وغَنِم وساقوا الغنيمة وانتهى إلى العَلَم فاقتسموا الغنيمة فقال لهم زيد: اعطوني حق الرياسة، فأعطاه بنو نصر، وأَبَىٰ بنو مالك، فغضب زيد وانحدر إلى بني نصر. فبينما بنو مالك يقتسمون إذْ غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء فاستنقذوا ما بأيديهم. وكان بنو مالك نادوه يومئذٍ: يا زيداه أَغِثْنَا، فَكَرّ زيد الخيل على القوم فقتل رئيسهم أبا ضب وأَخَذَ ما في أيديهم ورده إلى بني مالك النبهانيين، وقال يذكر ذلك ـ قصيدة منها ـ:

لـقـدْ عـلـمـتْ نَـبْـهَـانُ أَنّي حَـمَـيْـتُـهَـا وأنّـي مَـنَـعْـتُ الـسَّـبْـيَ أنْ يَـتَـبَـدّدَا
عَـشِـيَّـةَ غَـادرتُ ابـن ضَـبٍّ كـأنّـمَـا هَوىٰ عَنْ عُقَابٍ مِنْ شماريخ صنددا

بذي شَطَبٍ أغْشَىٰ الكتيبةَ سَلْهَبٍ أقَبَّ كسِرْحانِ الظلام مُعوّدا [١]
كَرَرْتُ على أبطال سعدٍ ومالكٍ ومَنْ يَدعُ الداعي إذا هو نَدّدَا [١]
فلأياً كررتُ الوَرْد حتى رأيتهم يكبُونَ في الصحراءِ مَثْنَىٰ ومَوْحَدَا [٢]
فما زلتُ أرميهم بغرّةِ وَجْهِهِ وبالسيفِ حتى كَلَّ تحتي وأبْلَدَا [٢]
إذا شَكَّ أطراف العوالي لِبَانه أُقَدِّمُهُ حتى يَرىٰ الموتَ أسودا [٢]
علالتها بالأمسِ ما قَدْ عَلِمْتُمُ وعَلّ الجواري بيننا أنْ تَسَهَّدَا »

وقاد زيد الخيل حملة أخرى على عشائر فزارة بن ذُبْيَان الغطفانية ـ ربما بسبب تَقَطُّعِهم للطرق والقوافل ـ حيث جاء في كتاب الأغاني عن أبي عمرو الشيباني عن تلك الحملة أنه ـ «غَزَتْ بنو نبهان فزارةَ وهم مُتَسَانِدون ومعهم زيد الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم والسبي، ثم إن فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس وفيهم رجل من سُلَيْم شديد البأس يُقال له عباس بن أنس الرعلي كانت بنو سُليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية فحسده ابن عم له فلطم عينه فخرج عباس من أعمال بني سُليم في عدة من أهل بيته وقومه فنزل في بني فزارة فكان معهم يومئذٍ، وأدركتْ فزارةُ بني نبهان فاقتتلوا قتالاً شديداً، ولم يكن لزيد الخيل المرباع حينئذٍ ـ (وهو ربع الغنائم الذي يكون للرئيس) ـ فلما رأى زيد الخيل ما لقيت بنو نبهان نادى: يا بني نبهان أأحْمِلُ وَلِي المرباع؟ قالوا: نعم، فشدّ على بني سُليم فهزمهم وأخذ أم الأسود امرأة عباس الرعلي، ثم شدّ على فزارة والأخلاط ـ فقتل بشر بن عمرو ومَعْبَداً ـ فهزمهم. فقال في ذلك:

ألَا وَدّعَتْ جِيرانَها أمّ أسْوَدَا وضَنّتْ على ذي حاجةٍ أنْ يُزَوَّدَا
وأبْغَضُ أخلاق النساءِ أشَدّهُ إلَيَّ، فلا تُوَلّنْ أهلي تَشَدُّدَا
وسائل بني نبهان عَنّا، وعندهم بلاءٌ كحَدِّ السيفِ إذْ قَطَع اليَدَا
دعُوا مالكاً ثم اتصلنا بمالكٍ فكان ذكا مصباحه فتوقدا
وبِشْر ابن عمرو قد تركنا مُجَنْدَلاً ينوءُ بخطارٍ هناك ومَعْبَدَا
تَمَطّتْ به قوداءُ ذات علالة إذا الصلدم الخنذيذ أعيًا وبَلّدَا

---

(١) السرحان: الذئب قال امرؤ القيس: (وإرخاءُ سِرْحان، وتقريبُ تَتْفُلِ).
(وقوله: كررتُ على إبطال سعد ومالك) يعني: (غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان) وكذلك (بني مالك ـ أخي غطفان ـ بن سعد بن قيس عيلان). ومن عشائر غطفان: (فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان) وسعد بن ذبيان.

(٢) الورد: اسم حصان زيد الخيل. وقوله: (غرة وجهه) أي وجه حصانه الورد. وكذلك (لبانه) أي لِبان حصانه الورد.

لقَيْنَاهُمُ تُسْتنقذُ الخَيْلُ كالقَنَا ويُسْتَسْلَبُونَ السَّمْهريّ المُقَصَّدَا»[(١)]

وكان مِمّا تَلا تلك الأحداث ما جاء في كتاب الأمالي عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: «خرج بُجَيْر بن زُهَير بن أبي سُلْمَىٰ في غِلْمة يَجْتَنُون جَنَى لأرض، فانطلق الغِلْمةُ وتركوا ابن زُهَير، فَمَرّ به زَيْدُ الخيل الطائي فأخذه، وكانت ديار طيء متاخمة لدور بني عبد اللّه بن غَطَفان. فسأل الغلامَ: مَنْ أنت؟ قال: أنا بُجَيْر بن زهير، فَحَمَله زيد الخيل على ناقة وأرسله إلى أبيه. . »[(٢)] بينما جاء في كتاب الأغاني عن أبي خليفة عن محمد بن سلام قال: «خرج بُجَيْر بن زهير - وفلان - ورجل من بني فزارة يتقنصون الوحش، فلقيهم زيد الخيل فأسرهم، فافتدىٰ بُجَيْر نفسه بفرس كان لكعب أخيه، وكعب يومئذٍ مُجاور في بني مِلْقَط من طيء»[(٢)]. ويجمع الروايتين: إن بُجَير بن زُهَير خرج مع بعض الفتيان يجتنون ويتقنصون - أي يصطادون - في غير منطقتهم، فَمَرَّ زيد الخيل فهرب الغِلْمةُ وتركوا ابن زهير ومعه رجل من فزارة فأسرهما زيد الخيل، وكان بُجير غلاماً - أي كان عمره أقل من إحدى وعشرين سنة حيث كان يُقال للفتى أنه غلام إذا كان عمره أقل من ٢١ عاماً - فسأله زيد الخيل: مَنْ أنت؟ قال: أنا بُجَير بن زُهير بن أبي سُلْمَى، فحَمَله زيد الخيل على ناقة وأرسله إلى أبيه. وكان أبوه شخصية ذات مكانة وشاعراً حكيماً، فهو صاحب القصيدة التي هي إحدى المُعلقات السبع والتي أولها «أمِنْ أُمّ أوْفَىٰ دِمْنَة لَمْ تَكَلَّمِ» فأخبر بُجَيرُ أباه بأن زيد الخيل أخذه أسيراً ثم خَلّاه وأعطاه ناقة وأرسله. وعندئذٍ - وكما جاء في كتاب الأمالي - «قال زُهير: ما أدري ما أُثيبُ به زيداً إلا فرس كعب. وكان لكعب بن زهير فرس من جياد العرب، وكان كعب جسيماً، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم. فأرسل زُهير بالفرس إلى زيد الخيل» - فليس بجير هو الذي افتدى نفسه بفرس كعب، كما جاء في رواية الأغاني، وإنما أرسل زُهير ذلك الفرس إلى زيد الخيل كهدية وإثابة لأنّه أطلق بُجَيراً تكريماً له[(٣)]. وكان كعب بن زهير[(٤)] آنذاك في بني مِلْقَط أسرة عمرو بن مِلْقَط الطائي.

---

(١) لعل الأصوب (تُستنقذُ الخيل بالقنا) أي تؤخذ خيول بني فزارة بالرماح عند هزيمتهم.

(٢) الأمالي - أبو علي القالي - ص ٣/٢٣ - والأغاني - الأصفهاني - ص ١٦/٥٥.

(٣) جاء في ترجمة زهير بن أبي سُلمى بأنه من بني مزينة، ونشأ وترعرع في غطفان (وكان مولده حوالي عام ٥٣٠م وتوفي سنة ٦٢٧م) وقد اشتهر بجهوده في الإصلاح بين عبس وذبيان بعد حرب السباق التي وقعت بينهما، وقال في قصيدته المعلقة:

سئمت تكاليف الحياة ومَنْ يَعِش ثمانين حَوْلاً لا أبا لك يَسْأم

(٤) جاء في ترجمة كعب بن زهير بكتاب (الموجز في الأدب العربي وتاريخه) أنه «وُلد في غطفان - بنجد -. . وتوفي كعب نحو سنة ٢٤هـ/ ٦٦٢م».

قال أبو علي القالي: «فلما جاء كعب سأل عن الفرس، فقيل له: قد أرسل به أبوك إلى زيد الخيل. فقال كعب لأبيه: كأنّكَ أردت أن تُقَوِّي زيداً على قتال غَطَفَان، فقال له زهير: هذه إبلي فخُذ منها عن فرسك ما شئت. وكان بين بني زهير وبين بني مِلْقَطِ الطائيين إخاءٌ، وكان عمرو بن مِلْقَطٍ وَفَّاداً إلى الملوك، وهو الذي أصاب بني تميم مع عمرو بن هند يوم أُوَارة فسأله فيهم فأطلقهم له، فقال كعب بن زهير شعراً يريد أن يُلْقي بين بني مِلْقَط وبين رهط زيد الخيل شَرّاً، فعرف زهير حين سمع الشعر ما أراد به، وعرف ذلك زيد الخيل وبنو مِلْقَط، فأرسلت إليه (أي إلى كعب) بنو مِلْقَط بفرس نحو فرسه. وكانت عند كعب امرأة من غطفان لها شرف وحسب، فقالت له: أَما استحييت من أبيك لشرفه وسِنّه أن تُؤَبِّسه[1] في هِبَته عن أخيك، ولامَتْه. وكان قد نزل بكعب قبل ذلك ضَيْفَانُ فنَحَر لهما بَكْراً كان لامرأته، فقال لها: ما تَلُومينني إلا لمكان بَكْرِك الذي نَحَرْتُ لضيوفي، فَلَكِ به بَكْران. وكان زُهَير كثير المال، وكان كعب مجدوداً. فقال كعب:

أَلَا بَكَرَتْ عِرْسِي بِلَيْلٍ تَلُومني	وأَكْثَرُ أحلام النساء إلى الرَّدَىٰ[2]

وذكر في كلمته زيداً، فقال زهير لابنه: هَجَوْتَ رجلاً غير مُفْحَم وأنه لَخَلِيقٌ أن يَظْهَر عليك. فأجابه زيد الخيل فقال:

أفي كلّ عام مَأتَمٌ تجمعونه	على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثِيب وما رُضَىٰ[3]
تُجِدُّون خَمْشاً بعد خَمْشٍ كأنَّما	عَلَى سَيِّدٍ من خير قَوْمِكم نُعَىٰ
يُحَضِّضُ جَبّاراً عَلَيَّ ورَهْطَه	وما صِرْمَتي منهم لأول مَنْ سَعَىٰ
تُرَعِّي بأذناب الشِّعاب ودُونَها	رجالٌ يَصُدُّون الظَّلُومَ عَنِ الهَوَى
ويَرْكَبُ يومَ الرَّوْع فيها فوارسٌ	بَصِيرون في طعن الأباهر والكُلَى
تقولُ أرىٰ زيداً وقد كان مُصْرِماً	أراهُ لعمري قد تَمَوّل واقْتَنى
وذاكَ عطاءُ اللّه في كل غارةٍ	مُشَمِّرة يوماً إذا قَلَص الخُصَى
فلولا زُهَيرٌ أن أُكَدِّر نعمة	لقاذَعْتُ كَعْباً ما بَقِيْتُ وما بَقى»[4]

ومما يتيح تقدير زمن تلك الأحداث أن زهير بن أبي سُلمىٰ كان كبير السن بحيث قالت امرأة كعب تلومه «أما استحيْت من أبيك لشرفه وسِنّه».

* * *

(١) تؤبسه: تُصَغِّره وتُحَقِّره.

(٢) جاء في الهامش (ويروى: وأقرب بأحلام النساء من الردى).

(٣) جاء في الهامش «رُضَى: مبني للمفعول، وفُتحت منه الضادُ فتقلب الياء ألفاً، وهي لغة طائية».

(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/٢٤.

وكانت لزيد الخيل مواشي ـ نَعَمٌ ـ ترعى في ديار عشيرة بني بدر وهم من عشائر بني فزارة حيث ـ كما جاء في كتاب الأغاني ـ «خرج زيد الخيل يطلبُ نِعَماً له من بني بدر، وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يُقال لها هند واستاق نعماً لهم. فقالت بنو بدر لزيد الخيل: ما كنا قط إلى نعمك أحوج مِنّا اليوم. فتبعه زيد الخيل وقد مضى، وعامر يقول: يا هند ما ظنك بالقوم؟ فقالت: ظني بهم أنهم سيطلبونك وليسوا نياماً عنك.. فأدركه زيد الخيل فنظر إليه عامر فأنكره لِعظَمه وجماله، وغشيه زيد فبرز له عامر، فقال: يا عامر خلِّ سبيلَ المرأة والنعم، فقال عامر: مَنْ أنت؟ قال: فزاريّ أنا، قال عامر: واللّه ما أنت من الفُلجِ أفواهاً، فقال زيد: خلِّ عنها، قال: لا أو تُخبرني من أنت، قال: أسديّ، قال: لا واللّه ما أنت من المنكورين على ظهور الخيل، قال: خلِّ سبيلها، قال: لا واللّه أو تُخبرني فأصدُقني، قال: أنا زيد الخيل، قال: صدقت فما تريد من قتالي فواللّه لئن قتلتني لتطلُبَنَّك بنو عامر ولتَذْهَبَنَّ فزارة بالذكر، فقال له زيد: خلِّ عنها، قال: تُخَلِّي عني وأدعك والمرأة والنعم، قال زيد: فاسْتَأسِرْ، قال: أفْعَلْ. فجزّ زيدُ ناصية عامر ـ أي شعر رأسه ـ وأخذ رمحه فانْطَلَقَ عامرُ إلى قومه مجزوزاً، وأخذ زيد الخيل هنداً والنَّعَم فَرَدّها إلى بني بدر. وقال في ذلك:

وعامرَ ابن طُفَيْلٍ قَدْ نَحَوْتُ له ... صدر القناة بماضي الحدِّ مُطَّرِدِ
لما أحَسّ بأنّ الوَرْد مُدْرِكَهُ ... وصارِماً وربيط الجاش ذي لَبَدِ
نادىٰ إليّ بِسِلْم بعد ما أخَذَتْ ... مِنْهُ المنيَّةُ بالحيزوم واللّغَدِ
ولو تَصَبّرَ ليّ حتى أخالِطَهُ ... أسْعَرْتُه طعنةً كالنارِ بالزّنْدِ»

* * *

وكان مِمّا تلا ذلك أن قوم عامر بن الطفيل[١] لما وصل إليهم مجزوزاً وأخبرهم الخبر غضبوا لذلك وقالوا: لا ترأسَنَا أبداً، ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة، ثم تجهزوا ليغيروا على طيء، وخرج معهم كعب بن زهير بن أبي سُلمىٰ ـ وجماعات من بني فزارة بن ذبيان ومِنْ عبس غطفان ومِنْ بني بدر وغيرهم ـ وكذلك خرج معهم الشاعر جرول المُلَقب بالحطيئة وهو من عبس غطفان وكانت والدته جارية، حيث ـ كما جاء في الأغاني ـ «خرج بنو عامر ليغيروا على طيء وخرج معهم الحطيئة وكعب بن زهير، فبعث عامر بن الطفيل إلى زيد الخيل دسيساً يُنذِره، فجمع زيد الخيل قومه ـ أي كتائب طيء ـ فَلَقِيَهُم بالمضيق فَقَاتَلهم، فأسَرَ

(١) قوم عامر بن الطفيل هم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ـ أخو سُليم ـ ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان. وكانت منطقة هوازن ما بين الطائف ونجد.

الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً مِنْهم (مِنْ بني عامر وعبس وبدر) فحبسهم، فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد فَادِنا، قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبوا ذلك عليه، فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعباً ـ (وكذلك أطلق زيد سراح العبسيين والبدريين) ـ فافتدى كعب بن زهير نفسه بإعطاء زيد الخيل فرسه الكميت[١] وبقي الحطيئة أسيراً ـ (ولم يكن معه مال لإثابة زيد الخيل بافتداء نفسه) ـ، فقال زيد الخيل في ذلك:

أقولُ لعبدي جَرْولٍ إذْ أَسَرْتُهُ ... أَثِبْنِي، ولا يغرُرْكِ أَنّكَ شاعِرُ[٢]

أنا الفارسُ الحامي الحقيقة والذي ... له المكرماتُ واللُّهىٰ والمآثِر

وقومي رؤوسُ الناسِ، والرأسُ قائدٌ ... إذا الحَرْبَ شَبَّتْهَا الأكفُّ المَسَاعِرُ

فَلَسْتُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ وِرْدَه ... وأُتْرِعَ حوضاهُ وحمج ناظرُ

بوقَافَةٍ يَخْشَىٰ الحتوفَ تهيُّباً ... يُبَاعِدُني عنها مِنَ القبِّ ضَامِرُ

ولكنني أغْشَىٰ الحتوفَ بِصَعْدتي ... مُجَاهرةً إنّ الكريم يُجَاهِرُ

وأرْوِي سِنَاني مِنْ دماءِ عزيزةٍ ... على أهلها إذْ لا تُرجىٰ الأياصِرُ

وقال الحُطِيئةُ لزيد الخيل:

إنْ لَمْ يكُنْ مالي بآتٍ فإنّني ... سيأتي ثنائي زَيْدَ ابن مُهَلْهِلِ

فأعطيتَ مِنّا الودّ يوم لقَيْتَنَا ... ومِنْ آل بدرٍ شدّة لَمْ تُهَلّلِ

فما نِلْتَنَا غَدْراً ولكن صَبَحْتَنَا ... غَدَاة التَقَيْنا في المضيق بأَخْيَلِ

تَفَادىٰ حُماةُ القوم مِنْ وَقْعِ رُمْحِهِ ... تَفَادِي ضِعَافِ الطير مِنْ وَقْعِ أَجْدَلِ

وقال فيه الحطيئةُ أيضاً:

وقَعْتَ بِعَبْسٍ ثم أنْعَمْتَ فيهمُ ... ومِنْ آل بدرٍ قَدْ أَصَبْتَ الأخايرا

فإنْ يشكروا فالشكرُ أدنىٰ إلى التُقىٰ ... وإنْ يكفروا لا أُلْفَ يا زيدُ كافِرا

تَرَكْتَ المياه مِنْ تميم بلاقِعاً ... بما قد ترى منهم حلولاً كراكرا

وحيّ سُلَيْمٍ قد أثرتَ شريدَهُم ... ولا تَنْسَ ما قَتَلْتَ يا زيد عامرا

فرضي عنه زيد الخيل ومَنَّ عليه لما قال هذا الشعر فيه وعَدّ ذلك ثواباً من الحطيئة فأطلقه من دون فداء، فلما رجع الحطيئة إلى قومه قام فيهم حامداً لزيد شاكراً لنعمته». [ص ١٦/٥٤]

* * *

---

(١) الفرس الكميت هو الذي كان بنو مِلقَط الطائي أعطوه لكعب بن زهير حين أهدى زهير فرس كعب لزيد الخيل.

(٢) جرول هو الحطيئة.

وسار زيد الخيل ـ ذات مرة ـ إلى إقليم الحيرة بالعراق. وكان حكم النعمان بن المنذر آخر الملوك المناذرة اللخميين لإقليم الحيرة قد انتهى بعد خلاف بينه وبين كسرى أبرويز حيث ـ وكما ذكر الأستاذ أحمد أمين ـ «غضب كسرى على النعمان بن المنذر الخامس فهرب ثم لجأ إليه فحبسه حتى مات وكان ذلك حوالي سنة ٦٠٢م وبموته ألغت الحكومة الفارسية نظام إمارة اللخميين..»[١]. وقال ابن خلدون: «إن كسرى أبرويز لما قتل النعمان بن المنذر أبدل منه في الولاية على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي ليده التي أسلفها طيء عند كسرى يوم وقعة الروم على كسرى أبرويز وطلبه من النعمان فرسه لينجو عليها فأبىٰ، واعترضه حسان بن حنظلة ابن حيّة الطائي وهو ابن عم إياس بن قبيصة فأركبه فرسه ونجا عليه ومرّ كسرى في طريقه بإياس بن قبيصة فأهدى له فرساً وجزوراً، فرعى له كسرى هذه الوسائل، وقدّم أياساً مكان النعمان، وهو إياس بن قبيصة بن أبي يعفر بن النعمان ابن حيّة الطائي»[٢] وقد ولى كسرى مع إياس بن قبيصة مرزباناً فارسياً بحيث «أقام إياس في ولاية الحيرة ومعه المهرجان من مرازبة فارس تسع سنين، وفي الثامنة منها كانت البعثة ـ النبوية ـ»[٢].

وكان مسير زيد الخيل إلى الحيرة بعد تولية إياس بن قبيصة الطائي غالباً، ولم تذكر الروايات شيئاً عن ذلك سوى أنه لما عاد من الحيرة نزل عند شيخ في الطريق وكانت مع زيد الخيل مائة من الإبل، فمرّ بذلك المكان رجل من بني شيبان يبحث عن غنيمة وكان ذلك الرجل قد ترك عياله وأهله بالقرب من الحيرة وليس لديهم شيء وخرج يبحث عن غنيمة فسار ـ حيث كما جاء في كتاب الأغاني ـ «رأى الرجل خباء عظيماً وقبةً من أدم ـ أي من جلد ـ فنظر إلى الخباء فإذا شيخ كبير فجلس خلفه، فلما وجَبَتْ الشمسُ إذا فارسٌ قد أقْبَلَ على فرس ومعه أسودان يمشيان جنبيه وإذا مائة من الإبل مع فحلها فبرك الفحلُ وبركت حوله، ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: أحلبْ واسقِ الشيخ ـ فحلب مراراً وسقاه وكان الرجل الشيباني يشرب من ذلك ـ ثم أمر الفارس بشاة فذُبحت وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه. فأمهل ـ الشيباني ـ حتى إذا ناموا قام إلى الفحل فحَلّ عقاله وركبه فاندفع به وتبعته الإبل، فمشى ليلته حتى الصباح فلما أصبح نظر فلم ير أحداً، فسار بها سيراً عنيفاً حتى تعالى النهار، ـ قال ذلك الرجل الشيباني ـ «ثم التفتُّ التفاتةً فإذا أنا بشيء كأنّه طائر فما زال يدنو حتى تبينتُه فإذا هو فارس على فرس وإذا هو صاحبي بالأمس فَعَقَلْتُ الفحل ونثلتُ

---

(١) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ١٧.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٦٧ و١٦٨.

كنانتي ووقفتُ بينه وبين الإبل، فقال: احللْ عقال الفحل، فقلتُ: كلا واللّه لقد خَلفْتُ نُسيات بالحيرة وآليتُ لا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت، قال: فإنك لميتُ حِلْ عقاله لا أُم لك. فقلت: ما هو إلا ما قلتُ لك. فقال: إنك لمغرور انصب لي خطامةً واجعل فيه خمس عجر، ففعلتُ، فقال: أين تريد أن أضع سهمي؟ فقلتُ: في هذا الموضع، ثم أَقْبَلَ يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم[١] فَرَدَدْتُ نبلي وحططتُ قوسي ووقفتُ مُسْتسلماً، فَدَنَا مِنّي وأخذ سيفي وقوسي ثم قال: ارتدف خلفي وعرف أنّي الرجل الذي شربت عنده اللبن، فقال: كيف ظنك بي؟ قلتُ: أحسن ظن، قال: وكيف؟ قلتُ: لما لقيتَ من تعب ليلتك وقد أظفرك اللّه بي، فقال: أترانا نُهيجك وقد بتّ تُنادم ابن مُهَلْهِل؟ قُلتُ: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم أنا زيد الخيل، فقلتُ: كن خير آخذ، فقال: ليس عليك بأس. فمضىٰ إلى موضعه الذي كان فيه (وأخبرته بخبر نسائي وعيالي وأني تركتهم بالحيرة لا يجدون شيئاً) فقال لي: أما لو كانت هذه الإبل لي لسلمتُها إليك ولكنها لبنت مُهَلْهِل فأَقِمْ معي فإنّي على شرف غارة. فأقمتُ أياماً، ثم أغار على بني نمير بالملح فأصاب مائة بعير، فقال: أهذه أحبّ إليك أم تلك؟ قلت: هذه، قال: دونكها ـ وأعطاني إياها ـ وبعثَ معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع في الشيطين على ماء.. وما مضت الأيام حتى شريتُ بثمن إبلي بستاناً بالحيرة»[٢]. وكانت تلك الحادثة كما جاء في الرواية: قبل البعثة النبوية، أي فترة ولاية إياس بن قبيصة الطائي لإقليم الحيرة، وقد مكث ذلك الرجل الشيباني مع زيد الخيل إلى أن عاد إلى منطقة طيء ثم قام مع كتيبة من فرسان طيء بحملة على عشيرة بني نُمير النجدية في مكان اسمه (الملح) ـ وربما كانت تلك الحملة بسبب قيامهم بالتقطع لبعض القوافل التجارية ـ فَظَفَر بهم، فأخذ المرباع ـ وهو ربع الغنيمة ـ وكان مائة بعير فوهبها لذلك الرجل، وقال زيد الخيل عن يوم الملح:

ويوم الملح ملح بني نُمير   أصابتكم بأظفارٍ وناب[٣]

* * *

وقام زيد الخيل بحملة على عشائر بني مُرّة بن ذُبيان الغطفانية ـ التي كانت

---

(١) كان زيد الخيل بارعاً في الرماية بالنبال (أي السهام) وكذلك كان الكثير من رجالات طيء ومنهم عمرو بن عبد المسيح الثُعلي الذي قال فيه امرؤ القيس:

رُبّ رام من بني ثُعَلٍ   مُخرجٌ كَفَّيْه مِن سترِه

(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٥٠.

(٣) بنو نمير: عشيرة من قبيلة عامر بن صعصعة الهوازنية.

تتقطع بعض الأحيان للقوافل ـ وتصادفت تلك الحملة بأنها وقعت بعد قيام الحارث بن ظالم ـ بن عوف ـ بهجاء عمرو بن الإطْنابة الخزرجي الأزدي الذي كان من رؤساء الأوس والخزرج الأزديين اليمانيين في يثرب وصديقاً لزيد الخيل. وقد جاء في كتاب الأغاني عن تلك الحملة ما يلي:

«لمّا بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجي وهجائه إياه غضب زيد الخيل لذلك، فأغار على بني مُرّة بن غطفان فأسَرَ الحارث بن ظالم وامرأته في غارته ثم مَنّ عليهما ـ أي أطلق سراحهما ـ وقال زيد الخيل يذكر تلك الغارة:

أَلَا هَلْ أتى غَوْثاً ورَوْمَانَ أنّنا ... صَبَحْنَا بني ذُبْيَان إحدى العظائم[1]
وسُقْنَا نساءَ الحيّ مُرّة بالقَنَا ... وبالخيل تَرْدَىٰ قد حَوَيْنَا ابن ظالم
جنيباً لأعضاد النواجي يَقُدْنَهُ ... على تَعَبٍ بين النواجي الرواسم
يقول إقْبَلُوا مِنّي الفداء وانْعِمُوا ... عليّ وجُزْوُني مكان القوادم
وقد مَسّ حَدّ الرمحِ قوارةَ استه ... فصارت كشدق الأعلم المتضاجم
وسائل بِنَا جار ابن عوف فقد رأى ... حليلته جلت عليها مقاسمي
تلاعب وحدان العضاريط بعدما ... جلاها بسهميه لقيط ابن حازم
أغَرّك إن قِيلَ ابن عوف ولا أرىٰ ... عزيمك إلا واهياً في العزائم
غَدَاةَ سَبَيْنَا مِنْ خفاجة سَبْيَهَا ... وَمَرّتْ لهم مِنّا نحوس الأشائم
فَمَنْ مُبْلِغُ عني الخَزَارِجَ غارة ... على حيّ عوفٍ واجفاً غير نائم»

[ص ٥٣/ ١٦]

وقوله (الخزارج) يعني عشائر الخزرج الأزديين وعمرو بن الإطنابة الخزرجي، وكان عمرو بن الإطْنَابة من الفرسان الرؤساء الشعراء وهو القائل[2]:

أَبَتْ لي عِفَّتي وأَبَى بلائي ... وأَخْذِي الحَمْدَ بالثمن الرَّبِيح
وإقْدَامِي على المكروه نفسي ... وضَرْبي هامةَ البَطَل المُشِيح[3]

---

(١) غوث: قبائل غوث بن طيىء. رومان: عشيرة رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيىء.

(٢) جاء في كتاب الأمالي أنه: «قال معاوية بن أبي سفيان: لقد وضعتُ رجلي في الركاب يوم صِفّين غير مرةٍ فما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطْنابة:

أَبَتْ لي عفتي وأَبَى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الرّبيح»

إلى آخر الأبيات. ص ٢٥٨/ ١.

(٣) المُشِيح: المبادر المنكمش والمُحَاذِر.

وَقَوْلي كلّما جَشَأَتْ وجاشَتْ رُوَيْدَكِ تُحْمَدِي أو تستريحي[١]
لأدْفَعَ عن مآثر صالحاتٍ وأَحْمِي بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيح»

* * *

ومن أنباء زيد الخيل في الفترة التي كان فيها إياس بن قَبِيصة الطائي والياً للحيرة أن رجلاً من بني حيَّة ـ وهم رهط إياس بن قبيصة ـ كان مسافراً إلى صهر له من قبيلة هوازن ـ التي كانت تسكن بين نجد والطائف ـ فتعرضت جماعة من بني عامر بن صعصعة لذلك الرجل الطائي واسمه دُواب بن عبد اللّه فنهبوه وقتلوه، فانطلق إليهم زيد الخيل بكتائب فرسان طيء من بني نبهان وغيرهم من عشائر الغوث بن طيء، فأغار على عشيرة بني الوحيد ثم بني نفيل ـ من بني عامر ـ فأصاب وقتل رجالاً منهم، وفعل كذلك بعشيرة ضِباب ثم مَنَّ عليهم، وكانت تلك العشائر الثلاث تسكن بالمنطقة التي قُتِل فيها دُواب الطائي. وقد جاء في كتاب الأغاني عن تلك الحملة ما يلي:

«خرج رجلٌ من طيء يُقال له دُواب بن عبد اللّه إلى صهر له من هوازن، فأُصيب الرجل، وكان شريفاً ذا رياسة في حيّة ـ (أي في بني حيّة) ـ فبلغ ذلك زيد الخيل فركب في بني نبهان ومن تبعه مِنْ ولد الغوث وأغار على بني عامر، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له: ألكَ علم بالطائي المقتول؟ فإن قال نعم قَتَله، وإن قال لا خَلَّى سبيله ومَنَّ عليه ـ وكانوا من بني الوحيد والضِّباب وبني نفيل ـ ثم رجع زيد إلى قومه، فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما أَصَبْتُ بثأر دُواب، ولا يبوء به ـ أي لا يكافيه ـ إلا عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فأما عامر بن الطفيل فلا يبوء به. وأنشأ زيد الخيل يقول:

لا أرى أن بالقتيل قتيلاً عامرياً يَفِي بِقَتْلِ دُواب
ليس إلا مَنْ لَاعَبَ الأسِنَّة في الـ ـنَقْعِ وسمى مُلاعباً بأراب[٢]
عامرٌ، ليس عامر ابن طُفَيْلٍ لكنَ العمر رأس حيّ كلاب[٣]
ذاك إن ألْقَهُ أنالُ به الوتـ ـر، وقَرّتْ به عيون صحابي

(١) ويروى: (مكانك تُحمدي أو تستريحي).
(٢) جاء صدر البيت في الأغاني (ليس من لاعب الأسنة.. إلخ). وهذا اليت فيه تصحيف من الطباعة غالباً.
(٣) حيّ كلاب: عشائر كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان.. ومنهم الوحيد بن كعب بن كلاب، والضِّباب بن كلاب الذين منهم عامر ملاعب الأسنة.

أو يـفـتـنـي فـقـد سَـبَـقْـتُ بـوتـرِ   مـذحـجـي، وجـدّ قـومـي كـثـابِ
قـد تـقـنـصـتُ لـلـضِّـبـاب رجـالاً   وتَـكَـرَّمْـتُ عـن دمـاء الـضـبـاب
وأصـبـنـا مِـنْ الـوحـيـد رجـالاً   ونُـفَـيْـلٍ فَـمَـا أسـاغـوا شـرابـي»

فقوله (قد سبقتُ بوترٍ مذحجيّ) أي قد أخذتُ بالثأر لمذحج لأن دُواب بن عبد اللّه الطائي كان من ذوي الشرف والرئاسة في بني حيّة الطائيين، وطيء من قبائل مذحج، فالثأر هو لقبائل مذحج كلها، وقد أخذ زيد الخيل بالثأر بقتله رجالاً من بني الوحيد ومن بني نفيل والضِّباب، ولكنه اعتبر ذلك غير كافياً وأنه لا يفي بقتل دُواب إلا قتل عامر بن مالك ملاعب الأسنة ـ رأس بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ـ وأنه لا يفي بدم دُواب حتى عامر بن الطفيل أشهر رؤساء وفرسان هوازن. ولم يكن لعامر بن مالك ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل أي علاقة بقتل دُواب. «فلما بلغ عامر بن الطفيل مقال زيد الخيل وشعره قال مجيباً على أبيات زيد الخيل عن ذلك:

قُلْ لِزَيْدٍ قد كُنْتَ تُؤثر بالحلم   إذا سُـفِـهَـتْ حـلـوم الـرجـال
ليس هذا القتيل مِنْ سَلَفِ الحيّ   كُـلَاع ويـحْـصُـب وكُـلال[1]
أو بـنـي آكـل الـمُـرار، ولا صِـيـدِ   بـنـي جُـفْـنَـة الـمـلـوك الـطـوال[2]
وابـن مـاءِ الـسـمـاء قَـدْ عَـلِـم الـنـاسُ   ولا خـيـر فـي مـقـالـة غـالِ»

والمقصود أن زيد الخيل قد أخذ بثأر دُواب بقتله الذين قتلهم من بني الوحيد ونفيل والضباب في المنطقة التي قُتِل فيها دُواب، فليس دُواب من ملوك حِمْيَر ولا ملوك كندة ولا الملوك الجفنيين الغساسنة ولا المناذرة حتى يقول زيد الخيل ما قال. وبالفعل كان زيد الخيل قد أخذ بالثأر وعاقب القوم ومَنَّ وعَفَا عن أكثرهم، ولعله إنما قال ما قال كتحذيرٍ لرؤساء بني عامر وليس للمغالاة، ولأنّ دُواب بن عبد اللّه كان من بني حيّة وهُم أُسرة وعشيرة إياس بن قَبِيصة الملك في إقليم الحيرة، وقد ذكر ابن خلدون أنه «أقام إياس بن قَبِيصة في ولاية الحيرة تسع سنين، وفي الثامنة منها كانت البعثة النبوية».

* * *

وكان مما تلا ذلك حملة زيد الخيل على بعض عشائر بني عامر بن صعصعة وتميم ـ بمنطقة نجد ـ وقد وقعت بعد موقعة يوم الكُلاب الثاني بين تميم وبني

(١) آل ذي الكلاع ويحصب وآل عبد كلال ذي رعين من بيوت الملوك الحميريين.
(٢) بنو آكل المرار: الملوك الكنديون. وبنو جفنة: الملوك الغسانيون بالشام. وابن ماء السماء الملك المنذر وأولاده المناذرة.

الحرث بن كعب المذحجيين وموقعة يوم (فَيْف الريح) بين مذحج وبني عامر والتي جاء في كتاب أيام العرب أنه «كانت وقعة فيف الريح وقد بُعِث النبي ﷺ بمكة»(١) ولم يأت ذكر طيء وزيد الخيل في أنباء موقعة يوم فَيْف الريح التي أصاب فيها مُسْهِر بن يزيد الحارث المذحجي عين عامر بن الطفيل وكان من فرسان مذحج واليمن فيها عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي ومُسْهِر الحارثي والحصين بن قنان فانهزمت قبائل عامر والذين معهم. وبعد ذلك ـ غالباً ـ كانت حملة زيد الخيل، وقد وقع تأخيرٌ وتقديمٌ في إخبارها بكتاب الأغاني حيث جاء ذكر تلك الحملة ثم قيام عشائر (غنيّ بن أعصر مع لفّ من بني عامر بغارة على إحدى عشائر طيء) بينما الأصوب أن تلك الغارة كانت سبب حملة زيد الخيل وإلا فإنّ الحَمْلة تكون بلا سبب، فالسبب هو «أن عشائر غُنيّ بن أعصر(٢) تجمعوا مع لفّ من بني عامر فأغاروا على عشيرة مِنْ طيء فنهبوا وقتلوا وسَبَوْا ـ بعض الأسرى ـ وقال طفيل الغنوي في ذلك أبياتاً أولها:

سَمَوْنا بالجيادِ إلى أعادٍ مغاورة بحدّ واعتصاب
.. وقَتَّلْنا سَرَاتهم جهاراً وجئنا بالسبايا والنهاب»

ثم قاد زيد الخيل كتائب طيء وغيرهم من فرسان مذحج في الحملة التي جاء عنها في كتاب الأغاني ما يلي: «إن زيد الخيل بن مُهَلْهِل جمع طيئاً وأخْلاطهم وجموعاً من شُذان العرب فغزا بهم بني عامر ومَنْ جاورهم من قبائل العرب مِنْ قيس ـ (في نجد) ـ وسار إليهم، فصبّحَهم مِنْ طلوع الشمس، فَنُذِروا به وفزعوا إلى الخيل وركبوها، وكان أول مَنْ نُذِر بهم فَلَقَىَ جَمْعهم غنيّ بن أعصر وأخوتهم بنو الحارث وهم الطُّفاوة، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت بنو عامر، فاسْتَحَرّ القَتَلُ في غنيّ وملأت طيء أيديهم من غنائم تميم. وقال زيد الخيل في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها:

وخيبة مَنْ تُجيبُ على غنيٍّ وباهلة ابن أعصر والكلاب»(٣)

فقصيدته تلك إنما هي جواب على قصيدة طفيل الغنوي، وليست قصيدة طفيل جواباً على زيد الخيل ـ كما تَوهَّمَ صاحب رواية الأغاني ـ فقول زيد الخيل «وخيبة مَنْ تُجيب على غُنيّ» يؤكد أن قصيدته كانت جواباً على طفيل الغنوي، وبالتالي يؤكد

(١) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٣.
(٢) هم عشائر (غنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان) وهم عشائر (غنيّ بن أعصر، وباهلة بن أعصر، والطُّفاوة) وكانوا أكثر من ثمان عشائر.
(٣) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٥١.

أن غارة عشائر غنيّ والذين معهم من بني عامر والتي نهبوا فيها إحدى عشائر طيء ـ أو قوافلها ـ كانت قبل حملة زيد الخيل وكانت سبب تلك الحملة التي قاد فيها زيد الخيل كتائب وفرسان طيء وغيرهم من فرسان مذحج والعرب فأوقع بعشائر غُنيّ وباهلة ابن أعصر وبني الكلاب من بني عامر وبعض عشائر تميم، فانهزموا في تلك الموقعة وخاصة بني عامر حيث كما جاء في النص السالف بكتاب الأغاني «انهزمت بنو عامر، واسْتَحَرّ القتلُ في غُنيّ، وملأت طيءُ أيديها مِنْ غنائم تميم».

ومِنْ أشهر شعر زيد الخيل أبياتاً قالها عن تلك الموقعة ـ (وهي غالباً يوم محجن) ـ وقد شهدها معه ابنه عُرْوَة المُلَقَّب بمكْنَف حيث جاء في كتاب الأغاني «. . عن ابن أبي ليلى قال: أنشدتني ليلى بنت عُروة بن زيد الخيل قوله في يوم محجن:

بني عامرٍ، هل تَعْرفون إذا غَدَا أبو مِكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقدَ الدوابر
بجيشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ ترى الأُكَمَ منه سُجَّداً للحوافر

قالت ليلى: قُلتُ لأبي، يا أبه أشهدت ذلك اليوم مع أبيك؟ فقال: أي واللّه يا بنيّة لقد شهدتُه. قُلتُ: كم كانت خيل أبيك هذه التي وُصِفَت؟ قال: ثلاثة أفراس»[1]. وجاء في كتاب الأمالي أنه «. . قالت ليلى بنت عُرْوة بن زيد الخيل. . فقُلْتُ لأبي: أحَضَرْت هذه الوقعة؟ فقال: نعم. قُلتُ: فكم كانت خيلكم؟ قال: ثلاثة أفراس»[2]. فهي لم تقل «كم كانت خيل أبيك التي وُصِفت ـ أي في الشعر ـ وإنما قالت: كم كانت خيل أبيك؟ ـ أو (كم كانت خيلكم في تلك الموقعة؟» فقال: (ثلاثة أفراس) فالمقصود: خيل أبيه زيد الخيل خاصة وكان المشهور منها ستة خيول وهي: الوَرْد، والهَطَّال، ودوول، وكامل، ولاحق، وكميت، فقال عروة (ثلاثة أفراس) ـ أي من تلك الستة ـ فقد كان زيد الخيل على صهوة خيله (الورد) وكان عروة وأخوه مُهَلْهِل على صهوة خيلين. بينما الخيل التي وصفها زيد الخيل في ذلك الشعر هي خيل جيشه حيث سلف النص بأنه «جمع طيئاً وأخلاطهم وجموعاً من شُذان العرب فغزا بهم بني عامر ومَنْ جاورهم». فيدل ذلك النص على أن جيشه في تلك الحملة والموقعة كان كبيراً وإن خيوله كانت عدة آلاف، بل إن الشعر نفسه يؤكد ذلك حيث قال: «بجيش تظل البُلْق في حجراته» فالوصف هو لخيل الجيش.

وقد أورد أبو العباس المُبرد في كتاب الكامل قول زيد الخيل في تلك القصيدة أبياتها الأربعة المشهورة وهي:

«بني عامرٍ، هل تَعْرفون إذا غَدَا أبو مِكْنَفٍ قد شَدَّ عَقدَ الدَّوابرِ

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٥١.
(٢) الكامل ـ أبو العباس المبرد ـ ص ١/٣٥٨.

بجيشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ ... ترىٰ الأُكَمَ مِنْهُ سُجَّداً للحوافرِ
وجَمْعٍ كمِثْلِ الليلِ مُرتجِسِ الوغَىٰ ... كثيرٍ تَواليهِ سريعِ البَوادِرِ
أَبَتْ عادة للوَرْدِ أن يكره القَنَا ... وحاجَةُ رمحي في نُميرٍ وعامرِ»

قال أبو العباس المبرِّد: «قوله: قد شَدَّ عَقَدَ الدوابر، يريدُ عقد دوابر الدرع فإنّ الفارس إذا حَمَىٰ فعل ذلك.

وقوله: (بجيش تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراته) أي لكثرته لا يُرىٰ فيه الأبلق. والحصان الأبلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه، ومن ذلك قوله:

فلئنْ وقَفْتَ لَتَخْطِفَنْكَ رماحُنا ... ولئنْ هَرَبْتَ ليُعْرفنَّ الأبلقُ

وحَجَراته: نواحيه. وقوله: (ترى الأُكَمَ مِنْهُ سُجَّداً للحوافر) يقول: لكثرة الجيش تُطحنُ الأُكَمَ حتى تُلْصِقَها بالأرض.

وقوله (وجمع كمثل الليل) يقول: كثرة، فيكادُ يَسُدُّ سوادُهُ الأُفُق. ولذلك يُقال: كتيبة خضراء، أي سوداء.

وقوله (مُرتجس الوغى) المُرتجِسُ الذي يُسْمَعُ صوته ولا يبينُ كلامُهُ، يُقال: ارتجس الرعدُ من هذا. والوغى: الأصوات.

وقوله (كثير تواليه) التوالي: اللواحق، يُقال: تلاه يتلوه إذا اتَّبعَهُ، وتَلَوْتُ القرآن، أي أتبَعْتُ بعضه بعضاً»(١).

زيد الخيل في رحاب رسول اللّه ﷺ:

وقد أدرك زيد الخيل ظهور الإسلام والهجرة النبوية فكان هو رائد وفد قبيلة طيء إلى رسول اللّه ﷺ، قال الحافظ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

«قَدِم زيد الخيل بن مُهَلْهِل الطائي على رسول اللّه ﷺ في وفد طيء سنة تسع، فأسلم وسماه رسول اللّه ﷺ زيد الخير وقال له: (ما وُصِفَ لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيتُه دون الصفة غيرك).. وكان زيد الخيل شاعراً مُحسناً خطيباً لسِناً شجاعاً بِهمّته كريماً.. وكان قبل إسلامه قد أَسَرَ عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد ـ ص ٣٥٨ و٣٥٩/ ١.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ٥٦٣/ ١.

«. . كان زيد الخيل شاعراً خطيباً شجاعاً كريماً. يُكنىٰ أبا مِكْنَف. . قال المرزباني: واسم أُم زيد الخيل: قوشة بنت الأثرم، كلبية. وكان أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم المعدودين، وكان جسيماً طويلاً موصوفاً بحسن الجسم وطول القامة. . وقال ابن إسحاق: قال رسول اللّه ﷺ لزيد الخيل: ما وُصِف لي أحد في الجاهلية فرأيتُه في الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك. .»[(١)].

وجاء هذا الحديث في كتاب الأغاني من طريق أبي المنذر الكلبي وأبي عمرو الشيباني بلفظ، قال رسول اللّه ﷺ: «يا زيد ما وُصِف لي رجلٌ قط فرأيته إلا كان دون ما وصِف به إلا أنت فإنك فوق ما قيل فيك»[(٢)].

وكان زيد الخيل هو رائد ورئيس وفد طيء الذين قَدِموا إلى رسول اللّه ﷺ سنة تسع للهجرة ولم يكونوا قد أسلموا، حيث كانت عشائر قبيلة طيء تدينُ في الجاهلية بأربع عقائد هي:

أ ـ عبادة (رُضَا): قال الأصفهاني (رُضَا: صَنَمٌ كان لطيء). وقد ذكرنا في نسب زيد الخيل أنه (زيد الخيل بن مُهَلْهِل بن زيد بن منهب بن عبد رُضَا. .) وكذلك جاء في كتاب الأمالي من شخصيات طيء «مُرّة بن عبد رُضَىٰ الطائي». فكانت بعض عشائر طيء تدين بعبادة رُضَا وكذلك كانت بعض عشائر خولان القضاعية بمنطقة صعدة المجاورة لمهد قبيلة طيء في الجوف تدين بعبادة رُضَا فقد ذكرت التراجم «وفادة عبد رُضَا الخولاني، وأن رسول اللّه ﷺ كتب لعبد رُضا الخولاني كتاباً إلى معاذ بن جبل»[(٣)] ويدل ذلك على وجود عبادة (رُضَا) بمنطقة صعدة أيضاً، وقد كانت أم زيد الخيل: قوشة بنت الأثرم، كلبية قضاعية من منطقة صعدة. ويتبين من ذلك أن رُضَا كان معبوداً لعشيرة زيد الخيل الطائية وكذلك لعشائر من خولان وقضاعة باليمن.

ب ـ عبادة (الفُلْس): وكان معبوداً لطيء بمنطقة جبلي أَجَا وسَلمى. وقد ذكرت التراجم «أن الفُلْس: الصنم الذي كانت تعبده طيء هو أنفٌ أحمر وسط جبلهم يبدو وكأنه تمثال إنسان، فكانوا يعبدونه، ويهدون إليه. ويعتُرون عنده عتائرهم، ولا يأتيه خائف إلا أمِنَ عنده» ـ وكان يُقال له (الجبل الأسود) ـ وفيه قال الشاعر الجاهلي عارف الطائي:

فـأُقْـسِـمُ بـالـعَـتَـائـرِ حـيـثُ فُـلْـسُ ... ومَـنْ نَـسَـكَ الأُقَـيْـصِـرَ مِ الـعِـبَـاد

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ١/٥٧٢.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٧.
(٣) الوثائق السياسية للعهد النبوي ـ محمد حميد اللّه ـ ص ٢٣٧.

جـ ـ عبادة (العُزى): وكانت بعض عشائر طيء تدين بعبادة (العزى)، وقد تكون عبادة الآلهة الثلاثة (رُضَا والفُلْس والعُزى) موجودة في وقت واحد حيث يؤمن الجميع بالثلاثة في إطار فكرة (تعدد الآلهة الوثنية).

د ـ الديانة النصرانية: وكانت بعض شخصيات وعشائر طيء تدين بالديانة النصرانية المسيحية التي كانت شائعة أيضاً في العديد من مناطق اليمن ومنها مخاليف نجران وسَرْو حِمْيَر، وقد كان من مشاهير رجالات طيء «عمرو بن عبد المسيح الثُعلي» ومنهم «رافع بن عميرة السنبسي الطائي كان نصرانياً» وكذلك ذكرت التراجم أن «قبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمي الطائي كان نصرانياً» ـ وهو رئيس عشيرة بني جوين ـ كما كان عَدِي بن حاتم الطائي الثُعلي نصرانياً، وقد قال عَدِي بن حاتم: «كنتُ نصرانياً.. وكنتُ رئيساً في قومي».

ولا بدَّ أن زيد الخيل بن مُهَلْهِل كان يُتابع أنباء وتطورات دعوة رسول اللّه ﷺ إلى دين التوحيد الإسلامي الحنيف ومناصرة الأوس والخزرج اليمانيين لرسول اللّه ﷺ في يثرب التي شهدت في أوائل سنة ٧هـ قدوم سبعمائة رجل من مناطق وقبائل اليمن إلى رسول اللّه ﷺ مؤمنين ومبايعين، وقد ذكرت التراجم أن منهم «أبو موسى الأشعري في موكب يضم خمسين من رجالات الأشاعر. والطفيل بن عمرو الدوسي في موكب يضم سبعين أهل بيت من دوس.. وفروة بن مسيك المرادي المذحجي.. وغيرهم». ولم يلبث أن توجه من منطقة جبل أجَا الطائية عَدِي بن حاتم الطائي بعد أن استشار أخته سَفَّانة بنت حاتم قائلاً: «ما ترين في أمر هذا الرجل؟ فقالت: أرى واللّه أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تَذِلَّ في عزّ اليَمَن، وأنت أنت»[1]. فانطَلَق إلى يثرب حيث كما جاء في الاستيعاب «قَدِم عَدِي بن حاتم على النبي ﷺ في شعبان سنة سبع للهجرة»[2]. فعرف عَدِي أنه نبيّ مُرسل، فآمن به وصدّق، وأخذ مكانه في صفوف الصحابة، كما وَفَد وأسلم رجال من بني ثعلبة الطائيين وغيرهم سنة ٨هـ وكان ذلك قبل فتح مكة في رمضان ٨هـ.

أما وفادة زيد الخيل مع وفد طيء فكانت سنة ٩هـ، ويمكن أن ترتبط بأمرين، أحدهما: ما جاء في عيون الأثر من أنه «في محرم ٩هـ بعث رسول اللّه ﷺ عَدِي بن حاتم الطائي مُصدِّقاً على طيء..»[3]. وثانيهما: مسير وقدوم وفود مناطق

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٤٨/ ٤.
(٢) الاستيعاب ـ ابن عبد البر ـ ص ١٤١/ ٢.
(٣) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٢٦١/ ٢.

وقبائل اليمن إلى يثرب ومنهم وفد قبائل مذحج برئاسة فروة بن مسيك وعمرو بن معدي كرب الزُّبيدي وقيس بن مكشوح، ووفد همدان، ووفد كندة، ووفد أقيال حِمْيَر. ففي تلك الأجواء اجتمع ممثلون لكل عشائر وبطون قبيلة طيء واتفقوا على تفويض أمر اعتناق الإسلام إلى وفد يتوجه إلى يثرب (فإن كان الرجل نبياً أسلموا) وتم تحديد أسماء خمسة عشر رجلاً من رؤساء ووجهاء طيء يُمثلون سائر عشائر وبطون قبيلة طيء واختيار زيد الخيل بن مُهَلْهِل رئيساً للوفد، حيث ـ كما ذكر ابن خلدون ـ «قَدِم على رسول اللّه ﷺ وفدُ طيء في خمسة عشر نفراً، يتقدمهم سَيّدهم زيد الخيل، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين ـ وهو النصراني ـ» وكان منهم أيضاً «. . زرّ بن سُدوس النبهاني، ومالك بن جُبير المعنّي، وقعين بن خليف الطريفي، وربتس بن عامر بن حصن بن حرشة بن حيّة، وجابر بن ظالم البحتري. .» ومنهم أيضاً الثُعَلي الطائي الذي قال فيما بعد « . . ومِنّا زيد الخَيْل بن مُهَلْهِل النبهاني. . رائدنا إلى رسول اللّه ﷺ، ومُجِيبه مِنْ غير تَلَعْثُم ولا تَلَبُّث. . . أَسْرَعَ إلى الإيمان، وآمن بالفرقان». فكان زيد الخيل هو رائد ورئيس وفد طيء الذي كان يضمُّ خمسة عشر رجلاً من رؤساء ووجهاء كل عشائر وبطون طيء، فلما وصلوا إلى يثرب ـ وكما ذكر أبو المنذر الكلبي ـ «أناخوا رِكَابَهم بباب المسجد (النبوي) ودخلوا ورسول اللّه ﷺ يخطب الناس. .» ـ وجاء في كتاب السيرة النبوية وعيون الأثر أنه: «قَدِم على رسول اللّه ﷺ وَفْدُ طَيء، فيهم زَيْدُ الخيل، وهو سَيِّدهم، فلما انْتَهَوا إليه كلّمهم وعَرَض عليهم الإسلام. .»[١]. وقد ذكر أبو المنذر «أن رسول اللّه ﷺ قال لهم: إنّي خيرٌ لكم مِنَ العُزّى ومِمّا حازت يفاع مِن كل ضارٍ غير مَنّاع، ومن الجبل الأسود الذي تعبدونه مِنْ دون اللّه عزّ وجلّ. فقام زيد الخيل ـ وكان من أجمل الرجال وأتمّهم ـ فقال: أشهدُ أن لا إله إلا اللّه وأنّك محمد رسول اللّه. فقال له رسول اللّه ﷺ: «ومَنْ أنتَ؟» قال: أنا زيد الخيل بن مُهَلْهِل، فقال رسول اللّه ﷺ: «الحمد للّه الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورَقّقَ قلبك للإسلام يا زيد، ما وُصِف لي رجلٌ قَطّ فرأيتُه إلا كان دون ما وُصِفَ به إلّا أنت فإنّك فوق ما قيل فيك»[٢]. وجاء في كتاب الإصابة «أن زيد الخيل كان جسيماً طويلاً موصوفاً بحسن الجسم وطول القامة. . وقال له رسول اللّه ﷺ: ما وُصِفَ لي أحدٌ في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيتُه دون الصفة غيرك»[٣]. ـ وذكر هشام بن الكلبي هذا الحديث بلفظ: «ما سمعتُ بفارس في الجاهلية. .» ـ وجاء في كتاب

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٤/٢٤ ـ وعيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٢/٣٠١.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ١/٥٧٢.

السيرة النبوية لابن هشام وعيون الأثر لابن سيد الناس ما يلي: «قَدِم على رسول اللّه ﷺ وَفْدُ طَيِّء، فيهم زَيْدُ الخَيْلِ، وهو سَيِّدهم، فلما انْتَهُوا إليه كلّمهم وعَرَضَ عليهم الاسلام فأسلموا، وحَسُن إسلامهم، وقال رسول اللّه ﷺ: «ما ذُكِر لي رَجُلٌ مِنْ العَرَبِ بِفَضْلٍ ثم جَاءنِي إلّا رأيْتُهُ دُونَ ما قِيلِ فيه إلّا زَيْدَ الخَيْلِ فإنَّهُ لَمْ يُبْلَغْ كلَّ ما فِيهِ». ثم سَمَّاه رسول اللّه ﷺ زَيْدَ الخير. .»[1] وليس في تلك الروايات تعارض، وقد يكون رسول اللّه ﷺ قال ذلك مرتين، إحداهما عند قدوم زيد الخيل، والمرة الثانية بعد ذلك لأنه أقام فترة في المدينة.

ولم يكن زيد الخيل رئيس وسَيِّد طيء وإنَّمَا كان رائد ورئيس وفد طيء الذي كان يضم خمسة عشر من رؤساء ووجهاء طيء، منهم الثُّعَلي الطائي الذي وصف زيد الخيل بأنه «رائدنا إلى رسول اللّه ﷺ ومُجيبه مِنْ غير تلعثم ولا تَلَبُّث، فأسْرَعَ إلى الإيمان، وآمن بالفرقان». حيث بادر بقوله: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنّك محمد رسول اللّه». ثم قام بعده رجال الوفد الرؤساء فنطقوا بالشهادتين وآمنوا إلّا (زرّ بن سُدوس النبهاني فلم يؤمن بأن محمداً رسول اللّه، فخرج) وقال لزيد الخيل وبقية الوفد الذين كلموه بعد خروجه بأن محمداً رسول اللّه فقال لهم زرّ بن سدوس: (إنّي لا أرى إلّا رجلاً لَيَمْلكنّ رقاب العرب، وواللّه لا يملك رقبتي أبداً. فلحق بالشام، فتَنَصّر». بينما مكث زيد الخيل والذين معه من رؤساء وفرسان طيء في المدينة وصحبوا رسول اللّه ﷺ نحو شهرٍ منذ قدومهم في أوائل سنة ٩هـ حيث انتهت بإسلامهم العقائد الدينية التي كانت قبيلة طيء تدين بها في الجاهلية والتي كان أهمها عبادة (الفُلْس) ولذلك (بعث رسول اللّه ﷺ علي بن أبي طالب وعبد اللّه بن عتيك الأنصاري في مائة وخمسين رجلٍ من الأنصار إلى الفُلْس صنم طيء ليهدموه - في ربيع الثاني سنة ٩هـ - فهدّمُوا الفُلْس وحَرّقوه. . ووجدوا في خزانة بيت الصنم الفُلْس ثلاثة أسياف هي: رسوب، والمِخذم - كان الحارث بن أبي شمّر الغساني قد نذرهما لذلك الصنم - وسيف ثالث يُقال له اليماني، وثلاثة أدرع». وقد ذكر ابن سيد الناس: إن رسول اللّه ﷺ استعمل - في تلك السَّرِيّة - على الغنائم عبد اللّه بن عتيك الأنصاري، فعزل ابن عتيك للنبي ﷺ رسوباً والمِخذم، ثم صار له بعدُ السيف الثالث، وعزل الخُمس من الغنيمة، وعادوا إلى المدينة[2]. وذكر ابن كثير أنه «جاء علي بن أبي طالب معه بسيفين كانا في بيت الصنم الفُلْس يُقال لأحدهما الرسوب والآخر المِخذم. .»[2]. وهما السيفان اللذان عزلهما ابن عتيك الأنصاري للنبي ﷺ

(١) السيرة النبوية - ابن هشام - ص ٢٤/ ٤ - وعيون الأثر - ابن سيد الناس - ص ٣٠١/ ٢.
(٢) عيون الأثر - ابن سيد الناس - ص ٢٦٦/ ٢ - والبداية والنهاية - ابن كثير - ص ٦٨/ ٥.

من المقتنيات والغنائم التي كانت في بيت الصنم الفُلْس، وقد كان منها أيضاً «ذهبية في أديم مقروظ». قال الحافظ ابن حجر: «وروى البخاري ومسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي أنعم عن أبي سعيد الخدري: أنّ علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهبية في أديم مقروظ لم تُحَصّل من تُرْبتِها، فَقَسّمَها رسول اللّه ﷺ بين أربعة، الأقرع بن حابس، وعييّنة بن بدر، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة»[١]. ويُستفاد من ذلك أن زيد الخيل كان بالمدينة عندما بعث النبي ﷺ علياً وابن عتيك في تلك السَّرِّيةِ الأنصارية التي هدمت بيت الصنم الفُلْس وعادت بما وجدته في خزانة بيت الفُلْس من المقتنيات والغنيمة وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ حيث قَسَّمَ رسول اللّه ﷺ تلك الذهبية بين أربعةٍ مِنْهُمْ زيد الخيل، بينما كان قدوم زيد الخيل مع وفد طيء إلى رسول اللّه ﷺ في شهر محرم سنة ٩هـ بقرينة أن مالك بن جبير المَعْني ـ رئيس عشيرة بني مَعْن الطائية كان من رجالات ذلك الوفد، وقد ذكر السُهيليّ في خبر (وفد طيء) أنه «كتب رسول اللّه ﷺ لكل واحد منهم كتاباً على قومه» ـ أي له وللعشيرة التي هو رئيسها من عشائر وبطون طيء، وقد أوردت المصادر نص الكتاب الذي كتبه رسول اللّه ﷺ إلى بني مَعْن عند عودة مالك بن جبير المَعْني إلى منطقته، وفيما يلي نصه: «بسم اللّه الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي رسول اللّه، لبني مَعْن الطائيين، إن لهم ما أسلموا عليه من بلادهم ومياههم، وغدوة الغنم من ورائها مبيتة، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا اللّه ورسوله وفارقوا المشركين وأشهدوا على إسلامهم وأمّنوا السبيل. وكتَبَ العلاء»[٢]. فالذي قام بكتابة ذلك الكتاب النبوي هو الصحابي العلاء بن الحضرمي وقد ولاه النبي ﷺ على البحرين وتوجه إليها في محرم سنة ٩هـ، فيكون زمن ذلك الكتاب الذي كتبه العلاء في شهر محرم ٩هـ قُبيل مسيره من المدينة أميراً على البحرين في أواخر محرم سنة ٩هـ، ويدل ذلك على أن رجالات وفد طيء الذين وفدوا مع زيد الخيل عادوا إلى مناطقهم في نفس شهر وفادتهم ـ وهو شهر محرم ٩هـ ـ وكان منهم أيضاً (قبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين، وأخوه عامر بن الأسود بن عامر بن جوين ـ رئيس عشيرة بني جوين ابن جُرم الطائية) وغيرهما من رجالات ذلك الوفد حيث عادوا إلى مناطقهم ما بين شهر محرم وشهر صفر، بينما مكث زيد الخيل في المدينة وكان ما يزال فيها في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ كما سلف التبيين.

وقد نال زيد الخيل تكريم رسول اللّه ﷺ وتدل الأحاديث على أنه كان يسمع

---

(١) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٥٧٢/١.

(٢) الوثائق السياسية للعهد النبوي ـ محمد حميد اللّه ـ ص ٢٩٨ ـ وطبقات الصحابة ـ ابن سعد ـ ٢٣/١.

أخبار زيد الخيل وأوصافه في الجاهلية وقال له لما وفد إليه «ما وُصِف لي أحد في الجاهلية فرأيتُه في الإسلام إلا كان دون ما وُصِف به إلا أنتَ فإنك فوق ما قيل فيك». وكذلك قال رسول اللّه ﷺ: «ما ذُكر لي رجل من العرب ـ أو فارس من العرب ـ ثم جاءني إلا رأيته دون ما يُقال فيه إلّا زيد الخيل فإنّه لم يُبْلَغْ كلّ ما فِيه». وقد جاء في السيرة النبوية والتراجم أنه «سَمّاهُ رسول اللّه ﷺ زيد الخير» ـ فيكون ذلك في الفترة التي مكث فيها بالمدينة ـ وجاء في كتاب الأغاني من طريق السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي أنه قال رسول اللّه ﷺ لزيد الخيل: «أنتَ زيد الخير، أما أنّي لم أُخبر عن رجل خبراً إلّا وجدتُه دون ما أُخْبِرتُ عنه غيرك، إنّ فيك خصلتين يحبُّهما اللّه عز وجل ورسوله. فقال: وما هُما يا رسول اللّه؟ قال: الأناة والحلم. فقال زيد الخيل: الحمد للّه الذي جَبَلَني على ما يُحبُّ اللّه ورسوله»(١).

وجاء في السيرة النبوية «أن رسول اللّه ﷺ سَمّاه زيد الخير، وقطع له فَيْداً وأَرْضِين معه وكتب له بذلك»(١) وفي الاستيعاب «أن رسول اللّه أقطع له أرضين في ناحيته» وقال ابن حجر: «أقْطَعَه رسول اللّه ﷺ فَيْداً وكتب له بذلك»(١) وكان ذلك عند انصراف زيد الخيل من المدينة عائداً إلى بني نبهان في شهر ربيع الثاني أو شهر جمادى سنة ٩هـ.

* * *

تبيين عدم وفاة زيد الخيل سنة ٩هـ وعودته إلى رسول اللّه ﷺ سنة ١٠هـ:

وقد شاع في الروايات أن زيد الخيل مات مُنصرفه من عند رسول اللّه ﷺ سنة ٩هـ، مما أدى إلى وجود اختلاف جوهري حيث قال الحافظ ابن عبد البر في نهاية ترجمته لزيد الخيل ما يلي: «. . قِيل: مات زيد الخيل منصرفه من عند النبي ﷺ محموماً، وقيل: بل مات في آخر خلافة عمر»(٢) فهناك اختلاف كبير بين القول بأنه مات منصرفه من عند رسول اللّه ﷺ محموماً ـ في سنة ٩هـ ـ وبين القول بأنه عاش إلى آخر خلافة عمر بن الخطاب ـ سنة ٢٢هـ.

وقد تَبَيَّنَ لنا أن ذلك الاختلاف يعود إلى الخلط بين شخصيتين هُما (زيد بن مُهَلْهل النبهاني) ـ الذي هو زيد الخيل ـ و «زيد بن سُدوس النبهاني». وقد ذكرهما معاً الثُعْلي الطائي لعمر بن الخطاب حيث قال الثُعْلي «ومِنّا زيد الخيل بن مُهَلْهِل

(١) الأغاني ـ ص ١٦/٤٧ ـ والسيرة النبوية لابن هشام ـ ص ٢٤٥/ ٤ـ والإصابة لابن حجر ـ ص ١/٥٧٢.
(٢) الاستيعاب ـ ابن عبد البر ـ ص ١/٥٦٣.

النبهاني سَيِّد الشيب والشُّبان وسُمّ الفرسان وآفة الأقران رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم على شحط المزار، ورائدنا إلى رسول اللّه ﷺ ومُجيبه مِن غير تلعثُم ولا تَلَبُّثٍ، أسرع إلى الإيمان وآمن بالفرقان. ومنّا زيد بن سُدوس النبهاني عصمةُ الجيران والغيثُ بكلِ أوان ومُضرم النيران ومُطعمُ الندمان وفخرُ كل يمانٍ»[١].

وكان زيد بن سُدوس رئيساً لبني نبهان الذين بمنطقة جبلي أَجَا وسَلمى، بينما كان زيد الخيل رئيساً في بني نبهان الذين من مناطقهم (فَيْد) وهي في الطريق بين اليمن ونجد وبين الحيرة. وقد جاء في السيرة النبوية والإصابة وعيون الأثر «إن رسول اللّه ﷺ أَقْطَعَ زيد الخيل فَيْداً وأَرَضِين معه وكتب له كتاباً بذلك» بينما جاء في رواية الأصفهاني عن موته سنة ٩هـ أنه «كتب رسول اللّه ﷺ مع زيد كتاباً منفرداً لبني نبهان. . وقال: أيّ رجل أنت يا زيد ولكن أمّ الكلبة تقتلك، يعني الحُمىٰ ـ أو قال(أي رجل هو إن سَلم من آطام المدينة) ـ فلم يلبث بعد انصرافه إلا قليلاً، حتى أخذته الحُمىٰ، فمكث سبعاً، فنزل بماءٍ لحيٍّ من طيء، واشتدت به الحمى، ومات». وكذلك قال ابن إسحاق: «خرج زيد من عند رسول اللّه ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال رسول اللّه ﷺ: إن ينجُ زيدٌ من حُمّى المدينة فإنّه سَمَّاها باسم غير الحُمىٰ. فلما انتهى من بلدِ نجدِ إلى ماءٍ من مياهه يُقال له فَرْدَة أصابته الحُمىٰ بها فمات». وجاء في رواية للأصفهاني أن زيداً «أخذته الحُمىٰ، فنزل بماءٍ لحيٍّ من طيء يُقال له فَرْدَة. واشتدت به الحُمىٰ، فمكث بالفردة سبعة أيام ثم مات. فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سبعة أيام، وبعث قبيصة راحلة زيد وَرَحْله وفيه كتاب رسول اللّه ﷺ لبني نبهان، فلما نظرت امرأته ـ وكانت على الشرك ـ إلى الراحلة ليس عليها زيد ضَرَبَتْهَا وأحرقتها بالنار، فاحترق كتاب رسول اللّه ﷺ الذي كتبه مع زيد لبني نبهان» [ص ١٦/٤٨] ـ ومما يتيح إدراك أن ذلك إنما هو زيد بن سُدوس النبهاني أن قبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين هو رئيس عشيرة بني جوين الجُرمية الطائية بمنطقة الجبلين التي فيها كانت ديار بني سُدوس وعشيرتهم النبهانية وقد مات زيد هناك فقام قبيصة بواجب الحزن والمناحة عليه سبعة أيام، وكان ذلك عند عودة رجالات وفد طيء إلى مناطقهم منذ ما بين محرم وصفر سنة ٩هـ. بينما لم يكن مع زيد الخيل بن مُهَلْهِل كتاباً لبني نبهان وإنما «أقطعه رسول اللّه ﷺ فَيْداً وأَرَضِين معه في ناحيته وكتب له كتاباً بذلك». وكان ما يزال بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ فيكون مسيره من عند رسول اللّه ﷺ راجعاً إلى قومه في حوالي شهر جمادي سنة ٩هـ، وكان الطريق إلى (فَيْد وجهاتها) عَبْرَ اليمامة. ويمكن القول أن زيد الخيل

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٨.

وصل إلى فَيْد وما جاورها من مناطق طيء بسلام في شهر جمادي أو مطلع شهر رجب سنة ٩هـ.

ومما يؤكد عدم وفاة زيد الخيل قيامه بعد ذلك بحملة ضد قبيلة تَغْلِب في جهة شرق اليمامة ونجد حيث جاء في كتاب الأغاني عن تلك الحملة ما يلي نصه: «كان لتَغْلِب رئيسٌ يُقالُ له الجرّار، أدرك رسول اللّٰه ﷺ وأبَىٰ الإسلام وامتنع منه، فبعث رسول اللّٰه ﷺ إليه زيد الخيل وأمره بقتاله، فقاتله زيد الخيل وقتله، وقال في ذلك:

صَبّحْتُ حيّ بني الجَرَّارِ داهيةً ... ما إنْ لتَغْلِب بعد اليوم جَرَّارُ
نَحْوي النهاب، ونَحْوِي كلّ جاريةٍ ... كأنّ نقبتها في الخدِّ دينارُ»[(١)]

وكان النبي ﷺ قد حَدّدَ للمشركين الذين أبوا دين الإسلام مهلة أربعة أشهر منذ يوم الحج سنة ٩ هجرية، فتكون حملة زيد الخيل تلك على جرار التغلبي وقومه بعد انتهاء تلك المهلة في حوالي شهر ربيع الثاني سنة عشر للهجرة حيث بعث رسول اللّٰه ﷺ إلى زيد الخيل مبعوثاً وأمره بقتال جرار التغلبي والذين معه فانطلق زيد الخيل من منطقة فَيْد بكتيبة من فرسان طيء فَقَاتلَ وهزم وقَتَلَ جراراً، وعاد بالغنائم والظفر من تلك الحملة إلى (فَيْد) التي أقطعه رسول اللّٰه ﷺ إياها وصارت مركزاً له.

بل إن زيد الخيل وَفَدَ مرة ثانية إلى رسول اللّٰه ﷺ بالمدينة المنورة في حوالي شهر شعبان سنة ١٠هـ، ولكن الروايات دمجت ذلك بوفادته الأولى، وتتيح المقارنة بين النصوص والأحاديث التمييز بين الوفادتين، ففي الوفادة الأولى كان قدوم زيد الخيل في خمسة عشر من رؤساء ووجهاء قبيلة طيء وكان وصولهم إلى المسجد النبوي بالمدينة وجرى بينهم وبين رسول اللّٰه ﷺ الحديث سالف الذكر وآمنوا باللّٰه ورسوله، بينما في الوفادة الثانية ـ سنة ١٠هـ ـ كان مع زيد الخيل أولاده، وصحبوا رسول اللّٰه ﷺ، وفي ذلك قال ابن عبد البر في ترجمة زيد الخيل ما يلي: «..يكنى أبا مِكْنَف، وكان له إبنان مكنف وحريث، أسلما وصحبا النبي ﷺ»[(٢)]. وجاء في كتاب الجامع أن: «عُرْوَة بن زيد الخيل بن مُهَلْهِل الطائي قائدٌ شاعر، عاش مدة في الجاهلية، وشَهِد مع أبيه بعض حروبها، وأسلم واجْتَمَع بالنبي ﷺ»[(٣)].

ولم يكن النبي ﷺ في المسجد النبوي عند الوفادة الثانية لزيد الخيل وإنما كان في مجلس مع جماعة من الصحابة وكانوا غير متكئين، فنال زيد الخيل تكريماً

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر القرطبي ـ ص ١/٥٦٣.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ص.

وتمييزاً يدل على علو مكانته، فقد ذكر الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني قال: «لما وَفَد زيد الخيل على رسول اللّه ﷺ فدخل إليه، طرح له متكأً، فأعظم أن يتكىء بين يدي رسول اللّه ﷺ. فَرَدّ المتكأ، فأعاده عليه ثلاثاً، وعَلَّمَهُ دعوات كان يدعو بها فيعرفُ الإجابة، ويَسْتَسْقِي فَيُسْقَىٰ»[١].

وجاء في ترجمته بكتاب الإصابة ما يلي: «روى ابن شاهين من طريق بشير عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد اللّه قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقْبَلَ زيدُ الخَيْل فقال: يا رسول اللّه إنّي أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن خصلتين، قال: سَلْ، قال: أسألُكَ عن علامة اللّه فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد. الحديث»[٢].

وجاء في كتاب الأغاني عن أبي عمرو الشيباني أنه «قال زيد الخيل: يا رسول اللّه أعطني ثلاثمائة فارس أُغِيرُ بهم على قصور الروم»[١] فهذه العبارة تتناسب مع الاحتكاك الذي حصل مع الروم بالشام في السنة العاشرة للهجرة.

وقد جرىٰ حديثٌ بين زيد الخيل وعمر بن الخطاب بوجود عَدِي بن حاتم الطائي وقد ذكر الإمام الواقدي «أن عَدِي بن حاتم وَفَد إلى رسول اللّه ﷺ في شعبان سنة عشر للهجرة» فيكون ذلك هو زمن الحديث الذي جرى بين عُمَرْ وزَيْد الخيل في مجلس رسول اللّه ﷺ وقد ذكره الأصفهاني قال: «أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني السكن بن سعيد عن محمد بن عَبّاد عن ابن الكلبي قال: دخل زيد الخيل على رسول اللّه ﷺ وعنده عمر بن الخطاب، فقال عُمرُ لزيد الخيل: أخبرنا يا أبا مِكْنَف عن طيء وملوكها وعدّتها وأصحاب مرابعها، فقال: في كلٍ يا عمر نجدة وبأس وسيادة ولكل رجلٍ مِنْ حَيِّهِ مرباع، أما بنو حيّة[٣] فملوكنا وملوكُ غيرنا، وهُم القداميسُ القادة والحُماةُ الذّادة والأنجاد السادة أعظَمنا خميساً، وأجملنا مجالس وأنجدنا فوارس[٣].

فقال عمر: ما تركتَ لِمَنْ بَقَىٰ مِنْ طيء شيئاً.

فقال زيد الخيل: بَلَىٰ واللّه، أما بنو ثُعل، وبنو نبهان، وبنو جَرْم[٤] ففوارس الغَدْوَهْ، وطَلَاعو نَجوَهْ، لا تُحَلُّ لهم حَبْوَهْ، ولا تُراعُ لهم نَدْوه. ولا تُدْرَكُ لهم نَبْوَهْ، عمودُ البلاد، وحيّة كل وادٍ، وأهل السهل الحداد والخيل الجِياد والطارف والتلاد[٤].

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٤٨/١٦.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ١/٥٧٢.

(٣) بنو حيّة: هم بنو حيّة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سعد بن هانىء بن عمرو بن الغوث بن طيىء، منهم إياس بن قَبِيْصَة ملك إقليم الحيرة والعرب بالعراق تسع سنين وفي الثامنة منها كانت البعثة النبوية.

(٤) بنو ثُعل: عشيرة حاتم الثائي. وبنو نبهان: منهم خالد بن سُدوس الذي مدحه امرؤ القيس، =

وأما بنو جَدِيلة فأسْهَلَنا قِراراً، وأعظمنا أخطاراً، وأطلبنا للأوتار وأحَمَانا للذِمار وأطعمنا للجار[(١)].

فقال له عمر بن الخطاب: سَمّ لنا الملوك.

فقال زيد الخيل: نعم، منهم عُفَير المُجِير على الملوك، وعمرو المفاخر، ويزيد شارب الدماء، والغمر ذو الجود ومُجير الجراد، وسراج كل ظلام ولاَمَه ملْحِم بن حنظلة ـ هؤلاء كلهم من بني حيَّة ـ وحاتم بن عبد اللّه الثُعَلي الجواد بلا مُجَار والسَمْح بلا مُبَارِ والليثُ الضرغامة قَرّاعُ كلّ هامَهٍ، جُودَهُ في الناس علامة لا يقرّ على ظُلامه.

فاعتَرَض رَجُلٌ مِنْ بني ثُعَل لمَّا مَدَح زيدُ حاتماً فقال: ومِنّا زيد بن مُهَلْهِل النبهاني، سَيِّدُ الشِيبِ والشبان وسُمّ الفرسان وآفة الأقران والمَهِيبُ بكل مكان، أسْرَع إلى الإيمان وآمن بالفرقان، رئيسُ قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم على شحط المزار وطموس الآثار، وفي الإسلام رائدنا إلى رسول اللّه ﷺ ومُجِيبَه مِنْ غير تَلَعْثُم ولا تَلَبُّثُ. ومِنّا زيد بن سدوس النبهاني عصمة الجيران والغيث بكل أوان مُضْرِم النيران ومُطعِم الندمان وفخر كل يَمَان..

فقال عمر بن الخطاب لزيد الخيل: للّه دَرّكَ يا أبا مِكْنَف فَلَوْ لَمْ يكنْ لطيء غيرك وغير عَدِي بن حاتم لَقَهَرْتُ بكم العرب»[(٢)].

ومكث زيد الخيل وعَدِي بن حاتم فترة في رحاب رسول اللّه ﷺ بالمدينة المنورة، ثم عاد عَدِي بن حاتم إلى عمله كعاملٍ لرسول اللّه ﷺ على صدقات طيء تُؤدّىٰ إليه الصدقات وهي الزكاة، وكان مقره في جَبَلي أجَا وسَلمى. بينما عاد زيد الخيل إلى منطقة فَيْد التي أَقْطَعه رسول اللّه ﷺ إياها ومعه أولاده مِكْنَف وحُريث، وعُرْوَة ـ الذي قد يكون هو مِكْنَف ـ وكانت عودته في ما بين رمضان وذي القعدة، وربما شهد حجة الوداع مع رسول اللّه ﷺ ـ في ١٠ ذي الحجة سنة ١٠هـ ـ ثم

= وزيد بن سُدوس فخر كل يماني، وزيد الخيل بن مُهلهل. أما بنو جَرم بن عمرو بن الغوث بن طيىء فمنهم عامر وقَبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الوافد إلى رسول اللّه ﷺ.

(١) بنو جَدِيلة بن سعد بن فطرة بن طيىء، وكانت رئاستهم في بني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيىء، منهم أوس بن حارثة، والصحابي عروة بن مَضَرّس بن أوس بن حارثة بن لأم.

(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٨.

توَجَّه إلى منطقة (فَيْد) التي تقع في شرق الجزيرة ـ بين اليمامة والحيرة ـ، ويروى أنه لما وصل إلى موضع ماءٍ لطيء يُقال له فَرْدة، أصابته حُمّىٰ فَمَرَض بها «فقال زيد الخيل:

أَمُرْتَحِلُ قَوْمِي المشَارِقَ غُدْوَةً وأُتْرَكُ في بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادَنِي عَوائِدُ مَنْ لَمْ يَبْرَ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ»[١]

ولكنه لم يمت في ذلك المرض وإنما وقع الالتباس بينه وبين زيد بن سُدوس الذي مات من الحُمىٰ، فيمكن أن يكون زيد الخيل مرض بالحُمّى في نفس المكان ـ في أواخر سنة ١٠هـ ـ ولكنه تعافى وعاد إلى منطقة (فَيْد). قال الحافظ ابن حجر: «وقد أَنْشَدَ له وثيمةُ شعراً في الردة وهذا إنْ ثَبَتَ يَدُلُّ على أنه تأخرت وفاته حتى مات النبي ﷺ»[٢]. وبالفعل فقد توفي رسول اللّه ﷺ في ربيع الثاني سنة ١١هـ وبويع أبا بكر الصديق بالخلافة وزيد الخيل في منطقة (فَيْد) الطائية وعَدِي بن حاتم في منطقة جَبَلَي أجَا وسَلمىٰ الطائية. وقد سلف نص كتاب الاستيعاب عن فريق من العلماء قالوا: «بل مات زيد الخيل في آخر خلافة عمر» وهو الصواب.

* * *

أنباء زيد الخيل وعُرْوَة بن زيد الخيل بعد وفاة رسول اللّه ﷺ:

وقد حفظ التاريخ لقبيلة طيء أنها تمسَّكت بالإسلام في الوقت الذي ارتدت فيه بعض القبائل والزعامات في إقليم نجد واليمامة بعد وفاة رسول اللّه ﷺ ومبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة، حيث أدى ذلك إلى ظهور مخاوف من الإنهيار، فقال زيد الخيل شعراً ذَكَرَ وثَيْمةُ في كتاب الردّة أنه بعث به إلى أبي بكر، وقد قال زيد الخيل ذلك الشعر لامرأته (أُمامة) أو (سلامة) ـ أم عُرْوَة ـ لما أظهرت له مخاوفها بعد وفاة رسول اللّه ﷺ وارتداد بعض القبائل «فقال زيدُ الخيل:

(أُمامة) ما تَخْشَيْنَ بنت أبي نَصْرِ فَقَدْ قام بالأمرِ الجَلِيِّ أبو بَكْرِ
نَجِيُّ رسول اللّهِ في الغارِ وَحْدَه وصاحبه الصِّدِّيق في مُعْظَم الأمرِ»[٢]

وقد بعث زيد الخيل ذلك الشعر إلى أبي بكر مع ابنه عُرْوَة بن زيد الخيل الذي انطلق مع كوكبة من رجالات طيء إلى أبي بكر الصديق بالمدينة لتأكيد ثباتهم على الإيمان ومبايعتهم إياه والتزامهم بأداء الصدقات ـ أي الزكاة ـ حيث حمل عَدِي بن حاتم الطائي صدقة طيء إلى أبي بكر الصديق وكانت هي أول مورد مالي لدولة

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٤٥/٤.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ١/٥٧٢.

الخلافة، قال الحافظ ابن عبد البر: «قَدِمَ عَدِي بن حاتم على أبي بكر بصدقات قومه في حين الردة» وقال ابن حَجَر: «ثَبَتَ عَدِي بن حاتم على إسلامه وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر». وجاء في الاستيعاب والإصابة أنه، قال عمر بن الخطاب: «أول صدقة بَيّضتْ وجه أصحاب رسول اللّه ﷺ صدقة طيء. أخرجه أحمد وابن سعد وغيرهما»[١]. وكان موقف قبيلة طيء امتداداً لمواقف القبائل اليمنية التي أكّدت ثَبَاتَها على الإيمان وبعثت وفوداً إلى أبي بكر الصديق ومنها وفد قبائل همدان بن زيد (حاشد وبكيل) وكان فيهم مَرّان بن عمير الحاشدي الهمداني القائل لأبي بكر الصديق:

. . قُلْ لهذا الإمام عَضُدُك في الحرب عَلَى الناس حاشدُ وبكيلُ
إن تَكُنْ جولةٌ فنحنُ لك اليوم ملاذاً إلى ذُراهُ تؤولُ
إنَّما اليوم مثل أمسٍ، وهَمْدَانُ مع الحق أينَ مَالَ تميلُ

وكذلك وفد أقيال حِمْيَر وكان منهم عقيل بن مالك. قال ابن حَجَر: «كان عقيل بن مالك الحميري من أبناء الملوك. . وكان صاحبُ لسان وبيان، وقال في الردة شعراً منه:

وقال رجالٌ: قَدْ عَدَا القومُ قدْرهم عقيلُ، لو أنصفتُ لم أعدُكم قَدْري
فلا تأمنوا الصديق، واللّه غالبٌ على أمره، إن العتيق أبو بكرِ

ثم لحق بخالد بن الوليد وشهد حروبه»[٢].

قال الحافظ ابن كثير: «وكان أبو بكر الصديق قد بعث عَدِي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرِك قومك لا يلحقوا بطليحة» فذهب عَدِي بن حاتم إلى قومه من بني الغوث بن طيء فلم يزل يفتل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا، وجاء خالد بالجنود «فلما كان بعد ثلاث جاءه عَدِي في خمسمائة مقاتل من بني الغوث فانصافوا إلى جيش خالد» ثم سار عَدِي بن حاتم إلى بني جَدِيلة «فلم يزل بهم حتى تابعوه، فلحق بالمسلمين ـ من بني جَدِيلة ـ ألف راكب»[٣]. وكذلك انضاف زيد الخيل وأولاده مع فرسان بني نبهان وبني لام إلى جيش المؤمنين بقيادة خالد بن الوليد في محاربة المرتدين باليمامة ونجد، حيث جاء في كتاب الوثائق السياسية ما يلي:

---

(١) الاستيعاب ـ ابن عبد البر ـ ترجمة عدي بن حاتم ـ ص ٤٦٨/ ٤ـ والإصابة ـ ابن حجر ـ ص ١٤٢/ ٣.
(٢) الإصابة ـ ابن حجر ـ ترجمة عقيل بن مالك ـ ص ١٠٩/ ٣.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٣١٧/ ٢.

«إن الإمام الواقدي ذكر زَيْدَ الخَيْل يُقَاتِل المرتدين في عسكر أبي بكر الصديق».

وقال ابن سيد الناس في عيون الأثر:

«وكان لزيد الخيل إبنان: مِكْنَف ـ وبه يُكْنَىٰ ـ وحُرَيث، أسلما وصحبا النبي ﷺ وشهدا قتال أهل الردّة مع خالد بن الوليد»[1] وكذلك عُرْوَة بن زيد الخيل الذي يبدو أن نَعْتَه كان (مِكْنَف) ومُهَلْهِل الذي يبدو أنه (حريث). وقد انتهى جهاد المرتدين في أواخر سنة ١١هـ وترسخت دعائم الإسلام في ربوع الجزيرة العربية.

❊ ❊ ❊

وقد عاش زيد الخيل إلى آخر خلافة عمر بن الخطاب ـ أي إلى سنة ٢٢هـ ـ ولكنه كان قد بلغ من الكِبر عتياً وجاوز السبعين من عمره في خلافة عمر (١٣ ـ ٢٢هـ) فمكث في منطقة فَيْد الطائية، حيث ـ كما ذكر الأصفهاني ـ «كان رسول اللّه ﷺ قد عَلَّمَ زيد الخيل دعوات كان يدعو بها فيعرفُ الإجابة، ويَسْتَسْقي فَيُسقىٰ» [ص ٤٩/ ١٦].

وقد انتقلت مرتبة زيد الخيل القيادية إلى ابنه عُرْوَة بن زيد الخيل ـ منذ سنة ١٢هـ ـ فكان عروة من قادة فتوحات العراق وفارس والشام في خلافة عمر، وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته بالإصابة ما يلي: «عُرْوَة بن زيد الخيل. . تَقَدَّم ذكر أبيه وهو صحابي مشهور، وقد شهد مع أبيه بعض الحروب في الجاهلية. . وأنشد المرزباني في شهوده القادسية في خلافة عمر شعراً قال فيه:

بَـرَزْتُ لأهـل الـقـادسـيـة مُـعْـلِـمـاً وَمَا كلُّ مَنْ يَغْشَىٰ الكريهةِ يُعْلِمُ»[2]

وجاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عُرْوة بن زيد الخيل ابن المُهَلْهِل الطائي: قائدٌ شاعر، مِنْ رجال الفتوح في صدر الإسلام. . وهو أحد القادة اليمنيين الذين فتحوا بيت المقدس، وافتتح بلاد الديلم عنوةً في أيام عمر بن الخطاب ولمَّا أخبرَ عُمراً بهذا النصر سَمّاه البشير»[3].

وكان عروة بن زيد الخيل قد انطلق سنة ١٢هـ مع المئات من فرسان طيء وكذلك عَدِي بن حاتم الطائي مع المئات من الفرسان في الجيش العربي الإسلامي الأول الذي فتح إقليم الحيرة بالعراق. ثم توجّه خالد بن الوليد بفرقة من ذلك الجيش إلى الشام، بينما رابطت فرقة من الجيش بإقليم الحيرة ومنهم كان عروة بن زيد الخيل والذين معه من طيء والمثنى بن حارثة والذين معه من ربيعة. ثم بعث

---

(١) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس الأندلسي ـ ص ٢/٣٠٢.

(٢) الإصابة ـ ابن حجر ـ ترجمة عروة بن زيد الخيل ـ ص ٢/٤٧٦.

(٣) الجامع ـ محمد بامطرف ـ ترجمة عروة بن زيد الخيل ـ ص ٣٧٢.

الخليفة عمر بن الخطاب أبا عبيد بن عمرو الثقفي قائداً عاماً ومعه سُليط بن عمرو الأنصاري ـ في رجب ١٣هـ ـ فَوَجَّهَ أبو عبيد بن عمرو القائد عروة بن زيد الخيل لفتح منطقة الزوابي التي كان يحكمها دهقان فارسي، فخاف الدهقان قتال عروة وفرسانه وأذعن للمصالحة على أداء الجزية مثل ما صولح عليه دهقان وأهل باروسما. وعن ذلك قال البلاذري: «وجَّه أبو عبيد بن عمرو المثنى بن حارثة إلى زندورد فظفر وسَبَىٰ، وَوَجَّه عُروة بن زيد الخيل إلى الزوابي فَصَالَحَ دهقانها على مثل صلح باروسما»[١].

ثم بعثت الامبراطورية الفارسية جيشاً قوياً إلى إقليم الحيرة، فتمركزوا وراء جسر بانقيا ـ في الحيرة ـ وكان الجيش العربي الإسلامي زهاء سبعة آلاف، فأشار سُليط الأنصاري على أبي عبيد بن عمرو بالانحياز إلى بعض النواحي والكتابة إلى عمر بن الخطاب لإمدادهم، فأبَىٰ أبو عبيد إلا عبور الجسر وقتال الفُرس حيث ـ كما ذكر البلاذري ـ «عَبَر أبو عبيد بالمسلمين من المروحة على الجسر، فَلَقوا الفُرس، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكثرت الجراحات وفَشَتْ في المسلمين، فقال سليط الأنصاري: يا أبا عُبَيْد قد كنت نهيتُك عن قطع هذا الجسر إليهم وأشرتُ عليك بالانحياز إلى بعض النواحي والكتابة إلى أمير المؤمنين بالاستمداد فأبَيْتَ ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه، وقَاتَلَ سُليط حتى استشهد. . وحَمَل المشركون فقتلوا أبا عبيد الثقفي. . وقَاتَلَ عُرْوة بن زيد الخيل يومئذٍ قتالاً شديداً عَدَلَ بقتالِ جَماعة، وقَاتَلَ أبو زبيد الطائي الشاعر حميّة للمسلمين (العرب) وكان أتَىٰ الحيرةَ في بعض أموره وكان نصرانياً. . وانصرف (أي انسحب) المثنى بن حارثة بالمسلمين وبعضهم على حامية بعض، وأتى (منطقة) أليس فنزلها وكتب بالخبر إلى عمر بن الخطاب مع عروة بن زيد الخيل»[١]. قال الطبري: «وكانت موقعة الجسر في شعبان سنة ١٣هـ». فانطلق عروة بن زيد الخيل بكتيبة من الفرسان ومعه عبد اللّٰه بن زيد الأنصاري من منطقة أليس بإقليم الحيرة إلى أمير المؤمنين عمر بالمدينة المنورة، فأخبره عُرْوة وعبد اللّٰه بن زيد بما حدث في موقعة الجسر.

قال الطبري « . . لمّا انتهت إلى عُمر مصيبة أهل الجسر، قَدِم عليه جرير بن عبد اللّٰه البجلي من اليمن في (قبيلة) بَجِيلة، وعرفجة بن هرثمة البارقي (الأزدي) فكلمهم عمر فقال: إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة في إخوانكم بالعراق فسيروا إليهم. . »[٢] وقال البلاذري «نَدَبَ عمرُ الناسَ إلى العراق فجعلوا يتحامونه ويتثاقلون

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣١٣.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٦٨/ ٤.

عنه. . وقَدِم عليه خلقٌ من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق ورَغَّبَهم فيه، فردّوا الاختيار إليه، وقَدِم عليه جرير بن عبد اللّه في بَجِيلة فقال له عمر: هل لك في العراق وأنفلكم الثلث بعد الخُمس؟ قال: نعم»(١) . فانطلق جرير بفرسان ورجال قبيلة بَجِيلة اليمانية، ومعه غالب بن عبد اللّه الكلبي في فرسان كلب القضاعية اليمانية وعرفجة بن هرثمة البارقي في فرسان أزد سَرَاة اليمن، قال البلاذري: «وسَلَك جريرُ الطريق على فَيْد وثعلبة إلى العذيب»(١) ومنطقة فَيْد هي مركز زيد الخيل، مما يشير إلى أن عروة بن زيد الخيل كان قد سبق إلى منطقة فَيْد، فاستنفر وجمع هو - وأبوه - قوة من قبيلة طيء، ولذلك مَرّ جرير بن عبد اللّه بجيشه من منطقة فَيْد وانضاف إليه عروة بن زيد الخيل في قوة من فرسان وكتائب طيء، ومضى جرير بالجيش من فَيْد وثعلبة إلى العذيب في إقليم الحيرة بالعراق ومعه من القادة الصحابة غالب الكلبي وعرفجة البارقي وعروة بن زيد الخيل وشُرَحْبيل بن السِّمط الكندي وبشير بن سعد الأنصاري، فدخل ذلك الجيش بقيادة جرير البجلي ناحية المذار بإقليم الحيرة بالعراق - في رمضان ١٣هـ - وكان بالمذار جيش فارسي بقيادة المرزبان. قال المسعودي: «صَاعَدَ جَريرُ إلى ناحية المذار، ونَمَىٰ قدومه إلى المرزبان وكان في عشرة آلاف من الفُرس، فقالت بَجِيلةُ لجرير: أُعبُرْ إليهم، فقال: ليس ذلك بالرأي ولكن أَمْهِلوا القوم حتى يعبروا إليكم فإن فعلوا فهو الظفر إن شاء اللّه تعالى. فأقامت الفرس أياماً ثم أخذوا في العبور فلما عَبَر منهم النصف أو نحوه حَمَل عليهم جرير فيمن معه، فثبتوا ساعة، فَقُتِل المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم، وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم. ثم سار جرير - من المذار - فاجتمع معه المثنى بن حارثة في النخيلة، فأَقْبَلَ إليهم مهران في جيوشه» . .(٢) .

وفي أواخر رمضان اندلعت موقعة النخيلة بين جيش الإمبراطورية الفارسية بقيادة مهران بن باذان والجيش العربي الإسلامي بقيادة جرير بن عبد اللّه البجلي ومعه عروة بن زيد الخيل والمثنى بن حارثة وغيرهما من القادة، وانضمَّ إليهم جماعات من عرب الحيرة النصارى، حيث ذكر الطبري أنه: «أتى فتية من نصارى بني تغلب العرب بالعراق فقالوا: نُقَاتِلُ العجم مع العرب وانضمُّوا إلى المسلمين» - وقُبيل المعركة - «عَزَم جرير على المسلمين في الفطر، فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم، وعبأ الجيش وقال: إنّي مُكبِّرٌ ثلاث تكبيرات فتهيأوا فإذا كَبّرتُ الرابعة فاحْمِلوا، فلما كَبّرَ أول تكبيرة عاجلتهم الفرس - بالهجوم - فحملوا حتى غالقوهم، فتقاتلوا قتالاً

(١) فتوح البلدان - البلاذري - ص ٣١٣.
(٢) مروج الذهب - المسعودي - ص ٣١٩/٢.

شديداً . . » ـ فبارز عُروة بن زيد الخيل وقَتَل يومئذٍ تسعة من فُرسان الفُرس، وكذلك فعل غالب بن عبد اللّه الكلبي، وعرفجة بن هرثمة البارقي، قال الطبري:

«وأُحصيَ مائة رجل قَتَلَ كل منهم عشرة من الفُرس، وكان عُروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة، وغالب في بني كنانة الكلبيين من أصحاب التسعة، وعرفجة في الأزد من أصحاب التسعة. . »[١]. قال البلاذري: «. . وأبْلَىٰ شُرحبيل بن السِّمط الكندي يومئذٍ بلاءً حَسَناً. . »[٢]. قال الطبري: «وجَعَلَ جريرُ جماعة من الأبطال يحمون ظهره، وحَمَلَ على مهران فأزاله من موضعه. . وحَمَل المسلمون حَمْلَة رجل واحد مُحققين صابرين حتى قَتَل اللّه مهران وهَزَمَ الكفرة، فأتْبَعهم المسلمون يقتلونهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ومِنْ أبعد من الليل»[١] وقال البلاذري: «حَمَلَ المسلمون حملة رجل واحد مُحَققين صابرين فقتل اللّه مهران وهزم الكفرة. . وكان الذي قَتَلَ مهران جرير بن عبد اللّه البجلي والمنذر بن حسان. . »[٢] وقال الحافظ ابن كثير: «واقَعَ جريرُ بن عبد اللّه الفُرْسَ وقَتَل قائدهم وهزمهم عند النخيلة. وقد قُتِل من الفُرس يومئذٍ وغرق قريبٌ من مائة ألف، وكانت هذه الوقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام وذَلّتْ لها رقابُ فارس. . وبعث جرير بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي اللّه عنه»[٣].

ثم كان عروة بن زيد الخيل من القادة الأبطال في الموقعة الكبرى مع الفُرس بالقادسية ـ في محرم سنة ١٥هـ ـ وكان الفُرس قد حشدوا جيشاً كبيراً، وبعث عمر بن الخطاب الإمدادات من الجيش العربي بالشام ومن القادة والقبائل الذين استنفرهم من اليمن وبقية الجزيرة، وولّى سعد بن أبي وقاص القيادة العامة، وكان جرير بن عبد اللّه قائد ميمنة الجيش بالقادسية وقيس بن مكشوح المرادي قائد الميسرة، وكان لجرير وقيس بن مكشوح وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي والأشعث بن قيس الكندي وعروة بن زيد الخيل دوراً حاسماً في الانتصار العظيم بالقادسية. قال الأصفهاني: «وكان عروة بن زيد الخيل فارساً شاعراً، فشَهد القادسية فَحَسَن فيها بلاؤه، وقال في ذلك يذكر حسن بلائه ـ بالقادسية وبموقعة النخيلة:

بَـرَزْتُ لأهـلِ الـقَـادِسِـيَّـةِ مُـعْـلِـمـاً ... ومَا كلّ مَنْ يَغْشَىٰ الكريهةِ يُعْلِمُ
ويـومـاً بـأكـنـاف الـنـخـيـلـةِ قَـبْـلَـهَـا ... شَـهَـدْتُ فَـلَـمْ أبْـرَحْ أُدْمِي وأُكْـلِـمُ
وأقْعَصْتُ منهم فارساً بعد فارسٍ ... وما كُلّ مَنْ يَلْقَىٰ الفوارسَ يَسْلَمُ

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٧٨/ ٤.
(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣١٥.
(٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ص ٢٩/ ٧.

ونَـجَـانـي الـلَّـهُ الأجـلُ، وجـيـرتـي، وسيفُ لأطراف المرازِب مِخْذَمُ»(١)

* * *

وخلال تلك الفترة كان حُريث بن زيد الخيل مقيماً مع أبيه بمنطقة فَيْد وغيرها من ديار بني نبهان بالبادية الشرقية. وقد سلف ذكر نص كتابي الاستيعاب وعيون الأثر بأنه «كان لزيد الخيل ابنان، مِكْنَف وحُريث، أسلما وصحبا النبي ﷺ، وشهدا قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد» ـ وقد سلف تبيين أن (مكنَفْ) قد يكون نَعْتَ (عُرْوَة) وأن حُرَيثاً كان نَعْتَهُ (مُهَلْهِل) وكان مقيماً بديار بني نبهان مع أبيه ـ قال الأصفهاني «قال أبو عمرو الشيباني: وكان حُريث بن زيد الخيل شاعراً، فبعث عمر بن الخطاب رجلاً مِنْ قريش يُقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية فمن لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقبه، فأقْبَلَ ـ أبو سفيان ـ حتى نزل بمحلة بني نبهان فاستقرأ ابن عم لزيد الخيل يُقال له أوس بن خالد بن زيد بن منهب فلم يقرأ شيئاً فضربه فمات، فأقامت بنته أم أوس تندبه. وأقْبَلَ حريث بن زيد الخيل فأخبرته، فأخذ الرمح فشدّ على أبي سفيان فطعنه فقتله وقَتَل ناساً من أصحابه ـ (أو أصابهم بجراح). . وقال في ذلك:

ألَا بَـكَـرَ الـنـاعـي بـأوسِ بـن خَـالـدِ أخي الشتوةِ الغبراءِ والزمنِ المَحْلِ
فـلا تَـجْـزَعـي يـا أم أوسٍ فـإنّـه يُلَاقِي المنايا كل حافٍ وذي نَعْلِ
فإن يَـقْـتُـلـوا أوسـاً عـزيـزاً فـإنـنـي تـركـتُ أبـا سـفـيـان مُـلْـتـزِم الـرَحْـلِ
ولولا الأسَىٰ ما عشتُ في الناس بعده ولـكـن إذا مـا شـئـتُ جـاوبـنـي مثلي
أصـبـنَـا بـه مـن خِـيـرة الـقـوم سـبـعـة كـرامـاً ولـم نـأكـل بـه حـشـف الـنَـخْـلِ

ثم هرب إلى الشام» [ص ٥٦/ ٢٦].

* * *

آنذاك كان عُرْوة بن زيد الخيل من قادة الجيش العربي الإسلامي في فتح القادسية والعراق، ثم أمر الخليفة عمر بن الخطاب بأن يتوجه عدد من القادة الصحابة بكتائبهم ورجال قبائلهم ـ الذين في ذلك الجيش ـ مدداً لأبي عبيدة بن الجراح والجيش العربي الإسلامي بالشام الذي كان يخوض معارك كبيرة مع الروم، فانطلق عددٌ من القادة بفرسانهم إلى الشام وكان منهم كوكبة من القادة اليمنيين أبرزهم قيس بن مكشوح المرادي وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي وعُرْوَة بن زيد الخيل الطائي وعياض بن غَنْمْ الأشعري فشهدوا معارك دحر الروم بشمال فلسطين وإقليم حمص. وكان عُرْوة بن زيد الخيل من كبار الأمراء القادة في فتح منطقة القدس ونواحيها بفلسطين وقد جاء في ترجمته بكتاب الجامع ما يلي: «عروة بن زيد

(١) المرازب: هم المرازبة القادة الفُرس.

الخيل.. مِنْ رجال الفتوح.. وهو أحد القادة اليمنيين الذين فتحوا بيت المقدس» [ص ٣٧٢].

وجاء عن ذلك في كتاب فتوح الشام: إن أبا عبيدة بن الجراح أمير جيوش المسلمين بالشام اجتمع مع كبار القادة والصحابة للتشاور «فاتفق رأي أمراء المسلمين على المسير إما إلى قيسارية وإما إلى بيت المقدس، فقال أبو عبيدة: فما الذي ترون مِنهما.. فقال معاذ بن جبل الأنصاري: أكتُبْ إلى أمير المؤمنين عمر فحيثُ ما أمرك فَسِرْ واستعن باللّه، فقال: أصبت الرأي يا معاذ، فكتب إلى عمر، وبعث الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي ـ المذحجي ـ فسار عرفجة إلى عمر ثم عاد بجواب عمر بالمسير إلى بيت المقدس، فقرأ أبو عبيدة كتاب عمر على المسلمين..»[١] ـ فاجتمع زهاء أربعين ألفاً من قوات الفتح العربي الإسلامي للشام بمنطقة الجابيه ـ جابية الجولان ـ في مطلع سنة ١٦هـ ـ وتم تقسيم خمسة وثلاثين ألفاً منهم إلى سبع فرق، تتكون كل فرقة من خمسة آلاف، على أن يقود كل فرقة أمير من كبار القادة، فكان عروة بن زيد الخيل سابع السبعة أمراء القادة الذين عَقَد لهم أبو عبيدة راية القيادة ووجههم إلى بيت المقدس في سبعة أيام، يتوجه في كل يوم أمير بفرقته لِيُرهب العدو، حيث وجّه أبو عبيدة خالد بن الوليد في خمسة آلاف، ثم يزيد بن أبي سفيان في خمسة آلاف ثم ـ كما جاء في كتاب فتوح الشام ـ «دعا أبو عبيدة شرحبيل بن حَسْنة الكندي وعَقَدَ له راية وضَمّ إليه خمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له: سِرْ بِمَنْ معك حتى تَقْدِم بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تَقَدّمَ قَبْلَك» ـ ثم عَقَدَ راية رابعة لمرقال بن هاشم بن عتبة ـ «ثم عقد راية خامسة للمسيب بن نجبة الفزاري وضمّ إليه خمسة آلاف من النخع وغيرهم فلحق بأصحابه. ثم عقد راية سادسة لقيس بن مكشوح المرادي وضمَّ إليه خمسة آلاف فارس، وسَيَّرَهُ وراءهم، ثم عقد أبو عبيدة الراية السابعة لعروة بن زيد الخيل بن مُهَلْهل الطائي وضمّ إليه خمسة آلاف، وسَيّره وراءهم إلى بيت المقدس، فنزل عروة بجيشه مما يلي طريق الرملة.. فكان جملة من سَرّحهم أبو عبيدة إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفاً، وسار الأمراء السبعة في سبعة أيام، في كل يوم أمير، وذلك ليُرهب أعداء اللّه ففي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه مُهللين مُكبرين.. وكان نزول جيوش المسلمين على مشارف بيت المقدس في أيام البرد والشتاء، وظنّ الروم أن المسلمين لا يقدرون عليهم في ذلك الوقت ـ وكانوا ـ قد حَصّنوا أسوار بيت المقدس بالمجانيق والطوارق والدُرق والجواشن ـ ومكث المسلمون أربعة أيام دون

---

(١) فتوح الشام ـ أبو عبد اللّه الواقدي ـ ص ١٤٤.

قتال ثم في اليوم الخامس ـ زحف المسلمون إليهم، وبرزت النَبّالة من أهل اليمن ورشقوهم بالنبال، وكان الروم غير محترزين من النبل حتى رأوا أن النبل ينكسهم على رؤوسهم. قال مُهَلْهِل: للّه درّ عرب اليمن فلقد رأيتُهم يرمون بالنبل الروم فَيَهَافَتُون من سورهم كالغنم. فلما رأى الروم ما صنع بهم النبل احترزوا منهم وستروا السور بالجحف والجلود وبما يَرُدُّ النبل». [ص١٤٦/١] ـ ويتبين من هذا النص أن مُهَلْهِل بن زيد الخيل شهد فتح بيت المقدس، وهذا يُعزز الرأي السالف بأن (مُهَلْهِل) هو نَعت (حُريث بن زيد الخيل) الذي سلف النص بأنه لحق بالشام، فيكون قد انضم إلى جيش الفتح وشَهَدَ حصار بيت المقدس مع أخيه عروة قائد الجيش السابع. ثم أقْبَل أبو عبيدة بن الجراح بقوة من المسلمين وتولى القيادة العامة للفِرق العربية الإسلامية في حصار القدس، وصار الجميع بمثابة جيش واحد، وتم إعادة تنظيم وتقسيم القيادة والجيش أثناء فترة الحصار بحيث كما جاء في كتاب الجامع: «كان من القادة اليمنيين الذين شاركوا في فتح بيت المقدس:

- شُرحبيل بن حَسَنَة الكندي الحضرمي قائد أكبر فرق المشاة اليمنيين.
- قيس بن مكشوح المرادي قائد الرماة اليمنيين.
- عُبادة بن عامر النَّخَعي قائد الفرسان.
- عُروة بن زيد الخيل الطائي حامل راية جيش أبي عبيدة وقائد إحدى فرق المشاة اليمنيين.

- عُبادة بن الصامت الأنصاري مرافق عمر بن الخطاب لدى قدومه الشام بمناسبة فتح بيت المقدس. .» [ص ٣٧٢].

وقد طلب أهل القدس الأمان والصلح على أن يكون المتولي للعقد لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فَقَدِم عُمر إلى بيت المقدس، فدخلها واستلمها مع كبار القادة والصحابة ـ ومنهم عروة بن زيد الخيل ـ في حوالي ربيع ١٦هـ.

* * *

وبعد اكتمال فتوح الشام عاد عُروة بن زيد الخيل إلى محور العراق، وكان هو وعَدِي بن حاتم من الشخصيات القيادية التي استقرت بالكوفة، حيث ولى عمر بن الخطاب عمار بن ياسر العنسي المذحجي ولاية إقليم الكوفة سنة ١٩هـ وكان إقليم الكوفة يمتد إلى تخوم إيران، ثم شَهد عُروة بن زيد الخيل انتصار وفتح منطقة نهاوند في إيران سنة ٢٠هـ. وكان عُروة هو الفاتح الأول لإقليم الديلم والرّيّ ودَسْتَبَىٰ في شمال إيران، حيث كما جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري:

«كتب عمر بن الخطاب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة، بعد

شهرين من وقعة نهاوند، يأمره أن يبعث عُرْوَة بن زيد الخيل الطائي إلى الرّي ودَسْتَبىٰ في ثمانية آلاف، ففعل، وسار عُرْوَةُ إلى ما هناك فجمعت له الديلم وأمَدّهم أهل الرّي فقاتلوه، فأظهره اللّهُ عليهم، فقتلهم، واجتاحهم» ـ وقال عروة في قصيدة له يذكر يوم موقعة الديلم:

وأيْقَنْتُ يوم الديلميين أنني	متى ينصرف وجهي إلى القوم يُهْزَمُوا[1]
فما رُمْتُ حتى مزقوا برماحهم	ثيابي، وحتى بَلَّ أخمصيّ الدّمُ
محافظةً، إنّي امرؤٌ ذو حفيظةٍ	إذا لم أجد مُستأخراً أتقدَّمُ

وقد تكللت موقعة يوم الديلميين بفتح إقليم الرّي ودُسْتَبىٰ وهو إقليم الديلم حيث ـ كما ذكر البلاذري ـ (أظهرُ اللَّهُ عُرْوَةَ عليهم فقتلهم، واجتاحهم). وجاء في ترجمته بكتاب الجامع أنه «افتتح ـ عُرْوَةُ ـ بلاد الديلم عنوةً في أيام عمر بن الخطاب».

قال البلاذري: «ثم استخلفَ عُروَةُ حَنْظلةَ بن زيد الخيل أخاه، وقَدِم على عمار بن ياسر أمير الكوفة، فسأله أن يوجّهَهُ إلى عُمر بن الخطاب، وذلك لأنه كان القادم على عمر بخبر موقعة الجسر، فأحبَّ أن يأتيه بما يَسرُّه. فوجَّهه عمار إلى عمر، فلما رآه عمر قال: إنّا للّه وإنا إليه راجعون، فقال عروة: بل أحمد اللَّه ـ يا أمير المؤمنين ـ فقد نُصِرْنَا وأظْهَرنا اللّه ـ وأخبره بالنصر على الديلم ـ فقال له عمر: هَلّا أقَمْت وأرْسَلْتَ؟ قال: قد استخلفتُ أخي وأحببتُ أن آتيك بنفسي، فسَمّاه عمر: البشير»[2].

* * *

ثم انقطع ذكر عُرْوَة بن زيد الخيل، ولم يعد له ذكر في الفتوح والأحداث ـ منذ سنة ٢٢هـ ـ فإذا ربطنا ذلك بما أشار إليه ابن عبد البر في الاستيعاب عن بعض الروايات بأنه «مات زيد الخيل بن مُهَلْهِل في آخر خلافة عمر»، يمكن استنتاج وإدراك أمرين، أحدهما: أن زيد الخيل بن مُهَلْهِل مات في تلك السنة الأخيرة من خلافة عمر، وقد سلف تقدير مولده بحوالي عام ٥٦٠م، فتكون وفاة زيد الخيل وقد بلغ عمره نحو ٨٢ سنة في حوالي عام ٢١هـ أو عام ٢٢هـ الموافق عام ٦٤١م أو عام ٦٤٢م.

والأمر الثاني: أن عُرْوَة بن زيد الخيل مكث ـ منذ وفاة أبيه ـ في منطقة بني نبهان وطيء، وصار كبير عشيرته، ولذلك انقطع ذكره في أنباء ساحات الفتوح والوقائع بالعراق وفارس ومنها بلاد الديلم وكذلك في الشام، مما يعني أنه مكث

---

(١) جاء عجز البيت في فتوح البلدان «..عن القوم يُهزموا» وفي كتاب الأغاني «..إلى القوم يُهزموا».

(٢) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٨٧.

بمنطقة طيء ـ ومنها (فَيْد) ـ زهاء ١٣ عاماً، وذلك حتى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ومبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة في أواخر سنة ٣٥هـ (٦٥٥م).

فانضوى عروة بن زيد الخيل تحت لواء الإمام علي بن أبي طالب عند مسيره إلى العراق ـ سنة ٣٦هـ ـ وكذلك كان عَدِي بن حاتم مقيماً بالكوفة، وقد شهد عَدِي بن حاتم موقعة يوم الجمل التي اندلعت بين الإمام عليّ والذين معه وبين عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير والذين معهم ـ في جمادى الأولى ٣٦هـ ـ كما شهد عَدِي بن حاتم مع الإمام عليّ موقعة صفين.

وجاء في ترجمة عُروة بن زيد الخيل أنه «عاش إلى خلافة عليّ، وشهد معه صِفِّين». وقد اندلعت حرب موقعة صِفِّين بين الإمام عليّ والذين معه وبين معاوية أمير الشام والذين معه في صفر ٣٧هـ (٦٥٧م) وكان عروة بن زيد الخيل قد شهد موقعة اليحاميم وموقعة يوم محجن مع أبيه في الجاهلية، وهو شاب آنذاك، فيكون قد شهد موقعة صِفِّين وهو شيخ قد جاوز السبعين عاماً، وكذلك كان عَدِي بن حاتم، ولم يزل عروة وعَدِي في صف الإمام عليّ حتى مقتله في رمضان سنة ٤٠هـ، ثم مبايعة الحسن بن عليّ والذين كانوا مع أبيه لمعاوية بن أبي سفيان بالخلافة في عام ٤١هـ، وكان عُروة وعَدِي مِمّنْ التقوا بمعاوية عند قدومه إلى الكوفة حين اجتمع أمر الخلافة لمعاوية. وقد أورد الأصفهاني رواية تقول: «عاش عروة بن زيد الخيل إلى إمارة معاوية، فأراده على البراءة من ـ الإمام ـ عليّ، فامتنع عروة عليه، وقال في ذلك:

يُحاولني معاويةُ ابن حَرْبٍ ... وليس إلى الذي يَهْوَىٰ سَبيلُ
عَلَىٰ جَحْدي أبا حَسَن عَليّاً ... وحظّي مِنْ أبي حَسَنٍ جليلُ»[1]

ويستفاد من ذلك أن عُروة بن زيد الخيل مات في خلافة معاوية بعد سنة ٤٢هـ الموافق ٦٦٢م، وذلك بعد زهاء عشرين سنة من وفاة أبيه ـ زيد الخيل بن مُهَلْهِل الطائي ـ الذي كان من أبرز الشعراء والقادة في الجاهلية.

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٦/٤٩.

المبحث «٤٩»

عبد يَغُوث ابن صَلاَءَة الحارثي

«صاحب القصيدة الجاهلية المشهورة (ألَا لا تَلُومانِي)»

هو الشاعر اليمني الجاهلي عبد يغوث بن صَلَاءَة - وصَلَاءَة اسم جده - فهو (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صَلَاءَة بن المُعَقَّل - واسم المُعَقَّل ربيعة - بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب - وهو الحرث بن كعب - بن عُلَة بن جَلْد بن مَذْحج - واسم مذحج مالك - بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قطحان)[1] وهو صاحب القصيدة الجاهلية المشهورة التي أولها:

أَلَا لا تَلُومانِي كَفَىٰ اللَّوْمَ ما بِيَا ... فَمَا لَكُما في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا

أَلَمْ تَعْلَما أنّ المَلامة نَفْعُها ... قَلِيلٌ، وما لومي أخي مِنْ شِمَالِيَا[2]

فَيَا راكباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامايَ مِنْ نَجْرانَ ألّا تَلاقِيا[3]

أبا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِما ... وقَيْساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليَمانِيَا

قال الأصفهاني: «كان عبد يغوث بن صَلَاءَة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سَيِّداً لقومه مِن بني الحرث بن كعب.. وهو من أهل بيت شِعرٍ مُعرِق..»[4] وقال الجاحظ: «ليس في الأرض أعجب من طَرفةَ بن العبد وعبد يغوث، وذلك أنّا إذا قِسْنَا جودةَ أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في

(١) الأغاني - الأصفهاني - ص ٦٩/ ١٥ - وهذا النسب إلى مذحج وإلى قحطان فيه اختزال واكتفاء بذكر الأشهر من الأجداد حيث كما قال الحسن الهمداني في الإكليل: «ومن شرائط النسب أن لا يُذكر من أولاد الرجل إلا النبيه الأشهر، ولولا ذاك لم يسع أنساب الناس سِجِل» [ص ٣٨٦/ ٢].

(٢) قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي: «ويُروى: وما لومي أخاً مِنْ شِمَاليا. وشِمالي أي خُلُقي وهو واحد الشمائل» [ص ١٣٢/ ٣].

(٣) قوله (فيا راكباً) الراكب: راكب الإبل، ولم يكن يُسمى راكباً إلا راكب البعير والناقة، وقوله (إما عرضت.. إلخ). أي (إما عرضت من نجران فبلغنَ ندامايَ..) وعَرَضْتَ: أي أتيت العروض وهو العارض الممتد ما بين اليمامة ونجران، والندامى: جمع ندمان وهو المشارب.

(٤) الأغاني - الأصفهاني - ص ٦٩/ ١٥.

حال الأمن والرفاهية»[١]. ويدل كلام الجاحظ على أنه اطّلَعَ على أشعار عبد يغوث في حال الأمن والرفاهية، وهي إشعار لم تصل إلينا، وقد حفظت لنا المصار تلك القصيدة لأنها في موقعة يوم الكلاب بين مذحج وتميم، ومن المفيد قبل ذلك تبيين التالي من المعارف ذات الأهمية.

* * *

لقد كان عبد يغوث من سادة وشخصيات بني الحارث بن كعب، ويقال لهم أيضاً بني الحرث بن كعب وبلحارث بن كعب، وهم أحد البطون الرئيسية لقبائل مذحج، وكانت منهم عشائر بمناطق سَرْو مَذْحج (في محافظتي البيضاء وأبين حالياً) وكذلك في منطقة براقش (بمحافظة الجوف) وغالبيتهم في نجران، فقد ذكر الحسن الهمداني (أن منطقة الذِّبِيَّة ـ بسرو مذحج ـ لبني الحُماس من بلحارث بن كعب»[٢] وقال ابن خلدون: «أما بنو الحرث بن كعب، فالحرث أبوهم ابن كعب بن عُلة بن جَلد بن مذحج، وديارهم بنواحي نجران. وكان من بني الحرث بن كعب هؤلاء المذحجيين بنو زياد وابنه يزيد بن قَطَن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث وهُم بيت مذحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في بيت عبد المدان ابن الديان»[٣]. وقال ابن المجاور الدمشقي «نجران إقليم طويل عريض من اليمن. ومدينة الأصل نجران، وسريرُ مُلْكِ نجران حصن مانع بين نجران والجبال، وكان ولاة نجران بنو عبد المدان ابن الديان»[٤].

فلم يكن عبد يغوث سيد بني الحرث بن كعب وإنما كانت رئاسة بني الحرث بن كعب ومخلاف نجران وقبائل مذحج في بيت الديان بن قَطَن الحارثي، وهم من أبناء عمومة أسرة عبد يغوث، وترتيب والتقاء نسبهم كما يلي:

أ - يزيد بن عبد المدان ابن الديان بن قَطَن بن زياد بن الحرث بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب.

ب - عبد يغوث بن الحرث بن وقاص بن صَلَاءَة بن المعقّل بن الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب.

وكان وقاص بن صَلَاءَة معاصراً للديان زعيم بني الحرث بن كعب وكل فرسان مذحج ومخلاف نجران في عهد الملك حسان تُبّع وعهد أسعد تُبّع بن حسان ملك

---

(١) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٢/٢٦٨.
(٢) صفحة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٤.
(٤) المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور ـ ص ٤٠.

اليمن في الفترة (٤٤٥ ـ ٤٧٧م) حيث قاد الديان فرسان مذحج في حملات على بعض القبائل النجدية ومنها تميم لبسط سيادة ونفوذ الدولة الحميرية وتأمين الطرق والمراكز التجارية، وفي ذلك «قال الشاعر:

يقودُ بها ديّانُها غير عاجزٍ ثمانين ألفاً قادها من بَرَاقِش
فآبوا بألفيْ كاعبٍ مُضَريةٍ على إبل مثل الضباعِ نواهش»[١]

وقال عمرو بن معدي كرب الزُّبَيدي يذكر بعض حملات مذحج منذ أيام الديان:

هُمُوا وردوا المياه على تميم بألف مُذَجّج شُمْطٍ ومُرْدِ
وهُمْ خَشُّوا مع الديَّان حتى تَغَتَّم كلّ عُضْرُوطٍ وعَبْدِ[٢]

وتم في إحدى الحملات التي وجّهها ملك اليمن أسر وسبي عشيرة تيم التميمية كلها، وعن ذلك قال الفرزدق لعشائر جرير التميمية:

تدعون تَيْمَاً، وتَيْمٌ في قُرى سبأٍ ما التيمُ يومئذٍ فيكم ولا فِينَا

وقد ذكر أبو عبيدة: «إن ملكاً من ملوك اليمن كانت في يديه أُسارى من مُضَر، فَوَفَد إليه وفدُ منهم، فكلموا الملك في الأُسارى، فوهبهم له»[٣]. فكذلك تم إطلاق سراح عشيرة تيم في ذلك العهد.

ثم تولى رئاسة بني الحرث بن كعب ومخلاف نجران عبد المدان ابن الديان في الفترة (٥٣٠ ـ ٥٧٥م) وكان من أشهر الأقيال حتى عهد سيف بن ذي يزن، وفيه قال أُميّة بن أبي الصَّلت:

ولقد رأيتُ القائلين وفعلهم فرأيتُ أكرمهم بنو الديَّان[٤]
ورأيتُ مِنْ عبد المدان خلائقاً فَضْلَ الأنام بِهِنّ عَبْدُ مَدَان»[٥]

وكان عبد يغوث من الشعراء الفرسان في أيام عبد المدان وأيام بني عبد المدان ابن الديان، ومنهم الرئيس يزيد بن عبد المدان، وكان الشاعر الجاهلي أعشى قيس يَفِدُ عليهم من اليمامة إلى نجران، وقال في إحدى وفادته:

وكعبةَ نجران حَتْمٌ عليك حتى تُنِيخَ بأبوابها

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ١/١٥١.
(٢) خشوا: طعنوا. والقصيدة في كتاب الأمالي لأبي علي القالي ـ ص ٣/١٤٦.
(٣) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ ص ١٠٩٣.
(٤) القائلين: أي الأقيال.
(٥) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/٣٨.

تــزورُ يــزيــدَ وعــبــدَ الــمــســيــحِ ... وقــيــســاً هُــمُــوا خــيــر أربــابــهــا[١]

ويزيد هو الرئيس يزيد بن عبد المدان، وعبد المسيح هو الأيهم عبد المسيح بن أبيض الحارثي وهو العاقب ـ أي بمثابة الزعيم الديني لنجران ـ وقيس هو ابن الحصين بن شداد بن قنان الحارثي القائد الحربي لبني الحرث بن كعب ومذحج ونجران، قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة قيس بن الحصين «. . رأس الحُصين ـ والد قيس ـ بني الحرثَ مائة سنة، وكان له أربعة أولاد كان يُقال لهم فوارس الأرباع كانوا إذا حضر الحرب وُلِّي كل منهم ربعها»[٢]. ومنهم شهاب، وزياد، وقيس بن الحصين. وكذلك كان من شخصيات بني الحرث بن كعب في تلك الفترة أبو كرب بشر بن علقمة بن الحارث، والأيهم أسود بن علقمة بن الحارث، وكانا، هما والعاقب الأيهم عبد المسيح بن الأبيض من ندامى عبد يغوث بنجران في حال الأمن والرفاهية، كما يتبين من قوله:

فـيـا راكـبـاً إمَّـا عَـرَضْـتَ ـ فَـبَـلِّـغَـنْ ... نَـدامَـاي ـ مِـنْ نَـجْـرَان ـ ألّا تَـلَاقِـيَـا

أبـا كَـرِبٍ والأيْـهَـمَـيْـنِ كِـلَـيْـهـمـا ... وقَـيْـساً بأعلى حَضْـرَمَـوْتَ الـيَـمَـانِـيَـا

فأبو كرب هو بشر بن علقمة بن الحارث، والأيهمان، هما الأسود بن علقمة بن الحارث والعاقب عبد المسيح بن الأبيض[٣] وقيس هو الزعيم الملك قيس بن معدي كرب الكندي رئيس وقائد كندة وحضرموت في مخلاف حضرموت باليمن، وكان عبد يغوث يسير إليه وينادمه كما كان أعشى قيس يفعل، وقد وصف الأعشى مجلس وندامى قيس بن معدي كرب حيث قال:

وجُـلُـنْـدَاء فـي عُـمَـانَ مُـقِـيـمـاً ... ثـم قَـيْـساً فـي حَـضْـرَمَـوْتَ الـمُـنِـيـفِ

قـاعِـداً حَـوْلَـهُ الـنَّـدَامَـى فـمـا يَـنْـ ... ـفَـكُّ يُـؤْتَـى بِـمُـوكَـرٍ مَـجْـدُوفِ

وَصَـدُوحٍ إذا يُـهَـيِّـجُـهـا الـشَّـرْ ... بُ، تَـرَقَّـتْ فـي مِـزْهَـرٍ مَـنْـدُوفِ

والموكر المجدوف هو المملوء المقطوع من آلات الغناء. والصدوح: الجارية التي تصدح بالغناء، والمندوف: المضروب على أوتاره من آلات الغناء والطرب. والشَّرب: الذين يشربون النبيذ وهم الندامى المنادمون الذين كان منهم عبد يغوث الحارثي.

وقد ذكر عبد يغوث أحواله في أيام الأمن والرفاهية ـ في قصيدته اليائية ـ حيث قال:

«وقَدْ كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الـ ... ـمَطِيِّ وأمْضِي حيثُ لا حَيَّ مَاضِيَا

---

(١) ديوان الأعشى.

(٢) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٤/ ٣.

(٣) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٤٥/ ٣.

وأنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِرام مَطِيَّتي   وأصْدَعُ بينَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائيا

قال أبو علي القالي (قوله: وانحر للشرب. الشرب: جمع شارب. والمطِيَّة: البعير ها هنا، سُمِّي مَطِية لأن ظهره يُمْتَطَى، ويُقال: سُمي مَطِيَّة لأنه يُمْطَى به في السير أي يمدّ. وقوله (أصْدَعُ) أي أشقُّ. والقينة: الأمَة - الجارية - مُغَنِّية كانت أو غير مُغَنِّية»[١]. ويريد هنا المُغَنِّية في مجلس الشرب والمنادمة. وكان عبد يغوث كريماً ينحر الجَزُور - وهي الذبائح - لضيوفه والذين يمرّون به ويقول لأصحابه (أعْظِموا ضَوْء نَاريا) حتى يرى المسافرون وغيرهم النار فيأتون لتناول الطعام. وذلك كناية عن الكرم.

وكان عبد يغوث فارساً من الفرسان الشجعان، اشترك في غارات وحملات بني الحرث بن كعب ومذحج على بعض القبائل النجدية التي كانت تتعرض للقوافل بين اليمن والحيرة غالباً، وقال - في قصيدته اليائية - يذكر فروسيته:

وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَهَا القَنَا   لَبِيقاً بتَصْريف القَناة بَنَانِيا

وعادِيَةٍ سَوْمَ الجَرَادِ وزَعْتُها   بِكَفِّي وقد أنْحَوْا إليَّ العَوَالِيا

قال أبو علي القالي «وقوله: شمَّصَهَا. ويُروى شَمَّسَها وهما واحد والسين أجود، ويُروى (نَفَّرها القَنَا) - والمعنى واحد -. وقوله (وعادية سوم الجراد وزَعْتُها) العادية: القوم يَعْدُون. وسَوْم الجراد: انتشاره في المرعى. ووَزَعتها: أي كفَفْتَها، والوازع: الكافُّ المانع. وقوله: قد أنحوا إليَّ العواليا. أنحوا: أمالوا وقصدوا بها. والعالية من الرمح: أعلاه وهو ما دون السِنَان بذراع»[١].

* * *

وكان من أنباء القوافل التجارية ما جاء في كتاب الكامل وأيام العرب من أنه: «كانت عِيرُ كسرى أنوشروان تُبذْرَقُ من المدائن حتى تُدفع إلى النعمان بن المنذر بالحِيرة، والنعمان يُبذرقُها بخفراء من بني ربيعة (وكذلك من طيء) حتى تُدفع إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فيُبذرقُها حتى يُخرجَها من أرض بني حنيفة ثم تُدفع إلى تميم، وتُجْعل لهم جِعَالة فتسير بها إلى أن تبلغ اليمن..»[٢] - أي إلى أن تبلغ أطراف أعالي اليمن فتُبذرقُها طيء ومذحج إلى الجوف ونجران ثم تُبذرقُها همدان - في مناطق همدان - إلى أن تبلغ صنعاء، والبذرقة: الخفارة. وكان للذين يبذرقون القوافل جِعالة، والجِعالة: ما يُجعل على العمل، وكان الأمر كذلك أيام كسرى

(١) الأمالي - أبو علي القالي - ص ١٣٤/ ٤.
(٢) أيام العرب في الجاهلية - محمد أحمد جاد - ص ٥.

أنوشروان وعهد سيف بن ذي يزن (٥٧١ ـ ٥٩٠م) وقد مات كسرى أنوشروان حوالي عام ٥٧٥م.

وقد جاء في خبر (يوم الصَّفْقة) أنه «بعث كسرى أنوشروان إلى عامله باليمن عِيراً. . وسار هوذة الحنفي مع الأساورة ـ الفُرس ـ ومعهم العِير منْ هَجَرْ حتى إذا كانوا بوادي نِطَاع باليمامة أغارت عليهم بنو تميم وأخذوا ما كان معهم، واقتسموه، وقتلوا وسلبوا الأساورة، وأسروا هوذة بن علي فَفَدَىٰ نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هَجَر ـ بالبحرين ـ وأخذوها. . .»[1].

والصواب أن ذلك كان في أيام كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، فهو الذي كان له عامل في صنعاء بعد مقتل معدي كرب بن سيف بن ذي يزن (عام ٥٩٣م) حيث تولى الفُرس الأبناء الحكم في صنعاء وبعث كسرى أبرويز عاملاً هو (وهرز) فتولى الأمر في صنعاء، فهو الذي بعث إليه كسرى تلك القافلة فأغار عليها ونهبها بنو تميم في وادي نطاع باليمامة، وبسبب ذلك بعث كسرى جيشاً من الأساورة الفرس بقيادة رجل يُقال له المكعبر الفارسي فساروا حتى نزلوا (المُشَقّر) حصن البحرين، وأقْسَمَ ألا يدع من بني تميم ـ الذين نهبوا القافلة ـ عيناً تطرف، وبعث هوذة إليهم يدعوهم بذريعة أن كسرى أمر لهم بمِيرة ـ أي طعام ـ ليمتاروا، فجاؤوا إلى المكعبر ـ وكان أكثر من أتاه بنو سعد وهم بطن من تميم ـ فكانوا كلما دخل منهم رجل إلى باب المشقر يتم أخذه إلى المكعبر فتُضْرب عُنقه. وتم أسر مائة منهم، فتشفَّع فيهم هوذة، فوهبهم المكعبر له، فقال الأعشى يمدح هوذة:

سائل تميماً به أيام صفْقَتهم ... لما رآهم أُسارَىٰ كلهم ضَرَعا
فقال للملك أطلِق منهم مائةً ... رسلاً من القول مخفوضاً وما رفعا
ففكّ عن مائة منهم إسارهم ... وأصبحوا كلهم من غلة خلعا

وسُمِّي ذلك اليوم يوم الصَّفْقة لأن المكعبر عامل كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن المُشَقّر[1].

وقد ذكرت الروايات أن (يوم الكُلاب) الذي شهده عبد يغوث الحارثي كان بعد يوم الصَّفْقة، وجاء في ترتيب (أيام العرب في الجاهلية) يوم الصَّفقة ثم يوم ذي قار ثم يوم الكُلَاب، لذلك فمن المفيد تبيين التالي:

* ـ إنّ يوم الصَّفْقة كان في ولاية النعمان بن المنذر للحيرة، وكان مِمّا تلا ذلك ما تذكره الروايات من أنه «استنقص كسرى قدر العرب، وذلك في كلام بينه

(١) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ٥.

وبين النعمان، فذكر له النعمان رؤساء قبائل العرب وفرسانهم وبلاغتهم، وأن أشرف رؤساء قبائل العرب مَنْ كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت مِنْ قبيلته فيه، وهُم آل حذيفة بن بدر بيت قيس عيلان، وآل قيس بن معدي كرب بيت رئاسة كندة، وآل زُرارة بيت تميم، وآل ذي جُدين بيت شيبان من بني بكر بن وائل، ـ قال أبو عمرو بن العلاء (وبيت بني الديان من بني الحرث بن كعب بيت اليمن ـ يعني بيت رئاسة مذحج باليمن ـ) فقال كسرى للنعمان: اطلبهم. فبعث النعمان إليهم فحضروا لمقابلة كسرى ومنهم الأشعث بن قيس الكندي ـ نجل قيس بن معدي كرب الكندي زعيم كندة وحضرموت، وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي فارس مذحج ـ مما يعني أنه ممثل مذحج نيابة عن بني الديان ـ ورؤساء تميم وبكر بن وائل، فالتقوا بكسرى ـ بحضور النعمان بن المنذر وبوجود ترجمان ـ وقد ذكرت الرواية أن كسرى هو كسرى أنوشروان والصواب كسرى أبرويز، «فقال كسرى للرؤساء: ليتكلم كل رجل بمآثر قومه وفعالهم. .» ـ فتكلم كل واحد منهم، وكان أبلغهم عمرو بن معدي كرب حيث جاء في العقد الفريد أنّه «قال عمرو بن معدي كرب لكسرى: إنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فبلاغُ المنطق الصّواب، ومِلاك النَجْعة الارتياد، وعفو الرأي خيرٌ مِن استكراه الفكرة، وتَوقُّف الخبرة خَيْرٌ من اعتساف الحيرة، فاجْتَذِبْ طاعتنا بلفظك. واكتظم بادرتنا بحِلْمك، وألِنْ كنفَك يسلُس لك قيادنا، فإنّا أناسٌ لم يُوَقّس صفاتنا قِراعُ مناقير من أراد لنا قضماً ولكن منعنا حِمانَا مِنْ كل مَنْ رام لنا هَضْماً»[(١)]. ويدل كلام عمرو على أن اللقاء لم يكن للمفاخرة وإنما كان له علاقة بالسياسة وبتأمين القوافل، وقد أثنى كسرى عليهم جميعاً، وأجزل لهم العطاء، فعادوا إلى مناطقهم، وأسْنَد كسرى إلى قبيلة تميم خفارة القوافل من اليمامة إلى تخوم اليمن، وكان ذلك اللقاء في حوالي سنة ٦٠٠م واستمر الوئام بعد ذلك فترة من الزمن.

* ـ وفي عام ٦٠٢م غضب كسرى أبرويز على النعمان بن المنذر وحبسه حتى مات، حيث ـ كما ذكر الأستاذ أحمد أمين ـ «غضب كسرى على النعمان بن المنذر الخامس فهرب فترة ثم لجأ إليه فحبسه حتى مات، وكان ذلك حوالي سنة ٦٠٢م، وبموته ألغت الحكومة الفارسية نظام إمارة اللخميين وولّت مِن قِبلها حاكماً فارسياً يخضع له الأمراء العرب»[(٢)]. وقال ابن خلدون «إن كسرى لما قتل النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة مكان النعمان. . وأقام إياس في ولاية الحيرة

---

(١) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ـ وقوله (النجعة) أي طلب الكلأ. ولم يوقس: لم يخدش.

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ١٧.

ومعه المهرجان من مرازبة فارس تسع سنين وفي الثامنة منها كانت البعثة النبوية»[١]
وقد ساءت العلاقة بين العرب والدولة الفارسية بعد إقصاء وحبس النعمان بن المنذر ـ عام ٦٠٢ م ـ وخاصة بعد وفاته، وكان من مضاعفات ذلك موقعة يوم ذي قار التي دارت بين قوة من الجيش الفارسي ومعهم إياس بن قبيصة وقبيلة تميم من جهة وبين قبيلة بكر بن وائل من ربيعة ومعهم يزيد بن حمّار السكوني الكندي وجماعة من كندة من جهة أخرى. وقد جاء في سياق نبأ موقعة ذي قار أنه «عَقَدَ كسرى للهامرز على ألفٍ من الأساوِرَة، وعَقَد لخنًّا بزين على ألف من الأساورة ـ ومعهم ثلاثة آلاف من العرب ـ، وبعث معهم باللَّطِيمة ـ وقد كانت تخرج من العراق فيها البَزُّ والعِطْر والألطاف توصلُ إلى باذان عامل كسرى بصنعاء، وكانت العرب تخفرهم وتُجيرهم حتى تبلغ اللَّطيمةُ اليمن. . وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصَّفْقَة، فالعرب وجِلَةٌ خائفةٌ منه»[٢]. وقد أمر كسرى ذلك الجيش بالمسير إلى بكر بن وائل وتخييرهم بين الاستسلام والحرب، فتصدت بنو بكر بن وائل لذلك الجيش وهزموه في حِنْو ذي قار، وكان ليزيد بن حمّار السكوني الكندي دوراً هاماً في انتصار ذي قار، وتم أسر نحو مائتي رجل من بني تميم كانوا مع الفُرس في موقعة ذي قار. قال أبو عبيدة «وكانت وقعة ذي قار وقد بُعِث النبي ﷺ فقال النبي ﷺ في ذلك: اليوم انتصفت العربُ من العجم»[٣]. وقيل: إن وقعة ذي قار كانت بعد البعثة بثلاث سنين. ونرى أن الأصوب: قبل البعثة بثلاث سنين، لأنّ إياس بن قبيصة شهد موقعة ذي قار وانسحب إلى الحيرة، وقد ذكر ابن خلدون أن ولاية إياس كانت تسع سنين وفي الثامنة منها كانت البعثة، فتكون ذي قار حوالي سنة ٦٠٧م لأن البعثة سنة ٦١٠م ومات إياس حوالي سنة ٦١١م. وقد جاء في كتاب الكامل لابن الأثير أن يوم الصفقة كان بعد البعثة وكذلك يوم الكلاب [ص ٣٧٩/ ١ـ الكامل].

نبأ غزوة يوم الكُلَاب (حوالي عام ٦١٣م):

في تلك الفترة التي ساءت فيها علاقة العرب بالفُرس والتي كان فيها باذان بن ساسان عاملاً لكسرى أبرويز في صنعاء ومعه الأبناء الفُرس الذين استقروا بصنعاء، كانت قبائل ومناطق مذحج باليمن ضد باذان وذلك الوجود الفارسي، وقد تحالف باذان مع قبائل همدان (حاشد وبكيل) لمواجهة مذحج، وكانت قبيلة تميم تقوم بخفارة القوافل الفارسية المبعوثة إلى باذان عامل كسرى بصنعاء عند مسيرها بمناطق

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٦٧.
(٢) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ٢٧.
(٣) النقائض ـ أبو عبيدة البصري ـ.

نجد حتى تبلغ أعالي اليمن ثم تخفرها همدان إلى صنعاء، وكانت جماعات من فرسان مذحج تقوم بالغارة على القوافل التي تخفرها تميم بمناطق نجد ـ كنوع من المقاومة للفُرس ـ مما يؤدي إلى الغارة أحياناً على تميم وأخذ مواشيها. . وكانت عشائر سعد والرِّباب وحَنْظلة التميمية تسكن منطقة وادي الكُلاب بأرض نجد منذ ما بعد يوم الصَّفْقَة، حيث جاء في أيام العرب أنه «بعد يوم الصَّفْقَة. . نزلت الرِّباب وسعد بأعلى وادي الكُلاب، ونزلت حنظلة بأسفله. . ومرَّ بهم ـ ذات مرة ـ رجلٌ من أهل مدينة هَجَرْ، فرأى ما عندهم من النَّعَم ـ أي المواشي والإبل ـ فانْطَلَق إلى بني الحرث بن كعب ومذحج بنجران، وقال لهم: هل لكم في مُهرة شَوْهاء، وبَكْرة حمراء[1] فقالوا: ومَنْ لنا بذلك؟ قال: تِلْكُم تميم أَلْقاء مطروحون بِقِدَة[2]. فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اغتنموها من بني تميم. . واستشاروا كاهنهم المأمور الحارثي ـ وكان المأمور يجمع بين الفروسية والكهانة وكانت مذحج بأمره تتقدم وتتأخر ـ فأشار عليهم بالكفّ، ولكنهم عَصَوْه» ـ وجاء في كتاب الأغاني أنه «قالت مذحج للمأمور الحارثي: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم فإنهم يسيرون أعقاباً ويَرِدُون مِيَاهاً حباباً فتكون غنيمتكم تراباً». ـ ولكنهم عَصَوْه ـ «وبعثوا الرُسل في قبائل اليمن وأحلاف مذحج من قضاعة» ـ قال ابن الأثير: «فاجتمعت بنو الحرث من مذحج وأحلافها من نهد وجَرْم بن ربان، فاجتمعوا في عسكر بلغوا ثمانية آلاف» وكذلك جاء في (أيام العرب) أنه «اجتمع إليهم ثمانية آلاف، وجعلوا عليهم أربعةَ رؤساء كلٌّ منهم اسمه يزيد: يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المخرِّم، ويزيد بن ألَيَكْسُم، ويزيد بن هوْبر، ومعهم عبد يغوث بن صَلَاءَة الحارثي، وكان مع كل منهم ألفان» [ص ١٢٦] ـ ويتبين من ذلك أن قبائل اليمن بل وحتى قبائل مذحج لم تستجب للمسير في ذلك الغزو، فقد استجاب ثمانية آلاف فقط بينما فرسان بني الحرث بن كعب ومذحج في الغزوات كانوا يبلغون زهاء ثمانين ألفاً، حيث كما قال الشاعر:

يقودُ بها ديّانُها غير عاجزٍ ... ثمانين ألفاً قادها من بَرَاقِشِ

وكذلك لم يستجب الحصين بن شداد بن قنّان الحارثي وكان هو القائد الحربي لبني الحرث بن كعب ومذحج، وكان له أربعة أولاد يُقال لهم فوارس الأرباع كانوا إذا حضر الحرب وُلِّي كلٌّ منهم رُبعها. فلم يستجب الحصين وأولاده للمسير في ذلك الغزو لبني تميم. وربما كان من أسباب ذلك وجود حرب ونزاع بين مذحج

(١) المهرة: الفرس. والشوهاء من الخيل: الطويلة الرائعة. والبكرة: الفتية من الإبل، وكانت النوق الحمراء تأتي من الحيرة بالعراق.

(٢) إلقاء: جمع لقى، وهو ما طرح على الأرض. وقدة: اسم موضع ماء بوادي الكلاب.

وهمدان آنذاك وكان الحصين يقود مذحج في ذلك الصراع، وكان ذلك من أسباب نهي المأمور الحارثي عن غزو بني تميم، ولكن خمسة من شخصيات بني الحرث بن كعب قرروا المسير لغزو تميم، وهم الرئيس يزيد بن عبد المدان، وعبد يغوث بن صَلَاءَة، ويزيد بن المخرِّم، ويزيد بن هوبر، ويزيد (الرابع)، فلم يجمعوا إلا ثمانية آلاف من بني الحرث بن كعب وسائر مذحج ومعهم جماعة من حلفاء مَذْحج، من قبائل نَهد وجُرم القُضَاعية بمخلاف نجران وسَرَاة أعالي اليمن، قال الأصفهاني «وكان عبد يغوث رئيس بني الحرث ومذحج» والصواب لم يكن رئيس بني الحرث ومذحج عبد يغوث وإنما كان رئيسهم يزيد بن عبد المدان، ولكن عبد يغوث كان من الفرسان والشخصيات ذات المكانة وكذلك كان اليزيدون الثلاثة، وكان رئيس جماعة قضاعة وصاحب اللواء وَعْلة بن عبد الله الجرمي.

فساروا من نجران «حتى إذا كانوا بِتَيَمُن قريباً من الكُلاب، رآهم رجلٌ من بني يربوع يُقال له مشمت كان يرعى إبله، وكان عند خال له من بني سعد، فذهب إلى عشائر سعد والرِّباب في الكُلاب وأنذرهم ـ وأخبرهم بقلّة عدد مذحج والذين معهم ـ فجاؤوا، وقد أغارت مذحج على النَّعَم وساقوها، ورجلٌ منهم يرتجز ويقول:

في كل عام نَعَم نَنْتَابُه ... على الكُلاب غُيَّبٌ أصحابُه

فسمعه غلام ـ شاب ـ من بني سعد، فقال:

في كلّ عام نَعَمٌ يَحْوُونَهُ ... يُلْقِحُهُ قومٌ ويَنْتِجُونَهُ[١]

أَرْبَابه نَوْكَى فلا يحمونه ... ولا يلاقون طِعَاناً دونَهُ[٢]

أنَعَمَ الأبناء تحسبونه ... هيهات هيهات لما تَرْجُونه»

ويدلُّ هذا الشعر على أن بني الحرث بن كعب ومذحج كانوا يُغيرون على تميم ومنطقة الكُلاب كل عام ويأخذون النَعَم، وأنهم كانوا يحسبون أنها نَعَم الأبناء، وقد كان الفُرس الذين باليمن يُقال لهم (الأبناء) مما يشير إلى أن الغارات كانت تستهدف قوافل ونَعَم الفُرس الأبناء، وكانوا يأخذون نَعَم تميم ويحسبون أنّها للأبناء[٣]. فلما

---

(١) ويروى (... تَحْوُونَهُ) وجاء في هامش الأيام أنه (استشهد بهذا البيت صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نَعَم) واستشهد به سيبويه على أن كلمة تحوونه صفة لنعم. واستشهد به صاحب الكشاف على جواز تذكير الأنعام.

وقوله (يُلقِحُه..) يقال: ألقح الفحلُ الناقة إذا أحبلها، ونتج الناقة أهلها إذا استولدوها. وهو يريد: يحملون الفحولة على النوق فإذا حملت أغرتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندكم.

(٢) نوكى: جمع أنوك وهو الأحمق الضعيف التدبير والعمل.

(٣) يقال إن الأبناء عشائر بني سعد التميميين، والصواب أنهم الأبناء الفُرس الذين وهبهم كسرى لسيف بن ذي يزن ثم صار لهم الحكم بصنعاء.

أخذوا نَعَم تميم، وعلمت تميم بقلة عددهم سارت إليهم عشائر الرِّباب التميمية وعليهم نعمان بن جساس رئيس الرِّباب وعشائر بني سعد التميمية وعليهم قيس بن عاصم المنقري. وجاء في الأيام أنه «لما اقترب جَمْعُهما قال ضمرة بن لبيد الحُماسي لقومه مِن مَذْحِج ـ وهم بنو الحرث ـ «انظروا، إنكم ستسْتاقون النَّعَم، فإنْ أتَت الخيلُ عُصَباً عُصَباً، وثَبَتَت الأولى للأخرى حتى تلحق بها فإن أمر القوم هيّن، وإن لحق بكم القومُ فلم ينظروا إليكم حتى يَردُّوا النَّعم ولا ينتظر بعضهم بعضاً فإنّ أمرَ القوم شديد). فجاءت سعد والرِّباب فالتقوا في أوائل الناس ولم يلتفتوا إليهم واستقبلوا النَّعم من قِبَل وجوهه وأخذوا يصرِّفونه بأرماحهم. واختلط القوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما كان آخر النهار قُتِل النعمان بن جساس رئيس الرِّباب، رماهُ وقَتَلَه رجلٌ من أهل اليمن كانت أمّه من بني حنظلة وهو عبد اللّه بن كعب فقال للنعمان حين رماه: (خذها وأنا ابن الحنظلية) فقال النعمان: (ثكلتك أمّك، رُبّ حنظلية قد غاظتني) ـ فذهبت مثلاً ـ» ـ وبعد مقتل النعمان بن جساس لم يزالوا على قتالهم حتى حجزَ الليل بينهم، وبات يحرس بعضُهم بعضاً. فلما أصبحوا كان جمع تميم قد ازداد ـ بِمَنْ وصل وانضم إليهم من قومهم وحلفائهم بنجد ـ وتولى قيادة تميم قيس بن عاصم، وحَمَلوا على بني الحرث بن كعب والذين معهم، فانهزموا، وكان أول من انهزم منهم وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي القُضاعي صاحب اللواء، وتتابعت عليهم الهزائم، وتبعتهم تميم حتى أسروا عبد يغوث بن صَلَاءَة الحارثي» . ـ وبذلك انتهت موقعة يوم الكُلَاب، وكان وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي لما رأى كثرة القوم طرح اللواء وانسحب ونجا هو والذين معه من جرم، وقال وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي في ذلك أبياتاً منها:

نجوتُ نجاءً ليس فيه وتيرة   كأنّي عُقَابٌ عند تَيْمُن كاسرُ

وكذلك انسحب ونجا يزيد بن عبد المدان بفرسانه الألفين ويزيد بن المخرِّم وابن هوبر وابن أليكسُم وأصحابهم، ومسرح الهمداني وأغلب بل كل الذين معهم بينما لم يزل عبد يغوث يُقاتِل حتى وقع أسيراً، وكان قد أَبىٰ النجاة، ويدل على ذلك قوله:

ولو شِئتُ نَجّتْني مِنْ الخَيْل نَهْدَةٌ   تَرى خَلْفَها الحُوَّ الجيادَ تَواليا

وقد شاعت رواية تزعم أن الذي أسر عبد يغوث فتى أهوج من بني عمير، وانطلق به إلى أهله. فقالت له أُم الفتى العَبْشَمِي: مَنْ أنت؟ فقال: أنا سيّد القوم، فقالت: قَبَّحَكَ اللّه من سيد قوم حين أَسَرَكَ هذا الأهوج. بينما الصحيح أنه وقع أسيراً حين أحاط به قيس بن عاصم وفرسان تميم، ثم دفعه قيس بن عاصم إلى

العبشمي لأنّ سعداً والرِّباب تنازعت فيه، «ثم أخذه إلى الأهتم عمرو بن سنان التميمي وهو من أكابر سادات بني تميم. ويُقال إنه ضَمّن للعبشمي وأمّه أن يعطيه مائة من الإبل ليأخذه إلى الأهتم، فانطلق به إلى الأهتم. ولا يصح أن يقول عبد يغوث (أنا سَيِّد القوم) فسَيِّد القوم إنّما هو يزيد بن عبد المدان بن الديان الحارث، وقد تم أخذ عبد يغوث إلى الأهتم، فتنازعت سعد والرِّباب فيه، فقالت الرِّباب (قُتِل رئيسنا. ولم يُقْتَل من بني سعد فارس مذكور، فدفعه الأهتم إلى الرِّباب، فأخذه عصمة بن أبير التَيْمِي إلى عشيرة تيم فحبسوه في بني تيم).

* * *

قصيدة عبد يغوث (ألا لا تَلُوماني):

تقول رواية الأغاني «تَرَكَ عصمة التيمي ابنين له مع عبد يغوث فقالا له: جَمَعْتَ أهل اليمن وجئت لتَصْطَلِمنا فكيف رأيت اللّٰه صنع بك؟ فقال عبد يغوث قصيدته: ألا لَا تَلُومَاني. .» ونرى عدم صواب تلك الرواية لأن القصيدة موجهة إلى أبي كرب والأيهمين وقيس بن معدي كرب الكندي، وإلى بني الحرث بن كعب، وتدل القصيدة على أن بعض رؤساء بني الحرث ومذحج لاموا عبد يغوث لأنه لم ينج بنفسه في يوم الكُلَاب كما نجا الآخرون، فبلغ ذلك عبد يغوث وهو أسير في بني تيم، فقال القصيدة وبعثها مع راكب إلى نجران ـ وربما كان يزيد بن عبد المدان أحد اثنين لاما عبد يغوث ـ فقال وبعث عبد يغوث قصيدته اليائية المشهورة، وقد ذكرت القصيدة أغلب كتب التراث والأدب، حيث ـ كما في كتاب الأمالي ـ «قال عبد يغوث:

أَلَا لا تَلُومانِي كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا ... فَمَا لَكُمَا في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا[1]

أَلَمْ تَعْلَمَا أنّ المَلامة نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ، وما لَوْمِي أخِي مِنْ شِمَالِيَا[2]

فَيَا راكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامايَ مِن نَجْرانَ ألّا تَلَاقِيَا[3]

---

(١) أي كفى اللوم ما أنا فيه، فلا تحتاجون إلى لومي مع ما أنا فيه من الأسر والجهد، وليس لكما ولا لي نفع من هذا اللوم.

(٢) ويروى (وما لومي أخاً من شِماليا) ـ ولعله الأصوب ـ والشِمال: الخُلُق، هو واحد الشمائل.

(٣) تقدير هذا البيت (فيا راكباً إما عَرَضْتَ من نجران فَبَلّغَنْ ندامايَ ألا تلاقيا). والراكب: هو راكب الناقة. وجاء في هامش البيان والتبيين وهامش أيام العرب «عَرَضْتَ أي أتيت العَروض، وهي مكة والمدينة». [ص ١٢٩] ـ وهذا الشرح خطأ، وإنما العروض هي جبل العارض الممتد من أرض اليمامة إلى نجران. قال الحسن الهمداني في الصفة: «عارض اليمامة هو جبل مسيرة أيام، ومنه قضّة بني بكر وتغلب. والمجازة من أرض اليمامة لبني سُلي وبني صُبيح وبني كبير من قبيلة جرْم (القضاعية) ـ فأما سُليْ فهو ابن جَرْم كُبر (أي الأكبر) وبنو كبير من الهون، وصبيح بطنٌ من سُليْ ـ» وقال: «والعارضُ: جَبَلٌ مُنقاد (مسيرة) عشرة أيام، =

أبـا كَـرِبٍ والأيْـهَـمَـيْـنِ كِـلَـيْـهـمـا ... وقَيْساً بأعلى حَضْرَمَوْت اليَمانِيَا[١]

جَزَى اللّـهُ قَوْمِي بالكُلَابِ مَلامةً ... صَرِيحَهُمْ والآخَرِينَ المَوَالِيَا[٢]

ولـو شِئْتُ نَجَّتْني مِنَ الخَيْل نَهْدَةٌ ... تَرَىٰ خَلْفَها الحُوَّ الجِيادَ تَوَالِيا[٣]

ولـكـنَّـنـي أحْـمِـي ذِمـارَ أبـيـكُـم ... وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا[٤]

= يُعارض من خَرج عن نجران أربع مراحل فلا يزال يماشي الإنسان حتى يقطع الفقيء وهو أقصى اليمامة». [ص ٣١١ـ صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني].
وقد سلك الراكب الذي بعث معه عبد يغوث القصيدة مناطق جبل العارض تلك حتى مخلاف نجران ومدينة نجران مقر ومنطقة عبد يغوث وقبيلة بني الحرث بن كعب المذحجية.
وقوله (ندامای من نجران) الندامى: جمع ندمان، وهو المُشارب في جلسات المنادمة والشراب.

(١) قوله (أبا كرب والأيهمين.. وقيساً) قال أبو علي القالي: «أبو كرب والأيهمان من اليمن. وقيس بن معدي كرب أبو الأشعث بن قيس الكندي. وأصل الأيهم الأعمى» [ص ١٣٣/ ٣ـ الأمالي]. وجاء في هامش البيان والتبيين أن (أبا كرب هو بِشْر بن علقمة بن الحارث. والأيهمان، الأيهم الأسود بن علقمة بن الحارث، والعاقب عبد المسيح ابن الأبيض» (ص ٤٥/٣) أما قيس فهو الملك الزعيم أبو الأشعث قيس بن معدي كرب الكندي زعيم كندة وحضرموت، وفيه قال الأعشى:

عُـدّ هـذا فـي قَـريـضٍ غـيـره ... واذكُـرن فـي الـشـعـر دهـقـان الـيـمـن
بـأبـي الأشـعـث قـيـس أنّـه ... يشـتـري الـحـمـد بـمـنـفـوس الـثـمـن

(٢) قوله (جَزَى اللَّه قومي بالكُلاب مَلامَة..» يعني قومه بني الحرث بن كعب. والكُلاب: اسم مكان موقعة يوم الكُلاب. وقد بدأ عبد يغوث بذكر لوم اثنين من رؤساء بني الحرث إياه لعدم نجاته بنفسه في ذلك اليوم، ثم لام ـ هنا ـ بني الحرث جميعهم. قال أبو علي القالي «وقوله: صريحهم، يعني خالصهم. والمَوالي هنا الحلفاء) ـ أي المُوالين ـ ويُروى صدر البيت: «لَحَى اللَّه خيلاً بالكُلَاب دَعَوْتُها». والثابت في أكثر المصادر «جزى اللَّه قومي بالكلاب ملامة».

(٣) قوله (ولو شئت نَجَّتْني من الخيل نَهْدَةٌ) أي لو شئتُ النجاة لنجتني خيلٌ نَهْدَةٌ ـ وهي فرسه ـ قال أبو علي القالي: «والنهدة: المرتفعة. وكلٌّ ما ارتفع يُقال له نَهْد. يُقال: نَهِدْنا للقوم أي ارتفعنا إليهم للقتال. ومنه: نَهدَ ثَدْيُ الجارية إذا ارتفع. وجارية ناهد. وقوله (ترى خلفها الحُوَّ الجياد تواليا) الحوّ من الخيل: التي تضرب للخضرة، والحُوَّة: الخُضرة. قال الأصمعي: إنّما خصّ الحُوّ، لأنها أصبر الخيل وأخَفّها عظاماً إذا عَرِقَت لكثرة الجَرْي). وقوله (تَوَاليا: أي تتبعها، لأن فرسه خفيفة تَقَدّمتِ الخيل». وتواليا: جمع تالية، أي تابعة، والمعنى: إنّ فرسي لخفتها تسبق الحُوّ، فهي تتلو فرسي.

(٤) قوله (أحمي ذِمار أبيكم) الذّمار: ما يجب حفظه من مَنَعة جار أو طلب ثأر أو مكانة وصِيتِ قوم.
وقوله (وكان الرماح يختطفن المحاميا) قال أبو علي «هذا مثل. ويروى: وكان العوالي يختطفن المحاميا» [ص ١٣٣/ ٣] ويعني بالمحامي الذي يُحامي عن الذِمَار، وهو نفسه عندما اختطفته الرماح وحاصرته ـ وهو وحيد ـ فأسرته تميم.

أقولُ وقد شَدُّوا لساني بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَر تَيْم أطلِقُوا لي لِسَانِيَا[١]
أَمَعْشَرَ تَيْم قد مَلَكْتُم فأسْجِحُوا ... فإنَّ أخاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوائِيا[٢]
«فإنْ تقتلُوني تقتلوني سَيِّداً ... وإنْ تُطلقوني تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا»[٣]
أحَقّاً عِبادَ اللَّه أنْ لَسْتُ سَامِعاً ... نَشِيدَ الرِّعاء المُعْزِبِينَ المَتَالِيَا[٤]

---

(١) النِسْعة: سَيْرٌ يُظْفَرُ من الجِلْد، وفي شرح هذا البيت قولان، قال الجاحظ في البيان والتبيين «ويبلغ من شدة خوف القبائل من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم وتخوّفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ويُسَبَّ به الأحياء والأموات، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدُّوا لسانه بِنِسْعَةٍ كما صنعوا بعبدِ يغوثَ الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكُلاب، وهو الذي يقول:

أقول وقد شدوا لساني بِنِسْعَةٍ ... أمعشرَ تَيْم أطلِقوا لي لِسَانِيَا . . إلخ

وكان سألهم أن يُطلقوا لسانَه لينوحَ على نفسه، ففعلوا، فكان ينوح بهذه الأبيات» [ص ٤٥/ ٤] - وجاء في الأغاني وهامش أيام العرب: أنهم شدّوا لسانه بنِسعة مخافة أن يهجوهم، وكانوا سمعوه يُنشد شعراً، فقال: اطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي، فقالوا: إنك شاعر ونحذر أن تهجونا، فعاهدهم ألا يهجوهم فأطلقوا له عن لسانه» (اهـ).

وقال ابن الأنباري وأبو علي القالي في الأمالي أن قوله (وقد شدّوا لساني بنِسْعَةٍ) هذا مَثَل، لأن اللسان لا يُشَدُّ بنِسعة، وإنما أراد: افعلوا بي خيراً ينطق لساني بشكركم فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم» [ص ١٣٣/ ٣ـ الأمالي] - وقد أسَرَ زيد الخيل بن مهلهل الطائي الشاعر الحطيئة وأسر كعب بن زهير وأسر عامر بن الطفيل وكلهم شعراء فلم يشد لسان أي منهم بنِسعة مما يدل على عدم صواب كلام الجاحظ وأن الأصوب ما ذكره القالي بأن هذا مَثَلٌ.

(٢) أمعشر تيم، ويروى (معاشر تيم أطلقوا لي لساني) ومعشر - أو معاشر تيم - هم عشائر (تيم، ومنهم الرِّباب، وهم بنو الرِّباب بن تميم)، وكان أحد ملوك اليمن الحميريين قد سَبَىٰ وأسر عشيرة تيم كلها ثم عفا عنهم، وفي ذلك قال الفرزدق:

تَدْعُون تَيْماً، وتَيْمُ في قُرى سبأٍ ... ما التَّيْمُ يومئذٍ فيكم ولا فينا

قال أبو علي القالي: وقوله (اسْجحوا: أي سهّلوا ويَسِّرُوا في أمري، يُقال: خَدٌّ أسْجَح وطريق أسْجَح إذا كان سهلاً. والْبَوَاء: السَّواء، يريد: إن أخاكم - النعمان بن جساس - لم يكن نظيراً لي فأكون بَوَاءً له، يُقال: بُؤْ بفلان أي اذهب به، يقال ذلك للمقتول بمن قُتِل).

(٣) هذا البيت في الأغاني، ولم يذكره القالي في الأمالي. وجاء في هامش أيام العرب أن «تحربوني: تسلبوني وتغلبوني». وقد عَرَض عبد يغوث عليهم أن يعطيهم مائتين من الإبل فداءً له. وجاء في رواية الأغاني أنه عَرَض على العبشمي تلك الإبل لكي يأخذه إلى الأهتم، وأرسل إلى بني الحرث بن كعب فأتوه بالإبل فأعطاها للعبشمي فأخذه إلى الأهتم، ولكن تلك الرواية غير صائبه، وإنما عَرَض عبد يغوث لبني تيم أن يفدي نفسه بمائتي بعير، فأبوا إلا أن يقتلوه بالنعمان بن جساس.

(٤) الرعاء: جمع راع. والمُعْزِب: المُتنحي بإبله. والمتالي: التي قد نُتِج بعضها وبقي بعض. يقال للجميع مَتَالٍ، واحدتها: مُتْلِيه.

وتَضْحَكُ مِنّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأنْ لم تَرَنْ قَبْلي أسِيراً يَمَانِيَا[١]

وظَلَّ نِسَاءُ الحَيِّ حَوْلِيَ رُكَّداً ... يُرَاوِدْنَ مِنِّي ما تُرِيدُ نِسَائيا[٢]

كأنِّيَ لم أركب جَواداً ولم أقُلْ ... لخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسي عن رِجَالِيَا[٣]

ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقُلْ ... لأيسارِ صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَ نَارِيَا[٤]

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أنَّني ... أنَا اللَّيْثُ مَعْدِيّاً عليه وعَادِيا[٥]

وَقَدْ كنتُ نَحَّارَ الجَزُور ومُعْمِلَ الـ ... ـمَطِيِّ وأمْضِي حيثُ لا حَيَّ ماضيا[٦]

وأنْحرُ للشَّرْبِ الكِرام مَطِيَّتي ... وأصْدَعُ بين القَيْنَتَيْن رِدَائيا[٧]

---

(١) شيخةُ عبشمية: امرأة عبشمية من بني تيم. وقوله «كأن لم تَرنْ قبلي أسيراً يمانياً» - هكذا في الأمالي - أنه «قال الأخفش: كأن لم ترن - بالنون - قال أبو علي: والصواب: ترى بحذف النون علامة للجزم» . - وكذلك في البيان والتبيين والأغاني: (كأنْ لم ترى قبلي أسيراً يمانياً) وأقول (ترن) لهجة ما زالت في بعض مناطق اليمن حتى اليوم. وقد ضحكت العبشمية لأنها لم ترى أسيراً يمانياً قبل عبد يغوث.

(٢) نساء الحي: نساء تيم. وجاء في الأغاني أنه (كان عبد يغوث عظيماً جميلاً) وقد جاء في قصة يوسف بالقرآن «وراودته التي هو في بيتها» فكذلك راودت نساء تيم عبد يغوث الحارثي ولكنه أبىٰ تعففاً وتكرماً لأن ذلك ليس من أخلاق الفرسان.

(٣) جاء ترتيب هذا البيت في البيان والتبيين بعد «وتضحك مني شيخة عبشمية . . إلخ». بينما جاء في كتاب الأمالي في آخر القصيدة مع البيت الذي يليه. ويدل سياق القصيدة على أن ترتيبه هنا. قال أبو علي القالي «وقوله (لخيلي كُرّي نَفّسي) ويروى (قاتلي عن رجاليا) - وأورده الجاحظ في البيان والتبيين «كُرّي كرّةً عن رِجاليا» والأصوب في أغلب المصادر «كرّ نَفّسي عن رجاليا». ونَفّسي: وسّعِي.

(٤) قوله (أسبأ الزّق) السبأ: اشتراء النبيذ. وجاء في هامش أيام العرب أن (الأيسار: الذين يضربون القداح، جمع ياسر).

(٥) مليكة: اسم امرأة عبد يغوث. وعِرسي بمعنى امرأتي.

(٦) الجزور: قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط «الجزور البعير، أو الناقة المجزورة، وجُزُر: ما يُذبَحُ من الشاء واحِدتها: جَزْرَةٌ. وأجْزَرَه: أعطاه شاة يذبحها، والبعير حان له أن يُذبح. والجَزّارُ: من يَنْحَره. والجُزارَة - بالضم - اليدان والرجلان والعُنُقُ»[ص ٤٠٤/ ١- القاموس المحيط).

(٧) قوله (وانحر للشرب الكرام مَطِيتي) - قال أبو علي القالي: «الشَّرْب: جمع شارب. والمَطِيّة: البعير ها هنا. . ويُروى: وأغبِط للشَّرْب: أي انحر مطيتي من غير علة بها. يُقال للرجل إذا مات فجأة: قد اعتُبِط. ويُقال للذبيح: أعَبِيطٌ أم عارضة، والعَبِيط: الذي يُنحرُ أو يُذْبَح من غير علة، والعارضة: أن يذبح من مرض. ومنه قول أُميّة بن أبي الصَّلت:

مَن لم يَمُتْ عَبْطَةً يمت هَرَماً ... للموت كأسُ والمرء ذائقُها»

وجاء في هامش الأيام أن «القَيْنَة: الأمَة مُغَنِّية كانت - كما هنا - أم لا». وقال لبيد في ابن الصبّاح الحميري:

وعلى الذي كانت بِمَسْوَكِل داره ... يَهبُ القِيَان وكل أجرد شاحِ

وكنتُ إذا ما الخيل شَمَّصَها القَنَا لَبِيقاً بتَصْرِيف القَنَاةِ بَنَانِيَا[(١)]

وعادِيَةٍ سَوْمَ الجَرَادِ وزَعْتُها بكَفِّي وقد أَنْحَوْا إليَّ العَوَالِيا[(٢)]

* * *

وقد اندفع بنو تيم فقتلوا عبد يغوث، ويُروى «إنه قال لهم: يا بني تيم اقتلوني قتلة كريمة، فقالوا: وما تلك القتلة؟ قال: اسقوني خمراً ودَعُوني أنحْ على نفسي، فسقوه الخمر وقطعوا له عرقاً يُقال له الأكحل، فجعل ينزف ـ ويُنْشد هذه القصيدة ـ حتى مات».

وكان عبد يغوث قد بعث هذه القصيدة إلى ندمائه في نجران وإلى قيس بن معدي كرب في حضرموت ـ قبل موته ـ فقرأها الراكب الذي بعث عبد يغوث القصيدة معه على ندمائه (أبا كرب والأيهمين) ورجالات بني الحرث في نجران، ثم سار إلى قيس بن معدي كرب الكندي في حضرموت وأنشده هذه القصيدة. قال الجاحظ: «فلما أُنشد قومَه هذا الشِّعرَ، قال قيس: لبّيك وإنْ كُنْتَ أَخَّرتَني»[(٣)] وكذلك جاء في هامش أيام العرب: «إن قيساً لما بلغه هذا الشعر ـ أو هذا البيت ـ قال: لبيك وإن كنت قد أخرتني»[(٣)] لأن عبد يغوث ذكره بعد أبي كرب والأيهمين حيث قال:

فيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغنْ نداماي من نجران ألا تلاقيا

أبا كربٍ والأيهميْنِ كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

فقال قيس بن معدي كرب «لبيك وإن كنتَ قد أخرتني» وربما كان يعني: لبيك لافتداء عبد يغوث بإعطاء قبيلة تميم أموالاً وإبلاً كثيرة لإطلاق سراحه، فلم يكن يتوقع أن تندفع تميم إلى قتل عبد يغوث دون تقدير لعواقب ذلك، وما لبث أن أتى الخبر بأنهم قتلوا عبد يغوث، فغضبت لمقتله بنو الحرث بن كعب وسائر قبائل مذحج، كما غضب لذلك قيس بن معدي كرب الكندي.. وما لبث أن تعرضت عشائر قبيلة تميم وغيرها في مناطق نجد لموجة من الحملات والغارات اليمنية التي اجتاحت مناطق نجد بعد مقتل عبد يغوث، ومنها حملات فرسان بني الحرث بن

(١) شمَّصَها: نَخَّسَها لتتحرك. قال أبو علي «ويروى شَمَّسَها، وهما واحد، والسين أجود. ويروَى: نَفَّرها القَنَا» (اهـ). ـ والقنا: الرماح. واللبيق: من اللباقة.

(٢) العادية: القوم يعدون، من العَدْو وهو الركض. وسَوْم الجراد: أي كَسُوم الجراد وهو انتشاره ـ قال أبو علي القالي: ـ وقوله (وَزَعْتها) أي كفَفْتُها. والوازع: الكافُّ المانع. ويروى أن الحسن البصري لما وُلِّي القضاء قال: لا بُدَّ للسلطان من وَزَعَة» (اهـ).
وانْحَوْا الرماح: أمالوها وقصدوا بها، من النحو وهو القصد. والعالية من الرمح: أعلاه.

(٣) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٤٥/ ٤ـ وأيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٢٩.

كعب ومذحج بقيادة الحصين بن شداد بن قنان الحارثي وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي وقد أشار إليها عمرو بن معدي كرب في قصيدته (يوم فَيْفِ الريح) حيث قال عن فرسان مذحج:

هُمُوا وردوا المياه على تميم ... بألفِ مُدَجَّجٍ شُمْطٍ ومُرْدِ
.. وهُمْ أخذوا بذي المرُّوتِ ألفاً ... يُقَسَّم للحُصَيْن ولابن نَهْدِ
وهُمْ تركوا القبائل مِنْ مَعَدٍ ... ضِبَاباً مُحْجِرين بكل حَرْدِ[1]

وقال الشاعر الجاهلي أعشى قيس في قصيدة مدح بها قيس بن معدي كرب الكندي في تلك الفترة:

وإنّ غَزَاتَكَ مِنْ حَضْرَمَوْت ... أَتَتْني وَدُوني الصَّفَا والرَّجَمْ
مَقَادَك بالخَيْلِ أرض العَدُو ... وجُدْعانِها كلفيظِ العَجَم
تَؤُمُّ ديار بني عامرٍ ... وأنتَ بآلَ عُقَيْلٍ فَغِمْ[2]
أذاقَتْهُمُ الحربُ أنفاسَهَا ... وقد تُكْرَهُ الحَرْبُ بعدَ السَّلْمْ»[3]

ثم عاد السلام مع قبائل تميم وعامر في نجد بعد تلك الحملات وكان آخرها (يوم فَيْفِ الريح) الذي هزمت فيه بنو الحرث بن كعب قبيلة بني عامر وحلفائها بنجد، وكانت وقعة يوم فَيْف الريح وقد بُعث النبي ﷺ بمكة، وسيأتي ذكر يوم فَيْف الريح في شعر مُسْهِر بن يزيد الحارثي.

***

عراقة بيت عبد يغوث في الشعر:

قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني:

«وعبد يغوث من أهل بيت شعر مُعْرِقٍ لهم في الجاهلية والإسلام، منهم: اللجلاج الحارثي وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صَلَاءَة. وأخوه مُسْهِر فارسٌ شاعرٌ وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْف الريح. ومنهم مِمَّن أدرك الإسلام جعفر بن عُلبة بن ربيعة بن الحرث بن عبد يغوث بن معاوية بن صَلَاءَة كان فارساً شاعراً»[4].

---

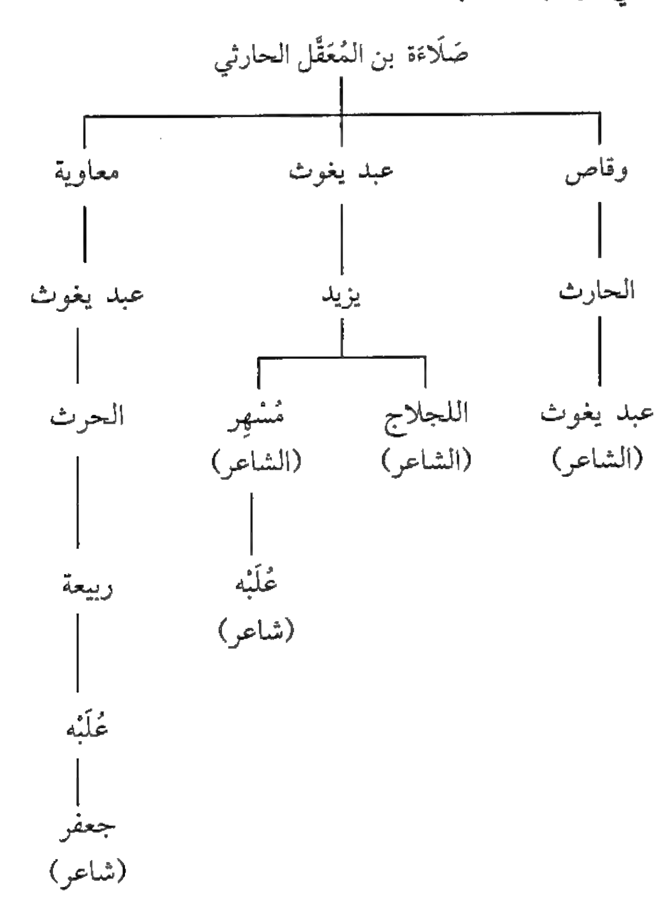
(١) الأبيات في كتاب الأمالي ص ١٤٦/ ٣ ـ وجاء في القاموس المحيط أن «الضَّبُ: سيلان الدم.. ويَضِبُ بالكسر: اللصوق بالأرض» وقوله (بكل حرد) أي (بكل قصد) أي (بكل ناحية).

(٢) ديار بني عامر في نجد. وفغم: من فَغَم بالمكان: أي أقام به.

(٣) ديوان الأعشى.

(٤) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٧٠/ ١٥.

ويعني بقوله (أهل بيت شعر مُعْرِق. .) بني صَلَاءَة وليس بني عبد يغوث، فقد توهَّم صاحب كتاب أيام العرب وقال إن «جعفر بن عُلَبْه. . ينتهي نسبه إلى عبد يغوث الشاعر»[١] وهذا خطأ وإنما ينتهي نسبه إلى (عبد يغوث بن معاوية بن صَلَاءَة). وفيما يلي ترتيب النسب:



فمنهم: اللجلاج طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صَلَاءَة، وهو شاعر جاهلي، من نفس جيل عبد يغوث ومن أبناء عمومته، وله شعر في خزانة الأدب، وهو القائل:

تَـرَاكِـهَـا مِـنْ إِبِـلٍ تَـرَاكِـهَـا أَمَـا تَـرَى الـمَـوْتَ لَـدَى أَوْرَاكِـهَـا[٢]

ومنهم: مُسْهِر بن يزيد بن عبد يغوث بن صَلَاءَة، وهو شاعر جاهلي، من نفس جيل عبد يغوث، وكان مُسْهِر أشهر فرسان اليمن في موقعة فَيْف الريح بنجد

(١) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ٨٥.
(٢) تراك: اسم فعل أمر بمعنى أترك.

ضد قبائل هوازن وفيها طعن عامر بن الطفيل في عينه فانهزم قومه، وفي ذلك قال عامر:

لـعَـمْـرِي ومـا عَـمْـرِي عـلـيَّ بِـهَـيِّـنٍ   لـقـد شَـأَنَ حُـرَّ الـوجـهِ طعنـةُ مُسْـهِـرِ

ومنهم: عُلَبْه بن مُسْهِر. قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي: «وَفَدَ عُلَبْه بن مُسْهِر الحارثي إلى ذي فائش الملك الحميري ..وكان عُلَبْه شاعراً ظريفاً»[1]. وهو أيضاً جاهلي.

ومنهم في الإسلام جعفر بن عُلَبْه، كان فارساً شاعراً، وله قصيدة على وزن قصيدة عبد يغوث، منها قوله:

ألا لا أُبـالـي بـعـد يـوم بِـسَـحْـبَـلٍ   إذا لَـمْ أُعَـذَّبْ أنْ يَـجِـيء حِـمَـامِـيَـا

شَـفَـيْـتُ غَـلِـيـلـي مِنْ خُشَيْنَة بَعْدَمَا   كَـسَـوْتُ هُـذَيْـلَ الـمـشْـرفـيّ الـيـمـانـيـا

* * *

(١) الأمالي: أبو علي القالي ـ ص ١/٢٣.

المبحث «٥٠»

وَعْلَة بن عبد اللّه الجَرْمي

«صاحب اللواء في يوم الكُلَاب وما بعد الكُلَاب»

هو الشاعر والفارس اليمني الجاهلي وَعْلَة بن عبد اللّه بن الحرث بن بَلْع الجَرْمي القُضَاعيّ الحميري صاحب لواء اليمنيين في موقعة يوم الكُلَاب، والقائل عن نجاته في ذلك اليوم في أبيات له:

نَجَوتُ نجاءً لم يرَ الناس مثله كأنّي عُقَابٌ عند تَيْمُن كاسِرُ[١]

والقائل في موقعة تم النصر فيها بعد يوم الكُلاب:

سائِلْ مُجاورَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيتُ لها حَرْباً تُفَرِّقُ بين الجِيرةِ الخُلُطِ[٢]

وهل سَمَوْتُ بجَرّارٍ له لَجَبٌ جَمِّ الصَواهلِ بين الجَمِّ والفُرُطِ[٣]

قال المُبرد: (الجم والفُرُط: موضعان بأعيانهما)[٤] وهما بمنطقة نجد، حيث كانت ديار تميم وهوازن. قال الأصفهاني: «وكان وَعْلة الجَرْمي وابنه الحرث بن وَعْلة من فرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها»[٥].

* * *

نسب وَعْلة.. وقبيلة جَرْم.. ومناطقها:

ووَعْلة الجَرْمي هو «وَعْلة بن عبد اللّه بن الحرث بن بَلْع بن سُبَيْلة بن الهَوْن بن أعجب بن قُدَامَة بن جَرْم»[٥] أي (الجَرْمي) لأن زمن جَرْم قديم وهو ـ كما في تاريخ ابن خلدون ـ «جَرْم بن رَبّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سبأ بن

(١) ويروى صدر البيت (نجوتُ نجاءً ليس فيه وتيرة) وسيأتي ذكر الشعر الذي منه هذا البيت. وتَيْمن اسم مكان بالقرب من الكُلَاب.

(٢) جاء عجز البيت في الكامل (حرباً تُزَيِّل بين الجِيرة الخُلُط).

(٣) جرار له لجب: أي جيش جرار له أصوات عالية، جمّ الصواهل: كثير الخيول. ويروى (يغشى الأماعيز بين السهل والفُرُط).

(٤) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المُبرد ـ ص ١٦١/١.

(٥) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٣٩/١٩.

يشجب بن يعرب بن قحطان»[١] وقال الأصفهاني في الأغاني: (جَرْم ابن الريان وهو علاف وإليه تُنسب الرحال العلافية وهو أول من اتخذها)[٢] والصواب أنه (جَرْم بن ربان) ـ وليس جرم بن الريان ـ قال الحسن الهمداني في الإكليل: « . . أولَدَ عمران بن الحاف بن قُضاعة: حُلوان، فولد حُلوان: تغلب الغلباء، وربان وهو عِلاف ـ بكسر العين ـ وإليه تُنسب الرِحال العِلّافية. قال النابغة:

شُعَبُ العِلافيات بين فروجهم والمحصنات عوازب الأطهار»[٣]

والرَحْل هو ما يُجعل على البعير ونحوه، وقد نُسِبت إليه لأنه أول من اتخذها، ولأن عشيرته كانت تصنعها، قال الأصفهاني: «والرحال العلافية مشهورة عند الناس وقد ذكرتها الشعراء في أشعارها، قال ذو الرُّمَّة:

أحمّ عِلَافيٌّ، وأبيض صارم وأعَيْس مهريٌّ، وأروع ماجِدِ»[٢]

وباسم عِلَاف ـ وهو الربّان ـ سُمِّي وادي علاف بمنطقة صعدة، وقد ذكر الهمداني في الصفة «مخلاف صَعْدَةَ مِنْ بلد خولان قُضاعة» وقال «وأودية صعدة: دمَّاج، والخانق، ورُحبان، والحاويات، وقضان، والغَيْل. . ووادي علاف، وعلاف خير أودية خولان قُضاعة أكرمها كرماً وأكثرها خيراً وزرعاً وأعناباً وماشية، وهو لبني كليب والصعديين»[٤]. ويدل الاسم على أن وادي علاف كان من مناطق عِلاف الربان، وبالتالي جَرم بن ربان، ثم سكنه فيما بعد الإسلام عشائر من خولان قضاعة، تصحف اسمه قليلاً إلى (عُلاف) بالضم، وما يزال معروفاً باسمه، ويقع في غربي مدينة صعدة.

وقد ذكر الهمداني مناطق عشائر وبطون قبيلة جَرْم بن ربان القضاعية بأنه (كانت ديار جُرم متفرقة) وأنه «كان لِجَرم دارٌ بدثينة وأحور، وخاصة لبني دينار وبني سبيلة»[٥] ـ ودثينة وأحور من سرو مذحج بمحافظة أبين حالياً ـ وبنو سبيلة هم رهط الشاعر وَعْلة بن عبد اللّه بن الحرث بن بلع بن سبيلة بن الهون ـ قال الهمداني: «وكان لجَرْم دار ما بين صنعاء ومأرب، وكان لها دار بصعدة في وادي نشور»[٥] ـ ويقع وادي نشور في شمال صعدة ومن ثَمّ إلى مخلاف نجران ـ وتنتشر عشائر

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٣٦.

(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٩/١٣٩.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١/٢٥٧ ـ وجاء في الهامش «شُعَب، الواحدة شُعبة: فَرْج أعواد الرّحل. والعوازب جمع عازب وهي امرأة الرجل».

(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٤٩.

(٥) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٩.

جَرْم بعد ذلك في منطقة جبل العارض المُمتد من نجران إلى اليمامة حيث قال الهمداني: «العارضُ جَبَلٌ مُنقاد ـ مسيرة ـ عشرة أيام يُعارض من خرج عن نجران أربع مراحل فلا يزال يماشي الإنسان حتى يقطع الفقيء وهو أقصى اليمامة» وقال يذكر نفس الجبل «عارض اليمامة هو جبل مسيرة أيام.. والمجازة من أرض اليمامة ـ (أو: من عَارض اليمامة) لبني سلَّى وبني صُبيح وبني كبير من جرم، فأما سُلَّى فهو ابن جُرم كُبْر (أي الأكبر)، وبنو كبير من الهَوْن، وصُبيح بطن من سُلَّى»[١]، وقد سلف في نسب وَعْلة الجرمي أنه من (بني سبيلة بن الهَوْن بن أعجب بن قدامة بن جرم) ـ وقال الهمداني: «فأما مراحل نجران إلى العقيق فأولها الكوكب ثم الحفر، ثم ثلاث مراحل، ثم العقيق وسُمّي عقيقاً لأنه معدن يَعُقُّ عن الذَّهَب وهو لجَرْم وكندة.. والمقترب بين العقيق والفلج لبني نمير وهو من العقيق على مرحلة، ومن نجران إلى العقيق أربع مراحل، ومن العقيق إلى الفلج سبع لطاف.. وطريق العقيق إلى اليمامة على غربي الفلج على عماية وهي لبني عُقيل وبأعلاها غمرة: وادي نخل وآبار لجُرم، ومُطْعِمُ: ماء لجُرم، قالت الجَرْميَّة:

أُحِبّ ثنايا مُطعِم وجِلالهم   وأَنعام جَرْم حيثُ لاح صلِيبُها

أي غارها وأعلاها»[٢]. فتلك هي مناطق جَرْم وكانت تنتشر من مخلاف صعدة ومن أطراف مخلاف نجران إلى أرض اليمامة من العارض ونجد.

* * *

أنباء وشعر وَعْلة الجَرْمي في يوم الكُلاب والأيام التي تلت ذلك:

لقد كان وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي وابنه الحرث بن وَعْلة من فرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها، وقد شهد غزوة يوم الكُلاب مع بني الحرث بن كعب وغيرهم من عشائر مذحج. قال الهمداني (قال كُثَير الخُزاعي:

وهم يوم إخراج الكُلاب تنازلوا   على جمع مَنْ ساقت مُرادُ وحِمْيَرُ

ولم يشهد الكلاب إلا جَرْم بن ربان»[٢] ـ يعني من قبائل حِمْيَر لأن جرم بن ربان من قضاعة بن مالك بن حِمْيَر وكذلك بعض عشائر نهد القضاعية، وقد ذكر ابن الأثير أنه «اجتمعت بنو الحرث من مذحج وأحلافها من نَهْد وجرم بن ربان فاجتمعوا في عسكر بلغوا ثمانية آلاف، وساروا يريدون بني تميم. فحذرهم كاهن من بني

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٠٩.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١/٢١٥ ـ وقال القاضي الأكوع في الهامش «الكلاب: واد من ديار بني تميم من نجد، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم، أعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق».

الحرث، واسمه سلمة بن المَغْفل، وقال: (إنكم تسيرون أعياناً وتغزون أحياناً، وتَرِدون مياهاً جياباً فتلقون عليها ضراباً وتكون غنيمتكم تراباً، فأطيعوا أمري ولا تغزو تميماً فَعَصَوْه»[١]. ولذلك لم تستجب أغلب مذحج وغيرها للمسير في ذلك الغزو فكان كل الذين ساروا ثمانية آلاف غالبيتهم من بني الحرث بن كعب من مذحج ومعهم جماعات من جَرْم ونَهْد. وكذلك جاء في كتاب (أيام العرب) إنهم «كانوا ثمانية آلاف وعليهم أربعة رؤساء كل منهم اسمه يزيد، يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المخرِّم، ويزيد بن ألْيَكْسُم، ويزيد بن هوبر، ومعهم عبد يغوث الحارثي.. وكان وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي صاحب اللواء»[٢].

وقد سلف ذكر ما حدث في تلك الغزوة وأنهم في اليوم الأول تقاتلوا مع قبائل سعد والرِّباب التميمية ـ قال ابن الأثير: «فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحارثي على النعمان بن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله»[١] بينما في رواية الأغاني أن الذي قتل النعمان بن جساس اسمه عبد اللّه بن مالك ولم يكن بين فرسان بني الحرث يزيد بن شداد بن قنان لأن زمنه قديم وإنما يمكن أن يكون (يزيد بن الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي) فيكون هو وليس (يزيد بن أليكسم) رابع الأربعة الذين إسمهم يزيد، لأن رواية الأغاني لم تذكر اسم يزيد أليكسم وليس له أي ذكر في المصادر. وبعد مقتل النعمان بن جساس رئيس الرباب وتميم «اقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون. فلما أصبحوا غدوا إلى القتال، وترأس تميم قيس بن عاصم، وركبت مذحج واقتتلوا، فانهزمت مذحج، وكان أول من انهزم وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي صاحب اللواء»[٢] وقال ابن الأثير «كان أول من انهزم مُدَرِّج الرياح عامر بن عبد اللّه الجرمي وكان صاحب لوائهم»[١] ويستفاد من ذلك أن لقبه كان (مدرج الرياح) أما اسمه فالصواب هو (وَعْلة بن عبد اللّه الجرمي) وقد ذكر سبب ذلك حيث قال:

ولما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقَاعِسَاً ... تنازعني من ثغرة النحر جائرُ

وذلك أنه أثناء القتال مع تميم الذين هم (الرباب وسعد) وصلت قوة من الفرسان دعماً لهم وكانوا ينادون (يا آل مُقَاعِس) أو (يا لمقاعس) وهم قبيلة من تيم، فلما رأى وَعْلة الجَرْمي كثرة تميم ووصول قبيلة مقاعس دعماً لهم استصوب الانهزام ـ أي الانسحاب ـ والنجاة، وقال الأصفهاني: «أما قوله (لما رأيتُ الخيل تدعو مقاعساً) فإن بني تميم لما التقت مع بني الحرث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة (يا آل كعب) فتنادى أهل اليمن (يا آل كعب) فتنادوا (يا آل الحرث)

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١/٣٨١.

(٢) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٢٦.

فتنادى أهل اليمن (يا آل الحرث) فتنادوا (يا آل مقاعس) وتميزوا بها عن أهل اليمن»[١] والأصوب تفسيرنا السابق لأن تميماً إنما هم (تميم بن مرّ بن أد بن طابخة) فليس لهم جدّ اسمه (الحرث) وإنما أدى وصول قبيلة (مقاعس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم) إلى كثرة تميم، فاستصوب وَعْلة الجرامي الانسحاب وكان (طرح وإلقاء اللواء) إشارة للجميع بالانسحاب «فألقىٰ وَعْلة اللواء ونجا» وقد أورد الأصفهاني روايتين تقول إحداهما أنه «لحق رجل من بني سعد بوَعْلة الجرمي فأدركه وعليه مُقَطعات له، فقال له: على يمينك، قال: يساري أقصدُ لي، قال: هيهات منك اليمن، قال: العراق مِنّي أبعد، قال: إنك لن ترى أهلك العام، قال: ولا أهلك أراهم. وجعل وَعْلة يركضُ فرسه فإذا ظن أنّها قد أعيت وثَبَ عنها فَعَدَا معها وصاح بها فتجري وهو يُجاريها، فإذا أعيا وثب فركبها حتى نجا، فسأل عنه ذلك الرجل الذي لحق به فعرف أنه وَعْلة الجرمي فانصرف وتركه»[١]. وقد لحق به ذلك الرجل لأنه كان ـ كما جاء في الرواية ـ «يلتمس أن يأسر رجلاً من ملوك اليمن ليأخذ به فداء، فأدرك وَعْلة الجرمي وعليه مُقطعات له» ـ وهي مُقَطَعات الحَبَرات وهي أثواب ذات تقاطيع من الذهب يرتديها أقيال وكبار اليمن، فلم يتمكن من اللحاق به، وتقول الرواية الثانية «إن وَعْلة بن عبد اللّه الجَرْمي لحقه رجلٌ من بني سعد فعقر به، فنزل (من فرسه) وجعل يحضر على رجليه، فلحق رجلاً من بني نَهْد يقال له سليط بن قتب من بني رفاعة فقال له وَعْلة: أردفني، فأبَى، فطرحه عن قربوسه وركب عليها. .»[١]. بينما في الرواية الأولى لم تُعقر فرس وَعْلة، وإنما كانت كلما تعبت نزل وجرى معها حتى نجا فرسه، فيكون إنما لقي النهدي عندما تعبت فرسه ونزل منها وصاح بها فتجري وهو يجري معها، فلما رأى النهدي طلب منه أن يردفه ـ أي يركب معه ـ فأبَىٰ النهدي، فمضى وَعْلة يجري مع فرسه حتى إذا أعيا وثب فركبها حتى ابتعد من منطقة الكُلاب ومضى إلى منطقته في جبل العارض باليمن.

وقد كان وَعْلة الجرمي سادس ستة يوصفون بالرؤساء بين اليمنيين في غزوة الكُلاب وهم اليزيدون الأربعة وعبد يغوث ووَعْلة. وقد أورد الأصفهاني رواية تقول ما يلي: «كان أهل اليمن يومئذٍ ثمانية آلاف عليهم أربعة يُقال لهم اليزيدون وهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن هوبر ويزيد بن المأمون ويزيد بن المخرِّم، فَقُتِل اليزيدون الأربعة في الوقعة، وأُسِر عبد يغوث. .». [ص ١٤١/١٩]، ورواية الأصفهاني تلك غير صحيحة، فقد انسحب اليزيدون الأربعة مع الفرسان والرجال الثمانية آلاف الذين معهم وكان رئيسهم يزيد بن عبد المدان وقد استمر رئيساً لبني

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٤٠/١٩ وص ٧٣/١٥.

الحرث بن كعب ومخلاف نجران نحو عشرين سنة بعد يوم الكُلاب حيث وَفَدَ يزيد بن عبد المدان إلى النبي ﷺ سنة ١١ هجرية وهو مذكور في السيرة النبوية وتراجم الصحابة[١] فالصحيح هو أن اليزيدين الأربعة انسحبوا مع فرسان ورجالات بني الحرث بن كعب وغيرهم من مذحج وجَرْم بينما امتنع عبد يغوث عن الانسحاب والنجاة حتى وقع أسيراً، لذلك قال:

جزى اللَّهُ قومي بالكُلاب ملامةً ... صريحهم والآخرين المواليا

أو «لحَىٰ اللَّه خيلاً بالكُلاب دَعوتُها ... صَريحهم والآخرين المواليا

لو شئتُ نجَّتْني مِنَ الخيل نَهْدَةٌ ... ترى خلفها الحُوّ الجياد تواليا

ولكنني أحمي ذِمار أبيكم ... وكان الرماحُ يَخْتَطِفنَ المحاميا»

بينما كان رأي وموقف الآخرين ووَعْلة الجرمي هو الانسحاب والنجاة. وقال وَعْلة الجرمي بعد انسحابه ونجاته في غزوة الكُلاب قصيدة وصلتنا منها ثمانية أبيات هي قوله:

ولَمّا رأيتُ الخَيْلَ تَدْعُو مُقاعِسَاً ... تَنَازَعَنِي مِنْ ثغرة النَحْرِ جَائِرُ[٢]

نَجَوْتُ نَجَاءَ لَيْس فيه وتيرة ... كأنّي عُقَابٌ عند تَيْمن كاسِرُ[٣]

خدارِيّة صَقْعاء لَبَّدَ رِيشَها ... بِطَخْفَةِ يَوْمٌ ذو أهاضِيب مَاطِرُ[٣]

وقد قُلْتُ للنَهْديّ هَلْ أنت مُردفِي ... وكيف رداف الفلِّ أمّك عاثِرُ[٤]

فِدَىٰ لكما رَحْليّ أُمّي وخالتي ... غَداة الكُلابِ إذْ تُحَفُّ الدوابِرُ[٥]

فإنْ أسْتَطِع لا تلتبس بي مقاعسٌ ... ولا يَرَنِي بَادِيهُم والحَوَاضِرُ[٦]

ولا تَكُ لي جَرّادةٌ مُضَرِيّةٌ ... إذا ما غَدَتْ قوتَ العيال تُبادِرُ[٧]

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٦٤/ ٤.

(٢) جاء البيت هكذا في الأغاني (ص ١٤١/ ١٩) وجاء في رواية ثانية بالأغاني (٧٣/ ١٥):

ولما سمعت الخيل تدعو مقاعساً ... علمت بأن اليوم أغبر فاجر

(٣) جاء صدر البيت في رواية ثانية بالأغاني: (نجوتُ نجاءً لم ير الناس مثله). وتيمن اسم مكان بالقرب من الكُلَاب. وطخفة: اسم.

(٤) الفلّ: المنهزم والمنسحب.

(٥) الدوابر: الدروع. قال زيد الخيل الطائي:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا ... أبو مَكْنَفٍ قد شَدَّ عَقْد الدوابر

(٦) جاء عجز البيت في رواية ثانية بالأغاني: (ولا يَرني ميدانهم والمحاضرُ).

(٧) قد يكون لهذا البيت علاقة بقول عبد يغوث الحارثي:

ظلّ نساءُ الحيّ حولي رُكداً ... يُراودنَ مني ما تريدُ نسائيا

فَمَنْ كان يرجو في تميم هوادة ... فَلَيْسَتْ لِجَرْمٍ في تَمِيم أواصِرُ

* * *

وعلى النقيض من عبد يغوث الذي لامَه بعض رؤساء بني الحرث لأنه لم يَنْج بنفسه في يوم الكلاب فوقع أسيراً، فقال ردّاً عليهم (ألا تلوماني كفى اللوم ما بيا..) فقد لامت نهدُ وَعْلة الجَرْمي لأنه انسحب ونجا أو لأنه عندما فعل ذلك حَذَىٰ حذوة الجميع فانسحبوا وفَرّوا، ولولا انسحاب وفرار وَعْلة لأمكن هزيمة قبيلة سعد التميمية وكل قبائل تميم، فقال وَعْلة الجَرْمي:

عَذَلَتني نَهْدُ فقُلْتُ لِنَهْدِ ... حين جاشت على الكُلاب أخَاهَا

يوم كُنّا لديهم طير ماءٍ ... (وسِوَانا) صقورها وبزَاهَا

لا تلوموا على الفرار فَسَعْدُ ... يال نَهْدٍ يخافُها مَنْ يَرَاهَا

إنَّمَا هَمَّها الطعان إذا ما ... كره الطعنَ والضِرَاب سِواهَا

(خَذَلَتْ) بِالكُلَابِ حَارُ ابن كعب ... (وبنو كِنْدَة الملوك) أبَاهَا[1]

أسْلَمُوا للمنون عَبْدَ يَغُوثٍ ... ويَعَضُّ الكبولَ حولا يراها[2]

لَيْتَ نَهْداً وجَرْمها ومُراداً ... والمذاحيج ذو أناةٍ نَهَاهَا

عن تميم (فلم تكن) فَقْع قاع ... تَبْتَدِرْهَا رِبابُها ومَنَاها[3]

.. قُلْ لبَكْر العراق (يستر) عمراً ... عمرو قيس فرأي عمرو قَرَاها

عن تميم ولو غَزَتْهَا لكانَتْ ... (يآل قحطان) مُسْتَبَاحاً حِمَاها[4]

وقوله (بكْر العراق) يعني قبيلة بكر بن وائل وكانت منطقتهم تمتد إلى جهة العراق، وبكر بن وائل مِن ربيعة وهم حلفاء لليمن ولقبائل قحطان اليمانية، وقوله (عمرو قيس) هو (الأصم عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني، أحد رؤساء بكر بن

---

(١) هذا البيت فيه تصحيف في رواية كتاب الأغاني لأن (كندة الملوك) لم تشهد يوم الكُلاب وقد يكون أصل البيت (وبنو قَطَن الملوك) أي بني الديان بن قطن الحارثي لأنهم رؤساء بني الحرث بن كعب ومذحج ومنهم يزيد بن عبد المدان بن الديان. ولهم قال عبد يغوث « ولكنني أحمي ذِمَار أبيكم..» . وكذلك قال وعلة: « خذلت بالكُلاب حارُ ابن كعب... أباها» .

(٢) الكبول: القيود. وكلمة (حولا يراها) فيها تصحيف ولم يظهر أصل الكلمة إلا إذا كانت (حولا) بمعنى (حوله) أي يرى الكبول حوله.

(٣) مناها: يعني: (بني زيد مناة بن تميم) .

(٤) كلمة (يستر عمراً) فيها تصحيف ولم يظهر أصل الكلمة. كلمة (يآل قحطان) جاءت في الأغاني (مثل قحطان) والصواب (يآل قحطان) لأن القصيدة موجهة إلى قبائل نهد وجرم ومراد ومذحج القحطانية. وفي رواية الأغاني أبيات فيها تصحيف وتحريف شديد لذلك تركناها.

وائل). وقد ذكر ابن الأثير عن أبي عبيدة «أن بكر بن وائل انتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهَجَر، فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكريٌّ تميمياً إلا قتله ولا يلقى تميميٌّ بكرياً إلا قتله وإذا أصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم»[١] فآنذاك قال وَعْلة الجرمي «قُلْ لبَكْر العراق . . إلخ). وحَذَّرَ بكراً وعمرو بن قيس بأن تميماً لو غزتها لاستباحت حمىٰ بكر ـ ثم «إن تميماً اجتمعت في جمع كثير من بني حنظلة والرِّباب وسعد وغيرهم وساروا لغزو بكر بن وائل، وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي، فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتَقَدَّمُوا وعليهم الأصم عمرو بن قيس بن مسعود ـ البكري ـ فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت تميم وقُتِل أبو الرئيس الحنظلي ومعه بشر كثير من تميم، واجترفت بكر أموالهم وأسروا أسرى كثيرة. وقال الأعشى عن ذلك اليوم:

نحن الذين هزمنا يوم صَبَّحَنَا ... يوم الزويرين في جمع الأحاليف
ظلوا وظلت تكرّ الخيل وسطهم ... بالشِيبِ مِنّا وبالمُرد الغطاريف
تستأنس الشَرَف الأعلى بأعيُنها ... لَمْح الصقور عَلَتْ فوق الأظاليف»[١]

وكانت هزيمة تميم في موقعة يوم الزويرين بعد يوم الكُلاب وبعد شعر وَعْلة الجَرْمي بأمد يسير.

وقد تنادت قبائل مذحج وجرم ونهد لغزو تميم بعد يوم الكُلَاب ومقتل عبد يغوث الحارثي. ما يشير إلى أن كلمة (فلم تكن) قد تكون إنما هي (فلا تكن) وذلك في قول وَعْلة الجرمي:

ليت نهداً وجَرْمَها ومُراداً ... والمذاحيج ذو أناة نَهَاهَا
عن تميم (فلم تكن) فقع قاع ... تبتدرها رِبَابُها ومَنَاها

فالأرجح (فلا تكن) لأن ذلك لا ينطبق على يوم الكُلاب فقد نَهَاهُم المأمور الحارثي عن الغزو فَعَصُوه ومنهم وَعْلة الجرمي، بينما لم ينههم أحد بعد اندفاع تميم بقتل أسيرها عبد يغوث الحارثي فقد تنادوا للغزو وأخذوا يتجمعون لذلك، وكانت قصيدة وَعْلة في ذلك الوقت فيكون الأرجح أنه قال (فلا تكن) وليس (فلم تكن) ويعزز ذلك دعوته إياهم إلى موادعة ومسالمة قبيلة سعد التميمية فتكون الأبيات كما يلي:

ليت نهداً وجَرْمها ومُراداً ... والمذاحيج ذو أناة نَهَاهَا
عن تميمٍ فلا تكن فَقْع قَاعٍ ... تبتدرها ربابها ومَنَاها

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٦٨/ ١ ـ والأظاليف: جمع أظلوفة بالضم وهي أرض فيها حجارة حداد كأنّ خلقتها خلقة جبل.

يـآل قـحـطـان وادعـوا حـيّ سـعـدٍ وابـتـغـوا سِـلـمَـهَـا (وفـضـل نَـدَاهـا)
قـل لـبـكـر الـعـراق (تـسـتـر) عـمـراً، عـمـرو قـيـس فـرأى عـمـرو قَـرَاهـا
عـن تـمـيـم ولـو غَـزَتْـهَـا لـكـانـت (يـآل قـحـطـان) مُـسْـتَـبَـاحـاً حِـمَـاهـا

وما لبث أَن غزت تميمُ بكراً فهزمتها بَكْر بقيادة عمرو بن قيس الهزيمة الشديدة سالفة الذكر في يوم الزويرين وتم دحر تميم إلى منطقتها.

ثم شَنَّتْ كتائب مذحج ومعها فرسان من عشائر جَرْم ونَهْد وخولان القضاعية حملات على قبائل ومناطق تميم، وكان من قادة مذحج وقضاعة فيها الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي ويزيد بن عبد المدان وعمرو بن معدي كرب الزُبيدي وعمرو بن يزيد الخولاني القضاعي وابن النهدي ـ وربما كان معهم وَغْلة الجرمي أو ابنه الحرث بن وَغْلة الجَرْمي ـ فهزموا تميماً في عدة مناطق ومواقع منها يوم الجفار ويوم المرّوت. وقد ذكر ابن الأثير أن (يوم الجفار) كان بين (بني عامر وتميم، فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعَظُم فيها القتل، وكان يوم الجفار يُسمى الصيلم لكثرة من قُتل به من تميم)[1] وقد ذكر الحسن الهمداني في شرح الدامغة ما يدل على أن فرسان قضاعة ومذحج هم الذين قاتلوا وهزموا تميماً يوم الجفار حيث قال شاعر من قُضاعة:

فَـهَـا تـلـك أعـظـم مـا قـد رأيـتُ وكـانـوا الـفـوارس يـومـاً بـحـزوى
بـدار تـمـيـم غـداة الـجـفـار وزرق الأسـنَّـة يـرزيـن رزوَا[2]

وكذلك ذكر ابن الأثير أن (يوم المرّوت) كان بين (تميم وبني عامر) وأن رجلاً من بني عامر يُقال له بَحير بن عبد الله العامري جمع جماعة من بني عامر فغزا بني تميم وهزمهم واستاق السبيْ والنعم[1]. ونرى أن ذلك العامري اشترك مع مذحج وقضاعة في تلك الغزوة. وقد ذكرها عمرو بن معدي كرب الزُبيدي حيث قال عن فرسان مذحج:

وهُـمْ أخـذوا بـذي الـمـرُّوتِ ألـفـاً يُـقَـسّـم لـلـحُـصَـيْـنِ ولابـن نَـهْـدِ[3]

أي أخذوا وسَبَوا ألفاً من تميم في يوم المرّوت. والحصين هو ابن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي قائد بني الحرث بن كعب ومذحج في الحروب وابن نهد

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٧٨ و٣٨٥/١.

(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ وقوله (زُرق الأسنة) أي الرماح اليزنية الحميرية. قال الشاعر (سقينا الأزرق اليزني مِنة.. إلخ).

(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٦/٣.

ـ عمرو بن صُبيح النهديّ فتم قسمة السبيّ التميمي بين الحصين وابن نهد، أي بين فرسان مذحج وقضاعة الذين هزموا تميماً في موقعة يوم المرّوت، وكانت آخر المواقع مع تميم، ثم عاد السلام ـ الذي كان وَعْلة الجرمي يريده ـ مع تميم. وكانت غزوة يوم الكُلاب وتلك المواقع والأيام التي تلتها بعد البعثة النبوية بمكة وقبل الهجرة، أي قبل الهجرة بنحو سبع سنين.

* * *

شعر وَعْلة الذي تَمَثّل به ابن الأشعث وعبد الملك بن مروان:

ومن جيّد وأشهر شعر وَعْلة الجرمي قوله لمجاوري قبيلة جَرْم بمنطقة جبل العارض الممتد ما بين نجران وأقصى اليمامة ـ (وهم قبائل نُمير وعامر بن صعصعة الهوازنية بنجد) ـ:

أَلَمْ تعلموا أني تُخافُ عرامتي ... وأنّ قناتي لا تلينُ على القَسْرِ
أناةً وحِلماً وانْتِظاراً بكم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَرَعِ الغُمْرِ
أظُنُّ خُطوبَ الدَّهرِ بَيني وبَيْنَكم ... سَتَحْمِلُكُمْ مِنّي على مَرْكَبٍ وعْرِ
وإنّي وإيّاكُم كمَنْ نَبّه القَطَا ... ولَوْ لَمْ تُنَبَّه باتت الطَيرُ لا تَسْري

ثم اجتمع فرسان قبائل جَرْم ونَهْد وخثعم ومذحج اليمانية بمناطق ومخاليف أعالي اليمن وشَنّوا هجوماً على قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية ومنها نُمير ـ المجاورة لجَرْم ـ وأثخنوا فيها، وذلك في موقعة يبدو أنّها (يوم فَيْف الريح) فقال وَعْلة:

سائِلْ مُجاورَ جَرْمٍ هل جَنَيتُ لها ... حَرْباً تُزيِّلُ بين الجيرةِ الخُلُطِ
وهل سَمَوْتُ بجرّارٍ له لَجَبٌ ... جَمَّ الصَواهلِ بين الجَمّ والفُرُطِ
حتى تَركْتُ نساء الحيّ ضاحيةً ... في ساحةِ الدارِ يَسْتَوْقِدنَ بالغُبُط

قال الأصفهاني: الشعر لوَعْلة الجَرْمي، والشعر الأول لابنه الحارث بن وَعْلة الجرمي، وقيل إنه لوَعْلة نفسه[1]. ونرى ترابط الشِعْرين وإن كليهما لوَعْلة، وقد يكون الحارث بن وَعْلة قال الشعر الأول ولكن باسم أبيه بحيث كان أبوه هو الذي بعث ذلك الشعر وباسمه إلى بني نمير أو إلى قبيلة عامر بن صعصعة الهوازنية كلها. وقد ذكر الأصفهاني رواية تزعم أن قوله (سائل مجاور جَرْم) يعني قبيلة نَهْد وأنهم قتلوا أخاه فاستعان بحلفاء بني نمير وكانوا له حلفاء فأعانوه حتى أدرك بثأره. وهي نفس الرواية التي زعمت أنّ تميماً قتلت يزيد بن عبد المدان واليزيدين الثلاثة في يوم الكلاب بينما ذلك غير صحيح، وكذلك لم تكن نَهْد تجاور جَرْماً فقد ذكر الحسن

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٤٠/١٩.

الهمداني مناطق جرم في جبل العارض وأنه كانت تجاورهم بنو نمير وغيرهم من قبيلة عامر بن صعصعة بجهات نجد، وقد أسلفنا ذكر نص الهمداني، بينما كانت منطقة نَهْد في مخلاف صعدة والسَرّاة، والدليل الثاني على أن (مجاور جرم) الذين جَنَىٰ لهم الحرب هم قبيلة عامر بن صعصعة الهوازنية بنجد قول الهمداني في الإكليل «اختلطت خولان ونَهْد وجرم بمذحج وسار الجميع إلى لقاء هوازن وبني سُليم ومنها وقعت الحرب»[1] ويدل قول وعلة (جنيتُ لها حرباً . . وسَمَوْتُ بجرارٍ له لجَبُ) بأن ما حدث هو حرب كبيرة بجيش جرار وكثير الصواهل ـ أي الخيول ـ وهو ما حدث في حرب يوم فَيْف الريح بنجد حيث كما ذكر ابن الأثير وكما جاء أيضاً في كتاب أيام العرب (جمع الحصين الحارثي بني الحرث وقبائل زبيد ومُراد وسعد العشيرة وصداء ونَهْد وخثعم، وغزوا بني عامر بن صعصعة، فالتقوا بمكان يُقال له فَيْف الريح، فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام، فانهزمت قبائل بني عامر بن صعصعة الهوازنية ـ وكانت نُمير أول المنهزمين) وسيأتي ذكر تلك الحرب في المبحث الخاص بمسهر الحارثي، فتلك هي الحرب التي جناها وَعْلة الجرمي لبني نُمير وقبيلة عامر بن صعصعة وقال عنها ذلك الشعر في الجاهلية.

وبعد نحو تسعين سنة تَمَثَّل بشعر وَعْلة الأمير عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وعبد الملك بن مروان حيث كان ابن الأشعث أميراً لولاية سِجستان وكان معه جُند البصرة والكوفة فثار ضد الحجاج وسياسته التعسفية بالعراق وضد الخليفة عبد الملك بن مروان، فانضوى تحت لواء ابن الأشعث أمراء وأجناد ولايات كرمان والسند وفارس والأهواز فَخَلَع الحجاج وعبد الملك بن مروان وهزم جيش الحجاج في الأهواز والبصرة سنة ٨١هـ «وكتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج وعبد الملك مبتدئاً، أما بعد، فإنّ مثلي ومثلك ما قال القائل:

سائل مُجاور جَرْمٍ هل جَنيتُ لها ... حرباً تُفَرِّقُ بين الجيرةِ الخُلُطِ
وهل دَلَفْتُ بجَرارٍ له لَجَبُ ... يَغْشَىٰ الأماعيز بين السهل والفُرُط

هذا مثلي ومثلك، فسأحملك على أصعبه، وأريحك من مركبه. فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك. والشعر لوَعْلة الجرمي» (اهـ) وهذه رواية كتاب الأغاني وجاء في الهامش «عن أبي نصر أن البيت الثاني:

وهل سَمَوتُ بجرارٍ له لَجَبُ ... جمّ الصواهل بين السهل والفُرُط

وقال الجوهري: الفُرط واحد الأفراط وهي آكام شبيهات بالجبال، يُقال البوم تنوح على الأفراط» [ص ١٤٠/١٩].

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١/٢٥٠.

وقال أبو العباس المُبرد في كتاب الكامل أن عبد الملك بن مروان كانت عنده جارية جميلة «فلما هَمّ بها أعْلمهُ الآذِنُ أن رسول الحجّاج بالباب فأذِنَ له ونحّى الجارية، فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن ابن الأشعث فيه سطور أربعة (هي):

سائِلْ مُجاورَ جَرْمٍ هل جَنَيتُ لها ... حرباً تُزيِّلُ بين الجيرةِ الخُلُطِ

وهل سَمَوْتُ بجرّارٍ له لَجَبٌ ... جَمِّ الصواهلِ بين الجَمِّ والفُرُطِ

وهل تَركْتُ نساء الحيّ ضاحيةً ... في ساحةِ الدارِ يَسْتَوْقدنَ بالغُبُط

وتحتها بيت ثالث على غير الرويّ في الأبيات الأُول وهو:

قَتَلَ المُلوكَ وصار تحت لوائِهِ ... شَجَرُ العُرى وعَراعِرِ الأقوامِ»[١]

والأبيات الثلاثة الأُولى هي التي لوَعْلة الجُرمي. قال أبو العباس المُبرد: «وقوله بين الجَمِّ والفُرُط: هُما موضعان بأعيانهما. وقوله في ساحة الدار يستَوْقِدْن بالغُبُطِ، فيه قولان متقاربان، أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فَجَعَلْنَ مَراكِبَهُنَّ حَطباً. هذا قول الأصمعي، وقال غيره: بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطاب. والغَبيطُ من مَراكب النساء».

«فكتب عبد الملك إلى الحجّاج كتاباً وجعل في طَيّه جواباً لابن الأشعث:

ما بالُ مَنْ أسْعىٰ لأجْبُرَ عَظمَهُ ... حِفاظاً وينوي من سَفاهَته كَسْري

أظُنُّ خُطوبَ الدَهرِ بَيني وبَينَهُم ... سَتَحْمِلُهُمْ منّي على مَرْكبٍ وعْرِ

وإنّي وإيّاهُمْ كمَنْ نَبّهَ القَطَا ... ولوْ لَمْ تُنَبَّهْ باتت الطَيرُ لا تَسْري

أناةً وحِلماً وانْتِظاراً بهم غَداً ... فما أنا بالواني ولا الضَرَعِ الغُمْرِ»[١]

وجاء في رواية الأغاني أن الشعر الذي جعله عبد الملك بن مروان جواباً لابن الأشعث هو:

أناةً وحِلماً وانْتِظاراً بهم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَرَعِ الغُمْرِ

أظُنّ صُروفَ الدَهر والجهل منهم ... ستحملهم مني على مَرْكبٍ وَعْرِ

وقال الأصفهاني: «الشعر الذي تَمَثّل به ابن الأشعث لوَعْلة الجرمي، والشعر الذي تَمثّل به عبد الملك لابنه الحرث بن وَعْلة.. وقيل أنه لوَعْلة نفسه» (اهـ). وقد بعث عبد الملك بن مروان فيما بعد جيشاً جراراً وجَمّ الصواهل من الشام فهزموا جيش ابن الأشعث في الكوفة بالعراق سنة ٨٢هـ فكان ذلك بمثابة تنفيذ لشعر وَعْلة الجرمي وما قام به في الجاهلية.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المبرد الأزدي ـ ص ١٦٠ ـ ١٦١ جـ ١.

المبحث «٥١»

الحارث بن وَغْلة الجَرْمي

«أحد الشعراء الحكماء في الجاهلية»

هو الشاعر اليمني الجاهلي الحارث بن وَغْلة بن عبد اللّٰه الجَرْميّ القُضَاعيّ الحِمْيَريّ، وهو من الشعراء الحكماء في الجاهلية، ومن شعره الذي تتجلى فيه الحكمة قوله:

لا تَأمَنَنْ قوماً ظَلَمْتَهُم ... وبدأتَهُمْ بالشَّتْم والرَّغْمِ
أَنْ يأبِرُوا نَخْلاً لغَيْرِهِمُ ... والشيء تَحْقِره وقد يَنْمِي
وزَعَمْتُمُ أنْ لا حُلُوم لنا ... إنّ العصا قُرِعَتْ لِذي الحِلْم
.. وحَلَبْتُ هذا الدهر أشْطُرَه ... وأتيتُ ما آتي على عِلْمِ [(١)]

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: «قال الحارث بن وَغْلة:

وزَعَمْتُم أنْ لا حُلُوم لنا ... إنَّ العصا قُرِعت لذي الحِلْم»

وجاء في هامش البيان والتبيين: «هو الحارث بن وَغْلة بن عبد اللّٰه الجَرْميّ، كان هو وأبوه وَغْلة من فرسان قُضاعة وأنجادها وشعرائها»[(٢)].

تبيين قوله (إنّ العصا قُرِعتْ لذي الحِلْم):

إن قول الحارث بن وَغْلة (إنّ العصا قُرِعتْ لذي الحِلْم) يُروى أيضاً (لذي الحُكْم) وقد توهم وقال البعض ومنهم الجاحظ أنه (عامر بن الظرب العدواني) والصحيح أنه (عمرو بن حُمَمَة بن رافع الدَّوْسي الأزدي اليماني) وكان عالماً حكيماً قاضياً حليماً بمنطقة دوس في سراة أعالي اليمن، وكان الناس يأتون إليه من بقية أرجاء اليمن وجزيرة العرب فينقادون لحكمه.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة ابنه (جَنْدب بن عمرو بن حُمَمَة) بكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة): «كان أبوه ـ عمرو بن حُمَمَة ـ من حُكام العرب في الجاهلية وأحد المُعَمّرين.. وكان يُقال له ذو الحُكْم، وضربت العرب به المثل في

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٦٢/ ١.
(٢) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ص ٣٨/ ٣.

قرع العصا لأنه بعد أن كبر صار يَذْهل فاتخذ له من يوقظه فيقرع العصا، وإليه أشار الحارث بن وَعْلة بقوله:

إنّ العصا قُرِعتْ لذي الحُكْم

وقال الفرزدق: كأنّ العصا كانت لذي الحُكْم تُقْرَعُ(١).

وقال آخر: لذي الحُكم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا(١).

قال ابن حجر: وسُئل ابن عباس عن قول الشاعر: (لذي الحكم قبل اليوم ما تُقْرَع العصا) فقال ابن عباس: ذاك عمرو بن حُمَمَة الدوسي قضى بين العرب ثلاثمائة سنة فكبُر فكان إذا غَفَل قُرِع له بالعصا»(٢). وقد وقع تصحيف والتباس في القول «ثلاثمائة سنة» وإنما هو (ثلاث ومائة سنة). وجاء في كتاب الأمالي أنه «كان عمرو بن حُمَمة الدَّوْسي أحدُ مَنْ تتحاكم إليه العرب، ومَرّ بقبره الهِدْم ابن امرىء القيس بن الهِدْم.. فقال:

لقد ضَمَّتِ الأثراءُ منك مُرَزَّا عَظيمَ رَماد النار مُشْتَرِكَ القِدْر
حليماً إذا ما الحِلْم كان حَزَامةً وَقُوراً إذا كان الوقوفُ على الجَمْر»(٣)

وقال حاطب بن قيس في قصيدة رثى بها عمرو بن حُمَمَة:

وقد كنتَ تُمضِي الحُكْم غير مُهَلِّل إذا غال في القَوْل الأَبَلُّ الغَشَمْشَمُ(٤)
.. فلو نَطَقَتْ أرضٌ لقال ترابُها إلى قبر عمرو الأزد حَلَّ التَّكَرُّمُ(٣)

وقد عرف الحارث بن وَعْلة عمرو بن حُمَمَة الدوسي عندما كان الناس يتحاكمون إليه وينقادون لحكمه واشتهر بأنه (ذو الحُكْم) وكان (حليماً إذا ما كان الحِلْم في الناس حَزَامةً ونادراً) فاشتهر بأنه (ذو الحلم) كما عرفه عندما كبر وصار يَذْهَل أحياناً فتقرع له ابنته ـ أو ابنه ـ العصا فينتبه ويستجمع حلمه وحكمته، ثم وقعت قضية بين الحارث بن وَعْلة وبعض عشائر قومه فاتهموه بأنه غير حليم في تلك القضية ولذلك قال:

وزعمتُمُ أنْ لا حُلُوم لنا إنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلْم

أو (لذي الحكم). وقد يعني أن زعمكم بأن لا حلوم لنا كان يستوجب منكم

---

(١) ويروى (لذي الحلم).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٩/ ١ـ وص ٥٣٣/ ٢.

(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٥/ ٢.

(٤) قال أبو علي القالي «المُهَلِّل: المُتوقِّف. والأبَلُّ: الظَّلوم. والغَشَمْشَم: الذي يركَب رأسه لا يَثْنيه شيء عَمّا يحبُّ ويَهْوَى».

تنبيهنا إلى ما تعتبرونه غير حليم أو غير حكيم لأن العصا قُرِعَتْ لذي الحِلم والحُكم عمرو بن حُمَمَة الدوسي. فاشتهر من شعره قوله: (إنّ العصا قُرِعَتْ لذي الحِلم) وصار مثلاً.

* * *

أبيات الحارث بن وَعْلة التي تَمَثَّلَ بها عبد الملك بن مروان:

وقد وقعت في الجاهلية قضية - أو مشكلة - بين جَرْم وبين جيرانهم من بني نمير وعامر بن صعصعة في تخوم منطقة جبل العارض بين أعالي اليمن ونجد، فقال الحارث بن وَعْلة شعراً ذكر الأصفهاني «أن الشعر للحارث بن وَعْلة الجَرْمي. وقيل إن الشعر لوَعْلة نفسه»[1] والمشهور أن الشعر للحارث بن وَعْلة وإنما قد يكون أرسل الشعر إلى القوم باسم أبيه ولذلك قيل إن الشعر لوَعْلة الجَرْمي. وقد نقل الأصفهاني عن الكراني والعُمَري والعتبيّ أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي عامل العراق «إن مِثْلي ومثل ابن الأشعث ما قال القائل:

أناةً وحِلْماً وانتظاراً بكم غداً ... فما أنا بالوَاني ولا الضرع الغُمْرِ

أظن صروف الدهر والجهل منهم ... ستحملهم مِنّي على مركبٍ وَعْرِ

قال الأصفهاني: والشعر الذي تمثل به عبد الملك بن مروان للحارث بن وَعْلة»[1].

والبيتان من قصيدة للحارث بن وَعْلة ذكر الأصفهاني منها أربعة أبيات فيها غناء لابن جامع وسياط - أي كان يُغَنِّيها المُغَنِّي ابن جامع والمُغَنِّي سياط - بالترتيب التالي:

ألم تَعْلَموا أنّي تُخَافُ عَرَامَتي ... وأنّ قَنَاتي لا تلِينُ على القَسْرِ

وأنّي وإياكم كَمَنْ نَبَّهَ القَطَا ... ولو لَمْ تُنَبَّهْ باتت الطيرُ لا تَسْرِي

أناةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهر والجهل منكم ... ستحملكم مني على مركب وَعْرِ»

وتختلف بعض الكلمات وكذلك الترتيب في كتاب الكامل لأبي العباس المُبرد حيث ذكر أن عبد الملك بن مروان تَمَثّل بأربعة أبيات من القصيدة وهي:

«ما بالُ مَنْ أسْعَىَ لأجْبُرَ عَظمَهُ ... حِفاظاً ويَنوي مِنْ سَفاهَته كَسْري

أظُنُّ خُطوبَ الدَّهرِ بَيني وبَينَهُم ... سَتَحْمِلُهُمْ مني على مَرْكَبٍ وَعْرِ

وأنّي وإيّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ القَطَا ... ولَوْ لَمْ تُنَبَّهْ باتَت الطَيرُ لا تَسْري

(١) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ص ٩/١٣٩.

أناةً وحِلماً وانتِظاراً بِهِم غَداً فما أنا بِالْوَاني ولا الضَرَعِ الغُمْرِ»[١]

والقطا: طَيْرٌ يكون في شواطىء الأنهار وعلى غصون في الأنهار والمياه الكثيرة فإذا نُبِّه إحداها تنبهت وطارت وسَرَت جميعها. وهذا بمثابة مثل. وقوله: (فما أنا بالوَاني ولا الضَرَعِ الغُمْرِ) الوَاني: الذي يتعب. والضَرَعُ: الرجل الضعيف. والغُمْر: الذي ليس عنده خبرة وتجربة، قال قُطرب (والغُمْرُ شخصٌ ما درى شيئاً ولم يُجَرِّبْ). وقال قُطري بن الفُجاءة والحَجّاج الثقفي عن الأمير المُهَلّب بن أبي صُفْرَة الأزدي: «المُهَلّب ـ والله ـ كما قال لَقيطُ الأيادي:

وقَلّدوا أمركم لِلّه دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِراع بأمر الحَرْبِ مُضْطَلِعَا

. . ما زال يَحلُبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ يكون مُتَّبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعَا

حتى استمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُهُ مُسْتَحْكِم الرأي لا قَحْماً ولا ضَرَعَا[٢]

وكذلك قول الحارث بن وَعْلة (فما أنا بالوَاني ولا الضَرَعِ الغُمر) فقد يكون الوَاني بمعنى الشيخ الكبير المُتعب فيرادفُ (القَحْمُ: وهو آخر سن الشيخ. والضَرَع: الصغير الضعيف). وقال الحارث بن وَعْلة «وحَلَبْتُ هذا الدهر أشْطُرَهُ» وكذلك قول الأيادي «ما زال يحلُبُ هذا الدهرَ أشطُرَهُ يكون مُتَّبِعاً طوراً ومُتَّبَعاً» قال المُبرد: «أي قد اتَّبَعَ الناس فعلم ما يَصْلِحُ الرئيس، كما قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: قد أُلْنا وإيلَ علينا، أي قد أصلحنا أمور الناس وأُصْلِحَتْ أُمورُنا».

* * *

القصيدة الميمية للحارث بن وَعْلة:

ومن مختارات الشعر في كتاب الأمالي أبيات من قصيدة ميمية للحارث بن وَعْلة اختارها أبو بكر بن دريد وأبو علي القالي وهي «قال الحارث بن وَعْلة الجَرْمي:

قَومِي هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أخي فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فلئِنْ عَفَوْتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولئنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي[٣]

لا تأمَنَنْ قوماً ظَلَمْتَهُمُ وبَدَأتَهُمْ بالشَّتْمِ والرَّغْمِ[٤]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ـ أبو العباس المُبَرد الأزدي ـ ص ١٦١/١.

(٢) قال المُبرد «قوله: على شزر مريرته، فهذا مَثلٌ، يُقال: شزرتُ الحبل إذا كررت فتله بعد استحكامه. والمريرة: الحبل».

(٣) لأعفون جللاً: أي لأعفون عن أمر عظيم. ولئن سطوتُ على قومي سأوهِن وأضْعِفُ عظمي أي نفسي لأنهم قومي.

(٤) جاء في الهامش أنه «في كتاب اللسان: رغماً دغماً شِنَّغْماً: كل ذلك اتباع» (اهـ) فكأنه يعني أتبعت الشتم بالشتم.

أَن يَـأْبِـرُوا نَـخْـلاً لِـغَـيْـرِهِـم والـشـيء تَـحْـقِـرَه وقـد يَـنْـمِـي [١]
وزَعَـمْـتُـمُ أنْ لا حُـلُـومَ لَـنَـا إنَّ الـعـصـا قُـرِعَـتْ لِـذِي الـحِـلْـم
وَوَطِـئْـتَـنَـا وَطْـئـاً عـلـى حَـنَـقٍ وَطْءَ الـمُـقَـيَّـد نـابـت الـهَـرْم [٢]
وتَـرَكْـتَـنـا لَـحْـمـاً عـلـى وَضَـمٍ لـو كُـنْـتَ تَـسْـتَـبْـقِـي مِـن الـلـحـم» [٣]

قال أبو علي القالي: «وأنشدني أبو بكر بن دريد للحارث بن وَعْلة:

أَلآنَ لَـمَّـا ابْـيَـضَّ مَـسْـرُبَـتِـي وعَـضِـضْـتُ مِـنْ نَـابِـي عـلى جِـذْم [٤]

والمَسْرُبة؛ الشَعْر المُسْتَدِقُّ من الصدر إلى السرة»[٥]. وبعد هذا البيت:

وحَـلَـبْـتُ هـذا الـدهـرَ أَشْـطُـرَه وآتَـيْـتُ مـا آتـي عـلـى عِـلْـم
تـرجـو الأعـادي أن أَلـيـنَ لـهـا هـذا تَـخَـيُّـلُ صـاحـب الـحُـلْـم [٥]

وتدل هذه الأبيات على أنه قالها وهو كبير السن ـ ربما ناهز السبعين عاماً ـ وقد أدرك الحارث بن وَعْلة البعثة والهجرة النبوية ولم يأت ذكره بين الذين وَفَدوا على النبي ﷺ وأسلموا من رجالات قُضاعة وغيرهم من قبائل اليمن سنة ٧ هجرية وسنة ٩هـ مما يدل على أنه مات في الجاهلية أي قبل انتشار الإسلام، فتكون وفاته حوالي عام ٦٢٥م.

---

(١) أي (أن يأبروا نخلاً فالنخل لغيرهم) وقوله (والشيء تحقره وقد ينمي) هذا مثل كما يُقال (مُسْتَعْظَم النار من مُسْتَصْغَرِ الشَرَر).

(٢) يُقال أوطأه عشوة، إذا حمله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد. والهَرْم: نوع من النبات ربما لا ينمو إذا قُيِّد.

(٣) الأمالي: ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٦٢ جـ ١.

(٤) جاء في الهامش «يريد: كبرتُ حتى أكلتُ على جذم نابي».

(٥) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٦٩ جـ ٢.

المبحث «٥٢»

عَمْرو بن حُمَمَة الدَّوْسِيّ

«ذو الحُكْم.. وذو الحِلْم.. في الجاهلية»

هو العالم الحكيم والأديب اليمني الجاهلي عمرو بن حُمَمَة بن رافع بن الحارث بن ربيعة بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن دهمان بن دَوْس ـ الدَّوْسِيّ[(١)] ـ قال ابن خلدون: «ودَوْس هو: دوس بن عُدْثان ـ بالثاء ـ بن عبد اللّه بن زهران بن كعب بن الحرث بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان»[(٢)].

وعن عمرو بن حُمَمَة قال أبو علي القالي: «كان عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسي أحد مَنْ تتحاكم إليه العرب»[(٣)] وقال ابن حجر العسقلاني: «كان عمرو بن حُمَمَة من حُكام العرب في الجاهلية.. وكان يُقال له ذو الحكم، وضربت العرب به المثل في قَرْع العصا.. وإليه أشار الحارث بن وَعْلة بقوله: إن العصا قُرِعَتْ لذي الحُكْم.. وكان عمرو بن حُمَمَة مُعَمَّراً وهو الذي يقول:

أُخَبِّرُ أخبار القرونِ التي مَضَتْ ... ولا بدّ يوماً أن أُطار لِمَضْرعي

وقال المرزباني في معجم الشعراء: كان عمرو بن حُمَمَة أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المُعَمّرين، يُقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة، وهو القائل:

كبرتُ وطال العمر مِنّي كأنني ... سليم أفاع ليله غير مودع»[(٤)]

وبعد هذا البيت أربعة أبيات سيأتي ذكرها، وقد وقع التباسُ في القول بأنه (عاش ثلاثمائة وتسعين سنة) وكذلك في قول الأصفهاني: «كان عمرو بن حُمَمَة حاكماً على دوس ثلاثمائة سنة..»[(٥)]. وفي الرواية عن ابن عباس بأنه «قَضَىٰ بين

---

(١) يمانيون في موكب الرسول ـ محمد الفرح ـ ص ١٥.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٢٣ و١٤٣.
(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٣/ ٢.
(٤) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٩/ ١ ـ وص ٥٣٣/ ٢.
(٥) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٣٣/ ٢١.

العرب ثلاثمائة سنة»[١] فأصل ذلك إنما هو (ثلاث ومائة سنة) وأنه عاش (مائة سنة وتسع سنين) ولم يصلنا من شعره إلا الأبيات التي ذكرها المرزباني في معجم الشعراء والتي قالها في أواخر عمره، ولكن ما ذكره المؤرخون عنه والقصائد التي رثاه بها ثلاثة شعراء يمانيين تفتح آفاقاً واسعة من المعرفة عن جانب من الحياة الأدبية والفكرية باليمن في العصر الحميري والجاهلية.

* * *

أقوال والد عمرو بن حُمَمَة في مجلس ملك حِمْيَر:

لقد كان مولد عمرو بن حُمَمَة في حوالي عام ٥٠٠ ميلادية، كان أبوه ـ حُمَمَة بن رافع الدوسي ـ من حكماء اليمن في الفترة التي عاشها من عصر الدولة الحميرية، وقد ذكر الحسن الهمداني مناطق قبيلة دوس وأنها في منطقتين من اليمن إحداهما منطقة ردمان ـ بمحافظة البيضاء حالياً ـ حيث قال إن مناطق «ردمان: نَوعة لِجُران وهم من حِمْيَر. المسْمَق الأعلى والمسْمَق الأسفل لبني مُلَيْك وهم من حمير[٢] حَرْية للرَّمسيِّين ولهم ذو القَعقاع وهُم مِن شبْثان مِن ناحية (مراد). عَقْد والصدر وذو جزر: لبني عبد من حِمْيَر[٢] حصنان واديان للمرّيين وهُم من مُراد. أُطام: لبني صائد مِنْ الأزد مِنْ ولد دَوْس..»[٣]. والمنطقة الثانية التي تسكنها دَوْس في سَرَاة عسير بأعالي اليمن حيث قال الهمداني «أرض السَرَاة ـ مِنْها ـ سَرَاة بَجِيلة والأزد بن سلامان، وألمع، وبارق، ودوس، وغامد، والحَجْر، إلى جَرْش»[٣]. فمناطق دوس هي في ناحية ردمان ـ بمحافظة البيضاء ـ وفي سَرَاة أعالي اليمن.

وكان من رؤساء قبيلة دَوْس وحكماء اليمن حُمَمَة بن رافع الدَّوْسي وقد عاصر عدداً من ملوك الدولة الحميرية يمكن القول أنّ منهم أسعد الكامل بن حسان الذي حكم في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) إلى الملك سُمَيْفَع الأول (٥٠٠ ـ ٥١٤م) والملك سُمَيْفَع الثاني ذو الكلاع (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) وفي مجلس أحد أولئك الملوك جرى حديث بين الحكيمين عامر بن الظرب ورافع بن حُمَمَة ـ وربما كان عمرو بن حُمَمَة حاضراً ـ فأمَرَ الملك بتدوين الحديث لما فيه من حكمة وتجربةٍ وحَثٍ على المكارم، وقد تناقلت الأجيال ذلك ونقله أبو علي القالي في كتاب الأمالي وهو:

---

(١) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ١/٢٤٩ ـ وص ٢/٥٣٣.

(٢) المسمق الأعلى والمسمق الأسفل: بلدتان بالقرب من الطفة وشرق مركز السوادية. عَقْد: بلدة في الشمال الشرقي من السوادية وعدادها في آل عواض. والصدر: قرية آهلة بالسكان جوار عقد وهي من آل عواض. ومما يليها أُطام منطقة دوس.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٧ و٢٥٨.

«اجتمع عامر بن الظَّرِبِ العَدْوانيُّ وحُمَمَةُ بن رافع الدَّوْسي عند مَلِكٍ من مُلوك حِمْيَر، فقال الملك: تَسَاءلا حتى أسمع ما تقولان. فقال عامر لحُمَمَة: أين تُحِبُّ أن تكون أياديك؟ قال: عند ذِي الرَّثْيَة العَديم، وذي الخَلَّةِ الكريم، والمُعْسِر الغَرِيم، والمُسْتَضْعَف الهَضِيم[1].

قال: مَنْ أحَقُّ الناسِ بالمَقْتِ؟ قال حُمَمَة: الفَقِير المُخْتال، والضَّعِيفُ الصَّوَّال، والعَيِيُّ القَوَّال.

قال: فَمَنْ أحَقُّ الناسِ بالمَنْع؟ قال حُمَمَة: الحَرِيصُ الكانِد، والمُسْتَمِيد الحاسِد، والمُلْحِفُ الواجِد[2].

قال: فَمَنْ أجدَرُ الناس بالصَّنِيعة؟ قال حُمَمَة: مَنْ إذا أُعْطِيَ شَكَر، وإذا مُنِعَ عَذَر، وإذا مُوطِلَ صَبَر، وإذا قَدُمَ العَهْدُ ذَكَر.

قال: مَنْ أكرمُ الناس عِشْرة؟ فقال حُمَمَة: مَنْ إن قَرُبَ مَنَحْ، وإن بَعُدَ مَدَحْ، وإنْ ظُلِمَ صَفَحْ، وإنْ ضُويِقَ سَمَح.

قال: مَنْ ألأمُ الناس؟ فقال حُمَمَة: مَنْ إذا سَأَلَ خَضَع، وإذا سُئِلَ مَنَعَ، وإذا مَلَك كَنَع، ظاهرُه جَشَع، وباطنُه طَبَع[3].

قال: فَمَنْ أَحْلَم الناس؟ قال حُمَمَة: مَنْ عَفَا إذا قَدَر، وأَجْمَلَ إذا انْتَصر، ولم تُطْغِه عِزَّةُ الظَّفَر.

---

(١) قال أبو علي القالي: «الرَّثْيَةُ: وَجَعُ المفاصل واليدين والرجلين، قال أبو عبيدة: أنشدتُ يونس النحوي:

ولِلْكَبِيرِ رَثَيَاتٌ أرْبَعُ ... الرُّكْبَتانِ والنَّسَا والأخْدَعُ

فقال: أي واللّه، وعشرون رَثْيَة.

والخَلَّة: الحاجة. والخُلَّة: الصداقة، يُقالُ: فلان خُلَّتِي، وفُلانةُ خُلَّتِي، الذكر والأنثى فيه سواء. والخَلُّ: الطريق في الرَّمل. والخَلُّ: الرجل الخفيف الجسم.. والخَلِيل أيضاً المُحتاج، قال زهير:

وإنْ أتاه خَلِيلٌ يوم مَسْألَةٍ ... يَقُول لا غائِبٌ مالي ولا حَرِمُ

(٢) قوله: الحريص الكاند، قال أبو علي «الكاند: الذي يكفُر النعمةَ. والكَنُود: الكَفُور؛ ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّه لَكَنُودٌ﴾ وقوله: المستميد الحاسد «المُسْتَمِيدُ مثل المُسْتَمِيرِ وهو المُسْتَعْطِي؛ ومنه اشتقاق المائدة لأنها تُمادُ، ولا تُسمَّى مائدة حتى يكون عليها طعام، فإذا لم يكن عليها طعام فهي خِوانٌ وخُوَان» .

(٣) قوله: إذا مَلَكَ كَنَعْ. قال أبو علي (كَنَع: تَقَبَّض، يُقال قد تكَنَّع جلدُه إذا تَقَبَّضَ، يريد أنه مُمْسِك بخيل) .

وقوله: ظاهره جَشَع وباطنه طَبَع (الجَشَعُ: اسْوَأُ الحِرْص. والطَّبَعُ: الدَّنَس)

قال: فَمَنْ أَحْزَمُ الناس؟ قال حُمَمَة ـ أَحْزَمُ الناس ـ مَنْ أَخَذَ رِقابَ الأمُور بيَدَيْه، وجعل العواقبَ نُصْبَ عينيه، ونَبَذَ التَّهَيُّبَ دَبْرَ أُذُنَيْه[١].

قال: فَمَنْ أَخْرَقُ الناس؟ قال حُمَمَة: مَنْ رَكِبَ الخِطَار، واعْتَسَفَ العِثَار، وأَسْرَعَ في البِدار قبل الاقتدار[٢].

قال: فَمَنْ أَجْوَدُ الناس؟ قال حُمَمَة: ـ أجودُ الناس ـ مَنْ بَذَلَ المجهُود، ولم يَأسَ على المعهود.

قال: فمَنْ أَبْلَغُ الناس؟ قال حُمَمَة ـ أبلغُ الناس ـ مَنْ جَلَّى المعْنَى المَزِيز باللفظ الوَجِيز، وطَبَّقَ المِفْصَلَ قَبْلَ التَّحرِيز[٣].

قال: مَنْ أَنْعَمُ الناسِ عَيْشاً؟ فقال حُمَمَة: مَنْ تَحَلَّى بالعَفاف، ورَضِيَ بالكَفَاف، وتجاوَزَ ما يَخافُ إلى ما لا يَخَاف.

قال: فَمَنْ أشْقَى الناس؟ قال حُمَمَة: مَنْ حَسَدَ على النِّعَم، وتَسَخَّط على القِسَم، واسْتَشْعَر النَّدَم على فَوْتِ ما لم يُحْتَم.

قال: مَنْ أغْنَى الناس؟ فقال حُمَمَة: مَنِ اسْتَشْعَر الياس، وأَبْدَى التَّجَمُّل للناس، واسْتَكْثَر قليلَ النِّعَم ولم يَسْخَط على القِسَم.

قال: فَمنْ أحْكَمُ الناس؟ قال حُمَمَة ـ أحكمُ الناس ـ مَنْ صَمَتَ فادَّكَرْ، ونَظَرَ فاعْتَبرْ، ووُعِظ فازْدَجَرْ»[٤].

* * *

أنباء ذي الحُكْم عمرو بن حُمَمَة:

وقد صار عمرو بن حُمَمَة من الرؤساء والحُكام القُضاة والحكماء العلماء بعد أبيه ـ حُمَمَة بن رافع ـ منذ ما قبل البعثة بأكثر من خمسين سنة، وكان مقره في منطقة دوس بمخلاف نجران والسَراة بأعالي اليمن، فقد ذكر الأصفهاني أنه «كان حاكماً على دَوْس» ـ أي رئيساً لقبيلة ومناطق دَوْس سواء في ردمان البيضاء وفي السَراة ولكن مقره كان في منطقة دَوْس بِسَرَاة أعالي اليمن حيث كان مقر عبادة (ذي الكَفَّيْن) وهو صَنَمٌ اتخذه عمرو بن حُمَمَة وجعله معبوداً لقبيلة دَوْس، وقد ذكرته

---

(١) قوله: نَبَذَ التهيُّبَ دَبْرَ أُذُنَيْه، قال أبو علي (يُقال: جعلتُ الشيء دَبْرَ أُذُني إذا لم ألتفت إليه)

(٢) الاعتسافُ: ركوبُ الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة.

(٣) قوله (المعنى المزيز) قال أبو علي (المزيزُ من قولهم: هذا أَمَزُّ من هذا أي أفضل منه وأزيد)، وقوله (طَبَّقَ المِفْصَلَ) المُطَبِّق من السيوف: الذي يُصيبُ المفَاصِل فَيَفْصِلُها لا يُجاوِزها.

(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨ جـ ٢.

المصادر بأنه «ذو الكَفَّين صنم عمرو بن حُمَمَة»[١] وكان وجود معبود خاص للقبيلة من مظاهر استقلاليتها وعدم تبعيتها لغيرها من القبائل منذ أواخر عصر الدولة الحميرية وفي فترة الجاهلية بحيث تعددت الآلهة في مناطق وقبائل اليمن كما كان ذلك تعبيراً عن الاعتقاد بتعدد الآلهة في السماء فكانت الأصنام تجسيداً للآلهة الوثنية المتعددة مع الاعتقاد بوجودها كلها ووجود اللّه عزّ وجلّ، ولذلك لم يكن لاسم الإله ـ الذي يرمز إليه الصنم ـ أي تأثير في الحياة والعلاقات الاجتماعية والسياسية.

وكان عمرو بن حُمَمَة يقود قبيلة دَوْس في أي حرب تضطر دَوْس إلى خوضها أو يرى عمرو بن حُمَمَة المشاركة فيها، ويتبين ذلك الجانب الحربي من قول عَتِيك بن قيس في رثاء عمرو بن حُمَمَة:

ويَـمْـضِـي إذا مـا الـحـربُ مَـدَّ رِواقَـه ... على الرَّوْع وارْفَضَّتْ صُدُور العواملِ
ويُسْتَهْـزَمُ الـجيشُ العَـرَمْـرَمُ باسمه ... وإن كـان جَـرَّاراً كـثـيـر الـصَّـوَاهِـلِ

وكذلك في قول الهِدْم بن امرىء القيس الأوسي في رثاء عمرو بن حُمَمَة:

إذا قُـلْـتَ لـم تـتـرك مـقـالاً لـقـائـل ... وإن صُلْتَ كنتَ اللَّيْثَ يَحْمِي حِمَى الأَجْرِ

واشتهر عمرو بن حُمَمَة بالحكمة والمعرفة والعدل في القضاء بين الخصوم حتى صار الناس يقصدونه من أرجاء اليمن والجزيرة العربية فيحتكمون إليه في الخصومات والقضايا التي بينهم، وقد ذكر الحافظ ابن حَجْر والمرزباني أنه «كان أحد حكام العرب في الجاهلية» وجاء في كتاب الأمالي أنه «كان أحد مَنْ تَتَحَاكَمُ إليه العرب» وقال ابن عباس «كان عمرو بن حُمَمَة يَقْضِي بين العرب» قال الحافظ ابن حَجْر: «وكان يُقال له ذو الحُكْم». ويمكن إدراك سبب تَميّزه عن غيره من الذين كان العرب يتحاكمون إليهم بلقب (ذي الحُكم) من قول عتيك بن قيس في رثائه:

ويَـنْـقـاد ذو الـبَـأْوِ الأَبِـيُّ لِـحُـكْـمِـه ... فـيَـرْتَـدُّ قَـسْـراً وَهْـو جَـمُّ الـدَّغَـاوِل

والدَّغَاوِل: الدواهي. وفيه أيضاً قال حاطب بن قيس الأزدي:

وقد كُنْتَ تُمْضِي الحُكْمَ غير مُهَلِّلٍ ... إذا غَال في القَوْلِ الأَبَلُّ الغَشَـمْـشَـمُ

والأَبَلُّ: الظَّلوم، والغشمشم: الذي يركب رأسَه لا يَثْنِيه شيء عمّا يريد ويَهْوَىٰ. فقد قيل له (ذو الحكم) لأنهم كانوا ينقادُون لحُكمه، وكان حُكمه لا يُرد أياً كانت مكانة المُتَحَاكِمين إليه من الأقيال والرؤساء وغيرهم من الناس حتى ذو القوة

(١) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ويمانيون في موكب الرسول ـ محمد الفرح ـ ص ١٣.

والظلوم والغشمشم لأنه كان عادلاً وقوياً في أحكامه. وكذلك كان يُقال له ذو الحِلْم لأنه كان ـ كما قال فيه الهِدَم بن امرىء القيس:

حليماً إذا ما الحِلْم كان حَزَامة وَقُوراً إذا كان الوقوفُ على الجَمْر

* * *

ولما كبر عمرو بن حُمَمَة ـ وصار في نحو السبعين من عُمْره ـ أخذ يَذْهَلُ أو يَغْفَلُ فيَسْهُو ويشرد تفكيره مما يؤدي إلى أنه قد يُخطىء أو يُوشك أن يُخطىء في الحكم فقال لابنته ولابنه جَنْدب: إذا رأيتَ ذلك فاقْرَع العصا. وعن ذلك جاء في كتاب الأغاني: «إن العرب أتوه يتحاكمون إليه فغلط في بعض حكومته وكان عمرو بن حُمَمَة قد أَسَنّ وتَغَيّر، فقالت له ابنته: إنّك قد صرت تَهُم في حكمك ـ يُقال: وهَمَ الرجلُ إذا غلط، وذهب وهمي إلى كذا أي ظنّي ـ فقال لابنته: إذا رأيت ذلك فاقرعي لي العصا، فكانت إذا قرعتْ له بالعصا ثاب إليه حِلمه فأصاب في حكمه»[١].

وجاء في كتاب الإصابة أنه «قال المرزباني: كان عمرو بن حُمَمَة أحد حكام العرب في الجاهلية.. وكان يُقال له ذو الحكم، وضربت به العربُ المثل في قرع العصا لأنه بعد أن كبُر صار يذهل فاتخذوا له من يُوقظه فيقرع العصا فيرجع إليه فهمه، وإليه أشار الحارث بن وَعْلة بقوله:

إنّ العصا قُرِعَتْ لذي الحُكْمِ

وقال آخر: لذي الحكم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا.

وقال الفرزدق: كأنّ العصا كانت لذي الحُكْم تُقْرَعُ.

ـ قال ابن حجر ـ وقد تَقَدّم سبب ذلك أيضاً من حديث ابن عباس في ترجمة ابنه جَنْدب بن عمرو بن حُمَمَة»[٢]. وهو أن ابن عباس سُئل عن قول الشاعر:

لذي الحُكْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العَصَا وما عُلِّم الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا

فقال ابن عباس رضي اللّه عنه: «ذاك عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسيّ، قَضَى بين العرب ـ ثلاثمائة سنة ـ فَكَبُر، فكان إذا غَفَلَ قُرِعت له العصا»[٣] وقد وقع التباس في قول الرواية (ثلاثمائة سنة) لاستحالة ذلك وإنما هو (ثلاث ومائة سنة) وكان قد أخذ يهِمّ بالخطأ ويَذْهَل ويسهو منذ وقت سابق حين كبر وأَسَنّ ـ أي وهو في نحو السبعين من عمره ـ فكانت ابنته أو ابنه ـ جَنْدب ـ يقرعُ له أحدهما العصا فإذا قُرِعَتْ

---

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٣٣ جـ ٢١.

(٢) الإصابة ـ ابن حجر ـ ترجمة عمرو بن حُمَمَة ـ ص ٥٣٣ جـ ٢.

(٣) الإصابة ـ ابن حجر ـ ترجمة جندب بن عمرو بن حُمَمَة ـ ص ٢٤٩ جـ ١.

له العصا انْتَبَه وثَابَ إليه حِلمه وأصاب في حكمه، فضرب به الحارث بن وَعْلة المثل حيث قال:

وزَعَمْتُمُ أنْ لا حُلُومَ لنا ... إنّ العَصَا قُرِعَتْ لذي الحُكْم

وجاء عجز البيت في الأمالي والبيان والتبيين «إنّ العَصَا قُرِعَت لذي الحِلْم» وصار هذا البيت مثلاً من الأمثال السائرة يُضْرَبُ للحكيم والحليم عند نسيانه وسهوه أو وقوعه في الخطأ. والشاعر الآخر الذي ضرب به المثل هو المُتَلَمِس العَبْدي معاصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وكان المُتَلَمِس قد وقع في خطأ فقال:

لذي الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا ... وما عُلِّم الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا

وما كنتُ إلا مِثْل قاطِع كفّه ... بكفٍّ له أخرى فأصْبَحَ أجْذَمَا

وكان الملك عمرو بن المنذر أمر بقتل الشاعرين طَرفة والمُتَلَمّس - في زمن سابق وكتب إلى عامله بقتلهما، فقُتِل طَرْفة، وفرّ المُتَلَمّس إلى ملوك غسان بالشام، وكان مقتل طرفة حوالي عام ٥٦٩ ميلادية[١] أما المُتَلَمّس فنجا إلى الشام وعاصر النعمان بن المنذر الذي انتهى حكمه عام ٦٠٢م، وذلك قبل البعثة بنحو ثمان سنين[٢] وكان عمرو بن حُمَمَة عندئذٍ في نحو التسعين من عمره.

* * *

وقد ذكر المرزباني في معجم الشعراء من شعر عمرو بن حُمَمَة قوله في أواخر عُمره:

كبرتُ وطَالَ العُمرُ مِنّي كأنّني ... سَليمُ أفاعٍ ليلةُ غيرُ مُودّعِ

وما السقمُ أبلانِي ولكنْ تَتَابَعتْ ... عليّ سُنونُ مِن مَصِيفٍ ومَرْبَعِ

ثلاث مئينٍ مِنْ سِنِين كَوامِلٍ ... وها أنا ذَا: أرْتَجِي مَرّ أرْبَعِ

فأصْبَحْتُ بين الفخ والعُشّ نادباً ... إذا رَامَ تطياراً يُقال له: قَعِ

أخَبِّرُ أخبار القرون التي مَضَتْ ... ولا بدّ يوماً أنْ إطار لمَصْرَعي»[٣]

ونرى وقوع التباس وتصحيف خفيف في رواية البيت الثالث بأنه (ثلاث مئين..) مما أدى إلى القول بأنه حكم وقَضَى ثلاثمائة سنة، وبما أنه قال (وها أنا ذا أرتجي مَرّ أربع) قيل إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة. بينما لا بد أن الصواب في قوله (ثلاث مئين) هو (ثلاث ومئنٍ) أي (ثلاث ومائة سنة) وقوله (..مرّ أربع) أي (١٠٤ عاماً) وأنه عاش مائة وتسع سنين.

---

(١) الموجز في الأدب العربي وتاريخه - ص ١٢٧.

(٢) فجر الإسلام - أحمد أمين - ص ١٧. (٣) الإصابة - ابن حجر - ص ٥٣٣ جـ ٢.

قال الحافظ ابن حَجْر: «وقد ذكر أبو بكر بن دُريد أنه وفد على النبي ﷺ، والذي ذكره غيره أنه مات في الجاهلية»[١]. ونرى أنه يمكن الجمع بين القولين لأنّ الطفيل بن عمرو الدوسي سار من منطقة دوس باليمن إلى مكة للتجارة في أوائل البعثة النبوية فلقىٰ النبي ﷺ وآمن به، وعاد إلى منطقة دَوْس وأخذ يدعو إلى الإسلام، ثم سار مرتين إلى النبي ﷺ بمكة، فيمكن أن يكون أخذ معه عمرو بن حُمَمَة فالتقى بالنبي ﷺ في مكة ثم عاد مع الطفيل إلى منطقة دَوْس وهو يومئذٍ قد ناهز نحو مائة وسبع سنين، ثم مات وهو قد ناهز مائة سنة وتسع سنين، وقد جاء في رواية ابن عباس بالإصابة أنّه «لما حضره الموت اجتمع إليه قومه فأوصاهم وصية حسنة». وكان موته بعد البعثة ولكن قبل الهجرة النبوية لذلك يُقال إنه (مات في الجاهلية) لأن الإسلام لم يكن قد انتشر. ولما مات انتقلت مرتبته في الرئاسة إلى ابنه جندب بن عمرو بن حُمَمَة الدوسي.

* * *

وجاء ثلاثة من رجالات قبيلة الأوس الأزدية اليمانية بيثرب إلى حاضرة دوس في منطقة دَوْس باليمن ومعهم عدة إبل إلى جانب إبلهم التي يمتطونها، وكان الثلاثة شعراء وهم ـ كما جاء في كتاب الأمالي ـ الهِدْم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم بن الهِدْم الذي نزل عليه النبي ﷺ[٢]، وعَتِيك بن قيس بن هَيْشة بن أمية بن معاوية ـ الأوسي ـ[٣] وحاطب بن قيس بن هَيْشة الذي كانت بسببه حرب حاطب[٤] ـ فوصلوا إلى قبر عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسي فعقروا رواحلهم ـ أي الإبل التي معهم ـ على قبره، وقام الهِدْم بن امرىء القيس فقال:

لـقـد ضَـمَّـتِ الإثْـراءُ مِـنْـكَ مُـرَزَّأً ... عَـظِـيـمَ رَمـاد الـنـار مُـشْـتَـرَكَ الـقِـدْرِ

---

(١) الإصابة ـ ابن حجر ـ ص ٥٣٣ جـ ٢.

(٢) هو أبو كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك الأوسي الأنصاري. جاء في ترجمته بالإصابة (أن النبي ﷺ نزل عليه بِقباء أول ما قَدِم المدينة) ص ٣٠٥/٣.

(٣) هو الصحابي عتيك بن قيس بن هيشة بن الحرث بن أميّة بن معاوية الأوسي الأنصاري. جاء في ترجمته بالإصابة أنه: (شَهَد أُحُداً) ـ أي وقعة أُحُد ـ (ص ٤٥٨/٢).

(٤) هو الزعيم الأوسي الجاهلي حاطب بن قيس من بني أُميَّة بن زيد بن مالك بن عوف الأوسي، وكان رجل من بني ذُبيان قد نزل ضيفاً عليه، فأساء إليه رجل من الخزرج فوقعت بسبب ذلك حرب حاطب بين الأوس والخزرج. قال ابن الأثير: «كانت حرب حاطب آخر وقعة بين الأوس والخزرج إلا يوم بُعاث حتى جاء اللّه بالإسلام» [ص ٤١١/ ١ـ الكامل] ـ ولم يأت اسم حاطب بن قيس بين الصحابة مما يشير إلى أنه مات قبل الهجرة النبوية إلى يثرب.

حليماً إذا ما الحِلْم كان حَزَامةً وَقُوراً إذا كان الوقوفُ على الجَمْرِ
إذا قلتَ لم تترك مقالاً لقائلٍ وإن صُلْتَ كنْتَ اللَّيْث يَحْمِي حِمى الأجْرِ
لِيَبْكِكَ مَنْ كانت حياتُك عِزَّهُ فأصْبحَ لَمَّا بِنْتَ يُغْضِي على الصُّغْر
سَقى الأرضَ ذاتَ الطُّول والعرض مُثْجِمٌ أَحَمُّ الرَّحا واهي العُرَى دائمُ القَطْر [(١)]
وما بِيَ سُقْيَا الأرض لكنَّ تُرْبَةً أَضَلَّك في أحشائها مَلْحَدُ القَبْرِ

ثم قام عَتِيك بن قيس فقال:

برَغْم العُلَى والجُود والمجْدِ والنَّدى طَواكَ الرَّدَىٰ يا خَيْرَ حافٍ ونَاعِلِ
لقد غال صَرْفُ الدهر منك مُرَزَّأً نَهُوضاً بأعباءِ الأمُور الأثاقِل
يَضُمُّ العُفَاةَ الطارِقِين فِنَاؤُه كما ضَمَّ أُمُّ الرأس شَعْبَ القبائل
ويَسْرُو دُجَى الهَيْجا مَضَاءُ عَزِيمةٍ كما كَشَفَ الصُّبْحُ اطِّراق الغَياطِل [(٢)]
ويُسْتَهْزَم الجيشُ العَرَمْرَم باسمه وإنْ كان جَرَّاراً كثير الصَّوَاهِل
ويَنْقَادُ ذو البَأْوِ الأَبِيُّ لِحُكمه فيَرْتَدُّ قَسْراً وهَو جَمُّ الدَّغاوِل [(٣)]
ويَمْضِي إذا ما الحربُ مَدَّ رواقَه على الرَّوْع وارْفَضَّتْ صُدُور العوامل
فإمَّا تُصِبْنا الحادثاتُ بنَكْبةٍ رَمَتْك بها إحدى الدواهي الضَّآبل [(٤)]
فلا تَبْعَدَنْ إن الحُتُوفَ مَوارِدُ وكلُّ فتًى مِنْ صَرْفها غير وائلِ

ثم قام حاطب بن قيس فقال:

سَلامٌ على القبر الذي ضَمَّ أعْظُماً تَحُوم المعالي حَوْلَه فتُسَلِّمُ
سَلامٌ عليه كلما ذَرَّ شارِقٌ وما امْتَدَّ قِطَعٌ مِنْ دُجَى الليل مُظْلِم [(٥)]
فيا قَبْرَ عمرو جَادَ أرضاً تَعَطَّفَتْ عليك مُلِثٌّ دائمُ القَطْر مُرْزِم
فلو نَطَقَتْ أرضٌ لقَالَ تُرابُها إلى قبر عمرو الأزد حَلَّ التَّكَرُّم
إلى مَرْمَسٍ قد حَلَّ بين ترابه وأحجاره بَذْرٌ وأضْبَطُ ضَيْغَم

---

(١) قال أبو علي القالي «الرَّحَى: وَسَطُ الغَيْم ومُعْظَمه. وَوَسَط الحرب ومُعْظَمُها».

(٢) قال أبو علي القالي «الغَيْطَلة: الظُّلمة. والغَيْطلة: اختلاط الأصوات.. والغيطلة: الشجر الملتف. وقال ابن الأعرابي: الغيطلة: التفاف الناس واجتماعهم..».

(٣) قال القالي: (الدّغاول: الدواهي. ولم أسمع له بواحد).

(٤) قال القالي «الضآبل: الدواهي، واحدها ضِئبل».

(٥) كلّما ذرّ شارق: يعني شروق الشمس، قال النعمان الحميري في الملك ياسر يُنْعِم الحميري:

تُحَيَّا أَبَيْتَ اللعن ما ذَرَّ شارِقٌ تحية ذي تعمن تدومُ إلى الحَشرِ

فلو وَأَلَتْ مِنْ سطْوة الموتِ مُهْجةٌ لكنتَ ولكنَّ الرَّدَى لا يُثَمْثِمُ[١]
فلا يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ حيّاً ومَيْتاً فقد كنتَ نُورَ الخَطْبِ والخَطْبُ مُظلِمُ
وقد كُنتَ تُمْضِي الحُكْمَ غير مُهَلِّل إذا غال في القَوْلِ الأَبَلُّ الغَشَمْشَمُ[٢]
لَعَمْرُ الذي حُطَّتْ إليه على الوَنَا حَدَابِيرُ عُوجُ نَيُّها مُتَهَمِّمُ[٣]
لقد هَدَّمَ العَلْيَاءَ مَوْتُك جَانِباً وكان قديماً رُكْنُها لا يُهَدَّمُ»[٤]

ويدل قيامهم بنحر عدد من الإبل عند قبر عمرو بن حُمَمَة على حضور أهالي حاضرة دوس ذلك الموقف وتقسيم اللحوم كنوع من التكرم والتصدق على روحه، ولما تهيأ وفد الأوس والخزرج الثلاثة للعودة إلى يثرب قام جندب بن عمرو بن حُمَمَة بوداعهم فانطلقوا إلى يثرب وكان ذلك قبل الهجرة النبوية إلى يثرب.

ثم لما هاجر النبي ﷺ إلى يثرب نزل وأقام عند ابن الهِدم بن امرىء القيس أحد أولئك الثلاثة وقد جاء في ترجمته بكتاب الإصابة «أن النبي ﷺ نزل عليه بِقباء أول ما قَدِم المدينة». ثم كان هو وعتيك بن قيس الأوسي من الصحابة الأنصار الذين شهدوا مع النبي ﷺ موقعة أُحد وغيرها من المشاهد مثل الحُدَيبية (في ذي القعدة سنة ٦هـ) وما لبث أن انطلق جَنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة إلى يثرب على رأس موكب من قبيلة دوس.

* * *

نبأ جَنْدب بن عمرو بن حُمَمَة:

وكان جندب بن عمرو بن حُمَمَة قد اشترك مع أبيه في رئاسة قبيلة دوس في الجاهلية، وقد جاء في ترجمته بالإصابة أنه «كان جندب بن عمرو بن حُمَمَة يقول في الجاهلية: إنّ للخلق خالق لكني لا أدري مَنْ هو»[٥].

وقد انتشر الإسلام في قبيلة دوس منذ ما قبل الهجرة على يد الطفيل بن عمرو الدوسي الذي أسلم على يده أبو هريرة الدوسي وجندب بن عمرو بن حُمَمَة ولم يزل الطفيل يدعو إلى الإسلام حتى دخل الإسلام كل بيت في دوس، ثم كانت

---

(١) قال القالي «وأَلَتْ: نَجَتْ. ويُثَمْثِم: يبطىء. ويثمثم: يُحَرِّك ويَدْفَع.
(٢) المُهَلِّل: المُتوقِّف، يقال: حَمَلَ عليه فما هَلَّل. والأَبَلُّ: الظلوم. والغشمشم: الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يحب ويهوي».
(٣) قال القالي «الحدابير جمع حِدْبار: وهي المنحنية الظهر. والنَّيُّ: الشحم. والمُتَهَمِّمُ: الذائب).
(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٥ جـ ٢.
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٩ جـ ١.

مواكب دوس من أوائل المواكب اليمنية التي انطلقت من اليمن إلى يثرب في أوائل سنة ٧هـ وكان أولها موكب مع الطفيل بن عمرو الدوسي وقد وصفه الأستاذ خالد محمد خالد قائلاً: «بينما رسول اللّه ﷺ في خيبر إذا موكب حافل ينتظم ثمانين أسرة من دوس قد أقبلوا على الرسول مُهللين ومُكبرين» وقال ابن عبد البر القرطبي: «كان مع الطفيل ثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس». وثانيهما موكب جندب حيث ـ كما جاء في الإصابة ـ «خرج جندب بن عمرو بن حُمَمَة ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا، وكان جَنْدب يُقدِمهم رجلاً رجلاً ـ إلى النبي ﷺ ـ»[1] فمكث الطفيل بالمدينة وشهد فتح مكة في رمضان ٨هـ بينما عاد جَنْدب إلى اليمن ولم يزل زعيماً في دوس حتى انطلق مع فرسان دوس والسَرَاة إلى المدينة عندما استنفر الخليفة أبو بكر الصديق أهل اليمن للجهاد وفتح الشام سنة ١٢هـ وكانت مع جَنْدب ابنته (أم أبان). قال الحافظ ابن حجر: «وخَلَّفَ جَنْدب ابنته أمّ أبان عند عمر بن الخطاب وقال له: إن وَجَدْتَ لها كفؤاً فزوّجها ولو بِشراك نعله وإلا فأمسكها حتى تُلْحِقْهَا بدار قومه» ـ يعني إذا استشهد ولم يرجع ـ وانطلق جَنْدب في الجيش العربي الإسلامي لفتح الشام ـ في صفر ١٣هـ ـ وشهد موقعة اليرموك حيث تم تقسيم الجيش إلى ٣٦ كردوساً يضم كل كردوس ألف مقاتل ويقود كل كردوس أمير قائد من الزعماء الصحابة فكان جَنْدب أحد قادة الكراديس. قال الطبري: «كان جَنْدب بن عمرو بن حَمَمَة على كردوس في اليرموك»[2] وتتوجت موقعة اليرموك بالنصر في شهر جمادي سنة ١٣هـ في خلافة عمر، ثم شهد جَنْدب موقعة أجنادين فاستشهد في أجنادين سنة ١٤هـ ـ أو سنة ١٥هـ ـ قال ابن حجر: «فكانت ابنته عند عمر تدعوه أباها إلى أن زوَّجها بعثمان بن عفان فولدت له عمرو بن عثمان»[1] وكذلك «تزوج حبيب بن عمرو بن حُمَمَة بفارعة بنت عتبة بن ربيعة أخت هند وخالة معاوية بن أبي سفيان»[3] وبذلك تكتمل أنباء عمرو بن حُمَمَة وأسرته حيث كانوا من خيار اليمنيين والعرب في الجاهلية والإسلام.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٩ جـ ١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢٤ جـ ٤.
(٣) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٣٧٦ جـ ٤.

المبحث «٥٣»

مُسْهِر بن يزيد الحارثي

«أشْهَر فرسان اليمن في يوم فَيْفِ الرِّيح»

هو الشاعر والفارس اليمني الجاهلي مُسْهِر بن يزيد بن عبد يغوث بن صَلَاءَة بن المعقّل بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث (الحارثي) بن كعب بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج (المذحجي). قال عنه الأصفهاني «..ومُسْهِر: فارسٌ شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْفِ الريح»[١] ومن شعر مُسْهِر قوله عن طَعنه عامرَ بن الطفيل في قصيدة له:

«وَهَصْتُ بِخُرْصِ الرمح مُقلَةَ عامرٍ ... فأضْحَى بخيصاً في الفوارسِ أعْوَرَا[٢]
وغَـادَرَ فِـيْـنَـا رُمْـحَـهُ وسِـلاحَـهُ ... وأدْبَرَ يَدْعو في الهَوَالكِ جَعْفَرَا»[٣]

وكانت موقعة يوم فَيْفِ الريح بنجد أكبر موقعة بين قبائل أعالي اليمن وقبائل بني عامر وهوازن القيسية بنجد والحجاز في الجاهلية، ومن المفيد أن نذكر قبل ذلك معالم ما قبل تلك الموقعة.

* * *

معالم ما قبل يوم فَيْفِ الرِّيح:

كانت مخاليف صعدة ونجران وسَرَاة أعالي اليمن منطقة واحدة لها عامل واحد في عصر الدولة الحميرية وفي عهد الملك سيف بن ذي يزن حيث (كان نوال بن عتيك والياً لسيف بن ذي يزن على مخاليف صعدة ونجران والسَرَاة إلى تخوم ما جاورها من نجد والحجاز)[٤] وقد ذكر الحسن الهمداني في الصفة مناطق تلك المخاليف وقبائلها وهي: «مخلاف صعدة من بلد خولان قضاعة. ومخلاف نجران ـ (لبني الحرث بن كعب وبعض عشائر مذحج) ـ وبلد بني نَهْد (وهي) طريب ومصابة من ذوات القصص، وكتنة، وأراك. وتثليث ـ نجران ـ وكان لعمرو بن

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٧٠ جـ ١٥.
(٢) خرص الرمح: سِنَانه. وبخص عينه: أغارها.
(٣) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٥.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٧٥ جـ ١.

معدي كرب فيه حصن ونخل ـ والقرارة والريّان ـ إلى ـ البردان، والبردان بئر بتَبَالة وبالعرض من نجران، وذات ألاه وهي قرى الدبيل وعُشْر، وعاربات وسقُم، وقريتهم الهُجَيْرة». وقال: «بلد نَهْد: من جُرَش إلى كُتْنة الهُجَيْرة، ثم يتلو سَرَاة عَنْز سَراة الحَجْر ابن الهِنْو من الأزد، ثم سَرَاة غامد وسَراة دَوْس من الأزد. . وبلد خَثْعم: (أعراض بَيْشَة، وترج، وتَبَالة، والمراغة)[1]. وقال ابن خلدون «بلد بني نَهْد من قُضاعة في السروات وتَبالة، جوار خثعم»[2]. وتلك المناطق اليمنية هي إلى تخوم الطائف.

وفي أواخر عهد سيف بن ذي يزن أغارت قبائل هوازن القيسية النَجْدِية[3] على إحدى مناطق قبيلة نَهْد القضاعية اليمانية المجاورة للطائف ونَجْد، فأَمَدَّ سيف بن ذي يزن قبائل قُضاعة بالخيول وبكتائب من الجيش الحميري، فشَنّ فرسان خولان وغيرهم من عشائر قُضاعة حملات على هوازن وبني سُلَيم[3] وقال القائد والشاعر عمرو بن يزيد العوفي الخولاني لهوازن في تلك الفترة:

مِنْ أَسْفَلِ غُمْدانِ جَلبْنَا جِيادَنَا تَرَامَىٰ إليكم بالمُثقّفةِ السُجْمِ
عَلَقْنَاكُمُوهَا فاصبروا لعَلِيقِهَا فإنّا نُجَلّيها بكلِّ فتًى شَهْمِ

وقد رابطت عشيرة عوف الخولانية القضاعية بقيادة عمرو بن يزيد في منطقة نَهْد خشية تكرار الاعتداء من جانب قبائل هوازن وسُلَيم المَعْدِيَّة القيسية وفي ذلك قال الراجز:

قد عَرَّسَتْ عَوْفُ بدار نَهْدِ في عرمة مُنكَر وحَدِّ
فيها ابن زيدٍ كالشبّي الأبْد خاف عليها صَوْلَة ابن مَعْد

وطال الصراع مع قبائل هوازن في بعض مناطق التخوم فقد كانت الحرب تنقطع عدة سنين ثم يندلع نزاع وتقع معركة، وكان من آخرها معركة ظفرت فيها قُضاعة وذلك ـ كما ذكر الهمداني ـ «أول ما ظهرت دعوة الإسلام بمكة»[4].

وكان ممّا تلا ذلك غزوة بني الحرث بن كعب ومَنْ أجابهم من جَرْم ونَهْد إلى ديار تميم بنجد وانكسارهم في يوم الكُلَاب وأسر ومقتل عبد يغوث الحارثي. ولم تشترك غالبية بني الحرث بن كعب ومذحج في تلك الغزوة حيث كان هناك صراع

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٨ و٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٦٢.

(٣) هم قبائل هوازن بن عكرمة وسُليم بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. ومنهم قبائل عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومنهم بنو نمير وبنو كلاب.

(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٧٣ جـ ٢.

داخلي بين قبائل من مذحج وهمدان وكان الحصين بن يزيد الحارثي قائد بني الحرث ومذحج في الحروب مُنهمكاً في ذلك الصراع، ثم بعد يوم الكُلاب ومقتل عبد يغوث ـ وربما أيضاً وقوع غارة من هوازن على إحدى مناطق نَهْد ـ تنادى رؤساء وفرسان قبائل مخاليف أعالي اليمن إلى جمع الصفوف وغزو قبائل تميم وقبائل هوازن، فتم شَنّ حملات على تميم كان منها حملة يوم المرُّوت التي عنها قال عمرو بن معدي كرب في أبيات عن حملات فرسان مذحج وقُضاعة:

هُمُوا وردوا المياه على تميم ... بألفِ مُدجَجٍ شُمْطٍ ومُرْدِ
وهُمْ أخذوا بذي المرُّوت ألفاً ... يُقَسّمُ للحصين ولابن نَهْدِ

أي الحُصين قائد بني الحرث ومذحج، وعمرو بن صُبيح النهدي قائد فرسان نَهْد، ثم بعد الظفر بتميم في تلك الحملات تنادت قبائل أعالي اليمن إلى الحملة على قبائل هوازن وبني سُلَيم في نجد ردّاً على غارات النهب التي تعرضت لها بعض مناطق الأطراف فانطلق فرسان اليمن إلى فَيْف الريح لغزو قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية التي تجمعت أيضاً إلى فيف الريح.

* * *

أنباء وشِعْر يوم فَيْف الرِّيح[1]:

قال ابن الأثير: «جمع الحُصَين بن يزيد بن شداد بن قَنَان الحارثي وهو ذو الغُصّة ـ بني الحرث بن كعب ـ وجُعْفي وزُبَيْدْ، وقبائل سعد العشيرة ومُراد وصُدَاء، ونَهْد، وخَثْعم ـ شهران وناهس ـ، ثم أقْبَلُوا يريدون بني عامر وهم مُنْتَجعون مكاناً يُقال له فَيْف الريح. فاجتمعت بنو عامر..»[2].

وجاء في كتاب الأمالي أنه «اجتمعت ـ مع الحصين ـ زُبَيْد ومُراد، وخَثْعَم، وثُمالة ودَوْس من الأزد، فقاتلوا بني عامر وجُشيم وسُليماً ونصراً حيث أتوهم ـ بفيف الريح ـ»[2].

ويتبين من النصوص أن الذين شاركوا في تلك الحملة من رؤساء وفرسان وقبائل اليمن هم:

أ ـ بنو الحرث بن كعب بقيادة الحُصَين بن يزيد بن شداد بن قنان، وكان الحصين هو القائد الحربي لبني الحرث ومذحج ـ قال ابن حجر العسقلاني ـ (وكان

---

(١) جاء في كتاب أيام العرب أن (فيف الريح: موضع بأعلى نجد. قال أبو عبيدة: وكانت وقعة فيف الريح وقد بُعث النبي ﷺ بمكة).

(٢) الكامل ـ ابن الأثير ـ ص ٣٨٧/١ ـ والأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٧/٣.

للحصين أربعة أولاد يُقال لهم فوارس الأرباع، كانوا إذا حضر الحرب ولّى كل منهم رُبْعَها)[١] ـ وهم المُنْتَشِر بن الحصين، وشهاب بن الحصين، وقيس بن الحصين، وزياد ـ أو يزيد ـ ابن الحصين. كما كان من فرسان بني الحرث الذين شهدوا تلك الموقعة مُسْهِر بن يزيد بن عبد يغوث وأخوته زياد ومالك وعمرو، وربما أيضاً عُلْبَة بن مُسْهِر.

ب ـ زبَيْد، وجُعْفِي، وسعد العشيرة، وصُدَاء، ومُراد. وهم من عشائر وقبائل مذحج بمخاليف نجران والجوف ومأرب، وكان فيهم فارس مذحج واليمن عمرو بن معدي كرب الزُبيدي.

جـ ـ قبيلة نَهْد القضاعية الحميرية بقيادة عمرو بن صُبيح النَهْدِي، وفيهم خُلَيْف بن عبد العُزّى النَهْدّي وهو من الفرسان الأبطال.

د ـ قبيلة خَثْعَم اليمنية بمنطقة سَرَاة أعالي اليمن وهُم: خَثْعَم بن أنمار بن أراشة بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ومن بطونهم: شهران، وناهس، وأكلب[٢]. وكانوا بقيادة أَنَسْ بن مُدْرِك الخثعمي.

هـ ـ ثُمالة ودَوْس من أزد السَرَاة، وقد جاء ذكر مشاركتهم في نص كتاب الأمالي.

فاجتمعت قبائل بني عامر بن صعصعة الهوازنية وأحلافها من القبائل النجدية في منطقة فَيْف الريح وهم:

أ ـ بنو عامر بن صعصعة، وهم أكبر قبائل هوازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان رئيسهم عامر بن الطفيل. وجاء في (أيام العرب) أنه «كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيّدهم».

ب ـ بنو كلاب، وهم بطن كبير من بني عامر بن صعصعة، وكانوا بقيادة الصُمَيْل بن الأعور الكلابي، وكان من فرسانهم حُسَيْل بن عمرو الكلابي.

جـ ـ بنو جعدة، وهم بطن من بني عامر بن صعصعة، وكانوا بقيادة كعب الفوارس ابن معاوية بن عبّادة بن البكّاء.

د ـ بنو نمير، وهم من قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية.

هـ ـ قبيلة سُلَيم بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان المُضَرِيّة النزارية.

---

(١) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٤/٣.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٣٣/١٠.

و ـ قبيلة جُشيم ـ أو جُشَم ـ ابن معاوية بن بكر بن هوازن. وقبيلة نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن(١).

وترأس بني عامر وأحلافها عامر بن الطفيل، بينما كان الحصين الحارثي رئيس مذحج والذين معهم مِنْ نَهْد وخَثْعم ودَوْس. فلما تَرَاءَى الفريقان قبل القتال «قال عامر بن الطفيل لقومه: أغيروا بِنَا عليهم فإني أرجو أن نأخذ غنائمهم وسَبْيهم، ولا تَدَعوهم يدخلون عليكم دياركم، فتابعوه على ذلك. وكانت مَذْحج ولِفُّها قد جعلت رُقبَاء، فلما دَنَتْ بنو عامر ولِفَّها(٢) صاح الرُقباء: أتاكم القوم، فجاءتهم مَسَالحهم تركض إليهم(٣) فخرجوا لقتال بني عامر. فقال أنس بن مُدْرِك لخثعم: انصرفوا بِنَا ودعوا هؤلاء، فإنهم إنما يطلب بعضهم بعضاً، ولا أظن عامراً تريدُ قتالنا، فقال لهم الحصين: افعلوا ما شِئْتُم، فإنّا واللّه ما نُرادُ دونكم، وما نحن بِشَرٍّ بلاءً عند القوم، فانصرفوا إن شئتُم، فإنّا نرجو ألا نعجز عن بني عامر، فَرُبَّ يوم لنا ولهم قد غابتْ سُعوده، وظهرت نحوسُه.

فقالت خثعم لأنَس بن مدرك: إنّا وبنو الحارث على مياهٍ واحدة في مراعٍ واحِدَة وهُم لنا سِلْمٌ وهذا (هوازن) عدوٌّ لنا ولهُمْ، فتريدُ أنْ ننصرفَ عنهم؟ ـ وجعلَ الحصينُ لخَثْعم ثُلُثَ المِرْباع ـ(٤) فأجمعوا على أن يقاتلوا معهم.

والتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام يُغَادُون القتال بفَيْفِ الرِّيح؛ ـ وفي اليوم الأول ـ «الْتَقَى الصُّمَيْل بن الأعور الكُلابيّ وعمرو بن صُبَيْح النهديّ، فطعنه عمرو، فذهب الصُّمَيْل بطَعْنَتِه مُعَانقاً فرسه حتى ألقاه فرسه إلى جانب الوادي، فاعتنق صخرةً وهو يجودُ بنفسه. فمرَّ به رجل من خَثْعَم، فأخذ دِرْعَه وفرسه، وأجهزَ عليه.

وبرزَ يومئذٍ حُسَيْل بن عمرو الكلابي، فبرزَ له صَخْر بن أَعْيَ النَّهدي، فقال عامر بن الطُّفَيل لحُسَيل: ويلك يا حُسَيل لا تبرُزْ له فإن صخراً صخرةٌ، ولكنّ حُسَيْلاً لم يستمع لقوله، وبرز للقتال، فقتله صخر النَّهدي»(٥) ثم التحم الفريقان وأدبرت قبيلة كلاب، واقتحم اليمنيون صفوف وقبائل بني عامر بن صعصعة ولِفّها من هوازن.

---

(١) بنو جشم الهوازنيون هم رهط دريد بن الصمة. وبنو نصر: منهم مالك بن عوف رئيس هوازن في موقعة حُنَين بينهم وبين النبي ﷺ والمسلمين في شوّال سنة ٨هـ.

(٢) لِفّ القوم: من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم.

(٣) المسالح: جمع مَسْلحة، وهي الحاميات والطلائع المسلحة التي نشرتها مذحج.

(٤) المرباع: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة.

(٥) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

وأوغلت جماعة من فرسان مذحج وخثعم إلى جبل بَضيع، وفيه قبيلة من هوازن، فتصدّت لهم، فانكسرت تلك المجموعة من طليعة مذحج وخثعم، وعادت إلى منطقة فَيْف الريح، فقال أبو دؤاد الرُّؤاسي فيما بعد يتباهى بذلك:

ونحن أهلُ بَضِيعٍ يوم واجَهَنا ... جيشُ الحُصَين طِلاعَ الخائف الكَزِم[1]
ساقوا شُعُوباً وعَنْساً في دِيارِهِمُ ... ورَجْلَ خَثْعَمَ مِنْ سَهْلٍ ومن عَلَم[2]
مَنَّاهمُ مُنْيَةٌ كانت لهم كَذِباً ... إنّ المُنَى إنما يوجَدْن كالحُلُم
حتى تولّوا وقد كانت غنيمتُهم ... طعْناً وضرباً عريضاً غير مُقْتَسَم

وكان أهم ما حدث في اليوم الأول هو مقتل الصُمّيل بن الأعور وحُسَيْل بن عمرو الكلابي الهوازني وهما رئيس وفارس قومهما.

وفي اليوم الثاني من القتال «قَتَلَ خُلَيْفُ بن عبد العزّي والنَّهديُّ كعبَ الفوارس ابن معاوية بن عبادة بن البكّاء». وجاء في رواية الأغاني «إن كعب الفوارس مرّ على بني نَهْد وعليه سلاحه ـ أي يطلب المبارزة ـ فَحَمَلَ عليه رجل من نَهْد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه»[3]. وكان كعب رئيس عشيرة بني جعدة وهم بطن من عامر بن صعصعة، وحَمَلَ عمرو بن معدي كرب على صفٍّ من فرسان عامر وهوازن فاخترقهم وطاردهم وقَتَل أفضل فرسانهم، وقال عن ذلك في قصيدته يوم فَيْف الريح:

وصَفٌّ ما تَسَايَرُ حَجْرتاه ... تُبَشِّره الأشائم بالشِّياح
شَهِدْتُ طِرادَة بأقبَّ نَهْدِ ... كتَيْس الرَّبْل مُعْتَدِل وَقَاح[4]
.. فلم نَقْتُل شِرارَهم ولكن ... قَتَلْنَا الصالحين ذوي السلاح[5]
قَتَلْنا مُطْعِم الأضياف مِنْهُم ... وأصحاب الكريهة والصَّباح[5]
فأثْكَلْنا الحَلِيلة مِنْ بَنِيها ... وخَلّينا الخَرِيدة للنِّكاح»[6]

وكان ذلك في اليومين الثاني والثالث من موقعة فَيْف الريح، وجاء في (أيام العرب) أنه «شَهِدَت بنو نُمير الوقعة يومئذٍ مع بني عامر، فسمُّوا حُرَيْجَة

---

(١) جاء في الهامش (الكزم: كزم الرجل: هاب التقدم على الشيء).

(٢) رَجْل خثعم: أي رجالات خثعم. وقوله (ومن عَلَم: العلم: الجبل).

(٣) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٤) أقبّ نَهْدِ: أي فرس عمرو، والنهد: المرتفع. وجاء في هامش البيت بالأمالي (الربل: ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر).

(٥) الصالحين: الأفضلين. قال ابن الأعرابي في هامش الأصل (الأفضلين: أجود). وأصحاب الكريهة: أصحاب الحرب.

(٦) الأمالي ـ أبو علي القالي، ـ ص ١٤٦/٣.

الطِّعان[1] وذلك أن بني عامر جالوا جَوْلَة إلى موضع يُقال له العُرْقُوب، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نمير، فوجدهم قد تخلَّفوا في قتال القوم، فرجع عامرُ يصيح: يا صباحاه، يا نُمَيْراه ولا نُمَيْر لي بعد اليوم، حتى أقْحَمَ فرسه وسْطَ القوم.. وكان عامر بن الطفيل يتعهَّد الناس ـ أي يحثُّ قومه على القتال ـ فأقْبَلَ مُسْهِر بن يزيد الحارثي فقال له: يا أبا عليّ انظر ما صنعتُ بالقوم، انظر إلى رمحي، حتى إذا أقْبَلَ عليه عامرُ وجَاءهُ مُسْهِر بالرمح في وجْنَتِه، ففَلَقَ وجْنَتَه وأصاب عينَه وخَلَّى الرمح فيها، وضرب فرسه فلحق بقومه» ـ وقد حسمت طعنة مُسْهِر الموقعة فانهزمت بنو عامر ومَنْ معها. وقد زعمت رواية نقلها ابن الأثير أنه «أسرع القتل في الفريقين ثم إنهم افترقوا، وكان الصبر لبني عامر» بينما الصحيح الذي تؤكده الأشعار التي أوردها ابن الأثير نفسه هو انهزام وفرار قبائل بني عامر بن صعصعة وانتهاء الموقعة بانتصار مذحج ومن معهم من فرسان نَهْد وخَثْعم. وقد جاء في كتاب الأمالي عن نهاية موقعة فَيْف الريح ما يلي: «قال الأصمعي: اجتمعت زُبَيْد ومُراد وخَثْعَم وثُمالة ودَوْس من الأزد، فقاتلوا بني عامر وجُشيم وسُلَيْما ونَصْراً حيث أتوهم، فَهُزِمَتْ عامر ومن معها، وأُصيبت عين عامر بن الطُفَيل»[2].

وقد بَرَّرَ عَامرُ بن الطفيل هزيمة بني عامر ومَنْ معهم مِنْ هوازن في يوم فَيْف الريح في أبيات ذكرها ابن الأثير وذكرتها سائر المصادر حيث «قال عامر بن الطفيل:

أعاذِلُ لو كان البَدَادُ لَقُوتِلُوا ... ولكنْ أتَانَا كلُّ جنٍّ وخَابِلِ[3]

وخَثْعَمُ حَيٌّ يُعْدَلُون بِمَذْحِجٍ ... وهل نحنُ إلّا مِثْل إحدى القبائل

وقال عامر بن الطفيل:

لَعَمْرِي، وما عَمْري عليَّ بِهَيِّنٍ ... لقد شانَ حرَّ الوجه طَعْنَةُ مُسْهِرِ

فبئس الفتى إنْ كُنْتُ أعورَ عاقراً ... جَبَاناً وما أُغْنِي لدى كل مَحْضَر

وقد علموا أنّي أكِرُّ عليهمُ ... عشيَّةَ فَيْفِ الرِّيح كَرَّ المدوَّر

فلو كان جَمْعُ مِثْلنا لَمْ نُبَالِهِم ... ولكن أتَتْنَا أُسْرةٌ ذات مَفْخَرِ

أتونا بِشَهْران العريضة كلّها ... وأكْلُب طرّاً في لِبَاس السَّنَوَّرِ»[4]

---

(١) حريجة الطعان. جاء في هامش الأيام «أي اجتمعوا بقنيهم، فصاروا بمنزلة الحرجة، وهي شجر مجتمع، وسُمُّوا ذلك اليوم حُرَيْجَة الطِّعان».

(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٤٧/ ٣.

(٣) البداد: يقال جاءت الخيل بداد، أي متفرقة متبددة. وجاء في الهامش (الخابل: ضربٌ من الجن).

(٤) جاء في القاموس «السنور: لبوس من قدّ كالدروع. والسنور: جملة السلاح» ـ وشهران وأكلب من بطون قبيلة خثعم.

وكان مُسْهِر بن يزيد الحارثي أشهر فرسان اليمن في انتصار يوم فَيْف الريح، بحيث فاق صِيتَهُ الحُصَين وعمرو بن معدي كرب وعمرو بن صُبيح لأنّه الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه الطعنة التي انهزمت بعدها قبائل بني عامر بن صعصعة ومن معها من القَيْسية ـ قيس عيلان ـ حتى طُوردوا وسُبِيَت حليلة عامر وبعض نساء بني جعدة وغيرهم من الهوازنية القيسية ـ وقد تم إطلاق سراحهن فيما بعد ـ «وقد وصلنا من شعر مُسْهِر الحارثي قوله في قصيدة له عن فَيْفِ الرِّيح:

وَهَصْتُ بِخُرْصِ الرُّمْحِ مُقْلَةَ عَامرٍ ... فأضْحَى بخيصاً في الفوارس أعْوَرَا

وغَـادَر فِـيـنَـا رُمْـحَـه وسِـلاحَـه ... وأدْبَرَ يدعو في الهَوَالِك جَعْفَرَا

وكُـنَّـا إذا قَـيْـسـيَّـة بَـرَقَـتْ لـنـا ... جَرَىٰ دَمْعُها من عينها فتحدَّرا

مـخـافـةَ مـا لاقـتْ حـلـيـلـةُ عـامرٍ ... مِنْ الشرِّ إذْ سِرْبالها قد تَعَفَّرَا»[1]

وعاد رؤساء وفرسان وقبائل اليمن من فَيْف الريح ونجد بالنصر والظفر إلى مناطق بني الحرث ومذحج ونَهْد وخثعم ودَوْس بمخاليف نجران والسَرَاة والجوف ومأرب في أعالي اليمن، وكانت تلك آخر موقعة وحملة على قبائل نجد وهوازن في الجاهلية حيث ـ كما ذكر أبو عبيدة ـ «كانت وقعة فَيْف الرّيح وقد بُعِث النبيّ ﷺ بمكة»[1]. أي قبل الهجرة النبوية إلى يثرب، فتكون في حوالي سنة ٦١٥م.

* * *

حَدِيثُ عُلْبَة بن مُسْهِر في مجلس ذي فائش الحِمْيَري:

بعد عودة مُسْهِر بن يزيد الحارثي والحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وفرسان أعالي اليمن من موقعة فَيْفِ الرِّيح إلى مخاليف نجران والسَرَاة وما جاورهما من مناطق مذحج وقُضَاعة، تَوَجّه عُلْبَة بن مُسْهِر بن يزيد الحارثي والمُنْتَشِر بن الحُصَين ـ أحد فوارس الأرباع ـ مِن نجران إلى الملك القَيْل سلامة ذي فائش الحِمْيَري، وهو أحد الأقيال الحميريين الذين استقلوا بحكم مناطقهم ومخاليفهم بعد انتهاء عهد الملك سيف بن ذي يزن ومعدي كرب بن سيف بن ذي يزن حيث تفككت الدولة الحميرية التي كانت تشمل كل اليمن وصار الأقيال ملوكاً على مناطقهم ومخاليفهم (منذ عام ٥٩٣م) وكان من أبرزهم وأشهرهم سلامة ذو فائش وكانت مناطق حكمه وقِيَالته مخاليف يَحْصُب ورُعَيْن وبعدان (بلواء إب حالياً)

(١) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ عن كتاب النقائض ـ ص ٤٦٩ ـ والعقد الفريد ـ ص ٣/٣٥٩ ـ والكامل لابن الأثير ـ ١/٣٨٧.

وكانت عاصمته ومقره قلعة وقصر إرياب في علاو قضاء يريم (يحصب) بمنطقة جبل سُمَارة، وفيه قال الشاعر الجاهلي أعشى قيس:

بِبَعْدَان أو رَيْمَانَ أَوْ رأسِ سِلْيَةٍ   شِفَاءُ لِمَنْ يَشْكُو السَّمائمَ بَارِدُ[١]

وبالقَصْرِ مِنْ إرْيَابَ لَوْ بِتَّ لَيْلَةً   لَجَاءَكَ مَثْلُوجٌ مِنَ الماءِ جَامِدُ

وذو فائشٍ مِنْ رأسه فوق مُشْرِفٍ   تقَصَّرُ عَنْهُ الهاضباتُ الرواعدُ

ومِنْ دونِه جُرد المذاكي وفوقها   حُمَاة بأيديها السيوفُ الحواصِدُ[٢]

وقد تَوَجَّه عُلْبَة بن مُسْهِر والمُنْتَشِر بن الحصين من نجران إلى سلامة ذي فائش في قلعة وقصر إرياب ـ (بلواء إب) ـ فالتقيا به، وجاء عن ذلك في كتاب الأمالي ما يلي نصه: «وَفَدَ عُلْبة بن مُسْهِر الحارثيّ والمُنْتَشِر أحد فوارس الأرباع إلى ذي فائشٍ المَلِكِ الحِمْيَرِيِّ، وكان ذو فائش يُحِبُّ اصطنَاعَ سادات العرب ويُقَرِّب مجالسَهم ويقضي حوائجهم، وكان عُلْبة شاعراً حَدثاً ظريفاً[٣]، فقال له الملك: يا عُلْبة ألَا تُحَدِّثني عن أبيك وأعمامك وتَصِفُ لي أحوالَهم؟ فقال: بَلىٰ أيُّها الملك، وهم أربعة: زيادُ ومالك وعمرو ومُسْهِر.

فأما زياد، فما اسْتَلَّ سيفَه مُذْ ملكَتْ يدُه قائمَه إلّا أغْمَدَه في جُثْمانِ بَطَلٍ، أو شَوَامِتِ جَمَلٍ؛ وكان إذا حَمْلَقَ النَّجيد، وصَلْصَلَ الحَدِيد، وبَلَغَت النَّفْسُ الوَرِيد، اعْتَصَمَتْ بحَقْوَيْه الأبطال اعتصامَ الوُعُول بذُرى القِلال، فَذَادَ عنهم ذِيَادَ القُرُوم عن الأشْوَال[٤].

(١) بعدان: منطقة وجبل بعدان بمحافظة إب، وريمان: جبل ريمان بقضاء يريم في إب. وسِلْيَة: قال القاضي المؤرخ محمد بن علي الأكوع في هامش الإكليل: «سلية ـ بكسر أوله أكثر من الفتح ـ بلدة من ذي رعُيَنْ ثم مِن آل عمار، سفح حصن شَخَبْ عَمّار» [ص ١٠٢/٢ ـ الإكليل] ومخلاف عمار بناحيتي النادرة والرضمة بمحافظة إب.

(٢) جاء في هامش الإكليل «الجُردُ: الخيل قصيرة الشَعْر».

(٣) قال أبو علي القالي «الحدَثُ: الحَسَنُ الحدِيثُ. والحَدَثُ: الشاب» ـ فقوله «شاعراً حَدُثاً» أي حَسَن الحديث.

(٤) قال أبو علي القالي وقوله: في جُثْمان بطلٍ، قال الأصمعي: الجُثْمان: الشخص، والجُثْمان: جماعة الجسم.. وقوله: أو شَوَامِت جَمَل، فالشَّوَامِتُ: القَوَائم، يريد: أنه يَعْقِر الإبل للضيفان.

وقوله: (إذا حَمْلق النجيد) حَمْلَق: انقلب حِمْلَاقُه، والحِمْلَاقُ: باطن الجَفن. والنَّجيد: الشُجَاع.. والنَّجْد: الشجاع، وكذلك النَّجِدُ، والنَّجْدة الشجاعة، هذا قول أبي نصر صاحب الأصمعي، ثم قال في موضع آخر: النَّجْد: السريع الإجابة إلى الداعي إذا دعاه إلى خير أو شَرّ.. وأنْجَدْتُه: أعَنْتُه.. والمنجود: (المكروب) =

وأما مالك، فكان عِصْمةَ الهَوَالِك إذا شُبِّهَتِ الأعجازُ بالحَوَارِك؛ يَفْرِي الرَّعِيل فَرْيَ الأدِيمَ بالإزْمِيل، ويَخْبِطُ البُهَم خَبْطَ الذِّئْبِ نِقَادَ الغَنَم[١].

وأما عمرُو، فكان إذا عَصَبَتِ الأفْواه وذَبَلَتِ الشِّفَاه وتَفَادَت الكُمَاه، خاضَ ظَلَامَ العَجَاج وإطْفَاء نارَ الهِياج، وألْوَى بالأعْراج، وأرْدَفَ كُلَّ طَفْلَة مِغْناج ذات بَدَنٍ رَجْرَاج؛ ثم قال لأصحابه: عليكم النِّهاب والأموالَ الرِّغاب؛ عَطَاءً لا ضَنِينٍ شَكِس، ولا حَقَلَّدٍ عَكِس[٢].

وأما مُسْهِر، فكان الذُّعَافَ المُمْقِر، واللَّيْثَ المُخْدِر، يُحْيِيَ الحَرْبَ ويُسْعِر، ويُبِيح النَّهْبَ فَيُكْثِر، ولا يَحْتَجِن ولا يَسْتَأْثِر[٣].

فقال له الملِكُ: للَّه أبوك، مِثْلُك فَلْيَصِفْ أُسْرَته». ـ انتهى ـ[٤].

إن ذلك الحديث الذي وصف فيه عَلْبَةُ أباه مُسْهِر وأعمامه زياد ومالك وعمرو هو من أدب الوصف الذي كان من ألوان الأدب اليمني في الجاهلية، ولذلك فله أهميته الأدبية وأهميته في تبيين دور مُسْهِر بن يزيد وأخوته في الحملات والحروب وخاصة في موقعة فَيْف الرِّيح.

ونرى أن مسير عُلْبَة بن مُسْهِر مع المُنْتَشِر بن الحصين إلى سلامة ذي فائش قد يكون بتوجيه من الحُصَين الحارثي ومُسْهِر ورئاسة بني الحرث بن كعب لإبلاغه

= وصَلْصَلَ: صَوَّتَ. والوريدَان: حَبلا العُنُق.
والأشوال: «جمع شَوْل وهي التي جَفَّت ألبانها، وواحد الشَّوْل شائلة». [ص ٢٦/١] ـ وذُرى القِلال: ذُرىٰ الجبال والأماكن المرتفعة.

(١) قوله (يفري الرعيل فَرْيَ الأديمَ بالإزميل): الرَّعِيل: جماعةُ الخَيْل. والأديم: الجلد. والإزميل: أداة من الحديد كالشَّفْرة. وقوله (يَخْبِطُ البُهَم. .) البُهَم واحدها بُهْمة: وهو الشجاع الذي لا يُدْرَى من أين يُؤْتَى له. (والنِّقَاد) جمع نَقَد وهي صغَار الغنم.

(٢) قوله (عَصَبَتِ الأفواه) يُقال (عَصَبَ الريقُ إذا غَلُظ ولَصِق بالفم ويَبِس).
وقوله (تَفَادَت الكُمَاة) يُقال (تَفَادَى القومُ إذا استتر بعضهم ببعض. قال الحطيئة في زيد الخيل الطائي:

تَفَادَى كُماةُ الخَيْلِ من وَقْعِ رُمْحِهِ ... تَفادِي خَشَاشِ الطَّيْرِ من وَقْعِ أجْدَل)

وقوله (ألْوَى بالأعراج): ألْوَى: أذْهَبَ. والأعراج: جمع عَرْج وهي نحو خمسمائة من الإبل.
و (الطَّفْلَة) المرأة الناعمة. والحَقَلَّد: السَّيِّء الخُلُق. والعَكِسُ والعَكِصُ ـ بالسين والصاد ـ العَسِرُ الأخلاق.

(٣) قال القالي (الذُّعَافُ: السَّمُّ السريع القتل. والمُمْقِرُ ـ عند بعضهم ـ الشديدُ المرارة ـ وعند بعضهم ـ الشديد الحُمُوضة، والمَقِرُ: الصَّبِر. ويَحْتَجِن: يَحْتَكِر ويُخْفِي).

(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٣ ـ ٢٧ جـ ١.

بالانتصارات التي تحققت في الحملات إلى نجد وفي موقعة يوم فَيْف الرِّيح من جهة وربما أيضاً للتشاور في أمور مستقبلية. وما لبث أن أتى إليه عمرو بن معدي كرب الزُبيدي وقد حَبَاهُ سلامة ذو فائش بسيفه الخاص، وقد ذكره عمرو بن معدي كرب في قصيدة بالإكليل[1] قال فيها:

وأعْـدَدْتُ لـلـحـرب فَـضْـفَـاضـةً دِلاصـاً تُـثْـنـيَ عـلـى الـراهـش[2]
وأســمــرَ مُـــطَّـــرداً ذَابِـــلاً وســيــف ســلامــة ذي فــائــش
حــســامــاً تــراه كــمــثــل الــغــديــر عــلــيــه كــنــمــنــمــة الــنــاقــش[3]

وقد انقطع ذكر مُسْهِر الحارثي في الأحداث التي تلت ذلك مما يشير إلى أنه مات قبل الهجرة النبوية حوالي عام ٦١٠م.

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٨ جـ ٢.
(٢) الفضفاضة: الدرع الواسعة. الدلاص: البراقة. الراهش: قليل لحم الظهر.
(٣) الغدير: المعين من الماء. نمنمة الناقش: كتابة منقوشة على السيف.

المبحث «٥٤ ـ ٥٧»

العَقَّار بن سُلَيْل اليَامِيّ

«أشهر شعراء اليمن الياميّين في الجاهلية»

هو الشاعر اليمني الجاهلي العقّار بن سُلَيل بن ذُهَل بن مالك بن الحارث بن ذُهَل بن مَسْلَمَة بن دؤل بن جُشَمْ بن يام (اليامي) ويام هو «يام بن أصبي بن دافع بن مالك بن جُشم بن حاشد بن جُشم بن خيران بن نوف بن همدان بن زيد»[١] فَيام قبيلة حاشدية همدانية ومنطقتها بمخلاف نجران مع بني الحرث بن كعب وغيرهم من قبائل مذحج. قال الحسن الهمداني: «لِيَام وطنٌ بنجران ثمَّ بلدهم يطّرد إلى حدود زُبَيْد ونَهْد من ناحية حارة وما يليها وهي حارة وملاح وسَمَنَان فإلى ما يُصَالي خليف دكم من أعالي حَبَوْنن، والحظيرة وبدر وصيحان وقابل نجران وهدادة والحظيرة بأعلى حَبوْنن»[٢].

وكانت يام تشترك في بعض حملات مَذْحَج ونَهْد إلى مناطق تميم وعامر بن صعصعة في نجد، قال العقّار:

نحنُ بنو يامٍ ونحنُ الدَّفَعهْ   سائِلْ بِنَا مُقَاعِساً وصَعْصَعَهْ

ومُقَاعِس هم قبيلة (مُقَاعِس بن كعب بن زيد مناة بن تميم) وقد سلف ذكرهم في أنباء يوم الكُلَاب وشعر وَعْلة الجرمي وفي يوم المرُّوت. وصعصعة هم قبيلة عامر بن صعصعة الهوازنية النجدية التي غزاها فرسان أعالي اليمن في حملات كان آخرها يوم فَيْف الريح، وفي إحدى تلك الحملات سُمّي العقّار بهذا الاسم، فقد جاء في الإكليل أنه «إنّما سُمّي العقَّار لأنّه شهد وقعة كانت لهمدان وبعض أعدائهم فحلف ألا يقتل في ذلك اليوم أحداً، فجعل كلّما لقَى فارساً ضَرَبَهُ ضَرْبَةً خفيفةً حتى عقر نحواً من ثلاثين فارساً فَسُمِّي في ذلك اليوم العَقَّار»[٣].

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٥ ـ ٨٦ جـ ١٠.

(٢) قال القاضي محمد الأكوع في هامش الصفة «حبونن: هو ما يُسمى اليوم حبونة.. وقابل نجران: يقال له القابل ولا يزال فيه آثار كنيسة.. وهدادة: بلدة آهلة بالسكان». [ص ٢٥١].

(٣) كان العَقّار أحد الذين اشتهروا بألقاب سُمّيوا بها، ومنهم الشاعر اليمني الجاهلي المُعَقّر بن أوس البارقي وقد سُمّي المُعقّر لقوله: (كما مهّدت للبعل حسناء عاقرُ) فاشتهر بلقب (المعقر)=

أنباء وشعر العَقّار في يوم مَشْجَعة الجُعْفيّ:

وقد حفظ لنا كتاب الإكليل من أنباء وشعر العقار بن سليل الياميّ أنه: «كان بين يام وجُعْف ولثٌ وصِلَة» ـ والولث: العهد بين القوم غير مؤكد أو العرف المتعاهد عليه ـ «فكانت جُعْف إذا أجدبت رَعَتْ في بلاد يام وإذا أجدبت يام رعت في بلاد جُعْف». وجُعْف هي قبيلة جُعْفَى بن سعد العشيرة بن مذحج ـ «وأجدبت بلاد يام فنجع العقار إلى بلاد جُعْف، فلما نزل ببلاد جُعْف حَالَ مشجعة بن المُجمع بن مالك الجُعْفي بينه وبين المَرعَى[1] قال العقار: فأين العهد فيما بيننا؟ فقال له مشجعة: لجَفْنَةُ مِنْ حيسٍ بارد أَحَبُّ إليّ من عهد يام[2] فقال له العقار: ألا جعلته سُخْناً» ـ ويتبين من شعر العقار أنه مكث هو والذين معه من يام في منطقة جُعْفى بالرغم من أن مَشْجَعة الجُعفي منعهم من المرعى، وهو ما يتبين من قوله:

لـمّـا رأونـا نَـمَـشّـىٰ فـي ديـارهـم ... كما تَمَشّىٰ الجِمَالُ الجُلّةُ الشُّمُسُ

وديار جُعْفَى هي في أرض سرو مَذْحج بمنطقة وادي جرْدان بشبوة حيث جاء في الصفة أن «جرْدان: وادٍ عظيم فيه قرى كثيرة لجُعْفَى»[3] بينما بلاد يام في نجران، فانتجاعهم إلى بلاد جُعْفى إذا أَجْدَبَتْ يام يتفق مع طبيعة الحياة البدويَّة، والانتجاع هو طلب المرعى، فمكث العقار والذين معه بمنطقة جُعْفَىٰ بالرغم من أن مَشْجَعة بن المجمع رئيس جُعْفَى حال بينه وبين المرعى.

قال الهمداني: «ثم انطلق العَقّارُ إلى امرأة رجلٍ من جُعْفَى تَبيعُ الخمرَ، وكان يُقال لزوجها ذبيان بن بادية، وكان له عندها فرسٌ مرهونٌ على أربعة أبعرة، فضَمَنَ لها أن يبعث إليها بالأبعرة وسألها أن تُعطيه الفرس، فَفَعَلتْ. فأخذ الفرس فركبه، وقد كان بعث بماله مع خدمه، ثم مضى إلى مَشْجَعه ومعه حَرْبة، فَطعَنَهُ بها فأخرجها مِنْ بين كتفيه فَقَتَلَهُ. فتبادرت إليه جُعْفى فسبقهم العقار ركضاً بفرسه. فقال في ذلك العقار:

لـمْ يَبْـقَ مِـنْ خَبَـرِ الـجُـعْـفـيّ بـاقـيـة ... إلّا الأمـايـرُ والاقْـطَـاعُ والـدَرَسُ[4]

= وكذلك اشتهر العقّار باسم العقّار لأنه عقر نحواً من ثلاثين فارساً نجدياً في يوم من أيام الجاهلية، فصار اسمه العقّار.

(١) هو (مشجعة بن المُجمع بن مالك بن كعب بن عوف بن حُريم بن جُعْفى) وكان سيد ورئيس بني جُعْفَى.

(٢) الجفنة: الإناء الذي يوضع فيه الطعام. والحيس: التمر المنزوع النواة مع السمن والجُبْن.

(٣) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٠٠.

(٤) الأماير: جمع أمارة وهي العلامة. والأقطاع: أي ما تقطع منه. وجاء في الأصل (الإقطاع) ولعله تصحيف من الطباعة. والدَرَس: الأثر.

ردي إليك جِمَال الحيِّ فاحتملوا ... فإنّهم مِنْ نَفُوس القوم قد يَئِسُوا[١]
لمَّا رأونا نَمَشّىٰ في دِيَارِهُمُ ... كَمَا تَمَشَّىٰ الجِمالُ الجُلّةُ الشُّمُسُ[٢]
مِثْلَ اللّيوث عَدَتْ يوماً لِمُعْتَرَكٍ ... عند اللقاءِ، وتَقْصِيد القَنَا حَرَسُ[٣]
لا يُسْمَعُ الصوتُ مِنّا غير غَمْغَمَة ... بالبِيضِ نَضْرِبُ هَاماً فوقها القَنْسُ[٤]
أمّا حليلةُ ذُبْيَان فقد كَرُمَتْ ... في الفِعل مِنْها فَلَمْ تدنُس كما دنَسُوا[٥]
جَادَتْ بِمَا سُئِلَتْ لمّا رأتْ جَزَعي ... مِنْ فوق أعْيَط في لَحْظَاتِه شَوَسُ[٦]
مَنَحْتُ مَشْجَعة الجُعْفيّ مُرْهَفَةً ... كأنّها حِينَ جَازَتْ صَدْرَه قَبَسُ[٧]
ظَلَّتْ كَرَائمُ جُعْفيّ تُطِيفُ بها ... هَيْهَات مِنْ طَالِبِيه ذاك ما الْتَمَسُوا[٨]

وقال العَقَّار أيضاً:

نحنُ بنو يَام ونحنُ الدَّفَعَهْ[٩]
سائِلْ بنَا مُقَاعِسَاً وصَعْصَعَهْ[١٠]

---

(١) قوله (من نفوس) جاء في القاموس المحيط (نَفَّسَ: أي فَرَّج.. وتَنَفَّسَ الصُّبْحُ تَبَلَّجَ..» فالمعنى يدور حول ذلك. وهذا البيت شبيه بقول علقمة بن عبدة الجاهلي:
«ودّ الأمان جمال الحيّ فاحتملوا»

(٢) الجُلة: الكثرة. والشُّمُس ـ بضم الشين والميم ـ جاء في القاموس (شمَسَ الفرسُ شُموساً: منع ظهره، فهو شامِسٌ وشُمُس). والمقصود الجمال النافرة الصعبة الركوب.

(٣) تقصيد القنا: تكسيره. والقنا: الرماح. وجاء في القاموس «حَرَسٌ وأحراسٌ هم الحُرّاس. والحَرسُ: الدهر. وحَرَسَ: سَرَق.. واحترستُ: تحفظتُ».

(٤) البيض: السيوف. والقُنُس، جاء في القاموس المحيط (القَنْسُ: أعلى الرأس. والقَوْنُوس: أعلى بيضة الحديد) أي أعلى الخوذة.

(٥) حليلة ذيبان: امرأة ذيبان بن بادية. وقوله (لم تدنس) جاء في القاموس المحيط (الدَنَسُ: الوسخُ؛ وقوم أدناسٌ ومَدَانِسُ، وَدَنَّسَ ثَوْبَهُ وعِرضَهُ: «فعل به ما يَشِينُهُ» [ص ٢/٢٢٥].

(٦) قوله (من فوق) جاء في القاموس (الفَوقُ: مَيَلٌ وانكسار) (ص ٣/٢٨٨) والأعيط: المرتفع. ولحَظَاته: نظراته. قال الفيروزآبادي (والشَّوَسُ: النظر بمُؤخرِ العين تكبُّراً وتَغَيُّظاً. أو تصغيرُ العينِ وضمُّ الأجْفانِ للنَظَر» [٢٣٢/ ٢ـ القاموس الحيط].

(٧) مرهفة: رقيقة، أي الطعنة. قال الفيروزآبادي (والقَبَسُ: شُعْلَةُ نارٍ تُقْتَبَسُ مِن مُعْظَمِ النار) [ص ٢/٢٤٧].

(٨) تطيف بها: أي تطيف بمكان الطعنة. وهيهات: بَعُد، لأنهم التمسوا أن يكون ما يزال حياً، وهيهات ذلك.

(٩) من معاني الدفع في القاموس «الشيء العظيم يُدْفَعُ به مثله.. وتَدافَعُوا في الحربِ دَفَع بعضهم بعضاً» [ص ٣/٢٢].

(١٠) مُقَاعِس: قبائل من تميم. وصَعْصَعَة: قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية.

وسَـيِّـدَ الـحـيِّ الـرئـيـسَ مَـشْـجَـعَـهْ
مَـنَـحْـتُـه ذات غِـرارٍ مُـدْرَعَـهْ[1]
جَـادَتْ لـه مَـنِـيّـة مُـفْـجِـعَـهْ»[2]

* * *

شعراء آخرون مِن يام في الجاهلية:

١ ـ **مدرك بن عبد العزاء**: وقد كان من شعراء اليمن الياميين في الجاهلية أيضاً عدة شعراء جاء ذكرهم في الأنساب بالإكليل بإيجاز وهم:

«عبد العُزّاء بن سبع بن النمر بن ذُهل، شاعر جاهلي، وابنه مُدْرك بن عبد العُزّاء شاعر أيضاً وهو القائل:

وأنّىٰ لكم أنْ تَبْلُغُوا مجد يَامِنَا ... وأرحبَ حتى يُنْفِد التُّرْبَ نَاقِلُهْ
فَهُمْ أصْلُ هَمْدَان الوثيق وفَرْعُهَا ... قديماً وأعلىٰ فَرْعُهَا وأطَاوِلُهُ

.. ومنهم الوازع بن معاوية بن مالك بن أحزم بن هبرة بن مذكر بن يام، شاعر. ومنهم الحارث بن موزع كان شريفاً». (٨٨/ ١٠).

* * *

٢ ـ **سمير الفرسان اليامي**: وهو مُخْتَلِس حباشة عمرو بن معدي كرب، والحباشة: الغنيمة، وكان عمرو قد غنم غنيمة في فترة وقوع فتنة بين مَذْحج وقُضَاعة بنجران وصعدة، فأرسل الغنيمة مع عميه سعد وشهاب، فأغار عليهما سمير الفرسان في جماعة من يام واستولى على الغنائم التي كانت معهما، فبعث عمرو إلى سمير يتوعده، فقال سُمير في ذلك أبياتاً منها:

أيُرْسِلُ عمرو بالوعيد سَفَاهةً ... إليّ بِظَهر الغَيْبِ قولاً مُرَجَّمَا
لِيُسْمِعَ أقواماً بِمَا لَيْس مُقْدِماً ... عليه، وَقَدْ رَامَ اللقاءَ فأحْجَمَا
فإنْ شِئْتَ أن تَلْقَىٰ سميراً فَلَاقِهِ ... وعَجِّلْ ولا تَجْعَلْه مِنْكَ تَهْمَهُمَا
فسوف تُلاقِيه كَمِّيّاً مُدَجْجَاً ... حَمِيّاً إذا ما هَمَّ بالأمر صَمَّمَا

ويدل عدم رد عمرو بن معدي كرب عليه شعراً ولا غارة بأنه تجاوز عن ذلك حرصاً على علاقته الطيبة مع قبيلة يام.

* * *

(١) الغرار ـ بكسر الغين ـ حديدة قاطعة. والمدرعة: لباس على الظهر والجوانب مشقوق المقدم من الصدر. ويعني: كساه مدرعة من الدم.

(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٦ ـ ٨٧ جـ ١٠.

٣ ـ أبو جُشَيْش الجوّاد: قال الحسن الهمداني: «ومن يام أيضاً أبو جُشَيْش الجوّاد، وهو القائل لبعض بني عمه في شيء كان بينهم:

قُلْ لهذين كُلا زادِكُما ودعاني واغلاً حيثُ أغِلْ[1]
رُبّ زادٍ قد أكلنا طيّباً بعده الشّهْد بألبان الإبِلْ
إنّما الزاد لِمَنْ يَبْذُله فإذا ما نِلْتَ خيراً فأنِلْ
إنما حظك منه ذكره لا تقولن عَسَى لا ولعلْ

وكانت يام تُدْعَى في الجاهلية (قاتلة جبانها).. وكان فيهم جبان في الجاهلية يُقال له (أنيب) فحلفوا ألا يُولد له ولد فيهم أبداً، وحلفوا على قتله، فقال لهم رجل منهم: ويحكم أخصوه ولا تقتلوه، فإنه لا يولد له ولد إذا كان خصياً فلا تحنُثُوا في أيمانكم. فشاع ذلك في همدان فكرهت أن تذهب يام بهذا الذكر، فقالوا لهم: خذوا من كل قبيلة سهماً فارموه بجميع السهام وإلا حُلْنا بينكم وبينه، فأجابوهم إلى ذلك، فَبُعث إليهم من كل قبيلة سهم ثم صيّروه هدفاً، وجعلوا يرمونه ويقولون:

لِلّه سَهْمُ ما بَنَا عن أنْيَبْ
حتى يُوارى نَصْلَه في مَنْشَبْ»

(انتهىٰ).

---

(١) زادكما: طعامكما. وجاء في نهاية عجز البيت بالأصل «وَغَلْ» ونرى أنه تصحيف لعدم استقامته مع قافية بقية الأبيات، وأن الأصوب (أغل) ومن معاني (أغل) في القاموس (أغل إبله أساء سقيها.. وعيشُ أغْوَل: ناعم)

المبحث «٥٨ ـ ٦٩»

جَذيْمَة بن وائل الشَاكِريّ

«ثاني عشر ١٢ شاعراً في فتنة هَمْدَان وقُضَاعة بالجاهلية»

هو الشاعر والفارس اليمني الجاهلي جَذيْمَة بن وائل بن ربيع بن جَذيمة بن وائلة بن شَاكِر (الشاكري)، قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «شاكر قبيلة مِن اليمن مِن همدان وهم ولد شاكر بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل. قال الراجز:

حيّاكُم اللّه وحيّا شَاكِرَا ... قوماً يُغادون الضيوف باكرا
ويُكْرِمُون الضّيفَ والمُجَاورَا»[1]

وشاكر إحدى قبائل بكيل، وبكيل هو (بكيل بن جُشَم بن خيران بن نوف بن همدان) ويجتمع نسب قبائل بكيل وحاشد في (هَمْدَان بن زيد)، قال جُذيمة بن وائل الشاكري:

يا لهَمْدان ابن زيد إنّمَا ... نَفَلُ الحَرْب لنا حين تُشَدّ

وتتفرع شاكر إلى ثلاثة بطون رئيسية: أمير بن شاكر، ودُهْمة بن شاكر، ووائلة بن شاكر، وكانت منطقة وائلة بن شاكر ـ وما تزال ـ في صعدة (محافظة صعدة) ومنها نواحي كتاف والبُقْع والصفراء في مشرق صعدة إلى الحصن بنجران، وتجاورُهُم خولانُ في نواحي غرب صعدة وحقل صعدة إلى ما يليها شمالاً من مناطق خولان وقضاعة في السَرَاة بأعالي اليمن.

فوقعت في الجاهلية «قبل الإسلام بنحو مائة سنة» فتنة حربية بين وائلة (همدان) وبين خولان (قضاعة) في صعدة بسبب نزاع على المياه وبسبب مقتل الحارث بن عمرو الخولاني، فتنادت للحرب قبائل همدان (شاكر، وأرحب، وسفيان، وذو لعوة) من جهة وقبائل قضاعة (خولان وكلب ونَهْد وجرم) من جهة أخرى، وكان للشعر والشعراء دورهم في تلك الفتنة الحربية التي استمرت ثلاث

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٥٠٩/٢ ـ وقال الهمداني في الإكليل «وتُسَمّى شاكر: شاكر القِرىٰ وشاكر الجوار، قال الراجز:
حيّاكم اللّه وحيّا شاكرا ... قوماً يُغَذّون الدخيل باكرا ... ويُؤْثِرون الضيف والمجاورا»

سنين. وقد رأينا أن نذكر الشعراء الذين وصلتنا أشعار لهم في تلك الفتنة معاً، وهم:

١ ـ جَذيْمَة بن وائل الشاكري فاتح الحرب:

لقد كان جَذيْمَة بن وائل الشاكري هو ـ كما جاء في الإكليل ـ «فاتح حرب همدان وقضاعة، وقال في تلك الحرب:

يا لـهَـمْـدَان ابـن زيـد إنَّـمَـا ... نَـفَـلُ الـحَـرْب لـنـا حـيـن تُـشـدْ
نَـقْـتُـلُ الأقـرانَ فـي يـوم الـوغَـىٰ ... ولـنـا الـسـاعِـدُ مِـنـهَـا والـعـضَـدْ
لا يَـمَـلُّ الـحَـرْبَ يـومـاً مِـثْـلُـكُـم ... فِـيـكُـمُ الـثـروة تُـخْـشَـىٰ والـعَـدَدْ
لـكـمُ الـخَـيْـل جِـيَـاداً سُـخِّـرَتْ ... ولـهـا الأنـفـالُ فـي يـوم الـطَـرَدْ
ورِمَـاحُ مِـنْ أبِـيـنَـا إرثُـهَـا ... وَرِّثَ الـشَّـيْـخُ بَـنِـيـهِ ورَفَـدْ
يا لِـخَـوْلان ابـن عـمـرو أنْـصِـفُـوا ... قَـبْـلَ نَـنْـفِـيـكُـم بـأوطـان الـبَـلَـدْ[١]
وذَرُوا الـحَـقْـلَ وحـلُّـوا مِـنْ دَفَـا ... فـي هِـضَـابٍ ونُـجُـودٍ وسَـنَـدْ»

وقد جاء صدر البيت الأخير في الإكليل (المطبوع): (وذروا الحقل وخلوا مَنْ دنا) ونرى خطأ ذلك وأنه تصحيف من الناسخ، وأن الصواب (وَذَروا الحقل وحلُّوا مِنْ دَفَا) والحقل هو حقل صعدة الذي هو مدينة صعدة وما حولها. ودَفَا: منطقة دَفَا في السَرَاة بمنطقة عسير وقد جاء في الصفة أن (دَفَا لبني صحار بن خولان)[٢].

وكان زمن جَذيْمَة بن وائل الشاكري قبل عمرو بن معدي كرب الزُبيدي بثلاثة أجيال حيث عاصره: المجالح بن عمرو بن هُصَيْص بن جَذَيْمَة بن وائل الشاكري، وكان المُجَالح بن عمرو فارس همدان في عصره، وفيه قال عمرو بن معدي كرب:

لـعَـمْـري لـقـد مَـنّ الـمُـجَـالـحُ مِـنّـةً ... عَـلَـيّ فـنـعـمـاهـا لـه آخـر الـدهـر[٣]

* * *

٢ ـ مالك بن ملالة الأرحبي. . فارس الخَطّار:

هو الرئيس الشاعر مالك بن ملالة بن أرحب ـ الأرحبي ـ ابن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل البكيلي الهمداني، وكانت منطقة بني ملالة بن أرحب في ناحية المراشي. قال الهمداني: «وبالظاهر من المراشي وادٍ يُقال له الملالي كان لآل ملالة به مزارع ومساكن»[٣] وما تزال المراشي تحمل هذا الاسم

---

(١) جاء عجز البيت في الإكليل (المطبوع): (قبل نفيكم من أوطان البلد). ويدل عدم استقامة الوزن على وجود تصحيف، فصوبناه.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٠.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩٠ وص ١٥٤/١٠.

حتى الآن وتجاورها ناحية برط وهما من مناطق دهمة بن شاكر، وهما من محافظة الجوف حالياً وتجاوران صعدة.

قال الهمداني: «وكان مالك بن ملالة سَيّد همدان، وهو فارس (الخطار) فرس كان له، وهو الذي قام بحرب خولان وقُضَاعة اليمن التي فتحها جَذِيْمَة الشاكري، وفي تلك الحرب قال مالك بن ملالة:

نَادَيتُ هَمْدَانَ قومي ثم سِرْتُ بهم ... أَبْغَىٰ تقاضِيَ دَيْنٍ ما لَه أَجَلُ[١]
في فِتْيةٍ مِن بني زَيْدٍ إذا ركبُوا ... كُمْتَ الجِيَادِ حَسبْتَ الأرض تَحْتَمِلُ[٢]
سِرنَا بأرعنٍ جَرَّارٍ كَلاكِلُه ... تَخَالُ أنّ عليه البرقَ يَشْتَعِلُ[٣]

وهو القائل:

وأنا ابن هَمْدان الذين هُمُ هُمُ ... يَدَعُوا السُرُوجَ وشَلْو كُلّ لُجَام

وسقط مالك بن ملالة قتيلاً في تلك الحرب بيد فرسان خولان وقُضَاعة. وكان له أربعة أبناء فرسان هم أبو نمارة، وعلقمة، وعمرو، وطفيل. وقد أدرك الإسلام من أحفاده: أبو رهم بن مُعْمِر بن مكرمان بن مطعم بن طفيل بن مالك بن ملالة مما يعني أن زمن تلك الفتنة الحربية بين همدان وقُضَاعة والشعراء الذين نذكرهم قد يكون قبل الإسلام بأكثر من مائة سنة.

* * *

٣ ـ الشاعر القائد أبو نمارة بن مالك الأرحبيّ:

هو أبو نمارة بن مالك بن ملالة بن أرحب. تولى القيادة الحربية بعد مقتل أبيه في تلك الفتنة الحربية بين همدان وقُضَاعة. قال عنه الحسن الهمداني: «كان أبو نمارة سيداً جواداً فارساً شجاعاً، ورَأَسَتْهُ همدانُ بعد أبيه فقام بحرب قُضَاعة» (اهـ).

وممّا يلفت الانتباه في شعره قوله:

فإنْ حِينَ يوماً مالك ابن مُلالةٍ ... فإنَّ لِهَمْدَان مَنَاقِبَ لا تَبْري
أرادوا لِيُخْفُوا قَبْره عن عَدُوه ... وطِيبِ تُراب القَبْر دلّ على القَبْر

---

(١) الدين: المراد به هنا الأوتار.

(٢) كُمت الجياد: التي لونها بين الأسود والأحمر. وقوله (الأرض تحتمل) جاء في القاموس المحيط من معاني حَمَله «. . الحملة: الكرّة في الحرب، والاحتمالُ من دار إلى دار. . والحمولةُ: ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه. . وحَمّل به يَحْمِلُ: الغضب أظهره. .» [ص ٣/٣٧٣].

(٣) الكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر.

فقد أرادت همدان إخفاء قبر مالك بن ملالة بعد مقتله عن عدوّه الذين هم خولان وبقية قضاعة، فلماذا أرادوا إخفاء قبره؟ غالب الظن أنهم أرادوا ذلك حتى لا تعلم خولان بمقتله فتشعر بالظفر ويشتد أمرها، ولكن خبر مقتله وموضع قبره ما لبث أن أصبح معروفاً للجميع، وقد أبدع أبو نمارة بقوله: «وطِيب تُراب القبر دلّ على القبر».

والبيتان من قصيدة لأبي نمارة قال فيها:

سوابقُ قومي ليس يدركُ فخرها[١] عن السادة الغُرّ القَمَاقِمَةِ الزُهْرِ[٢]
لنا البيتُ منها والرئاسة والحِجَا وإرث المعالي والجسيم مِن القَدْر[٣]
إذا ما اغتدوا يوماً لحرب قبيلةٍ فقد رُجِمَتْ منهم بقاصمة الظهر
نَمَانَا إلى فرْعِ الأرومة مَاجِدُ كريمُ المساعي في اليسارِ وفي العُسْر
ونحنُ بَدَعْنَا للجِيادِ سُرُوجها[٤] ونحن ضربنا الناس في شنف النكر[٥]
فإنْ حِينَ يوماً مالكُ بنُ مُلالة[٦] فإنّ لهمدانٍ مناقب لا تبري[٧]
أرادوا لِيُخْفُوا قبره عن عدوه وطِيب ترابِ القبر دلَّ على القبر

٤ ـ علقمة بن مالك بن ملالة الأرحبي:

قال الحسن الهمداني: «كان علقمة بن مالك بن ملالة نَجْداً وهو القائل في حرب قضاعة:

---

(١) جاء في هامش الإكليل (السوابق: جمع سابقة وهي الخيل التي تسبق غيرها) وأقول: بل المقصود سوابق قومه في الفخر والمكانة، كما قال المصعب بن زيد الخولاني وهو أحد شعراء تلك الفترة:

سبقنا جميع الناس فوتاً إلى العلى وآباؤنا شُمٌّ كرام الشمائل

وقال عوف بن يزيد الخولاني:

قومي الملوك ذوي المكارم لم تزل أهل السوابق فضلهم لا يُنكرُ

(٢) القماقمة: جمع قمقام وهو السيّد كثير العطاء.

(٣) الحِجا ـ بكسر الحاء ـ العقل. قال ابن إبان الخنفري الحميري:

مِنْ أبناء صيفيّ ذوي العلم والحِجا وأهل المساعي والحلوم الرواجح

(٤) كانت همدان بن زيد مِن أول مَنْ ابتدع صناعة سروج الخيول ولُجَامها في عصور سبأ. وفي ذلك قال أيضاً مالك بن ملالة:

وأنا ابن همدان الذين هُمُ هُمُ بدعوا السروج وشلو كلّ لجام

(٥) الشنف: البغض. والنكر: القول القبيح المستنكر.

(٦) حين: حانَ. أي الموت. وجاء في الأصل (فإن جئن) وهو تصحيف.

(٧) قال الأكوع في الهامش «لا يبري: من البراية، أي لا يؤخذ من أخلاقها».

عـادات أسيافنـا يـوماً إذا صَـدِئـتْ صِـقَـالـهـا بـمسـاحـي هـام خـولان[1]
تظمأ ما ظَمَأت فينا، وليس لها إلا دمـاؤهـم مِـنْ مَـشْـربٍ دانـي
أَمِثْلَكُم هَاجَنَا أو هَادَ بيضتَنَا أو سَبّنَا يا رعاة المعزِ والضأنِ»[2]

وسقط أخوه عمرو بن مالك بن ملالة قتيلاً في تلك الحرب، قتله الربيع بن عقيل بأخيه مسعود بن عقيل الكلبي.

أما أخوهم الرابع طفيل بن مالك بن ملالة فجاء في الأنساب أنه «أولَدَ طفيلٌ: جَلْهماً ومُطْعماً ومالكاً، فأولد جَلْهمُ: مالكاً، وعترة، وحوثرة. وأولدَ مُطعِمُ: مكرمان. وأولد مكرمانُ: المُعَمّر. فأولد المعمر: مطعماً، فأولدَ مُطعمُ: أبَا رُهَم الشاعر هاجر إلى النبي ﷺ وهو ابن خمس ومائة سنة وقال:

إليكَ طويتُ الأرضَ أقْتَبِسُ الهُدَىٰ وفارقتُ بطنَ الجوفِ نَشقاً وأرْحَبَا»[2]

ويدلُّ ذلك على أن زمن الفتنة الحربية بين همدان وقضاعة كان قبل الإسلام بأكثر من مائة سنة.

* * *

٥ ـ الشاعر معاوية بن دومان البكيلي:

هو الشاعر والفارس (معاوية بن دومان بن عُمَيرة بن الدّعَام بن مالك بن ربيعة بن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل) البكيلي الهمداني.

وهو ثالث ثلاثة أبناء فرسان لدومان بن عميرة، وهم معاوية وصعب ويزيد. قال الحسن الهمداني عنهم: «كانوا نظراء الطفيل بن مالك بن ملالة ـ وأبي نُمارة بن مالك ـ في الشرف، وقاموا معه بحرب خولان.. ومعاوية بن دومان هو القائل:

أراد (عَـقِـيـلٌ) يَـمْـنَـعُ الـمـاء زَلّـةً ولَـمْ يَـكُ رأياً مَـنْعَـهُ الـمـاءَ لَـوْ عَـقَـلْ
ففـارَقَـتِ البِيضُ الخِفَافُ غُمُودِهَا ولاحَتْ بأيدِيهم مصابيحُ كالشُّعَلْ
حَسَبْتَ رجالاً، أنْ تَجِفَّ حُلُوقَها وأنتَ على رِيٍّ، وفي رَاحِها الأسَلْ»[3]

---

(١) صدئت: أي صدأ الحديد. وصقالها: صقلها لإزالة الصدأ، المساحي: جمع مسحاة وهي المجرفة في لهجة بعض همدان. والهام: رأس كل شيء.

(٢) هاد: أي هدّ منها أو انتقصها ـ الإكليل ـ ص ١٥٤/ ١٠.

(٣) يدل منطوق الأبيات أن الأصوب ترتيبها كما يلي:

أراد عَـقـيـلٌ يَـمْـنَـعَ الـمـاء زلـةً ولَـمْ يَـكُ رأياً مَـنْـعَـهُ الـمـاءَ لـو عَـقَـلْ
حَـسَـبْـتَ رجـالاً، أن تـجفّ حُـلُـوقَـهـا وأنـت عـلـى ريٍّ، وفـي رَاحِـهـا الأسـلْ
فـفـارقَـتَ الـبِـيـضُ الـخِـفَـاف غـمـودهـا ولاحـتْ بـأيـديـهـم مـصـابـيـح كـالـشُّـعـلْ

وقد جاء في الإكليل (المطبوع) بداية هذا الشعر «أراد طُفَيْلُ. .» وهو تصحيف من الناسخ وإنما هو «أراد عَقِيلُ. .» أي عقيل بن مسعود الكلبي رئيس قضاعة في تلك الفتنة الحربية، ويتبين من هذا الشعر أنّ (منع الماء) كان سبب تلك الفتنة وأنه تم منع الماء عن همدان المجاورين لخولان بالمنطقة القريبة من حقل صعدة، وربما كان ذلك أثناء الفتنة والحرب.

وقوله (ففارقت البِيض الخِفاف غمودها) أي فارقت السيوف أغمادها أو غمودها (جمع غمد) حيث «هجم الصعب بن دومان ـ أخو معاوية ـ على منطقة سحامة في حقل صعدة، فَقُتِل ـ في الهجوم ـ مِن خولان ومَنْ يخلطها من جَرْم ونَهْد خمسة وسبعين رجلاً منهم مسعود بن عقيل بن مسعود الكلبي»[1].

ثم هجمت قُضَاعة (أي خولان وجَرْم ونَهْد وكَلْب) على همدان فيما بعد وكان رئيسهم عقيل بن مسعود الكلبيّ، فَقُتِل الصعب بن دومان. وكذلك (قُتِل عمرو بن مالك بن ملالة في تلك الحرب، قَتَلَهُ الربيع بن عقيل بأخيه مسعود بن عقيل).

وكان لمعاوية بن دومان سبعة أبناء: الحارث، وعمرو، وعبد اللّه، وعلكم، وربيعة، ومالك، ويزيد. قال الهمداني: «وكان يزيد بن معاوية فارساً مُضِراً في حرب خولان وهو الذي طعن عقيل بن مسعود سيد قُضَاعة فَخَرَمَ أنفه. وأولد يزيد بن معاوية: رَوْحاً الأشَلّ، شُلّت يده برمية في حرب خولان». ـ انتهى ـ.

* * *

الحارث بن مرّ الأرحبيّ. . قائد خيل هَمْدَان:

هو الحارث بن مُرّ بن ربيعة بن عبد بن عِلْيان بن أرحب ـ الأرحبيّ ـ ابن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل البكيلي الهمداني، وكان فارساً شاعراً، وهو من أرحب الذين كانوا بمنطقة الجوف.

قال الحسن الهمداني: «كان الحارث بن مرّ صاحب خيل همدان في حرب قضاعة اليمن من خولان ونَهْد وجَرْم وكلب، وهو القائل في تلك الحرب:

يـا لـهـمـدان ابـن زَيْـدٍ أَطْـلُـبُـوا عـزّة الـنـصـر بـأطـراف الأسَـلْ»

وهذا البيت من قصيدة للحارث بن مرّ في تلك الحرب، وقد اكتفى الهمداني بذكر هذا البيت لأنه إنما يذكر الأنساب، ويتبين من قوله: (في حرب قُضَاعة اليمن من خولان ونَهْد وجَرْم وكَلْب) إن قبائل نَهْد وجَرْم وكَلْب كانت بمخلاف صعدة مع خولان، وهم من قبائل قُضَاعة بن مالك بن حِمْيَر الذين

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ جـ ١٠.

باليمن لأن بعض قضاعة انتشروا خارج اليمن في عصر الدولة الحميرية.

ومن أحفاد الحارث بن مرّ: قيس بن جنادر بن كعب بن مالك بن الحارث بن مُرّ، معاصر الحصين بن يزيد الحارثي قائد بني الحرث بن كعب ومذحج في أيام المرّوت وفَيْف الريح وغيرها، وكان الحصين أغار بفرسان بني الحارث على أرحب الجوف أثناء نزاع بين مذحج وهمدان وقال الحصين في ذلك:

أَغَـرْنَ فَـلَـمْ يَـدَعْـنَ لآل زَحْـنٍ ولابْـنِ جـنـادرٍ قـيـسٍ بـعـيـرا

ومن أحفاد الحارث بن مرّ الأرحبي أيضاً الشاعر الجاهلي مالك بن ملاين بن كعب بن الحارث بن مُرّ، وهو القائل في موقعة يوم الرّدْم بين همدان ومذحج بالجوف:

وتَبْنِي على دار الحفاظ بيوتنا ونحبسُ أموالاً وإن طال جوعها
ونحن كَفَيْنَا الرَّدْم همدان إنَّنَا كُفَاةٌ وقَدْ ضاقت بذاك دروعها

وكان يوم الردم سنة ٢هـ وذلك يؤكد أن حرب همدان وقُضَاعة التي كان الحارث بن مُرّ من قادتها كانت قبل الإسلام بأكثر من مائة سنة.

* * *

٧ ـ عامر ذو لَعوة البكيلي.. صاحب قصر نَاعَط المُكَعّب:

هو الشاعر الرئيس (عامر ذو لَعوة بن يزيد بن الرديح بن الحارث بن الخصيب ـ وهو رداد الخيل ـ ابن مالك بن قيس بن شراحيل بن رفاعة بن حُمَرة بن نمران بن ذي لعوة الأرفع بن علمان بن سوران بن ربيعة بن بكيل ـ البكيليّ ـ ابن جُشم بن خيران بن نوف بن همدان) وهو صاحب القصر المكَعّبْ بناعط ورئيس مناطق ناعط وريدة وما إليها بمحافظة عمران شمال صنعاء.

قال الحسن الهمداني: «كان آل ذي لعوة من أرفع بني خيران بن نوف بن همدان، ودخلوا في قِيَالة حِمْيَر وصاهروهم ـ أي كانوا من أقيال الدولة الحميرية وصاهروا ملوكها ـ ولهم بناعط القصر المكعب ويعرف بقصر ذي لعوة» وقال في الجزء الثامن بالإكليل: «مِنْ قصور ناعط قصر المملكة الكبير الذي يُسمى يعرق، ومنها قصر ذي لعوة المكعّب، وذلك لكعاب خارجة في معازب حجارته على هيئة الدرق الصغار. وذرعتُ في معزب منه سبعةَ أذرع إلّا ثلثاً بالذراع التامة، وبها ـ أي ناعط ـ سوى هذين القصرين ما يزيد على عشرين قصراً كباراً سوى أماكن الحاشية.. وفيها الأسطوانات العظيمات ـ أي الأعمدة ـ طول كل واحد منها نيفُ وعشرون ذراعاً مربعة ولا يحضنُ الواحدة منها إلا رجلان، وفيها بقايا مسامير من

الحديد، قِيل إنها كانت مراقي إلى رؤوسها، وأنه كان يُثْقبُ عليها الشمع إذا أرادوا الصرخة (أي الاستنفار في الحروب) ـ فتُنْظرُ النار من جبل سفيان ومن جبل حضور ورأس مُدع وجبل ذُخار وظاهر خُرفان. . وكان على ناعط سور مُلاحك بالصخر المنحوت. . »[١] وكذلك كان لآل ذي لعوة قصر تَلْقُم في ريدة، وكان ذو لعوة رئيس مناطق وقبائل ريدة وناعط وخارف بمحافظة عمران حالياً والتي تمتد من شمال صنعاء إلى تخوم محافظة صعدة.

قال الهمداني: «وعامر ذو لعوة (هذا) هو الذي أجار بين همدان وخولان (قضاعة) في حربهم ثلاث سنين، وهو القائل:

لَوْ أن رأياً يشيبُ المرءَ شَوَّبَنِي ... رأيي عَشِيّة سارت خيلُ هَمْدَانِ
سِرْنَا بأرْعَنٍ رَجَاف له زَجَلٌ[٢] ... كَيْمَا نُبِيدُ بني نَهْدٍ وخولانِ
وحيَّ راسبَ إذْ سَار الخميسُ لها[٣] ... مِن حيّ هَمْدان مِنْ رَجْلٍ وفُرْسَانِ
قد كان أرشَدُنا بالرأي ذو أربٍ ... والرأيُ كان لذي المُسْتقعدِ الواني[٤]
إن ابن دومان راضَ الرأيَّ مُنْتَصِحاً ... فلو رأىٰ العزَّ ما عابَ ابن دومان»[٥]

وفيه قال شاعر نَهْد أبياتاً منها:

يا عامر ابن يزيدٍ قد شَبَبْتَ لنا ... ناراً ونحنُ نَلَقَاهَا بنيران
. . إنّ الكريم وإن تَمّتْ نَوافِلُه ... يُقَلِّبُ الرأي لوناً بعد ألوان

وقول الهمداني: « . . هو الذي أجار بين همدان وخولان في حربهم ثلاث سنين» يتبين منه أن تلك الفتنة الحربية استمرت ثلاث سنين وانتهت بمساعي ذي لعوة لتحقيق الصلح والسلم بين الفريقين.

* * *

٨ ـ مالك بن زيد البكيليّ . . المعروف بالحُمَا:

هو الشاعر (مالك بن زيد بن أوْسَلَة بن عُميرة بن الدّعام بن مالك بن ربيعة بن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل) البكيلي

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ جـ ٨.

(٢) من معاني الأرعن: الجبل الناتىء، والمراد به فرسان همدان. والرجاف: كثير الاضطراب. والزجل: الصوت.

(٣) الخميس: الجيش.

(٤) الأرب: الحاجة. والمستقعد: القاعد غير المشارك في الحرب. والواني: الفاتر.

(٥) ابن دومان: قد يعني الصعب بن دومان الذي قاد الهجوم على قضاعة في سحامة بحقل صعدة، ثم قُتِل في الحرب.

الهمداني. وهو من الفرسان والحكماء من بني الصعب بن دومان بن بكيل.

قال عنه الحسن الهمداني: «كان مالك بن زيد يُعرف في عصره بالحما، وهو أحد من قام بحرب خولان، وهو القائل لعقيل بن مسعود الكلبي سيّد قُضاعة باليمن:

أبا ربيعةَ إنّ الحقّ مَغْضَبَةٌ آثَرْتَ قَوْمَك إذْ نَادىٰ مُنَادِيهَا
وكُنْتَ عَدْلاً تقولُ الحق مُعْتَلِماً ولِلعدالة أسبابٌ تُؤدِيها»

ويبدو من ذلك أن عقيل بن مسعود الكلبي انحاز إلى قُضَاعة وآثرهم في المساعي التي بذلها هو وعامر ذي لعوة البكيلي الذي انحاز أيضاً إلى رأي همدان، ولكنهما توصلا بعد ذلك إلى الحكم الصائب الذي أعاد السلم والوئام.

* * *

٩ ـ عقيل بن مسعود الكلبيّ.. رئيس قُضَاعة:

هو الرئيس الشاعر أبو الربيع عقيل بن مسعود الكلبي. رئيس قبيلة كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة بن مالك بن حِمْيَر، ورئيس كل قبائل قضاعة بمخاليف صعدة وسَرَاة أعالي اليمن في ذلك العصر حيث جاء في الإكليل أنه «عقيل بن مسعود الكلبي سيّد قُضَاعة باليمن» أي «رئيس قُضَاعة اليمن من خولان ونَهْد وجَرْم وكلب». وكانت منطقة سحامة وما إليها من حقل وسهول صعدة هي منطقة قبيلة كلب، ويدلّ على ذلك ما جاء في الإكليل من أنه في تلك الحرب «هجم الصعب بن دومان على سحامة في حقل صعدة، فَقُتِل ـ في الهجوم ـ مِنْ خولان ومَنْ يخلطها من جَرْم ونَهْد خمسة وسبعين رجلاً منهم مسعود بن عقيل بن مسعود الكلبي».

ثم قاد عقيل بن مسعود هجوماً قُضاعياً على همدان، فقُتِل الصعب بن دومان، وأُصيب عقيل بن مسعود بطعنة في أنفه، طَعَنَه يزيد بن معاوية بن دومان. وقد ذكر الهمداني في الإكليل من شعر عقيل بن مسعود الكلبي أنه لما طعنه يزيد بن معاوية فخرم أنفه، قال عقيل بن مسعود:

مُعَاويّ إنّي قد ذهبتُ بوسْمَةٍ مِنْ ابنك في وجهي وليس تعيبُ
فإن غَابَ يوماً كُنْتَ أنت مكانه وسوف تراني يوم ذاك ألوبُ»

[ص ١٣٧/ ١٠]

وكان عقيل بن مسعود ـ كما وصفه مالك بن زيد بن أوسلة البكيلي في شعره السالف حيث قال:

وكنتَ عدلاً تقولُ الحقّ مُعْتَلِماً ولِلعدالة أسباب تؤديها

وأسفرت مساعي عامر ذي لعوة البكيلي وعقيل بن مسعود الكلبي عن إنهاء تلك الحرب.

* * *

١٠ ـ الشاعر ربيع بن عقيل الكلبي:

هو الربيع بن عقيل بن مسعود الكلبي القضاعي الحميري، وهو من الفرسان الشعراء، ولَمّا هجم الصعب بن دومان بفرسان همدان على منطقة سحامة بحقل صعدة وقتلوا خمسة وسبعين رجلاً من خولان ونَهْد وجُرْم وكلب منهم مسعود بن عقيل الكلبي، قال الربيع بن عقيل يتوعد الطفيل بن مالك بن ملالة وحُميد بن قيس البكيلي وهمدان:

ألَا أبلِغنْ (عني) الطُفَيْل وبَلِغَنْ[1] حُمَيدَ ابن قيسٍ، والرسولُ أمينُ
بأنّكُمُ لَمْ تذهبوا بدمائنا ولكن سَتُقْضَىٰ، والديونُ ديونُ
سَنُضْبِحَكُمْ يوماً بيوم سُحامةٍ تَشِيبُ لهم الغانياتِ قرونُ[2]
وتَسْخَنُ مِنكُمْ أعينٌ باقتضائنا[3] كَمَا قَرَّ مِنْكُم أمس فيه عيونُ
دمُ بدمٍ، والحِلُّ حِلاً بمثله، كذا الحربُ تَحْنُو مَرَةً وتخونُ»

فكان كما قال فقد هجمت قُضاعة على همدان ـ بعد يوم سُحامة ـ وقتلوا كوكبة من رجالات وفرسان همدان منهم عمرو بن مالك بن ملالة قَتَله الربيعُ بن عقيل الكلبي بأخيه مسعود بن عقيل بن مسعود الكلبي، وكان ذلك في ذروة تلك الحرب التي آل الأمر فيها إلى التحكيم والمساعي السلمية لعامر ذي لعوة وعقيل بن مسعود والتي تتوجت بعودة السلام والوئام.

* * *

١١ ـ ابن النَهْدي.. شاعر نَهْد:

هو ابن النَهْديّ، شاعر قبيلة نَهْد بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسْلُم بن الحاف بن قُضَاعة بن مالك بن حِمْيَر، وكان ابن النَهْديّ من شعراء وفرسان قُضاعة. وجاء في الإكليل أنه «شاعر بني نَهْد، وهو القائل لعامر ذي لعوة:

---

(١) جاء في الأصل بالإكليل المطبوع «ألا أبلغنْ ابنَ الطفيل وبَلغَنْ» ونرى أن الأصوب (ألا أبلغن عني الطفيل).

(٢) قال القاضي الأكوع في هامش الإكليل «م الغانيات: أي من الغانيات، وذلك إذا التقت النون بالألف واللام جاز حذفها» [١٦٨/ ١٠]. وأقول أيضاً أن قوله (تشيب له م الغانيات قرون) هذا مثل وتشبيه بأن شَعرَ رؤوس الغانيات ستشيب من شدة الحرب.

(٣) قوله (وتسخنُ منكم أعين) أي: ستذرفون الدموع الساخنة.

يا عامر ابن يَزْيد قد شَبَبْتَ لنا ... ناراً ونحنُ نَلَقَّاهَا بنيرانِ
حَسَبْتَ حَيّ بني نَهْدٍ وأخوتَها ... مِنْ حيّ جَرْمٍ ومِن أبناءِ خولانِ
قوماً لهم نَهْزَة كَيْمَا تَفُوزَ بِهَا[١] ... والحربُ تَجْمَعُ أقراناً بأقْرَانِ[٢]
قَدْ كُنْتَ فِينَا رِضَاً عَدْلاً نُزِيعُ له[٣] ... تَمْشِي بحقٍ ولا تَسْعىٰ ببهتانِ
إنَّ الكريم وإنْ تَمّتْ نَوافِلَهُ ... يُقَلِّبُ الرأي لوناً بعد ألوان»[٤]

وقد قال ذلك لأنَّ عامر بن يزيد ذا لعوة أَظْهَرَ آراءً لصالح همدان في مساعيه السلمية وكذلك كان عقيل بن مسعود الكلبي قد آثَرَ قُضَاعة في آرائه، ثم قَلّبَ ذو لعوة الرأي حتى تم الوفاق والوئام.

* * *

١٢ ـ الشاعر عمرو بن عوف الخولاني:

هو أحد شعراء خولان وقضاعة في فترة تلك الفتنة الحربية بين همدان وقُضَاعة. وقد جاء في أنساب «بني عَدِيّ بن حيّ بن خولان» أن «منهم الحارث بن عمرو بن عوف بن عَدِي بن حيّ، وفي سبب قتله احتربت همدان وقُضَاعة»[٥]. وأن «بني عَدِي وسائر بني حيّ ـ هم ـ الذين قاموا في قُضَاعة بحرب همدان، وفيها قال عمرو بن عوف لهمدان:

إنْ يَقْتُلونا فإنّا سوف نَقْتُلُهم ... أو يقبلوا الحق نُعْط الحقّ إنْ قَبِلُوا
يابْنَيْ قُضَاعة إن الرأيّ مُشْتَركٌ ... فإنْ زَلَلْتُ فَمَا في رأيكم زَلَلُ
سُدّوا طريقاً أكُنْ مِ الآن صاحبكم ... ولا خلاف لكُم عندي ولا مِيَلُ»[٥]

وقد سار الجميع في طريق الوفاق، فعاد الوئام والسلام بين همدان وقُضَاعة في ذلك الزمن التليد.

---

(١) النهزة: الفرصة. وقد جاء في الإكليل المطبوع صدر هذا البيت «قوم لهم نهزة كيما نفوز بها» وهو تصحيف.
(٢) الأقران: جمع قرن وهو النِدُّ والمساوي.
(٣) نُزيع له: بمعنى نُطيع ونرضى بحكمه. ويُقال (إنّ اللّه يزع بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن).
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٢٥ جـ ١٠.
(٥) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء الأول ـ ص ٢٨٥ و٢٩٦ جـ ١.

المبحث «٧٠ ـ ٧٤»

الحارث بن صُرَيْم الحَاشِدِيّ

«خامس خمسة من شعراء فتنة همدان ومذحج قبل يوم الرّدْم»

هو الشاعر الجاهلي الحارث بن صُرَيْم بن الأجدع بن صُريم بن مالك بن حرب بن عبد ودّ بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد ـ الحاشدي ـ ابن جُشَم بن خيران بن نوف بن هَمْدَان بن زيد ـ الهمداني. وهو من فرسان بني صُرَيْم بن مالك بن حرب الذين قال الهمداني عنهم في الإكليل « . .وصُرَيْم بن مالك بن حرب هُم رأس الديوان من حاشد وفيهم الفرسان والنجدة»[1] ومنطقة بني صُرَيْم في بلاد حاشد بمحافظة عمران حالياً.

وقد وقعت في الجاهلية فتنة وغارات بين همدان ومذحج بسبب نزاعات قَبَلية. وأغارت مذحج إلى موضع قصر نوفان بمنطقة خيوان ـ الحاشدية البكيلية ـ وفي ذلك قال فروة بن مسيك المُرادي المذْحجيّ:

والـلّـه لـولا مَـعـمـرُ وسَـلْـمَـانْ   وابْـنَـا عِـرارٍ ووفـيّـا هَـمْـدَانْ

لـقـد تَـوارَدْنَ حـوالا نـوفـانْ   يَـحْـمِـلْـنَـنَـا وبـيـضِـنَـا والأبـدان

قال الهمداني «قصر نوفان بخَيْوان من قصور بلد همدان. . وحوالا: لغة همدان ومَنْ جاورها. . »[2] وكان من الشعراء والفرسان في تلك الفتنة ـ سوى عمرو بن معدي كرب الزُبَيْديّ وفروة بن مُسَيك ـ خمسة شعراء جاهليين حفظ لنا كتاب الإكليل أبياتاً من شعرهم في تلك الفتنة وذلك النزاع القَبَلي، ونظراً لأن ذلك هو ما وصلنا من شعرهم نذكرهم فيما يلي، وهُم:

١ ـ الحارث بن صريم الحاشدي:

هو الحارث بن صُرَيْم الأصغر ابن الأجدع بن صُرَيْم، وكان فارساً وشاعراً. اشترك في صد إحدى غارات مذحج التي كان من فرسان مذحج فيها عمرو بن

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء العاشر ـ ص ٩٨/ ١٠.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء الثامن ـ ص ٨/٩٢.

معدي كرب أو عمرو بن يزيد الحارث المذحجيّ أخو مُسْهِر الحارثي. فقال الحارث بن صريم في ذلك:

سَلِ الناس هل هَزّتْ فوارسنا الوغَىٰ عشية أوْطَأنَا فَوارِسَنَا عَمْرا
عَلَى حَنَقٍ، والخَيْلُ مِنْ كلِّ جانبٍ عَوابِسَ بالفِتْيَانِ نُقْحِمُها زَجْرَا
هَجَرْنَا لَبُونَ الحربِ للطالب القِرَىٰ لنُبْليَ فيمن كان يحبطنا غدرا
وكُنّا إذا ما اسْتَمْطَر الناسُ رَعْدَنَا فَتُمْطِرُ بِيضاً والمُثَقَّفَةَ السُمْرا[1]
حَمَيْنَا بِهَا جاراً، وَنِلْنَا طوائلاً، (وصُنّا) بها داراً، وحُزْنَا بها وفْرَا[2]
نَجُودُ بِهَا في كلِّ يَوْم كَرِيهَةٍ[3] لأعدائنا حتى تَدِينَ لنا قَسْرَا
لِيُحْمَدَ محمودٌ، ويَهْلَكَ هَالِكٌ، وفاءَ بِعَهْدٍ لا يُكَذِّبُه عُذْرَا
هُنَالِكَ ما نَنْفَكُّ نَقْتُلُ تارة، ونَلْحَقُ أقواماً فَنَأْسرهُم أسْرَا
فقد ترَكَتْ أيامُنا وسُيُوفنا وأرمَاحُنَا لِلْذَاكِرِينَ لنا ذِكْرَا»

* * *

٢ ـ بَدَّاء بن سَلْمَان العِذَريّ الحاشديّ:

هو الشاعر والفارس بَدّاء بن سلمان، أحد فرسان قبيلة عِذَر بن سعد بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد، وإياه هو وأخوته أو عشيرته بني سَلْمَان عَنَىٰ فروة بن مُسيك المُرادي بقوله:

والله لولا مَعمرُ وسَلْمان . . لقد تَوارَدْنَ حوالا نوفان

قال الهمداني «أي لولا بنو معمر وبنو سَلْمان. . » (اهـ) وقوله: (لقد توارَدْنَ) أي خيول مذحج ومنهم بنو حُماس من بني الحرث بن كعب، وكان بَدَّاء وأبو شعيرة العِذَريّ من قادة وفرسان عِذر وهِمْدَان في تلك الأيام. وقال عنه الحسن الهمداني:

«مِنْ أشراف عِذَر وفرسانها وشعرائها في الجاهلية بَدَّاء بن سلمان وهو القائل:

صَبَحْنَا الجَمْعَ جَمْع بني حُمَاسٍ بِجَنْبِ (رماحنا) كأس الغرام[4]

---

(١) بيضاً: سيوفاً. والمثقفة السُمْرا: الرماح.

(٢) جاء في الإكليل المطبوع **(وننلنا بها داراً)** فتكررت كلمة **(نِلْنا)**، وقد يكون الأصوب **(وصُنّا بها داراً)** لأنهم صانوها من غارة مذحج.

(٣) نجود بها: أي سنجود بها ـ وهي الرماح والسيوف ـ. وكل يوم كريهة: كل يوم حرب. فالكريهة: الحرب لأنها مكروهة.

(٤) جاء في الأصله هنا (بجنب رماحهم) وهو تصحيف، وإنما يريد: صبحناهم بجوانب رماحنا. وكأس الغرام: أي الموت.

فأُجْلُوا عن كرائمهم جميعاً وخَلُّوها لِفُرسانٍ كِرام

.. ومِنْ عظماء عِذر في الجاهلية أبو شَعيرة ويُسَمّى غنيمة عِذر، وكان شَهِدَ بعض أيام عذر فأبْلَىٰ وقُطِعَتْ يده، فَراحَتْ عِذْر وهي تقول: غَنَمْنَا أبا شَعيرَهْ لم نَغْنَم غَيْرَهْ»[1].

* * *

٣ ـ الحشاش الأصغر .. أحد شعراء وائلة:

هو الحشاش الأصغر ابن أصيل بن الحشاش بن القَصَّاص بن بَدَّاء بن وائلة ـ الوائلي ـ بن شاكر ـ الشاكري ـ ابن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل ـ البكيلي الهمداني ـ وهو من قبيلة وائلة بن شاكر بمنطقة مشرق صعدة ومنطقة الحصن من نجران. أغار عليه عمرو بن معدي كرب في فُرسان مِنْ بني زُبَيْد بن مازن وبني جُعف المذحجيين، فاحتمى منه بموضع يُقَالُ له ممر في منطقة وائلة بصعدة. وقد ذكره الهمداني في الأنساب وقال: «أولد الحشاش بن القصاص: أصيلاً، ومن ولده الحشاش الأصغر الذي صَبّحه ابن مَعْدِي كرب على غَرّة، فاحتمى منه بموضع يُقال له ممر، وفي ذلك يقول:

ويوم مَمَرٍ قد حَمَيْتُ لقائحي[2] وضِئنيّ عن أبناءِ جُعْفٍ ومازن
وأولَنِي صَبْرِي، ومهرُ قَصَرْتُه على الدَّرِّ مِن خور الصفايا العواطِن
فَخَابوا وما إن خاب مَنْ ذَمّ خَيْرهم شَبَاة مِتَلٍّ في يميني مارن»[3]

وقوله: (أولَنِي صبري) أي: رَدّني وأرجعني، والأوْلُ: الرجوع، ومنه يُقال: آل الأمر. وخور الصفايا: لينة الركوب، والعواطن: الإبل السوام الراوية المسترخية. وقوله: (شباة مِتلّ): شباة كل شيء حَدّه. والمتلّ: ما يتلّ به العدو، أي ما يُصرع به. والمارن: الآنف.

* * *

٤ ـ الوفيّ ابن الأعلم الأرحبي الهمداني:

هو أحدُ وفييّ همدان اللّذَيْن ذكرهما فروة بن مسيك المرادي المذحجي في قوله:

والله لولا مُعمرُ وسَلْمان وابْنَا عِرارٍ ووَفيَّا هَمْدَان
لقد تَوارَدْنَ حوالا نوفان

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨٠ جـ ١٠.

(٢) قال القاضي محمد الأكوع في الهامش «ممر: يُقال له اليوم وادي ممر ويحمل هذا الاسم إلى ذا الحين وهو في وائلة من ملحقات صعدة. واللقاح: هي الحوامل وذوات الألبان من النوق».

(٣) الإكليل ـ الهمداني ـ ص ١٨٩ جـ ١٠.

ووفيّا همدان هُما: (ذوأب الوفيّ وعمرو الوفيّ ابنا سُليل بن الأعلم بن الحارث بن مُنبّة بن عبد بن عِلْيان بن أرحب ـ الأرحبيّ البكيليّ الهمداني) وهُم مِن أرحب الجوف.

وفي فترة الفتنة والغارات بين مذحج وهمدان، أغار الحصين ذو الغُصّة الحارثي المذحجيّ قائد بني الحرث بن كعب، وغَنمَ إبلاً لآل زحن بن الحارث بن مُنبه بن عَبْد بن عِليان ولقيس بن جنادر. قال الهمداني: «ثم أغارت أرحبُ على بني الحارث فاكتسحوا لهم نَعَماً كثيرة وأصابوا منها دماءً وأسْرَىٰ فقال الوفيّ ابن الأعلم ـ وهو الوفيّ ابن سُليل بن الأعلم ـ للحُصَيْن ذي الغُصّة:

أسَـرَّكَ أم أسَـاءَكَ فِـعْـلُ قَـوْمـي ... غَـدَاة الأحْـرَمَـيـن مـن الـنِـجَـادِ

كـأنّ الـخَـيْـلَ بـالـنَـحْـيَـيّـن هُـجْـرَاً ... وبـالـبـقـعـاءِ رَجْـلٌ مِـن جـراد

صَـبَـحْـتُـكُـمُ الـمَـنِـيـةُ ثـم نـادىٰ ... مُـنَـادِيـنـا ورادكـم وراد»

[ص ١٦٧/ ١٠]

وقوله: (غَدَاة الأحرمين من النجاد) فإن الأحرمين اسم منطقة من النجاد بمخلاف نجران وسراة أعالي اليمن. وجاء في الصفة: «نِجَاد ثور: بِهَا معدن بيشة بِعُطَان، معدن ذهب»[(١)] وكان بالأحرمين من نجاد بيشة بعطان عشائر من بني زُبيد ومازن. وقوله: (بالنحيين) جاء في الصفة أيضاً «نَحيان: وادٍ فيه التفاح واللوز والثمار.. وتخرج من جُرَش بأرض السَرَاة قَصْدَ صعدة على بلد جَنْب ثم وادي طرطر ثم وادي منِع ثم في وادي نحيان ثم ظَلامة ثم سَرَاة جَنْب»[(١)] وجَنْب من عشائر مذحج، فكانت غارة أرحب ومن معها من همدان إلى منطقة زُبيد وجَنْب المذحجية تلك وليس إلى بني كعب بنجران، وقد توجه الوفيّ ابن الأعلم بشعره إلى الحصين لأنه قائد حروب بني الحارث ومذحج. وجاء في شعر الوفي ذكر البقعاء ومنطقة وراد وهما أسماء أماكن مذحجية بالسَرَاة.

وجاء في الإكليل أن الوفيين «إنما سُميا الوفيين لأنهما كانا في بعض حروب همدان ومذحج قد أصابا اثنتي عشرة من السبايا.. ثم جرى السداد ووقع الصلحُ فرداهن جميعاً كما هُنّ ما كُشّف لواحدة منهنّ قناع. فَسُميا الوفيين» [ص ١٧٧/ ١٠].

وقد وقع الصلح والسداد بين مذحج وهمدان حينِ وقعت غزوة بعض بني الحرث بن كعب والذين معهم إلى ديار تميم في وادي الكُلاب بنجد فانكسرت بنو الحارث وأسرت تميم عبد يغوث الحارثي وقتلته، وعندئذٍ جرى الصلح والاتفاق بين

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص ٤٢٩ وص ٢٦١ و٢٦٢.

مذحج وهمدان وانتهت تلك الفتنة والغارات. . وكان للوفي ذوأب ابن الأعلم ابناً هو عمرو الطريد بن ذؤاب، فجاور في مذحج وكان فاتكاً شاعراً شجاعاً وله خبر وشعر في الإكليل ولكنه بعد تلك الفترة.

* * *

٥ ـ الحُصَين ذو الغُصَّة الحارثي. . قائد حروب مَذْحج:

هو ذو الغُصَّة الحُصَين بن يزيد بن شدّاد بن قَنَان الحارثي المذحجيّ قائد بني الحرث بن كعب وسائر مذحج في الحروب. قال أبو عبيد البكري في كتاب التنبيه «قال ابن الكلبي في نسب بني الحرث بن كعب: ومنهم الحُصَيْن ذو الغُصَّة بن يزيد بن شدّاد بن قَنَان، رأس بني الحرث بن كعب مائة سنة، كان يُقال لبنيه فوارس الأرباع. . وجاء في هامش الأصل: قال أبو عبيد: رأسَ الحُصَين بني الحارث، وعاش مائة سنة»[١] ـ وهو الأصوب أنه عاش مائة سنة وليس رأس مائة سنة. قال ابن دريد: «وسُمّي ذا الغُصَّة لأنه كان يغتصُّ إذا تكلم» وأصل الغصص بالريق ونحوه فإذا اغتصّ يصعب عليه الكلام. قال الحافظ ابن حجر: «وكان للحُصَينْ ذي الغُصّة أربعة أولاد يُقال لهم فوارس الأرباع، كانوا إذا حضر الحرب ولّى كل منهم رُبْعها»[٢] وذلك لأنه كان قائد بني الحرث بن كعب وفرسان مذحج في الحروب. أما رؤساء بني الحرث بن كعب ونجران فكانوا آل عبد المدان ابن الديان الحارثي.

وكان الحُصَين يقول الشعر، وله شعر في الفتنة والغارات بين مذحج وهمدان، حيث قاد غارة على أرحب الجوف وقال في ذلك قصيدة ذكر الهمداني في الإكليل منها بيتاً واحداً هو قول الحصين:

أغَـرْنَ فَـلَـمْ يَـدَعْـنَ لآل زحـنٍ ... ولابـن جـنـادرٍ قـيـسٍ بـعـيـرا

ولا بد أنّ له أشعار في مصادر أخرى، فالبيت الذي ذكره الهمداني من تلك القصيدة يتيح معرفة أنه أحد الشعراء في تلك الفتنة والغارات بين مذحج وهمدان والتي انتهت بالسداد والصلح.

وقاد الحُصَين ـ بعد ذلك ـ فرسان مذحج وقُضَاعة وخثعم وبعض فرسان همدان في حملات حربية على قبائل تميم وبني سُليم وقبائل عامر بن صعصعة الهوازنية في نجد، وكان منها غزوة يوم المرّوت التي انتصر فيها على تميم

---

(١) التنبيه على كتاب الأمالي ـ أبو عبيد البكري ـ ص ٢٥.

(٢) الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ٢٤٤/٣.

وقال عمرو بن معدي كرب عن فرسان مذحج ونَهْد فيها:

وهُم أخذوا بذي المرّوت ألفاً   يُقَسَّمُ للحُصَين ولابن نَهْدِ

ثم موقعة (فَيْف الريح) التي قاد فيها الحصين فرسان قبائل مذحج ونَهْد وجَرْم وخثعم في حملة ضد قبائل بني عامر بن صعصعة الهوازنية وبني سُليم في نجد، فانتصر فيها الحصين والذين معه انتصاراً باهراً. وقد أسلفنا ذكر أنباء وأشعار يوم فَيْف الريح في المبحث الأسبق عن الشاعر والفارس مُسْهِر بن يزيد الحارثي. وكان يوم فَيْف الريح بعد البعثة وقبل الهجرة النبوية، في حوالي عام ٦١٥م. وتم الوفاق والسداد مع تميم وهوازن بعد انتصار يوم فَيْف الريح.

ثم كان الحُصَين وأولاده فوارس الأرباع وعمرو بن معدي كرب من رؤساء مذحج وخولان الذين عقدوا العزم على محاربة الأبناء الفُرس الذين كانوا يسيطرون على صنعاء، فجمع الحصين والذين معه جمعاً كثيفاً وعسكروا في مذاب بالجوف للزحف لقتال الأبناء الفُرس وأميرهم باذان في صنعاء، فتحالفت همدان مع باذان والفرس في مواجهة مذحج. ثم وقع قتال بين مذحج وهمدان في الجوف اشتهر باسم (يوم الرَّدْم) تغلبت فيه همدان، وقيل إن فوارس الأرباع ـ أولاد الحُصَين ـ قُتِلوا في يوم الرَّدْم. وسيأتي النبأ اليقين عن ذلك. وكانت موقعة يوم الرَّدْم في رمضان وشوّال سنة ٢هـ الموافق حوالي عام ٦٢٢م، وهي من أيام الجاهلية لأن الإسلام لم يكن قد انتشر.

ولما انتشر الإسلام وسارت مواكب رؤساء وفرسان قبائل اليمن إلى النبي ﷺ بيثرب كان الحُصَيْن ذو الغُصّة الحارثي وقيس بن الحصين ـ أحد فوارس الأرباع ـ من رجالات ووفد بني الحرث بن كعب الذين وفدوا على النبي ﷺ وآمنوا وصاروا من الصحابة. وقد ذكرت كتب تراجم الصحابة وفادة الحصين إلى النبي ﷺ بيثرب، ولا بد أنه كان قد صار كبيراً في السن عام ١٠هـ، وعاد إلى اليمن مع وفد بني الحرث بن كعب، فعاش أواخر حياته حتى مات وقد ناهز المائة سنة.

المبحث «٧٥»

الأجْدَع بن مالك الوَادِعيّ

«صاحبُ قصيدة (أَسَأَلْتِني بركائبٍ ورِحالِها) في يوم الرَّدْم»

هو الشاعر والفارس اليمني الجاهلي الأجدَع بن مالك بن أُميَّة الوادعيّ صاحب قصيدة (أَسَأَلْتِني بركائبٍ ورِحالِها) التي وصف فيها موقعة يوم الرَّدم أبدع وصفٍ بقوله:

خَيْلان مِنْ قومي ومِنْ أعْدَائِهِمْ ... خَفَضُوا أَسِنَّتَهم فكلٌّ نَاعِ
خَفَضُوا الأسِنَّة بينهم فتَواسَقُوا ... يَمشُونَ في خُلَلٍ مِنَ الأدراعِ[1]

قال نشوان الحميريّ في شمس العلوم «الأجدع: مِن أشراف وادعة، وهو الأجدع بن مالك بن أُميَّة بن مُرّ بن سليمان بن مُعْمِر، وكان فارساً شجاعاً شاعراً.. قال المعان بن روق الوادعي:

المُنذرُ بن الدّهر مِنْ فُرسانِنا ... وأبو العريف ومالكُ والأجدعُ»[2]

وهو (الأجدع بن مالك بن أُميَّة بن مُرّ بن سلمان بن مُعْمِر ـ بضم الميم الأولى وكسر الميم الأخرى ـ ابن الحارث بن سعد بن عبد ودّ بن وادعة، ابن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك بن جُشم بن حاشد بن جُشم بن خيران بن نوف بن همدان بن زيد..) وجاء في هامش الإكليل عن الخطيب البغدادي في تاريخه قال: «كان الأجدع من أفرس فرسان اليمن»[3].

قال الحسن الهمداني: «وحدثني الحسن بن حويت المُعمِري عن خاله ابن ظهير المعمِري وكان علّامة همدان، عن أسلافه، أن المنذر بن أبي حمضة ابن الدهر قال: يا معشر همدان ليستخير الرجل منكم الفحل لحِجْره ولا يستخيره لكريمته. وكان له ابنتان فزوّج واحدة مالكَ بن أُميَّة فأتت بالأجدع بن مالك، وزَوّج الأخرى مِن ثمامة بن الأسفع سيّد أرحب، فأتت بالحارث بن ثمامة»[3].

وقد كان الأجدع بن مالك وأسرته من وادعة صعدة حيث كان من وادعة

---

(١) التنبيه على كتاب الأمالي ـ أبو عبيد البكري ـ ص ٢٥.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٩٦/٢.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٠ و٩٦ جـ ١٠.

عشيرة في حاشد وعشيرة في همدان الجوف وعشيرة في صعدة، وقد ذكر الهمداني أن (بني علّة بن مُعْمِر بن الحارث الوادعي، بطن، وهم حلال شاكر بجدرة) وجدرة من وائلة بن شاكر في شرقي صعدة، وقال القاضي محمد بن علي الأكوع في هامش كلام الهمداني عن (نسب بني مُعْمِر بن الحارث الوادعي) الذي منهم الأجدع: «إن وادعة لها بقية.. ومِنْ قُراهم باقم وظهران وغيرها من أعمال صعدة»(١).

* * *

بيتا وامرأتا الأجدع بصعدة ونجران:

وكان للأجدع بن مالك الوادعي بيت بصعدة وفيه كانت امرأته كبشة بنت معدي كرب الزُبَيْدي ـ أخت عمرو بن معدي كرب ـ وقد جاء في خبر مقتل أخيها عبد اللّه بن معدي كرب الذي قتله رجل سكران من عشيرة مازن المذحجية وأراد عمرو بن معدي كرب قبول الدية من بني مازن أنه ـ وكما جاء في كتاب الأمالي عن الأصمعي ـ «غَضَبت أختٌ له يُقال لها كبشة» ـ وكذلك جاء في كتاب الأغاني ـ فقالت كبشة بنت معدي كرب شعراً بعثت به إلى أخيها عمرو وبني زبيد في تثليث، أوله:

أأرْسَل عبدُ اللّه إذْ حان يومُه ... إلى قومه: ألا تُخَلُّوا لهم دمي

وأن تأخذوا منهم إفَالاً وأبْكُراً ... وأُتْرَكُ في بيتٍ بصَعْدة مُظْلِم(٢)

وحَثّتْ بني زبيد على الثأر من بني مازن، فأنذرهم عمرو بالحرب ثم أغار عليهم فأثخن فيهم، وينطق شعر كبشة بأنها تعيش في «بيت بصعدة» وهو بيت زوجها الأجدع بن مالك الوادعي. ويتبين ذلك من ربط قولها «بيت بصعدة» بما جاء في الإكليل حيث قال الحسن الهمداني: «كان الأجدع بن مالك بن مرّ بن سلمان بن معْمِر الوادعي فارس همدان وشاعرها في عصره، وكانت تحته كبشة بنت مَعْدِي كَرِب الزُبَيْدي، ولها يقول الأجدع:

ألَا أبْلِغْ فَتَاةَ بني زُبَيْدٍ ... كُبَيْشَةَ، والحديثُ له نَمَاءُ

مُغَلْغَلَةً، وجَهْرُ القولِ مِنّي ... يُوَكّلُ في الخطوب به البلاءُ(٣)

ولها قال صهره عمرو بن معدي كرب فيما فعل به بنو الأصيد مِن سُفيان بن أرحب ـ وكانوا سلبوا جواده ـ:

لعَمْرُكِ لولا أجْدَع الخَيْر فاعْلَمِي ... لقُدْتُ إلى هَمْدَان جيشاً عرمرما

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٠ و٩٦ جـ ١٠.

(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٩٠/ ٣ـ والأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ٢٤/ ١٤.

(٣) المغلغلة: الرسالة الموجهة من بلد إلى بلد، وقد قال الأجدع تلك الأبيات وهو في نجران وكبشة في صعدة غالباً.

لـقُـدْتُ إلـى هَـمْـدَان ألْـفَ طِـمـرَّة وألفَ طُميرٍ مِن كُمَيْتٍ وأدْهَمَا »[١]

والطِمرّة: الأنثى مِن الخيل، والطمير: الذكر من الخيل، والكميت: الذي لونه مختلط السواد بالحمرة، والأدهم: الخالص السواد.

وكان للأجدع أيضاً بيت في نجران التي هي منطقة بني الحرث بن كعب. وقد ذكر أبو عبيد في كتاب التنبيه أنه (كانت امرأة الأجدع من بني الحرث بن كعب.. ولها يقول:

أَسَـأَلْـتِـنـي بـركـائـبٍ ورِحـالِـهـا ونَـسِـيـتِ قَـتْـل فـوارس الأربـاع
وبـني الـحُـصَـين أَلَـمْ يَـرُعْـكِ نَعِيُّهم أهـلُ الـلّـواءِ وسـادَةُ الـمِـربـاع »[٢]

ولا يمكن أن يقول (..فوارس الأرباع) ثم يقول: (وبني الحُصَين) لأن فوراس الأرباع هم بنو الحُصَين، فالأصوب أن صدر البيت الثاني إنّما هو (بنت الحُصَين ألم يَرُعْكِ نعيُّهم» فهو قال هذا الشعر لامرأته فتكون هي بنت الحصين بن يزيد بن شدّاد بن قَنَان الحارثي والد فوارس الأرباع، ويتفق ذلك مع نص التنبيه بأنه (كانت امرأة الأجدع من بني الحرث بن كعب) فامرأته تلك هي بنت الحصين أخت فوارس الأرباع وكانت بنجران، وهي غالباً والدة ابنه الأجدع التي جاء في الإكليل أنه: «تزوج الحارث بن ثمامة الأرحبي ابنة الأجدع» [ص ٩٦/ ١٠] ـ ويمكن أن نستنتج أيضاً أن بنت الحُصَين امرأة الأجدع هي والدة المُنتَشِر بن الأجدع لأنه سماه باسم (المُنتَشِر بن الحُصَين، أحد فوارس الأرباع).

إن تلك الحقائق والروابط الوثيقة بين الأجدع بن مالك الوادعي وبين عمرو بن معدي كرب رئيس زبيد وفارس مذحج، وبين الأجدع وبني الحرث بن كعب والحُصَين قائد بني الحارث ومذحج والد فوارس الأرباع، تساهم في إدراك خطأ ما شاع في بعض الروايات من أن الأجدع قَتَل فوارس الأرباع في موقعة يوم الرَّدم بين همدان ومذحج وأنه كان قائد همدان في ذلك اليوم، فقد ذكر ابن هشام «أن الذي قاد همدان في يوم الرَّدْم إنما هو مالك بن حريم»[٣] أما فوارس الأرباع فهم أصهار الأجدع، ومن المفيد تبيين خلفية يوم الرَّدْم.

* * *

معالم ما قبل موقعة يوم الرَّدْم:

كانت دولة اليمن الحميرية قد تفككت بعد عهد الملك سيف بن ذي يزن وعهد ابنه معدي كرب بن سيف بن ذي يزن آخر ملوك الدولة الحميرية التي كانت

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩١/ ١٠.
(٢) التنبيه ـ أبو عبيد البكري ـ ص ٢٥.
(٣) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٠/ ٤.

تحكم كل اليمن وانتهى عهده باغتياله حوالي عام ٥٩٣م، ثم سيطر الفرس الأبناء على الحكم في صنعاء وبعض المراكز في الطرق القريبة منها، وقام كسرى أبرويز بن هرمز بتولية أمير بصنعاء ثم ولّى باذان بن ساسان بينما كانت معظم أرجاء اليمن مستقلة تحت حكم الأقيال الذين صاروا ملوكاً على مناطقهم ومخاليفهم، وقد حفظ لنا المؤرخ وهب بن مُنَبّه نصاً هاماً عن ذلك وتم ذكره في كتاب الموسوعة اليمنية وهو ما يلي نصه: «بمقتل ابن ذي يزن لم يُمَلِّك اليمنيون أحداً على أنفسهم غير أنّ كل ناحية مَلّكوا عليهم رجلاً من حِمْيَر وكانوا كمثل ملوك الطوائف حتى أتى اللّه بالإسلام»[1]. وقوله: (أهل كل ناحية) يعني (كل جهة) وهي المخاليف الرئيسية في اليمن، وقد تم تمليك الأقيال فيها، وهي:

أ ـ مخاليف حِمْير وحضرموت: وتشمل بالتسميات الحالية محافظات ومناطق إب، وتعز، والحديدة، وذمار، وأرداع، والضالع، وأبين، ولحج، وعدن، وشبوة، وحضرموت، والمهرة، وظفار المشرق. وقد استقل بحكم تلك المخاليف نحو ستة أقيال ملوك هم: سلامة ذو فائش، والحارث بن عبد كلال ذو رعين، وزرعة بن سيف بن ذي يزن، وفهد بن النعمان، وابن الصباح الحميري، وقيس بن معدي كرب الكندي[2].

ب ـ مخاليف صنعاء وأعالي اليمن: كان من الأذواء الأقيال فيها آل عبد المدان بن الديان في نجران وهم بيت رئاسة مذحج، وآل ذي لعوة وذي مران رؤساء حاشد وبكيل (همدان) والعديد من رؤساء قبائل همدان ومذحج وقُضَاعة وخثعم والسراة في مناطقهم[2] بينما كان حكم الفرس الأبناء وأميرهم باذان بن ساسان عامل كسرى أبرويز بن هرمز في صنعاء وبعض المراكز فقط. وكان للفرس علاقة طيبة بهمدان.

وعلى صعيد آخر وقعت فتنة وغارات بين مذحج وهمدان في فترات متقطعة، وقد سلف ذكرها وانتهت بالصلح والسداد بين مذحج وهمدان قبل موقعة (فَيْف الريح) التي قاد فيها الحصين الحارثي فرسان مذحج وقُضَاعة وخثعم وتم النصر فيها على قبائل هوازن وسُليم في نجد، وكان من قادتها وفرسانها الحصين وأولاده فوارس الأرباع ومُسْهِر الحارثي وعمرو بن معدي كرب، وغيرهم، كانت موقعة فَيْف الريح بعد البعثة وقبل الهجرة النبوية، وذلك حوالي عام ٦١٥م. وبعد ذلك ـ وكما جاء في كتاب الأمالي ـ «وَفَد عُلْبَة بن مُسْهِر الحارثي، والمُنْتَشِر بن الحُصَين أحد

(١) الموسوعة اليمنية ـ د. حسين العمري ـ ص ٢٩٠.

(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح ـ ص ١١٥٨ ـ ١١٨٦/ ٢.

فوارس الأرباع إلى الملك سلامة ذي فائش»[١] وكذلك وَفَدَ إليه عمرو بن معدي كرب وأعطاه سلامة ذو فائش سيفه الذي ذكره عمرو في قوله:

وأعددتُ للحرب فَضْفَاضَةً ... دِلاصاً تُثنَى على الراهش

وأسمر مُطّرداً ذابِلاً ... وسيف سلامة ذي فائش

وفي وقت لاحق، وقع أمر هام وهو كما ذكر المؤرخ الرازي ما يلي نصه:

«اجتمع جماعة من الرؤساء فتشاوروا وأجمعوا على حرب باذان بن ساسان في زمن كسرى بن هُرمز، وكان اجتماعهم بمَذّاب من الجوف، وكان فيهم عمرو بن مَعْدِي كَرِب الزُبيدي، وعنبسة بن زيد الخولاني، والحُصَين بن قنان بن يزيد الحارثي، ويزيد بن عبد المدان، وشهاب بن الحصين، مع جماعة من الفرسان والأشراف، فعسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيفاً.

وبلغ ذلك باذان فخرج إليهم في خيل الأساورة ـ الفُرس ـ من صنعاء، وخرجت همدان في لقائه في زهاء عشرة آلاف مُقَاتل ما بين فارس وراجل في عدة كاملة. وكان عمرو بن الحارث الشاكري وعمرو بن يزيد بن الربيع الحاشدي رئيسي القوم، فعرضوا على باذان النّصرة والحلف، فسرَّه ذلك وسارع إليه فَحَالَفهم وعَاقَدَهم، فاجتمعت ذلك اليوم رؤساء هَمْدَان ووجوههم وفرسانهم، وكان ذلك اليوم يوماً عظيم الخطر باقي الأثر..»[٢] ثم اكتفى الرازي بذكر عهد الحلف والتناصر الذي تم كتابته بين الفُرس وهمدان بمحضر المرزبان باذان وعمرو بن يزيد بن الربيع الحاشدي وعمرو بن الحارث الشاكري وقد ذكر الهمداني في الإكليل هذا الأخير في نسب بني (وابش بن دُهمة بن شاكر) قائلاً: إن منهم «عمرو بن الحارث الذي يذكر الأبناء ـ الفُرس ـ أنه عقد الحلف بينهم وبين همدان»[٣] ولم يذكر غير ذلك. وقد كان التجمع سالف الذكر في الجوف لقتال ومحاربة الفرس بصنعاء بعد موقعة فَيْف الرِّيح بنجد التي ذكر أبو عبيدة أنه «كانت وقعة فَيْف الريح وقد بُعث النبي ﷺ»[٤] ـ أي بعد البعثة وقبل الهجرة ـ وقد تلت فَيْف الريح فترة من الزمن ثم وقع التجمع في الجوف لقتال ومحاربة الفرس وباذان في صنعاء، فسار باذان والفرس من صنعاء وتم إبرام التحالف مع همدان، وبالتالي ليس صائباً ما رواه الرازي من أنه «في عقب ذلك كانت البعثة النبوية» فالأصوب (الهجرة النبوية) أو بعد الهجرة بأمد يسير.

ولم يتطرق الرازي إلى ثمرة ونتيجة التحالف ونصرة همدان للفرس فقد كان

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٣/ ١. (٢) تاريخ صنعاء ـ الرازي ـ ص ٣٨ و٣٩.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٩١/ ١٠.

(٤) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٣.

ذلك لمواجهة الذين جمعوا جمعاً كثيفاً في الجوف وهم بصفة رئيسية مذحج وفيهم الحُصَين الحارثي، وشهاب بن الحصين وهو أحد فوارس الأرباع، ويزيد بن عبد المدان، وعمرو بن معدي كرب وكذلك (جماعة من الفرسان والأشراف) ـ لم يذكر أسماءهم ـ وهم من مراد وغيرهم من مذحج، وخاصة من مراد لأنّها كانت تسكن الجوف ولأن الرؤساء (عسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيفاً بمنطقة مذاب في الجوف).

ويمكن استنتاج أن المرزبان باذان والفرس عادوا إلى صنعاء بعد اللقاء بهمدان وإبرام العهد والتحالف على مناصرة همدان للفرس، وبعد ذلك بأمد يسير تم إحياء وبَعْث النزاع السابق الذي كان قد انتهى بين مذحج وهمدان قبل عدة سنين، فاندلعت حرب يوم الرَّدْم بين مذحج وهمدان في الجوف كحرب قبلية، ولم يظهر أنها ذات علاقة بالعرض الهمداني لمناصرة الفُرس وبالتحالف بينهما. فتلك هي معالم وخلفية ما قبل موقعة يوم الرّدْم.

* * *

نبأ موقعة يوم الرَّدْم.. وقصيدة الأجدع:

اندلعت موقعة يوم الرَّدم بين مذحج وهمدان في منطقة الرّدم بوادي مُلاحا في الجوف، قال الحسن الهمداني في الصفة: «وادي مُلاحا بالجوف، وإليه يُنسب يوم رَدْم مُلاحا..» وجاء في الهامش «مُلاحا الجوف: هو أرض فيه حلل وغابات وفيه غيل كبير قرب الحراشف، وكان يوم الرَّدْم بين همدان ومذحج..»[١].

وكانت منطقة الرَّدم ووادي مُلاحا من مناطق قبيلة مُراد المذحجية بالجوف، فتجمعت قبيلة مراد من مناطقها بالجوف ومأرب إلى تلك المنطقة والتي عَسْكَرَ وتَجَمّع إليها أيضاً رؤساء وفرسان وعشائر قبائل بني الحرث بن كعب وزُبيد وغيرها، فَشَنّ زهاء عشرة آلاف من فرسان ورجالات قبائل همدان هجوماً على مذحج بتلك المنطقة من الجوف ووقعت المعركة الحاسمة في الرَّدم، وهي موقعة يوم الرّدم، وكانت خيول وفرسان همدان أكثر وأَفْضَلَ عتاداً فانكسرت مراد وبقية الذين معها من مذحج.

وعن ذلك اليوم قال ابن هشام: «كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وَقْعَةٌ أصابت فيها همدان من مُراد ما أرادوا حتى أثْخَنُوهم في يوم كان يُقال له يوم الرَّدْم..»[٢] وقال القاضي الأكوع في هامش الإكليل: «كان يوم الرَّدْم من أعظم أيام العرب في الجاهلية، وكان بين مذحج كلها وهمدان كلها، وانتصرت فيه

---

(١) صفة جزيرة العرب ـ الهمداني ـ ص ٢٣٧. (٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٠/ ٤.

همدان . . كان الأجدع بن مالك هو قائد همدان ورئيسها يوم الرَّدْم»(١).

والذي قال إن الأجدع كان قائد همدان يوم الرَّدْم هو ابن إسحاق وقد عَقَّبَ عليه ابن هشام قائلاً: «الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حريم»(٢) وهو الصواب. وكذلك كان من قادة وفرسان همدان في ذلك اليوم مالك بن ملاين بن كعب بن مالك بن الحارث بن مرّ بن ربيعة بن عبد بن عِلْيان بن أرحب القائل في يوم الرَّدْم:

ونبني على دار الحفاظ بيوتنا ... ونحبس أموالاً وإن طال جوعها
ونحن كفينا الرَّدْم همدان إننا ... كفاة وقد ضاقت بذاك دروعها(٣)

والحارث بن ثُمامة بن الأسفع الأرحبي الهمداني زوج ابنة الأجدع وهو أبرز مَنْ قتل مِن همدان في يوم الرَّدْم.

ولم يكن يوم الرَّدْم بين مذحج كلها وهمدان كلها، ولا بين مراد وهمدان، وإنما كان من همدان زهاء عشرة آلاف مقاتل من أرحب الجوف وسفيان وشاكر وصُرَيْم ـ غالباً ـ، وكذلك كان مع مراد من قبائل مذحج بنو الحرث بن كعب وزُبيد، وكان من قادة مذحج في يوم الرَّدْم الحُصَين ذو الغُصَّة الحارثي، وشهاب بن الحُصَين وهو أحد فوارس الأرباع، ويزيد بن عبد المدان، وعمرو بن معدي كرب ـ غالباً ـ وفروة بن مُسيك المرادي. وقد شاع في الروايات القول بأنه «قُتِل في يوم الرَّدْم فوارس الأرباع بنو الحصين ذي الغُصة» قال الهمداني في الإكليل: «من الأذواء، من بلحارث بن كعب: ذو الغُصَّة وهو الحصين بن شدّاد بن قَنَان، وسُمِّي ذا الغُصَّة لأنه كظم الغيظ والحزن على بنيه، وقُتِلوا يوم الرَّدّم وهم فوارس الأرباع»(٤) فقال القاضي الأكوع في الهامش: «ما ذكره المؤلف بتعليل نبزه بذي الغُصَّة هو الذي يتبادر إليه الذهن. وقال ابن دريد في الاشتقاق: إنه كان يغتص إذا تكلم، يصعب عليه الكلام، وأصل الغصص بالريق ونحوه. . وسُمِّي أولاد ذي الغُصَّة فوارس الأرباع لأنه كان كل واحد منهم إذا كانت له حروب ولّى رُبْعها، وهم الذين يأخذون ربع الغنيمة، وكانوا ثلاثة: عمراً وزياداً ومالكاً، فقتلتهم همدان يوم الرَّدْم»(٤).

ونشير هنا إلى أمرين، أحدهما: أن الحُصَين إنما سُمِّي ذا الغُصَّة لأنه كان يغتص إذا تكلم، ويصعب عليه الكلام إذا اغتص، وليس لمقتل بنيه. والأمر الثاني: أن فوارس الأرباع كانوا أربعة، وربما أخذ الأكوع قوله: «كانوا ثلاثة: عمراً وزياداً ومالكاً». مما جاء في كتاب الأمالي أنه «وَفَدَ عُلْبَة بن مُسْهِر الحارثي والمُنْتَشِر أحد

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٤٦١/ ٢. (٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥٠/ ٤.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء العاشر ـ ص ١٦٧/ ١٠.
(٤) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ الجزء الثاني ـ ص ٤٦١/ ٢.

فوارس الأرباع إلى ذي فائش الملك الحميري، فقال له: يا عُلبَة ألا تُحَدِّثني عن أبيك وأعمامك وتَصِفُ لي أحوالهم؟ فقال: بلى أيّها الملك، وهم أربعة زياد ومالك وعمرو ومُسْهِر»(١) فوقع الالتباس والظن بأن زياداً ومالكاً وعمراً هم فوارس الأرباع بينما هم أخوة مُسْهِر بن يزيد الحارثي. أما فوارس الأرباع فمنهم المنتشر بن الحُصَين المذكور في الأمالي، وشهاب بن الحُصَين المذكور في تاريخ الرازي، وقيس بن الحُصَين المذكور في الإصابة، وزياد ـ أو يزيد ـ ابن الحُصَين، اللهم إلا إذا كان للحُصَين أكثر من أربعة أبناء وأن منهم أيضاً عمرو ومالك، فَقُتِلا مع شهاب بن الحُصَين الذي ثَبَت في كتاب أيام العرب إن (شهاب بن الحُصَين قُتِلَ يوم الرّدْم). وقد انجلت موقعة يوم الرَّدْم عن انكسار وانهزام مَذْحج، فتغلبت همدان في ذلك اليوم. وقال فروة بن مُسيك المرادي المذحجي في ذلك:

فـإِنْ نَـغْـلِـبْ فَـغَـلَّابُـون قِـدْمـاً وإنْ نُـغْـلَـبْ فَـغَـيْـرُ مُـغَـلَّـبِـيـنَـا
ومـا إنْ طِـبُّـنَـا جُـبْـنٌ وَلـكِـنْ مَـنَـايَـانَـا ودَوْلَـةُ آخِـرِيـنَـا(٢)

ولما انهزمت وتقهقرت مذحج في موقعة يوم الرَّدْم، تقهقر وعاد بنو الحرث بن كعب وزُبيد إلى مخلاف نجران، حيث يبدو أن الأجدع كان معهم، فقد ذكر أبو عبيد في كتاب التنبيه «أن امرأة الأجدع كانت من بني الحرث بن كعب.. وسألته: أين الإبل والغنيمة»(٣) وقد أسلفنا تبيين أن امرأة الأجدع كانت بنت الحُصَين أخت فوارس الأرباع الذين قُتِل ثلاثة منهم في يوم الرَّدْم والثابت أن الذي قُتِل هو شهاب بن الحُصَين وجاء في هامش الإكليل أنهم ثلاثة منهم (عمرو ومالك)، كما قُتِل في يوم الرَّدْم الحارث بن يزيد ثمامة بن الأسفع الأرحبيّ الهمداني زوج بنت الأجدع، فلما سألتْ الأجْدَعَ امرأتَهُ: أين الإبل والغنيمة؟ قال الأجدع ـ بسبب سؤالها ـ هذه القصيدة، وهي قصيدة الأجدع المشهورة:

أَسَـأَلْـتِـنِـي بـركـائـبٍ ورِحـالِـهـا(٤) ونَـسِـيـتِ قَـتْـلَ فَـوارِسِ الأربـاعِ(٥)

---

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٢٣ جـ ١. (٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥١/٤.

(٣) التنبيه على كتاب الأمالي ـ أبو عبيد البكري ـ ص ٢٥.

(٤) جاء صدر البيت في الأمالي: «وسألتني بركائبي ورِحالها» فقال أبو عبيد في التنبيه «إنما هو: أسألتني، بالهمزة لا بالواو، وهو أول الشعر. وبركائبٍ: مُنوَّنٍ، لا بركائبي، لأنها إنما سألَتْهُ عن إبل القوم وركائبهم لا عن ركائب نفسه».

(٥) يذهب البعض إلى أن الأجدع هو الذي قتلهم لقوله (ونسِيتِ قتل فوارس الأرباع) ولكن الأبيات تدل على أنه إنما يبكيهم ويعاتب امرأته لأنها سألت عن الإبل ونست مقتلهم، وأن الرزية ـ أي المصيبة ـ هي مقتلهم. فهم أخوة امرأته وأصهار الأجدع.

(بنت الحُصَيْن) أَلَمْ يَرُعْكِ نَعِيُّهم[١] أهلُ اللِّواءِ وسادَةُ المِرْبَاعِ[٢]
تِلْكَ الرزيَّةُ لا ركائبَ غُودِرتْ[٣] بِرِحالِها مَشْدُودةَ الأنْسَاعِ[٤]
خَيْلان مِنْ قَوْمِي ومِنْ أَعْدَائِهِمْ خَفَضُوا أَسِنَّتَهم فكُلٌّ نَاعِ[٥]
خَفَضُوا الأَسِنَّةَ بينهم فتَواسَقُوا يَمْشُونَ في حُلَلٍ مِنَ الأدرَاعِ[٦]
والحارث ابن يزيد، ويْحَكِ أَعْوِلي، مَحْضاً شمائله، رحيبَ الباعِ[٧]
لو أنّني أُفْدِيتَهُ لفَدَيْتُه[٨] بأنامِلي (وجَبَيْتِه) أضلاعي[٩]
لدفعتُ عنه في اللقاء وفاته (دفعاً) وكُلّ منيّةٍ بدفاعِ[١٠]

وفي الأصمعيات خمسة أبيات نقلها الأكوع في هامش الإكليل وهي بعد الأبيات السالفة (الثمانية) ويتخللها بيت واحد في الإكليل فتكون ستة أبيات بعد الأبيات الثمانية وهي:

أَبْلِغْ إليكَ أبا عُمَيرة مُرْسَلاً فَلَقَدْ أَنَخْتَ بمنزلٍ جَعْجَاعِ[١١]

---

(١) جاء في التنبيه هنا «وبني الحصين..» ولا يمكن أن يقول «ونسيت قتل فوارس الأرباع» ثم «وبني الحصين..» لأنهم هم فوارس الأرباع. لذلك نرى أن الصواب «بنت الحصين، ألم يرعك نعيّهم» وكذلك جاء في الإكليل «وبنو الحصين..» وإنما هو (بنت الحصين)، - وجاء في الإكليل بعد هذا البيت:

حضروا المواسم فانتزعنا مجدهم منّا بأمر حسادة ورباع

والظاهر أن هذا البيت ترتيبه متأخر بعد البيت العاشر.

(٢) المرباع: ربع الغنيمة الذي يكون للقائد في الحرب.

(٣) هكذا في الإكليل، بينما في التنبيه «تلك الرزيّةُ لا قلائص أُسلِمَتْ». والمعنى واحد فالركائب والقلائص هي الإبل.

(٤) الأنساع: جمع نِسْعة وهي حبال مضفورة من الجلد.

(٥) قوله (فكلّ ناع) جاء في هامش التنبيه أنه «قال يعقوب في المقلوب: أراد (نائع) أي عطشان إلى دم صاحبه، فقُلب. وقال الأصمعي: بل هو على وجهه إنما هو فاعل مِن: نَعَيْتُ».

(٦) الأسنة: أسنة الرماح. والحُلل: الأثواب. والأدراع: الدروع.

(٧) الحارث ابن يزيد هو زوج ابنة الأجدع. وقوله (أعولي: أي صيحي بالبكاء عالياً) ورحيب الباع: واسع الكرم.

(٨) جاء في الإكليل المطبوع (فلو أنني أفديه لفديته) ونرى أن في ذلك تصحيف وأن الأصوب كما أوردناه هنا ليستقيم الوزن.

(٩) جاء في الإكليل المطبوع «بأناملي ولجته أضلاعي» ويوجد تصحيف في كلمة (لجته) وقد يكون الأصوب (وجبيته) ليستقيم الوزن.

(١٠) جاء في الإكليل المطبوع هنا «دفعي وكل منيّة بدفاع» ويوجد تصحيف وإنما هو (دفعاً) ليترابط معنى البيت.

(١١) أبو عميرة قد يكون فروة بن مسيك المرادي، وقد كنّاهُ عمرو بن معدي كرب بأبي عُمَير في شعر له.

ولقد قتلنا مِنْ بَنِيك ثلاثةً فَلَتَنْزَعَنَّ وأنت غَيْرُ مُطَاع
(حضروا المواسم فانتزعنا مجدهم مِنّا بأمر جسارةٍ ورِباع)[1]
(تقفو الجيادَ مِنَ البيوت، ومَنْ يَبِعْ) فرساً فليس جوادنا بِمُبَاع
إنّ الفوارسَ قد عَلِمْتَ مكانَهم فانْعَقْ بِشَاتِكِ نحو أهل رداع[2]
وكأنّ قَتْلاهُم كعاب مُغامِرٍ ضُرِبت على شَزْنٍ فَهُنّ شواع

وقوله (تقفو الجياد مِنَ البيوت ومَنْ يَبِعْ . .) هذه رواية الأصمعيات، بينما قال نشوان الحميري في شمس العلوم: «أباع الشيء إذا عرضه بالبيع. قال الأجدع بن مالك الوادعي:

فرضيتَ آلاء الكُمَيْت فَمَنْ يَبِعْ فرساً فليس جوادنا بِمُبَاع»[3]

وقد ذكر ابن هشام أن موقعة الرَّدْم كانت «قُبيل الإسلام» وجاء في الإكليل إنها كانت «في الجاهلية» بينما وكما جاء في هامش الإكليل والصفة «صادف يوم وقعة الرَّدْم يوم وقعة بدر سنة اثنتين للهجرة» وقد كانت موقعة بدر في رمضان ٢هـ فتكون موقعة الرَّدْم في رمضان أو شوّال سنة ٢هـ، ولم يكن الإسلام قد انتشر إلا في يثرب أما بقية الحجاز واليمن فكانوا ما يزالون على دياناتهم قبل الإسلام، ولذلك تعتبر موقعة يوم الرَّدْم في الجاهلية وقبيل الإسلام.

ثم أخذ الإسلام ينتشر وأخذت مواكب من اليمن تتوجه إلى النبي ﷺ بيثرب منذ مطلع سنة ٧هـ وكان مِمَّن وَفَدَ إلى النبي ﷺ سنة ٧هـ فروة بن مسيك المرادي ثم وَفَدَ مرة ثانية مع وفد مذحج سنة ٩هـ، وقد جاء في السيرة النبوية أنه «قال رسول اللَّه ﷺ لفروة بن مسيك: يا فَرْوَة هل سَاءَكَ ما أَصَابَ قَوْمَكَ يوم الرَّدْم؟ فقال: يا رسول اللَّه، مَنْ ذا يُصيب قَوْمَه مثلُ ما أصاب قومي يوم الرَّدْم لا يسوءه ذلك؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: أَمَا إنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قومَك في الإسْلَام إلَّا خَيْراً»[4]. ونرى أن ذلك يعود إلى أن مذحجاً إنما كانت تريد قتال الأبناء الفرسَ المجوس قبل يوم الرَّدْم بينما كان الذين قاتلوا مذحجاً من همدان حلفاء للفرس، ولذلك وبالرغم من أن مذحجاً غُلِبَتْ فإن ذلك لم يزدها إلا خيراً. وقد كان مِمّن وَفَد إلى رسول اللَّه ﷺ من بني الحرث بن كعب المذحجيين الحُصَين ذو الغُصَّة وقيس بن

---

(١) جاء هذا البيت في الإكليل بترتيب أسبق. وجاء عجز البيت (منّا بأمر حسادة ورباع) ولا بد أن (حسادة) تصحيف، وقد يكون الأصل (بأمر جسارة) والجسارة من الشجاعة.

(٢) رداع: منطقة من سَرْو مذحج بمحافظة البيضاء.

(٣) شمس العلوم ـ نشوات الحميري ـ ص ١/٢٠٦.

(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥١ و٢٦٤ جـ ٤.

الحُصَين أحد فوارس الأرباع، وذلك يؤكد عدم مقتل فوارس الأرباع كلهم في يوم الرَّدْم وإنما عاش ـ أو حلّ محلهم ـ ثلاثة من أبناء الحُصَين هُم قيس والمُنْتَشِر وزياد ـ أو يزيد ـ وقد جاء في السيرة النبوية أنه «وَفَدَ إلى رسول اللّه ﷺ وفد بني الحرث بن كعب، منهم قيسُ بن الحُصَيْن ذي الغُصّة، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد اللّه بن قُرَاد، وشداد بن عبد اللّه القَنَّاني.. وأمَّرَ رسول اللّه ﷺ على بني الحرث بن كعب قيس بن الحُصَيْن»[١]. ـ وهو أحد فوارس الأرباع أصهار الأجدع.

* * *

خاتمة من شعر وأنباء الأجدع:

ومن شعر الأجْدع بيتان من قصيدة له ذكرهما أبو العباس المبرد في كتاب الكامل في اللغة والأدب وهما:

لَقَدْ عَلِمَتْ نسْوانُ هَمْدان أنني ... لـهُـنّ غَـدَاة الـرَّوْع غـيـرُ خَـذُول

وأبْذُلُ في الهيجاء وجهي فإنّني ... له في سوى الهيجاء غير بذول

وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «الشقيقة: فرجة في الرمال تُنْبتُ العُشب.. قال الأجدع:

كـأنّ رؤوسـهـم فـي جـانـبـيـه ... هـبـيـل شـقـيـقـة جوف هـواء»[٢]

وقد أدرك الأجدع انتشار الإسلام باليمن فآمن وأسلم وكان كبيراً في السن، ثم وَفَد الأجدع على الخليفة عمر بن الخطاب، عند مسير مستنفري اليمن سنة ١٤هـ وقد جاء في ترجمته بكتاب الإصابة أنه: «وفَدَ الأجدع بن مالك الوادعي على عمر بن الخطاب، فسَمّاه عبد الرحمن.. ومات الأجدع في أيام عمر»[٣] وقد عاد الأجدع إلى اليمن بعد لقائه بعمر ومات باليمن وقد بلغ من الكِبر عتياً، وذلك حوالي سنة ١٧هـ أو سنة ٢٠هـ.

وكان ابناه المنتشر بن الأجدع ومسروق بن الأجدع من رجالات اليمن الذين ساروا إلى العراق في الفتوحات واستقروا بالكوفة، واشتهر مسروق بن الأجدع بالفقه وجاء في التراجم أنه «كان مسروق بن الأجدع مس أعيان الكوفة

---

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٥١ و٢٦٤ جـ ٤.

(٢) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢/٤٥٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ص ١/٩٩.

علماً وفقهاً ودراية وسؤدداً، ومن نبلاء التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ٦٣هـ» قال الهمداني: «ومحمد بن المنتشر بن الأجدع كان من أشراف الكوفة وهو القائل للأشتر النخعي:

إذا أنت لم تكرم سَرَاة عشيرتي فما للّذي بيني وبينك واصل
تراني مع العادي عليك إذا عَدَىٰ بلا مِنّة إنْ لم تغلني الغوائل
كأنّك يوم الراسي نعامة شآها مع الرأل النعام الجوافل[١]

وأخوه المغيرة بن المنتشر كان شاعراً». ـ انتهى ـ[٢].

(١) شآها: سبقها، ويروى (نشاها) أي زجّاها ودفعها. والرأل: ولد النعامة والجوافل: جمع جافلة وهي السريعة الفرار.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٩٣/ ١٠.

المباحث «٧٦ ـ ٨٠»

جَبْر بن الأسْوَد الحارثي المذْحجيّ

«صاحب القصيدة الجِيمية، وخامس خمسة شعراء مِن جيل الدَّيَّان»

هو الشاعر اليمني الجاهلي جبر بن الأسود بن معاوية بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب المذحجي صاحب القصيدة الجيمية المذحجيّة الجاهلية التي أولها:

أَجِـدَّكَ لَـمْ تَـعْـرِفْ أَثَـافِـيَّ دِمْـنَـةٍ   مَـرَرْتَ عَـلَـى أطْـلالِـهَـا لا تُـعَـرِّجُ

وهو خامس خمسة شعراء جاهليين يجمعهم أنهم من قبيلة بني الحرث بن كعب المذحجية بالجوف ونجران، وأنَّهُم من جيل ومعاصري الديَّان بن قَطَن الحارثي رئيس مذحج ونجران في عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان الحميري وحتى يوم خَزَازَىٰ ـ أي في الفترة ما بين عام ٤٦٠ وعام ٥٣٠ م ـ إذْ أنّ الديَّان هو:

الديَّان بن قَطَنْ بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب المذحجيّ، وقد تقدّمَ المبحثُ الخاص به في هذا الكتاب[١] والشعراء الخمسة هم:

١ ـ جَبْر بن الأسوَد الحارثيْ . . صاحب القصيدة الجيميَّة المذْحَجيَّة الجاهلية:

هو جبر بن الأسود المُعاويّ الحارثي، من بني معاوية بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب المذحجيين، ومنطقة بني معاوية بن الحارث هي الأفراط ما بين الجوف ونجران حيث قال الحسن الهمداني: «ويُسَمّى ما بين الجوف ونجران الأفراط، واحدها فُرط، وأكثر من يكون بالأفراط من بلحارث بن كعب بنو معاوية»[٢] . وكان الأسود بن معاوية سيّداً مُسَوّداً لذلك يقال له (الأسوَد)، وكان ابنه جبر بن الأسوّد شاعراً وفارساً بالنصف الأول من القرن السادس الميلادي (ما بين ٥٠٠ و٥٣٠م) أي قبل البعثة النبوية بما بين مائة سنة إلى ثمانين سنة في أيام الديان بن قَطَن الحارثي

(١) الديان بن قطن الحارثي ـ المبحث رقم ٢٩ـ.

(٢) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٥.

رئيس قبائل مذحج بالجوف ومخلاف نجران والذي فيه قال الشاعر:

يـقـودُ بـهـا ديّـانُـهـا غـيـر عـاجِـزٍ ثـمـانـيـن ألـفـاً قـادهـا مِـن بَـرَاقِـشِ

وبراقش بالجوف[١] وكان جبر بن الأسود من شعراء اليمن في تلك الحقبة، وهو صاحب القصيدة الجيمية التي هي من عميق الشعر الجاهلي، وتقع في ٢٦ بيتاً، وهي:

أَجِـدَّكَ لَـمْ تَـعْـرِفْ أَثَـافِـيَّ دِمْـنَـةٍ مَـرَرْتَ عَـلَـى أَطْـلَالِـهَـا لا تُـعَـرِّجُ[٢]

بَلَىٰ، فَتَدَاعَىٰ الدَّمْعُ حَتَّى كَأَنَّمَا جُفُونُكَ سِمْطٌ خَانَهُ السِّلْكُ مُمْرَجُ[٣]

لَـيَـالِـيَ لَـيْـلَـى لا تَـزالُ كَـأَنَّـهَـا هَمِيْجُ بِذِي الدَّثَّيْنِ غَرَّاءُ عَوْهَجُ[٤]

رَبِيْبَةُ خِدْرٍ لَمْ تُكَشَّفْ سُجُوفُهُ، وَفَارَّةُ مِسْكٍ آخِرَ اللَّيْلِ مَارِجُ[٥]

كَـأَنَّ ثَـنَـايَـاهَـا وَبَـرْدَ رُضَـابِـهَـا هُدُوّاً نِطَافُ بِالمَسِيْلَةِ حَشْرَجُ[٦]

تُـشَـجُّ بِـهِ رَقْـرَاقَـةٌ صَـرْخَـدِيَّـةٌ عَقِيْلَةُ مَحْذُوفٍ يَغَصُّ وَيَنْشِجُ[٧]

تَذَكَّرْتُهَا مِنْ بَعْدِ مَا حَالَ دُوْنَهَا مِنَ النَّأْيِ طَلْحٌ بِالحِجَازِ وعَوْسَجُ[٨]

فَأَنَّىٰ بِلَيْلَىٰ جَيْرِ أَنْ تُسْعِفَ النَّوَىٰ ومِنْ دُوْنِهَا غَوْلُ البِطَاحِ فَمَنْعِجُ[٩]

ثم ينتقل الشاعر جبر الحارثي من ذلك النسيب والتذكر لليلى وديارها، ويقول:

فَدَعْ ذَا ولكِنْ هَلْ تَرَى رَأْيَ كَاشِحٍ يَـخُـبُّ إِلَـيْـنَـا بِـالـوَعِـيْـدِ ويَـهْـدِجُ[١٠]

---

(١) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ مادة (براقش).

(٢) أجِدَّك ـ بكسر الجيم ـ: أي هل بجدٍّ مِنك. أثافي: جمع أثفية وهي الحجارة. تُعرّج: تُقيم.

(٣) السمط: الخيط الذي يُنْظَمُ فيه الخَرَز واللؤلؤ فإذا لم يكن فيه خَرَز فهو السلك. ومُمرج: غير مُحكم.

(٤) الهميج: المرأة الفِتيّة خميصة البطن. والعوهج: المرأة تامة الخَلْق حَسَنة الجسم. ذي الدثين: اسم منطقة من دَثينة ولعلها دَثينة من سرو مذحج.

(٥) السجوف: الستر، ستر الخِدْر. وفَارة المسك: رائحته.

(٦) هدواً نِطافُ: ماء صافي، والنَّطْف: القَطر، والنُّطفة: الماء الصافي. والمسيلة: اسم منطقة. والحشرج: الماء العَذْبُ.

(٧) تُشَجُّ به: تُخلَط وتُمزجُ به. رقراقة صرخدية: خمرة متلالئة تُنسبُ إلى موضع صرخد. العقيلة: الدرة في صدفها. المحذوف: الزِّق.

(٨) الطلح والعوسج: أشجار. والحجاز: المنطقة التي تكون بين الجبال والسهول.

(٩) جَيْرِ ـ بكسر الراء ـ يمينٌ. يقال: جَيْرِ لا آتيك، أي يميناً لا آتيك. غول البطاح ومنعج: أسماء أماكن.

(١٠) الكاشح: الهاجر، وربما الحاسد. يخُبُّ إلينا: يُسرع إلينا. يهدج: يمشي رويداً. والوعيد: التهديد.

كَذَبْتُمْ ـ وبَيْتِ اللَّهِ ـ لا تأخُذُونَها ... بَنِي عَانِسٍ حَتَّى تَرُوحُوا وتُدْلِجُوا[١]
وحَتَّى تَرَى الحُوَّ الطِّوالَ مُتُونُهَا ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ أَوْ مَعَ الصُّبْحِ تُسْرَجُ[٢]
وحَتَّى تَرَى النَّجْدَ البَسِيْلَ كأَنَّمَا ... يُضَرِّجُهُ بالزَّعْفرانِ مُضَرِّجُ[٣]
وحَتَّى تَرَى اللُّيْسَ الكُمَاةَ كأَنَّمَا ... تَصَلَّوْا ذَكاً يَلْوِي القُلُوبَ فَيَهْرَجُ[٤]
كَبَتْ كرَّةُ الأبْدَانِ فَوقَ جُلُودِهِمْ ... إِذَا لَبِسُوا ما كانَ دَاودُ يَنْسِجُ[٥]

ثم يمضي جبر الحارثي مخاطباً ابن عانس فيقول:

هُنَالِكَ إِنْ تَغْلِبْ تَكُنْ أَنْتَ رَبَّهَا ... وإِنْ تَنْهَكُمْ عَنْهَا الحَواجِزُ تَعْنَجُوا[٦]
حَوَاجِزُ رَحْمٍ، أو قِتالُ عَشِيرَةٍ، ... وعَادَةُ بَعْضِ الظُّلْمِ بالظُّلْمِ يُلْهَجُ[٧]
وَمَا خِلْتُ أَنِّي نِلْتُ مَالَ عَشِيرَةٍ ... ولا حِيْبَةٍ، إِنَّ الأُمُورَ تُفَرَّجُ[٨]
فَلَسْتُ بِمَولَى بَاطِلٍ إِنْ طَلَبْتَهُ ... وما لَكَ عِنْدِي بالظُّلامَةِ مَدْلَجُ[٩]
مَتَى تَلْقَنِيْ لا تَلْقَ شِكَّةَ واحِدٍ ... إِذَا افْتَرَّ يَوْماً عَنْ لَظىً يَتَأَجَّجُ[١٠]
مَعِيْ مَشْرَفِيٌّ كالعَقِيْقَةِ صَارِمٌ ... بِهِ أَثْرٌ بالمَتْنَيَيْنِ مُدَرَّجُ[١١]
وأَسْمَرُ خَطِّيّ كَأَنَّ اهْتِزَازَهُ ... مِقَاطُ قَلِيْبٍ، مَسَّهُ المَاءُ، مُدْمَجُ[١٢]

---

(١) الإدلاج: المشي ليلاً، ويعني الرواح والإدلاج للحرب.
(٢) الحُوّ: الخيل السريعة.
(٣) النجد: الرجل الشجاع. البسيل: الغاضب، يقال: بسِل الرجلُ إذا عبس من الغضب أو الشجاعة.
(٤) اللُّيس: جمع أَلْيَس وهم الشجعان الأشداء. تَصَلَّوا: أي صَلُوا. ذَكاً: ناراً وجمرة ملتهبة. يهرج: يَخْتَلط. وفي النقوش: هَرَجَ: قَتَلَ.
(٥) كَبَتْ كرّة الأبدان: أي حُجِبت أبدانهم عن رماح وسيوف الأعداء لأنهم يلبسون الدروع القوية وهي ما كان داود يَنْسِجُ.
(٦) هنالك: أي في المعركة. والحواجز: الموانع، أي ما يمنع الحرب. تعنجوا: تنعطفوا.
(٧) يلهج: قال الفيروزآبادي (لَهِج: أُغْرِيَ به. والهاجَّ الهَيجاجاً: اختلط..) ص ١/٢١٣ ـ القاموس المحيط.
(٨) الحِيبة: القرابة من جهة الأم. أي أنه لا يعتدي على مال عشيرته ولا أخواله.
(٩) مدلجُ: جاء في القاموس «الدَّلَجُ: السيرُ من أول الليل. وقد أدْلجوا: ساروا من آخر الليل» ـ ص ١/١٩٥ ـ القاموس المحيط. وقال زيد الخيل:

عَـوَّدُوا مُـهْـرِي الـذي عـوّدتُـه ... دَلَـجَ الـلـيـل وإيـطـاء الـقـتـيـل

(١٠) الشُّكة: ما يُلبس أو يُحمل من السلاح. قال عمرو بن معدي كرب:

أعـاذِلُ: شـكـتـي بـدنـي ورُمـحـي ... وكـلّ مُـقـلّـصٌ سـلـس الـقـيـاد

(١١) المشرفي: السيف. العقيقة: شعاع البرق في وسط السحاب. المتنيين: جَنبا السيف.
(١٢) الخَطِّيُّ: الرمح. مِقَاطُ قَلِيْبٍ: حبل بئر. المقاط: حبل صغير، والقليب: البئر التي فيها عين. مُدمج: مُحْكم الفَتْل.

وأَبْيَضُ فَضْفَاضُ كَنِهْيِ تَنَسَّمَتْ ... لَهُ تَحتَ ذَيْلِ الصُّبحِ في القَاعِ نَيْرَجُ[(١)]
فَيَا لَكَ مِنْ بَزِّ امْرِىءٍ ذِي حَفِيظَةٍ ... يَخُبُّ بِهِ عَبْلُ المَعَاقِمِ مِهْرَجُ[(٢)]
وقَدْ عَلِمَتْ ـ أَنِّي وأَنَّكَ في الوَغَىٰ ... إذااعْتَكَرَتْأَصْغَىٰإلىالسِّلْمِمَذْحَجُ[(٣)]
وقَدْ لَفَّ شَخْصَيْنَا سُرَادِقُ هَبْوَةٍ ... فخَانَكَ صَبْرٌ يَوْمَ ذَلِكَ مُخْدَجُ[(٤)]
فحَاذِرْ هُدَيَّاهَا فإنِّي زَعِيمُهَا ... وأَشْنَعُ ما يُثْنَىٰ الكَلامُ المُلَجْلَجُ[(٥)]

* * *

٢ ـ نَافِع بن أَصْغَر . . صاحب قصيدة «نَأَتْ دَارُ سُعْدَىٰ» :

هو الشاعر اليمني الجاهلي نافع بن أصغر المُعاويّ الحارثي، من بني معاوية بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب المذحجيين، بمنطقة الأفراط بين الجوف ونجران. وهو من جيل الرئيس الديّان بن قَطَن الحارثي، ويدل ذلك على أنه عاصر الديان وربما أيضاً عبد المدان ابن الديان في الفترة (٥٠٠ ـ ٥٥٠م) بالنصف الأول من القرن السادس الميلادي.

قال عنه أبو علي الهجري: «كان نافع بن أصغر يُهاجي شعراء قَيْس»[(٦)]، أي (قَيْس عيلان) وهم قبائل عامر بن صعصعة بن معوية بن بَكْر بن هوازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان، وبنو سُليم بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهُم من قبائل نجد وما بين الطائف ونجد. وفيهم قال نافع بن أصغر الحارثي:

أَتُوْعِدُنِي بِالْقَتْلِ أَفْنَاءُ عَامِرٍ ... ومَا ضَرِطُ البَلْقَاءِ إلَّا وَعِيْدُهَا[(٧)]

---

(١) أبيض فضفاض: الدرع المُفاض. النهي: الغدير. النيرج: الريح العاصفة.

(٢) بَزّ امرىء: سلاح وعدة المرء من السيف والدرع والرمح. يَخُبُّ به: يجري به، الخبب: نوع من جري الخيل. العبل: غليظ القوائم من الخيل. المعاقم: عظام في مؤخرة الصّلب. مِهرج: كثير السير.

(٣) وقد عَلِمَتْ: أي وقد عَلمت مذحج، اعتكرت: اشتدت واختلطت. وقوله (أصغى إلى السلم. .) لعل الأصوب (أصغت إلى السلم مَذْحِج).

(٤) السرادق: ما أحاط بالشيء. الهَبوة: الغَبَرَة. أي غبار المبارزة. ومخدج: ناقص. قال الفيروزآبادي «أخدجت الناقة: جاءت بولد ناقص، وصَلاتُهُ خِدَاجُ: أي نُقْصان. ورجُلُ مُخْدَجُ اليد: ناقِصُها» [ص ١٩١/ ١ ـ القاموس المحيط].

(٥) هُدَيَّاها: مثلها. قال الفيروزآبادي (والتَّلَجْلُجُ: التردُدُ في الكلام) [ص ٢١٢/ ١ ـ القاموس المحيط].

(٦) كتاب التعليقات والنوادر ـ أبو علي الهجري ـ ص ٨٨٦.

(٧) البلقاء: اسم منطقة من الشام بالأردن. والبُلق: الخيول. وجاء في الهامش (ضَرِطُ البَلْقاء): مثل=

فَمَا حَوَّلُونِي مِنْ مَحَلٍّ أَحِلُّهُ ... وَمَا مَنَعُونِي حَاجَةً لِي أُرِيدُهَا

وضَرِطُ البلقاء: مَثَلٌ يُضرب للباطل الذي لا يكون، وللذي يَعِدُ الباطل.

ومن جَيّد شعر نافع بن أصغر الحارثي قصيدته الهائية «نَأَتْ دار سُعْدَىٰ» وهي:

نَأَتْ دَارُ سُعْدَىٰ مِنْ نَوَاكَ فَأَصْبَحَتْ ... بِغَيْرِ الثَّقَالِيٰ لا تُدَانِيكَ دَارُهَا[١]

وَهَرَّتْ كِلابٌ مِنْ مَوَالِيكَ لَمْ تَكُنْ ... لِتُؤمَنَ لَوْ هَبَّتْ إلَيْهَا عِقَارُهَا[٢]

فَكُلُّ الَّذِي مَسَّ الْمُحِبِّينَ مَسَّنِيْ ... مِنَ الوَجْدِ لَمَّا مَرَّ يُحْدَي قِطَارُهَا[٣]

مُجِيْزَ نَهَايَا الوادِيَيْنِ[٤] كَأَنَّهَا ... مَوَاقِيرُ نَخْلٍ لَمْ تُخَسَّسْ ثِمَارُهَا[٥]

فَيَا كَبِدَا، يا لَيْعَتَا، يا صَبَابَتَا[٦] ... عَلَى أُمِّ يَحْيىٰ حِيْنَ شَطَّتْ دِيَارُهَا[٧]

فَمَا جِيْدُ عُمْهُوجٍ مِنَ الرِّيْمِ أَقْفَرَتْ ... لَهَا سَقْطَةٌ سَالَتْ (عليها) بِحَارُها[٨]

رَأَتْ آنِساً فَاسْتَنْكَرَتْهُ وعَادِهَا ... مُكَذَّبَةً لَمَّا يُجِدَّ نِقَارُهَا[٩]

بِأَحْسَنَ مِنْ سُعْدَىٰ مَنَاطَ قِلادَةٍ ... وَجِيْداً، ولكِنْ زَانَ سُعْدَىٰ إسارُهَا[١٠]

مُنَعَّمَةٌ تَمْشِي الهُوَيْنَىٰ إِذَا امْتَشَتْ ... وَيَدْخُلُ كَرْهاً حِجْلُهَا وَسِوَارُهَا[١١]

= يُضرب للباطل الذي لا يكون، وللذي يَعِدُ بالباطل. ونظيره: ضَرِطُ البلقاء في الرَّسَنِ (وضَرِطُ البلقاءِ وَخْوَاخٌ نَفِقٌ) ـ الوخواخ: الضعيف. والنَّفِقُ: سريع النَّفَاد ـ.

(١) سُعْدَى: من أسماء النساء، وهو اسم حميريّ تليد وكان اسم (سُعْدَى بنت الملك شمّر يُرْعِش الحميري) وكان شمّر يرعش أسر أحد الملوك حيث كما قال نشوان الحميري في أبيات عن الملك شمّر يُرْعِش:

فَاسْتَوهَبَتْ سُعْدَىٰ أباها ذَنْبَه ... فَعَفا وسَرّحه بحسن سَرَاح

(٢) كلب عَقّار: الذي يعقر الماشية.

(٣) قطارها: قال الفيروزآبادي في القاموس «قَطَر الإبل قَطْراً وأقْطَرَها: قَرّب بعضها إلى بعض على نَسَقٍ. وجاءت الإبلُ قِطَاراً ـ بالكسر ـ أي مَقْطُورَةً» ص ٢/١٢٣ ـ القاموس المحيط ـ.

(٤) النهايا: جمع نِهِيّ وهو غدير الماء.

(٥) مواقير نخل: يُقال: نخلة مُوقِرةٌ حَمْلاً، أي مُحملة بثمارها.

(٦) ياليعتا: يالوعتاه. واللَّيْعة: الحُرقة.

(٧) أم يحيىٰ: هي سُعدَى. وشَطّت: نأتْ وبعدت.

(٨) العمهوج من الريم: الطويل من الغزال. أقفرت: صارت في القَفْر. وجاء آخر البيت في الأصل (سالت بحارها). وهو مختل الوزن.

(٩) رأت آنِساً: أي الريم رأت نفراً أو شيئاً، فاستنكرته، فعدّت: أي جرت. وقد يكون آخر البيت (نِفَارها).

(١٠) إسارها: ثوبها أو خضابها قال الفيروزآبادي في القاموس سَيَّرَ سِيَرةً: المرأةُ خِضابها خَطَّطَتْهُ. والمُسَيَّرُ: ثوبٌ فيه خطوط.

(١١) الهَوْنُ: السكينة والوقار. الحِجل: الخُلخال.

وتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الأقَاحِيِّ مَسَّهُ نَدَى لَيْلَةٍ ظَلَّتْ قَصِيماً نَهَارُها
لَقَدْ كَلَّفَتْنِيْ يَوْمَ أَسْفَلِ ذِي الجُثَا يَمِيْناً وَأَرْدَاهَا عَلَيَّ إقْتِدَارُهَا
لِتَعْلَمَ ما عِنْدِي لهَا مِنْ مَوَدَّةٍ ولا يُنْجِحُ الحَاجَاتِ إلَّا اخْتِبَارُهَا
لَصَاحِبُكِ اللَّذْ مَوْضِعُ السِّرِّ عِنْدَهُ إذَا مَوْضِعُ الحَاجَاتِ بَانَ سِرَارُهَا[١]

* * *

٣ ـ الحارث بن زياد. . شاعر ثالث من بني مُعاوية بن الحارث:

هو الحارث بن زياد بن معاوية بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب، وهو من بني معاوية بن الحارث المذحجيين بمنطقة الأفراط بين الجوف ونجران، فوقعت فتنةٌ قتلت فيها همدان رَوْح بن زُرَارة وابنه خوّار وهما من بني معاوية بن الحارث، فقال الحارث بن زياد المعاويّ الحارثي أبياتاً ذكرها الهمداني في الصفة وهي:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّهُ صَارَ حِزْبُنَا كَقَصْمِ سَلِيْمَ السِّنِّ مَا لَهُ جَابِرُ[٢]
فَنَحْنُ أَغْرَنَا (مَاءنَا) بِأَكُفِّنَا[٣] فَكُلٌّ عَلَى ما يأمُلُ العِزَّ خَاسِرُ
فَمَنْ كَانَ يَرْجُو العِزَّ في قَتْلِ قَومِهِ فَلَمْ يَنْجُ خَوْفَ الذُّلِّ مِمَّا يُحَاذِرُ
يَنَالُ العِدَى مِنْ قَومِهِ ما يُضِيْمُهُ ويَمْشُونَ في مَكْرُوهِهِ وهو حاضِر[٤]

ويعني بالعِدَى قبائل عامر بن صعصعة وسُليم الهوازنية القيسية في نجد، غالباً، وقد اجتمعت همدان ومذحج في مواجهة قبائل عامر بن صعصعة وسُليم بعد تلك الحادثة في أواخر تلك الحقبة من الزمن.

* * *

٤ ـ المُخَرِّم الحارثي. . قائد الحملات إلى نجد:

هو المُخَرِّم بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن الحرث بن كعب المذحجيّ، وهو من القادة الفرسان في أيام الديَّان بن قَطَن وعبد المدان ابن الديان ـ أي في الفترة ما بين عام ٥٠٠ وعام ٥٥٠ م ـ وقد تولّى المخَرِّم قيادة بني الحرث بن كعب ومذحج في حملات ضد قبائل عامر بن صعصعة وبني نُمير

---

(١) اللَّذْ: لهجة في (الذي) أي أن صاحبك هو الذي يحفظ السر.

(٢) القصم: الكسر، يقال: قَصَمْت الشيء إذا كسرته حتى يَبِين، ومنه يُقال: فلان أَقْصَم الثَّنِيَّة إذا كان مُنْكَسِرها من النصف. وقَصِمَت سنّه: انشقّت عَرْضاً.

(٣) جاء في الأصل «فنحن أغْرَنا. . . بأكُفِّنا» حيث سقطت كلمة، ويدل السياق على أنها «ماءنَا» ـ أي (أغْرَنا ماءنا) جعلناه غائراً. وهذا مَثَلٌ.

(٤) صفة جزيرة العرب ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٥٥.

الهوازنية وسُليم في نجد لأنّهم ربما تطاولوا بالغارة والنهب إلى مناطق بأعالي مخاليف الجوف ونجران في أيام رئاسة عبد المدان ابن الديان لمذحج ونجران. فقاد المُخَرِّم فرسان بني الحارث ومذحج في حملات تأديبية إلى نجد فأوقع بقبائل عامر بن صعصعة الهوازنية وسُلَيم القيسية وقعةً كبيرة. وقد أورد المرزباني في معجم الشعراء من شعر المخَرِّم قوله في ذلك:

لَـقَـدْ عَـلِـمَـتْ هَـوازِنُ أنَّ قـومـي غَـدَاةَ الـرَّوْعِ صَـادِقَـةُ الـصَّـبَـاحِ [(١)]

تَـرَكْـنَـا مِـنْ نِـسَـاءِ بـنـي سُـلَـيْـمِ أَيَـامَىٰ تـبـتـغـي عُـقَـبَ الـنِّـكَـاحِ [(٢)]

«وقال المُخَرِّمُ في وقعة أوقعها فرسان بنو الحارث ومذحج بقبيلة نُمير النجدية:

وخَـيْـلٍ قـد لَـبَـسْـتُـهُـمُ بِـخَـيْـلٍ تَـخُـوضُ الـموتَ في يَـوْمٍ عَـصِـيـبِ

مَـلأْنَـا الأرضَ مِـنْ قَـتْـلَـى نُـمَـيْـرٍ بِـرغْـمٍ كـان مِـنَّـا فـي الـقُـلُـوبِ [(٣)]

تَـرَكْـنَـا فِـيْـهُـمُ الـعِـقْـبَـانَ تُـجْـلاً [(٤)] وُقُـوفـاً بـيـن أضْـلاعِ الـجُـنُـوبِ» [(٥)]

ومن أبناء المُخَرِّم: يزيد بن المُخَرِّم الحارثي وهو من أعلام الشعراء والقادة في الجاهلية وشهد موقعة يوم الكُلَاب مع عبد يغوث الحارثي، وسيأتي ذكر يزيد بن المُخَرِّم في مبحث خاص وكذلك عمرو بن المُخَرِّم وهما في أيام عبد المدان ابن الديان ويزيد بن عبد المدان بالنصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

* * *

٥ ـ المُحَجَّل بن حَزْن الحارثي.. خامس الشعراء الخمسة:

هو المُحَجَّل بن حَزْن بن مَؤْلَة بن معاوية بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب المذحجيّ، وهو من جيل الديان بن قَطَن الحارثي وعاصر أيضاً عبد المدان ابن الديان الحارثي.

وأمُّ المُحَجَّل هي نَسِيْبة بنت معاوية بن ربيعة بن ظالم بن الحارث بن

---

(١) صادقة الصباح: صادقة الهجوم ومصابحة العدو كما في قول الديان:

صَـبَـحْـنَـا تَـغْـلِـبـاً والـحـيّ بَـكْـراً بـداهـيـةٍ يـشـيـبُ لـهـا الـولـيـدُ

(٢) عُقَبَ النكاح: أي الأولاد.

(٣) الرغْم: الكُره.

(٤) العِقْبَان: جمع عُقاب. وتُجْلاً: عظيمة البطن.

(٥) معجم الشعراء ـ المرزباني ـ ص ٣٩٢.

مالك بن كعب الحارثي. وكان المُحَجّل من شعراء اليمن الجاهليين في النصف الأول من القرن السادس الميلادي.

ومِنْ شِعره قوله:

لَنَا فَخْمَةٌ زَوْرَاءُ أَحْمَتْ بِلَادَنا[١] مَتَى يَرَهَا الشَّاوِيُّ يَلْجِجْ به وَهَلْ[٢]
وأَرْمَاحُنَا يَنْهَزْنَهُم نَهْزَ قَحْمَةٍ يَقُلْنَ لِمَنْ أَدْرَكْنَ تَعْساً ولا لَعَلْ[٣]

وكان ابنه (يزيد بن المُحَجَّل) من شخصيات بني الحرث بن كعب، وَوَفَد مع يزيد بن عبد المدان في وفد بني الحرث بن كعب إلى النبي ﷺ سنة ١٠هـ (٦٣٠م) حيث كان قد بلغ من الكبر عتياً، وقد ذكرت وفادته كتب السيرة النبوية وتراجم الصحابة[٤].

(١) لنا فخمة: أي كتيبة فخمة وهي العظيمة. وزوراء: مائلة لعِظمها، أي كتيبة عظيمة زوراء.
(٢) الشاوي: صاحب الشاءَ وكثير الشاءَ وكذلك راعي الشاء والمعز. الوَهَلْ: الفزع. قال الفيروزآبادي (وَهِل: فَزِعَ. والوهِلُ: الفَزِعُ».
(٣) قَحْمة: مُسِنَّة. لَعَلّ: كلمة تُقال للعاثر. قال الفيروزآبادي «العل: كلمةُ طَمَعٍ وإشفاق» ص ٤٩/ ٤ ـ القاموس المحيط ـ.
(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٦٤ جـ ٤.

المبحث «٨١»

عَبْدُ المدَان ابن الدَّيَّان

«رئيسُ مَذْحَج وأميرُ نجران»

هو الرئيس والشاعر اليمني الجاهلي عبد المَدَان ابن الدَّيَّان بن قَطَن الحارثي المذحجي الذي تتألق شاعريته في قصيدته اللامية الجاهلية وأولها:

عَفَىٰ مِنْ سُلَيْمَىٰ بطنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ ... فَغَمْرَةُ فَيْفِ الرِّيْح فالـمُتَنَخَّلُ
دِيَارُ الـتـي صَـادَ الـفُـؤَادَ دَلالُـهَـا ... وَاغْرَتْ بِها يَوْمَ النَّوَىٰ حِينَ تَرْحَلُ [١]

وهو والد الرئيس الشاعر يزيد بن عبد المَدَان ابن الدَّيَّان القائل:

إنْ تَـلْـقَ حَـيَّ بـنـي الـدَّيَّـان تَـلْـقَـهُـمْ ... شُـمَّ الأُنُـوفِ إلَـيْـهِـمْ غُـرَّةُ الـيَـمَـن
ما كـانَ فـي النَّـاسِ لـلـدَّيَّان مِنْ شَبَهٍ ... إلَّا رُعَـيْـنُ وإلَّا آل ذي يَـزَنِ [٢]

تبيين رئاسة آل الدَّيَّان وعبد المَدَان ابن الدَّيَّان:

وكان الدَّيَّان ثم عبد المَدَان ابن الدَّيَّان رئيس قبائل مذحج وملك مخلاف نجران في إطار دولة اليمن الحميرية، قال ابن خلدون: «وكان من بني الحرث بن كعب هؤلاء المذحجيين بنو زياد ـ والدَّيَّان ـ واسمه يزيد بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك ـ بن ربيعة ـ بن كعب بن الحارث، وهم بيت مَذْحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في بيت عبد المَدَان ابن الدَّيَّان وانتهت قُبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المَدَان»[٣]. فقول ابن خلدون (هم بيت مذحج) أي بيت رئاسة قبائل مذحج. قال الشاعر:

والـبـيـتُ بـيـت بـنـي الـدَّيَّـان نَـعْـرُفُـه ... في آل مَذْحَج مثل الجوهر الغالي [٤]

فقد كان بيت الدَّيَّان ثالث ثلاثة بيوت رئاسة وقيالة كبيرة في اليمن وهم: آل ذي رُعَيْن أقيال وملوك ظفار وسَرْو حِمْيَر وهم ملوك النصف الغربي من اليمن الذي

(١) الغول: اسم موضع. ويذبل: اسم جبل. وغمرة فَيْف الرِّيح: منطقة بين تهامة ونجران، واسم موضع في نجد.
(٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ١٢/٢٦.
(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٣٤.
(٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ـ ص ٣٧٠.

منه ألوية ومناطق إب ورداع وتعز ووصاب وتهامة ولحج وعدن ويافع والضالع، وآل ذي يزن أقيال وملوك النصف الشرقي من اليمن الذي منه ألوية ومخاليف أبين وشبوة وحضرموت والمهرة إلى مفاوز عمان، وآل الدَّيَّان بيت رئاسة قبائل ومناطق مذحج التي تمتد من سَرْو مذحج ـ أبين والبيضاء ـ إلى مأرب والجوف ومخلاف نجران بمدلوله الواسع القديم، قال ابن المجاور: «نجران إقليم طويلٌ عريضٌ من اليمن. ومدينة الأصل نجران. وسرير مُلْك نجران حصن مانع بين نجران والجبال. وكان ولاة نجران بنو عبد المَدَان ابن الدَّيَّان»(١). ومن المفيد هنا تبيين التالي:

كان مخلاف نجران مخلافاً كبيراً، وقد نقل ابن خلدون عن البيهقي «أن مسافة نجران عشرون مرحلة، وفيها مدينتان: نجران وجُرش، متقاربتان في القدر.. وبها كعبة نجران وكانت طائفة من العرب تحجّ إليها وتنحرُ عندها وتُسَمّى الدّير»(٢) فقوله: (مسافة نجران عشرون مرحلة) أي مسافة عشرين يوماً للرّاجل، حيث كان مخلاف نجران يمتد إلى تخوم اليمامة في الشمال الشرقي وإلى تخوم الطائف وكان يشمل سراة أعالي اليمن ومنها سَرَاة عسير وبيشة حيث مدينة (جُرش) التي ذكر البيهقي أنها من مدن نجران، وهي في أعالي السراة.

وكانت مدينة نجران عاصمة ومركز مخلاف نجران حيث قال ابن المجاور: (ومدينة الأصل نجران). وقال: (وسرير مُلك نجران حصن مانع ما بين نجران والجبال) والسرير هو كرسي وقصر الحكم وكان حصناً وقصراً ما بين مدينة نجران والجبال، وهو غالباً المذكور في تحقيق عن آثار نجران بأنه «عندما تتجه ببصرك إلى الغرب تجد أمامك جبلاً مخروطياً ذا ارتفاع شاهق يشق وادي نجران يُسمى جبل رعوم وفي قمته بناء أبيض هو بقايا قصر من القصور القديمة»(٣). فذلك هو موقع حصن وقصر وسرير آل الديان ملوك نجران، وقد وصفهم ابن خلدون بأنهم (ملوك نجران) ووصفهم ابن المجاور بأنهم (ولاة نجران) وذلك لأنهم إنما كانوا ملوكاً أقيالاً في إطار دولة اليمن الحميرية كما كان آل ذي رعين وآل ذي يزن في عصر الملوك التبابعة.

وقد سلف تبيين أن (الديان بن قَطَن الحارثي) كان ملكاً قَيْلاً والياً لمخلاف نجران منذ عهد أسعد تُبّع بن حسان الحميري ملك اليمن في الفترة (٤٥٧ ـ ٤٧٧م) إلى عهد الملك يوسف أسار ذي نواس بن أسعد تُبّع الذي حكم اليمن عام ٥١٥ ـ ٥٢٥م والملك سُمَيْفَع ملك اليمن (٥٢٥ ـ ٥٣٣م) حيث دامت قيالة الديان زهاء سبعين

---

(١) المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور الدمشقي ـ ص ٤٠.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٦٧٠.
(٣) جريدة الحياة ـ لندن ـ يوليو ١٩٩٢ م.

سنة (حوالي ٤٦٠ ـ ٥٣٠م) وربما اشترك عبد المَدَان بن الدَّيَّان في القيالة والولاية مع أبيه منذ عهد يوسف أسار ذي نواس. وقد جاء في الإكليل «أن خال الملك يوسف ذي نواس بن حسان بن أسعد هو عبد المَدَان بن الدَّيَّان بن قَطَن الحارثي»[١]. واسم أم يوسف أسار ذي نواس: سلمى، ومن بنات الدَّيَّان أيضاً مارية وحَذامِي شاعرتان، وكان للدّيان عدة أبناء والمشهور منهم عبد المَدَان بن الدّيَّان وأنَسُ بن الدّيَّان، اشتركا في الرئاسة والولاية مع أبيهما منذ عهد يوسف أسار والسُمَيْفَع ـ غالباً ـ وكان آل الديان يصاهرون الملوك والأقيال الحميريين الذين في أحدهم قال عمرو بن علقمة العقدي:

يَسْمُو بِصِيدٍ مِن مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ ... بِيضِ الوجوه، مُنَعْمِين، صِبَاحِ[٢]

وكان بيت الدَّيَّان وبنو عبد المَدَان بن الدَّيَّان مشهورين بالوسامة وصباحة الوجوه وشموخ الأجسام والقامة والفصاحة والبيان، قال حسان بن ثابت الأنصاري:

وقد كُنّا نقولُ إذا رأيْنَا ... لِذي جِسْمٍ يُعَدُّ وذي بيانِ

كأنَّكَ أيُّها المُعْطَى بياناً ... وجِسْماً مِنْ بني عَبْدِ المَدَانِ

* * *

لقد انعقدت رئاسة مذحج وقيالة مخلاف نجران لعبد المَدَان بن الدَّيَّان ـ عند وفاة الدّيَّان ـ في حوالي أواخر عهد الملك سُمَيْفَع أشوع الحميري الذي حكم اليمن في الفترة (٥٢٥ ـ ٥٣٣ ميلادية)[٣] ـ أي في حوالي عام ٥٣٠ م ـ ودامت قيالته وملوكيته زهاء خمس وخمسين سنة ـ وذلك إلى عهد الملك سيف بن ذي يزن، فقد عاصر عبد المَدَان بن الدّيّان الملك معدي كرب بن سُمَيْفَع ذي يزن ملك شرق اليمن الذي حكم النصف الشرقي من اليمن في الفترة ٥٣٣ ـ ٥٧١ ميلادية وعاصر أوائل عهد الملك سيف بن ذي يزن وكان من أقيال اليمن في أوائل عهده ـ عام ٥٧٢ ـ ٥٧٥ م ـ بقرينة وفادة الشاعر أُمية بن أبي الصَّلت الثقفي إلى سيف بن ذي يزن بصنعاء عام ٥٧٢م وكذلك وفادته إلى عبد المَدَان بن الدَّيَّان في تلك الفترة كما سيأتي، بحيث يمكن تقدير رئاسة عبد المَدَان بالفترة من حوالي ٥٣٠ ـ ٥٨٥م. وعاصر عبُد المَدَان أبا قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة بالعراق وكانت قبيلة تميم تسكن في مناطق نجد بين إقليم الحيرة بالعراق وإقليم اليمامة المتاخم لأطراف

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦٣/ ٢.
(٢) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١١٦/ ٢.
(٣) دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد حسين الفرح ـ ص ١٠٥٥ ـ ١٠٧٠.

مخلاف نجران باليمن، فقال لَقِيط بن زُرارة التميمي يذكر الملكين:

شَرِبْتُ الخَمْرَ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي   أَبــو قــابــوسَ أَوْ عَــبْــدُ الــمَــدانِ

أي النعمان بن المنذر وعبد المَدَان بن الدَّيَّان.

* * *

تشييد كعبة نجران أيام عبد المَدَان بن الدَّيَّان:

قال ابن خلدون في حديثه عن نجران: «. . وبها كعبة نجران، بُنِيَتْ على هيئة غُمدان كعبة اليمن، وكانت طائفة من العرب تحجُّ إليها وتنحر عندها، وتُسمّى الدير، وبها كان قس بن ساعدة يتعبد»[1].

وجاء في تحقيق عن آثار نجران أنه: «تقع آثار كعبة نجران على قمة جبل تصلال على بعد ٣٥ كيلومتر من مدينة نجران، وقد ذكرت كتب التاريخ أنها بُنِيت على أيدي بني عبد المَدَان بن الدَّيَّان الحارثي، وشُيّدت على طراز الكعبة. ويُقال إن العرب في الجاهلية حَجّوا إليها مدة أربعين سنة»[1].

ويُستفاد من كلام ابن خلدون أنه كان في فِناء قصر غمدان بصنعاء كعبة حجّ الناس إليها في فترة من الزمن الغابر، فقد قال ابن خلدون في حديثه عن صنعاء ما يلي: «صنعاء قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأول مدينة أُختُطّت باليمن. . وقصر غُمدان أحد البيوت السبعة، بناه الضحاك باسم الزُهرة وحَجّت إليه الأُمم»[2]. أيّ حجّوا إلى الكعبة التي كانت في فِناء قصر غُمدان بصنعاء.

وعلى هيئة وطراز كعبة غُمدان قام عبد المَدَان بن الدَّيَّان (وبنوه الذين كانوا أقيالاً معه) بتشييد كعبة نجران ـ ربما في الفترة التي خضعت فيها صنعاء وبعض مناطق اليمن لحكم أبرهة الأكسومي، بينما كانت مناطق سَرْو حِمْيَر وشرق اليمن مستقلة تحت حكم الملك معدي كرب بن سُمَيْفَع ذي يزن ومناطق مخلاف نجران وأعالي اليمن تحت حكم عبد المَدَان بن الدَّيَّان. آنذاك قام عبد المَدَان بتشييد كعبة نجران فكانت طائفة من العرب يحجون إليها وينحرون عندها ويزورونها ويتعبدون فيها زهاء أربعين سنة إلى أيام يزيد بن عبد المَدَان حيث قال الشاعر الجاهلي أعشى قيس:

وكَــعْــبَــةُ نَــجْــرَانَ حَــتْــمٌ عَــلَــيْــكِ   حَــتَّــى تُــنَــاخِــي بِــأَبْــوَابِــهَــا
نَــزُورُ يَــزِيــدَ وعَــبْــدَ الــمَــسِــيــحِ   وقَــيْــسـاً هُــمُ خَــيْــرُ أَرْبَــابِــهَــا[3]

---

(١) الكامل ـ أبو العباس المُبرِّد ـ ص ١/١٥٩.

(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٧٠ و٦٥٣.

(٣) ديوان الأعشى ـ ص ٢٦.

أي الرئيس يزيد بن عبد المَدَان والعاقب عبد المسيح الحارثي والقائد قيس بن الحُصَين الحارثي، وما تزال آثار كعبة نجران باقية حتى اليوم في موقعها بجبل تصلال الذي إلى الغرب منه يقع جبل رعوم حيث كان حُصْن وقصر عبد المَدَان وآل عبد المَدَان شامخاً في ذلك الزمان.

* * *

حملات عبد المَدَان إلى مناطق نَجْد:

وفي فترة من عهد رئاسة عبد المَدَان لمخلاف نجران وأعالي اليمن قام بقيادة وتوجيه حملات حربية إلى مناطق من نَجْد ضد قبائل عامر بن صعصعة وسُليم وكلاب الهوازنية والقيسية، وقد جاء ذكر ذلك في الأشعار دون ذكر الأسباب، ونرى أن خلفية وسبب ذلك هو أن بعض تلك القبائل النجدية كانوا يُغِيرون للنهب إلى مناطق من مخلاف نجران وأطراف الجوف بأعالي اليمن، فقد جاء في الإكليل أن قبائل عامر وسُليم القيسيين أغاروا إلى منطقة من صعدة فتحصنت منهم فانبثوا إلى منطقة وادي مذاب بالجوف ونهبوا إبل ومواشي بعض قبيلة سُفيان فلحق بهم فرسان سفيان وهمدان (فهرب القيسيون، وقتلوا فيهم، واسترجعوا أخيذتهم) - أي ما كانوا نهبوه - وفي ذلك قال سيف بن معاوية السفياني:

وَلّت فوارسُ عامرٍ وسُلَيْمُها رُعْباً وما غَنَمُوا جَنَاحَ ذُبابِ[1]

وفي غارة أخرى إلى منطقة من مخلاف نجران قَتَل بنو كلاب القيسيون ستة رجال من بني الحرث بن كعب ونهبوا إبلهم فقالت امرأة من بني الحرث بن كعب أبياتاً ذكرها ابن طيفور قائلاً: «قالت امرأةٌ من بني الحرث بن كعب في نفر من قومها قتلتهم الضِّبَاب من بني كلاب:

إنَّ الضِّبَابَ أَبَادُوا قَتْلَ (إخوتِنَا) - سَادَاتِ نَجْرَانَ - مِنْ حَضَرٍ وَمِنْ بَادِي
عَمْرُو وعَمْرُو وعَبْدُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا وابْنَا حَرَام، وَوَفَّى الحارثُ السَّادِي»[2]

وقولها: (سادات نجران) أي (يا سادات نجران). وكذلك قُتِل في غارة أخرى مُرّةَ بن عاهان الحارثي أبا حُصَين وصَلاءَة بن العنبر قتله ابن سَلَمة من قيس عيلان، فقالت مارية بنت الديان تحرّضُ قومها أبياتاً أولها:

قُلْ لِلفَوَارِسِ لا تَثِلْ أعْيَانُهُمْ مِنْ شَرِّ ما حَذِرُوا ومَا لَمْ يُحْذَرِ

---

(١) الإكليل - الحسن الهمداني - ص ١٨١/ ١٠.

(٢) جاء في عجز البيت الأول (أخوتهم) والأصوب (أخوتنا) أو (أخوتكم..). وقولها في آخر البيت الثاني (..الحارث السادي) أي السادس.

التَّارِكِينَ أبا الحُصَيْنِ وَرَاءهُمْ ... والمُسْلِمِينَ صَلَاءَةَ ابنَ العَنْبَرِ

فغارات النهب تلك والذين قُتِلوا في غارات النهب تلك، هو السبب والباعث للحملات التي قام بقيادتها وتوجيهها عبد المَدَان بن الدَّيَّان، ويتبين الترابط في أن الذين قاموا بغارات النهب والقتل تلك كانوا من قبائل (عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان. وقبيلة سُليم بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان. وباهلة بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وبنو كلاب وهم قبائل كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة...). وقد قام عبد المدان بقيادة وتوجيه الحملات إلى تلك القبائل ذاتها في مناطق نجد، فقد استنفر عبد المدان فرسان بني الحرث بن كعب وغيرهم من قبائل مذحج بمخاليف نجران والسَرَاة والجوف وسَرْو مَذْحج لتأديب وردع تلك القبائل النجدية، فأثخن فيهم، وكان من قادة الحملات إلى نجد الفارس الشاعر مُخَرِّم بن حَزْن الحارثي وقال في ذلك:

لقد عَلِمَتْ هوازنُ أنَّ قَوْمِي ... غَدَاةَ الرَّوْعِ صادِقَةُ الصَّبَاحِ
تركْنَا مِن نِساءِ بني سُلَيْم ... أيَامَىٰ تَبْتَغِي عُقَبَ النِّكَاحِ

وقاد الرئيس عبد المَدَان بن الدَّيَّان حملة كبيرة، وتجمعت قبائل كلاب وعامر بن صعصعة القيسية النجدية برئاسة وبر الكلابي وطُفَيْل بن مالك العامري والد عامر بن الطفيل فارس قيس عيلان، فهزمهم عبد المَدَان بن الدَّيَّان وجيشه، وقَتَل وبر الكلابي بينما هرب ونَجَا طُفَيْل بن مالك، وأثخن عبد المدان بقبائل كلاب وعامر بن صعصعة في نجد، وعاد إلى نجران بالنصر والظفر، فانتهت غارات النهب النجديّة وهدأت البلاد، وقد ذكر عبد المدان تلك الحملة في قصيدته اللامية والتي إليها ننتقل.

* * *

قصيدة عبد المَدَان بن الدَّيَّان اللاميّة:

عَفَى مِنْ سُلَيْمَى بَطْنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ ... فَغَمْرَةَ فَيْفِ الرِّيحِ فالمُتَنَخَّلُ
دِيَارُ التي صَادَ الفُؤَادَ دَلالُهَا ... وأَغْرَتْ بِهَا يَومَ النَّوَى حِينَ تَرْحَلُ
فَإِنْ تَكُ صَدَّتْ عَنْ هَوَايَ وَرَاعَهَا ... نَوَازِلُ أَحْدَاثٍ وشَيْبٌ مُجَلِّلُ
فَيَا رُبَّ خَيْلٍ قَدْ هَدَيْتُ بِشِطْبَةٍ[1] ... يُعَارِضُهَا عَبْلُ الجُزَارَةِ هَيْكَلُ[2]

---

(١) هَذيتُ: قُدْتُ. بِشِطْبَةٍ: أي بخيل شِطْبَة، والشِطْبة من الخيل هي الطويلة، السّبطة اللحم. أي كان يقود خيول الفرسان بخيلة الشِطبة.

(٢) يُعارضها: يسير بإزائها. عَبْلُ: أي عَبْلٌ من الخيل وهو الممتلىء اللحم. هيكلٌ: مُرتفعٌ، الهيكل: المرتفع.

سَبُوحُ إذَا جَالَ الحِزَامُ[1] كأنَّهُ إذا انجَابَ عَنْهُ النَّقْعُ في الخَيْلِ أَجْدَلُ[2]

يُوَاغِلُ جُرْداً كالقَنَا حَارِثيَّةً[3] عَلَيْهَا قَنَانُ والحِمَاسُ وزَعْبَلُ[4]

مَعَاقِلُهُمْ في كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ صُدُوْرُ العَوَالِي والصَّفِيْح المُصَقَّلُ[5]

وَزَعْفُ مِنَ المَاذِيِّ بِيْضُ كأنَّها[6] نِهَاءُ مَرَتْهَا بِالعَشِيَّاتِ شَمْأَلُ[7]

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَلاحقتْ[8] فَوَارِسُ يَهْدِيْهَا عُمَيْرُ ومَعْقِلُ[9]

فَجَالَتْ على الحَيِّ الكِلَابِيِّ جَوْلَةً[10] فَبَاكَرَهُمْ وِرْدٌ مِنَ الموتِ مُعْجِلُ

---

(١) سَبُوحُ: وصفٌ لفرسه الشِّطْبة، والسَّبُوح الذي يمدّ رجليه في جريِه كأنّه يسبحُ بهما. وقوله (إذا جال) جاء في القاموس (جال: في الحرب جَوْلةً، وفي الطوافِ جَوْلاً.. والأجْوَليُّ: الفرسُ السريع الجَوَّالُ) [ص ٣٦٣/ ٤] وقوله (.. الحِزام) جاء في القاموس (حَزَمَه: شدّهُ، والفَرسَ شَدّ حِزَامَه.. والحيزُوم: الغليظ من الأرض والمرتفع) ص ٩٧/ ٤ ـ القاموس المحيط.

(٢) النَّقْعُ: الغبار، واسم موضع بجَنَبَات الطائف [ص ٩٣/ ٣ ـ القاموس المحيط] والأجْدَلُ: الصَقْرُ. أي كأنّه صقرٌ في الخيول التي يقودها.

(٣) يواغل: يُداخِلُ. جُرْداً: خيلاً جُرد وهي قصيرة الشعر. والحارثية: أي من خيل بني الحارث.

(٤) قَنَان: بنو قَنَان بن سَلَمة بن وهب بن عبد اللّه بن ربيعة بن الحرث بن كعب، وهم رهط الحصين بن يزيد بن شدَّاد بن قَنَان الحارثي.

ـ والحِمَاس: بنو الحماس بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب، ومنطقتهم في سَرْو مذحج بالبيضاء وأبين، فساروا مع عبد المدان في الحملة إلى نجد.

ـ وزعبل: بطن من قبائل مذحج وهم بنو زعبل بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج. ومعنى زعبل الذي يعطي عَطِيَّة سَنِيَّة.

(٥) يوم كريهة: يوم حرب. العوالي: الرماح. الصفيح المُصَقَّل: أي السيوف المصقولة.

(٦) الزَّعف: الدّروع الليّنة. من الماذي: من الحديد.

(٧) النِهَاءُ: جمع نِهِي، والنِهي: الغدير صافي الماء. مَرَتْهَا: حَرَّكَتْها وجَلَتْها. ومَرَت الريحُ السَّحابَ: أنزلت منه المطر. والشَمْأل: الريح.

(٨) ذرَّا: قال أبو علي القالي في كتاب الأمالي «يُقال: ذَرَت الريحُ الترابَ تَذْرُوه وتَذْرِيه. قال الكسائي: ذَرَوْتُ وذَرَّيْت بمعنى واحد، أي نَقَّيْتُها في الريح. قال أبو نصر: فلان يُذَرِّي فلاناً، أي يرفع من شأنه. وذِرْوةُ كل شيء أعلاه. ويقال: في ذَرَى فلان: أي في دِفْئِه وظِلِّه، ويقال: اسْتَذْرِ بهذه الشجرة: أي كُن في دِفْئِها» [ص ٢٠١/ ١ ـ الأمالي] ـ ومعنى (ما ذَرّ قرن الشمس) ما أشرق وأدفأ الشمس. قال شاعر حميري «تُحَيّا ـ أَبَيْتَ اللعنَ ـ ما ذَرّ شارقُ».

(٩) يهديها: يقودها. عُمير: بنو عمير من مذحج، ومَعْقِل: بنو مَعْقِل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب. وهم رهط عبد يغوث واللجلاج الحارثي.

(١٠) الحيّ الكِلابيّ: قبيلة كِلاب، وهم ـ كما جاء في كتاب أيام العرب ـ قبيلة «كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بَكْر بن هوازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن نزار بن معدّ بن عدنان. ومن بطونهم: كعب بن كِلاب، ورُؤاس بن كلاب، ونُفَاثة، وجعفر بن كلاب، والضِّباب..» [ص ٤١٩] ـ والضِّباب من بني الهنباب بن كلاب =

فَغَادَرْنَ وَبْراً تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ(١) وَنَجَّى طُفَيْلاً في العَجَاجَةِ قُرْزُلُ(٢)
فَلَمْ يَنْجُ إلّا فَارِسٌ مِنْ رِجَالِهِمْ يُخَفِّفُ رَكْضاً خَشْيَةَ الموتِ أَعْزَلُ(٣)

وقد أدَّت حملة عبد المدان تلك إلى انتهاء قبائل كلاب وقيس عيلان عن التطاول بغارات النهب إلى أطراف مخاليف نجران وأعالي اليمن لفترة طويلة امتدت إلى عهد سيف بن ذي يزن وإلى أيام يزيد بن عبد المدان.

* * *

وفادة أُميَّة بن أبي الصَّلْت إلى عبد المدان:

وقد وَفَدَ إلى عبد المَدَان بن الدَّيَّان أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت الذي وَفَد إلى الملك سيف بن ذي يزن في قصر غُمدان بصنعاء ومَدَحه بقصيدته التي قال فيها:

فاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً في رَأسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلَالَا

وكان ذلك عام ٥٧٢م ثُم وَفَدَ أُميَّة بن أبي الصَّلت ـ بعد فترة ـ إلى كبار أقيال اليمن فأكرموه بالعطاء وكان أكرمهم عبد المدان، وقد جاء خبر وفادته في كتاب الأمالي بأنه: أتَىَ أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت نَجْرَانَ فَدَخَل على عبد المَدَان بن الدَّيَّان، فإذا به على سريره ـ أي كرسي حكمه ـ وكأنَّ وَجهَه قَمَرٌ، وبَنُوه حولَه كأنَّهم الكواكب،

= الذين سلف ذكر قيامهم بغارة نهب قتلوا فيها ستة من بني الحارث بأطراف نجران، فكان ذلك من أسباب حملة عبد المدان إلى مناطقهم في نجد حيث جالت عليهم وعلى أغلب بني كلاب فرسان وخيول بني الحارث ومذحج اليمانية فأوردتهم الموت المُعجل.

(١) وبْر: هو وَبْر بن الأضبط الكلابي، قائد وكبير قبيلة كلاب القيسية. وقد غادرته خيول مذحج قتيلاً تَحْجِلُ الطيرُ حوله، يُقال: حَجَل يَحْجُل حجلاً إذا مشى في القيد، فشَبَّه الطَّير الجوارح في امتلاء بطونها بالمُقيّد، أو في تَعثُّرها بجُثة القتيل فهي تَحْجِلُ ـ كالمقيّد ـ حول جثمان وبر الكلابي.

(٢) العجاجة: الغبار، أي غُبار المعركة. وقُرْزُل: اسم فرس الطفيل بن مالك والد عامر بن الطفيل، فنجا وهرب الطفيل على متن فرسه قُرزُل، وكان فرساً مشهوراً، ولذلك كان يُقال (الطفيل فارس قُرْزُل). ومما يدل على زمنه أن ابنه عامر بن الطفيل صار فيما بعد رئيس قبائل عامر بن صعصعة وفارس قبائل قيس عيلان جميعها، ووقع عامر بن الطفيل أسيراً في يد القائد الشاعر زيد الخيل بن مهلهل الطائي فجزّ شعر رأسه وأطلق سراحه، وقد سلف تفصيل ذلك في المبحث الخاص بزيد الخيل.. ثم بعد ذلك بعشرات السنين طعن مُسْهِر بن يزيد الحارثي عامراً بن الطفيل في عينه يوم فَيْف الريح وذلك في أوائل البعثة النبوية كما سلف في المبحث الخاص بالشاعر مُسْهِر بن يزيد الحارثي.

(٣) قوله (فلم ينجُ إلا فارسٌ من رجالهم) أي إلا من كان فارساً فتمكن من الهروب والنجاة على فرسه. وقوله (يُخَفِّفُ ركضاً) جاء في القاموس المحيط «خفّ القوم خَفًّا: ارتحلوا مُسرعين». [ص ١٤٠/ ٣].

فَدَعَا عبدُ المدان بالطعام، فأُتِيَ بالفَالُوذَج ـ الملْبُوك بالبُرّ والعسل ـ فأكل أُمَيَّة طعاماً عجيباً، وأكرمه عبدُ المدان، ثم انصرف أميّة بن أبي الصَّلْت وقال:

وَلَقَدْ رأَيْتُ القَائِلِينَ وَفِعْلَهُم ... فَرَأَيْتُ أكْرَمَهُم بَنِي الدَّيَّان[1]

وَرَأيتُ مِنْ عَبْدِ المَدَانِ خَلَائِقاً ... فَضَلَ الأنَامَ بِهِنَّ عَبْدُ مَدَان

البُرُّ يُلْبَكُ بالشُّهاد طعامُهُ ... لا ما يُعَلِّلُنا بَنُو جُدْعان

فبلغ ذلك عبدَ اللّه بن جُدعان، فَوَجَّه إلى اليمن من جاءه بمن يَعْمَل الفَالُوذَج بالعَسَل، فكان أَوَّلَ من أدخله مكة[2].

وكان بنو عبد المَدَان يشاركون ويساعدون أباهم في الرئاسة والحكم عندما وَفَدَ إليه أُميَّة بن أبي الصَّلْت حيث دخل إليه وهو جالس في سرير حكمه بقصره وحصنه الذي قال عنه ابن المجاور «وسرير ملك نجران حُصْن مانع ما بين مدينة نجران والجبال» ولمّا دخل أميّة بن أبي الصّلْت إلى عبد المَدَان وهو على سرير حُكمه كان بَنُوه حوله كأنّهم الكواكب، وكان منهم يزيد بن عبد المَدَان.

وفيما بعد عندما توفي عبد المَدَان صارت رئاسة مذحج ونجران في بني عبد المَدَان وانعقدت الزعامة والقيالة ليزيد بن عبد المَدَان منذ ما قبل الهجرة النبوية بنحو ٣٥ سنة ـ أي حوالي عام ٥٨٥ م ـ فكان هو الرئيس إلى حوالي عام ٦٣٠م وكان زعيماً فارساً شاعراً من أبرز رؤساء وشخصيات اليمن في الجاهلية كما سيأتي في المباحث التالية بعد كوكبة من شعراء عهد وجيل عبد المَدَان بن الدَّيَّان بتوفيق وعون اللّه.

---

(١) قوله (. . رأيتُ القائلين) أي الأقيال، واحدُهُم (قَيْل) والجمع: أقوال، ومقاول. وقد جمعهم ابن أبي الصلْت بلفظ (القائلين).

(٢) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/٣٨.

المباحث «٨٢ ـ ٩١»

مارية بنت الدَّيَّان الحارثية

«عاشرة عشر شاعرات وشعراء من جيل عبد المَدَان»

هي الشاعرة اليمنية الجاهلية مارية بنت الدَّيَّان أخت الرئيس عبد المَدَان بن الدَّيَّان، وهي عاشرة عشر شاعرات وشعراء يجمعهم أنهم من جيل عبد المَدَان. والشاعرات هُنّ: مارية بنت الدَّيَّان، نائحة مُرّة بن عاهان، ابنة مُرّة بن عاهان، أم ناشب الحارثية، وامرأتان من بني الحرث بن كعب اسم إحداهما سُمَيَّة. والشعراء أربعة: النابغة الحارثي، ومعاوية بن قيس الهمداني، وابن جبل العِذْري الهمداني، ومُزَلّج بن المُخَرَّم. وكانوا في جيل وأيام عبد المَدَان بن الدَّيَّان في الفترة ما بين عام ٥٣٠ و٥٨٠م (٩٠ ـ ٤٠ قبل الهجرة) تقريباً، ولذلك نذكرهم معاً، وهم:

١ ـ مارية بنت الدَّيَّان . . سَمِيَّة مارية ذات القُرطَيْن:

هي (مارية بنت الدَّيَّان بن قَطَنْ الحارثي المذحجيّ) وهذا الاسم (مارية) هو أيضاً اسم أميرة غسانية يمانية حكم ابنها الشام في ذات تلك الفترة وهو الملك الحارث بن جَبَلة أبي شمّر بن الحارث الجَفْني الغساني. قال الحسن الهمداني: «الحارث بن أبي شمّر الأكبر وهو الأعرج، وأُمّه مارية ذات القُرطين»[١] وقال ابن خلدون: «مِنْ ملوك غسان بالشام الحارث الأعرج ابن أبي شِمّر، وأُمّه مارية ذات القُرطين، من بني جَفْنة، بنت الهانىء، المذكورة في شعر حسان»[٢] وقد حكم الحارث هذا وهو الحارث بن جَبَلَة الغساني بالشام في الفترة (٥٢٩ ـ ٥٦٩م) وكان هو وسائر غسان يؤمنون بالديانة المسيحية واسم أمه (مارية) هو اسم مريم والدة المسيح عليه السلام، وقد حكم بعد الحارث أولاده وأحفاده بالشام، وكان حسان بن ثابت الأنصاري يَفدُ إليهم قبل الإسلام، وقال حسان فيهم شعراً ذكر فيه مارية ذات القرطين وهو قوله:

أَبْنَاءُ جَفْنَةَ حول قبر أبيهُمُ قبر ابن مارية الكريم المُفْضَلِ
بِيضُ الوجوه، كريمةٌ أحسابهم شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأول

(١) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢١٩.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد القرح ـ ص ٢٠٠.

وكذلك كان آل الدّيّان وكما قال يزيد بن عبد المَدَان «شُمُّ الأنوف إليهم غُرة اليمن» وكانت الديانة المسيحية شائعة في بني الحرث بن كعب ونجران، وكانت كعبة نجران تُسمى (الدير) وكان اسم بنت الدَّيَّان (مارية).

وكانت مارية بنت الدَّيَّان شاعرة، فقالت هي وخمس شاعرات من بني الحرث بن كعب أشعاراً بسبب قيام بعض قبائل قيس عيلان النَجْديَّة بغارات للنهب إلى مناطق من مخلاف نجران حيث قتلوا مُرّة بن عاهان الحارثي وأخذوا صَلَاءَة بن العنبر الحارثي أسيراً، وكان الذي أخذه أسيراً مُنتَشِر بن وهب بن سَلَمة، من قيس عيلان، فامتنع صَلَاءَة بن العنبر من دفع فديّة نفسه، فقتله ابن وهب بن سَلَمة. فقالت مارية بنت الدَّيَّان، وكذلك ابنة مرة بن عاهان، ونائحة مُرّة بن عاهان، وامرأتان من بني الحرث بن كعب أشعاراً في رثاء القتلى وتحريض بني الحرث بن كعب، فأثارت أشعارهن حماس الرئيس عبد المَدَان بن الدَّيَّان وفرسان بني الحرث بن كعب ومذحج بنجران والجوف، فقاموا بحملات تأديبية عارمة ضد قبائل قيس بن عيلان في نجد، وكان شعر مارية بنت الدَّيَّان في تحريض قومها هو الذي أدى إلى تلك الحملات حيث قالت مارية بنت الدَّيَّان[1]:

قُلْ لِلْفَوَارِسِ لا تَـئِلْ أَعْيَانُـهُـمْ ... مِنْ شَرِّ ما حَذِرُوا ومَا لَمْ يُحْذَرِ[2]

التَّارِكِيْنَ أَبَا الحُصَيْنِ وَرَاءَهُـمْ ... والمُسْلِمِيْنَ صَلَاءَةَ ابْنَ العَنْبَرِ[3]

لَمَّا رَأَيْتَ الخَيْلَ قَدْ طَافَتْ بِهِ ... شَنِجَتْ شِمَالُكَ في عِنَانِ الأَشْقَرِ[4]

ولَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى شَبَابِكَ حِقْبَةً ... حَتَّى كَبِرْتَ وَلَيْتَ أَنْ لَمْ تَكْبَرِ

يا مَعْشَرَ الأَبْنَاءِ إِنْ فُزْتُمْ بِهَا ... فَوْزَ الزُّبَيْرَةِ جَمْعُنَا لَمْ يُثْأَرِ[5]

فأَبُوكُمُ قَرْوُ سَرَىً بِهَلاكِكُمْ ... وعَمُودُنا صُلْبٌ كَرِيْمَ المكسرِ[6]

---

(١) رياض الأدب ـ عن ابن طيفور ـ ص ١٤٨.

(٢) تئل: تنجو، أي لا نَجَتْ أعيانهم ولا خلصت.

(٣) أبو الحصين هو مرّة بن عاهان الحارثي. وصَلاءَة بن العنبر الذي أخذه منتشر بن وهب القيسي العيلاني أسيراً ثم قتله، ثم إن منتشر بن وهب خرج مع غلمة من قومه، فلما رأى بنو الحارث مخرجه كمنوا له وقبضوا عليه، ثم فعلوا به كما فعل بابن العنبر الحارثي وقتلوه.

(٤) تشنجت: تقبّضت وتقلّصت.

(٥) الأبناء: قال أبو عبيدة في النقائض «الأبناء: كل بني سعد بن زيد مَناة إلا بني كعب بن سعد» [ص ١٥٠] وهم: بنو زيد مَنَاة بن تميم بن مرّ بن أد بن طابخة من عشائر مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان في نجد.

(٦) جاء في رياض الأدب «. . قرو شرى كهلانكم وعمودكم. .» وفي بلاغات النساء «. . قرو سرى بهلانكم وعامودكم. .» وهو تصحيف. والقرو: القَرْع.

ومارية بنت الدّيّان من بيتٍ مُعْرق في الشعر بالجاهلية، منهم أبوها الدَّيَّان بن قطن الحارثي، وأختها حِذَامِي بنت الدَّيَّان، وأخوها الرئيس عبد المَدَان بن الدَّيَّان، وابن أخيها الرئيس يزيد بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان، وعبد الحارث بن أَنَسْ بن الدَّيَّان القائل:

ونحنُ - بحمد اللَّه - هامة مَذْحَج بنو الحارث الخير الذين هُمُ مَدَرْ

* * *

٢ ـ نائحةُ مُرَّة بن عاهان:

هي امرأة شاعرة من بني الحرث بن كعب، وكانت صديقة لمارية بنت الدَّيَّان ولابنة مُرَّة بن عاهان، فقالت ترثي مُرَّة بن عاهان قصيدة منها بيتان في خزانة الأدب رَثَتْ فيهما مُرَّة بن عاهان وهَجَتْ قبيلة باهلة بن أَعْصُر بن سعد بن قيس عيلان النزارية النجديّة، حيث قالت:

يـا عَـيْـنُ بَـكِّـيْ لِـمُـرَّةَ بـن عَـاهَـانَـا لـو كـان قَـاتِـلُـهُ مِـنْ غَـيْـرِ مَـنْ كَـانَـا
لَـوْ كَـانَ قَـاتِـلُـهُ قَـوْمـاً ذَوِيْ حَـسَـبِ لَـكِـنَّ قـاتِـلُـهُ بَـهْـلُ ابـنُ بَـهْـلانَـا

وبهل: تصغير باهلة. قال أبو عبيدة: ما هُجُوا بمثله لأنّها صَغَّرت بهم، وإنما أرادت باهلةَ بن أَعْصُر[١].

* * *

٣ ـ ابنة مُرَّة بن عاهان ابن الشَّيطان:

هي الشاعرة بنت مُرَّة بن عاهان ابن الشَّيْطان بن أبي ربيعة بن خَيْثَمَة الحارث بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بنَ جَلْد بن مَذْحج. وكان عاهان شريفاً عظيماً في قبيلته وهو جاهلي قديم، من جيل قَطَن بن زياد والد الدَّيَّان بن قطن الحارثي، أما مُرَّة بن عاهان فكان من رجالات بني الحارث أيام عبد المَدَان بن الدَّيَّان، وكانت ابنته صديقة مارية بنت الدَّيَّان، وكانت شاعرة، فلما أغارت عشيرة باهلة وغيرهم من قبائل قيس عيلان وقتلوا مُرّة بن عاهان ونهبوا وهربوا، قالت ابنة مُرَّة بن عاهان قصيدة في رثائه وتحريض بني الحارث على الثأر وتأديب عشيرة باهلة القيسية، وقد ذكر صاحب خزانة الأدب والمرزُبَاني ثلاثة أبيات من قصيدتها وهي أنه «قالت ابنة مُرَّة بن عاهان:

إِنَّـا وبَـاهِـلَـةَ ابْـنَ أَعْـصُـرَ بَـيْـنَـنَـا داءُ الـضَّـرَائِـرِ بِـغْـضَـةً وَتَـنَـافِـي
مَـنْ تَـثْـقَـفَـنْ مِـنْـهُـمْ فَـلَـيْـسَ بِـآيِـبِ أَبَـداً، وقَـتْـلُ بَـنِـي قُـتَـيْـبَـةَ شَـافِـي

(١) خزانة الأدب ـ أبو عبيدة ـ ص ٤٠٠.

ذَهَبَتْ قُتَيْبَةُ في اللِّقَاءِ بِفَارِسٍ لا طَائِشٍ رَعِشٍ ولا وَقَافِ»

وقتيبة هم عشيرة قُتيبة بن معن بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، وباهلة هم بنو باهلة بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان وقد نالهم هُم وغيرهم من قبائل قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان في نجد العقاب الصارم في الحملات التي قام بتوجيهها عبد المَدَان بن الدَّيَّان كما سلف التبيين.

* * *

٤ ـ امرأة من بني الحرث بن كعب:

هي امرأة شاعرة من بني الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مَذْحج في أيام عبد المَدَان بن الدَّيَّان ومارية بنت الدَّيَّان. وكانت عشيرة بني الضِّبَاب ابن كلاب القيسية النجدية من الذين أغاروا للنهب إلى منطقة من مخلاف نجران وقتلوا في غارتهم ستة من بني الحرث بن كعب، قال ابن طيفور: فقالت امرأة من بني الحرث بن كعب:

إنَّ الضِّبَابَ أبَادُوا قَتْلَ (إخْوَتِكُمْ)[١] سَادَات نَجْرَانَ مِنْ حَضْرٍ ومِنْ بَادِي[٢]

عَمْروُ وعَمْروُ وعَبْدُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا وَابْنَا حَرَام وَوَفَّى الحَارِثُ السَّادِي[٣]

يا فِتْيَةً ما أَرَى العَيَّابَ مُدْرِكَهُمْ لِلجَارِوالضَّيْفِوابنِالعَمِّوالجادِي»[٤]

وقولها: «إنَّ الضِّبَاب أبادوا قَتْل أخوتكم» قال ابن طيفور: إن الضّباب هم (الهنباب من بني كِلَاب) وجاء في كتاب أيام العرب: أن بني كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاويه بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان، ومنهم: كعب بن كِلاب، والضِّبَاب، ونُفَاثَة، ورُؤاس بن كِلاب، ووبْر بن الأضبط. وغيرهم من بني كِلاب[٥] وقد قام عبد المَدَان بن الدَّيَّان بحملة على قبائل كِلاب النَجْدِيَّة تلك ومنهم الضِّباب ورئيسهم وبر بن الأضبط فاثْخَنَ فيهم وقَتَلَ وبراً، وقال في ذلك عن خيول بني الحارث:

فَجَالَتْ عَلَى الحَيِّ الكِلَابيِّ جَوْلَةً فَبَاكَرَهُمْ وِرْدٌ مِنَ المَوْتِ مُعْجِلُ

---

(١) جاء في رواية ابن طيفور «. . قَتْلَ إخوَتهم» وإنما هو «قَتْل إخوتكم» لأنها تُخاطبُ سادة نجران من بني الديان وبني الحارث.

(٢) قولها (سادات نجران) أي (يا سادة نجران) وقولها (مِن حَضْرٍ ومِنْ بادي) أي (في حضر وبوادي مخلاف نجران).

(٣) السادي: السادس.

(٤) الجادي: السائل العافي، وهو من الأضداد، قال الشاعر:

جَدَوتُ أُناساً مُوسِرِيْنَ فَمَا جَدَوا أَلَا اللَّه فَأجْدُوهُ إذا كُنْتَ جَادِيَا

(٥) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ٤١٩.

فَغَادَرْنَ وَبْراً تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ ... ونَجّىٰ طُفَيْلاً في العَجَاجَةِ قُرْزُلُ

* * *

٥ ـ الشاعرة أُمّ نَاشِب الحارثية:

هي أمّ نَاشِب الحارثية مِن بني الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج، ذكرها ابن طَيْفور وذكَرَ بيتين من قصيدة لها، إنه (قالت أمّ ناشِب الحارثية:

لَحَا اللَّهُ قَوماً جَشَّمُوا أُمَّ نَاشِبٍ ... سُرَى اللَّيْلِ تَغْشَاهُ بِغَيْرِ دَلِيْلِ[١]

نَظَرْتُ وثَوبِي قَالِصُ دُونَ رُكْبَتِي ... إلى عَلَمٍ صَعْبِ المَرامِ طَوِيْلُ)[٢]

وقولها: «إلى عَلَم..» العلم: الجبل. وقد ذكر ابن المجاور: أن حُصْن وقصر عبد المَدَان وبني عبدِ المَدَان بن الدَّيَّان «حصنٌ مانع بين مدينة نجران والجبال» وتوجد أطلاله غرب نجران على قِمة جبل مخروطي الشكل ذا ارتفاع شاهق يشق وادي نجران ويُسَمّى جبل رعوم[٣]. فهو غالباً المقصود بقول أم ناشب (إلى عَلَمٍ صَعْبِ المَرام طويلُ).

* * *

٦ ـ شاعرة سادسة من بني الحارث بن كعب:

هي امرأة شاعرة من بني الحرث بن كعب، في أيام عبد المَدَان بن الدَّيَّان ومارية بنت الدَّيَّان، قالت شعراً في رثاء مُرّة بن عاهان وأصحابه الذين قتلتهم بنو باهلة بن أعصر، حيث جاء في كتاب الأمالي أنه: قالت امرأة من بني الحرث بن كعب ترثي مَنْ قُتِل مِن قومها في يوم كان لباهلة على بني الحارث:

شَقِيْقٌ وحَرْمِيٌّ هَرَاقا دِمَاءَنَا ... وفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّوَاصِيَا»[٤]

وقولها (هراقا دِماءَنا) لهجة حميريَّة. قال الحسن الهمداني: «كانوا يُفخّمون بالهاء ويُبالِغون فيما ظهر من الأشياء واستُعْظِم، فيقولون: هو يُهَنْعِم ويُهَنْفِق المال، ويُهَصْدقَ العدو الحملة. كذلك تقول: أهرقَ الماءَ ودمْعَه ودَمَه، وأصله أراق، قال امرؤ القيس:

وإنَّ شِفَائي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَة

---

(١) سُرى الليل: مسير الليل. (٢) القالص: القصير المشمّر.

(٣) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٧١.

(٤) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ١٨٤/ ٣ـ وشقيق وحرمي: عشائر من باهلة بن أعصر القيسية الذين أثخن فيهم فرسان بني الحارث وعبد المدان بعد ذلك.

جعل التفخيم في حشو الهاء وهو جمع مهراق»[١] وكذلك قالت الحارثية (هَرَاقا دِماثنا) وهَدّاج: اسم فرس.

وتلك المرأة الشاعرة من بني الحرث بن كعب هي ـ غالباً ـ نفس المرأة الحارثية التي جاء في ديوان الحماسة أنه (قالت امرأة من بني الحرث بن كعب ترثي فارساً من قومها):

فَـارِسٌ مَـا غَـادَرُوهُ مُـلْـحَـمـاً غَـيْـرَ زُمَّـيْـلٍ، ولا نِـكْـسٍ وَكَـلْ[٢]
لَـوْ يَـشَـا طَـارَ بِـه ذُو مَـيْـعَـةٍ لاحِـقُ الآطَـالِ نَـهْـدٌ ذُو خِـصَـلْ[٣]
غَـيْـرَ أَنَّ الـبَـأْسَ مِـنْـهُ شِـيْـمَـةٌ وصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالأجلْ»[٤]

وذلك الفارس هو ـ غالباً ـ مُرّة بن عاهان، وكانت تلك المرأة الشاعرة الحارثيّة من الشاعرات اللاتي اشتركنَ مع مارية بنت الدَّيّان في تحريض بني الحرث بن كعب على الثأر وتأديب القبائل القيسية بنجد، فكان لأشعارهن تأثيره السريع في انطلاق حملات الرئيس عبد المَدَان بن الدَّيّان ورؤساء وفرسان بني الحرث بن كعب ومذحج على قبائل قيس عيلان في نجد وتأديبهم إياها وعودتهم بالنصر والظفر، وكان منهم النابغة الحارثي.

* * *

٧ ـ النَّابغة الحارثي . . يزيد بن أبَان:

هو الشاعر اليمني الجاهلي: النَّابغة يزيد بن أَبَان بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب، وهو ـ بالتالي ـ مِن جيل الرئيس: عبد المَدَان بن الدَّيّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب الحارثي المذحجيّ، ممّا يدل على أن زمنه كان في الفترة ما بين ٥٣٠ ـ ٥٨٠م. بأواسط القرن السادس الميلادي في الجاهلية.

وكان يُقال له (نابغة بني الحرث بن كعب)[٥] و (نابغة بني الدَّيّان)[٦] والنابغة

---

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢/٧٣.

(٢) المُلْحم: المتروك لحماً للسباع. الزُمَّيْل: الجبان الضّعيف. النِّكس: الذليل. الوَكَل: العاجز الذي يَكِلُ أمره إلى غيره.

(٣) يَشَا ـ مقصور غير مهموز ـ وهي لهجة لبني الحارث في يَشَاء. ذو ميعة: أي فرس ذو ميعة، والميعة: النّشاط. واللاحق: النشيط. والآطال: الخواصر. والنّهد: الغليظ الجسيم. ذو خِصَل: ذوائب الشَّعر من عُرف وذيل الفرس.

(٤) ديوان الحماسة ـ شرح التبريزي ـ ص ٣/١٢١.

(٥) نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ٥/٩٧. (٦) المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ ص ٢٤٩.

الحارثي. قال الآمدي (وهو شاعر مُحسن)[١] وذكر له الآمدي قصيدة نونيَّة عالية في الفخر، وهي قول نابغة بني الحارث يزيد بن أَبَان:

إنْ تَسْأَلِي عَنَّا سُمَيَّ فإنَّنَا ... يَسْمُو إلى قُحْمِ العُلَا أَدْنَانَا[٢]

وتَبِيْتُ جَارَتُنَا حَصَاناً عَفَّةً ... تُثْنِي ويأخُذُ حَقَّهُ مَوْلانا[٣]

ونُحِقُّ حَقَّ شَرِيْبِنَا في مَائِنا ... حَتَّى يكونَ كأنَّهُ أَسْقَانَا

ونَقُولُ إنْ طَرَقَ المُثَوِّب أَصْبِحُوا ... لَوَصَاةُ وَالِدِنَا الَّذِي أَوْصَانَا[٤]

ألا نَفِرَّ إذَا الكُمَاةُ تَقَدَّمَتْ ... حَتَّى تَدُورَ رَحَاهُمُ وَرَحَانَا[٥]

ونُبِيْحُ كُلَّ حِمَى قَبِيْلٍ عَنْوَةً ... قَسْراً ونَأْبَى أنْ يُبَاحَ حِمَانَا

وَيَعِيْشُ في أحلامِنا أشْياعُنا ... مُرْداً وما وَصَلَ الوُجُوهَ لِحَانَا[٦]

وَيَظَلُّ مُقْتَرِناً بِحُسْنِ عَفَافِهِ ... حَتَّى يُرَى وكأنَّهُ أغْنَانَا

ويَسُوْدُ سَيِّدُنا بِغَيْرِ مُدَافِعٍ ... ويَسُودُ فوقَ السَّيِّدِيْنِ ثِنَانَا[٧]

وإذا السُّيوفُ قَصُرْنَ بَلَّغَها لَنَا ... حَتَّى تَنَاوَلَ ما نُرِيدُ خُطانا[٨]

وإذا الجيادُ رَأَيْنَنَا في مجْمَعٍ ... أَعْظَمْنَنَا وزَحَلْنَ عَنْ مَجْرانا[٩]

ومن شعر النابغة الحارثي في معجم البلدان قوله:

ظَعَنَ الحَيُّ يَومَ بُرْقَةِ رَعْمٍ[١٠] ... بِغَزَالٍ مُزَيَّنٍ مَرْبُوبِ[١١]

* * *

(١) المؤتلف والمختلف ـ الآمدي ـ ص ٢٤٩.

(٢) سُمَيّ: سُمَيَّة، اسم امرأة.

(٣) مولانا: المراد بالمولى هنا الحليف، أي حليفنا.

(٤) المُثَوِّبُ: الداعيُ المُسْتَصْرِخُ المُسْتَنْجِدُ، لأنه كان الرجل إذا جاء مُستصرخاً لَوَّحَ بثوبه ليُرَى ويُشتهر أمره.

(٥) جاء في المؤتلف: «ألّا نصُدّ» وفي نهج البلاغة «ألا نَفِرّ..» وهو الأصوب إلا إذا كان:

إنَّا نصُدُّ إذا الكُماة تقدمت ... حتى تدور رحاهم ورحانا

(٦) في نهج البلاغة:

(ويعيش في أحلامنا أشياخنا ... مُرداً وما وصل الوجوه لِحَانا)

ولكن قد يقال: كيف يكون الأشياخ مرداً؟ ولذلك جاء في المؤتلف (أشياعنا).

(٧) قوله (ثِنَانَا): الثني هو الرجل يكون دون السيد في المرتبة. والجمع ثِنْيَة.

(٨) ويروى: (وإذا اسيوفُ قَصُرْنَ طَوَّلَها لنا).

(٩) زحلن: تأخّرنَ وتباعَدن.

(١٠) ظَعَنَ: ذهب ورحل. برقة رعم: اسم موضع.

(١١) المربوب: جاء في القاموس المحيط «ـ المَرَبُّ: الأرضُ الكثيرة النبات.. والرَّبِيبَةُ: الشاةُ =

٨ ـ شِنَيْف بن معاوية السفياني الأرحبي:

هو شِنَيْف بن معاوية بن مالك بن بِشْر بن سَلْمَان السفياني الأرحبي[١]، قال عنه الحسن الهمداني في الإكليل: «كان من أشراف همدان في الجاهلية وله يوم مذاب على عامر وبني سُليم، ومَذاب في بلد سفيان ـ بالجوف ـ وكان سبب وصول أحياء قيس إليها، وصولهم إلى صعدة غارين ـ أي في غارة ـ فتحصنت عنهم خولان، فانبثت خيل قيس إلى حدود أرحب فأخذوا لقاح شنيف بن معاوية[٢] ومدَّ الصارخ، فأغارت سفيان وبنو عليان وعِذر. فهرب القيسيون وقَتَلوا فيهم واسترجعوا أخيذتهم، وفي ذلك قال شنيف بن معاوية:

لَمَّا رأيتُ الخَيْلَ جِئْنَ أفائحا ... يَضْبُرنَ بين صَفَاصِفٍ وروابي[٣]

قَرَّبْتُ سابحة اليدينِ رجيلة[٤] ... تهوي بِيَّ المرطيِّ هوى عُقَابِ[٥]

ودعوتُ قومي فاستجاب لدعوتي ... منهم فوارس نَجْدَةٍ وضِرَاب[٦]

حتى إذا لحقَتْ أوائلُ خيلِنا ... أُخْرَاهُمُ وجَزَعْنَ بطن مَذَابِ[٧]

وَلَّتْ فوارسُ عامرٍ وسُلَيْمها ... رُعْباً وما غنموا جَنَاح ذُبَابِ[٨]

وتَرَكْنَ فارسهم صريعاً مُجْهضاً ... وخَضَبْنَ لِمَّته بِشَرٍّ خضابِ[٩]

= تُربَّى في البيت لَلَبنِها. . والرُّبَّى: الشاة إذا ولدت، والحديثة النِتّاج، والإحسان والنعمة. . والرُّبَّةُ: كعبةُ لمذحج» ص ٧٣/ ١ ـ وقوله: الرّبَّة: كعبة لمذحج، جاء عن ذلك أن «الرَّبَّةُ: كعبة بنجران لمذحج وبني الحرث بن كعب يُعظِّمها الناس. ولعلها هي نفسها كعبة نجران التي بناها عبد المدان وبنو عبد المدان بن الديان وقد تقدّم ذِكرها».

(١) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ١٨١ جـ ١٠ ـ وقد جاء اسمه في نص الإكليل ثلاث مرات، مرة (سيف بن معاوية) ومرتان (شنيف بن معاوية) وما يزال اسم شنيف موجوداً في اليمن حتى اليوم.

(٢) اللقاح: الإبل.

(٣) أفائحا: جاء في القاموس المحيط (فاح: انتشر. . وفياح: اسم للغارة. . وناقة فياحة: ضخمة). [ص ٢٥٠/ ١].

وقوله (يضبرن) جاء في القاموس (ضَبَر الفرسُ ضَبراً وضبراناً: جمع قوائمه ووثب). [ص ٧٧/ ٢].

والصفاصف: جمع صفصف، الفلاة المستوية ومنه قوله تعالى ﴿فيذرها قاعاً صفصفاً﴾.

(٤) سابحة اليدين: سريعة. والرجيلة: القوية، وهي الخيل.

(٥) المرطي: نوع من السير.

(٦) النجدة: الشجاعة.

(٧) بطن مذاب: بطن وادي مذاب بالجوف. وجزعن: مَشَيْنَ ومَرَيْنَ.

(٨) عامر وسليم: قبائل عامر بن صعصعة وسُليم من قيس عيلان.

(٩) المُجهض: من أجهضت المرأة إذا أسقطت حَملها قبل أوانه: اللمة: اللحيَّة.

يطمو بجائفةٍ كأنَّ فروغها فوق الرهابة مِنْهُ لون ملاب»[١]

* * *

٩ ـ عبد اللَّه بن جَبَل العِذَري الهمداني:

هو الشاعر الجاهلي عبد اللَّه بن جبل، من بني سلامان بن أَسْنَا بن عِذَر بن سعد بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد الهمداني، وكان بنو سلامان يسكنون منطقة مَطِرة بين الجوف ونهم. قال الحسن الهمداني: «ومِن فرسانهم وشعرائهم في الجاهلية عبد اللَّه بن جبل أخو بني سلامان، وهو القائل:

أَلَا أَبْلِغ لديك بني سُلَيْم وعامر والقبائل مِنْ كِلَاب[٢]

مُغَلْغَلَة فكيف وجَدْتُمُونَا[٣] غَدَاة السفح مِنْ كَنَفَيْ مَذَابِ[٤]

عِشَارٌ في مَرَاتِعِهَا وعُوذٌ[٥] صفايا ما تَدُرُّ عَلَى عصَابِ[٦]

يَرَاهَا الجَاهِلُون لهم نهاباً وموتٌ واقعٌ دون النِّهَابِ»[٧]

* * *

١٠ ـ مُزَلِّج بن مُخَرِّم الزِّيادِيّ:

قال المُرزباني في مُعجم الشعراء: (مُزَلِّج الزِّيادِيّ، اسمه عمرو بن مُخَرِّم بن زياد، من بني الحرث بن كعب، زَلَّجَه قوله:

أَجِدَّ لُبَانَاتِ الهَوَى لَمْ تُخَلِّجِ وسَاعَةَ مَا اسْتَودَعْتَ وَصْلاً فَزَلِّجِ»[٨]

أي قيل له (مُزَلِّج) بسبب هذا البيت. وقد اختصر نسبه بقوله (عمرو بن مُخَرِّم بن زياد) إِذْ أن أباه هو الشاعر (مُخَرِّم بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن

---

(١) الجائفة: الطعنة الواسعة. فروغها: جمع فرغ وهو سعة الخرق، وطعنة فرغاء: ذات فروغ واسعة. الرهابة: غضروف تحت الصدر. ملاب: عفران.

(٢) كلاب: قبائل كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الهوازنية القيسية النجدية. قال عبد المدان بن الديان:

فَجَالَتْ على الحيِّ الكِلابي جولةً فَبَاكرهم وِرْدٌ مِنَ الموتِ مُعْجَلُ

(٣) المغلغلة: الرسالة التي تُحول من بلد إلى بلد. قال يزيد بن مفرغ الحميري:

ألا أبلغ معاوية ابن حربٍ مُغَلغلةً مِنَ الرَّجُلِ اليماني

(٤) كنفا مذاب: كنفا وادي مذاب بالجوف.

(٥) عِشار: بكسر العين وهي النوق التي مضى عليها عشرة أشهر وأصبحت كالنفساء من النساء. والعُوذ ـ بضم العين، الناقة حديثة النتاج.

(٦) جاء في الأصل (ما يَدر) ونرى أنه تصحيف لأن الكلام عن الإبل.

(٧) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٨١/ ١٠.

(٨) معجم الشعراء ـ المرزباني ـ ص ٤٣.

مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب) معاصر الدَّيّان بن قَطَن الحارثي. وبالتالي فإن الشاعر مُزَلّج بن مُخَرِّم من جيل عبد المَدَان بن الدَّيّان، وقد ذكر المرزباني من شعره قوله في قصيدة له:

أَجِدٌّ لُبَانَاتِ الهَوَىٰ لَمْ تُخَلَّجِ[١] وساعَةَ مَا اسْتَودَعْتَ وَصْلاً فَزَلّجِ[٢]

صَدَدْتُمْ وَلَو شِئْتُم لَلاقَى سَوامُكُمْ[٣] سَوَاماً غَدَا مِنْ عِنْدِكُمْ غَيْرَ مُدْلِجِ[٤]

وَلَكِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّ دُونَ اكْتِفَالِهِ[٥] دُرُوْءاً مَتَى ما تَلْقَهُ الرِّيحُ تَعْنِجِ[٦]

* * *

(١) أجدّ ـ بكسر الجيم ـ هل جِداً وحقيقة. لُبانات الهوى: حاجاته. تخلج: تتحرك.

(٢) الزلج: جاء في القاموس المحيط (الزَّلَجُ: الزَّلَقُ.. والزالج: من يشرب شُرْباً شديداً.. والمُزَلَّجُ: القليل، والحبّ غير الخالص.. والزُّلُوج: السريع..» [ص ١٩٩/١].

(٣) السوام: الإبل المُرسلة السارحة.

(٤) غَدَا: الغدوّ، أول النهار. والإدلاج: السير ليلاً.

(٥) الكَفْل: كساء يُوضع تحت الرحْل، وحول سنام البعير ثم يُركب.

(٦) دُروءاً: طرق ذو دروء، وهي الكسور والأخافيق، كناية عن صعوبتها. تعنج: تَجْذِب، وعَنَج رأس البعير: جذبه بخطامه حتى رفعه وهو راكب عليه.

المبحث «٩٢»

يزيد بن عبد المَدان بن الدَّيَّان

«ـ آخر رؤساء مَذْحج ونجران في الجاهلية ـ»

هو الرئيس الشاعر يزيد بن عبد المَدان بن الدَّيَّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مَذْحَج، وهو القائل:

إنْ تَلْقَ حَيَّ بني الدَّيَّانِ تَلْقَهُمُ   شُمَّ الأُنُوفِ إلَيْهِمْ غُرَّةُ اليَمَنِ
ما كَانَ في النَّاسِ لِلدَّيَّانِ مِنْ شَبَهٍ   إلّا رُعَيْنُ وإلّا آلُ ذي يَزَنِ

فيزيد بن عبد المَدَان وأسرته بيت الدَّيَّان من كبار أقيال ورؤساء اليمن في العصر الحميري والجاهلية، وبذكرهم ترنم الشعراء ورجال العلم والتاريخ ويعلو شأنهم نطقوا منذ ذلك الزمان، قال أميّة بن أبي الصَّلْت الجاهلي:

ولقَدْ رأيتُ القَائلينَ وفِعْلَهُم   فَرَأيتُ أكْرَمَهُمْ بني الدّيَّان[1]

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري:

وقد كُنّا نقول إذا رأينا   لذي جسم يُعَدُّ وذي بيان
كأنّكَ أيّها المُعْطَىٰ بياناً   وجسماً مِن بني عبد المَدَان

وقد كان يزيد بن عبد المَدَان ذا بيان وبلاغة، ومن ذلك قوله: «أنا ابن الدَّيَّان صاحبُ الكثيب، ورئيسُ مَذْحج، وَمُكلِّم العُقاب، ومَنْ كان يُصَوِّب أصابعه فَتَنْطِف دماً، ويَدْلُك راحتيه فَتُخرجان ذهباً»[2]. وقال ابن جَفْنَة الغساني ليزيد بن عبد المَدَان: ماذا كان يقول الدَّيَّانُ إذا أصْبَح؟ فقال يزيد: كان يقول آمَنْتُ بالذي رفع هذه (يعني السماء) ووضع هذه (يعني الأرض) وشَقّ هذه، ثم يَخِرّ ساجداً ويقول: سَجَد وجهي للّذي خَلَقَه وهو عاشم (أي طامع) وما جَشَّمَني من شيء فإنّي جاشم، فإذا رفع رأسه قال:

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمْ تَغْفِرْ جَمّا   وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمّا

فقال ابن جَفْنَة: إنّ هذا لذو دِين»[2].

وقد كان بيت الدَّيَّان ثالث ثلاثة بيوت رئاسةٍ وقِيَالةٍ وملوكيةٍ لا يضاهيها أحدُ

(١) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣٨/٣.   (٢) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٣/ ١٢.

في الشرف باليمن وجزيرة العرب، وتذكر كتب التراث أنه: «قال كسرى أنوشروان للنعمان بن المنذر: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم، قال: بأي شيء؟ قال: مَنْ كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت مِنْ قبيلته فيه. قال: فاطلب لي ذلك. فطلبه، فلم يُصِبْه إلا ـ في خمسة بيوت ـ» منهم كما ذكر أبو عمرو بن العلاء «بيت الدَّيَّان، من بني الحرث بن كعب، بيت اليمن» ومنه (آل الأشعث بن قيس بيت كندة)[١] ولكن قوله: (بيت الدَّيَّان. . بيت اليمن) لا يستقيم ولا بد أن يكون الأصوب (بيت الدَّيَّان من بني الحرث بن كعب، بيت رئاسة مذحج باليمن) وعن ذلك قال ابن خلدون: إن آل الديان «هُم بيت مذحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في بيت عبد المَدَان بن الدَّيَّان، وانتهت قبيل البعثة إلى يزيد بن عبد المَدَان»[٢] وقوله: (هم بيت مذحج) أي بيت رئاسة قبيلة مذحج. وكذلك كان آل ذي رُعَيْن بيت رياسة قبائل حِمْيَر وملوك ظفار والنصف الغربي من اليمن، وكان آل ذي يزن بيت رياسة وملوك النصف الشرقي من اليمن، وقد ذكر يزيد بن المَدَان البيوت الثلاثة في قوله:

ما كان في الناس للدَّيَّان مِنْ شَبَهٍ ... إلا رُعَيْنُ وإلَّا آل ذي يَزَن

ويتحقق فيهم قول النعمان بن المنذر «مَنْ كان له ثلاثة آباء متوالية رؤساء واتصل ذلك بكمال الرابع» ومن المفيد أن نذكر هنا أنه:

أ ـ **من آل ذي رُعَيْن**. (كان الملك عبد كلال بن مُثوّب ذو رُعَيْن) رئيس قبائل ومناطق حِمْيَر وملك ظفار عاصمة النصف الغربي من اليمن في عهد حسان تُبَّع ملك كل اليمن. قال الهمداني: «كان عبد كلال قائد حسان تُبّع وكان على مقدمته إلى اليمامة»[٣] وقال ابن خلدون: «ثم مَلَكَ بعد تُبّع أخوه لأمّه عبد كلال بن مُثوَّب بن ذي رُعَيْن» قال الطبري « . . مَلَكَ عبدُ كلال بِسنٍّ وتجربة وسياسة حَسَنة، وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الأولى وكان الذي دعاه إليه رجلٌ مِن غَسَان قَدِم عليه من الشام»[٤] وقام الملك عبد كلال بتشييد ثلاث كنائس إحداها في ظفار والثانية في عبدان، وأصبحت الديانة المسيحية التوحيدية الأولى ديانة رئيسية، وفيه قال نشوان الحميري:

أم أين عبد كلال الماضي على ... دين المسيح الطاهر المَسّاح

(١) يمانيون في موكب الرسول ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٧٦٤.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٣٤.
(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ ص ٣٥٧ و٢/٢٥٦.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ص ٢/٨٦.

وكان من ولده عبد كُلال الثاني ملك ظفار وغرب اليمن في عهد أسعد تُبّع ثم الحارث بن عبد كلال في عهد الملك يوسف أسار ذي نواس، ثم الملك فهد بن النعمان بن عبد كُلال ذي رُعين في عهد سيف بن ذي يزن، وفيه قال سَلَمَة بن جَنْدَل:

ألا أنّ خيرَ الناس كُلهمُ فهدُ ... وعبدُ كلال خير سائرهم بَعدُ
هُما قَمَرا مُلْكٍ سليلا مكارمٍ ... وفيّا عهودٍ عندما ينكث العهدُ

وانتهت ملوكيتهم إلى الحارث بن عبد كلال بن نصر ذي رُعين قُبيل البعثة، وهو الذي جاء في عيون الأثر أنه «بعث رسول اللّه ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.. (ومنهم) الحارث بن عبد كلال ملك اليمن»[١] . ـ أي ملك حِمْيَر باليمن.

ب ـ **آل ذي يزن**: منهم (سيفم يهسكر ذو يزن) كان رئيساً قَيْلاً لمناطق وقبائل النصف الشرقي من اليمن وكانت مدينة عبدان في شبوة مقر قيالته، وقد جاء اسمه في نقش من عهد الملك حسان تُبّع مؤرخ بعام ٤٤٥ ميلادية[٢] وهو والد (عامر بن ذي يزن) الذي جاء في الإكليل أنه «عامر ذو يزن أحد أقوال حِمْيَر العظماء.. وصهر أسعد تُبّع.. قال ابن الصرحي: إنّ عامراً ذا يزن تزوج ابنة أسعد، وكان عنده مكيناً، فَمَرّت به يوماً في مجلسه من بعض قصوره، بُنيَّة لذي يزن من بنته، فَقَرّبَهَا، ثم قال:

يَا ابْنَةَ القَيْلِ ذي يَزَنْ ... جَدّك اليومَ خيرُ مَنْ
حلّ في ذروة اليمن ... بين صنعاء إلى عدن

..فأولد عامر ذو يزن: سيف بن عامر..»[٣] وسيف هذا هو (سُمَيْفَع ذو يزن) في النقوش وكان من كبار أقيال عهد الملك يوسف أسار الحميري، وهو والد (معدي كرب بن سُمَيْفَع ذي يزن ملك شرق اليمن) المذكور بلقب (ملك مشرقن) في نقش مؤرخ بعام ٥٤٣م وقد حكم شرق اليمن إلى العام ٥٧١ ميلادية وهو والد سيف بن ذي يزن[٢] .

جـ ـ **بيت الدَّيَّان** بن قَطَنْ بن زياد الحارثي، وهم بيت رئاسة قبائل مذحج والملوك الأقيال على مخلاف نجران، وقد كان أولهم زياد، ثم قَطَن بن زياد، ثم الدَّيَّان بن قَطَن. قال يزيد بن عبد المَدَان:

أَوْرَىٰ زيادُ لنا زَنْداً ووالدُنا ... عبد المَدَان فاوْرَىٰ الزَّنْد مِنْ قَطَنِ

---

(١) عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ ص ٣٣٠.
(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير ـ محمد الفرح.
(٣) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/٣٨.

فكان الدَّيَّان بن قَطَن هو الثالث من الرؤساء على قبائل مذحج، وقد تولى الدَّيَّان رئاسة مذحج وقِيالة وولاية مخلاف نجران وأعالي اليمن منذ عهد الملك أسعد تُبّع بن حسان إلى عهد يوسف أسار ذي نواس، أي ما بين عام (٤٦٠ - ٥٣٠م) وكان مؤمناً بالديانة التوحيدية مثل عبد كلال ذي رعين وأسعد تُبّع بن حسان، وقد سلف ذكر وصف يزيد بن عبد المَدَان لديانته، ثم تولى رئاسة مذحج وملوكية نجران عبد المَدَان بن الدَّيَّان وكانت رئاسته منذ وفاة أبيه (٥٣٠م) إلى عهد سيف بن ذي يزن، إلى حوالي عام ٥٨٥م. فبرئاسة عبد المَدَان - وهو الرابع - تَحَقّقَ قول النعمان بن المنذر «مَنْ كان له ثلاثة آباء متوالية رؤساء واتصل ذلك بكمال الرابع. . . ومنهم بيت الدَّيَّان من بني الحرث بن كعب، بيت مذحج». وقد عاصر عبد المَدَان النعمان بن المنذر، وذكرهما معاً لقيط بن زُرارة التميمي بقوله:

شَرِبْتُ الخَمْرَ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي ... أبو قابوسَ أَوْ عَبْدُ المَدَانِ

وأبو قابوس هو النعمان بن المنذر ملك إقليم الحيرة بالعراق والذي عاصره أيضاً يزيد بن عبد المَدَان كما عاصر الحارث بن جبلة الجَفْني الغساني ملك العرب بالشام.

* * *

لقد بدأت رئاسة يزيد في عهد أبيه (عبد المَدَان) لأن أبناء عبد المَدَان اشتركوا معه في الرئاسة والحكم، ولذلك جاء ذكر (بني عبد المَدَان) في العديد من المصادر - دون تخصيص ولا تسمية - كقول أميّة بن أبي الصَّلْت - وهو الذي وفد إلى سيف بن ذي يزن عام ٥٧٢ م - «أتيتُ نجرانَ فدخلت إلى عبد المَدَان فإذا به على سريره، كأنَّ وجهَه قَمَرٌ، وبنوه حوله كأنّهم الكواكب»[1] والمشهور منهم يزيد، وجاء في الحماسة ذكر (النعمان بن عبد المَدَان)[2] وقال ابن الكلبي (إن العَطَّاس فرس لعبد اللّه بن عبد المَدَان) وجاء في المستبصر اسم (عدنان بن عبد المَدَان) فأولئك أربعة من بني عبد المَدَان الذين كانوا «كأنهم الكواكب» وقد ضرب بهم الشعراء المثل في الوسامة والشجاعة والفصاحة والفروسية والرئاسة. قال ابن المجاور: «نجران إقليم طويل عريض من اليمن. . وولاة نجران بنو عبد المَدَان، وفيهم قال بعض الشعراء:

ولولا بنو عبد المَدَان وخيلها ... لزارك يا نجران بعض القبائل»[3]

وقال حسان بن ثابت:

كأنّك أيّها المُعْطَى بياناً ... وجسماً مِنْ بني عَبْدَ المَدانِ

(١) الأمالي - أبو علي القالي - ص ٣٨/٣.

(٢) جاء في ديوان الحماسة أن النعمان بن عبد المدان هو قائل إحدى أبيات قصيدة عبد يغوث الحارثي، والذي يهمنا هو اسم النعمان بن عبد المدان.

(٣) المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز - ابن المجاور - ص ٤٠.

وقال أحد الشعراء:

تَـلُـوْثُ عِـمَـامَـةً، وتَـجُـرُّ رُمْـحـاً كَـأَنَّـكَ مِـنْ بَـنـي عَـبْـدَ الـمَـدَانِ[١]

وقد قام يزيد بن عبد المَدَان بزيارة الحارث الجَفْنِي الغساني ملك العرب بالشام، فيكون ذلك أيام أبيه عبد المَدَان لأنّ الحارث الجَفْني هو الملك الحارث بن أبي شَمّر جَبَلَة الجَفْني الغساني الذي حكم في الفترة (٥٢٨ ـ ٥٦٩م) مما يشير إلى أنه:

أ ـ اشترك يزيد بن عبد المَدَان وأخوته في الرئاسة مع أبيهم، وأن مشاركة يزيد في الرئاسة كانت حوالي عام ٥٦٥م ـ بقرينة زيارته الآتي ذكرها للحارث الجفني والتي تدل أيضاً على أنه قد زار وعرف النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وكان النعمان يشترك مع أخيه المنذر ابن المنذر ثم مع أخيه عمرو بن المنذر في الحكم ثم انفرد بالحكم بعدهما حوالي عام ٥٨٠م.

ب ـ في فترة اشتراك يزيد في الرئاسة مع أبيه كان يحكم النصف الشرقي من اليمن معدِي كرب بن سُمَيْفَع ذو يزن، فأرسل معدِي كرب ابنه سيف بن ذي يزن وأخاه إلى الحارث الجفني الغساني بالشام وإلى النعمان بن المنذر في الحيرة بالعراق، فسار سيف بن ذي يزن عن طريق نجران إلى الشام ثم إلى العراق وكذلك عندما أصبح سيف ملكاً بعد أبيه في النصف الشرقي من اليمن فسار عن طريق نجران إلى النعمان بن المنذر ثم إلى كسرى بالعراق طالباً الدعم لتحرير صنعاء والمناطق الغربية من الأحباش عام ٥٧١م حيث قال ابن المجاور: «كان من نجران إلى البصرة طريق الرَّضْراض وكانت المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام. وقد بُنِي على حدّ كل فرسخ منها مِيل بالآجُرّ والجصّ، من بناء عمرو بن معدي كرب الزُبيديّ، والأصحُّ من بناء النعمان بن المنذر لما خرج من اليمن طالباً العراق، والأصحُّ أنّه بناء سيف بن ذي يزن لما خرج إلى ناحية العراق بكسرى»[٢]. وقال ابن المجاور: «ذِكر الفيض: وهو رمل مسيرته شهر كامل ويقال أيام، وهو الذي يُسمى رمل عالج وهو الرمل الذي على شَفَا طريق الرضراض. ويُقال إنّما دخل سيف بن ذي يزن إلى العراق إلّا عَلَى حَدّه»[٢] ويتبين من ذلك أن الملك سيف بن ذي يزن سار إلى نجران ومنها إلى العراق وأن البناءات التي كانت على طريق الرضراض بين نجران والحيرة بناها ـ أو ساهم فيها ـ سيف بن ذي يزن آنذاك أو بعد القضاء على الأحباش وتوحيد كل اليمن تحت حكم سيف بن ذي يزن عام ٥٧٢م، وكان عبد المَدَان بن الدَّيَّان

(١) الأعلام ـ الزركلي ـ ١٨٥/ ٥.

(٢) المستبصر في صفة بلاد اليمن والحجاز ـ ابن المجاور ـ ص ٢١٤ و ٢١٦.

رئيساً لمذحج ووالياً على نجران هو وأبناؤه ومنهم يزيد بن عبد المَدان في عهد سيف إلى حوالي عام ٥٨٥م ثم أصبح يزيد رئيساً لمذحج ووالياً لنجران بعد أبيه (حوالي عام ٥٨٥م) ودامت رئاسته بعد عهد سيف بن ذي يزن إلى سنة ١٠ هـ (٦٢٠م) ويُروىٰ أنّه قال:

ما كانَ في النَّاسِ للدَّيَّانِ مِنْ شَبَهٍ   إلا رُعَيْنُ وإلّا سَيْفُ ذِي يَزِنِ[١]

* * *

وفادة يزيد بن عبد المَدَان إلى الحارث الجفني وقصيدته هناك:

ومن أوائل أخبار يزيد بن عبد المَدان وفادته إلى الحارث بن جَبَلة الجفني الغساني ملك العرب بالشام، والحارث الجفني هذا هو ابن مارية ذات القُرْطَين التي ذكرها حسان بن ثابت في قوله:

أبناء جَفْنَة حول قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المُفْضَلِ

وهي سَميّة مارية بنت الدَّيَّان أخت عبدالمَدان بن الدَّيَّان، وفي أيام رئاسة عبد المَدان كانت وفادة يزيد إلى الحارث الجفني ما بين عام ٥٦٥ ـ ٥٦٩م لأن الحارث مات عام ٥٦٩م أو عام ٥٧٠م، وقد ذكرت كتب التراث أنه «وفَدَ يزيد بن عبد المَدان على الحارث بن جَفْنَة الغساني، فأكرمه الحارث، وأجْلَسه على سريره.. وسأله يزيد أنْ يهبَ له رجلاً من جُذام كان الحارث قد أهْدر دمه. فوهبه إياه، ثم قال الحارث لأصحابه: ما كانت يَمِيني لِتَفِيَ إلا بقتله أو هِبَته لرجل من بني الدَّيَّان. فعَظُم بذلك يزيد في أعْيُن أهل الشام ونَبُه ذِكْره وشَرُف».

ـ ثم في إحدى الأيام التي مكث فيها يزيد بن عبد المَدان عند الحارث الجفني في قصر جِلّق بدمشق ـ «ذكَر ثُلَّةٌ من هوازنَ النعمان بن المنذر في حضرة الحارث الجفني بسوء، فلم يَرُق كلامهم يزيد بن عبد المَدان، فقال ـ في نفس الموقف أو في اليوم التالي هذه القصيدة ـ:

تَمَالَا على النُّعْمَانِ قومٌ إلَيْهُمُ   مَوَارِدُهُ في مُلْكِهِ وَمَصَادِرُهْ[٢]

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ إلَيْهُمُ   سِوَى أنَّهُ جَادَتْ عليهم مَوَاطِرُهْ[٣]

فَبَاعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يَخَافُهُ   وَقَرَّبَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ يُبَادِرُهْ

---

(١) جاء عجز هذا البيت في الأغاني والحماسة «إلا رُعَيْنُ وإلا آل ذي يزن».

(٢) تمالأ: تعاون ومنه قول علي بن أبي طالب «واللّه ما قتلتُ عُثمانَ ولا مالأت على قتله. أي ما ساعدت ولا عاوَنْتُ».

(٣) مواطره: هباته وعطاياه وروافده.

فَظَنُّوا وأعْرَاضُ الظُّنُونِ كَثِيْرَةٌ ... بأنَّ الَّذِي قَالُوا مِنَ الأمْرِ ضَائِرُهْ
فَلَمْ ينقُصُوهُ بالَّذِي قِيْلَ شَعْرَةً ... ولا فُلِّلَتْ أنْيَابُهُ وأظَافِرُهْ
ولَلْحارِثُ الجَفْنِيُّ أعْلَمُ بالَّذِي ... يَنُوءُ بِهِ النُّعْمَانُ إنْ خَفَّ طَائِرُهْ[١]
فَيا حَارِ كَمْ فِيْهِمْ لِنُعْمَانَ نِعْمَةٌ ... مِنَ الفَضْلِ وَالمَنِّ الَّذِي أنَا ذَاكِرُهْ[٢]
ذُنُوباً عَفَا عَنْهَا، ومالاً أفَادَهُ ... وَعَظْماً كَسِيْراً قَوَّمَتْهُ جَوَابِرُهْ[٣]
ولَوْ سَالَ عَنْكَ العَائِبِيْنَ ابْنُ مُنْذِرٍ ... لَقَالُوا لَهُ القَوْلَ الَّذِي لا يُحَاوِرُهْ[٤]

فلما سمع الحارث الجفني منه ذلك عَظُم يزيد في عينه، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عَطِيَّة لم يُعْطِها أحداً ممَّن وَفَد عليه قطّ[٥].

وتدل القصيدة على معرفة يزيد بن عبد المَدَان بالنعمان بن المنذر اللّخمي ملك الحيرة معرفة وثيقة وتقديره إياه، وكان النعمان يشترك في حكم إقليم الحيرة بالعراق مع أخيه عمرو بن المنذر (المتوفى عام ٥٧١م) ثم مع أخيه الملك منذر بن المنذر (ت. عام ٥٧٩) ثم أصبح النعمان ملكاً لإقليم الحيرة عام ٥٨٠م. فإذا كان شعر يزيد بن عبد المَدان في أيام ملوكية النعمان بن المنذر للحيرة، فإن الحارث الجفني الذي وَفَدَ إليه يزيد بن عبد المَدان يكون إنما هو الحارث بن أبي شَمّر الثاني بن عوف بن الحارث الجفني الغساني الذي قال عنه ابن خلدون: «وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبي شمر هذا، وكانا يتنازعان في الرياسة ومذاهب المدح، وكانت شعراء العرب تَفِدُ عليهما مثل الأعشى وحسان بن ثابت وغيرهما.. وعلى عهده كانت البعثة النبوية»[٦]. أما النعمان بن المنذر فقد حكم الحيرة بالعراق وما جاورها من شرق الجزيرة العربية من عام ٥٨٠ ـ ٦٠٢م وهو المذكور في شعر يزيد بن عبد المَدَان عند الحارث الجفني، وغني عن البيان أن النعمان بن المنذر والحارث الجَفْني الغساني كليهما من اليمن، ولذلك أيضاً كان

---

(١) قوله (ولَلْحارثُ الجفني) أي (وإنّ الحارث الجفني). وقال النابغة الذبياني لأبي كرب النعمان بن الحارث الغساني:
لئن كان للقبرين، قبرٌ بجِلّقٍ ... وقبرٌ بصيداء التي عند حاربِ
وللحارث الجفني سيّد قومه ... ليلتمسن بالجمع أرض المحاربِ
وقوله (خفّ طائره): يقال طار طائره: أي غَضِب. واستخفّته طيرة الغضب.
(٢) قوله (فيا حار) أي (فيا حارث) و (حار) اختصار (حارث).
(٣) جوابره: يُقال (جبر عظمه) والمَجْبِرُ: مُجَبِرُ العظم المكسور وهي لهجة في اليمن حتى اليوم.
(٤) سَالَ: سأل، بتخفيف الهمزة للضرورة.
(٥) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٨/ ١٢.
(٦) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ١٩٩.

دفاع يزيد عن النعمان في تلك القصيدة عند الحارث وتعظيم الحارث ليزيد بن عبد المَدَان، فالرابطة اليمانية التي تربط الثلاثة كانت حاضرة في ذلك الموقف.

* * *

خبر يزيد وعامر بن الطفيل في عُكَاظ:

وذات مرة سار يزيد بن عبد المَدَان من نجران إلى سوق عُكَاظ، وكان سوق عُكَاظ موسم للتجارة يحضره رؤساء وشعراء من اليمن والحجاز ونجد، فحضر في ذلك الموسم عامر بن الطُّفَيل رئيس قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية القيسية، وحَضَر أُمَيَّة بن الأسْكَر الكِنَانيّ ومعه ابنةٌ له مِنْ أجمل نساء زمانها، فتَقَدَّم لخطبتها يزيد وعامر، حيث ـ كما جاء في كتاب الأغاني ـ فقالت أم كِلاب امرأة أمية بن الأسكر: مَنْ هذان الرجلان؟ فقال أميَّة: هذا يزيد بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان وهذا عامر بن الطُّفَيل. فقالت: أعرف بني الدَّيَّان ولا أعرف عامراً. فقال: هل سمعتِ بِمُلاعِب الأسِنَّة (عامر بن مالك) فقالت: نعم. قال: فهذا ابن أخيه. وأقْبَل يزيد فقال: يا أميَّة أنا ابن الدَّيَّان صاحب الكثيب ورئيس مذْحج ومُكَلِّم العُقَاب، ومَنْ كان يُصَوِّبُ أصابِعَه فَتَنْطِفُ دماً، ويَدْلُك راحتيه فتُخْرِجان ذهباً.

فقال أمية: بَخٍ بَخٍ[1].

فقال عامر: جَدِّي الأخرم وعمِّي مُلاعِب الأسِنَّة وأبي فارس قُرْزُل[2].

فقال أُميَّة: بَخٍ بَخٍ، مَرْعَىٰ ولا كالسَّعْدَان.

فقال يزيد: يا عامر هل تَعْلم شاعراً مِنْ قَومي رَحَل بِمدْحه إلى رجل مِنْ قومك؟ قال: اللهُمَّ لا. قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم.

قال يزيد: فهل لكم نَجْمُ يَمَان أو سيفُ يمان أو رُكْنُ يَمَان؟ قال: لا. قال: فهل مَلَكْنَاكم ولم تَمْلِكُونا؟ قال: نعم.

---

(١) بَخٍ بَخٍ: كلمة بمعنى (هنيئاً هنيئاً). قال أعشى همدان لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ـ الأشج ـ الكندي وكانت أمه بنت سعيد بن قيس الحاشدي الهمداني:

وإذا سألتَ المجدَ أين مَحَلّه؟ فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأشجّ وبين قيسٍ بَاذِخٌ بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولود

(٢) قُرْزُل: اسم فرس الطفيل الذي هرب على متنه يوم الوقعة مع عبد المدان بن الديان حيث قال عبد المدان:

فَغَادَرْن وَبْراً تَحْجِلُ الطَّيرُ حَوْلَهُ ونَجَّى طُفَيْلاً في العَجَاجَةِ قُرزُلُ

فنهض يزيد وقال:

أُمَيَّ يابْنَ الأَسْكَرِ ابْنِ مُدْلِجِ
لا تَجْعَلَنْ هَوَازِناً كَمَذْحِجِ
إِنَّكَ إِنْ تَلْهَجْ بِأَمْرٍ تَلْجَجِ
ما النَّبْعُ في مَغْرِسِهِ كالعَوْسَجِ[١]
ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ

فزوّج أُمَيَّةُ يزيدَ بن عبد المَدَان ابنته»[٢].

خبر يزيد وقيس بن عاصم في إطلاق أسير وشعره في ذلك:

ومن أخبار يزيد بن عبد المَدَان ما ذكره هشام بن الكلبي عن أبيه: أن رجلاً من بني جُشَم هوازن يُقال له عامر كان مجاوراً في بني عوف بن مُرة بن ذُبيان في نجد فأغار عليهم قيس بن عاصم المِنْقَري التميمي فأُسر عدة أُسارى بينهم عامر، ففدى القوم أسراهم وتركوا عامراً الهوازني، فأتى أخوه إلى موسم عكاظ فنادى قائلاً:

فيا ليتَ شِعري مَنْ لإطلاقِ غُلِّهِ ... ومَنْ ذا الذي يحظى به في المواسم

فسمع صوتاً ينادي بهذه الأبيات:

عليك بِذَا الحيّ مِنْ مَذْحِجٍ ... فإنَّهُمُ للرّضا والغَضَبْ
فَنَادِ يزيدَ ابن عبدَ المَدَانِ ... وقيساً وعمرو ابْن مَعْدِي كَرِبْ

فسار الرجل ـ واسمه عمرو ـ إلى قيس بن مكشوح المُرادي المذحجيّ (وهو فارس وقائد قبيلة مُراد باليمن) وكان بالموسم فقال له: إن قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي عامر مجاور فيهم فأخذه أسيراً فاستغثتُ بوجوه بني مُرّة فلم يغيثوني فأتيتُ الموسم فناديتُ بكذا، فسمعتُ صوتاً أجابني بكذا وكذا، وقد بدأتُ بك لِتَفُكَّ أخي. فقال له قيس بن مكشوح: واللّه إن قيس بن عاصم لَرَجُلٌ ما قارضتُه معروفاً قَطّ ولا هو لي بجار ولكن اشْتَرِ أخاك منه وعليَّ الثَّمن، ولا يَمْنَعك غلاؤه.

ثم أتى ـ إلى ـ عمرو بن معدِي كرب الزُّبَيْديّ (وهو فارس مذحج) فقال له مثل ذلك، فقال عمرو: هل بدأت بأحد قبلي؟ قال: نعم، بقيس بن المكشوح، قال: عليك بمن بدأت به. فتركه.

وأتى ـ إلى ـ يزيد بن عبد المَدَان فقال له: يا أبا النّضْر إنّ مِنْ قصّتي كذا

(١) النبع: نوع من الشجر تصنع منه الأقواس والنبال. العوسج: نوع من الشجر مليء بالشوك.
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٣/ ١٢.

وكذا. فقال له يزيد: مرحباً بك وأهلاً، أَبْعَثُ إلى قيس بن عاصم فإنْ هو وَهَبَ لي أخاك شكرتُه، وإلا أغَرْتُ عليه حتى يتّقيني بأخيك؛ فإنْ نلتُها وإلا دفعتُ إليك كلّ أسير من بني تميم بنجران فاشتريتَ بهم أخاك. قال الرجل: هذا الرضا.

فأرسل يزيد بن عبد المَدَان إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات:

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسِيراً مِنْ بَنِي جُشَمٍ ... إنّي لِكُلِّ الذي تأتِي بِهِ جَازِي

لا تَأْمَنِ الدَّهْرِ أَنْ تَشْجَى بِغُصَّتِهِ ... فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إحْمَادِي وإعْزَازِي

فافْكُكْ ـ أخا مِنْقَرٍ ـ عَنْهُ وقُلْ حَسَناً ... فيمَا سُئِلْتَ وعَقِّبْهُ بِإنْجَازِ

وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم، فأنشده إياها، ثم قال له: إن يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنّ المعروف قُرُوض، ومع اليوم غد، فأطلق لي هذا الجُشَمِيّ فإن أخاه قد استغاث واستجار بي، ولو أرسلتَ إليّ في جميع أُسارى مُضَر بنجران لقضيتُ حقك.

فقال قيس بن عاصم لِمَن حضره من بني تميم: هذا رسول يزيد بن عبد المَدَان سيّد مذحج وابن سيّدها ومَنْ لا يزال له فيكم يَدُ، وهذه فرصة لكم، فما ترون؟ قالوا: نرى أن نُغْلِيه عليه ونحكم فيه شططاً فإنه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله. فقال قيس: بئس ما رأيتم، أما تخافون سِجال الحروب ودُول الأيام ومجازاة القروض: فلما أبوا عليه قال: بِيْعُوْنِيْه. فاغلَوه عليه، فتركه في أيديهم، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى وأنّ الأسير لو كان في يده أو في بني مِنْقَر لأخذه وبعث به ولكنه في يد رجل من بني سعد.

فأرسل يزيد إلى السعديّ التميمي: أن سِرْ إليّ بأسيرك ولك فيه حُكمك. فأتى السعدي بأسيره إلى يزيد بن عبد المَدَان بنجران، فقال له يزيد: احْتَكِم، فقال: مائة ناقة ورِعاؤها. فأعطاه يزيد ما احْتَكَم. فجاوره الأسير وأخوه وعاشا عنده بنجران.

* * *

شعر يزيد في عتاب ابن الصّعق.. وأبيات أخرى:

كان آل الصّعق أسرة من قبيلة كندة اليمانية فتركوا كندة ودخلوا في بني كلاب القيسيين بنجد، وكان يزيد بن خُوَيْلد ابن الصَّعق يؤثر الناس على أهله ويُحاط بغير قومه، فقال يزيد بن عبد المَدَان يُعاتِبه:

أتَأْخُذُ أجْلافاً عَلَيْهَا عِبَاؤُهَا ... بِأَبْنَاءِ ثَوْرٍ إنَّ رَأْيَكَ أعْوَرُ[1]

---

(١) أجلاف: جفاة الطبع وهي صفة في الأعراب ويعني بها بني كلاب من قيس عيلان بنجد.
وأبناء ثور: هم كندة. قال ابن خلدون: اسم كندة ثور بن عفير بن عَدِي بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وتَـتْـرُكُ أنْ تَـلْـقَـاكَ أوَّلَ سُـبَّـةٍ مُلُوكُ بَنِي وَهْبٍ وَتَنْمِيْكَ حِمْيَرُ[١]
وتَفْخَرُ بالقَوم الأُلَىٰ لَسْتَ مِنْهُمُ وتَتْرُكُ قَوماً فَخْرُهُمْ لَكَ مَفْخَرُ
وإنْ كَانَ هذا الأَمْرُ شيئاً فَعَلْتَهُ فَنَحْنُ بِهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أخْبَرُ
وإنَّ أَبَاكُمْ نِيطَ مِنْ آلِ عَامِرٍ كَمَا نِيْطَ بالرَّحْلِ السِّقَاءُ المُوَكَّرُ[٢]

* * *

ومما يستشهد به النحويون من شعر يزيد بن عبد المَدَان قوله:

ولَسْتُ بِشَاوِيٍّ عَلَيْهِ دَمَامَةٌ إذا ما غَدَا يَغْدُو بِقَوْسٍ وأسْهُمِ
ولكِنَّنِي أغْدُو عَلَيَّ مُفَاضَةٌ دِلاصٌ أعْيَانِ الجَرَادِ المُنَظَّمِ

فالبيت الأول فيه شاهدٌ على قولهم (شاويّ) أي صاحب الشاءِ، على غير قياس، فالقياس أنَّ الهمزة لا تنقلب في حَدِّ النسب واواً، إلّا أن تكون همزة تأنيث كحمراء ونحوه. ومعنى البيت: أنّي لستُ صاحب وراعي شاةٍ يغدو معها إلى المَرْعى معه قوس وأسهم ليرمي الذئاب إذا عَرَضَت للغنم، ولكنني أغْدُو في طلب الفرسان وأقودُ الفرسان، وعَلَيَّ دِرْعٌ مُفَاضةٌ، والدروع المفاضة هي السابغة على الصدر واليدين، أو التي منها أكتافها، والدِّلاص: البَرَّاقة.

وقوله (كأعيان الجراد) فيه شاهد على جمع عَيْنٍ على أَعْيَان. وقد شَبَّه رؤوس مسامير الدرع بعيون الجراد. والمُنَظَّم: الذي يتلو بعضه بعضاً.

* * *

ومما يُسْتَشهد به في أسماء الخيل قول يزيد بن عبد المَدَان:

وما شَعَرُوا بِالجَمْعِ حَتَّى تَبَيَّنُوا لَدَى شِعْبَةِ القَرْنَيْنِ رَبَّ المُزَنَّمِ[٣]
يَبُوعُ بِهِ العَطَّاسُ رافِعَ أَنْفِهِ لَهُ ذَمَرَاتٌ بالخَمِيْسِ العَرَمْرَمِ

قال ابن الكلبي: (العَطَّاس فرس عبد اللّه بن عبد المَدَان) وفي اللسان (العَطَّاس: فرس يزيد بن عبد المَدَان) وقوله (يبوع به العطاس..) أي يُمدّ باعه ويملأ ما بين خَطْوه. ورواه ابن الكلبي: «يَخُبّ به العَطّاسُ رافِع طَرْفه» وهو في اللسان (يخبّ... رأسه) أي يمشي، إذْ أنّ (يَخُبّ) نوع من السير، ولعل الأصوب رواية ابن الكلبي:

يَخُبُّ به العَطَّاسُ رافِعَ طَرْفِهِ لَهُ ذَمَرَاتٌ في الخَمِيْسِ العَرَمْرَمِ

(١) بنو وهب: من بيوت كندة أقيال حضرموت.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٦٠٥.
(٣) شعبة القرنين: اسم مكان. ومن معاني (المُزَنَّم: صِغارُ الإبل).

والذمرات: الأصوات. والخميس: الجيش.

* * *

ومن شعر يزيد بن عبد المَدَان في حماسة البُحْتري:

وكُنْتُمْ بَنِي عَمٍّ إذَا ما ظَلَمْتُمُ غَفَرْنَا وَإنْ نَظْلِمْكُمُ نَتَظَلَّم
فَلَمَّا رَأيْنَا أنْ هَذَا لَجَاجَةٌ وَطَالَتْ عَلَيْنَا غُمَّةٌ لَمْ تَبَرَّم(١)
كَفَأْنَا إلَيْكُمْ حَدَّنَا وَحَدِيدَنَا وكُنَّا مَتَى مَا نَطْلُبِ الوِتْرَ نَنْقُمِ(٢)

* * *

وقال نشوان الحميري في شمس العلوم: «البأس: الشدة في الحرب.. ورجل بئس: أي شجاع.. والبئيس: الشجاع.. ولا تبتئس من كذا أي لا تحزن ولا تشتك.. قال يزيد بن عبد المَدان:

فارسُ الخيل إذا ما وَلْوَلَتْ رَنَّة الخَيِّلِ بصوتٍ مُبْتَئِسْ»(٣)

* * *

شعر يزيد في يوم حَلُوم.. وجوابه على دُرَيْد بن الصِّمّة:

جَمَع دُرَيْد بن الصِمة الجُشَميّ الهوازني قبائل سُلَيْم وقبائل نصر وعامر الهوازنية القَيْسِيَّة في نجد وما بين نجد والطائف وأغاروا على منطقةٍ يقال لها (حَلُوم) في أرض نجران ونهبوا إبِلاً وغَنَماً، فبلغ ذلك يزيد بن عبد المَدَان فانْطَلَق في مِقْنَبٍ من الخيل (والمِقْنَب ما بين الثلاثين إلى الثلاثمائة) فأدركهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فَقُتِل خالد بن الصَمَّة وانهزم دُرَيْد وبقية الذين معه وولوا الأدبار، واستنقذ يزيد ما كان في أيديهم من النَّعَم (الإبل/ المواشي) وعاد بالظفر إلى مدينة نجران، وقال هذه القصيدة(٤):

ألَا أبْلِغَا هَمْدَانَ والحَيَّ مَذْحَجاً وكِنْدَةَ والرَّوْقَيْنِ مِنْ آل بَارِقِ(٥)
بِأَنَّ سُلَيْماً قَضَّها وقَضِيضَهَا وَنَصْراً وَحَيَّيْ عَامِرٍ في الفَيَالِقِ(٦)

---

(١) اللجاجة: التمادي.

(٢) حدنا: بأسنا، مأخوذ من حدّ السيف. حديدنا: قوتنا. الوتر: الثأر.

(٣) شمس العلوم ـ نشوان الحميري ـ ص ٢٠٩/١.

(٤) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٢٦١.

(٥) همدان: قبائل همدان بن زيد وهم حاشد وبكيل. حيّ مذحج: قبائل مذحج. كندة: قبيلة كندة بحضرموت. آل بارق: قبيلة بارق الأزدية في عسير. وجميعهم قبائل يمانية قحطانية.

(٦) سُلَيْم: قبيلة سُلَيْم بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان النجدية.

=

أَتَونَا بِجَمْعٍ يُضْلِعُ الأَرْضَ رَزُّهُ ... لَهُ لَجَبٌ عَالٍ كَصَلْقِ الصَّواعِقِ (١)
فَمَا وَرَدُوا نَجْرَانَ حَتَّى بَدَتْ لَهُمْ ... تَوَابِعُ مِنْ نَجْلِ الصَّرِيحِ وَلاحِقِ (٢)
مُحَرَّجَةَ الأَلْبَابِ مَجْلُوزَةَ الشَّوَىٰ ... مُعَاوِدَةَ الإِقْدامِ فِي كُلِّ مَأْزِقِ (٣)
يُسَوِّمُهَا الدَّيَّانُ لِلْغَزْوِ بُدَّناً ... وَتَرْجِعُ أَمْثَالَ السُّيُوفِ الذَّوَالِقِ (٤)
تَنَادَوا فَقَالَتْ عَامِرٌ: يَالَ عَامِرٍ ... هُوَ اليَومُ فَأَرْمُوا جَمْعَهُمْ بِالبَوَارِقِ (٥)
فَنَادَيْتُ: يا حَارِ بْنَ كَعْبٍ، فَأَقْبَلَتْ ... عَرَانِيْنُ أَمْثَالَ المحالِ المحانِقِ (٦)
وحَسَرْتُ عَنْ رَأْسِي القِنَاعَ وَقَلَّمَا ... يُحَسَّرُ إِلَّا فِي نُزُولِ البَوَائِقِ (٧)
فَأَوْرُوا شِرَارَ البِيْضِ بِالْبِيضِ وانْتَمُوا ... إِلَى الحارِثِ البُهْلُولِ حَارِ الغَرَانِقِ (٨)
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ ... وَنَادَيْتُ أُخْرَى جَشِّمُونِي مَوَاثِقِي (٩)
فَكَانُوا كَشَاءٍ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُها ... مُرَوَّعَةٍ بالجَوِّ مِنْ نَعْقِ نَاعِقِ (١٠)

* * *

= ونصر: قبيلة نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن قيس عيلان، منهم مالك بن عوف قائد هوازن في محاربتهم للنبي ﷺ يوم حُنَيْن. وعامر: قبائل عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، قَضّها وقضيضها: أي كُلّها. الفيالق: جمع فيلق، وهو الجيش أو الجَمع الكثير.

(١) يُضْلِعُ: يُثْقِلُ. رَزُّهُ: ثقله. . اللَّجب: صوت العسكر. الصَّلْقُ: الصوت الشديد.

(٢) نجران: أرض ومخلاف نجران وليس مدينة نجران لأنه كما قال ابن المجاور «نجران: إقليمُ طويلُ عريضُ من اليمن». وكان مخلاف نجران يمتد إلى تخوم الطائف وتخوم نجد واليمامة كما سلف التبيين.
التَّوابع: الخيل يتبع بعضها بعضاً. الصريح: الأصيل، والصَّريح ولاحق: فرسان عتيقان تفاخرت العرب بسلالتهما. وقال نشوان:
فَشَكُوا إِلَيْهِ فَزَارَهُم بِمَقَانِبٍ ... فِيهَا صُرَاحُ ينتمي لِصُرَاحِ

(٣) مُحَرَّجة: في أعناقها حِرْجُ وهو خَرزٌ يُعلق في أعناقها. الألباب: جمع اللَّبَب وهو موضع المَنْحَر مِنْ كل شيء. مجلوزة: معصوبة الخلق واللحم. الشّوى، شوى الفَرَسِ: قَوَائمُه.

(٤) الديان: أي بنو الديان. البُدَّن: الجياد البُدّن، واحدها بادنٌ وبادنه. الذوالق: جمع الذّولق وهو حدّ الشيء وطَرَفُه.

(٥) البوارق: أي السيوف البوارق، يُقال أَبْرَقَ فلان بسيفه إبراقاً إذا لمع به، ويقال رأيتُ البارقة: ضوءَ بَرْقِ السيوف.

(٦) يا حار بن كعب: يا بني الحرث بن كعب، عرانين: أُسُود، المحال: شديد القوة. المحانق: مِن الإبل الضّامرة.

(٧) حسَرت: كشفت. القناع: خوذة الرأس التي ربما تغطي الوجه أيضاً، البوائق: الدواهي.

(٨) شِرار البيض: أي شرارة السيوف. الحارث وحار: هو الحرث بن كعب. البُهلُول: الكريم.

(٩) دارت رَحَانا: أي انتصرنا. استدارت رحاهم: انهزموا.

(١٠) الجوّ: ما اتسع من الأرض وبَرَزَ. والجوّ أيضاً اسم أرض باليمامة.

وبلغ يزيد بن عبد المَدَان شعراً لدريد بن الصِّمّه يتوعد فيه بالغارة على نجران، أوله «لستُ للصِّمَةِ إنْ لم أرْمِكم» فقال يزيد بن عبد المَدَان:

نُبِّئْتُ أَنْ دُرَيْداً ظَلَّ مُعْتَزِماً ... يَهْدِي الوَعِيْدَ إِلَى نَجْرَانَ مِنْ حَضَنِ [(١)]

يَعْوِي عُوَاءَ كَكَلْبِ الحَيِّ مُنْجَحِراً ... مَنْ ذَا يُوَاعِدُنَا يَومَ الوَغَى يَحِنِ [(٢)]

إِنْ تَلْقَ حَيَّ بَنِي الدَيَّانِ تَلْقَهُمُ ... شُمَّ الأُنُوفِ إِلَيْهِمْ غُرَّةُ اليَمَنِ

مَا كَانَ فِي النَّاسِ للديَّانِ مِنْ شَبَهٍ ... إِلَّا رُعَيْنُ وإِلَّا آلُ ذِي يَزَنِ

أَغْمِضْ جفُونَكَ عَمَّا لَسْتَ نَائِلَهُ ... نَحْنُ الَّذِينَ سَبَقْنَا النَّاسَ (بِالزَّمَنِ)[(٣)]

نَحْنُ الَّذِين تَرَكْنَا خَالِداً عَطِباً ... وَسْطَ العَجَاجِ كَأَنَّ المَرْءَ لَمْ يَكُنِ [(٤)]

أَوْرَى زِيَادُ لَنَا زَنْداً وَوَالِدُنَا ... عَبْدُ المَدَانِ فَأَوْرَى الزَّنْدَ مِنْ قَطَنِ

إِنْ تَهْجُنَا تَهْجُ أَنْجَاداً شَرَامِحَةً ... بِيْضَ الوُجُوهِ مَرَافِيْداً عَلَى الزَّمَنِ [(٥)]

ولم يجرؤ دريد بن الصِّمّه على الاقتراب مِنْ أرض نجران بعد ذلك إلا زائراً ليزيد بن عبد المَدَان وأثنى عليه بأبيات من الشعر.

وفادة الأعشى إلى يزيد بن عبد المَدان وكعبة نجران:

وكان الشاعر الجاهلي الأعشى ـ أعشى قيس ـ يَفِدُ من منطقته بأرض اليمامة إلى زعماء اليمن الأقيال الذين كانوا ملوكاً على مناطقهم وقبائلهم في تلك الحقبة من الجاهلية، ويحتوي ديوان الأعشى على أشعاره التي قالها في وفاداته إليهم، ومنهم الملك قيس بن معدي كَرِب الكِنْدي في حضرموت، والملك القَيْل سَلَامَة ذو فائش الحميري في إرياب (سَرْو حِمْيَر/ لواء إب)، والقَيْل فهد بن النعمان بن ذي رُعَيْن في المعافر (تعز) ويزيد بن عبد المَدَان في نجران، ومن شعر الأعشى ـ في ديوانه ـ قوله:

«وكَعْبَةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عَلَيْكِ ... حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوَابِهَا

---

(١) (معتزماً): يقال اعتزَمَ الرجلُ طريقه: مضى فيه ولم يَنْثَنِ. حَضَنْ: اسم جبل بأعلى نجد، قال ياقوت (وهو أول حدود نجد) وكذلك حَضَنْ: اسم موضع بأعالي نجران. والمراد هنا حَضَن في نجد.

(٢) المنجحر: الداجن في جُحره. يَحِن: يهلك. وجاء في كتاب الأغاني (كالكلب يعوي إلى بيداء مُقْفِرة).

(٣) في الحماسة «فاغضض جفونك عمّا أنت قائله» وآخر البيت في الأغاني (بالدّمن) وفي الحماسة (بالمنن) وفي الدامغة (بالزمن).

(٤) تركنا خالداً: أي خالد بن الصمة: العطب: الهلاك. العجاج: غبار المعركة.

(٥) أنجاد: شجعان. شرامحه: جمع شَرْمَح وهو الطويل القوي. المرافيد: الذين لا ينقطع رِفدهم أي عطاؤهم عبر الزمن.

نَـزُورُ يَـزِيْـدَ وعَـبْـدَ الـمَـسِيـحِ وقَـيْـسـاً، هُـمُ خَـيْـرُ أَرْبَـابِـهَـا
إذا الـحَـبَـراتُ تَـلَـوَّتْ بِـهِـمْ وَجَـرّوا أَسَـافِـلَ هُـدَّابِـهَـا

وجاء في هامش الديوان «الحبرات: الواحدة حبرة، نوعٌ من برود اليمن»[١] والبرود: جمع بُرد وهو رِدَاءٌ مَخَطَّطُ ومُطَرَّزٌ بخيوط من الحرير والذهب كان يرتديه ملوك وأقيال اليمن. قال أميّة بن أبي الصَّلت لسيف بن ذي يزن:

«وأَسْبِـلِ الـيـومَ مِـنْ بُـرْدِيكَ إسْبَـالا»

وقد ذكر الأعشى (كعبة نجران) وهي التي قال عنها ابن خلدون: «وبنجران كعبة نجران، بُنِيت على هيئة غُمْدَان كعبة اليمن، وكانت طائفة من العرب تحج إليها وتنحرُ عندها وتُسَمَّى الدير، وبها كان قس بن ساعدة يتعبد»[٢] وجاء في تحقيق عن آثار نجران أنه «تقع آثار كعبة نجران على قمة جبل تصلال على بعد ٣٥ كلم من مدينة نجران، وقد ذكرت كتب التاريخ أنها بُنِيت على أيدي بني عبد المَدَان بن الدَّيَّان الحارثي، وشُيِّدت على طراز الكعبة. ويُقال إن العرب في الجاهلية حجوا إليها مدّة أربعين سنة»[٢] ويدل ذلك على أن يزيد بن عبد المَدَان كان مِنْ بُنَاة كعبة نجران، وذلك في عهد رئاسة أبيه عبد المَدَان لمذحج ونجران ـ غالباً ـ حيث كان يزيد وأخوته يشتركون في الرئاسة مع أبيهم، وقد تم تشييدها على هيئة كعبة قصر غُمدان بصنعاء وعلى طراز كعبة مكة. وكانت طائفة من العرب يحجون إلى كعبة نجران ويزورونها وينحرون ويتعبدون فيها، وذلك أيام رئاسة عبد المَدَان ثم أيام رئاسة يزيد بن عبد المَدَان ـ إلى حوالي عام ٦٢٠ م ـ فقد كان قس بن ساعدة يتعبد بها، وكان أعشى قيس يزورها، وقد ذكر ابن خلدون أنها كانت «تُسَمَّى الدير» ـ ويتفق اسم (الدير) مع وجود الديانة المسيحية بنجران ـ وجاء في مادة (ربّ) بالقواميس «الرَّبَّةُ: كعبة بنجران لمذحج وبني الحرث بن كعب كان يُعظِّمُها الناس». وهي كعبة نجران المذكورة في شعر الأعشى.

وقال الأعشى: «نزورُ يزيدَ وعبد المسيح وقيساً هُمُ خير أربابها». ويزيد هو الرئيس يزيد بن عبد المَدَان، بينما عبد المسيح هو الأيهم عبد المسيح بن أبيض الحارثي وهو (العاقب) أي الرئيس الديني أو أسقف نجران، وقيس هو القائد قيس بن الحُصَين بن شداد بن قَنَان الحارثي وهو أحد (فوارس الأرباع). فهذا البيت فيه إشارة إلى النظام الذي كان سائداً في ذلك الزمن بنجران والذي يتمثل في وجود

(١) ديوان الأعشى ـ ص ١٦.
(٢) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد الفرح ـ ص ٦٧٠.

رئيس هو يزيد بن عبد المَدَان، وعاقب هو عبد المسيح، وقائد حربي هو الحُصَين أبو قيس بن الحصين حيث كان قيس أحد وأشهر أبناء الحُصَيْن (فوارس الأرباع) ثم صار قيس قائداً بعد أبيه في أواخر ذلك العهد.

* * *

خبر يزيد بن عبد المَدَان في غزوة يوم الكُلَاب:

وقد شهد يزيد بن عبد المَدَان غزوة يوم الكُلَاب التي كان من خبرها أنّ رجلاً أتى من طريق نجد إلى نجران فأخبر بني الحارث بأن بعض أحياء قبيلة تميم أَلْقَا مطروحون في قِدة وادي الكُلاب بنجد ولديهم أموال ونَعَم كثيرة، وأغراهم بغزوهم، فاستشار بنو الحارث كاهنهم المأمور فَنَهَاهُم عن الغزو، وكانوا لا يتقدمون إلا بمشورة ورأي المأمور، فلما نهاهم عن غزو تميم، امتنع أغلبُ بني الحارث ومذحج عن الغزو، ولكن فرقة منهم عَصَوْه، حيث ـ كما جاء في كتاب أيام العرب ـ «استشاروا كاهنهم المأمور الحارثي، فأشار عليهم بالكفّ، ولكنهم عَصَوْه، وخرجوا لغزو تميم، وجعلوا عليهم أربعةَ رؤساء كلٌّ منهم اسمه يزيد: يزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المخرِّم، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن أَلْيَكْسُم، ومعهم عبد يغوث بن صَلَاءَة الحارثي، وكان مع كل واحد منهم ألفان، فاجتمع لهم ثمانية آلاف»[1]. فلما غزوا تميماً بمنطقة ماء الكُلَاب في أقاصي نَجد (بين نجد والعراق) تجمعت وتنادت كل قبائل تميم، وترأسهم النعمان بن جساس التميمي، فوقع قِتَالٌ وسقط النعمان بن جساس قتيلاً، قَتَلَهُ يزيد بن شداد الحارثي ـ وهو وليس يزيد بن أليكسم رابع اليَزيدين ـ وفي اليوم التالي وصلت قبيلة مُقَاعص مدداً لتميم، فصار جمعهم كثيراً، فرأى أغلب قادة وفرسان بني الحارث ومَنْ معهم الانسحاب، فلما أخذوا في الانسحاب، قال رجل من تميم:

«يـا قَـوْمُ لا يُـفْـلِـتْـكُـمْ الـيَـزِيْـدَانْ
يَـــزِيْـــدُ حَـــزْنٍ ويَـــزِيْـــدُ الـــدَّيَّـــان
مُـــخَـــرِّمـــاً أغْـــنِـــي بـــه والـــدّيـــان»

أي يزيد بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان، ويزيد بن مُخَرِّم بن حَزْن الحارثي، وقد انسحب ومضى اليَزِيْدَانُ بكتيبتيهما إلى نجران، وكذلك يزيد بن هوبر، ويزيد الرابع، ووعْلَة بن عبد اللّه الجَرْمِي، وقد زعمت إحدى روايات الأصفهاني في كتاب الأغاني أنهم قُتِلوا وذلك غير صحيح فقد ذكر الأصفهاني نفسه الروايات الصحيحة

(١) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٢٤.

بأنه وقع الشاعر عبد يغوث أسيراً فقتله بنو التيم بالنعمان بن جساس، وكذلك ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل وكذلك أيضاً جاء في أيام العرب، فالذي قُتِل هو عبد يغوث الحارثي، وقد سلف ذكر ذلك بالتفصيل في المبحث الخاص بعبد يغوث وقصيدته: (ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بِيَا) ـ أما يزيد بن عبد المَدَان والآخرون فانسحبوا بسلام وعادوا إلى نجران. ثم قاد الحُصَيْن الحارثي غزوة أَثْخَنَ فيها ببني تميم وعاد بالظفر إلى نجران كما سلف التبيين.

* * *

أخبار وأشعار يزيد بن عبد المَدَان بعد يوم الكُلاب:

بعد غزوة يوم الكُلاب وقبل غزوة يوم فَيْف الرِّيح، بلغ يزيد بن عبد المَدَان كلاماً قاله عامر بن الطُّفَيْل سيّد قبيلة عامر بن صعصعة الهوازنية في نجد وفارس قيس عَيْلان، فقال يزيد بن عبد المَدَان قصيدة ذكرها الأصفهاني[1] وهي:

يَـا لَـلـرِّجَـالِ لِـطَـارِقِ الأَحْـزَانِ ... وَلِـعَـامِـرِ بْـنَ طُـفَـيْـلِ الـوَسْـنَـانِ

كَـانَـتْ إِتَـاوَةُ قَـومِـهِ لِـمُـحَـرِّقٍ ... زَمَـنـاً وَصَـارتْ بَـعْـدُ لِـلـنُّـعْـمَـانِ[2]

عَـدَّ الـفَـوَارِسَ مِـنْ هَـوَازِنَ كُـلِّـهَـا ... فَـخْـراً عَـلَـيَّ وجِـئْـتُ بـالـدَّيَّـانِ

فـإِذَا لِـيَ الـشَّـرَفُ الـمُـبِـيْـنُ بِـوَالِـدٍ ... ضَـخْـم الدَّسِيعَةِ زَانَنِي ونَمَانِي[3]

يَـا عَـامِ إِنَّـكَ فَـارِسٌ ذُوْ مَـيْـعَـةٍ ... غَـضُّ الـشَّـبَـابِ أَخُـوْ نَـدىً وَقِـيَـانِ[4]

واعْـلَـمْ بِـأَنَّـكَ يَـابْـنَ فَـارِسِ قُـرْزُلٍ ... دُوْنَ الَّـذِي تَـسْـعَـى لَـهُ وَتُـدَانِـي[5]

لَـيْـسَـتْ فَـوَارِسُ عَـامِـرٍ بِـمُـقِـرَّةٍ ... لَـكَ بـالـفَـضِـيْـلَـةِ فـي بَـنِـي عَـيْـلانِ

فَإِذَا لَـقِـيْـتَ بـنـي الـحِـمـاسِ وَمَـالِـكٍ ... وَبَـنِـي الـضِّـبَـابِ وَحَـيَّ آل قَـنَـانِ[6]

---

(١) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٤/ ١٢.

(٢) كانت قبائل هوازن وقيس عيلان تؤدي إتاوة مالية للملك المُحَرِّق عمرو بن المنذر ثم للنعمان بن المنذر ملك الحيرة إلى عام ٦٠٢م.

(٣) الدسيعة: العطاء. زانني: زيَّنني.

(٤) يا عام: يا عامر. والقِيَان: الجواري.

(٥) فارس قُرزُل هو الطفيل والد عامر، وقد هرب ونجا بفضل فرسه قُرْزُل في أيام عبد المدان بن الديان وقال عبد المدان في ذلك:

فَـغَـادَرْنَ وَبْـراً تَـحْـجِـلُ الـطَّـيْـرُ حَـوْلَـهُ ... وَنَـجَـا طُـفَـيْـلاً فـي الـعَـجَـاجَـةِ قُـرْزُلُ

(٦) بنو الحماس: هم بنو عامر بن ربيعة بن كعب بن الحارث. مالك: بنو مالك بن كعب بن الحارث. الضِّباب: بنو سَلَمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث. آل قَنَان: بنو قَنَان بن سَلَمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن كعب، ومنهم القائد الحصين بن يزيد بن شَدّاد بن قَنَان الحارثي وأولاده فوارس الأرباع.

فَاسْأَلْ عَنِ الرَّجُلِ المُنَوَّةِ بِاسْمِهِ … والدَّافِعِ الأعْدَاءَ عَنْ نَجْرَانِ
يُعْطَى المَقَادَةَ فِي فَوَارِسِ قَوْمِهِ … كَرَماً، لعَمْرُكَ، والكَرِيمُ يَمَانِي»[١]

والرجل المنوَّه باسْمِه والدَّافع الأعداء عن نجران هو يزيد بن عبد المَدَان نفسه، قال الشاعر:

ولولا بنو عبد المَدَان وخَيْلُها … لزاركَ يا نَجْرانُ بعضُ القبائل

وقوله (يُعْطَى المَقَادَةَ) قد يكون أيضاً (يُعْطِي المَقَادَةَ) أي يُعطِي القيادة لغيره من فوارس قومه، وقد تولى قيادة فرسان بني الحرث بن كعب وسائر فرسان مَذْحج وخَثْعم ونَهْد الحُصَين بن يزيد بن شَدّاد الحارثي في غزوة يوم (فَيْف الرِّيْح) التي قادها الحُصَين ضد قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية في نجد وكان عامر بن الطفيل هو قائد عامر بن صعصعة وهوازن في يوم فَيْف الريح فطعنه مُسْهِر بن يزيد الحارثي في عينه، وانهزم عامر وقومه، وعاد الحصين ورؤساء وفرسان مذحج وخثعم ونَهْد بالنصر والأُسارى إلى نجران، وقد جاء في كتاب الأغاني أنه: «أَسَرَ يزيدُ بن عبد المَدَان مُلاعِبَ الأسنَّة عامر بن مالك العامري وأخاه عَبِيْدة في غَزاةٍ له، ثمَّ أنْعَم عليهما»[٢]. ولم تذكر الرواية اسم تلك الغزوة فقد يكون ذلك في غزوة يوم فَيْف الريح، وقد سلف ذكرها بالتفصيل في المبحث الخاص بالشاعر مُسْهِر بن يزيد الحارثي وأنه «قال أبو عبيدة: كانت وقعة فَيْف الريح وقد بُعِثَ النبيّ ﷺ بمكة»[٣]. أي بعد البعثة وقبل الهجرة إلى يثرب، فيكون ذلك حوالي عام ٦١٥م.

* * *

ثم كان يزيد بن عبد المَدَان أحد الرؤساء الذين ذكر المؤرخ الرازي أنه: «اجتمع جماعة من الرؤساء فتشاوروا وأَجْمَعُوا على حرب باذان بن ساسان في زمن كسرى بن هُرْمُز وكان اجتماعهم بِمذَاب من الجوف، وكان فيهم عمرو بن مَعْدِي كَرِب الزُبَيْديّ وعنبسة بن زيد الخولاني والحصين بن قَنَان الحارثي ويزيد بن عبد المَدَان وشهاب بن الحصين، مع جماعة من الفرسان والأشراف، فعسكروا عسكراً عظيماً وجمعوا جمعاً كثيفاً. وبَلَغ ذلك باذان فخرج إليهم في خيل الأساورة من صنعاء، وخرجت همدان في لقائه في زهاء عشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل في عدة كاملة.. فعرضوا على باذان النُّصْرَةَ والحلف، فسرّه ذلك وسارع إليه

---

(١) قوله (والكريم يماني) يُضاهي قول أبي الطيب المتنبي بعد مئات السنين:
وَمَجْدِي يَدُلُّ بني خندفٍ … عَلَى أنّ كُلّ كريمٍ يَمَانِي
(٢) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ١٢/٢٦.
(٣) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٣٣.

فَحَالَفَهُم وعاقدهم. .»[١] وقد أدى تحالف همدان مع باذان الحاكم الفارسي بصنعاء إلى إخفاق التجمع والعمل الذي كان من قادته يزيد بن عبد المَدَان من أجل محاربة باذان والفرس الأساورة بصنعاء وتحريرها منهم، فقد رجع باذان وأصحابه إلى صنعاء، وتَصَدَّرت همدان لمحاربة الذين تجمعوا بالجوف للزحف إلى صنعاء وهم رؤساء وفرسان مذحج بصفة رئيسية، فتوقفت فكرة الزحف لمحاربة الفرس بصنعاء، ورجع يزيد بن عبد المَدَان وغيره من القادة والرؤساء إلى مناطقهم، وفي عقب ذلك كانت الهجرة النبوية إلى يثرب، ثم موقعة يوم الرَّدْم بالجوف بين مذحج وهمدان في شوال سنة ٢هـ والتي قُتِل فيها شهاب بن الحصين الحارثي أحد فوارس الأرباع، وقد سلف ذكرها في المبحث الخاص بالأجدع بن مالك الهمداني، وقد تجنبت مذحج وهمدان تصعيد الصراع بعد يوم الرَّدْم، وانصرف الاهتمام إلى الأمر الأعظم وهو دعوة الإسلام التي يدعو إليها النبي محمد ﷺ.

* * *

لقد كانت الديانة المسيحية هي الديانة الرئيسية في منطقة نجران وعدة مناطق أُخرى باليمن منها مناطق رُعَيْن وسَرْو حِمْيَر التي كان يتزعمها الحارث بن عبد كُلال ذي رُعَيْن وسلامة ذو فائش الحميري، وكان أغلب قبيلة بني الحرث بن كعب في نجران يدينون بالمسيحية ومنهم آل الديان، فبعثوا وفداً إلى النبيّ ﷺ بيثرب، وجاء في كتاب السيرة النبوية أن ذلك سنة ٢هـ، وفي كتاب الوثائق (سنة ٤ هجرية) فجاء في كتاب السيرة أنهم «ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم. . فلما قَدِمُوا على رسول اللّه ﷺ المدينة دخلوا عليه في مسجده، عليهم ثياب الحَبَرات: جُبَبُ وأردية، في جَمَال رجال بني الحرث بن كعب. قال بعض من رآهم يومئذٍ: مَا رأينا وَفْداً مثلهم. . وكانت تسمية الأربعة عَشَر الذين يؤول إليهم أمرهم: العاقب وهو عبد المسيح، والسَيِّد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، وأوس، والحارث، وزَيْدُ، وقَيْسُ، ويزيد، ونَبيْه، وخُويلد، وعمرو، وخالد، وعبد اللّه، ويُحَنَّس، في ستين راكباً»[٢].

فالأسماء المذكورة من بينهم العاقب عبد المسيح ابن الأبيض الحارثي وهو الزعيم الديني ـ أسقف بني الحرث بن كعب ونجران ـ وهو المذكور في قول الأعشى:

تَـزُورُ يـزيـدَ، وعَـبْـدَ الـمـسـيـحِ، وقَـيْـسـاً، هُـمُ خَـيْـرُ أرْبَـابِـهَـا

وقد جاء من أسماء الوفد (. . قيس، ويزيد) ولم تنسبهما الرواية، ويمكن

(١) تاريخ مدينة صنعاء ـ الرازي ـ ص ٣٧.
(٢) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٠٤ و٢٠٦/٢.

إدراك أنهما قيس بن الحصين، ويزيد بن عبد المَدَان، فالثلاثة الذين ذكرهم الأعشى كانوا في الوفد. وكان في الوفد أيضاً (السَيِّد وهو الأَيْهَمْ) وهو الأسوَد بن عَلْقَمَة الحارثي، ومعنى الأسود: السَيِّد المُسَوّد. وأبو حارثة بن علقمة الحارثي، وقد جاء في قول عبد يغوث (. . أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما. . » أن أبا كرب هو بِشْر بن علقمة بن الحارث الحارثي، فقد يكون هو نفسه (أبو حارثة بن علقمة) ما لم فهو أخوه. والأيهمان: العاقب عبد المسيح والسَيِّد بن علقمة كانا في الوفد. ومن الأسماء المذكورة في الوفد «. . الحرث. . وعمرو. . وعبد اللَّه» ويبدو أنهم (عبد الحرث بن أنس بن الديان. وعمرو بن عبد اللَّه الضَبَّابي الحارثي، وعبد اللَّه بن عبد المَدَان، أو عبد اللَّه بن قُرَاد الزيادي الحارثي). وبالتالي نعرف ثمانية من أشراف ذلك الوفد الذين يؤول إليهم أمرهم.

وقد مكث ذلك الوفد بالمدينة عدة أسابيع، وجرت محاورات ومُحَاجِجات حول المسيح ودين التوحيد. وجاء في السيرة أنهم «قالوا للنبي ﷺ: دَعْنَا نَنْظُر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دَعَوْتَنَا إليه، فانصرفوا عنه، ثم خَلَوْا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا له: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: واللَّه لقد عرفتم أنَّ محمداً لنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولقد جاءكم بالفَصْلِ من خبر صاحبكم (أي المسيح). . فإن كنتم قد أَبَيْتُم إلّا إلْفَ دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فَوادِعُوا الرجُلَ ثم انصرفوا إلى بلادكم»[1].

فأخبروا النبي ﷺ بأنهم يريدون البقاء على دينهم وموادعته ومعاهدته، وجاء في كتاب الوثائق خبر ذلك الوفد إلى النبي ﷺ وأنه «كتب لهم عهداً» وعن طبقات ابن سعد أنه «كتَبَ لأسقف بني الحرث بن كعب»[2] أي كَتَبَ العهد باسمه لبني الحارث وأهل نجران، وأن ذلك كان (سنة ٤ هجرية)، فرجعوا إلى نجران، وقد استمر ذلك التوادع والتعاهد إلى شهر ربيع سنة ١٠هـ.

* * *

إسلام ووفادة يزيد بن عبد المَدَان إلى رسول اللَّه ﷺ:

كان الإسلام قد أخذ ينتشر في أرجاء اليمن منذ وقت مبكر، ثم في رجب سنة ٩هـ أعلن ملوك وأقيال حِمْيَر الإسلام ومنهم الحارث بن عبد كُلال ذو رُعَيْن وآل عبد كُلال ـ الذين كانوا يدينون بالمسيحية ـ وكتب القَيْل زُرْعَة بن سيف بن ذي يزن بإسلامهم إلى رسول اللَّه ﷺ وبعث رسولاً بإسلامهم إلى المدينة، وكذلك وصل

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٠٤ و٢٠٦/٢.

(٢) الوثائق السياسية للعهد النبوي ـ محمد حميد اللَّه ـ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

إلى المدينة فروة بن مُسيك المرادي وعمرو بن معدي كرب وقيس بن مكشوح المرادي في وفد من قبائل مذحج، ومالك بن نَمط الهمداني في وفد همدان والأشعث بن قيس في وفد كندة، والتقوا برسول اللّه ﷺ وبايعوه مُنْصَرفة من تبوك - في رمضان سنة ٩هـ - فولّى وبعث النبي ﷺ العمال إلى مناطق اليمن ومنهم فروة بن مُسيك حيث - كما جاء في السيرة - «استعمل رسول اللّه ﷺ فروة بن مسيك المرادي على مراد وزُبَيْد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاصي على الصدقة» - وكان الإسلام قد انتشر في مناطق وقبائل مخاليف نجران وسراة أعالي اليمن ومذحج باستثناء بني الحرث بن كعب لوجود العهد بينهم وبين رسول اللّه ﷺ مما أدى إلى تأخر إعلان إسلامهم فلما نزلت (سورة براءة) في ذي الحجة سنة ٩هـ وتم تأذين وإبلاغ الناس بأنّ (من كان بينه وبين رسول اللّه عهد فأجله أربعة أشهر» انتهى أجل العهود في شهر ربيع سنه ١٠هـ وكان فروة بن مسيك عامل النبيّ ﷺ على مذحج كلها ومعه خالد بن سعيد، وقد جاء في السيرة وعيون الأثر أنه «بعث رسول اللّه ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الثاني سنة ١٠هـ إلى بني الحرث بن كعب بنجران يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا، وأقام خالد يعلمهم الإسلام وكتب إلى رسول اللّه ﷺ بإسلامهم» وقد وقع التباس في الظن بأنه خالد بن الوليد وإنما هو خالد بن سعيد عامل الصدقة مع فروة بن مسيك، فأخبرهم بأن يسير وفدٌ منهم إلى رسول اللّه ﷺ فانطلق الوفد من نجران إلى المدينة في ربيع الثاني ووصلوا المدينة في جمادى الأولى، وكان بينهم - بل كان أهمهم - يزيد بن عبد المَدَان الذي زعمت إحدى روايات الأصفهاني أنه قُتِل في يوم الكلاب وقد انساق الباحث مقبل التام الأحمدي وراء ذلك الزعم وقال: «إن نباهة يزيد بن عبد المَدَان ما كانت لتَخْفى على الناس لو أدرك الإسلام، إذْ لم يكن في قومه خامل الذكر، ضعيف المُنّة، بل كان فيهم رأساً، عاش في كَنَفه خلقٌ كثير، والأرجح أنه قُتِل يوم الكُلاب، كما نصّ على ذلك أبو الفرج الأصفهاني». (اهـ) بينما الصحيح أن الأصفهاني إنَّما روى رواية تزعم ذلك وروايتين ليس فيها ذلك الزعم، والصحيح أن أنباء وأشعار يزيد بن عبد المَدَان تتابعت بعد يوم الكُلاب وقد أسلفنا ذكرها، ولم يكن خامل الذكر عندما سار في وفد بني الحرث بن كعب إلى رسول اللّه ﷺ سنة عشرة للهجرة، ولكنه كان قد بلغ مِن الكِبَرِ عتياً، وربما كان قد ناهز التسعين عاماً، ورغم ذلك فقد ذكرت وفادته كافة كتب السيرة والتاريخ وتراجم الصحابة بل وكان هو الوحيد من وفد بني الحارث الذي أجاب على رسول اللّه ﷺ وذلك لأنه كان فيهم رأساً. . وقد جاء في السيرة النبوية وعيون الأثر أنه «أقْبَلَ وفدُ بني الحرث بن كعب، منهم: قَيْسُ بن الحُصَيْن، ويزيد بن عَبْد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل،

وعبد اللّه بن قُرّاد الزيادي، وشَدَّاد بن عبد اللّه القَنّاني، وعمرو بن عبد اللّه الضَّبَابي. . فلما وقفوا على رسول اللّه ﷺ سَلَّموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول اللّه وأنّه لا إله إلا اللّه، فقال: وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنّي رسول اللّه، ثم قال: أنتم الذين إذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا؟ فسكتوا، ثم أعادها الثانية فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدَان: نَعَمْ يا رَسُول اللّه نحن الذين إذا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا، قالها أربع مِرار.

فقال رسول اللّه ﷺ: «لو أنّ خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسْلَمْتُم ولم تُقاتِلُوا لألْقَيْتُ رؤوسكم تحت أقْدَامِكُم، فقال يزيد بن عبد المَدَان: أمَا واللّه ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، قال: فَمَنْ حَمِدْتُمْ؟ قالوا: حمدنا اللّه عز وجل الذي هدانا بك يا رسول اللّه، قال: صَدَقْتُم.

ثم قال رسولُ اللّه ﷺ: «بِمَ كُنْتُم تَغْلِبُون مَنْ قَاتَلَكُمْ في الجَاهِلِيَّة؟» قالوا: لم نكن نغلب أحداً، قال: «بَلَىٰ قَدْ كُنْتُم تغلبون مَنْ قاتلكم، قالوا: كنَّا نَغْلِبُ مَنْ قاتَلَنَا يا رسول اللّه أنَّا كُنَّا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظُلم. قال: صدقتم»[(١)].

ومكث يزيد بن عبد المَدَان والذين معه من رجالات بني الحرث بن كعب في موكب رسول اللّه ﷺ بالمدينة إلى شهر شوّال، وصاروا من الصحابة، وكان منهم أيضاً ـ كما جاء في الإصابة ـ (عبد اللّه بن المَدَان بن الدَّيَّان) ومنهم (عبد الحارث بن أنس بن الدَّيَّان) وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة الربيع بن زياد بن أنَس بن الدَّيَّان: (قال أبو عُمر: له صُحبة)[(٢)] وكذلك قال ابن عبد البر في الاستيعاب: «الربيع بن زياد، له صُحبة»[(٣)] وكذلك جاء في ترجمة «كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي: ذكر ابن الأثير: أن له صُحبة ورواية». وكان وفد بني الحرث بن كعب «عليهم الحَبَرات: جُبَبٌ وأردية»، والحبرات: نوع من البرود اليمانية الثمينة يلبسها الأقيال والملوك. قال ابن هشام: «ورجع وفد بني الحرث بن كعب إلى قومهم في بقية من شوّال أو في صدر ذي القعدة. وأمَّرَ رسولُ اللّه ﷺ على بني الحارث قيس بن الحصين. فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول اللّه ﷺ»[(٤)]. وقد ثَبَتَ بنو الحرث بن كعب على الإسلام كغيرهم من قبائل ومناطق اليمن.

* * *

(١) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥/ ٤.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٥٠٤/ ١.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ص ٥١٦.
(٤) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ ص ٢٦٥/ ٤.

وفاة يزيد بن عبد المَدَان. . واستمرار الرئاسة في بني عبد المَدَان:

وفي حوالي سنة ١٢هـ توفي يزيد بن عبد المَدَان، في قلعة بني الدَّيَّان بنجران، وكان يزيد بن عبد المَدَان قد أَسَرَ في الجاهلية مُلاعبَ الأسِنَّة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وأخاه عَبِيْدة في غزاة له ـ إلى ما بين الطائف ونجد ـ ثم أطلق سراحهما وأنْعَمَ عليهما ومعهما أختهما زينب، وأعطاها أثواباً يمانية من أثواب وأردية بنات أقيال اليمن، وكان ذلك حوالي عام ٦١٥م، فلما مات يزيد (حوالي عام ٦٣٢م) وبلغها وفاته، رَثَته زينبُ بنت مالك أخت مُلاعب الأسنّة بقولها:

بَكَيْتُ يَزِيْدَ ابْنَ عَبْدِ المَدَان ... حَلَّتْ بِهِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا
شَرِيْكَ المُلُوكِ ومَنْ فَضْلُهُ ... يَفْضُلُ في المَجْدِ أَفْضَالَهَا

ولامَهَا بعض قومها على ذلك فقالت:

أَلا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَيَّ بِأَنَّنِي ... نِزَارِيَّةُ أَبْكِي كَرِيماً يَمَانِيَا
ومَا لِيَ لا أَبْكِي يَزِيْدَ ورَدَّنِي ... أَجُرُّ جَدِيْداً مِدْرَعِي ورِدائِيَا

وقالت أيضاً ترثيه:

سَأَبْكِي يَزِيْدَ ابْنَ عَبْدِ المَدَانِ ... عَلَى أَنَّهُ الأَحْلَمُ الأَكْرَمُ
رِمَاحٌ مِنَ العَزْمِ مَرْكُوزَةٌ ... مُلُوكُ إذا بَرَزَتْ تَحْكُمُ

* * *

ومن المفيد الإشارة إلى أنه تولى رئاسة بني الحرث بن كعب ونجران بعد يزيد بن عبد المَدَان أخوه عبد اللّه بن عبد المَدَان وذلك في إطار ولاية اليمن. قال الحافظ ابن حجر في ترجمته بكتاب الإصابة: «عبد اللّه بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان الحارثي، قال ابن حِبَان: له صُحبة، وقال ابن سعد: وفَدَ عَلَى النبي ﷺ. وذكره المرزباني وقال: كان هو وابنه مالك صديقين لعبد اللّه بن جعفر. وكان عبيد اللّه بن العباس صاهر عبد اللّه بن عبد المَدَان على ابنته، واستعانه على اليمن لما أَمَّرَه علي بن أبي طالب عليها»[(١)] ـ وقد ولى الخليفة علي بن أبي طالب عبيد اللّه بن العباس على اليمن سنة ٣٧هـ، وكان عبيد اللّه بن العباس متزوجاً ببنت عبد اللّه بن عبد المَدَان، وله منها ولدين، فاستعان عبيد اللّه بن العباس به على أعمال ولاية اليمن ـ أي على أعمال بعض مناطق اليمن ومنها نجران وأعالي اليمن ـ وفي سنة ٤٠هـ بعث معاوية بن أبي سفيان القائد بسر بن أرطأة مع فرقة من جند الشام إلى المدينة ومكة واليمن، فاستجاب أهل المدينة ثم مكة لطاعة معاوية وبايعوا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر ـ ص ٣٣٨/ ٢.

له دون قتال، ثم أقْبَلَ بسر بجند الشام اليمانيين إلى اليمن، قال الحافظ ابن حجر «لما بلغ عبيد اللّه بن العباس مسير بسر بن أرطأة مِنْ قِبَل معاوية إلى اليمن خرج عنها واستخلف صهره عبد اللّه بن عبد المَدَان.. وقَتَلَ بسرُ عبد اللّه بن عبد المَدَان وابنه مالكاً ووَلَدَيْ عبيد اللّه بن العباس، إبنيْ أخت مالك. فلما بلغ ذلك عبد اللّه بن جعفر قال:

ولولا أن تُعَنِّفَنِي قُرَيشٌ بكيتُ على بني عَبْد المَدَان
لهم أبوان قد عَلِمَتْ يَمانُ عَلَى آبائهم مُتَقَدِّمَانِ

وكان مقتلهما في إطار الفتنة والصراع بين الإمام عَليّ والذين معه ومعاوية والذين معه، فقد سقط في حروب الفتنة عدد كبير من الفريقين بالعراق والشام والجزيرة فكذلك كان مقتل عبد اللّه بن عبد المَدَان وابنه مالك باليمن. ثم ـ في سنة ٤١هـ ـ بايع الحسن بن عليّ وأصحابه معاوية بالخلافة، فاستتب أمر الخلافة لمعاوية (٤١ ـ ٦٠هـ) ثم يزيد بن معاوية (٦١ ـ ٦٤هـ) وكان (الربيع بن زياد بن أنس بن الدَّيَّان والياً لِسَجِسْتَان (٤٥ ـ ٥٠هـ) ثم والياً لبلاد خُرَاسان (٥٠ ـ ٥٣هـ) حتى وفاته، وكان كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي والياً لإقليم الرّيّ (شمال إيران) في خلافة معاوية ويزيد بن معاوية، وكان في تلك الحقبة بنجران (يزيد بن عبد اللّه بن عبد المَدَان) و (عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المَدَان).

وفي الجيل التالي حتى قيام الخلافة العباسية (عام ١٣١هـ) كان (زياد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المَدَان) و (الربيع بن عبيد اللّه) من أعلام الشخصيات، وكان أحد أبناء عبد الملك بن مروان قد تزوج (ريطة بنت عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المَدَان) وسكنت معه بالشام، وجاء في كتاب أخبار الدولة أنه «كانت ريطة تحت ولد عبد الملك بن مروان فنازعها في شيء يوماً من الأيام ففخرت عليه وذكرت سَلَفَها وأيامهم، فأحفظه ذلك، فَطَلَّقها.. فتزوجها محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس (سنة ١٠٠هـ) واشتملت منه على أبي العباس، وُلِد في ولاية يزيد بن عبد الملك»[1] وأبو العباس هو أبو العباس السفاح الذي أصبح أول الخلفاء العباسيين (سنة ١٣١هـ) وكان خاله زياد بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عبد المَدَان قد سار من اليمن وتولى أعمالاً بالكوفة ومشارقها في خلافة هشام بن عبد الملك، فلما قامت الخلافة العباسية كان لبني عبد المَدَان دورٌ أكبر، إذْ أنه:

ـ تولى اليمن (محمد بن يزيد بن عبد اللّه بن عبد المَدَان) سنة ١٣٢هـ وكان

---

(١) أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ ص ٢٠١.

قد بلغ من الكبر عتياً فمات بصنعاء، فتولى ولاية اليمن (عبد اللَّه بن مالك بن عبد اللَّه بن عبد المَدَان) ومات سنة ١٣٣هـ ثم تولى ولاية اليمن (علي بن الربيع بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المَدَان) سنة ١٣٣ ـ ١٣٧هـ.

ـ وكان (زياد بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المَدَان) والياً للحجاز واليمامة في خلافة أبي العباس سنة ١٣٣ ـ ١٣٥هـ ثم في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٣٦ ـ ١٤١هـ. وكان (علي بن الربيع) والياً لليمن إلى سنة ١٣٧هـ.

ـ ثم تولى ولاية اليمن عبد اللَّه بن الربيع سنة ١٣٧ ـ ١٤٢هـ ثم أصبح أميراً للحجاز سنة ١٤٤ ـ ١٤٦هـ.

ـ وتولى اليمن في خلافة هارون الرشيد (الربيع بن عبد اللَّه بن الربيع بن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد المَدَان) سنة ١٧٤هـ ثم في سنة ١٧٧ ـ ١٧٩هـ. وله قال الشاعر نصيب:

ألا أبْلِغا عني الربيع رسالة ربيع بني عبد المَدَان الأكارم

وهو آخر الولاة من بني عبد المَدَان لكل اليمن، ثم تواصلت رئاستهم لنجران، قال ابن خلدون: «ولم يزل المُلك بنجران في بني عبد المَدَان ثم في بني أبي الجواد منهم، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد». وقد استمرت رئاسة بني عبد المَدَان بنجران حتى سنة ٦٢٥هـ في القرن السابع الهجري[١].

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون ـ محمد حسين الفرح ـ ص ٦٧٢.

المبحث «٩٣»

يزيد بن المُخَرّم الحارثي

«أحد أصحاب يزيد بن عبد المَدَان»

هو الشاعر اليمني الجاهلي أبو الحارث يزيد بن المُخَرِّم بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب المذحجي. كان أبوه المُخَرِّم بن حَزْن من الشعراء والقادة في أيام عبد المَدَان بن الدَّيَّان، وكذلك كان أخوه (عمرو بن المخرِّم) شاعراً. وكان يزيد بن المُخَرِّم يُعرف بابن فَكْهَة - أو ابن فُكَيْهَة - وهي أُمّه. وهو من شعراء وفرسان أيام يزيد بن عبد المَدَان، ومن جيد شعره قوله:

وإذَا الفَتَى لاقَى الحِمَامَ رأيْتَهُ ... لَولَا الثَّنَاءُ كَأنَّهُ لَمْ يُولَدِ[1]

وأتَيْتُ أبْيَضَ سَابِغاً سِرْبَالُهُ ... يَكْفِي المَشَاهِدِ غَيْبَ مَنْ لَمْ يَشْهَدِ[2]

وكان يزيد بن المُخَرِّم يَمُرُّ في منطقة من مناطق حاشد في فترة خلاف قَبَلِيّ بين مذحج وهمدان فأحاط به جماعة من همدان وأسروه فقال في ذلك هذه القصيدة التي ربما بعثها إلى يزيد بن عبد المَدَان:

تَعَجَّبُ جارَتي لمَّا رأتْني ... كَذَاتِ النَّوْطِ مُخْدِرَتي جِراحِي[3]

كَأَنَّكِ لم تَرَيْ قَبْلِي أسِيراً ... يُقَادُ بِهِ عَلَى جَمَلٍ رَدَاحِ[4]

عَلَى آثارِ أحْمِرَةٍ وفِرْقٍ ... تُقَسَّمُ بينَ أغْوِلَةٍ شِحَاحِ[5]

---

(١) الحِمَام: الموت. قال الأعلم في شرح ديوان الحماسة «أي من مات محمودًا قام له الثناء مُقام الحياة، ومن مات بخلاف ذلك لم يبق له ذكر، فكأنّه لم يولد».

(٢) السربال: القميص والرداء. قال الأعلم: وأراد بالأبيض رجلاً مشهور الكرم، وكنّى بسبُوغ سِرباله عن طوله وتمامه، ويكون أيضاً يريد كثرة عطائه وسَعة معروفه. وقوله (يكفي المشاهد غيب من لم يشهد) أي إن غاب سيّد من سادات قومه ناب عنه منابَه في العطاء والرأي والكرم.

(٣) تعجَّب: تتعجب. النّوط: كل ما يُعلق من شيء فهو نوط، والمراد هنا ما يناط برحل الراكب من شيء فهو أبداً يتحرك. مُخدرتي: مُضعفتي.

(٤) الجمل الرداح: الجمل الثقيل والكبير الأوراك.

(٥) أحمرة: حمير. الفِرق: القطيع من الغنم أو البقر.

فَـلَـمَّـا أَنْـزَلُـونـي كـنـتُ حُـرّاً أُجَالِدُهُمْ لَدَى كَفَلِ الجَنَاحِ[١]
تَـنعَـاوَرَنِـي الـرِّجـالُ فـأنْـزلُـونـي عنِ الفَرَسِ المُطَهَّمَةِ الوَقَاحِ[١]
فـلـمَّـا أَنْ كُـثِرتُ وغـابَ قـومِـي أُسِرْتُ إسارَ مُحْتَبَلِ البَراحِ[٢]
رَأَوْنـي مُـفْـرَداً فَـتَـنَـادَرُونـي وما صَدَعَتْ كُماتُهم جِمَاحي
وقَـدْ رَوَّعْـتُـهُـم قِـدْمـاً بِـخَـيْـلٍ جَوَانِفَ في الأعِنَّةِ كالسِّراحِ[٣]
إذا بَـلَّـتْ أعِـنَّـتَـهـا بَـنَـانِـي خَرَجْنَ بِنَا نَوَاشِطَ كالقِداحِ[٤]
ولـو أنّـي جـمـعـتُ لـهـم شَـوارِي عَلَى نَهْدٍ مراكِلُهُ شَنَاحِ[٥]
لأنْـكَـرَنـي الـذيـن تَـبـادَرُونـي عَلَيَّ مُفاضَتي ومعي سِلاحِي[٦]
كـأنَّ عَـدِيَّـهُـم حَـوْلـي عُـبَـابٌ تَغَطْمَطَ في قَمُوسِ البَحْرِ ضَاحِي[٧]
وغـابَ حَـلائِـبـي وبـقـيـتُ فَـرْداً أُماصِعُهُم وَنَهْضكَ بِالجَناحِ[٨]
فـمـا أَدْرِي، وظَـنِّـي كُـلُّ ظَـنٍّ «أَيُسْلِمُني بنُو البَدْءِ اللِّقاحِ»[٩]
فـتَـقْـتُـلُـنـي بـنـو خَـمِـرٍ بِـذُهْـلٍ وَكِدْتُ أكُونُ مِنْ قَتْلَى الرِّياحِ[١٠]

---

(١) أجالدهم: أقاتلهم. الكفل: ردف العجُز، أي ردف عجُز فرسه. المطهم: المائل لونه إلى السواد. الوقاح: الفرس صلبة الحافر.

(٢) قوله (كُثِرتُ) أي تكاثروا عليّ. محتبل البراح: لا يبرح مكانه ولا يفارقه طلباً للنزال.

(٣) الجوانف: المائلة. السِّراح: الذئاب، واحدها سِرْحَان. شَبَّه الخيل في صولتها بالذئاب، والسّراح منها خاصة لكثرة روغانها ومكرها.

(٤) بلّت: أي ظفرت وأمسكت بناني أعنة الخيل. نواشط: نشيطة، القداح: قداح الميسر. وفي رواية المورد «. . .كالقراح».

(٥) شواري: متاع الرّجل عامة وبعض جسمه. نهد: خيل نهدٌ غليظة. المراكل: ركل الفرس برجله إذا حركه للركض. شناح: طوال.

(٦) مفاضتي: درعي.

(٧) عديَهُم: جريَهُم، والعَدِيّ: أول ما يُدفع من الغارة، والذين يعدون على أقدامهم وهم الرَّجّالة دون الفرسان. العُباب: عُباب الماء أوله ومعظمه، وعُباب البحر مَوْجه. تغطمط: اضطرب واشتد، والغطمطة: اضطراب الأمواج. القَمُوس: هو ما انغطّ ثم ارتفع.

(٨) الحلائب: حلائب الرجل أنصاره من بني عمه خاصة. أُماصعهم: أجالدهم وأضاربهم، مَصَع: ضرب وهي لهجة حتى اليوم. وقوله (ونَهْضَك) قَسَمٌ يُقْسِم به.

(٩) جاء عجز البيت هكذا في منتهى الطلب. وجاء في شرح شواهد المُغني «أَمُسْلِمُني إلى قومي شراحي». أي (شراحيل). وفي المورد (أيُسلمني بنو البرء) ـ والظاهر أنه يخاطب هنا شخصاً كنيته (أبو البَدْءِ) وأن الأصوب «أيسلمني أبو البدء اللقاح».

(١٠) بنو خَمر: من قبيلة حاشد الهمدانية. وخمر: اسم مدينة وناحية من بلاد حاشد بمحافظة عمران حالياً.

وظَنِّي أَنْ سَتَشْغَلُك النَّدامَى غُدُوُّهُمُ إِلَيْكَ مَعَ الرَّوَاحِ[١]
تُغَنِّيكَ الحمامَةُ كلَّ فَجْرٍ عَلَى التُّكَاتِ في النُّجُبِ الصِّبَاحِ[٢]
إذا فارَقْتَ نَدْماناً بِلَيْلٍ تُوَاعِدُهُ لِقَاءَكَ ذا صَبَاحِ[٣]
وإنَّ أخاكَ إذْ غُيِّبْتَ عَنْهُ يَغَصُّ بِنُغْبَةِ الماءِ القَرَاحِ[٤]
فَلَوْ كُنْتَ الأسِيرَ ـ ولا تَكُنْهُ ـ لَزُرْتُهُمُ بِمُرْتَجِفِ النُّواحِ[٥]
فإنْ لَمْ يُطْلِقُوا مِنكُمْ أَسِيراً فَقُودوا الخَيْلَ أسْفَل مِنْ رُبَاحِ[٦]
ولا يَرْدَعْكُمُ شَفَقٌ عَلَيْنَا فَبَعْضُ القَوْدِ أَدْنَى لِلنَّجاحِ[٧]
وإنَّ القَوْدَ بعدَ القَوْدِ يَشْفِي ذَوِي الأضْغانِ مِنْ لَهَبِ الأُحاحِ[٨]

وما لبث أن تم إطلاق سراح يزيد بن المُخَرِّم ربما فور اتصال يزيد بن عبد المَدَان بكبار خَمِر وحاشد برسالة أو رسول بعثه إليهم.

* * *

وبلغ يزيد بن المُخَرِّم أن الشاعر مالك بن حُريم الوادعي الحاشدي الهمداني قال شعراً ربما افتخر فيه على مذحج، حيث جاء في معجم الشعراء للمَرْزُباني أنه: قال يزيد بن مخرِّم يردُّ على مالك بن حُريم الهمداني[٩]:

أَلا أَبْلِغْ بَنِي هَمْدَانَ عَنِّي رِسَالَةَ ماجِدٍ وَارِي الزِّنَادِ[١٠]

---

(١) الندامى: الجلساء في مجلس الشراب والغناء والمنادمة، ويدل هذا البيت على وجود بيت سابق له ذكر فيه الشخص الذي يقول له هنا (وظني أن ستشغلك النّدامى) وقد يكون المقصود يزيد بن عبد المدان بقوله (أيُسْلِمني أبو البَذْءِ) وكان يزيد يُكنى (أبو النَّضْر) وفيه قال دريد بن الصمّة:
رأيتُ أبا النضر في مذحج بمنزلة الفجر حين اتضح
(٢) الحمامة: اسم أو كنية مُغَنّية في نجران. النُّجُب الصِّبَاح: النجيبات المختارات صبيحات الوجوه.
(٣) ندماناً: أي مُنادماً.
(٤) النغبة: الجرعة. الماء القَرَاح: الماء العذب الصافي.
(٥) زُرتُهُم: غزوتهم.
(٦) رباح: اسم مَوضع.
(٧) القود: القتل بدلاً عن قتيل.
(٨) الأُحاح: الغيظ والضِّغْنُ. يُقال: في قلبي عليه أُحاح، أي إحْنةٌ وعداوة.
(٩) مالك بن حريم شاعر كبير قال عنه الحسن الهمداني في الإكليل «مالك بن حريم: شاعر همدان وفارسها وصاحب مغازيها، وهو مُفزع الخيل وأحد وصافي العرب للبخل، ويُعدّ من فحول الشعراء» [ص ١٠٠/ ٢٠ـ وسيأتي المبحث الخاص به في هذا الكتاب.
(١٠) بنو همدان: قبائل حاشد وبكيل.

بِـأنَّ شُـوَيْـعِـراً مـنـكـم أتـانـي ... لَـهُ قَـولٌ يُـقَـالُ بـلا سَـدادِ
يُسامي معشراً كَثُرُوا وعَزُّوا ... وغَاراتٍ كَمُرْسَلَةِ الجَرادِ[1]
فَلَسْتُ بِقائِلٍ هَجْراً ولَكِنْ ... سَتَعْلَمُ أيَّ مِرْدَاةٍ تُرَادِي[2]
مَتَى ما تَلْقَنِي تَعْلَمْ بأنِّي ... شَدِيْدُ (الأمْرِ) طَلَّاعُ النِّجَادِ[3]

ومن شعره أيضاً قوله لمالك بن حُرَيم - ربما في نفس القصيدة:

سَيَعْلَمُ مالِكٌ أنِّي سأُهْدِي ... إلَيْهِ إذا دُعِيتُ إلى التَّهَادِي
مُؤَبَّدَةً تَطَلَّعُ كُلَّ نَجْدٍ ... صَوَاعِقُهَا وتَهْبِطُ كُلَّ وَادِي[4]

* * *

وشهد يزيد بن المخرِّم غزوة يوم الكُلَاب حيث سار ثمانية آلاف من بني الحارث ومذحج لغزو قبائل تميم في نجد، وقد ذكرت الروايات أنهم «استشاروا كاهنهم المأمور الحارثي، فأشار عليهم بالكفّ، ولكنهم عَصَوْه، وخرجوا لغزو تميم، وجعلوا عليهم أربعة رؤساء كلٌّ منهم اسمه يزيد: يزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المخَرِّم، ويزيد بن هوبر، ويزيد (بن شداد)، وكان مع كل واحد. منهم ألفان، فاجتمع لهم ثمانية آلاف، ومعهم عبد يغوث الحارثي»[5] فغزوا تميماً في وادي ماء الكُلاب بأعالي نجد، ثم رأوا كثرة قبائل تميم، فانسحبوا، وأثناء انسحابهم قال رجل من تميم:

يا قَوْمُ لا يُفْلِتْكُمُ اليَزِيْدَانْ
يَزِيْدُ حَزْنٍ ويَزِيْدُ الدَّيان
مُخَرِّماً أعْنِي بِهِ والدَّيَّان

وقد زعمت إحدى روايات الأصفهاني أنهما لم يُفْلِتَا وأنهما قُتِلا، وذلك غير صحيح، فقد ذكر الأصفهاني نفسه الرواية الصحيحة وذكرها ابن الأثير في كتاب الكامل وليس فيها ذلك الدزم، فقد انسحب اليزيدان بكتيبتيهما وكذلك بقية القادة

---

(١) مُرسلة الجراد: الجراد المُنتشرة الكثيرة التي تلتهم الزرع.
(٢) المِرداة: صخرة تُكسرُ بها الحجارة، ومنه يُقال للرجل الشجاع أنه (مِرْدي حروب). ترادي: ترامي وتُقاتل. وقد يكون تُناطح.
(٣) معجم الشعراء - المرزباني - ص ٤٣١. وجاء في عجز البيت (شديد الأسر..) ولا بد أنه تصحيف وأنه (الأمر) أو (الأصر).
(٤) البيتان في (مختار الشعر) وقوله (مؤبدة) يعني قوة من الخيل.
(٥) أيام العرب في الجاهلية - محمد أحمد جاد - ص ١٢٤ - والكامل في التاريخ لابن الأثير - ص ١/١٧٩.

والذين معهم، وعادوا بسلام إلى نجران، وقد سلف تبيين النصوص الدالة على ذلك في المبحث السابق عن يزيد بن عبد المَدَان.

وعندئذٍ ـ أو في حادثة لاحقة ـ مَرَّ يزيد بن المُخَرِّم بالقرب من منطقة قبيلة صُدا في سَرَاة أعالي اليمن ـ (بين الطائف ونجران) ـ وهو مُتَوجِّهٌ إلى نجران. فاعترضه قوم من قبائل اليمن بتلك الجهات كان أغار عليهم سابقاً. قال السيرافي: «فعارضوه في جَمْع لهم ثم عرضوا عليه أن يستأسر أو يعطيهم يميناً لا يغزوهم أبداً، فخَيَّرهم يزيد: أن يصفحوا ويعدّوها نعمةً أو قتالهم، فأبوا عليه ذلك، إلا الأسر أو المسالمة إلى آخر الدهر. فقاتلهم فهزمهم، وعن ذلك قال يزيد بن مُخَرِّم:

أَرَدْنَاهُمُ أَنْ يُنْعِمُوا أَوْ يُقَاتِلُوا ... فَكِلْتَاهُمَا أَعْيَتْهُمُ بِعَيَاءِ

وقالوا: تَعَالَ يا يَزِيْ بن مُخَرِّمٍ ... فَقُلْتُ لَهُمْ: إنِّي حَلِيْفُ صُدَاءِ»[1]

وصُداء قبيلة من بني عُلَة بن جَلْد بن مُذْحج في منطقة سَرَاة أعالي اليمن ومنطقة شبوة.

* * *

ومما يُستشهد به من شعر يزيد بن مُخَرِّم قوله:

تَلْقَى السَّفِيْهَ عَلَى مَنْ لا يُسافِهُهُ
سَيْفاً ويَخْشَى مِنَ الأَقْوامِ مَنْ جَهِلَا[2]

وذات مرة ـ ربما في مشاورة بمجلس يزيد بن عبد المَدَان قبل غزوة فَيْف الريح ـ قال يزيد بن مُخَرِّم:

قَدْ قالَ ذُوْ الحِنْكَةِ لِلْتَّفَهُّمِ
مَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ يُهَدَّمِ

ويعني بذي الحِنْكَةِ الشاعر الجاهلي زُهير بن أبي سُلْمَى حيث قال:

ومَنْ لا يَذُد عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ
يُهَدَّمْ، ومَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

وقد أَبْدَىٰ يزيد بن المُخَرِّم بذلك البيت رأيه في القيام بحملة تأديبية على قبائل عامر بن صعصعة الهوازنية بنجد ـ غالباً ـ وهي حملة وغزوة فَيْف الرِّيح التي اشترك فيها سائر فرسان مذحج وأعالي اليمن وعادوا منها بالنصر والظفر، وقد سلف ذكرها

(١) جاء في الهامش «يزي: ترخيم يزيد».
(٢) ديوان الحماسة للبحتري ـ ص ١٦٨.

في المبحث الأسبق عن (مُسْهِر بن يزيد الحارثي) وأنه (قال أبو عبيدة: كانت وقعة فَيْف الريح وقد بُعِث النبي ﷺ بمكة).

* * *

وفي أواخر أيام حياته قال يزيد بن المُخَرّم:

أَلَمْ تَعْلَمُوا عِلْماً يَقِيْناً بأَنَّنيْ — أَخُو ثِقَةٍ يَشْقَى بِهِ مَنْ يُحَارِبُهْ

وقَدْ أَبْقَتْ الأَيَّامُ مِنِّي بَقِيَّةً — كَخَيْرِ حُسَامٍ لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ

وَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً — تَنُوحُ وتَبْكِيْ مُعْوِلاتُ قَرائِبُهْ[1]

وَكَمْ مِنْ إِسيرٍ قَدْ فَكَكْتُ وعائِلٍ — جَبَرْتُ وقَدْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهْ[2]

ومَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ — يُقِمْ بَعْدَمَا تَهْوِي عَلَيْهِ نَصَائِبُهْ[3]

وقد توفي يزيد بن المُخَرّم بعد البعثة وقبل الهجرة ـ غالباً ـ أو قبل مسير يزيد بن عبد المَدَان مع وفد بني الحرث بن كعب إلى النبي ﷺ بيثرب لعدم ذكر اسمه بين أسماء ذلك الوفد، مما يشير إلى أنه كان قد توفي.

(١) مُعولات: صائحات نائحات.

(٢) العائل: الفقير.

(٣) النصائب: حجارة تُنصب حول الحوض. وهذه الأبيات في معجم الشعراء للمَرْزُباني ـ ص ٤٢٤.

المبحث «٩٤»

المأمور بن تَبْراء الحارثي

«كاهنُ مَذْحج أيام يزيد بن عبد المَدَان»

هو الخطيب الشاعر الكاهن المأمور الحارثي. قال ابن الأثير: «اسمه سَلَمَة بن المغفل»[١] وإنما هو (ابن المُعَقَّل) بمعنى من آل المُعَقَّل إذْ أنه «المأمور بن معاوية بن قيس بن كعب بن المُعَقَّل بن كعب الأرَتُّ بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مذحج» وقد اشتهر بلقب (المأمور) وفي شرح الدامغة والأمالي (المأمون الحارثي)[٢] والأصوب (المأمور). وقيل إن اسمه (الحارث) وقيل (سَلَمَة). ويُعرف بالمأمور بن تَبْراء الحارثي، وقد يكون (تبراء) اسم أُمّه.

كان المأمور كاهن مَذْحج في عهد رئاسة يزيد بن عبد المَدَان لمذحج، وجاء في (أيام العرب) أنه «جمع المأمور بين الفروسية والكهانة، وكانت مَذْحج في أمره تتقدم وتتأخر»[٣] وجاء في معجم الشعراء وشرح الدامغة وغيرهما أنه «كان له رَئِيٌّ من الجنّ، فلم يكن في العرب أحدٌ أكْهَنَ منه، بأمره مَذْحج كانت تتقدم أو تتأخر». وقد كانت الكهانة مرتبة عالية، قال الأستاذ فاخوري: «الكهَانةُ: ادعاءُ معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب.. وكان العربُ يعتقدون أنّ لكل كاهن صاحباً من الجن يخبره بما يُريد، ويُقال له الرئي. وكان الكاهن مستشار القبيلة وحَكَمها، لا يُردُّ له كلام، ولا يُرفَضُ له طلب. وكانت للكُهّان لغة خطابية تمتاز بالسجع»[٤] ونرى أن بعض الكُهّان أشاعوا فكرة (الرئي من الجن) التي أعطت الكاهن مكانة ليست لغيره من الناس، بينما معرفة الكاهن تعود إلى الفطنة واستقراء الأمور والذكاء وسِعة المعرفة. وكذلك كان المأمور الحارثي عارفاً بالكهانة كغيره مِنْ كُهّان اليمن في ذلك الزمن حيث كان لكل قبيلة كاهنها، وكان هو مستشار القبيلة وقاضيها الذي تتحاكم إليه.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١/٣٧٩.
(٢) شرح الدامغة ـ الحسن الهمداني ـ ص ٥٥٦ ـ الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/٢٧٣.
(٣) أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد ـ ص ١٢٥.
(٤) الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ حنا فاخوري ـ ص ٨٤.

وقد كان في قبائل مذحج عدد من الكُهّان إلا أنه كان المأمور أهمهم وأكبرهم فبأمره ورأيه كانت مذحج تتقدم أو تتأخر.

* * *

شعر المأمور الحارثي:

كان المأمور خطيباً بليغاً بسَجَع الكُهّان وسيأتي ذكر خطبة له إذْ أنها من الأدب النثري، وكان شاعراً أيضاً، وقد ذكره المَرْزُباني في معجم الشعراء وذكر بيتين من شعره. وكانت مناسبة ذلك أن آل زِنْبَاع بن رَوَاحَة بن منظور العَنْسي كانوا يسكنون مع بني الحرث بن كعب في أرض نجران باليمن، ثم ظعنوا وارتحلوا إلى ديار بني بدر في نجد. فقال المأمور الحارثي مُخاطباً ومُعاتِباً رَوَاحَة بن زِنْبَاع بن رَوَاحَة بن منظور العنسي:

رَواحَـةُ إنْ تَـنْـسَ أَبَـاكَ فَـإِنَّـهُ[١] يَحِلُّ يَفَاعاً في بَنِي الحَارِثِ، الصِّيْدُ[٢]
أَزِنْبَاعُ إنْ كُنْتُمْ نَأَيْتُمْ عَن أصْلِكُم[٣] فَـإِنَّ بَـنِـي بَـدْرٍ كَـذلِـكُـمُ حِـيْـدُ[٤]

وقد جاء البيتان هكذا في معجم الشعراء[٥] بينما يستقيم الوزن أكثر بكونهما كما يلي:

رَواحَـةُ إنْ تَـنْـسُـوا أَبَـاكُـمْ فَـإِنَّـهُ يَحِلُّ يَفَاعاً في بني الحارث، الصِّيْدُ
أَزِنْباعُ إنْ كُنْتُمْ نَأَيْتُمْ عَن أَصْلِكُمْ[٦] فَـإِنَّ بـنـي بَـدْرٍ كَـذلِـكُـمُ حِـيْـدُ

* * *

رأي المأمور في غزوة يوم الكِلاب:

ولما أراد بعض رؤساء وقادة بني الحرث بن كعب وغيرهم من مذحج غزو قبيلة تميم في نجد استشاروا المأمور، وعن ذلك جاء في كتاب الأغاني أنه: «قالت مذحج للمأمور الحارث وكان كاهناً: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم فإنهم يسيرون أعقاباً، ويَرِدُون مياهاً حباباً، فتكون غنيمتكم تُراباً»[٧].

---

(١) لعل الأنسب «رواحة إنْ تَنْسُوا أباكُمْ فإنّه».

(٢) الصِّيْد: جمع أَصْيَد، وهو الذي يرفع رأسه كِبْراً، ومنه قِيلَ للملك أصْيد لأنّه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ويرفع رأسه كِبْراً وشموخاً.

(٣) أزنباع: أي يا آل زنباع

(٤) بنو بدر: قبيلة بدر بن ربيعة الهوازنية النجدية. الحِيْد: ما شَخَص من نواحي الشيء ونأى، أي ابتعد.

(٥) معجم الشعراء ـ المرزباني ـ ص ٣٩٣.

(٦) يجوز أن يكون (عَ أصْلِكم) ترخيم (عن أصلكم).

(٧) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٧٠/ ١٥.

وجاء في كتاب الكامل أنه: «قال لهم المأمور: إنكم تسيرون أعياناً، وتغزون أحياناً، مسعداً ورباباً، وتَرِدُون مياهها جياباً، فتَلْقُون عليها ضِرَاباً، وتكون غنيمتكم تُراباً، فأطيعوا أمري ولا تغزو تميماً. فعَصَوْه»[1].

وكان الذين عصوه وساروا للغزو ثمانية آلاف فقط من قبائل مذحج وقُضاعة كلها، بينما فرسان مذحج وحدهم عشرات الألوف، مما يعني أن غالبية مذحج امتنعوا عن ذلك المسير لغزو تميم والتزموا برأي ومشورة المأمور، بينما عصاه وسار في تلك الغزوة لبلاد تميم في وادي الكِلاب بنجد اليزيدون الأربعة: يزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُخَرِّم، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن شداد، ومعهم عبد يغوث الحارثي ووَعْلة بن عبد اللّه الجَرْمي، فساروا جميعاً في ثمانية آلاف، وغزوا وغَنِموا في البداية وساقوا الغنائم فتنادت قبائل تميم ـ سعد والرِّباب ـ فوقع قِتالٌ وضِرابٌ، فلما أدركوا كثرة تميم تراجعوا وانسحبوا بدون غنيمة ـ فكانت غنيمتهم تراباً ـ ووقع عبد يغوث أسيراً وقتلته تميم بدلاً عن رئيسها النعمان بن جساس الذي قتله يزيد بن شداد الحارثي. فكان ما حدث بمثابة هزيمة لأن الذين غزوا لم يحققوا هدفهم وانسحبوا بدون غنيمة. وبذلك تَحَقّقَ تَكَهُّن المأمور، وتعززت مكانته.

ولم يعترض المأمور على الغزوة التي تلت ذلك حيث قاد الحُصَيْن الحارثي فرسان مذحج وجَرْم ونَهْد وغزا تميم فأثخن فيهم في (يوم المَرُّوت) وأسرت مذحج ألفاً من تميم وأشياعهم، وأطلقوا سراحهم فيما بعد. وفي ذلك قال عمرو بن معدي كرب عن فرسان مذحج:

وهُمْ أخـذوا بـذي الـمرُّوتِ ألـفاً ... يُـقَـسَّـمُ لـلـحُـصَـيْـن ولابْـنِ نَـهْـدِ

وشهد المأمور تلك الغزوة لأنه كان من الفرسان، وربما كان قد تَكَهّنَ بالظفر، فكان كما تَكَهّنَ وتَوَقّع فعادوا بالظفر.

* * *

خطبة المأمور «مِن النثر الأدبي»:

ومن النثر الأدبي باليمن في الجاهلية كان نثر الكُهّان الديني المسجوع، ومن ذلك النثر خطبة للمأمور الحارثي جاء نصها في كتاب الأمالي وأنه (المأمون الحارثي) وهو (المأمور الحارثي) وفيما يلي نَصّها:

«قَعَد المأمون الحارثي في نادي قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم أفْكَرَ طويلاً

(1) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١/٣٧٩.

ثم قال: أرْعُوني أسماعَكم، وأصْغُوا إليَّ قلوبَكم، يَبْلُغ الوعظ منكم حيث أريد. طَمَحَ بالأهواء الأشَر، وَرَان على القلوب الكَدَر، وطَخْطَخَ الجهلُ النظر، إن فيما نَرَى لَمُعْتَبَراً لِمَن اعْتَبَر[١]؛ أرض موضوعة، وسماءٌ مرفوعة، وشمس تَطْلُع وتَغْرُب، ونُجُوم تَسْرِي فَتَعْزُب؛ وقَمَرٌ تُطْلِعه النحور، وتَمْحَقُه أدبار الشهور؛ وعاجزٌ مُثْرٍ، وحُوَّلٌ مُكْدٍ، وشبابٌ مُخْتَضَر، ويَفَنٌ قد غَبَر[٢]؛ وراحلُون لا يَؤُوبون، ومَوْقُوفون لا يُفَرِّطُون[٣]؛ ومَطَرٌ يُرْسَلُ بقَدَر، فيُحْيي البشر ويُورِقُ الشجر ويُطْلع الثَّمر، وينبت الزَّهَر؛ وماءٌ يَتَفَجَّر من الصَّخْر، فَيصْدَع المَدَر عن أفنان الخُضَر، فيُحْيي الأنام ويُشْبع السَّوَام ويُنْمِي الأنعام؛ إنَّ في ذلك لأوضح الدلائل على المُدَبِّر المُقَدِّر، البارىء المصوِّر.

(وقال) يا أيها العقول النافرة والقلوب النائرة؛ أنَّى تُؤْفَكُون، وعن أيِّ سبيل تَعْمَهُون، وفي أيِّ حَيْرة تَهِيمون، وإلى أيِّ غاية تُوفِضُون[٤]؛ لو كُشِفَتِ الأغْطِيَةُ عن القلوب، وتَجَلَّتِ الغِشَاوة عن العيون، لَصَرَّح الشَّكُّ عن اليقين، وأفاقَ مِنْ نَشْوةِ الجهالة، مَنْ اسْتَوْلَتْ عليه الضلالة»[٥].

---

(١) قال أبو علي القالي: قوله طمح: ارتفع وعلا. ورَانَ: غَلَب. قال اللَّه تعالى: ﴿بل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. وطَخْطَخ: أظلم.

(٢) حُوَّلٌ: الحُول، الشديد الحيلة المتصرف. والمُخْتَضَر: الذي يموت شاباً حَدَثاً، وهو مأخوذ من الخُضْرة، كأنه حُصِد أخضر. واليفن: الشيخ الكبير.

(٣) يُفَرِّطُون: يُقَدَّمون.

(٤) قال القالي: تُوفضون: تُسرعون، يقال: أوْفَض يُوفِض إيفاضاً إذا أسرع. قال اللَّه تعالى: ﴿كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾. أما يُفِيضون فيُدْفَعُون، قال الأصمعي: يُقال أفاض من عرفه إلى مِنى أي دفع.

(٥) الأمالي ـ أبو علي القالي ـ ص ٣/٢٧٣.

المباحث «٩٥ ـ ١٠٠»

يَزيدُ بن هَوَبْر الحارثيّ

«سادس ستة مِنْ شُعَراء أيام يزيد بن عبد المَدَان»

من الشعراء الجاهليين ستّةُ شعراء معاصرين ليزيد بن عبد المَدَان، ولهم شعر يسير، ونظراً لأهمية معرفة زمنهم بكونهم من شعراء أيام وجيل يزيد بن عبد المَدَان نذكرهم هنا بالتتابع، وهم:

١ ـ يزيد بن هَوْبَر الحارثي:

هو أحد اليزيدين الأربعة الذين قادوا غزوة يوم الكُلاب وهُم يزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُخَرِّم، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن شداد، وكان مع كل واحد منهم ألفان، فخرجوا في ثمانية آلاف وغزوا قبيلة تميم في وادي الكُلاب بنجد، فقاتلتهم تميم بقيادة النعمان بن جساس، قال ابن الأثير: «فحمل يزيد بن شداد بن قَنّان الحارثي على النعمان بن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله، وصارت الرياسة ـ على تميم ـ لقيس بن عاصم، واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، وباتوا يتحارسون، فلما أصبحوا غدوا على القتال، وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتتلوا. . فكان أول من انهزم من مذحج مدرج الرِّياح وهو عامر الجَرْمي وكان صاحب لوائهم. .»[١] والصواب أنه (وَعْلة بن عبد اللّه الجَرْمي) وهو صاحب اللواء، فلما رأى كثرة تميم ووصول بني مُقاعس مدداً لهم انهزم وَعْلَة الجُرمي وانسحب، فانسحب اليزيدون الأربعة بكتائبهم، وقد زعمت إحدى الروايات أنهم قُتِلوا، وذلك غير صحيح، ولذلك لم تذكر ذلك الروايات الصحيحة، وقد سلف ذكر أخبار وأشعار يزيد بن عبد المَدَان بعد يوم الكُلاب وكذلك يزيد بن المُخَرِّم، أما يزيد بن هوبر فقال بعد ذلك شعراً ذكر فيه قتل النعمان بن جساس التميمي في يوم الكُلاب، فقد جاء في خزانة الأدب والجمهرة واللسان أنه «قال يزيد بن هوبر الحارثي:

ألا هَلْ أَتَى التَّيْمَ بْنَ عَبْدِ مَنَاةِ عَلَى الشِّنْءِ فِيْمَا بَيْنَنَا ابْنُ تَمِيْمِ[٢]

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ص ١/٣٨١.

(٢) هذا البيت في لسان العرب مادة (م ن ي) لذكره (مناة) في البيت. قوله (على الشِّنْءِ) أي على البِغْضَة.

بِمَصْرَعِنَا النُّعْمَانَ يَومَ تَأَلَّبَتْ عَلَيْنَا جُمُوْعٌ مِنْ شَظىً وَصَمِيم[١]
تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَيهِ ضَرْبَةً دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيْمِ»[٢]

ويؤكد هذا الشعر أنه عاش بعد يوم الكُلاب، ثم قُتِل في وقعة أخرى مع بعض القبائل، وفي ذلك قال ذو الرُّمَّة:

(قَضَىٰ نَحْبَهُ في مُلْتَقَى الخَيْلِ هَوْبَرُ)

قال الهمداني: (يريدُ أوبر الحارثي، والقتيل يزيد بن هَوْبَرُ)[٣] أي أن أصل اسم (هَوْبَرُ) هو (أوبر) إلّا أنّ حِمْيَر قد تُبْدِل الهاء مكان الهمزة للتفخيم، فتقولُ: يُهَنْعِم ويُهَصْدِق وهَوْبَرُ، فاسم هَوْبَرُ من الأمثلة على ذلك.

* * *

٢ ـ اللّجْلاج طُفَيْل بن يزيد الحارثي:

هو الشاعر اللَّجْلاج الذي قال الأصفهاني: «وعبد يغوث من أهل بيت شعر مُعْرِق في الجاهلية والإسلام، منهم اللّجْلاج واسمه طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صَلَاءَة ـ ابن المُعَقَّل بن كعب ـ وأخوه مُسْهِر الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْف الريح، فارس شاعر»[٤].

فالثلاثة: عبد يغوث، ومُسْهِر، واللّجْلاج، أبناء عمومة، والثلاثة من الشعراء الجاهليين في أيام يزيد بن عبد المَدَان، ومن شعر اللّجْلاج في كتاب الكامل والمعاني قوله:

تَرَاكِهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِهَا
أَمَا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِهَا[٥]

وتَراك: اسم فعل أمر بمعنى اترك. وكان رجالٌ من كندة أغاروا على إبله فلحقهم، وقال هذا البيت، واستخلصها منهم.

ومن شعره في معجم البلدان، قال اللّجلاج الحارثي:

فَرُحْتُ رَوَاحاً مِنْ أَيَاءٍ عَشِيَّةً

---

(١) هذا البيت والذي يليه في اللسان مادة (ص ر ع) و (ش ظ ى) وجاء في اللسان أن «قوله بمصرعنا النعمانَ في موضع الفاعل بأَتَى في البيت قبله، والباء زائدة». والشظى: الأتباع والدخلاء عليهم بالحلف. والصميم: خالص النسب وصريحه.

(٢) هابي التراب: ما ارتفع ودقّ من التراب. والهابي: تراب القبر.

(٣) الإكليل ـ الحسن الهمداني ـ تفسير كلمة هَامَن ـ جـ ٢.

(٤) الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ ص ١٦/٣٥٦.

(٥) الكامل ـ أبو العباس المبَرِد ـ ص ٥٨٨/ ٢.

إلى أنْ طَرَقْتُ الحَيَّ في رَأسِ تُخْتُمِ [١]

أَيَاء: اسم موضع بالجوف. وتختم: اسم جبل لمُراد في مأرب.

وقال اللّجلاج:

ولـم أكُ دُونَـهُ بِـكَـلِـيْـلِ نَـابٍ ولَا رَعِـشِ الـبَـنَـانِ ولا الـجَـبَـانِ

ولا مُـتَـضَـائِـلٍ إنْ نَـابَ خَـطْـبٌ جـلـيـلُ والْـتَـقَـتْ حَـلَـقُ الـبِـطَـانِ

وقوله (التقت حَلَقُ البِطان) هذا مثل. البطان: حزام الرَّحْلِ والقتب. ويُقال (التقت حَلْقَتَا البطان)، للأمر إذا اشتد. وهو مثلٌ يُضرب للرجل يغذُّ هارباً في السير فيضطرب حزام رَحْله ويستأخر حتى تلتقي عروتاه وهو لا يقدر خوفاً أن ينزل فيشده. يُضْرَبُ مثلاً في تناهي الشر. ونظيره قول أوس بن حَجَر الجاهلي:

وازْدَحَـمَـتْ حَـلْـقَـتَـا الـبِـطَـانِ بـأقْـ ـوامٍ وطـارت نُـفُـوسُـهُـمْ جَـزَعَـا

***

٣ ـ شيخ من بني الحرث بن كعب:

هو شيخ شاعر من بني الحرث بن كعب ذكر له الأصفهاني بيتين من الشعر أثناء زيارة دريد بن الصّمَة ليزيد بن عبد المَدَان، حيث كان دُرَيْد بن الصّمة الجُشَمي يوماً في حضرة يزيد بن عبد المَدَان. فقال له: يا أبا النّضْر، إنّي رأيتُ منكم خصالاً لم أرها من أحد من قومكم: إنّي رأيتُ أبْنِيَتِكُم مُتَفَرّقَة، ونِتَاج خيلكم قليلاً، وسَرحكم يجيء مُعَتّماً. فقال يزيد: أجَلْ، أما تفرّق أبنيتنا فللغَيرة على النساء، وأما قلّة نِتَاجنا فنِتَاج هوازن يكفينا، وأما تمسّينا بالنّعَم فإن فينا الغرائب والأرامل تخرج المرأة إلى مالها حيثُ لا يراها أحد.

وأقْبَلَتْ طلائعهم على يزيد بن عبد المَدَان فقال شيخٌ منهم:

أَتَـتْـكَ الـسَّـلَامـةُ فـارْعَ الـنِّـعَـمْ ولا تَـقُـلِ الـدَّهْـرَ إلّا نَـعَـمْ

وسَـرِّحْ دُرَيْـداً بِـنُـعْـمَـىٰ جُـشَـمْ وإنْ سَـالَكَ الـمَرْءُ إحْدَى الـقُحَمْ [٢]

فقال دريد: يا أبا النّضْر، مِن أين جاء هؤلاء؟ فقال: هذه طلائعنا لا نَسْرح ولا نَصْطَبح حتى يرجعوا إلينا. فقال له: ما ظلمكم مَنْ جَعَلكُم جَمْرة مذحج. وردّ عليه يزيد الأسارى من قومه وجيرانه، ثم قال له: سَلْني ما شئت، فلم يسأله شيئاً إلا أعطاهُ إياه. فانصرف دريد بن الصّمَة بالأسرى والنّعَم والعطاء إلى قومه. وقال في ذلك قصيدة منها:

رَأيْـتُ أبـا الـنّـضْـر فـي مَـذْحَـجٍ بـمـنـزلـةِ الـفـجـرِ حـيـن اتّـضَـحْ

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ مادة (أيَا ـ تُخْتُم).

(٢) سَالَك: سَألَك. القحم جمع قحمة وهي الأمر الشاق والصعب.

. . مَدَحْتُ يَزِيدَ ابْنَ عَبْدِ المَدَانِ فأكْرِمْ بهِ مِنْ فَتَىً مُمْتَدَحْ
إذا المَدْحُ زَانَ فَتَى مَعْشَرٍ فإنّ يَزِيدَ يَزِيْنُ المِدَحْ (١)

* * *

٤ ـ جابر بن قيس الحارثي (المُحَذَّقْ):

هو الشاعر الجاهلي جابر بن قيس الحارثي، سُمّي المُحَذَّقْ لقوله:

وأَحْجَجْتُمُوا بِالرَّكْبِ عَنَّا وقُلْتُم سَقَطْنَا عَلَى أُمّ الرُّبَيْقِ المُحَذَّقِ

وأُمّ الرُّبَيْق: مِنْ أسماء الداهية.

وهو القائل:

رَأَيْتُ الفَتَى يَسْعَى وَيَرْعَى لِغَيْرِهِ وَيَدْأَبُ فِيْهِ، والسَّعِيْدُ سَعِيْدُ (٢)

* * *

٥ ـ عمرو بن جابر الحارثي:

هو الشاعر عمرو بن جابر ـ نجل جابر بن قيس الحارثي ـ، ذكره ابن الكلبي، واستشهد ببيت من شعره في خصومة وقعت بين بني الحرث بن كعب وبين غُطَيْف مُراد على الصنم (يَغُوث) بالجوف. وكانت تلك الخصومة أيام يزيد بن عبد المَدَان قبل يوم الرَّدْم الذي تحاربت فيه مذحج وهمدان بالجوف وقيل إن سبب ذلك التدافع على الصنم يَغُوث.

وقد استشهد ابن الكلبي بقول عمرو بن جابر الحارثي:

حَلَفَتْ غُطَيْفُ لا تُنَهْنِهُ سِرْبَهَا وحَلَفْتُ بِالأَنْصَابِ أَنْ لا يُرْعَدُوا (٣)

وغُطَيْف: بطن من مُراد، وهم رؤساء قبيلة مراد بالجوف ومأرب وسرو مَذْحج، منهم قيس بن مكشوح المرادي مُعاصر وصاحب يزيد بن عبد المَدَان وعمرو بن معدي كرب، وهو من كبار الفرسان والشعراء في ذلك الزمن.

* * *

٦ ـ يزيد بن أَنَسْ بن الدّيّان:

هو ابن عم يزيد بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان. الشاعر يزيد بن أَنَسْ بن الدَّيَّان بن قَطَن الحارثي. له بيتٌ من الشعر في ديوان الحماسة للبحتري، ولا بد أنه من قصيدة له. والبيت هو:

إنّي امْرؤ أُعْطِي حَقِيْقِي حَقَّهُ فَلَسْتُ بِمَظْلُومِ وَلَسْتُ بِظَالِمِ

(١) الأغاني ـ الأصفهاني ـ ص ٤٤/ ١٠.
(٢) حماسة البحتري ـ كمال مصطفى ـ ص ٣٩٩.
(٣) كتاب الأصنام ـ ابن الكلبي ـ ص ٤٢.

وكان أخوه (عبد الحارث بن أَنَسْ) مع يزيد بن عبد المَدَان في وفد بني الحرث بن كعب إلى النبي ﷺ بيثرب سنة ٤هـ وسنة ١٠هـ. ولما توفي النبي ﷺ ـ وكما جاء في كتاب الإصابة ـ «قام عبد الحارث بن أنس بن الدَّيَّان في أهل نجران إذْ بَلَغَهُم موت النبي ﷺ وكان سيداً فيهم، فقال: يا أهل نجران، مَنْ أمركم بالثبات على هذا الدين فقد نصحكم، ومَنْ أمركم أنْ تُزِيغُوا فقد غشَّكم، إنما كان نبيّ اللَّه عارية بين أظهركم فأتى عليه أجله وبقي الكتاب الذي جاء به فأمره أمر ونهيُه نهيٌ إلى يوم القيامة. ثم أنشد أبياتاً منها:

ونحنْ بحمدِ اللَّهِ هَامَةُ مَذْحَجٍ بنو الحرث الخير الذين هُمُ مَدَرْ
ونحنُ على دين النبي نرى الذينَ نهانا حراماً مِنْهُ، والأمرُ ما أمَرْ

فأجابه أهل نجران إلى ما طلب، وقالوا: كنت خير وافدٍ أنت وقومك من بني الحرث»[1].

* * *

انتهى الجزء الأول من كتاب

«شعر وشعراء اليمن في الجاهلية»

والله الموفق

محمد حسين الفرج
صنعاء/ الجمهورية اليمنية

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ترجمة عبد الحرث بن أنس.

فهرس المحتويات


SANA'A 2004
صنعاء عاصمة للثقافة العربية 2004
Sana'a 2004 the arab cultural capital
الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة
صنعاء - ص.ب.: (٣٦)-(٢٣٧)- هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣
بريد الكتروني moc @ y.net.ye